

# أَجْوَابُ الْفَسِيحِ

لِمَا لَفَّقَهُ عَبْدُ الْمَسِيحِ

تَأَلَّفَ

الْإِمَامُ الْأَلَوْسِيُّ

جزءان في مجلدين

الجزء الأول

محقق الدكتور الشيخ

أحمد حجازي السقا

ملزمة الطبع والنشر

دار البيان العربي بالقاهرة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

• يطبع هذا الكتاب على النسخة الحجرية في مكتبة الجامع الأزهر .  
• وحقوق الطبع محفوظة لدار البيان العربي لصاحبها : عبد البديع قوده  
• ١٨ درب الأتراك خلف جامع الأزهر بالقاهرة .

الطبعة الأولى بالقاهرة

هـ ١٤٠٨/١/٢٠

م ١٩٨٧/٩/١٢

## كلمة محقق الكتاب

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى : « شهد الله : انه لا اله الا هو ، والملك . واولوا العلم . قائما بالقسط . لا اله الا هو . العزيز الحكيم . ان الدين عند الله الاسلام » . ( ٣ : ١٨ - ١٩ )

اشهد ان لا اله الا الله ، الا اله اقام بالقسط ، والناطق بالحق والعدل .  
واشهد ان محمدا عبد الله ورسوله ، بلغ ما انزل اليه من ربه . واصلى  
واسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ، واصحابه اجمعين .

### أما بعد

فاسم هذا الكتاب : هو « الجواب الفسيح ، لما لفته عبد المسيح »  
واسم المؤلف : هو « نعمان بن محمد . الألوسى البغدادي » المولود  
سنة ١٢٥٢ هـ . والمتوفى سنة ١٣١٧ هـ . ابن مفسر القرآن الكريم .

وسبب تأليف هذا الكتاب ان النصارى : يقولون :  
ان رجلا مسلما يسمى « عبد الله بن اسماعيل الهاشمى » ألف  
رسالة فى محاسن دين الاسلام ، وبعث بها الى نصرانى يسمى « عبد المسيح  
ابن اسحق الكندى » فى زمان الخليفة « المأمون » - رضى الله عنه -  
ولما قرأها النصرانى ، رد عليها . وبين فى الرد محاسن النصرانية ،  
وانها الدين الذى ارتضاه الله لعباده ، ومن لا يدين به ، فانه يكون من  
الخاسرين فى الاخرة

ويتول المسلمون : ان نصارى البروتستانت هم الذين ألفوا « رسالة »  
ونسبوا زورا الى « عبد الله بن اسماعيل الهاشمى » ثم ألفوا ردا عليها ،  
ونسبوه زورا الى « عبد المسيح بن اسحق الكندى » .

وغرض النصارى من تزوير الرسالتين :

- ١ - ايها الناس بمساواة المسلم بالذمى ، والمؤمن بالشرك .
- ٢ - وبيان ان دين النصارى افضل من دين الاسلام .

والدليل على ذلك :

أولا : ما هو المكتوب في أول الرسالة المزورة المنسوبة الى « عبد الله ابن اسماعيل الهاشمي » ونصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد . فقد افتتحت كتابي هذا اليك بالسلام عليك والرحمة . تشبها بسيدي وسيد الأنبياء . محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . فان ثقتنا ذوى العدالة عندنا ، الصادقين الناطقين بالحق ، الناقلين الينا أخبار نبينا - عليه السلام - قد رووا لنا عنه : أن هذه كانت عادته ، وأنه كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا افتتح كلامه مع الناس ببادئهم بالسلام والرحمة في مخاطبته اياهم . ولا يفرق بين الذمى والامى ، ولا بين المؤمن والمشرک » اهـ .

فقد أراد المزور أن يقنع المسلمين بان الرسالة من تأليف مسلم . بكتابتها أن محمدا سيد الأنبياء وأنه رسول الله ﷺ . ثم أراد أن يفتنع المسلمين بأنه لا فرق بين الذمى والامى ولا بين المؤمن والمشرک . وهذا هو غرض المزور ، على طريقة وضع السم في العسل . فان الاسلام فرض الجزية على اهل الكتاب ، ليمنع المساواة بين المسلم والكتسابى والدليل على أنه كاذب في قوله هذا : ان النبى ﷺ كان يفتتح كتبه الشريفة بالسلام على من اتبع الهدى . لا بالسلام على اليهودى والنصرانى والجبوسى والمشرک .

ثانيا : ان المؤلف « عبد المسيح بن اسحق الكدى » يقول في نهاية رده على رسالة المسلم : ان المأمون - رضى الله عنه - لما بلغه خبر رسالة « عبد الله » ورده عليها ، علم أن دين النصرانى دين صحيح . يقول ما نصه : « بلغنا انه انتهى الأمر الى « المأمون » في خبر الرسالتين ، فأمر باحضارهما ، وقرئتا عليه ، فلم يزل صائتا ، حتى جاء الى آخرهما . فقال : ما كان دعاه الى أن تعرض لما ليس من عمله . حتى أجاد كتاب نفسه . فاما النصرانى فلا حجة لنا عليه ، لأن الأمر لو لم يكن عنده هكذا ، لما اتام على دينه . والدين دينان : أحدهما : دين الدنيا ، والآخر : دين الآخرة . أما دين الدنيا فالدين المجوسى ، وما جاء به « زرادشت » وأما دين الآخرة فهو دين النصرانى ، وما جاء به « المسيح » وأما الدين الصحيح فهو التوحيد الذى جاء به صاحبنا ، فانه الدين الجامع للدنيا والآخرة » اهـ .

والمأمون - رضى الله عنه - برىء من هذا القول . والمسلمون لا يقرون بان دين النصرانى هو دين الآخرة . بل يقرون بان المسيح عليه السلام

ليس صاحب دين مستقل عن دين موسى بن عمران عليه السلام . لقول المسيح نفسه : « ما جئت لأنقض الفاموس » ( مت ٤ : ١٧ ) وأنه ما جاء الا مصدقا لما بين يديه من التوراة . ومبشرا برسول الله ﷺ ومن لا يؤمن بمحمد ﷺ الذي بشر به عيسى عليه السلام فانه لا يكون مسلما ولا مؤمنا . ولا ناجيا في الاخرة .



ومما يدل على التزوير والافتراء : أن المؤلف اذا ذكر آية من آيات التوراة أو الانجيل يذكر بجوارها اسم السفر ورقم الأصحاح . والرقم الذى يذكره هو مطابق للرقم المذكور الان فى طبعات البروتستانت للكتاب المقدس . وهذا يدل على أن المؤلف من البروتستانت ، وأنه من العلماء المعاصرين .

ومثال ذلك : قوله عن ابراهيم عليه السلام : « فأمن بالرب ، فحسبه له برا » ( تكوين ١٥ : ٦ ) وكتب بجواره : تكوين ١٥ أى أن هذا القول فى الأصحاح الخامس عشر من سفر التكوين . والتراجم القديمة قبل عصرنا هذا ، خالية من التقسيم المطابق لتقسيم هذا العصر . والتي كانت فى عهد الأمويين والعباسيين والمماليك المصريين كذلك ، كانت خالية من ذكر الأصحاحات وأرقام الايات . ومما يدل أيضا على التزوير والافتراء : أنه كتب فى الجزء الأول أنه فى سنة نيف ومائتى سنة . والاحاديث التى استدل بها فى المعجزات الحسية مدونة بعد هذا التاريخ .



والمسلم الذى رد على كتاب « عبد المسيح بن اسحق الكندى » قال : ان كتابه من وضع البروتستانت . ومن المحتمل أن المزور ، لقى فى كتاب للبيرونى ، اسم « يعقوب بن اسحق الكندى » فنسب اليه زوره . وقال المسلم الذى رد على الكتاب : ان مصحح كتاب عبد المسيح يقول فى نهايته ان له نسخة فى « القسطنطينية » ونسخة فى « مصر » بدون تاريخ . ورد عليه بقوله : « لم لم يذكر اسم مكتبة القسطنطينية ومكتبة مصر ، حتى نرى فيهما هاتين النسختين ؟ »

والمسلم الذى رد - واسمه « نعمان بن محمود الأوسى » وهو ابن مفسر القرآن الكريم المسمى بـ « روح المعانى » - وضع عبارات النصرانى بنصها . ثم عقب عليها بالنقد والرد . واستعان بكتب السابقين عليه فى نقد كتب أهل الكتاب ، ككتاب « اظهار الحق » و « هداية الحيارى » وغيرهما . وأجاد وأفاد ، وأتم غرضه الشريف - وهو هزيمة النصرانى -

بأسلوب سهل وحجج نقلية وعتلية جيدة . فجزاه الله عن الاسلام  
خير الجزاء ، وعفا عنه بمنه وفضله ورحمته .

وقد قرأت ما كتبه النصراني كله ، وما كتبه المؤلف كله . وفهمت  
غرضهما - كما اظن - فهما جيدا . وشاركت المؤلف في الرد والنقد  
والتصحيح والضبط . وذلك كله بالتعليق على ما كتبه .



وقد نقد عقائد النصراني كثير من المسلمين من قبلى . وينبغى ان  
يكون نقد المذهب النصراني مسبوqa بنقد التوراة . فان من ينقد المذهب  
النصراني ولا تكون له دراية بـ ا - التوراة ب - وأسفار الأنبياء ، فانه  
لا يكون ناقدا أصيلا ، ولا بصيرا . ومن يدرس النصرانية من قبل أن يدرس  
اليهودية ويتبحر فيها ، فانه لا يقدر أن يفهمها ولا أن ينقدها (١)

ومن ينقد اليهودية ولا ينقد النصرانية . فانه يكون ناقدا للنصرانية  
أيضا . ومن ينقد النصرانية ولا ينقد اليهودية ، فانه لا يكون ناقدا  
لليهودية ، ولا يكون أيضا مصيبا في غرضه .

وذلك لأن موسى عليه السلام هو صاحب الشريعة في بنى اسرائيل .  
وجميع الأنبياء من بعده كانوا على سنته . لم يزيدوا فيها ولم ينقصوا منها ،  
وعيسى عليه السلام هو نبي يهودى . ولد في « بيت لحم » ومثى في الأرض  
المقدسة . ولم ينسخ سنة موسى ولم ينقضها . وانما كان يظهر تحريفات  
علماء بنى اسرائيل لمعانى مكتوبة في التوراة ، ويندد بسوء سلوكهم ، ويبشر  
بمحمد ﷺ . فدينه على ذلك هو كل المكتوب في ا - توراة موسى  
ب - وأسفار الأنبياء من أول سفر الى آخر سفر . وأسفار الأنبياء  
تسعة وثلاثون سفرا في التوراة العبرانية ، وستة وأربعون في التوراة

(١) « ان المسيحيين الاوائل لم يكونوا يعتقدون ان كتبهم المقدسة تكون  
عهدا جديدا، يتميز عن العهد القديم . فتد كان العهدان شيئا واحدا  
متصلا . وعندما ظهرت أولى الكتابات المسيحية . كان ينظر اليها  
جميعا ، باعتبارها اضافات صحيحة ، او ملحق لما في اسفار الناموس  
والأنبياء ، التي كانت تقرا أسبوعيا في المعبد اليهودى ، والكنيسة  
المسيحية . ان العهد الجديد كتاب غير متجانس . ذلك انه شتمت مجمع ،  
فهو لا يمثل وجهة نظر واحدة تسوده من أوله الى آخره ، لكنه في الواقع  
يمثل وجهات نظر مختلفة » ( فردريك جرانت ص ١٢ - ١٣ - نتلا عن  
ص ٣٥ مناظرة بين الاسلام والنصرانية ) .

اليونانية . وأسفار الأنبياء كلها محذوفة من التوراة السامرية . واتباع المسيح عيسى عليه السلام هم كسائر اليهود على دين موسى وسنفته وشريعته . وذلك لقوله لهم : « لا تظنوا انى جئت لانتقض الناموس أو الأنبياء » والنصارى الى يومنا هذا يقدسون التوراة وأسفار الأنبياء .

فلو أنك نقدت التوراة وهى معظمة ومقدسة عند النصارى ، تكون ناقدا للكتاب الأعظم عندهم ، وهو الكتاب الذى يقولون : انه كتاب المعسائد والشرائع .

وانك لو نقدت التوراة ، تكون أيضا ناقدا للانجيل والرسائل . وذلك لان كتابها كتبوها على مثال آيات فى التوراة ، اقتبسوها واستشهدوا بها . فالآية التى اقتبسوها من التوراة ووضعوها فى الانجيل ، ليقولوا بها المعنى الذى يريدونه ، اذا أنت نقدتها ، تكون ناقدا للانجيل ومخطئا المكتبة فى نقلها من التوراة الى الانجيل للاستشهاد بها .

ومثال ذلك : قول هوشع فى سفره : ان الله يقول عن يعقوب عليه السلام : انه لما كان غلاما أحبه ، ومن مصر دعا أولاده الى الخروج منها الى الأرض المقدسة .

يتول هوشع : ان الله دعا « أولاد يعقوب » وهم بنو اسرائيل وبنوهم وبنو بنوهم . وقد اقتبس منى هذا القول وكتبه فى انجيله « ومن مصر دعوت ابنى » وانه ليوجد فرق كبير بين « أولاد » كثيرين ، وبين ( ابن ) واحد . فمن منهما هو القائل بالصدق ؟ ان أحدها كاذب . اما التوراة . وأما الانجيل . فلو قلت : التوراة هى الكاذبة ، تكون هادما للكاتب المعظم عندهم . وان قلت الانجيل هو الكاذب ، تكون هادما للانجيل وانه معظم أيضا عندهم . والانجيل هو الكاذب . وذلك لأن متى . يهدف - ان كان هو الكاتب - الى أن يقول : ان نبوءة ابن الله عن المسيا المنتظر المذكورة فى الزمور الثانى لداود عليه السلام تنطبق على عيسى عليه السلام ، فيكون هو المسيا المنتظر . ولكى يطبقها على عيسى عليه السلام قال : ان هوشع عبر بابنى ليشير بالتعبير الى أن عيسى هو ابن الله الذى تنبأ داود عن مجيئه .

فانظر الى قول متى فى بدء انجيله : ان يسوع وأمه ويوسف النجار ذهبوا الى « مصر » ويسوع فى المهد ، ثم عادوا الى « اورشليم » أى دعاهم الله الى الأرض المقدسة من « مصر » وذلك لكى يتحقق قول هوشع ابن بشرى عن الله تعالى : « ومن مصر دعوت ابنى » .

فلو أنك غير دارس لليهودية . ومررت على هذا النص في انجيل متى .  
وفي نيتك نقد الانجيل برمته . فهل تآدر على نقد هذه الاية ؟ انك لا تقدر .  
واذ لا تقدر . فهل تكون بارعا في النقد ؟ وهل تعد من كبار نقاد الانجيل ؟  
بالتأكيد : لا .

وقد هدانى الله الى نقد الانجيل بهذه الطريقة في كتابنا « اقتباسات  
كتاب الانجيل من التوراة » .



والطريقة الثانية التى هدانى الله تعالى اليها في نقد الانجيل وتمد بينتها  
في كتابنا « نقد الانجيل » هي :

١ — أنك تأتى بنص من التوراة .

٢ — ثم تأتى برأى عيسى — عليه السلام — نفسه في النص .

٣ — ثم تذكر من الانجيل والرسائل مخالفة كتاب الانجيل والرسائل  
لكلام عيسى نفسه المنون في الانجيل والرسائل . وهذه الطريقة قوية  
جدا في الافحام والالزام ، ولا يعرفها الا دارسو كتب علماء بنى اسرئيل  
ومثالها :

١ — نصت توراة موسى على أن العمل واجب . وان مدار النجاة في  
الآخرة يكون على الايمان والعمل معا . وذلك في سفر التثنية في قوله :  
ان هذه الوصية ليست بعيدة عنك . ليست في لسماء حتى تقول من يصعد  
الى السماء ليأتينا بها ، لنعمل بها . ليست في الارض حتى تقول من يهبط  
الى الأرض ليأتينا بها لنعمل بها . بل الوصية قريبة منك جدا لتعمل بها .  
هذا في سفر التثنية .

٢ — وعيسى عليه السلام استدل بما في سفر التثنية عن العمل على أن  
الانسان مختار في اكتساب أفعاله وليس بمجبور على فعل شيء ، وأن مدار  
النجاة على الايمان والعمل . وقال كما روى متى : ان من يسمع اتوالى  
هذه ويعمل بها أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر . واذا هبت الرياح  
لم تصدمه ، ومن لا يعمل بها أشبهه برجل جاهل لم يؤسس بيته على  
الصخر ، واذا هبت الرياح تصدمه ويسقط . ويكون سقوطه عظيما .  
وقال كما روى برنابا : ان وصية الله قريبة من الانسان ليعمل بها كما  
قال موسى : ان هذه الوصية . الخ .



٣ - وبولس الذى كون النصرانية على حساب عيسى عليه السلام .  
الغى الأعمال من الايمان فى مسمى الشرع ، وجعل مدار النجاة على  
الايمان وحده . ولأول نص سفر التثنية الذى استشهد به المسيح عيسى  
عليه السلام على حرية المرء ، أوله ليدل على الجبر . قال : ان معنى  
انها ليست فى السماء أى ليس المسيح فى السماء ، وان معنى انها ليست  
فى الأرض ، أى ليس المسيح فى الأرض .

فاتنظر الى كلام موسى وانظر الى استشهد المسيح به ، ثم انظر الى  
كلام بولس فى نفس النص . تجد أن أحد النصين كاذب . اما رواية متى  
عن المسيح .

واما كلام بولس . وكلاهما مدون فى ما يسمى بلانجيل . وكتاب فيه  
المعنى وضده ، لا يصح تقديسه كله ، ولا رفضه كله .

وهاتان الطريقتان هما أقوى الطرق فى نقد نصوص التوراه والانجيل .



اما طرق نقد عقائد النصارى فانها تكون كالآتى :

أولا : يجب على الناقد أن يذكر من التوراة وأسفار الأنبياء نصوصا  
تدل على أن الله تعالى هو الاله الخالق للعالم وحده ، وأنه تعالى ليس  
كمثله شيء . فاذا ذكر هذا وبين أن اليهود من دعاة التوحيد والتنزيه  
كالمسلمين - والفرق بينهما هو فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فاليهود يرفضونه ،  
والمسلمون يقبلونه - يجب عليه .

ثانيا : أن يذكر رأى عيسى عليه السلام فى الاله الخالق للعالم هل هو  
الله أم لا ؟ وأنه لمكتوب فى انجيل مرقس وغيره : أن عيسى عليه السلام  
كان على دين موسى ولم ينسخ منه شيئا . وأذ يكون على دينه ، يكون مقرا  
بالله تعالى الذى نصت التوراة على أنه الخالق للعالم وحده . ففى سفر  
التثنية : « الرب الهنا رب واحد » ومكتوب فى الأصحاح الثانى عشر من  
انجيل مرقس ن عالما من علماء بنى إسرائيل سأل عيسى عليه السلام  
عن الوصية العظمى فى الناموس . فأجاب بأن الوصية العظمى هى أن  
تحب الرب الهك من كل قلبك ... الخ . أى أن عيسى بن مريم قرر فى  
الانجيل أن رب العالمين هو الله وحده . وقرر فى بدء انجيل يوحنا ان الله  
لا يرى ولا يقدر أحد أن يراه ، كما قرر موسى فى سفر الخروج .

واذ ثبت أن عيسى بن مريم كان على دين موسى بن عمران ، وثبت أنه قرر عقيدة التوحيد على مثال ما عند علماء بني اسرائيل ، يثبت . أن عيسى بن مريم ليس هو الاله الخالق للعالم ، ويثبت أيضا أنه ليس هو الاله الثاني من الالهة الثلاثة التي هي الاب والابن والروح للقدس .

ثالثا : يبين الناقد : أنه اذا كانت نصوص التوراة وذصوص الانجيل لا تدل على التثليث لا من قريب ولا من بعيد . ولا تدل على أن الله تعالى يشبه الانسان أو يظهر للناس في صورة انسان لا من قريب ولا من بعيد . وبالتأكيد هي لا تدل . فان عقيدة التثليث وعقيدة تجسد الله تعالى في جسد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام تكون عقيدة باطلة . واذا بين ذلك وأنه لو اوضح وضوح الشمس في رابعة النهار ، فانه يفترض كان سائلا يسأل ويقول : فلماذا قال النصارى بالاقائيم الثلاثة ؟ ولماذا قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ؟ ويجيب بأن الرومان الذين كانوا يحتلون أرض فلسطين في زمان عيسى عليه السلام الى زمان محمد ﷺ هم الذين أجبروا النصارى على القول بالتثليث وعلى أن الله انقلب الى انسان هو المسيح بن مريم .

رابعا : يبين الناقد عقيدة الكاثوليك على حدة ويشرحها شرحا وافيا . ثم يبين عقيدة الارثوذكس على حدة ويشرحها شرحا وافيا . ثم ينقد كل مذهب على حدة .

فالكاثوليك والبروتستانت المنشقين عنهم يعتقدون أن اقنوم الاب هو غير اقنوم الابن ، وهما غير اقنوم الروح القدس . وأن كل اله مستقل بذاته عن غيره . وهذا الاعتقاد باطل بما روى في التوراة والانجيل من أن الله واحد ، وأن عيسى نفسه قد أثر عنه في الانجيل انه كان يقول اني رسول الله ، وأنه لا يقدر أن يعمل من نفسه شيئا وكل ما يعمل فانه بأذن الله واراادته . والمعجزات التي يعملها ليس يعملها بقدرته ، بل بقدره الله ففى انجيل يوحنا : يتول المسيح : ان الله الذي أعطاني آياها ، هو اعظم من الكل ولا يقدر احد أن يخطف من يده الله .

والارثوذكس يعتقدون أن الله رب العالمين . هو الذي انقلب الى انسان . كما انقلب جبرائيل عليه السلام في صورة دحية الكلبي . فهم لا يعتقدون بثلاثة آلهة ، بل باله واحد . وهم ليسوا مثلثين وانما هم موحدون . والفرق بينهم وبين اليهود الموحدين والمسلمين الموحدين هو أنهم قالوا : ان الله تجسد في المسيح ، أى ان الله هو المسيح . أى ان المسيح هو الله رب العالمين . واليهود والمسلمون يقولون : ان عيسى المسيح هو عبد من عباد الله وليس هو اله وقد حل في المسيح . واعتقاد

الأرثوذكس باطل بما روى في التوراة والانجيل من أن الله ليس كمثل شئ ، وأنه اله محتجب ، وأنه لا يرى - بضم الياء - وأنه لا يكل ولا يعيا وليس عن قدرته فحص ، وأن عيسى نفسه قد أثر عنه في الأناجيل أنه قال للحواريين : « انظروا جسدى . وأخذ باصبع « توما » ووضعها على جسده ، وأكل معهم شهداً وعسلاً وسهماً . ثم وضع يده أن يقدر من ذاته أن يفعل شيئاً ، وإنما يفعل إرادة الله .

ووضع للشيطان : أن السجود لا يكون إلا لله وحده . واستدل على قوله هذا للشيطان بآية من التوراة وهى « للرب الهك تسجد وإياه وحده تعبد » وقال لتلاميذه : « من يقبلكم يقبلنى ، ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى . وقال لهم : انى صاعد الى أبى وأبيكم والهى والهكم . وهذا وشبهه يدل على أن الله لم ينقلب الى المسيح . وأن المسيح غير الله الذى لا يرى ولا يقدر أحد أن يراه .

خامساً : يبين لناقد أن ألفاظ التوراة والانجيل فيها المحكم وفيها المتشابه ، ويرد التشابه الى المحكم . وذلك ليوضح للاميين من النصرارى خداع أئمتهم لهم ويعلمهم ما يتعمد الأئمة اخفؤه . ومثال ذلك : أن المحكم فى التوراة عن الله عز وجل هو « ليس مثل الله » فى آخر سفر التثنية . وأنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وأنه لم يظهر ذاته لموسى عليه السلام ، وأن أشعيا قال عنه : « حتماً أتت اله محتجب يا اله اسرائيل » وأن مشايخ بنى اسرائيل لما صعدوا الى جبل حوريب مع موسى عليه السلام سمعوا صوتاً ولم يروا شخصاً . وأن موسى حذرهم من تخيل الله وتمثله بأى شكل كان وذلك واضح من سفر الخروج .

وأن المتشابه فى التوراة هو مثل قوله لجميع بنى اسرائيل : « أنتم اولاد للرب الهكم » فلفظ الاولاد هنا هو لفظ متشابه يحتمل معنيين :

١ - الولد المتولد من نطفة الأبوين .

٢ - الولد على المجاز بمعنى القرب من الله ، وأن الله فضله على غيره من خلقه ، كما يفضل الأب ولده على سائر اولاد الناس . والمتفق مع المحكم هو المعنى الثانى . فيكون هو مراد الله تعالى .

ومثاله أيضاً لفظ « الإله » فإنه على الحقيقة يدل على خالق العالم وحده ، وهو الله رب العالمين . وقد أتى فى التوراة وفى الانجيل ، بل وفى

القرآن (١) أيضا على معنى « السيد » ففى التوراة يقول الله لموسى :  
« انظر . انا جعلتك الها لفرعون » وفى الزبور يقول الله لبنى اسرائيل :  
« انا قلت انكم آلهة وبنو العلى كلكم » اى سادة وقد فضلكم على سائر  
الشعوب فى زمانكم . وفى انجيل يوحنا يقول عيسى عليه السلام للحواريين :  
انتم تدعوننى معلما وسيدا .

وحسنا تقولون ، لانى انا كذلك ، فقد اعترف بانه معلم ، واعترف بانه  
سيد ، ولم يعترف بانه الاله على مذهب الارثوذكس ، ولم يعترف بانه اله  
على مذهب الكاثوليك ثم تواضع وغسل ارجل الحواريين . واستحبسا  
« بطرس » وخجل من ان يفسل المسيح رجليه . وبعد ان فرغ من الغسل  
وحل المنشفة من على اجسده . نظر الى الحواريين وقال : كما فعلت معكم  
تفعلون مع غيركم . وانه يتوجب عليكم ان يحب بعضكم بعضا . ومن كان  
هذا شأنه هل يكون الها ؟ لا . وانما يكون سيدا .

واتد فسر المسيح نفسه طبقا لرواية يوحنا لفظ « الاله » بالسيد . ورد  
عليهم بقوله : لو قلت عن نفسى انتى اله — مجازا — فهل اكون متعديا على  
الناس ؟ لا . لا اكون متعديا عليه .

وبيان ذلك : ان الله قال على لسان داود عليه السلام لكل بنى اسرائيل  
صالحين واشرار : « انا قلت انكم آلهة ، وبنو العلى كلكم » فقد قال  
عن الكل انهم آلهة . اى سادة ، وانا من بنى اسرائيل . وقوله « آلهة »  
كما ينطبق عليهم ، ينطبق على . بل انطباقه على من باب اولى . وذاك  
لاننى رجل صالح ، وقد طهرنى الله من الخطايا . فلماذا لا تكفوننى ؟  
ولماذا تقولون اننى اجدف على الله ؟ الذى قدسه الله وارسله الى العالم  
لتقولون له : انك مجدف ؟ اليس مكتوبا فى ناموسكم : انا قلت انكم آلهة  
وبنو العلى كلكم . فاذا قال آلهة لاولئك الذين صارت اليهم كلمة الله —  
ولا يمكن ان ينفقض المكتوب — فالذى قدسه الاب ولرسله الى العالم  
اتقولون له : انك تجدف ؟

بمثل هذا يقول الناقد فى المحكم والمتشابه . ليعلم الاميين ويخزى  
العلماء .

---

(١) قال فرعون : « ما علمت لكم من اله غيرى » اى من سيد . وذلك  
لان اهله قالوا له : « ائذ موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ويذكرك وآلهتك »؟  
فقوله « وآلهتك » يدل على ان فرعون كان يعبد غيره ولا يعدد نفسه .  
وان قومه ، كانوا يعبدون آلهة متعددة ، ليس منها فرعون نفسه . وقوله  
تعالى : « وقومها . لنا عابدون » ( المؤمنون ٤٧ ) معناه خاضعين .

سادسا : يجب على نقده أى شئ عند النصرى أن يبين قبل نقده :  
أ - الشئ المراد نقده ب - والدافع الذى حدا بالنصارى الى القول  
به ت - والنتائج التى تترتب على هذا الشئ ث - وقول المخالفين له من  
النصارى . أى باختصار يستقصى الشئ من جميع جوانبه . وقبل أن ينقد  
يبحث فى كتب التوراة كلها عن ضد هذا الشئ . ثم ينقد بنصوص التوراة  
أولا . وبعد ذلك يثنى بنصوص الأنجيل ، ويستعمل العال فى ترتيب الحجج  
والانصاح عنها .

ومثال ذلك : أن النصرى لما قالوا : ان الله نزل من السماء وتجسد  
فى جسد يسوع المسيح . افترضوا كان سائلا سأل : ولماذا نزل الله  
وتجسد . وأهين بالقتل والصلب ؟ وأجابوا عنه : بأن آدم عليه السلام  
قد أخطأ بعصيان أمر الله وهو فى جنة الخلد . وأنه لخطئه صار مذنباً ،  
ويستحق الطرد من جنة الخلد ، وأن الله طرده لعصيانه أمره واهبطه الى  
الارض بخطيئته . وأن خطيئته انتقلت الى بنيه وبنى بنيه كلهم . ومن يمت  
منهم ، يمت على خطيئة ابيه آدم . ولا يدخل الجنة . وقد اقتضت رحمة  
الله رحمة العالمين فى زمان عيسى عليه السلام ومن أجلها قتل الاله نفسه ،  
ليكون كفارة عن آثام آدم وبنيه الى زمان عيسى عليه السلام وليكون كفارة  
لآثام من يدين بدين عيسى عليه السلام .

فالناقد وهو ينقد عقيدة التعدد ، او عقيدة التجسد . لا يكفى بقول  
التوراة أن الله واحد وليس كمثله شئ ، ولا بقول الانجيل . وانما يذكر  
كل ما يتعلق بالشئ من جميع جوانبه . وفى هذا الشئ يبين : ان موسى  
عليه السلام بين فى سفر التثنية : أنه لا يقتل الابناء عن الابناء ، ولا تقتل  
الابناء عن الابناء . كل انسان بخطيئته يؤخذ . وأن حزقيال بين فى سفره كما  
بين موسى . بل ان ابراهيم عليه السلام قال لملاك الله : لانيان كل الارض  
لا يصنع عدلا ؟ فاذا فرغ من التوراة ينتقل الى الانجيل وينقل منه قول  
عيسى عليه السلام ابتعدوا عني يا فاعلى الاثم . واذا فرغ منها . فليذكر  
أى حجة عقلية تكون من قبيل التاكيد ، لا من قبيل الاستقلال بالحجة .

وذلك مثل أن يقول : أ - اذا كان قد أخطأ آدم ، فان حواء قد أخطأت .  
فلماذا سرت فى أبناء آدم خطيئة آدم ، ولم تسر فيهم خطيئة حواء ؟ وهل  
سرت خطيئة آدم فى الذكور ، وسرت خطيئة حواء فى الاناث ؟

ب - أنتم ايها النصرى تبعنا لليهود لا تعترفون بالمسائلة فى القبر ،  
ولا بالعذاب أو النعيم فيه . وليس فى الانجيل ولا فى التوراة من نصوص  
على عذاب فى القبر . فكل من مات من عهد آدم الى زمان يسوع ، لم يدخل  
فى عذاب ، سواء كان بخطيئة آدم أو بخطيئته هو . فما فائدة الفسءام

وليس من عذاب قد تم وحصل ؟ واذا كان الفداء قد تم وحصل فما الفائدة  
شفاة القديسين ويسوع وأمه في يوم الحساب ؟



أما عن مجادلة المسلم لليهودى أو النصرانى . فانها من فروض الكفاية  
على علماء المسلمين الراسخين فى العلم . وينبغى أن تكون بالهسنى .  
وذلك لقوله تعالى : « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هى احسن .  
الا الذين ظلموا منهم » .

واذا بدأ المسلم بالمجادلة ، فليبدأ أول ما يبدأ بالنبى المنصوص عليه فى  
التوراة وفى الأنجيل . وليسال هل هذا النبى الذى أخبر عن مجيئه موسى  
بن عمران من بعده لينسخ شريعته ، وليسمع له بنو اسرائيل ويطيعون ،  
منصوص عليه فى التوراة أم لا ؟ وهل هو عيسى بن مريم أم لا ؟ وهل هو  
نبى لم يظهر الى الان أم ظهر ؟ وهل هو محمد أم لا ؟ هذا هو  
بدء الجدل . لأنه اذا ثبت أن النبى الذى ينتظره اليهود الى الان هو  
محمد ﷺ . فان اليهودى الذى سيؤمن به نبيا من الله ، سوف يترك كتابه  
بما فيه من حق وباطل ، وان النصرانى الذى سيؤمن به نبيا من الله ،  
سوف يترك التوراة والآنجيل والرسائل وكتب العقاليد بما فيهم من الحق  
والباطل .

ونص التوراة عن محمد ﷺ هو : « اقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم .  
مئلك . واجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما اوصيه به . ويكون أن  
الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى . انا اطالبه »  
( تثنية ١٨ : ١٨ ) .

وفى انجيل يوحنا ان علماء بنى اسرائيل أرسلوا وفدا ليحيى بن زكريا  
عليهما السلام ليسالوه فى مدينة « اورشليم » التى هى القدس عن النبى  
الذى قال عنه موسى عليه السلام : « اقيم لهم نبيا . . . الخ » فانه لم يكن  
قد ظهر قبل عصر يحيى عليه السلام . وقد سألوه الوفد قائلين : هل انت  
النبى الذى تنتظره أم لا ؟ فأجاب بالنفى وقال : « يأتى بعدى من هو اقوى  
منى الذى لست أهلا أن أحل سيور حذائه » وليس الاى من بعده الا محمد  
ﷺ . **وذلك لأن هيسى الذى يقول « بولس »** ان يحيى يتكلم عنه . قد  
كان معاصرا ليحيى . وقال كما قال يحيى لبني اسرائيل : « توبوا فقد اقترب  
ملكوت السموات » .

ويقال لليهودى : انت الى هذا اليوم تنتظر هذا النبى . ولماذا تنتظره ؟  
الليس قد بارك الله فى اسماعيل كما بارك فى اسحق ؟ ألم يقل الكتاب :  
« وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها انا اباركه واثمره وأكثره كثيرا  
جدا واجعله لامة كبيرة » ؟

أنت تستدل على نبوة موسى ورسالته من التوراة بالمكتوب فيها عن بركة  
أسحق ، فاذا استدلت المسلم على نبوة محمد ورسالته من التوراة بالمكتوب  
فيها عن بركة اسماعيل ، فهل يتوجه عليه لوم ؟

وإذا سلم اليهودى والنصرانى بإمكان انطباق النصوص عن النبى  
المنتظر فى التوراة عن محمد ﷺ . ثم سأل عن آياته الخارقة للعادة ، فأمه  
ينبى أن يكون القرآن هو الدال على الايات وحده ، وذلك لقوله تعالى :  
« **أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب ينلى عليهم** » ؟

ولأن فى الأحاديث النبوية الروية بطريق الاحاد أحاديث ضعيفة ، وضعتها  
للزنادقة ، وطعن بها المستشرقون فى نبوة محمد ﷺ . ومنها هذا  
الحديث (١) : وهو أن رجلا من الصحابة الأجلء كان يتردد على بيت النبى  
الذى فيه مارية القبطية أم المؤمنين - رضى الله عنها - وقد اتهمه الناس  
بها ، واتهموها به . فاستشاط النبى غضبا . وأمر عليا بن أبى طالب -  
رضى الله عنه وكرم الله وجهه - بأن يذهب الى بيت هذا الرجل ويقتله ،  
ليمنع قالة لسوء على امرأته . فأتاه على . فاذا هو فى ركى يتبرد فيها .  
فقال له : أخرج . فناوله الرجل يده وهو عريان . فأخرجه . فاذا هو  
مقطوع الذكر . فلم يقتله الامام على رضى الله عنه ثم قال للنبى ﷺ :  
انه لمجبوب أى مقطوع الذكر . فتكون التهمة باطلة .

هذا الحديث الذى رواه كثيرون من اهل الحديث ، لا يمكن أن يجادل  
به مسلم فى اثبات النبوة لمحمد ﷺ . وذلك لأنه يطمئن فى شرف أم المؤمنين  
« مارية » وفى شرف النبى أيضا . ولأنه يثبت أن للنبى طلب قتله بلا شهود  
أربعة . ويثبت أنه خالف القرآن فى حد القذف . إذا حد القذف ثمانين جلدة  
وهو يأمر عليا بأن يقتل الرجل - وهذا إذا كانت التهمة قذفاً لا زناً ، والحديث  
لا يقول بالقذف -



فاذا عاند اليهود والنصارى بعد البيان والحجة ، فإنه يجب على المسلمين  
قتالهم . وإذا صفوا الصفوف للقتال ، وقال اليهودى أو النصرانى المسلم:  
دعنى ولا تفتنى . وان أنت تركتنى وخليت سبيلى ، فانى سأسألك ولن  
أصد الناس عن دينك ، لا بحرب ولا بالقضاء شبهة على الدين . فنى هذه  
الحالة يجب على المسلم أن يأخذ منه جزية (١) ، ولا يقتله . وان دفع  
الجزية . فإن المسلم يجب عليه أن يحسن معاملته ولا يسوء اليه . وذلك  
مستفاد من قوله تعالى : « **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر** »

(١) رواه مسلم

(٢) لا تؤخذ الجزية من الكافر المسلم . أنها تؤخذ من الكافى فقط .

ولا يحردهون ما حرم الله ورسواه ، ولا يدينون دين الحق . من الذين أوتوا الكتاب ، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » ( الآتية ٢٩ )

ومن قوله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، إن الله يحب المقسطين . أما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين ، وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم ، أن تولوهم . ومن يتولهم فلئك هم الظالمون » .  
( المتضمنة ٨ - ٩ )

وإذا دفع الكتابي الجزية ، ثم اعتدى عليه مسلم بالقتل العمد : فإن المسلم يقتل به ، وإذا قتل مسلم كتابيا خطأ ، فإنه يدفع الدية لأهله . ومقدارها كمقدار دية المسلم المقتول من المسلم خطأ . وذلك لقونه تعالى : « النفس بالنفس » وتد عصم الكتابي دمه وماله بالجزية . فصارت نسه نفس كنفس المسلم الذي عصم ماله ودمه بالاسلام . ولقول محمد بن الحسن صاحب الامام الأعظم أبي حنيفة النعمان : روى أهل المدينة : أن رسول الله ﷺ قتل مسلما بكافر . وقال : أنا أحق من وفي بذمته .

ويجب على المسلمين إكرام مساكين أهل الكتاب الواقعين تحت الجزية . فإن معاملتهم بالحسنى تحبيهم في الاسلام وترغبهم فيه . ولكن ليس من مؤاخاة مع الأكرام . فإن الأخوة لا تكون إلا لأصحاب الدين الواحد . والمسلمون لأن دينهم واحد هم أخوة وذلك لقوله تعالى :

« أما المؤمنون أخوة » ( الحجرات ١٠ ) ومن ينادى بالأخاء بين الكتابي والمسلم ، مع منع الجزية عنهم فإنه لا يكون مسلما ، أو لا يكون فاهما لدين الاسلام حق الفهم وذلك لأن معنى الأخاء هو المساواة بين جميع المواطنين في الحقوق والواجبات . ولو تساوى الكتابي بالمسلم ، لصار رئيسا ومرعوسا . أي رئيسا على مسلم ، ومرعوسا من مسلم . كما يتراس مدير في شركة على عاملين فيها . أو عامل يتراس على عامل مثله أقل منه درجة . ودين الاسلام يمنح رئاسة الكتابي على المسلم أيا كان نوع الرئاسة . كضابط على جنود ، أو وزير على عاملين في وزارته ، أو رئيس دولة على رعاياها الذين هم مسلمون وكتابيون . وهذا المنع مستفاد من أخذ الجزية منهم ، ومن تعليل أخذها بقوله تعالى : « عن يد . وهم صاغرون » .



ولأن المسلمين اليوم ضعفاء في السلاح ، وأهل الكتاب أتواها قبيحة ، وقع كثيرون من المسلمين في بلاد كثيرة تحت يد أهل الكتاب ، وحذروهم أهل الكتاب من الجهاد في سبيل الله . وحذروهم أيضا من التعلاني على الكتابيين



في بلادهم . بل أجبروهم على أن يتساووا في الحقوق والواجبات مع الكتابيين . وإذا تساوا . فعلى أى دين يمشون ؟ انه اذا مشى المسلم على لقرآن ومشى غيره على كتابه . فان التفرقة تظهر بين المواطنين ، ولا تتحقق المساواة . واذا مشى الكتابى على كتابه ، ومشى المسلم على كتابه ، فان كتاب المسلم يلزمه بأن يكون رئيسا لا مرعوسا . وعندئذ تظهر التفرقة ولا تتحقق المساواة . وقد رأى أهل الكتاب لتحقيق المساواة والمؤاخاة : أن يجبروا المسلمين وغيرهم ، في البلد الواحد ، على الخلط عن شرائع الدين . وأن يتحاكموا فيما بينهم على قوانين يكتبونها بأيديهم ، ويتواضعون عليها . ولطول الأيام التى هجر فيها المسلمون قوانين القرآن . ظهر لى من كثيرين منهم أنهم غير منتبهين الى حكم الجزية . وبعضهم صرح بانهم منتبهين للحكم . ولكن الصبر ، حتى يأتى انفرج . وبعض المسلمين نادوا بالاخاء جهلا ، وبعضهم شرحوا به صدرا . وليتهم لم ينادوا ، وليتهم لم يشرحوا . فقد استحقوا اثما .



وليعلم أهل العالم : أن المسلمين اذا حكموا ، عدلوا ، واذا عاهدوا أوفوا ، واذا قالوا صدقوا . وذلك لأنهم خير أمة أخرجها الله للناس . يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله . ولو آمن أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، لكان خيرا لهم . ولو سألوا المسلمين ودفعوا الجزية لهم ، لكان وجودهم تحت يد المسلمين خيرا لهم من وجودهم تحت يد الكفار من الشيوعيين وغيرهم ، وخيرا لهم من وجود بعضهم تحت يد بعض .

واذكر هذا الشاهد من التاريخ للتدليل على ما نقول :

يقول ناصر خسرو القبادياني المروزي في سفر نامه عن « الحاكم بأمر الله » - رضى الله عنه - في أرض « مصر » ما نصه :

أ - « وشرب الخمر محرم تحريماً باتاً ، ولم يسمع احد ان انسانا جراً على شرب الخمر في أيام « الحاكم بأمر الله » ولم يكن يسمح للنساء بالخروج مسافرات ، كما أن تخمر الزبيب كان محرماً . بل ان « الحاكم » منع تداول الزبيب حتى لا يتخذ الناس منه الخمر ، ولم يكن يجزئ أى انسان على شرب الخمر والأنبذة المسكرة . ( ص ٩٥ ) .

ب - « وقد بنى المسجد - مسجد ابن طولون - أمير من أمراء ( م ٢ - الجواب الفسيح )

العباسيين كان يحكم مصر . ويقولون : انه في أيام « الحاكم بأمر الله » جد السلطان الحالي ، جاء أبناء « طولون » صاحب المسجد ، وباعوا المسجد بثلاثين ألف دينار مغربي ، لـ « الحاكم بأمر الله » وبعد زمن عادوا يدعون : انهم لم يدخلوا منارة المسجد في عقد البيع ، وشرعوا في هدمها ، فأرسل اليهم « الحاكم بأمر الله » أن قد بعتم المسجد لي ، فلم تهدمون المنارة ؟ فقالوا : نحن لم نبع المنارة ، وانما بعنا المسجد . فأمر لهم الحاكم بخمسة آلاف درهم ، ثمن المنارة » . ( ص ١٠٤ )

ت - « وقد اشترى « الحاكم بأمر الله الفاطمي » هذا المسجد - مسجد عمرو بن العاص - من أحفاد « عمرو بن العاص » ويقال : ان أحفاد « عمرو بن العاص » ذهبوا الى الحاكم ، وشكوا اليه فقرهم وحاجتهم ، وأن المسجد يتعلق بجدهم ، فاذا أذن لهم السلطان ، فانهم يهدمونه ، ويبيعون أحجاره وأخشابه ، عليهم يجدون ما يسد حاجتهم . فرثى السلطان لحالهم ، واشترى منهم المسجد وأشهد كافة سكان مصر على تلك المنفعة » ( ص ١٠٦ )

ث - « ويشتهر الباعة في « مصر » بالصدق في المعاملات . واذا كذب أحد الباعة على المشتري ، فان المحتسب يعاقب البائع بأن يأمر بركابه على جبل ، وأعلام جميع الناس بواسطة مناد ، في يده جرس . يعلن على الناس سوء فعلته ، ويرغم البائع على الاعتراف بأنه ظلم المشتري ، بأن باع له بأكثر من السعر الرسمي المحدد . ويكرر المنادى : أن هذا جزء كل من تسول له نفسه تطغيف الكيل وبخس الموازين » . ( ص ١١٠ )

ج - « ولقد رأيت في « مصر » أحد أغنياء النصارى ، وكان في غاية الغنى ، يملك أسطولا من السفن ، تجول في البحار ، وتصب الاموال في خزائنه . ولا يعرف أى انسان حدود ثروته وغناه . وصادف أن النيل لم ينف ذلك العام وغلا سعر المواد الغذائية ، وخيم شبح الجوع على وادى النيل . فاستدعاه الوزير الأعظم ، وأخبره بجلية الامر ، وكيف ان خاطر السلطان متغير ، مما أتم برعيته من الجوع . وسأله الوزير عن القدر الذى يستطيع تقديمه من المواد الغذائية . ان بنقد وان ترضأ ؟

فاجاب التاجر النصرانى : أدام الله الوزير . اننى بفضل الله ، ثم بفضل سلطان « مصر » أملك من لغالل ما لو استمر القحط ستة أعوام ، فاننا على استعداد لاطعام اهل « مصر » حبا في السلطان » . ( ص ١١١ )

ح - « وقد بلغ الأمن وفراغ بال المصريين من وساوس اللصوص حدا

حمل البزازين والصيارفة على ترك دكاكينهم مفتوحة . وكانوا يكتفون بوضع غطاء خفيف على أماكنهم أثناء انصرافهم للصلاة ، أو لقضاء الحاجة . ومع ذلك فلا تمتد يد الى بضائعهم .

وكان أحد اليهود يقيم في « مصر » وهو من كبار تجار الجواهرات ، وكان من المقربين (١) للسلطان وكان في غاية الغنى والوجاهة ، وكان يؤمن احتياجات القصر من الجواهرات واعتدى عليه جند السلطان يوما وقتلوه . وعندما خاف جند السلطان من غضبه وانتقامه ركب عشرون ألف فارس من أولئك الجند ، واتجهوا الى قصر السلطان ، طلبا للشفاعة والعمو ، وعم الهرج والمرج بين سكان القاهرة ، وظل ذلك العدد الكبير من الجند بباب قصر السلطان لى أن انتصف النهار . فأطل عليهم أحد حجاب القصر قائلا : ايها الجند السلطان يسألکم : ( هل ما زلتم في طاعته أم لا ) فأجابوا بصوت راجل واحد : نعم نحن عبيد السلطان وطوع بنانه . ولكننا ارتكبنا خطأ ونخشى عقاب مولانا السلطان . فطمأنهم الخادم أن السلطان قد عفى عنهم ، وأن عليهم أن يعودوا الى معسكرهم فتفرقوا .

واسم اليهودى المقتول أبو سعيد ، وكان له ابن أخ ، ويقال ان مال اليهودى كان لا يقع تحت حصر ، ولا علم مقداره الا الله ، ويقولون ان اليهودى كان يخبىء ثلاثمائة كيس من الفضة في اعلى عمارته .

وكتب أخو اليهودى خطابا الى السلطان يعرض فيه التنازل عن مائتى ألف دينار مغربى من مال أخيه المقتول مخافة أن يتعرض ما بقى من المال للنهب والسلب ، فأرسل السلطان الخطاب الى خارج القصر وأمر بتلاوته على الناس ، ثم أمر به فمزق ، وقال مخاطبا لأخ اليهودى : كن مطمئنا وارجع الى منزلك آمنا ، فلا يستطيع أحد أن ينالك بأذى ، وأنا لست طامعا في مال أخيك أو في مالك .

ويعد السلطان لأخ اليهودى مالا كثيرا . استرضاء له (ص ١١٤-١١٥)

(١) ربما كان هذا اليهودى هو أبو سعد سهل بن هارون التستري ، كان تاجرا يهوديا وكان مولى أم المستنصر الفاطمى ، وهى أمة سوداء اشتراها الظاهر واستولدها المستنصر ، فلما أفضت الخلافة اليه استندت أمه أبا سعد ورقته الى درجة عليية ، وصار هو المتصرف فى شؤون البلاد حتى أصبح الوزير الفلاحى « صدقة بن يوسف » ياتم بأمره (خطت المقرزى ج ٢ - ص ١٧٠) (كلام المحقق) .

## التعليق :

هذه شهادة تاريخية تدل على أن الحاكم المسلم يلتزم بالحق وبالعادل ،  
أيما كان مذهبه في العقائد شيعيا أو سنيا أو في الفقه جعفريا أو حنيفا .  
ويلتزم باكرام أهل الذمة اذا أعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون . وهل  
يطلب أهل العالم الا هذا ؟



ولنرجع الى بيان مذهبنا في نقد كتب أهل الكتاب . ونقول :  
ان نقد الكتب المقدسة عند أهل الكتاب يتم على الطرق التالية :

**الطريقة الأولى :** بيان السند . اى عن فلان او عن فلانة ، عن فلان ،  
الى موسى عليه السلام أو الى داود أو الى عيسى بن مريم . ثم يوثق  
الشهود الذين نقلوا الخبر ، وهذا لا يعترف به اليهود ولا النصارى . ومن  
النكات المشهورة في هذا الشأن : أن ولد رجل بخيل ، افترض من  
كثيرين على أن يسدد بمعد موت أبيه الطاعن في السن ، ولما طال  
الأجل بأبيه ، شدد الدائنون على الابن . فما كان من الابن إلا أن أوثق  
كتاف أبيه وأشاع خبر موته ، ووضع في نعش ، وحمله المشيعون الى  
المقبرة . فلما مر النعش تحت قصر « قارقوش » صاح الرجل : اغثنى  
أيها الحاكم أنا حى . أنا لم أمت . وتقلب في النعش . فأمر « قارقوش »  
برفع غطاء النعش . فرفعه . ثم نظر اليه قائلا : تقول انك حى . وهؤلاء  
المشيعون الذين يزيدون عن عشرة آلاف يشهد مشيهم خلف نعشك على  
أنك ميت . فهل أصدقتك وأكذب هؤلاء المشيعين ؟ هل أصدق فردا وأكذب  
أمة ؟ امضوا به الى القبر .

ولأنهم لا يعترفون به ، وان اعترفوا به ، فقد باتون بأسماء وهمية  
ويعدلون أصحابها . ونحن لا نقدر على احياء الموتى ، لنسال معاصريهم  
عنه . فلذلك تعد هذه الطريقة غير مجدية في النقد . ويكفيها في عدم  
جدواها اعتراف النصارى بفقدان سند كتب الانجيل الأربعة .

ففى دائرة المعارف البريطانية : « ان القول بأن متى ولوقا استخدمتا  
انجيل مرقس ، أصبح على وجه العموم مسلما به . ولكن بجانب انجيل  
مرقس ، فلا بد أنهما استخدمتا وثيقة أخرى ، يشار إليها الآن بالحرف  
كيو ( Q ) والذي يرمز الى كلمة المصدر ، كما استخرجت من الكلمة  
الألمانية التى تعطى هذا المعنى » ( ص ٥٢٣ ج ٢ دائرة المعارف البريطانية )

وفي دائرة المعارف الأمريكية : « ان هناك مشكلة عامة وصعبة تنجم عن التناقض الذى يظهر فى نواح كثيرة بين الانجيل الراسع - وهو انجيل يوحنا - والثلاثة المتشابهة - وهى متى ومرقس ولوقا - باعتبارها صحيحة وموثوقا فيها ، فان ما يترتب على ذلك هو عدم صحة انجيل يوحنا » ( ص ٧٣ ج ١٣ دائرة المعارف الأمريكية )

**الطريقة الثانية :** بيان المتن . وهو النص . ونقد النص هو المطلوب الاعظم للمسلمين من كتب أهل الكتاب . ولم يخل جيل من مسلمين نقدوه وبينوا زيفه . وذلك لأن سقوط النص عن الاستدلال يستتبعه سقوط المعنى الذى يدل عليه النص . واذا سقطت المعانى ، تسقط الاعقائد والتشريعات . ولا يكون لديهم قداسة ولا احترام . وهذا هو مطلوبنا نحن المسلمين .

ولنورد امثلة لذلك :

**أولا :** من توراة موسى : يقول الكاتب فى الأصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية : « فمات هناك موسى عبد الرب فى أرض موعاب ، حسب قول الرب . ودفنه فى الجواء . فى أرض موعاب » فهل موسى يكتب خبر موته من قبل أن يموت ؟

وفي توراة موسى حديث عن « ربة بنى عمون » التى استولى عليها داود عليه السلام . وكان بعد موسى بنحو خمسمائة عام تقريبا . وفيها ايضا: حديث عن سرير « عوج » ملك « باشان » ولم يستول على « باشان » بنو اسرائيل الا من بعد موت موسى بزمن طويل . هلك فيه القضاة المذكورة تواريخهم فى سفر الانضاة .

واذا ظهر من المتن ما يدل على كلام لم يقله مؤلف السفر ، فان المتن يكون مشكوكا فيه واذا احتمل المتن الشك . فقل : على المعنى السلام .

**ثانيا :** من زبور داود : لقد كان داود عليه السلام بعد موسى بخمسمائة عام تقريبا . وقبل سبى بابل بخمسمائة عام تقريبا . وفى زبورته نصوص تدل على أن الكاتب قد كتبه فى مدينة « بابل » منها : على أنهار بابل هناك جلسنا بكينا أيضا عندما تذكرنا صهيون . على الصفاصاف فى وسطها علقنا أعودنا . . . ان نسيك يا اورشليم تنسماتى يمينى . . . الخ . ( مزمو ر ١٣٧ ) .

**ثالثاً :** من الأناجيل الأربعة : يقول لوقا في بدء إنجيله ما نصه :  
« اذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا . كما سلمها  
الينا الذين كانوا منذ البدء معانين وخداما للكلمة ، رأيت أنا أيضا  
اذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق ، أن اكتب على التوالى اليك  
أيها العزيز « ثاو فيلوس . لتعرف صحة الكلام الذى علمت به »  
( لوقا : ١ - ٤ )

فلوقا يكتب عن سماع ، ولم يكتب عن رؤية . والسماع قد يخطئ فيه  
الناقل . وقد ينقل عن كذابين لهم غرض في التضليل واللبس والابهام .  
ولا يعرف أنهم كذابين حال النقل . بل ان الحواريين انفسهم الذين  
شاهدوا عيسى عليه السلام باعينهم ، وسمعوا كلامه بأذانهم ، يخطئهم  
« بولس » ويقول عنهم انهم « لا شيء » واذا كان الحواريون المعتبرون  
لا شيء عندهم . فمن هم هؤلاء الذين هم على شيء عندهم ؟

يقول بولس في رسالته الى أهل غلاطية : « وأما المعتبرون أنهم شيء .  
مهما كانوا .

لا فرق عندى .

الله لا يأخذ بوجه انسان .

فان هؤلاء المعتبرين لم يمشروا على بشيء . بل بالعكس . اذ رأوا انى  
أؤتمنت على انجيل الغرلة ، كما بطرس على انجيل الختان ... الخ » .  
( غلا : ٢ : ٦ )

يريد ان يقول : اننى أسمح للامم الداخلة في النصرانية بأن لا يختصوا  
أولادهم ، ولا يختنوا . واذا كان بطرس لا يسمح للامم الا أن يختنوا  
ويختنوا . فهذا هو رايه . وليس رايه شيئا عندى . فانى أرى عدم  
الختان . هذا هو ما يريد بولس من عباراته . وانه لمخطئ . فان التوراة  
التي لم ينسخ المسيح عيسى أحكامها لقوله : « ما اجئت لانقض الناموس »  
تلزم اليهودى والنصرانى بالختان . والمسيح عيسى نفسه قد اختتن كما  
قال لوقا في انجيله .

فلوقا الذى يكتب عن سماع . عن يكتب ؟ عن يكتب اذا كان الحواريون  
انفسهم لا يوثق بهم . وهم الذين لزموا المسيح بن مريم عليه السلام في  
حله وترحاله ؟

**والطريقة الثالثة :** هي بيان تفسير اليهودى أو النصرانى للنص . ثم بيان نقده .

وهذه الطريقة تدمشى عليها كثيرون من المسلمين فى النقد . ومنهم شيخ الاسلام ابن تيمية - رضى الله عنه - فانه ربط بين أهل التصوف من المسلمين وبين النصرارى فى ان الشيطان يظهر لهم ويضلهم .  
ثم ذكر نصا من انجيل متى وذكر تفسيرهم له ، ثم نقده . وهو ان مريم العذراء تحبل وتلد ابنا . هو عيسى .

وذلك ليتحقق نبوءة فى سفر أشعيا تقول : ان عذراء ستحبل وتلد ابنا . فقد اقتبس متى قول أشعيا لو طبقه على العذراء وابنها . ليبين أن مجىء عيسى على هذه الصورة كان بوعده الهى على لسان أشعيا . وقد صرح أشعيا بأن اسم المولود هو « عمانوئيل » - وعيسى ليس اسمه « عمانوئيل » - ثم زاد متى من عنده : تفسير عمانوئيل بأنه « الله معنا » أى أن « الله معنا » هو فى متى ، وليس فى أشعيا .

وقد رددت على متى فى كتابنا « أقانيم النصرارى توضيح ونقد » شأن كلام أشعيا كان عن معجزة تجرى فى زمانه للملك « آحاز » وقد حدثت بالفعل فى زمانه . وأن العذراء فى اللغة العبرانية هى « علمه » وهى تفسر بالامراة الشابة ، سواء كانت عذراء أو غير عذراء .



وهذا هو نص ما كتبه شيخ الاسلام فى الربط بين المتصوفين وبين النصرارى وفى اظهار تفسير النصرارى للنص ، ثم بيان نقده .

« وكثير منهم يمثل له الشيطان (١) ويقول : انا ربك فيخاطبه بظنه ربه ، وانما هو الشيطان .

ومنهم : من يرى عرشا عليه نور ، أو يرى ما يظنه الملائكة وهم شياطين ، وذلك شيطان .

وكثير من هؤلاء يظن أنه أفضل من الانبياء ، وأنه يدخل الى الله بلا اذن خلافا للانبياء ويكون ذلك الاله الذى يعتقدوه هو الشيطان ، والذين لا يمثل

---

(١) للانسان قرين من الشيطان . وهذا القرين لا يولد مع الانسان ، حبل ولادة الانسان من بطن أمه . وانما هو يلتقن بالانسان فى حالة بمعد الانسان عن الله وهو كبير السن والعقل . لقوله : « ومن يعيش عن ذكر الرحمن ، نقض له شيطاننا ، فهو له قرين » .

لهم الشيطان يخاطب أحدهم من في قلبه فتخاطبه تلك الصورة العلمية  
ويقدر أنها تخاطبه ، ويظن ذلك مخاطبة الحق له .

وهذا كالرجل يذكر بعض أصحابه فيمثله في قلبه ويخاطبه مخاطبة من  
يعاتبه أو يعتذر إليه ، ويقدر خطاب تلك الصورة ، ويقول قلت لك :  
كذا ، وقلت لي : كذا .

ونفس الشخص لا يكلمه ولا يسمع كلامه ، وإنما هو المثال كما قد  
يصور صورة الانسان يخاطبها الانسان ويقدر ذلك مخاطبة لصاحب  
الصورة والنصارى ادخل في هذا من غيرهم ، فانهم يخاطبون الصور المثلة  
في الكنائس كصورة مريم والمسيح والقديسين ، ويقولون : إنما نقصد  
خطاب أصحاب تلك الصورة نتشفع بهم .

وهذا مما حرمه الله على السن جميع النبيين ولم يشرع لأحد أن يدعوا  
الملائكة ولا الأنبياء والصالحين الأموات ، فكيف بالصور المثلة لهم كما  
قد بسط في موضع آخر .

والمقصود هنا : أن كثيرا ما يوجد في كلام الناس الأنبياء وغيرهم من  
ذكر ظهور الله عز وجل ، والمراد به ظهوره في قلوب عباده بالمعرفة والمحبة  
والذكر .

ولهذا لما كان يقصد بذكر اسمه ذكر المسمى صار يقول من يقول :  
أن الاسم هو المسمى أى أن المراد المقصود من الاسم هو المسمى لا أن نفس  
اللفظ هو المسمى . فان هذا لا يقوله عاقل وتنزيه الاسم وتسبيحه تنزيه  
للمسمى وتسبيحه له .

كما قال تعالى : « سبح اسم ربك الأعلى ★ الذي خلق فسوى »  
( سورة الأعلى : ٢٦١ )

وقال : « فسبح باسم ربك العظيم » ، ( سورة الواقعة : ٩٦ ) .  
وقال : « تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام » ، ( سورة الرحمن : ٧٨ )

وجاء في حديث : « لا تقوم القيامة حتى لا يعبد الله اسم » أى لا يعبد  
الله باسم من أسمائه ، فانه اذا قيل : دعوت الله وعبدته ، فانها في اللفظ  
الاسم والمقصود هو المسمى .

وهذا الذى ذكرناه من تفسير ظهور اللاهوت في المسيح وغيره بأن المراد  
ظهور ما في القلوب من توحيد الله ومعرفته ومحبته وذكره ونوره وهدهاه  
وروجه ، هو ما يفسر به ذلك كثير من علماء النصارى ، فانهم يفسرون  
اتحاد اللاهوت بالنايبوت بظهور اللاهوت فيه كظهور نقش الخاتم في  
الشمع والطين .



ومعلوم أن الحال في الشمع والطين هو مثال نقش الخاتم لا أن في الشمع والطين شيئاً من الخاتم ، بل ظهر فيه نقش الخاتم .

وكذلك يظهر نور الله وروحه في الأنبياء والصالحين ، وهذا المعنى لا يختص به المسيح عليه السلام ، بل يشترك فيه وسائر الرسل ، بل وكل مؤمن له من هذا نصيب بحسب إيمانه .

## فصل في

### معنى « عمانويل »

قالوا : وقال « أشعيا » النبي : ( ها هي العذراء تحبل وتلد ابناً ، ويدعى اسمه عمانويل ) .

وعمانويل كلمة عبرانية تفسرها بالعربية « الهنا معنا » فقد شهد النبي أن مريم ولدت اللاهوت المتحد بالناسوت كلاهما .

فيقال : ليس في هذا الكلام أن مريم ولدت اللاهوت المتحد بالناسوت ، وأنها ولدت خالق السموات والأرض ، بل هذا الكلام يدل على أن المولود ليس هو خالق السموات والأرض ، فانه قال : تلد ابناً .

وهذا نكرة في الإثبات كما يقال في سائر النساء : ان فلانة ولدت لبناً ، وهذا دليل على أنه ابن من البنين ليس هو خالق السموات والأرضين . ثم قال : ويدعى اسمه « عمانول » فدل بذلك على أن هذا اسم يوضع له ، ويسمى به كما يسمى الناس أبناءهم بأسماء الأعلام ، أو الصفات التي يسمونهم بها .

ومن تلك الأسماء ما يكون مرتجلاً ارتجلوه .

ومنها ما يكون بجملة يحكونها ، ولهذا كثير من أهل الكتاب يسمي ابنه عمانويل ، ثم منهم من يقول العذراء المراد بها غير مريم ، ويذكرون في ذلك قصة جرت .

ومنهم من يقول : بل المراد مريم ، وعلى هذا التقدير فيكون المراد أحد معنيين :

أما أنه يريد أن الهنا معنا بالنصر والاعانة ، فان بنى إسرائيل كانوا قد خذلوا بسبب تبديلهم ، فلما بعث المسيح عليه السلام بالحق كان الله مع

من اتبع المسيح والمسيح نفسه لم يبق معهم ، بل رفع الى السماء ولكن الله كان مع من اتبعه بالنصر والاعانة .

كما قال تعالى : « فإينما الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » ،  
(سورة الصف : ١٤) .

وقال تعالى : « وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة »  
(سورة آل عمران : ٥٥) . وهذا أظهر .

واما أن يكون يسمى المسيح الها ، كما يتولون : انه يسمى موسى اله فرعون أى هو الامر الناهى له المسلط عليه ، وقد حرف بعضهم معنى هذه الكلمة ، فقال : معناها الله معنا ، فقال من رد عليهم علمائهم يقال لهم : أهذا هو القائل أنا الرب ولا اله غيرى وأنا أميت وأنا أحيى ، أم هو القائل لله : انك أنت الاله الحق وحدك انذى أرسلت يسوع المسيح ؟ وإذا كان الأول باطلا والثانى هو الذى شهد به الانجيل وجب تصديق الانجيل وتكذيب من كتب فى الانجيل أن « عمانويل » تأويله « الله معنا » بل تأويل عمانويل « معنا اله » وليس المسيح مخصوصا بهذا الاسم ، بل عمانويل اسم يسمى به النصارى واليهود من قبل النصارى .

وهذا موجود فى عصرنا هذا فى أهل الكتاب من سماه أبوه عمانويل معنى « شريف القدر » قال : وكذلك السريان أكثرهم يسمون أولادهم عمانويل ، قلت : ومعلوم أن الله مع المتقين والحسنين والمقسطين بالهداية والنصر والاعانة ، ويقال للرجل فى الدعاء : الله معك فاذا سئى الرجل بقوله : « الله معك » كان هذا تبركا بمعنى هذا الاسم ، وإذا قيل أن المسيح سئى الله معنا ، أو الهنا معنا ونحو ذلك ، كان ذلك دليلا على أن الله مع من اتبع المسيح وآمن به ، فيكون الله هاديه وناصره ومعينه (١) « أ.هـ .

ثم خاطب شيخ الاسلام ابن تيمية - رضى الله عنه - طوائف النصارى قائلا :

« فان المسيح لم يسن لكم التثليث والتول بالاقانيم ، ولا التول بانه رب العالمين ، ولا سن لكم استحلال الخنزير وغيره من المحرمات ، ولا ترك الختان ، ولا الصلاة الى المشرق ، ولا اتخاذ ابحارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ، ولا الشرك ، واتخاذ التماثيل والصليب ، عدعاء الموتى والغائبين من الأنبياء والصالحين وغيرهم ، وسؤالهم الحوائج ، ولا الرهبانية . وغير

ذلك من المنكرات التي أحدثتموها ، ولم يسنها لكم المسيح ، ولا ما أنتم عليه هي السنة التي تسلمتموها من رسل المسيح ، بل عامة ما أنتم عليه من السنين : أور محدثا مبتدعة بعد الحواريين ، كصومكم خمسين يوما زمن الربيع ، واتخاذكم عيدا يوم الخميس والجمعة والسبت ، فان هذا لم يسنه المسيح ولا أحد من لحواريين . وكذلك عيد الحواريين : الميلاد والغطاس . وغير ذلك من أعيادكم .

بل عيد الصليب انما ابتدعته « هيلانة » الحرائية الغندتمانية ، ام قسطنطين ، فانتم تقولون : انها هي التي أظهرت الصليب ، وصنعت لوقت ظهوره عيدا . وذلك بعد المسيح والحواريين بمدة طويلة في زمن ملك « قسطنطين » بعد « المسيح » بأكثر من ثلثمائة سنة .

وفي ذلك الزمان أحدثتم « الأمانة » المخالفة لنصوص الأنبياء في غير موضع ، وأظهرتم استحلال الخنزير ، وعقوبة من (لا) يأكله ، وابتدعتم في ذلك الزمان تعظيم الصليب ، وغير ذلك من بدعكم . وكذلك كتب القوانين التي عندكم التي جعلتموها سنة وشريعة (ليس) فيها شيء عن الأنبياء والحواريين ، وكثير مما فيها ابتدعه من بعدهم . لا ينقلونه لا عن المسيح ولا عن الحواريين . فكيف تدعون أنكم على السنة والشريعة ، التي كان عليها « المسيح » — عليه السلام — ؟ وهذا ما يعلم بالاضطرار والتواتر : انه كذب بين (١) « هـ .

### رد اللغو

وقد لفسا الذين كفروا من أهل الكتاب في القرآن ، ليصدوا الناس عن معرفة معانيه . وأوردوا شبهات على النبي صلى الله عليه وسلم ليقولوا للناس : انه كاذب في دعوى النبوة ، وليس هو النبي الذي أنبأ عنه موسى في سفر التثنية في قوله : يقيم لك الرب الهك نبيا من بين إخوتك مثلى له تسمعون واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيته به ... الخ .

ومن أبرز لغوهم وشبهاتهم ما يلي :

أولا : القتال في سبيل الله :

يعيب الذين كفروا من أهل الكتاب دين الاسلام بأنه انتشر بالسيف . والرد عليهم : هو أن الاسلام يأمر غير المسلمين بالدخول فيه . فان

رفضوا : يطالب منهم المسألة وعدم فتنة من يسام . ودليل المسألة من أهل الكتاب : هو دفع الجزية . ومن غير أهل الكتاب : هو المسألة وعدم فتنة من يسلم . وذلك لأنه ليس عليهم من جزية . ومن يسالم المسلمين فإنه لا يحق لهم قتاله ولا أخذ ماله ولا سبى نسائه . وما في القرآن عن الجهاد ، كان في التوراة وهو الآن في الانجيل . ولكن بنى إسرائيل في سبى بابل حرفوا نص التوراة عن الجهاد (١) وجعلوا شريعة التوراة لبنى إسرائيل واستبعدوا الأمم من الدخول فيها . وجعلوا النص عن الجهاد كما يلي :

أ — كان المكتوب هو أنهم إذا قصدوا قرية لنشر الإسلام فيها على دين موسى ، يدعون أهلها بالكلام الى الدخول في الدين . فكتبوا : « حين تقرب من مدينة لكي تحاربها ، استدعها الى الصلح » أى يقصدون استعمارا لا نشر دين .

ب — وكان المكتوب أنهم إذا دعوهم الى الدخول في الدين وأجابوا . يكون المسيحيون واليهود أمام شريعة التوراة على حد سواء . فكتبوا : أن أهل القرية إذا أجابوا الى الصلح — لا الى الدين كما زعموا — فكل أهلها يكونون عبيدا لليهود « فان أجابتك الى الصلح وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك » .

ت — وكان المكتوب أنهم إذا حاربوا أهل القرية لعدم استجابتهم للدخول في الدين وكسروا شوكتهم ، فإنهم يغنمون أموالهم ويسترقون نساءهم . والضغفاء الناجون من القتل لا يقتلون ، لأن المسالم لا يقتل . فكتبوا : « وان لم نسالك ، بل عملت معك حربا ، فحاصرها . وإذا دفعها الرب الهك الى يدك ، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة . كل غنيمة فتغنمها لنفسك . . . الخ »

ث — والأمم الذين يعيشون بجوار قرى اليهود . كان المكتوب في الحكم عنهم أنهم يدعون الى الإسلام . فان أجابوا والا سالموا أو قتلوا . كالمسيحيين عنهم سواء بسواء . فكتبوا أن الأمم المجاورة لها حكم خاص وهو أن يباد الناس كلهم ذكورا واناثا صفارا وكبارا « هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة عنك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا . وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيبا ، فلا تستبق منها نسمة ما ، بل تحرمها تحريما . الحثيين ، والأموريين ، والكنعانيين ، والفرزيين ، والحويين ، واليبوسيين . . . الخ » .

(١) راجع تفسير القرطبي في آخر سورة الشورى — واعلام النبوة للماوردي — وفصل الدعوات العالمية السماوية في كتاب نقد التوراة .

وقد وبخهم عيسى عليه السلام على ترك الجهاد في سبيل الله . ومثال لهم : أخذتم مفتاح المعرفة . ما دخلتم أنتم والداخلون منعتوهم . ثم قال لأتباعه : من كان عنده ثوبان ، فليبع ثوبا ويشترى به سيفاً . كما في انجيل لوقا .

فاذا عابوا الاسلام على أنه شرع الجهاد في سبيل الله . فان الجهاد كان مشروعاً عندهم . لقوله تعالى :

« ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة . يقاتلون في سبيل الله . فيقتلون ويقتلون . وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن » . ( التوبة ١١١ )

### ثانيا : تعدد الزوجات في الاسلام :

يطعن حساد المسلمين من اهل الكتاب على الشريعة الاسلامية بأنها تبيح تعدد الزوجات وتبيح تعدد الجوارى . ويقولون : ان الحكمة تقتضى الاقتصاد على واحدة . وقد اجاب في تفاسير القرآن : ان الله تعالى اباح للرجل ان يجمع بين تسع نساء في نكاح صحيح ، وان يجمع معهن جوارى بلا عدد . وجاء في التفاسير : انه يحل الجمع بين اكثر من تسع نساء في نكاح صحيح مع الجوارى بلا عدد . فالشافعى لم يبيح الجمع بين اكثر من اربعة . وحكى عن طائفة من الشيعة انهم يجوزون الجمع بين اكثر من اربع الى تسع . وقال بعضهم : بلا حصر . وقال ابن كثير في تفسيره : « وقد يتمسك بعضهم بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمعه بين اكثر من اربع الى تسع ، كما ثبت في الصحيح . واما احدى عشرة كما جاء في بعض الفاظ البخارى . وقد علقه البخارى وقد روينا عن انس : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج بخمس عشرة امرأة ، ودخل منهن بثلاث عشرة ، واجتمع عنده احدى عشرة ، ومات عن تسع (١) . »

والرد عليهم : هو ان تعدد الزوجات مباح في التوراة . وعيسى عليه السلام لم ينسخها لقوله : « لا تظنوا انى جئت لانقض الناموس » (متى ١٧:٥) وعيسى لم يتزوج لأنه كان من المنذرين لله تعالى من صفه . والنذير لا يتزوج . وداود عليه السلام صاحب الزبور - الذى هو سفر المزامير - وكان على شريعة التوراة يدعو اليها ويجاهد بها في سبيل الله ، وقد اتم الله على يديه فتح الأرض المقدسة ، ومكته من نشر الدين فيها هذا كان له نساء كثيرات . حرائر وجوارى . فقد تزوج من : مبال - اخينوعم - ابيجايل - معكة - حجيث - ابيطال - عجلة . كما هو مذكور في سفر صموئيل الثانى ( ٢ صم : ٢ الخ )

سبعة نساء حرائر . وأما الجوارى ففي الكتاب المتخس هذا النص  
عنهن : « وأخذ داود أيضا سرارى ونساء من اورشليم ، بعد مجيئه من  
حبرون . فولد أيضا لداود بنون وبنات » ( ٢ صم : ٥ - ١٣ )

وسليمان عليه السلام « كانت له سبعمائة من النساء السيدات ،  
وثلاثمائة من السرارى » ( ١ مل ١١ - )

### ثالثا : نسخ الشرائع :

يقول أعداء المسلمين من أهل الكتاب : ان التوراة شريعة كاملة تصلح  
كل زمان ومكان وانها نازلة من السماء على يد موسى نبي الله ورسوله .  
فلماذا يدعى محمد نسخها ويأمرنا بغيرها . وقد مشت على التوراة احيال  
وأجيال ؟

والرد عليهم : هو : أن التوراة فيها نصوص عن مجيء محمد لينسخها  
ويبطلها . فمن يعمل بالتوراة كلها . يلزمه الايمان بمحمد . لأن  
من تشريعاتها : أن يسمع له بنو اسرائيل ويطيعون اذا جاء . ومن لا يؤمن  
منهم به ، فانه يكون كافرا ببعض نصوصها . والكفر ببعض الكتاب  
كالكفر بلكه . ففي سفر تثنية الاثتراع في الأصحاح الثامن عشر : أن الله  
نهى بنى اسرائيل عن السماع من الكهان والعرافين والسحرة والمنجمين ،  
وأمر بنى اسرائيل أن يسمعوا من النبي الذى سيأتيه الله لهم ليبلغهم مراده  
في حين من الدهر . ووصف هذا النبي بتسعة أوصاف هى : ١ - نبي  
٢ - من بنى اسماعيل ٣ - مثل موسى ٤ - ينسخ شريعة موسى  
٥ - أمى لا يقرأ ولا يكتب ٦ - أمين على الوحي الالهى ٧ - لا يقتل  
بيد أعدائه ٨ - يتحدث عن غيب ويقع الغيب كما قال ٩ - ينصر  
على اليهود والنصارى .

ومن عبارات هذا النص : « اقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك وأجعل  
كلامى فى فمه . فيكلمهم بكل ما أوصيه به . ويكون أن الانسان الذى  
لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى . انا اطالبه » .

وهذا النص يدل على نبي الاسلام ﷺ لأن لاسماعيل بركة منصوص  
عليها فى هذا النص : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها انا اباركه  
واثمه كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد واجعله أمة كبيرة » ( تك ١٧ )  
ولان اسماعيل سكن فى فاران - وهى برية مكة - وفى التوراة عن فاران :  
« وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى اسرائيل قبل موته .  
فقال : جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير ، وتللا من جبيل

فاران ، وأتى من ريوات القدس . وعن يمينه نار شريعة لهم . فأحب الشعب . جميع قديسيه في يدك ، وهم جالسون عند قدمك ، يتقبلون من أحكامك» ( تث ٣٣ : ١ - ٤ ) فالتلاؤ من جبال فاران هو اشارة الى شريعة الهية تنزل على رجل فيه ، كما أن مجيء الرب من سيناء هو اشارة الى نزول التوراة في جبل طور سيناء . وفي التوراة عن اسماعيل : انه سكن في بركة فاران وأتكعته أمه امرأة من أرض مصر .

فكيف مع هذه النصوص يستبعد أهل الكتاب نبوة محمد عليه السلام وانهم لو آمنوا التوراة والانجيل لما تصح لهم اقامة الا بالايمان به عليه السلام ؟

واعلم : انه كان لبني اسرائيل عادات من قبل أن تنزل التوراة . ولما نزلت التوراة مخالفة لها ، تركوها . فلماذا تركوها ؟ اليس الترك هو النسخ ؟ فلنفرض أنه كان لبني اسرائيل عادات من قبل أن ينزل القرآن . ولما نزل القرآن مخالفا لها . فهل يتركوها أم لا ؟ انهم لو تركوها كما تركوا عادات لهم من قبل أن تنزل التوراة . فهل يكونون مخطئين بالترك ؟

لقد تزوج « عمران » عمته « يوكابد » وحرّم موسى عن امر الله نكاح العمّة . وجمع يعقوب بين الأختين وهما ليثة وراحيل . وحرّم المجمع بين الأختين موسى . وكل الأطمعة كانت حلالا لبني اسرائيل فحرّم موسى الميتة والدم ولحم الخنزير وكثير من كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطيور .

ويقال للنصارى : انتم نسختم احكام التوراة . فقد قال بولس : « لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة ، لانه مكتوب : ملعون كل من لا يثبت في جميع كل ما هو مكتوب في كتاب الناموس ، ليعمل به . ولكن أن ليس أحد يقرر بالناموس عند الله فظاهر ، لأن البار بالايمان يحيا . ولكن الناموس ليس من الايمان ، بل الانسان الذي يفعلها سيحيا بها . المسيح افتدانا من لعنة الناموس . اذ صار لعنة لأجلنا » ( غل ٣ : ٩ - ١٣ ) انتم نسختم احكام التوراة مع أن المسيح عيسى بن مريم لم يأت لنسخها وانما جاء لاصلاحها . فلماذا تشاغبون في النسخ وانتم قد اقررتهم به ؟

وأما تفسير كلام بولس فهو :

أن التوراة تنص على أن القاتل ، يقتل وتعلق جثته على خشبة . وهذا

القاتل لتعديه على شريعة الله يكون ملعونا . وعلى ذلك . فمن يلتزم بالناموس ولا يعمل به ، يكون ملعونا . ومن يلتزم بالناموس يكون تحت اللعنة ان لم يعمل به . وبولس يريد ان يلغى اللعنة ، سواء كانت للاهمال ، أو لتقرب الاهمال . فلذلك قال : اهجروا التوراة ولا تعملوا بها ، لئلا نكون والاعين تحت اللعنة ان لم نعمل . أى كونوا كالكنار الذين يجهلون الله . فالجاهل لا ذنب له ولا خطيئة له . وبالتالي لا لعنة له ولا غضب عليه .

ثم يخاطب النصارى قائلا : اهجروا التوراة ولا تعملوا بأحكامها . فان خطاياكم قد غفرت بقتل المسيح وصلبه للتكفير عنها . وحيث انها قد غفرت بدم المسيح على الصليب ، فلماذا تعملون ؟ انه كما أن القاتل تعلق على الخشبة بجثته ليكون ملعونا ، كذلك المسيح قد علقت جثته على خشبة وصار ملعونا ، لا لاثم نفسه ، بل لاثم أتباعه وأتصاره فالإيمان بالمسيح ربا مصلوبا ، يكفى في دخول الجنة .

وقد أخطأ « بولس » خطأ فادحا بمخالفته لتعاليم المسيح عيسى عليه السلام . فان المسيح عيسى عليه السلام قد التزم بالتوراة وعمل بها وأمر أتباعه بالعمل بها الى أن يأتي محمد رسول الله .



ومما تقدم يتبين : أن التشبهات التي يثيرها أعداء المسلمين من أهل الكتاب على القرآن والنبى . يردها الراسخون في العلم من المسلمين بكلام مكتوب في كتبهم أنفسهم .

وهذه الطريقة مستفادة من القرآن الكريم ، من قوله تعالى :  
« كل الطعام كان حلالا لبني اسرائيل إلا ما حرم اسرائيل على نفسه .  
من قبل أن تنزل التوراة . قل : فاتوا بالتوراة فاتلوها . أن كنتم صادقين »  
( آل عمران ٩٣ )

والله اعلى واعلم ، وأعز وأكرم . وصلى الله وبارك وسلم على النبى  
الأمى ، محمد . وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بخير الى يوم الدين .

د/ احمد حجازى احمد السقا

القاهرة في

٢٠ من المحرم ١٤٠٨ هـ

١٣ من سبتمبر ١٩٨٧ م



# فترة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد ، المنزه عن الوالد والوالد ، الأول وليس قبله  
شيء ، القيوم الذي لا يشبهه أحد من ميت أو حي ، الذي أرسل رسلا  
مبشرين ومنذرين ، وأوضح المحجة بانزال كتب لهداية الانس والجن  
أجمعين « لئلا يكون للناس على الله حجة » فبدأهم بآدم عليه السلام ،  
وختمهم بحبيبه سيد الأنام ، محمد الذي استضاءت من نوره الأصفياء ،  
ما مضت فترة من الرسل الا بشرت قومها به الأنبياء

وصفيه أحمد المشفع يوم الزحام ، صاحب المقام المحمود المختص  
به من بين الرسل الكرام

وكل آى أتى الرسل الكرام بها فانما اتصلت من نوره به—م  
المصطفى الذي فتحت به عين العماء ، وآمنت ببعثته كافة الأنبياء ،  
واقترنت بحضرتة العلية سادات الصلحاء

ومبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم  
صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله الأمناء ، وأصحابه الذين  
ما لموسى ولا عيسى حواريون فى فضلهم ولا نقيباء  
وعلى الأئمة التابعين لآثارهم المشيدين لأركانهم ، والعلماء الذين

قيضهم الله في كل عصر ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ،  
ويزيلون شكوك المرتابين ، ويظهرون دسائس أعداء الدين ، ويذبحون  
بدهن أقلامهم افتراء المفتريين ، وكذب الكذابين •

### أما بعد :

فقد رأيت في السنة الرابعة بعد الثلاثمائة وألف من هجرة النبي  
الأشرف أوراقا مطبوعة في لندن سنة ١٨٨٠ م بالضلال والبهتان مشتملة  
على تقديم دين النصرى على سائر الأديان ، طاعنة دين الاسلام ،  
بكل قصير رمح وكليل سنان ، مزخرفة بالكاذيب على الله تعالى ورسوله  
مما لم تسمعها الأذان •

مقدمة للتثليث ، منتحلة للصليب الظاهر بطلانه ظهور الشمس  
للعيان الا على العميان ، منسوبة الى « عبد المسيح بن اسحق الكندى »  
مجيبا بها في زمن « المأمون العباسى » رسالة « عبد الله بن اسمعيل  
الهاشمى » حينما دعاه فيها الى دين الاسلام القوى الدعام وكلاهما فيما  
أظن « هى بن بى » وأن الصائغ لهما عصرى خدا الحى باللى ، أو زنديق  
متقدم العصر أراد ترويج الغى ، وأن ينسخ نور الشمس بالفى •  
ولعمري أن باطلها لا يخفى على ذى عينين ، وحديد كهامها يعرفه كل  
قن • ولقد قدمت رجلا وأخرت أخرى عن رد باطلها ، وبيان عاطلها ،  
واستعظمت أن أنطق ولو على طريقة النقل بكلماتها ، أو أحرز بقلمى  
على سبيل الرد قبيح هنالكها ، لأن ما فيها يحكى العواء على بدر السماء  
غير أن جهلة النصرى ربما يختلج في أذهانهم عجز المسلمين عن رد  
هذياتهم ، فأسرعت لرد الجواب ، واقتديت بمن قبلى من الأجلة  
الداخلين في هذا الباب ، الذين أتوا بالحكمة وفصل الخطاب ، وامتثلت  
ما ورد في محكم الكتاب ، من قوله جل وعز « ولا تجادلوا أهل الكتاب  
الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم (١) » •

قال المفسرون « أى بالخصلة التى هى أحسن ثواب ، وذلك عنى  
سبيل الدعاء لهم الى الله سبحانه وتعالى والتنبية لهم على حججه  
وبراهينه رجاء اجابتهم الى الاسلام لاعلى طريق الاغلاظ والمخاشنة ،  
ثم استثنى سبحانه « الاالذين ظلموا منهم » وهم المفرطون فى  
المجادلة الذين لم ينفع فيهم ، ولم يتأدبوا مع المسلمين ، فلا بأس  
بالاغلاظ عليهم ، كما كان المسيح عليه السلام يغلظ على الفريسيين ،  
ولكثبة الكلام .

وقد نقل ذلك عنه أصحاب الأناجيل ، بعبارات لا تقبل التأويل  
حاكيا فى كتابى هذا قوله بعجره وبجره ورمته كما حكى الله سبحانه  
فى كتابه العزيز ما قاله الكفار للنبي عليه الصلاة والسلام وأمته  
ويجب على العلماء ولا سيما فى هذا الزمان اظهار علمهم كما ورد فى  
الخبر عن سيد الانس والجان ، فشرعت فيه طالبا للتوفيق والامداد ،  
متكلا على من تنزه عن الصاحبة والأولاد ، سائلا منه جل وعز الهداية  
والتيشير والحفظ من كيد الأعداء والحساد ، مسميا له بـ « الجواب  
المسيح لما لفته عبد المسيح » .

فاقول :



## ( بدء كتاب النصرانى )

قال النصرانى « بسم الله الرحمن الرحيم

رب بسر ولا تعسر رب تتمم بالخير

الى فلان بن فلان أصغر عبيد المسيح

سلامة ورحمة ورأفة وتحيات تحل عليك خاصة وعلى جميع أهله

العالم عامة بجوده وكرمه أمين •

أما بعد : فقد قرأت رسالتك وحمدت الله على ما وهب لى من رأى سيدى أمير المؤمنين ، ودعوت الله الذى لا يخيب داعيه اذا دعاه بنية صادقة أن يطيل بقاء سيدنا أمير المؤمنين فى أسبغ النعم ، وأدوم الكرامة وأشمل العافية بمنه ورحمته ، وشكرت أكرمك الله ما ظهر لى من فضلك بالعناية ، وما كشفته من لطيف محبتك وخصصتنى به من المودة ، فقد كان العهد قبلا عندى على هذا قديما وقد زاده تأكيدا ما تبين لى من شفقتك مستأنفا ، وشكرى يقصر عما فعلته ، ولم تتعد ما يشبه كرم طباعك وشرف سلفك ، وأنا أرغب الى الله جل اسمه الذى بيده الخير كله أن يتولى مكافأتك عنى بما هو واسع له ، فانه لا يعجز عن شىء ويحسن جزاءك عن نيتك فقد لعمرى أفرغت مجهودك والنصيحة عند نفسك ، ولم تبق غاية • ووجب شكرك على اذ كنت لم تأت بما أتيت به الا على الاخلاص من المودة •

وكان الذى حملك على ذلك فرط المحبة والألفة وفهمت - أفهمك الله كل خير وهداك الى سبيل الرشاد - اقتصصته فى كتابك وتعمقت فيه من الدعوة وشرحته من أمر ديانتك هذه ، التى أنت عليها ، وما دعوتنى الى الدخول اليه ورغبتنى فيه منها ، وقد علمت - أصلحك الله - علما حقيقيا أن الذى دعاك الى ذلك ما يوجب لنا تفضلك من حق حرمتنا بك لما يظهر من رأى سيدنا وسيدك وابن عمك أمير المؤمنين فينا • فهذا أكرمك الله ما لا قوة لنا على شكرك عليه ولا عون لنا على

ذلك الا الله تبارك وتعالى ، فاننا نستعينه ونسأله ميتهاين طالبين اليه  
أن يشرك عنا فانه أهل لذلك والقادر عابه •

فأما ما دعوتنى اليه من أمر دينك الذى تنتحله ومقاتتك التى  
تعتقدها وهى الحنيفية وأنت على ملة أبينا ابراهيم وما قلت فيه انه  
« كان حنيفا مسلما » فنحن نسأل المسيح سيدنا مخلص العالمين الذى  
وعدنا الوعد الصادق وضمن لنا الضمان الصحيح فى انجيله المقدس ،  
حيث يقول « اذا قدمتم الى القضاة والحكام فلا تهتموا بما تقولون  
ولا بما تجيبون ، فانكم ستعطون فى ذلك الوقت وتلقون ما تتكلمون  
وتدفعون عن أنفسكم به من الجواب والحجة (١) » فأنا واثق بما وعدنى  
به سيدى المسيح فى انجيله المقدس من انجزه وعده لى ، وأدخل  
معك المعركة مستغيثا بالله متكللا عليه ، اذ كنت أنا العاجز عن كل شىء  
لا أتأخر عن دعوته المنيرة وعن دينه الأفضل •

وأفتتح كلامى بما يلقننى به من صلاح القول ويلهمنى من وثيق الحجة  
دعادته عند أوليائه وأرجو منه الظفر •



### الرد على كلام النصرانى :

فأقول غير خفى على المطلعين أن النزاع بين النصرارى والمسلمين  
قائم على ساق من غابر السنين ، وقد لفق النصرارى بعض الرسائل  
فى اثبات حقية دينهم ، وليس والله تحتها طائل وألف المتقدمون  
والتأخرون من علماء الموحدين كتبوا فى ردهم هو ، وأيم الله نور عين  
للمستضيئين •

منها كتاب الحافظ الامام أبى العباس تقى الدين بن تيمية  
المسمى بـ « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » أربعة أجزاء  
وكتاب « هداية الحيارى لأجوبة اليهود والنصارى (٢) » للعلامة  
أشهر بابن قيم الجوزية وكتاب « دلائل النبوة » لفاضل الماوردى ،

(١) انجيل متى — الأصحاح العاشر

(٢) طبع بمعرفتنا

ولابن كثير الفهامة الشهير ، وكتاب « الأجوبة الفاخرة » للفاضل  
الترافى وكتاب « تحفة الأريب في الرد على أهل المصليب » لعبد الله  
بن الترجمان الذى كان قسيسا فأسلم وكتاب « اظهر الحق » لصاحبنا  
العالم الفاضل المجاور فى بيت الله الحرام الشيخ « رحمت الله الهندى »  
أطال بقاءه المعيد المبدى وكتاب « تخجيل الأناجيل » للشيخ أبى البقاء  
صالح ، ومختصره للفاضل أبى الفضائل المالكي . ومنها كتاب « الرهاوى »  
بالراء المهملة ، وكتاب عمرو بن بحر الجاحظ ، وكتاب عبد الجبار  
المغربى ، ومقالة القاضى أبى بكر ، وكلام انجوينى ، وكتاب الطرطوسى  
وكتاب ابن عوض ، وكتاب خلف الدمياطى ، والنصيحة الايمانية (٤)  
والانتصارات الاسلامية (٥) والرد على اليهود (٦) لعلاء الدين على  
بن محمد الباجى الشافعى .

وغير ذلك مما ألف فى التركية والهندية وغيرها .

وأما ما ألفه المهتدون الذين دخلوا فى دين الاسلام من أخبار  
اليهود وقيسيسى النصارى فى عصرنا هذا وقبله وبينوا فضائهم ، فكثير  
جدا والحمد لله تعالى .

وأعلم أنه وان كان يكفيننا لردهم ما كتبه هؤلاء الأعلام وغيرهم (٧)  
من علماء الاسلام من الكتب المدونة وغيرها فى سائر العلوم ككتب العقائد  
والتفاسير والحديث . غير أن هذه الأوراق المنسوبة الى « عبد المسيح »  
مع رسالة « عبد الله بن اسماعيل الهاشمى العباسى » المذكور التى  
طبعت فى « لندن » وان كان الظن الغالب أنهما مفتعلتان مختلفتان من  
بعض البروتستانتيين أو نحوهم على لسان هذين الرحلين ، إذ لم نعد

(٣) طبع بمعرفتنا

(٤) طبع بمعرفتنا

(٥) طبع بمعرفتنا

(٦) طبع بمعرفتنا

(٧) مثل كتاب اثنانيم النصارى ، وكتاب نقد التوراة — أسفار موسى  
الخمسة — وكتاب البشارة بنى الاسلام فى التوراة والانجيل .

على ترجمة هذين الرجلين ، ولا وجدنا هاتين الرسالتين عند أحد من أهل الاسلام ولا في مكتبة أحد من الأنام .

وفي رسالة « عبد المسيح » من اساءة الادب والكذب والتشنيع على دين الاسلام ما لم يكن في غيرها وقد زخرف مفتريها كلامه ليروج دنى بعض ذوى الآراء القاصرة ، وسلك نبيها مسلكا لم يسلكه غيره من اخوانه الشياطين الفاجرة .

لى حيلة فيمن ينم .: . وليس فى الكذاب حيلة من كان يخلق مايقول .: . فحيلى فى قلىلة فلزم علينا عدم تركها من الجواب . وسيسمع بحوله ، سبحانه وقوته مفتعلها أجوبة يسلمها ذو الألباب .

ومن جملة ما يشير الى أنها مختلفة :  
أنه ذكر فى أول الرسالة التى نسبها الى « عبد الله ابن اسماعيل الهاشمى » ما نصه .: . « بسم الله الرحمن الرحيم » .: .

أما بعد :

فقد افتتحت كتابى اليك بالسلام عليك والرحمة تشبها بسيدى وسيد الأنبياء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ثقاتنا ذوى العدالة عندنا الصادقين الناطقين بالحق الناقلين اليها أخبار نبينا عليه السلام قد رووا لنا عنه : أن هذه كانت عادته وأنه كان صلى الله عليه إذا افتتح كلامه مع الناس بيادؤهم بالسلام والرحمة فى مخاطبته اياهم ، ولا يفرق بين الذمى والأمى ولا بين المؤمن والمشرك «

وأنت تعلم أن النبى عليه الصلاة والسلام انما كان يفتتح كتابه الشريفه بالسلام على من اتبع الهدى فمن ذلك كتابه الى هرقل بعد البسملة « من محمد بن عبد الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى » ومن ذلك ما فى آخر كتابه الى النجاشى « فأقبلوا نصيحتى والسلام على من اتبع الهدى » وكتابه الى المقوقس « من محمد بن

عهد الله الى المتوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى » •

وغير ذلك كثير •

ومن جملة دسائسها : أن مؤلفها النصراني هذا افتح كتابه  
بالبسملة ، مع أن النصراني ان افتحوا يفتتحون قائلين « باسم الأب  
والابن وروح القدس اله واحد » •

ثم أعلم هداك الله تعالى ووفقنا للسداد أن « عهد المسيح » قد  
طلب الدخول في المعركة والنزال ومصارعة الأبطال عند الخلو من  
حضور الرجال ، فيصدق عليه قول الشاعر .

واذا ما خلا الجبان بأرض ••• طلب الحرب وحده والنزالا  
وليت شعري كيف يغلب في المعركة من غدا بعبد المسيح مسمى  
لمن غدا عبدا لله الذي خلق المسيح ؟ •  
أعباد المسيح يخاف صحبي ••• يذعن عبيد من خلق المسيحا

وأما بقية كلماته في هذه الأسطر المتقدمة ، فسيأتي الكلام عليها في  
أماكنها ومحالها المناسبة لها ان شاء الله تعالى •

★ ★ ★

قال النصراني : « فأقول مجيبا لك قد علمت أمثالك الله اذ زعمت  
أنك قرأت كتب الله المنزلة ونظرت في ديوان أسرار المقدسة التي هي  
الكتب العتيقة والحديثة أن التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى  
النبي وناجاه بجميع ما فيها وخبره أسرار مكنوب في السفر الأول من  
أسفارها الخمسة وهو المعروف بسفر الخايطة أن ابراهيم كان نازلا مع  
آبائه بجران ، ، وأنها كانت مسكنا لهم وأن الله تبارك وتعالى تحلى  
عليه بعد تسعين سنة وآمن به وحسب له ذلك برا . فقد علمنا يرحمك  
الله أن ابراهيم انما كان نازلا بجران مع آبائه تسعين سنة لم يعسد  
الا الصنم المسمى « العزى » وهو المعروف بجران المتخذ على اسم



النقر ، لأن أهل حران انما كانوا يعبدون هذا الصنم وتلك البقية قائمة فيهم الى هذه الغاية لا يكتمون بها ولا يسترون منها شيئاً ، غير القرابين التى يتخذونها من الناس فان ذبح الناس لا يتهايم لهم اليوم جهراً بل يحتالون فيه فيفعلونه سرا فكان ابراهيم يعبد الصنم حنيفاً مع آباءه وأجداده وأهل بلده كما أقررت أنت أيها الحنيف ، وشهدت بذلك عليه الى أن تجلى الله عليه ، فلما آمن به وصدق مواعده . فحسب له ذلك برا (١) « تكوين ١٥ » زال عنه الحنيفية التى هى عبادة الأصنام وصار موحداً مؤمناً لأننا نجد الحنيفية فى كتب الله المنزلة اسماً لعبادة الأصنام ، فورث ذلك التوحيد « اسحق » الذى هو ابن الموعد وهو الذى قربته لله ، ففداه الله بالكبش من الشجرة لأنه هكذا أمره الله وقال « اعمد الى ابنك ووحيدك الذى تحبه وهو اسحق فامض به حتى تقربه لى قربانا فى الموضع الذى أريكه » ومن نسل اسحق من سارة احرة ، خرج المسيح مخلص العالم .

فلهذه الأسباب وغيرها ورثه ابراهيم أبوه التوحيد ، ثم ورثه اسحق يعقوب ابنه ، الذى سماه الله اسرائيل ، ثم ورثه يعقوب الاثنى عشر سبطاً ، فلم يزل ذلك التراث فى بنى اسرائيل حتى دخلوا أرض مصر أيام الفراعنة بسبب يوسف ، ثم نم يزل ذلك التراث ينقص ويضعف قرناً بعد قرن حتى اضمحل كاضمحلاله الذى كان فى عصر نوح ، اذ كان التوحيد أول من عرفه أبونا آدم ثم ورثه شيث ، ثم شيث ورثه أنوش ابنه فكان أنوش أول من أعلن ذكر التوحيد ودعا اليه ثم ورثه نوح ولده وولد ولده ، ثم اضمحل الى زمن ابراهيم فتجدده ذلك التراث لابراهيم ، فلم يزل يتجدد الى أن ولد يعقوب الذى هو اسرائيل الله ، ثم اضمحل حتى تجدد عند ما بعث الله موسى ، فان الله تجلى عنه بالنار فى العوسجة وقال له فى مناجاته اياه ومخاطبته له « انك

(١) « فآمن بالرب فحسبه يرا » ( تكوين ١٥ : ٦ )

وقول النصرانى ان النص فى تكوين ١٥ يدل على ان المؤلف ليس عهد المسيح الكندى ، بل يدل على المؤلف نصرانى معاصر لان التقسيم الى أصحابات تقسيم حديث .

ترسلنى الى قوم غلف القلوب انهم ان سألونى وقالوا ما اسم الذى وجهك الينا ؟ وبماذا وجهك حتى نصدقك ؟ فماذا أقول لهم ؟ فقال الله مجيبا : هكذا تقول لبني اسرائيل الذين أنا مرسلك اليهم ، وبهذا القول تخاطب فرعون اذا دخلت اليه ( أهيه أشر أهيه اليدم ) وتفسره ذلك الأزلى الذى لم يزل اله آبائكم اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب أرسلنى اليكم « أه .



أقول وبالله التوفيق ان الكلام على هذه الكلمات فى فصول

### الفصل الاول

فى بيان ما فى بعض ألفاظه من الاصطلاحات ونحو ذلك .

منها قوله : زعمت . والزعم هو القول بغير دليل ، وقد يطلق على القول الحق كقوله :

ودعوتنى وزعمت أنك ناصح . . . ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

وقوله « فى ديوان أسراره » . الديوان كما فى القاموس بالكسر ويفتح : مجتمع الصحف ، والكتاب يكتب فيه أهل الجيش وأهل العطية وأول من وضعه عمر رضى الله عنه وجمعه دواوين ودياوين ، والمراد هنا المعنى الأول وقوله الكتب العتيقة أراد بها جمع رسائل الأنبياء عليهم السلام الآتى ذكرها التى كتبت قبل المسيح عليه السلام ، ويقال لها العهد العتيق أيضا كالتوراة وقوله والحديث أراد بها ما كتب بعد المسيح عليه السلام ويقال لها العهد الجديد كالانجيل ، فاليهود لا يعتقدون الا بالعتيق والنصارى يعتقدون بالعتيق والجديد معا ،

وكتب العهد العتيق هى : سفر الخليقة ويقال له سفر تكوين

انخلاق أيضا • وسفر الخروج وسفر الأخبار • وسفر العدد وسفر الاستثناء • ثم صحيفة يشوع بن نون ، وسفر القضاة ، وكتاب راعوث ، وصحائف صموئيل ، والملوك والأخبار وعزرا ونحميا وأستير وأيوب وزبور داوود وأمثال سليمان والجامعة ونشيد الانشاد وصحيفة أشعياء وأرميا ومراثيه ، وصحيفة حزقيال ودانيال وهوشع ويوثيل وعاموخ وعوبديا ويونس — المسمى عندهم يونان — وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجي وزكريا وملاخيا عليهم السلام (١) •

وكتب العهد الجديد هي انجيل، متى وانجيل مرقس وانجيل لوقا وانجيل يوحنا وكتاب أخبار الرسل ورسالة بولس الى أهل رومية ورسالته الأولى الى أهل كورنثوس ورسالته الثانية الى أهل كورنثوس ورسالته الى أهل غلاطية ورسالته الى أهل أفسس ورسالته الى أهل فيلبى ، ورسالته الى أهل كولوسى ورسالته الأولى الى أهل تسالونيكي ورسالته الثانية اليهم أيضا ورسالته الأولى الى تيموثاوس ، ورسالته اثنائية أيضا اليه ورسالته الى تلميذه تيطس ورسالته الى فيليمون ورسالته الى العبرانيين ، ورسالة يعقوب الكاثوليكية ورسالة بطرس الكاثوليكية الأولى ورسالته الكاثوليكية الثانية ورسالة يوحنا الكاثوليكية الأولى ورسالته الثانية ورسالته الثالثة ورسالة يهوذا الكاثوليكية وكتاب رؤية يوحنا الانجيلي وهي الأبوكاليسيس •

وسياتيك ان شاء الله تعالى بيان اختلافهم في بعض ذلك ، فانظره ولا تغفل •

### تتمة في فائدتين :

الأولى : لا يخفى عليك أن النزاع بين فرقتى اليهود السامرية وغير السامرية في أمر التوراة مشهور ، وكذا هو نائم بين فرقة البروتستانت وفرقة الكاثوليكين وغيرهم في أمر التوراة المنشورة الآن في العالم ، فادعى البروتستانت أن التوراة الموجودة . فيها التحريف

---

(١) لقب عليهم السلام لا يصح أن يطلق الا على الانبياء الوارد ذكرهم في القرآن الكريم •

أظهر والزيادة والنقصان وادعى الكاثوليكيز أن البروتستانت كَلَمَا طبعوا نسخة حرفوا وبدأوا ، فلننقل لك بعض كلماتهم في ردهم على البروتستانت من كتبهم المتعددة المنشورة ككتاب المحاورة بين البشير والتتر المطبوع في بيروت • قال الكاثوليك : « لا يستطيع البروتستانت أن يثبتوا أن عندهم التوراة المقدسة أما أولا فانهم مجمعون على تنزيل التوراة الكاثوليكية ، ويلزم منه أيضا أن لا يكون عند الروم ولا عند السريان ولا عند الكلدان ولا عند الأرمن ولا عند الأقباط لأهم أخذوا التوراة من الكاثوليكين ، فاذن لا نجد نورا صحيحة الا عند البروتستانت والتوراة لا تكون الا واحدة • والحال قد وجدت عند البروتستانت متعددة على قدر أعداد شيعهم ، أي قد بلغت أشكالها عددا لا يحصر ولا يزال آخذا بالانهدياذ لأن كل ترجمة من التوراة ينشرها البروتستانت تختلف بدرجات مختلفة عن الترجمات السالفة ، ونأتى بنص جديد للكتاب المقدس ، ومنذ ظهور مذهبهم كان يدعى أحد زعمائهم المسمى « زونيكل » أن ترجمة التوراة التي ألفها « لوبير » أسدت كلام الله وكانوا يرمون ترجمة « كلوين » بالكفر وحكم المعلم دى « مولين البروتستانتى » أن توراة « كلوين » نحتوى على إباداته ويردلين أيضا الأسفار المعروفة بتثنية القانونية ، ومنها سفر طوبيا وسفر يهوديت وسفر باروخ وسفر الحكمة وسفر ابن سيراخ وسفر المكابيين وغيرها •

وبالجمله فانهم لا يستطيعون بيان عدد أسفار التوراة ولا كمية فصولها وعدد آياتها • انتهى ملخص ما يقول الكاثوليك في كتبهم المطبوعة في ردهم على البروتستانتين وأنت تعلم اذا نظرت أيضا الى أنوراة التي طبعها الكاثوليك تراها أيضا ، تخالفة متغايرة وكل نسخة لا توافق الأخرى ، وكذا أنجيلهم وعهدهم الجديد لا توافق بين نسخها وطبعها • وهذا الحال مستمر في جميع فرقهم على سائر الأزمان ، وظاهر ظهور الشمس للعيان ، فلا تغفل •

الثانية نذكر لك فيها بعض فرق اليهود والنصارى لتستبين بذلك

أبضا على رد بعض مقالات هذا النصرانى الآتية ، ونزبدك وقوقا على  
مختلف أقوال هاتين الأمتين اللتين هما أعظم الأمم الكتابية •

**فاعلم** أن اليهود تسموا بذلك لقول موسى عليه السلام « انبا  
هدنا اليك » أى رجعنا وتضرعنا يقال هاد الرجل اذا رجع وتاب ، وقيل  
انهم عقب رجوعهم من سبى بابل فى زمان « عزرا » دعوا يهودا من  
سبط يهوذا وكانوا يفتخرون بهذا الاسم لأن معناه الديانة الصحيحة •  
وهى التوحيد • وهم أولاد يعقوب المدعو باسرائيل بن اسحق بن  
ابراهيم • ويعقوب عليه السلام ولد له اثنى عشر وندأ ، ويقال لهم  
الأسباط الاثنى عشر ، وقد اشتور بين هؤلاء الأسماء لاولى الذى كان  
منه موسى عليه السلام وأخوه هرون ، وكان أكبر من موسى بثلاث  
سنين •

وقد تفرقت اليهود فى آرائها الى فرق متعددة •

فمنها الفرقة الصدوقية أى الصدوقيين • ومنهم تناسلت  
السامريون (١) وهم سكان السامرة ولم يتمسكوا الا بأسفار موسى  
الخمسة فقط وهى المسماة بالتوراة ، ورفضوا ما عداها من أسفار العهد  
التقديم ، وكان هيكلم قرب مدينة نابلس ، وبينهم وبين غيرهم من اليهود  
عداوة شديدة • ومن فرقهم الصدوقيون نسبة الى رئيسهم صادق  
الكاهن على ما قيل ولم يقبلوا من العهد القديم سوى الأسفار الخمسة  
أيضا وأنكروا قيامه الموتى • ومن فرقهم الفريسيون وهم أعظم طوائف  
اليهود وأقدمها • وهذه تسمية عبرانية ومعناها الافراز ، ويراد بذلك  
افرازهم عن الشعب باعتبار اقداسة المنسوبة اليهم • ومن فرقهم  
الكتبة • ويقال لهم الفاموسيون أيضا • ولم يكونوا من قبيلة مخصوصة  
ولكنهم كانوا ينسخون الكتب المقدسة ، ويميرون الى مطالعة العلوم

---

(١) الصحيح : ان اليهود من قبل عيسى عليه السلام كانوا سامريين  
وعبرانيين ، والعبرانيون فى زمان عيسى انقسموا الى صدوقيين وفريسيين ،  
وبعد زمانه صاروا ربانيين وقرايين •

والفنون . ويفسرون أحكام الشريعة ويوافقون انفرسيين في التدين .  
ومن فرقهم الأسيينون وهم فرع من الفرسيين . وادا أراد أحد أن  
يدخل بهم يمتحنونه ثلاث سنين ، ماذا تأوه اشتراطوا عليه عبادة الله  
تعالى واستعمال العدل ، وأن لا يخفى شيئا من أسراره عن الجمعية ،  
ولا يظهر منها شيئا للغير ، ولو يخوف بالقتل وكانوا يحقرون الأموال  
ويشاركون في أمتعتهم ويؤمنون بالسعادة ، بعد الموت ، ولكنهم مرتابون  
القيامة .

ومن فرقهم الهيروديون وهم طائفة سياسية بين اليهود لا يتداخلون  
بأمر الله . ومن فرقهم الجليليون . ومن فرقهم أيسريون . وفيل  
انه كان لهم مجمع مختص بهم في أورشليم أى البيت المقدس ، ثم أنه  
عد ميلاد المسيح باحدى وسبعين سنة غزا طيطس الروماني بيت  
المقدس ، وأضرت عساكره النار في ذلك الهيكل العظيم ، وهدمته ، وقد  
تفرقت اليهود وتلاشت عباداتهم .

انتهى ملخصا من كتاب « سوسنة سليمان » لنوفل المسيحي .

وفي « الملل والنحل » للعلامة الشهر ستاني : أن اليهود نيف  
وسبعون فرقة ، قال : « ونحن نذكر منها أشهرها ونترك الباقي ، فمن  
ذلك العنانية نسبوا الى رجل يقال له « عنان بن داود » يخالفون سائر  
اليهود في السبت والأعياد ويختصرون على أكل الطير والظباء والسمك  
والجراد ويذبحون الحيوان على القفا ، ويصدقون عيسى عليه السلام  
في مواعظه وأشاراته ، ويقولون انه لم يخالف التوراة البتة بل قدرها  
ودعا الناس اليها ، الا أنهم لا يقولون بثبوته ورسالته ، ومن هؤلاء من  
يقول انه لم يدع أنه نبي وأنه صاحب شريعة ناسخه . بل هو من أولياء  
الله تعالى ، والانجيل ليس كتابا منزلا عليه ، بل هو جميع أحواله من  
مبدئه الى كماله ، وانما جمعه أربعة من أصحابه ، فكيف يكون كتابا  
منزلا ؟

ومن ذلك العيسوية نسبوا الى أبى عبدى يسحق بن يعة .

الأصفهاني ، وقيل اسمه عوفيد ألوهيم أى عابد الله ، كان فى زمن « المنصور » وأتبعه بشر كثير من اليهود . وزعم أنه نبي وأنه يسون المسيح المنتظر ، زعم أن للمسيح خمسة من الرسل يأتون قبله ، واحدا بعد واحد ، وأن الله وكله أن يخلص بنى اسرائيل من أيدي الأمم العاصين ، وحرّم فى كتابه الذبائح كلها وأوحى عشر صلوات وخالف اليهود فى كثير من الأحكام وقتله وأصحابه عسك المنصور بالرّى .

ومن ذلك المقاربة واليهودعانية نسبوا الى «يوذعان» رجل من «همدان» وقيل : كان اسمه يهودا يحث على الزهد ، وكان يزعم أن للتوراة ظاهرا وباطنا وتنزيلا وتأويلا . ومنهم الموسكانية أصحاب موسكا على مذهب يوزعان غير أنه كان يوجب الخروج على مخالفيه ، فخرج وقتل مع أصحابه بناحية قم .

وذكر عن جماعة من الموسكانية أنهم أثبتوا نبوة نبينا المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم الى العرب وسائر الناس لأنهم أهل ملة وكتاب . ومن ذلك السامرية وهم قوم يسكنون بيت المقدس وفرى من أعمال مصر ، يتتشفون فى العبادة أكثر من نقشف سائر اليهود ، أثبتوا نبوة موسى وهرون ويوشع بن نون عليهم السلام وأنكروا نبوة من بعدهم رأسا الا نبيا واحدا ، وقالوا للتوراة ما بثبت الا بنبي واحد يأتى من بعد موسى يصدق ما بين يديه من التوراة . ويحكم بحكمها . فظهر فى السامرة رجل يقال له الألفان ادعى النبوة ، وزعم أنه هو الذى بشر به موسى ، وأنه هو الكوكب الذى ورد فى التوراة أنه يضىء ضوء القمر ، وكان ظهوره قبل المسيح عليه السلام بقريب من مائة سنة .

وافترقت السامرية الى دوستانية وهم الألدانية والى كرسانية . والدوستانية معناها الفرقة المنفرقة الكاذبة ، والكرسانية معناها الجماعة الصادقة ، وبين الفريقين اختلاف فى الأحكام والشرايع والعقائد والفيلسوف انتهى باقتصار وتلخيص .

وأما النصارى فتنسوا بذلك لأن المسيح خرج في قرية الناصرة (١)، ومنها انتقل الى بيت المقدس ، وهم نيف وسبعون فرقة « وفي كتاب موسسة سليمان لنوفل بن نعمة الله بن جرجيس القسطنطيني المؤلف المطبوع سنة ١٨٤٤ أن المسيحيين ينقسمون الى ثلاثة فروع أصلية .

**الأول** الكنيسة الكاثوليكية ورتبها ببارومبة ، الثاني الكنيسة الأرثوذكسية وهي الكنيسة اليونانية : الثالث الكنيسة الانجيلية ، وهي الكنيسة البروتستانتية . والمراد من الكنيسة : العقيدة والمذهب والدين .  
قال : ويجمعهم في الاعتقاد دستور ايمانهم المخلص من الاله .  
وهو هذا :

« نؤمن بالله واحد آب ضابط الكل خالق السماء والأرض . كل ما يرى وما لا يرى ، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور نور من نور ، اله حق من اله حق ، مولود غير مخلوق ، مساو للاب في الجوهر ، الذي به كان كل شيء الذي من اجلنا نحن البشر ومن أجل خطايانا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ، ومن مريم العذراء وتأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس ، وقالم وقبر وقام في اليوم الثالث ، على ما في الكتب . وصعد الى السماء وجلس عن يمين الآب . وأيضا : يأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات الذي لا فناء للملكه ، وبالروح القدس الرب المحيي المنتشق من الآب الذي هو مع الآب والابن يسجد له وبمجد ، الناطق بالأنبياء وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية . ونعترف بمعمودية واحدة المعمدة الخطايا ، وترجي قيامة الموتى وانحياة في الدهر العتيد آمين» .

ولا خلاف بين هذه الفروع الثلاثة المذكورة في مضامين هذا الدستور ، سوى أن بين الكاثوليكين والروم في قضية انبثاق الروح

---

الصحيح : أنهم سموا نصارى من الكلمة العبرانية « هاتصري » وذلك لان الناصرة من نصيب سبط زبولون . وهو سبط لليهود السامريين . وعيسى عليه السلام من العبرانيين من قري سبط يهوذا ( البشارة بنبي الاسلام ) .



القدس ( اختلاف ) فان الكاثوليكين يتنونون « المنبثق من الآب والابن ،  
الذى هو مع الآب ، والابن يسجد له ويمجد » وأما الانجيليون  
فلا يتعرضون للمناكفة فى شىء من ذلك ، وانما يقولون : ان أصل  
الدستور الذى ألفه المجمع النيقاوى المسكونى ، هذا فحواه : « نؤمن  
باله واحد اب ضابط الكل خالق السماء والأرض كت ما يرى وما لا يرى ،  
وبرب واحد يسوع المسيح بن الله الوحيد مساو للآب فى الجوهر ، الذى  
به كان كل شىء ، الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا . نزل  
من السماء وتجسد وتأنس وصاب عنا على عهد بيلاطس البنطى . ونال  
وقبر رقام فى اليوم الثالث ، وصعد الى السماء وحاس عن يمين الآب .  
وأىضا يأتى بمجد عظيم ليدين الأحياء والأموات الذى لا فناء لملكه ،  
وبالروح القدس الرب المحيى الذى هو مع الآب والابن ، يسجد له  
وبمجد ، الناطق بالأنبياء ، ونترجى قيامة الموتى والحياة فى السهر  
العتيد آمين » . ولما كان هذا الدين لا يدعى بأنه جاء ناسخا أو مبطلا  
للديانة الموسوية وانما هو تكملة لها كان العهد الجديد لا يتعرض الى  
وضع شرائع وقوانين سياسية ، غير ما ورد فى العهد العتيق » انتهى .  
قلت : أين هو من تهديد السبت والختان ، وأكل لحم الخنزير وغيره  
من الحيوانات المحرمة فى التوراة والاعتسالى للجنابة وغيرها والطلاق  
والتزوج بأكثر من واحدة ، وغفران الخطايا وغير ذلك مما نهنالك عليه  
غير مرة ؟

قال النصرانى نوفل المذكور : « فصل فى البدع التى ظهرت بين  
المسيحيين ، وسبب انعقاد المجمع وانقسام الكنائس الى المذاهب .  
وذلك أنهم لما اختلفوا فى التفاسير التى عولوا عليها أوجب  
صيورة هذا الدين أيضا عرضة لآراء الناس ومجادلاتهم ، وسبب  
ظهور البدع (١) الآتى ذكرها التى ينوعها البعض الى خمسة أقسام

(١) يقول ول ديورانت فى كتابه قصة الحضارة ج ١١ ص ٤١٨ ما نصه :  
« لما فتحت المسيحية «روما» انتقل الى الدين الجديد أى الدين النصرانى - دماء  
الدين الوثنى القديم : لقب الحبر الأعظم ، وعبادة الامم العظمى وعدد لا يحصى =

متباينة : الأول بدع الفلسفة ، الثاني : بدع الأخلاق ، الثالث : البدع المتعلقة بطبيعتي المسيح ، الرابع : بدعة المجاداة ، الخامس : البدع الصورية أو العادية . ثم صارت هذه البدع سببا الى انعقاد المجمع ، وتعاليم المجمع سببا لانقسام الكنائس الحاضرة الى تقليدية وانجيلية ، فبدع الفلسفة ظهرت في عهد الرسل أى الجواريين ، وتولس .

فمنها أولا بدعة الغنوسيين ، فمزجت هذه طائفة الفلسفة بأصول الدين ، حتى جعلوهما شيئا واحدا ، فرفضوا شريعة موسى ، وكانوا أهل رياضيات وكان كثير منهم يقول : ان المسيح الذى اعتبروه منبثقا من اللاهوت على الانسان يسوع عند معموديته ودام معه الى وقت صلبه ، وحينئذ تركه ورجع الى السماء ، وكثير منهم رفض جزء من الأسفار المقدسة .

ولما ظهر « مانى » الفارسى في القرن الرابع بعد الميلاد ، وكان قد نشأ بين المجوس ودخل في الدين المسيحي ، فزعم أنه « البار قليط »

---

= من الأرباب التى تبث الراحة والطمأنينة في النفوس ، وتمتاز بوجود كائنات في كل مكان ، لا تدركها الحواس . كل هذا انتقل الى المسيحية ، كما ينتقل دم الأم الى ولدها . وأسلمت الامبراطورة المحتضرة أزمة الفتح والمهارة الادارية الى البابوية القوية . وشحذ بقوة سحرها ما فقده السيف المسلول من قوته ، وحل مبشرو الكنيسة محل الدولة .

ان المسيحية لم تقض على الوثنية بل ثبتتها . ذلك ان العقل اليونانى عاد الى الحياة في صورة جديدة ، في لاهوت الكنيسة وطقوسها ، ونقلت الطقوس اليونانية الخفية الى طقوس القديس الرهبية وجاءت من مصر آراء الثالوث المقدس ويوم لحساب وأبدية الثواب والعقاب وخلود الانسان في هذا أو ذاك ، ومن مصر جاءت عبادة الأم الطفل ، والاتصال الصوفى بالله ، ذلك الاتصال الذى أوجد الأفلوطنية واللادرية ، وطمس معالم العقيدة المسيحية ، ومن بلاد الفرس جاءت عقيدة رجوع « المسيح » وحكمه الأرض لمدة ألف عام « ١هـ .

وهذا اعتراف منهم بأنهم « يضاھنون قول الذين كفروا من قبل » كما قال الله تعالى في القرآن الكريم .

نزل من السماء ليكمل الدين الذى زعم أن المسيح تركه ناقصا ، ثم أخذ مفسر الانجيل بما تقتضيه عقيدته ، وجعل جماعته فرقتين نصارى كاملين ونصارى مستمعين وأن رئيس مذهبه يكون ناثبا للمسيح .

**وأما بدع الاخلاق فمنها « النقولايون »** اذين ظهوروا فى القرن الأول بعد الميلاد وكانوا يقربون الذبائح للأوثان ويتمرغون فى أتمسح افواحش لأنهم زعموا أن كل من عرف الله والمسيح يخلص . ومنها فرقة المونتانيوسية نسبة الى رئيسهم « مونتانيوس » زعم أنه بعث ليكمل للناس الآداب التى جاء بها المسيح فمنع الناس عن الزينة وتعلم الفنون ، ونبعه خلق كثيرون لما رأوا فيه من شعار الزهد . منهم غير ذلك . وأما البدع المتعلقة بطبيعة المسيح كان منشأها البحث بين المسيحيين القدماء فى شأن التثليث ، فمنهم من نفى ألوهية الروح القدس كالمكدونيين ، ومنهم من جعل فى كل أقنوم خاصية تدفى الألوهية كسبلبوس الذى ظهر فى القرن الثانى ، ومنهم من قال بوحدانية الذات الالهية كنوبتيوس ، وبولس السمسياطى ، الذى ظهر بعده .

ثم ظهر آريوس بعد ذلك فى أوائل القرن الرابع ، وأنكر ألوهية المسيح حيث قال انه ليس من ذات الله تعالى وانه مسبوق بالمعدم ضرورة لأنه مولود وأنه جائز الوجود وأن الحكمة فى وجوده هي لكى تكون واسطة لانقاذ العالم من الخطيئة ، ناعتد لذلك المجمع النيقاوى سنة ٣٢٥ مسيحية ، وحكم ببطلان مذهب هذا الشماس الاسكندرى ، وألف دستور الايمان الذى يجب على المسيحيين أن يتمسكوا به ، وقد سبقت تفاصيله فى ما مر .

ثم لما خطب أحد القسوس فى القسطنطينية يقال انه « انستاسيوس » خطبة أنكر فيها على تلقيب العذراء المباركة بمولدة الاله ، وقال انما هي أم المسيح ، تابعة على ذلك البطريك « نسطوريوس » فاعتقد بهذا السبب المجمع فى مدينة أفسس بواسطة « كيرلس » بطريك الاسكندرية وحكموا على النساطرة بالهرطقة ، أى الضلال . أما أساقفة المشرق

الذين كانوا في المجمع المذكور فانهم اجتمعوا أيضا في « أفسس » وحرموا « كيرلس » المذكور ، وكان ذلك في القرن لخامس .

ومن ثم ظهر « افتنجيوس » في القرن المذكور ، وأخذ يعلم بأن المسيح حين تجسد لم يكن له الا ذات واحدة وطبيعة واحدة . ثم أنه ظهر « يعقوب البرازعى » أسقف « أورفة » وأظهر هذا المذهب ، وتوفي سنة ٥٧٨ مسيحية واليه تنسب الطائفة اليعقوبية .

وذهب « اثناسيوس » زمن « هرقل » فيصر « القسطنطينية » الى ان المسيح من حين اتحد فيه اللاهوت والانسوت ، لم يبق له الا ارادة واحدة ، وتأثير واحد ، ناشى عن تلك الارادة ، واستحسن ذلك « سرجيوس » بطريك القسطنطينية و « كورث » بطريك الاسكندرية و « اثناسيوس » بطريك « أنطاكية » والبابا « هنريوس » الأول ، أسقف « رومية » ولم يخالف في ذلك الا « صفرونيوس » بطريك « أورشليم » وعقد ضدهم مجمعا في سنة ٥٧٤ ثم اجتمع مجمع آخر في القسطنطينية سنة ٦٨٠ وحرموا تلك الطائفة وانبايا المذكور أيضا .

### وأما بدع المجادلة :

منها البيلاجيون أصحاب « بيلاجيوس » البريطاني ورفيقه « سلستيوس » الارلندى ، وكانا كلاهما راهبين في « رومية » وقد ايا أن مما يمنع السعادة الأبدية القول بسريان الخطيئة الجسدية الى نسل آدم ، والاعتقاد بأن الانسان يحتاج الى تجديد القلب بنعمة من الله تعالى تمنعه من الاقدام على الخطيئة ، وتقبل به الى التوبة ، ومن ثم شرعا في ابطال هاتين العقيدتين ، وعلمنا الناس بأن خطيئة آدم وحواء لا يؤاخذ بها أحد من ذريتهما ، وأن امتناع الانسان عن الخطيئة لا يتوقف على تلك النعمة ، وأن الانسان موكول في الأعمال الى اختياره ، فمن عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها . ثم ان الزنادى وقع بينهم النزاع في اعتقادات آخر ، مسهطة في مدحها .

ثم ان المؤلف « نوفل » قسم مجامع النصراني الى ثلاثة أقسام :  
وهي مجامع عامة • ويقال لها مسكونية • ومجامع مليّة أى خاصّة  
بطائنة دون غيرها • ومجامع اقليمية أى خاصّة بانقليم مخصص ، ثم  
انه عدد عشرين مجمعا من المجامع العامة سواء صادق عليها الجميع  
أو أنكر بعضهم على بعضها • والاختلاف في هذه المجامع واقع في مسائل  
كثيرة : منها : أن بعضهم أضاف الى النصراني سنين قانونا وقد  
أقرها بعضهم وأنكرها آخرون ومنها : ثول بعضهم ان الروح القدس  
ليس بالله خلافا لبعضهم • ومنها : أن المسيح ذو جسد حقيقى ونفس  
حقيقية ، وانه اله تام وانسان • ومنها : ما زاده بعضهم في دستور  
الايماز النيقاوى وهو لفظ الروح القدس المنبثق من الآب • ومنها :  
ما قال المجمع الأفسيسى وحكم بوجود اتحاد جوهرى بين الطبيعتين  
فى المسيح ، وبأن الاله والانسان فى المسيح هما واحد ، وبأن مريم  
والدة الاله • فخالفهم « نسطوريوس » وجماعة • ومنها : ما فى مجمع  
الليصوص • وحكمهم هو أن المسيح ذو طبيعة واحدة • ومنها : ما وقع  
فى المجمع الخلكيدونى المنعقد سنة ٤٥١ مسيحيه من أن الطيعنين فى  
المسيح غير ممتزجتين وغير منفصلتين • وأن المسيح هو واحد فى  
طبيعتين ، وليس من طبيعتين • ومنها : ما وقع فى المجمع الواقع بين  
السادس والسابع سنة ٧٥٤ وحرموا غبه اتخاذ الصور والتماثيل فى  
العبادة والسجود لها وطلب الشفاعة من العذراء ، ثم انعقدت مجامع  
بعد ذلك فأباحث ذلك • ومنها : ما وقع فى المجمع المنعقد سنة ٨٧٩ وهو  
أن الانبثاق من الآب وحده • ومنها : ما وقع فى مجمع وهو منع البابا  
من بيع ورق الغفرانات لأصحاب الذنوب • ومنها : ما وقع فى مجمع  
آخر وهو تجويز بيع البابا للغفران • وآخر المجامع المنعقدة كان فى  
رومية سنة ١٨٦٩ ولم يزل مفتوحا الى الآن •

قال نوفل : والكنائس التقليدية تقسم الى عدة فروع كاللانيانية  
واليونانية واليعقوبية ، من أرمن وقبط وسريان • وطوائف أخرى من  
نسطورية بكادانية وغير ذلك • والكنائس الانجالية أى البروتستانتية

تقسم الى ثلاثة فرق : وهى لوترانية وكلوبنية وانكليكانية ، وهم منتقون على اعتقاد ما فى الكتاب المقدس فقط فلا يخضعون لشيء من التقاليد التى لا يوجد فيها رسم أصلا ، ولا الى أقوال أحد من الآباء أى لعلماء أو الجامع ، الا اذا كان موافقا لنصوصه ، فظا ومعنى ، فإذا خالفو بقية الفرق فى مسائل • كالانكار على الرئاسة العامة ، وعدم التسليم بأسرار غير المعمودية ، والعشاء الربانى ، والانكار على الاسحالة ، والرهبانية ، والصلاة الى القديسين ، وطلب شفاعتهم ، واتخاذ الصور والتماثيل ، والمطهر ، والغفرانات والصلاة لأجل الموتى ، والتبريز بالأعمال الوفاية والصلاة بلغة غير مفهومة • وأمثال ذلك مما تستعمله الكنائس التقليدية •

وبين هذه الفرق أيضا مخالفة فى مسائل • انتهى باختصار •

وبقى فيه تفصيل الجامع وغيرها تركاء خشية الملك • والمقصود بيان بعض فرقهم ، ونبذة من اعتقاداتهم وكيف كانت مجامعهم • وتباههم منها بين لاعن وملعون • كما نقله لك أيضا فى كتابنا هذا من كلام العلامة ابن قيم الجوزية ، وإنما نقلناه ليطابق ما نقله المسلمون ما اعترفت به النصارى المثلثون • والله سبحانه الهادى الى صواب الصواب •



## الفصل الثانى

قوله اقلا عن التوراة : ان ابراهيم عليه السلام كان نازلا مع ابائه بخران ، وأن الله سبحانه تجلى عليه بعد تسعين سنة وآمن به ، وأنه كان يعبد الصنم المسمى بعزى الى آخر ما نسبته الى سفر التكوين ، وهو كذب وتمويه على الجاهل بما فى التوراة : كما يتضح لك من عبادتها وهى : « وأخذ تارح أبرام ابنه ، ولوط ابن هاران ابنه ، وساراي كنة امرأة أبرام ابنه ، وأخرجهم من أور الكلدانيين ليذهبوا الى أرض كنعان وأتوا حتى الى حران ، وسكنوا هناك وصارت أبنام

تارح نائتى وخمسة سنين ومات فى حران ، وقال الرب لأبرام أخرج من أرضك ومن قبيلتك ومن بيت أبيك وتعال الى الأرض التى أريك وأجعلك لسعب كبير ، وأباركك وأكبر اسمك وتكون مباركا • أبارك مباركك وألعن لاعنيك ، وتتبارك بك جميع قبائل الأرض ، فخرج أبرام كما أمره الرب وانطلق معه لوط • وكان أبرام ابن خمسة وسبعين سنة، حين خرج من حران ، وأخذ ساراي امرأته ولوطا ابن أخيه ، وكل ما اقتنوا ، والأنفس التى عملوا بحران وخرجوا ليذهبوا الى أرض كنعان •

فلما أتوا اليها طاف أبرام الأرض حتى الى موضع شاخيم ، حتى الى لوطا الشهير ، وأما الكنعانى حينئذ كان فى الأرض فاستعمل الرب لأبرام وقال له : نسلك أعطى هذه الأرض • وابتنى هناك أبرام مذبحا لدرب الذى تراءى له ، وانتقل من ثم الى الجبل مما يلى شرقى بيت ايل ، فضرب هناك خبائه • وله من المغرب بيت ايل ، ومن المشرق عاي ، وابتنى هناك مذبحا للرب ودعى باسمه « انتهى بحروفه ) •

وفى سفر التكوين أيضا ما نصه : « ونسا صار أبرام ابن تسعة وتسعين سنة تراءى له الرب ، وقال له : أنا الله ضابط الكل ، فسر أمامى وكن تاما ، فاجعل ميثاقى بينى وبينك ، وأكثر جدا جدا فدع أبرام وخر على وجهه ، وقال له الله : أنا هو عهدى معك ، وستكون أبا لأمم كثيرة • ولا يدعى من بعد الآن اسمك أبرام • ولكنك تدعى ابراهيم لأنى أقمتك لأمم كثيرة ، وأجعلك تنمى جدا جدا • واجعلك لأمم • ومموك منك يخرجون » ( انتهى بحروفه ) •

ثم قال بعد أسطر ما نصه : « فقال الله لابراهيم ثانية : وأنت فاحفظ ميثاقى ونسلك من بعدك فى أجبالهم ، هذا ميثاقى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك : فأيختتن منكم كل ذكر وتختنون لحم غرلتكم ، ليكون علامة للميثاق بينى وبينكم ، فالظنفل انن ثمانية أيام يختتن بكم ، كل ذكر فى أجيالكم ، المولود فى البيت •

والمتباع ، فليخنتن • وكل من لم يكن من نسكم ، وسبكون ميثاقى فى لحكمم عهدا مؤبدا • والذكر الذى غرلته لا تكون مختونة ، فتباد تلك النفس من شعبها ، لأنها أبطلت ميثاقى • وقال أيضا الله لابراهيم : ساراي امرأتك لا تدعوها ساراي ، بل سارة وأباركها • ومنها أعطيت ابنا أنا أباركم ، ويكون لأهم وملوك الشعوب يخرجون منه ، فخر ابراهيم على وجهه وضحك قائلا فى قلبه : أتظن أن يولد ابن ابنى هو ابن مائة سنة ؟ وسارة تلد وهى ابنة تسعين سنة ؟ وقال لله ليت اسماعيل يعيش بين يديك • فقال الله لابراهيم : سارة زوجتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه اسحق ، وأقيم له ميثاقى عهدا مؤبدا ، ولنسله من بعد • وعلى اسماعيل ، استجبت لك • هوذا أباركه وأكبره وأكثره جدا جدا ، وسيلد اثنى عشر رئيسا • وأجعله لشعب كبير » ( انتهى بحروفه ) •

وانم سردناه لك على طوله ، اتقف على خيانة هذا المؤلف ودستائسه وزحرفته للباطل من وجوه عديدة : منها عزوه لتوراة فى سفر التكوين : أن ابراهيم كان يعبد الصنم • وهذه عبارات سفر التكوين بعينها وليس فيها سوى بيان خروجه عليه السلام من «حران» ونسبته الى الكتب السماوية أن الحنيفية اسم معادة الأصنام • والأمر بخلاف ذلك • قال الله تعالى « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما (١) » وليس فى الكتب السماوية ما يقرب من قوله • ومنها قوله : « ثم ورثه اسحق يعقوب ابنه الذى سماه الله اسرائيل ، ثم ورثه يعقوب الاثنى عشر سبطا ، فانه مضاف لما فى التوراة ، من قوله تعالى : « وعلى اسماعيل استجبت لك هوذا أباركه وأكبره وأكثره كثيرا جدا وسيلد اثنى عشر رئيسا وأجعله لشعب كبير »

---

(١) قال الله تعالى : « ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه »  
ومن ملته : أن يؤمن الناس بمحمد اذا جاء وذلك لدعاء ابراهيم : « ربنا  
وابعث فيهم رسولا منهم » فمن لا يؤمن بمحمد لا يكون  
مؤمنا بابراهيم ، ومن يؤمن  
بابراهيم فانه يؤمن بمحمد عليهما السلام •



فانظر أيها المنصف هذا المحرف كيف كتم من التوراة ما هو صريح في حق اسماعيل المولود منه النبي المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم والعرب الذين آمنوا به . وكانت فيهم الرؤساء المشر بهم في التوراة مع أن صراحة التوراة في ذلك لا تخفى على من له قلب ولا يتكرها إلا من عمى الله عين بصيرته وأضله على علم .

ومنها : أن التوراة في هذا السفر الذى يقفه فيه أن الختان فرض على أبناء ابراهيم ومن يولد منه ، فوصى به الى يوم القيامة ، وأخذ الميثاق عليهم كما تقدم لك في كلام التوراة مع أن المؤلف قد خان ميثاق الله سبحانه الذى أخذه عليهم مع اعترافه بأن التوراة حق ، وأنه متبع لها — على زعمه — ولم يخاتن ولم يجوز الاختتان . فقد نبذ عهد الله وميثاقه وراء ظهره باعترافه . وهذا من غاية الضلال والتناقض الذى لا يخفى على الأطفال . وسنورد ان شاء الله تعالى زمادة على هذا فى محله .

ولنذكر هذا المؤلف بقوله تعالى : « يا أهل الكتاب لم تلبسون

**الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون (١)** » والمقصود هنا : أن هذا المؤلف ادعى شيئاً تكذبه فيه الكتب السماوية والعقول الماضية من عبادة ابراهيم للأصنام ، مع أنه كسرهما وأدبى النار لذلك . فكانت عليه بردا وسلاما . فانظر كيف نسب الى التوراة قهلا ليس فيها ، وكتم حكما صريحا . تدل التوراة عليه بظاهرها وخافبها فحمل لنفسه العزلة وصار بين المسلمين وبنى اسرائيل مثله . وسلك بهوى لم نر أحدا سلك مثله ، وما هذا عن الساجدين للصوم ببعيد . نقصد نسبوا الى غيره من الأنبياء أيضا الكفر والزنا وعبادة الأصنام — كما يستراه مع رده مفصلا فى محله من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى .

---

(١) ليس الحق بالباطل هو وضع كلمة باطلة فى النص الأصلي . وتحريف الكلم من بعد مواضعه هو رفع الكلمة الأصلية ووضع كلمة بدلها تحتل معنى الكلمة الأصلية . وتحتل المعنى الباطل . وتحريف الكلم عن مواضعه هو تأويل النص تأويلا فاسدا . وهذا مبين فى كتابنا نقد التوراة — أسفار موسى الخمسة — نشر الكليات الأزهرية بالقاهرة .

## الفصل الثالث

؟

فان عيى : ما حكى سبحانه وتعالى فى سورة الأنعام عن سببنا ابراهيم عليه السلام من قوله عز وجل : « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال : هذا ربى » •

وقوله : « لئن لم يهدنى ربى لأكونن من النقوم الضالين » يدل بحسب الظاهر أنه لم يعرف ربه ، وظن أن الكوكب ربه فانه لم يكن مهتديا لقوله : « لئن لم يهدنى ربى » مع أنه قد تقدم أن ابراهيم وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها • فما جوابكم عن ذلك ؟ قلنا : عن هذا أجوبة ظاهرة فوية مقنعة لمن تدبرها :

**أحدها :** أن هذا القول من ابراهيم كان قبل البلوغ والتكليف ، لأنه لما كان فى السرب (١) مع أمه مختفية به خوفا من « النمرود » لما أراد قتل جميع الأولاد — رأى من شق الصخرة الموضوعه على رأس السرب • وقيل : رآه لما أخرجه أبوه من السرب ، وكان وقت غيبوبة الشمس ، قيل : رأى المشتري ، وقيل : الزهرة • وهذا منه عند قصور النظر : من الطفولية •

**ثانيها :** أن هذا القول بعد البلوغ قبل النبوة • والمقدم منه : قيام الحجة على قومه • كالمحاكى لما هو عندهم : وما يعتقدونه : لأجل الزامهم • قال العلامة والدنا عليه الرحمة فى تفسير روح المعانى : « وهذا القول من ابراهيم عليه السلام على سبيل الفرض وإرضاء العبادان مجازة مع أبيه وقومه الذين كانوا يعبدون الأصنام والآوانب •

(١) نشأة ابراهيم فى السرب ليس عليها دليل من القرآن •

غان المستدل على فساد قول : يحكيه ثم بكر عليه بالابطال » • وهذا هو الحق الحقيقي بالقبول •

**ثالثها :** ان في الكلام استقهما انكاريا محذوقا • وحذفة اداة الاستفهام كثير في كلامهم ، كما قال تعالى « **أمان مت فهم الخالدون ؟** »

أى أنهم الخالدون وقال الشاعر :

ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد الرمل والحصى والتراب

**رابعهم :** أنه مقول على سبيل الاستهزاء ، كما يقال لذليل ساد

قوما . هذا سعدكم •

**خامسها :** انه من باب الموافقة الظاهرة للقوم ، اذا أورد عليهم الدليل المبطل بقولهم كان قبولهم له أتم وانتفاعهم باسئماعه أكمل •

**وأمّا طلب الهداية فجوابه :** أن المراد اثن لم يثبتنى على

الهداية ويونقنى للحجة ، وليس المراد أنه لم يكن مهتديا لأن كافلة

الأنبياء عليهم السلام لم يزالوا على الهداية من أول الفطره • وفي

الآية دليل على أن الهداية من الله تعالى لأن ابراهيم أضانف الهداية

اليه سبحانه • وفي هذه الآية دليل من غير وجه على أن استدلاله

عليه اسلام نسس لنفسه بل كان محاجة لقومه ، وحمل هذا على أنه

عليه السلام استعجز نفسه فاستعان بربه عز وجل في درك الحق ،

فقال : « **ئن لم يهدنى ربى لأكونن من الضالين** » أى الدين

لا يهدون الحق فيظلمون أنفسهم ويحرمونها حظها من الخير •

بقى شىء يلزم التنبيه عليه : وهو أن قوله تعالى :

« واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلداً » . يعنى ممة شرفها الله تعالى .  
« آمنا واجنبني وبنى أن نعبد الأصنام رب انهن أضللن كثيراً من  
الناس فمن تبغى فإنه منى ومن عصانى ذاك شعور رحيم »  
أى بعد التوبة أو بأن تنتقله من الكفر الى الايمان عيقال : كيف طلب  
ابراهيم عليه السلام أن يبعد وبنيه عن عبادة الأصنام والأنبياء عليهم  
السلام جميعهم معصومون عن الكفر وعبادة غير الله تعالى ، ومن المعلوم  
أنه سبحانه يثبت الأنبياء عليهم السلام على الاجتناب ، وما الفائدة في  
سؤال التثبيت •

**فالجواب :** أن المراد على ما قال الزجاج طلب الثبات والدوام على  
ذلك ، أى ثبتنا على ما نحن عليه من التوحيد وملة الاسلام والسعد عن  
عبادة الأصنام •

وقال الفخر الرازى : « الصحيح فى الجواب أنه عليه السلام وان  
كان يعلم أن الله تعالى يعصمه من عبادة الأصنام الا أنه ذكر ذلك هضما  
لنفسه واطهارا للحاجة والفاقة الى فضل الله تعالى فى كل المطلب » •

وقال الموالد قدس سره فى تفسيره روح المعالى : « والجواب  
الصحيح عندى ما قيل ان عصمة الأنبياء عليهم السلام ليست لأمر  
طبيعى فيهم بل بمحض توفيق الله تعالى اياهم : وبفضله عليهم ، ولذلك  
صح طلبها • وفى بعض الآثار أن الله سبحانه قال لموسى عليه السلام  
يا موسى لا تأمن مكرى حتى تجوز الصراط ، وأنت تعلم أن البشرين  
بالجنة على لسان الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام كانوا كثيراً  
ما يستئلون الله تعالى الجنة مع أنهم مقطوع لهم بها •

ولعل منشأ ذلك ما قيل لموسى عليه السلام فتدبر ، والمتأدبر من  
بنيه عليه السلام من كان من صلبه ، فلا يتوهم أن الله تعالى لم يستجب  
دعاه ، لعبادة قريش الأصنام وهم من ذريته عليه السلام حتى يجاب

تما قاله بعضهم من أن المراد كل من كان موجودا حال الدعاء من أبنائه،  
ولا شك أن دعوته عليه السلام مجابة فيهم » ( انتهى باقتصار ) •

وستأتى ان شاء الله تعالى تنمة هذا البحث في محلها • والمقصد  
هنا : أن هذا النصراني كذب في نقله عن التوراة ، وسسوه في كاماته ،  
وادعى أن التوحيد انتقل الى اسحق وهذا خلاف الواقع أيضا ، فانه  
كما انتقل اليه انتقل الى أخيه لأكبر اسماعيل ، لأنكم أيها النصراني  
معترفون بنبوة اسماعيل فتقولك ان ابراهيم ورثة ابنه اسحق ، أي  
لا اسماعيل كما يفهم من كلامه فباطل قطعا كما سائر أراجيفه •

## الفصل الرابع

وأما قوله : « فلهذه الأسباب وغيرها ورثه ابراهيم أبوه التوحيد ، ثم ورثه اسحق يعقوب ابنه ، ثم ورثه يعقوب الاثنى عشر سبطا » الى آخره يريد أن التوحيد منحصر في ابراهيم وابنه اسحق وابنه يعقوب ، ثم أضمحل حتى تجدد عند بعثه موسى ، ثم تجدد لأمة عيسى .

### فيقال له :

أولا : كيف أخرجت اسماعيل من ذلك وهو الذى ورد فى التوراة أن الله تعالى بارك فيه وفى نسله ؟

وثانيا : كيف أثبت التوحيد ثم ردفته قريبا بعد أسطر بأوهية الابن الوحيد وجعلت الواحد ثلاثة والثلاثة واحدا ، غصار المسيح اما لها كاملا ، أو جزء اله ؟ وليت شعري التوحيد الذى ورثه موسى عن ابراهيم واسحق ويعقوب ، هل كان كتوحيد المثالين القائلين ان الرب يتولد من ذريتهم وخالقهم يكون من نسلهم ؟ وهل كانوا يعتقدون أن الههم سيحل فى بطن ابنتهم مريم ، ثم تلده ويكبر ويصلبه عباده ، مع أنه نزل ليخلصهم من الخطيئة وما شكروه بل أهانوه وصفعوه وقتلوه ثم قبر ، وبعد يومين حياى وصعد الى عرشه وجلس عن يمين أبيه ، أم ما كانوا يعتقدون ولا يعرفون ذلك ؟ فان قالوا عرفوه فلم لم يعلموا قومهم بما هنالك ؟ وأن قالوا لم يعرفوا ولم يعتقدوا فكل منهم على زعم النصارى هالك .

ويعجبني ما كتبه الشيخ عبد الله المترجمان الذى كان قسيسا مشهورا عندهم ، وأسلم ، فى رسالته المسماة : تحفة الأريب فى رد أهل الصليب ما نصه : « ويلزم النصارى أشنع ما يكون عند جميع العقلاء :

وهو ان كان المسيح خالقا أزليا كما يعتقدون مع كونه لحما ودما ، فقد جعلوا بعض الرب المعبود أزليا خالقا وبعضه محدثا لأن المسيح أقر بأنه لحم ودم بنص انجيلهم ، فاللحم والدم يتولدان من الأغذية والأشربة ، وهى من أجزاء الدنيا فيكون على قولهم خالق الدنيا كلها هو جزء من أجزائها • ذلك الجزء هو خالق مخلوق أيضا ، لأنه جزء من الدنيا التى هى مخلوقة له ، وهذا أشنع ما يكون من دعاوى البهتان ، وأبعد ما يتصور من معقولية الانسان • ويلزمهم أيضا : أن يكون بعض الدنيا هو خالق لجميع الدنيا ، وبعض الشيء لا يوجد الا بوجود كله ، وما ليس بموجود ولا معقول فليس بشئ ، فخالق الدنيا على قولهم معدوم غير موجود ، ومجهول غير معقول » •

**ويقال لهم :** قد نطق الانجيل الأول : أن المسيح قد قلم أظفاره وقص شعره ، ونما جسده طولا وعرضا • فان كان خالقا أزليا وقد بانث بعض أجزائه وصارت رميمة وتلاشت حتى لم يبق لها وجود ، فالخالق الأزلى على هذا قد فسد بعضه وتلاشى وبقي بعضه على خالقه ، ومن فسد بعضه فالفساد واصل الى كله ، ومن كان له كل وبعض فهو محتاج الى ما يحمله ويمده ، ومن كان بهذه الصفة فهو مفنقر ، وليس بغنى • والاله الخالق الأزلى ليس له شبيهه ولا مثل ولا يحتاج شيئا من مخلوقاته ولا يلحقه نقص ولا تغير ولا تحول ، وهو القادر الغنى وجميع الخلق اليه فقراء ، وهو كما وصف سبحانه نفسه « **ليس كمثله شئ** وهو السميع البصير » انتهى وسيأتى الكلام مستوفى على ابطال التثليث قريبا فى محله ان شاء الله تعالى •

**قوله « وهو اسحق الذبيح »** اعلم : ان هذا مما حرفته اليهود فى التوراة كما سيتضح لك الحال قريبا ان شاء الله تعالى لأن الذبيح هو اسماعيل عليه السلام لا اسحاق عليه السلام ولنذكر لك عبارته التوراة أولا ثم نكشف لك الحال بعون الملك المتعال • قال فى الأصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين كما فى النسخ التى عندنا الآن

ما لفظه « امنحن الله ابراهيم وقال له ابراهيم ابراهيم • فأجاب : هوذا  
أنا • فقال له : خذ ابنك الوحيد الذى تحبه اسحق وانطلق الى أرض  
الرؤيا ، وارفعه هناك وقودا على أحد الجبال الذى أريك • فقام ابراهيم  
ليلا وشد على حماره وأخذ معه غلامين واسحق ابنه وشقق حطبا  
للوقوقود ، ومضى الى الموضع الذى قال له الله • وفى اليوم الثالث رفع  
عينيه فتنظر المكان من بعيد ، وقال لغلاميه امكنا هنا مع الحمار ، وأنا  
والصبي فاننا نمضى الى هناك مسرعين ، وبعد ما سجدنا نعود اليكما •  
فأخذ أيضا حطب اللوقود ووضع على اسحق ابنه ، وهو أخذ بيده  
الذار والسكين ومضى الاثنان جميعا • فقال اسحق لأبيه : أبنا • قال:  
مالك يا ابني • فقال له هو ذا الذار والحطب ، فأين الذبيحة للوقود ؟  
فقال ابراهيم : الله يرى له ذبيحة للوقود يا ابني وانطلقا معا فبلغنا  
الموضع الذى أمره الله فابتنى به مذبحا وجعل عليه الحطب ، وربط  
اسحق ابنه فوضعه على المذبح فوق الحطب ، وبسط يده وأخذ السكين  
ليذبح ابنه ، فاذا ملاك الرب ناداه من السماء قائلا : ابراهيم ابراهيم •  
وهو أجاب : أنا ذا فقال له : لا تمدد يدك على الغلام ولا تفعل به شيئا  
فالآن علمت أنك تخاف الله ، ولم تشفق على ابنك الوحيد من أجلى ،  
فرفع ابراهيم عينيه فرأى من ورائه كئيبا بين الشوك موثقا بقرنيه •  
وأخذه فرفعه وقودا عوض ابنه ، ودعى اسم ذلك المكان الرب يرى »

قال العلامة ابن القيم فى كتابه اغاثة اللهفان فى بحث أن التوراة قد  
زيد فيها وغير بعض ألفاظها وأن أكثرها باق على ما أنزل عليه ، والتبديل  
فى يسير منها جدا : ان هذا القول هو الذى اختاره شيخه شيخ الاسلام  
فى كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، فانه قال : « وهذا  
كما فى التوراة عندهم : أن الله سبحانه قال لابراهيم : اذبح ابنك  
بكرى ووحيدك اسحق » فاسحق زيادة منهم فى لفظ التوراة ، وهى  
باطلة قطعا من وجوه عشرة :

**احدها :** ان بكره ووحيديه هو اسماعيل باتفاق الملل الثلاث فالجمع  
بين كونه مأمورا بذبح بكره وتعيينه باسحق جمع بين التقيضين •



**الثانى :** ان الله سبحانه أمر ابراهيم أن ينقل هاجر وابنها اسماعيل عن سارة ، ويسكنها في برية مكة ، لاثلا تغير سارة ، فأمره بابعاد سريته وولدها عنها ، حفظا لقلبها ودفعاً لأذى الغيرة عنها . فكيف يأمر سبحانه بعد هذا بذبح ابن سارة ، وابقاء ابن السرية ؟ فهذا مما لا تقتضيه الحكمة .

**الثالث :** ان قصة الذبح كانت بمكة قطعاً ، ولهذا جعل الله تعالى ذبح الهدايا والقرايين بمكة ، تذكير اللأمة بما كان من قصة أبيهم ابراهيم مع ولده .

**الرابع :** ان الله سبحانه بشر سارة أم اسحق باسحق ، ومن وراء اسحق يعقوب ، فبشرها بهما جميعاً ، فكيف يأمر بعد ذلك بذبح اسحق وقد بشر أبويه بولد ولده . ؟

**الخامس :** ان الله عز وجل لما ذكر قصة الذبيح وتسليمه نفسه ، واقدام ابراهيم على ذبحه ، وفرغ من قصته قال بعدها أى فى القرآن العظيم « وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين » فشكر الله تعالى له استسلامه لأمره وبذل ولده ، وجعل من اثباته على ذلك أن آتاه اسحق فنجى اسماعيل من الذبح وزاد عليه اسحق .

**السادس :** ان ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه سأل ربه الولد . فأجاب الله تعالى : دعاه وبشره به ، فلما بلغ معه السعى أمره أن يذبحه قال تعالى : « وقال انى ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لى من الصالحين فبشرناه بغلام حليم » فهذا دليل على أن هذا الولد انما بشر به بعد دعائه وسؤاله ربه أن يهب له ولداً . وهذا المبشر به هو المأمور بذبحه قطعاً بنص القرآن ، واما اسحق فانه بشر به من غير دعوة منه ، بل على كبر السن ، وكون مثله لا يولد له وانما كانت اليشارة لامرأته سارة . ولهذا تعجبت من حصول الولد منها ومنه .

قوله تعالى : « ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامراته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت يويلتى أألد وأنا عجوز ، وهذا بعلى شيئا ؟ ان هذا لشيء عجيب ، قالوا : أتعجبين من أمر الله » فتأمل سياق هذه البشارة وتلك ، تجدهما بشارتين متفاوتتين ، مخرج احدهما غير مخرج الأخرى . والبشارة الأولى كانت له والثانية كانت لها ، والبشارة الأولى هى التى أمر بذبح من بشر به فيها دون الثانية .

**قلت** : ما قاله هذان الشيخان ولا سيما هذا الوجه السادس هو الحق الموافق لعبارة لتوراة . وقصة البشارتين فيها نحو ما فى القرآن الكريم وفيها : أن ابراهيم عليه السلام كان عمره حينما ولد له اسماعيل من هاجر سقا وثمانين سنة ، ولما بشر باسحق كان عمره مائة سنة ، وعمر سارة تسعين سنة ، وأنه اختتن حينما كان عمره تسعة وتسعين سنة ، وكان اسماعيل أكمل ثلاث عشر سنة . وفى ذلك اليوم اختتن اسماعيل أيضا ، وأنه بعد ختانها بشر باسحق . وعبارة التوراة فى البشارة هكذا : « وقال ابراهيم لله : ليت اسماعيل يعيش بين يديك . فقال الله لابراهيم سارة زوجتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه اسحق وأقيم له ميثاقى ، عهدا مؤبدا ولنسله من بعده . وعلى اسماعيل استجبت لك . هوذا أباركه وأكبره وأثره جدا جدا ، فيلد اثنى عشر رئيسا وأجعله لشعب كبير ، فأما ميثاقى أقيمه لاسحق الذى تلده لك سارة فى هذا الحين فى السنة الأخرى » فاذا قرأت عبارة التوراة المفصلة فى بحث البشارة باسماعيل والبشارة باسحق ، ولا سيما هذه العبارة ، يتضح لك الحال : أن الذى ينبغي أن يكون مأمورا بذبحه هو اسماعيل لا اسحق . وقوله عليه الصلاة والسلام . « أنا ابن الذبيحين » مؤيد لما قلنا كما لا يخفى .

السابع : ان ابراهيم لم يقدم باسحق الى مكة البتة ، ولم يفرق

بينه وبين أمه ، وكيف يأمر • الله سبحانه أن يذهب بابن امرأته فيذبحه بموضع ضرثها وفي بلدها ، ويدع ابن ضرثها •

**الثامن :** ان الله تعالى لما اتخذ ابراهيم خليلا ، والخلة تتضمن أن يكون قلبه كله متعلقا بربه وليس فيه سعة لغيره ، فلما سأله الولد ، وهبه اسماعيل فتعاق به شعبة ، فأراد خليله سبحانه أن تكون تلك الشعبة له ليست لغيره من الخلق ، فامتنحه بذبح ولده ، فلما أقدم على الامتثال خلصت له تلك الخلة ، وتمحصت لله وحده ، فنسخ الأمر بذبحه بحصول المقصود وهو العزم وتوطين النفس على الامتثال • ومن المعلوم : أن هذا انما يكون في أول الأولاد ، لا في آخرها • فلما حصل هذا المقصود من الولد الأول لم يحتج في الولد الآخر الى مثله ، فإنه لو زاحمت محبة الولد الآخر الخلة لأمر بذبحه كما أمر بذبح الأول • فلو كان المأمور بذبحه هو الولد الآخر لكان قد أقدمه في الأول على مزاحمة الخلة به مدة طويلة ، ثم أمره بما يزيل المزاحم بعد ذلك • وهذا خلاف مقتضى الحكمة ، فتأمله •

**التاسع :** ان ابراهيم عليه السلام انما رزق اسحق على الكبر واسماعيل رزقه في عنفوانه وقوته ، والعادة : أن القلب أعلق بأول الأولاد وهو اليه أميل وله أحب بخلاف من يرزقه على الكبر ، ومحل الولد على الكبر كمحل الشهوة للمرأة •

**العاشر :** أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يفتخر بقوله : « **أنا ابن الذبيحين** » يعنى أباه عبد الله وجده اسماعيل ، وانما زادت اليهود في التوراة لفظ اسحاق افتخارا ، لأنه جدهم كما لا يخفى •



**قوله :** « وبهذا القول تخاطب فرعون اذا دخلت عليه : أهيه أشر أهيه أرسلنى اليكم ، وتفسيره ... الخ » •

اعلم : أن هذا النصراني حرف هنا ما في التوراة لفظا ومعنى •

وهذه الآيات من الأصحاح الثالث من سفر الخروج ولفظها : « فقال موسى لله : هوذا أنا أذهب الى بنى اسرائيل وأقول لهم : اله آبائكم أرسلنى اليكم وقال الله أيضا موسى : هكذا نقول لبنى اسرائيل : الرب لموسى : أهيه أشر أهيه وقال له هكذا تقول لبنى اسرائيل : أهيه أرسلنى اليكم وقال الله أيضا موسى : هكذا تقول لبنى اسرائيل : الرب اله آبائكم اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب أرسلنى اليكم ، هذا اسمى الى الدهر ، وهذا هو ذكرى الى جيل الأجيال فاذهب اجمع شيوخ بنى اسرائيل وقل لهم : الرب اله آبائكم استعنان على » •

وفي الاصحاح التاسع منه أيضا : «فقال الرب لموسى ادخل الى فرعون وقل له : هذا ما يقول الرب اله العبرانيين : سرح شعبي ليذبح لى»

- وفي كلام هذا النصرانى غلط وتحريف فى الألفاظ والتأويل
- أما تحريف الألفاظ فقد ظهر لك من مقلنا لعبارة التوراة •

وأما تحريف المعنى والتأويل : فان معنى « أهيه أشر أهيه » الحى القيوم ، وأنا هو الذى أنا أو أنا كائن الذى أنا كائن على ما قال مفسروهم ، وليس معناه ما اختلقه ، كما لا يخفى •

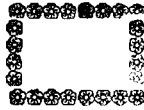
وتأويله لتكرار لفظ الاله بتعدد الآلهة لتكرره سذكر ابراهيم واسحق ويعقوب ، بطلانه أظهر من الشمس ، لأنه سبحانه قال أيضا : الرب اله العبرانيين • والعبرانيون كثيرون لا يحصى عددهم الا الله تعالى ، فيقتضى أن تكون الآلهة متعددة بتعدددهم • وكذا قوله فى أول هذه الآيات : اله آبائكم أرسلنى ، وابلؤهم متعددون أيضا • وستأتى تنمة لهذه الأبحاث المتقدمة • ان شاء الله تعالى فانظرها ولا تغفل •



**قال النصرانى :** « فجدد فى هذا الموضوع فى الظاهر ذكر التوحيد والغزغن سر الثالوث حيث قال اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب ،

فكرر بذلك القول ذكر الثلاثة الأتانيين بعد ذكر التوحيد كما كان قديما فهو واحد ذو ثلاثة أتانيين لا محالة لأنه أجمل في قوله اله آبائكم ثم قال مكررا اسم الجلالة ثلاث مرات ، أفنتقول : انها ثلاثة آلهة أم اله واحد مكرر ثلاث مرات ؟ فان قلنا : انها ثلاثة آلهة ، أشركنا وجئنا بأشنع القول وأمله • وان قلنا : اله واحد مكررا ثلاث مرات ، فنكون قد بخينا ، الكتاب حقه ، لأنه كان قد يمكنه أن يقول : اله آبائكم ابراهيم واسحق ويعقوب • وانما كرر ذلك للإشارة بأن في هذا الموضع سرا ، وهو أن الله واحد ذو ثلاثة أتانيين ، فثلاثة أتانيين اله واحد ، واله واحد ثلاثة أتانيين فأى دليل أوضح ، وأى نور أضوى من هذا ، الا لمن عاند الحق وأراد أن يعش نفسه ، ويعمى عين تمييزه ، ويصم سمع عقله عن استماع سر الله الذى أودعه في كتبه التى أنزلها على أنبيائه ، وهى أكرمك الله فى أيادى أصحاب التوراة الى هذه الغاية ، لم يكونوا يفهمونه حتى جاء صاحب السر الذى هو المسيح سيدنا وكشفه لنا وأفهمناه » •

• أقول الكلام على هذه السطور فى فصول



## الفصل الاول

أعلم : أن هذه المسألة وهى التثليث مسألة شنيعة مغايرة للعقل والنقل ، ولم يقبلها غير النصارى وهى أسوء والعياذ بالله تعالى — من عقيدة الجوس ومشركى العرب والذهرية لأن كثيرا من الجوس جعلوا الخالق واحدا ، وهو الله سبحانه وجعلوا النور والظنمة الهين بمعنى اسناد الحوادث اليهما كما تسندها الفلاسفة الى الحركة الدورية ، كما سنفصل ذلك فى محله • ان شاء الله تعالى •

والمشركون انما عبدوا الأصنام لتقربهم الى الله زلفى كما حكى الله تعالى ذلك عنهم ، والذهرية انما أنكروا البارى سبحانه وجعلوا الحوادث منسوبة الى شىء واحد ، ولم يعددوه ، فالعقول لا تقبل التجزؤ والاتحاد والحلول ، ولا يقول بها الا كافر أو جهول ، والنقل عن الكتب السماوية موافق لصحيح العقول • وليت شعرى كيف يسوغ لعاقل أن يتفوه بالتثليث ، ويستدل على ذلك بأن الله سبحانه قال فى التوراة فى سفر الخروج مخاطبا لموسى عليه السلام « لأنه نوالى ههنا حل الحذاء من رجليك من أجل أن المكان الذى أنت فيه قائم ، أرض متدسة • وقال له : انى أنا الله اله آبائك اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب • فغطى موسى وجهه من أجل أنه خشى أن ينظر نحو الله » • انتهى

ويجعل هذا النصرانى تكرر لفظ الاله دليلا على تعدد الآلهة ويجعلها أقنانيم ثلاثة ، ثم تكون الها واحدا • فهل هذا الا مكابرة للبديهيات ، ويقتضى على زعمه أنا اذا قلنا : زيد أب ليكر وأب لخالد وأب لعمرو وأب لبشر ، أن يتعدد زيد ويكون أربعة آباء • وعلى هذا كان اللازم فى التوراة عند خطابه لموسى وبنى اسرائيل بالهك والمهكم أن يقول : آلهكم بالجمع والتعديد • على أن التوراة مترجمة بالعربية وفى كثير من ترجمتها لحن مغاير لقواعد العربية ، بل وكثير منها محرف • على أن بعضها مروى بالمعنى • واذا رجعنا الى القواعد النحوية وأساليب العربية

فيكون هذا التعبير مؤكدا لتوحيد الاله لا معددا له • وعلى زعمه :  
أن البارزى سبحانه رمز على التثليث بالترار ، فان كان التثليث هو  
المطلوب من العباد ، فلم يلغز ويرمز ولم يصرح بهذه العقيدة المطلوبة؟  
وكيف يلقي الحجة على عباده بالرمز دون التصريح ؟ فهل هذا الا ادعاء  
باطل ؟ على أنا ان سلمنا أن هذا لفظ التوراة المنزلة بعينه فأى دلالة  
فيه على تعدد الأقانيم ، وجعلها لها واحدا ؟ ولا يخلو الحال هنا من  
وجهين : اما خفاء ذلك على سيدنا الكليم عليه السلام واخوانه الرسل  
حتى جاء عبد المسيح وأمثاله بعد ألوف سنين ، وفهموا وعلموا من هذا  
الرمز ما لم يعلمه الكليم ، وأما علمه واخفاء عن بنى اسرائيل ، فيكون  
بلغ رسالته اليهم ناقصة ، بل كأنه لم يبلغ شيئا أصلا ، لأن معرفة  
الرب سبحانه مقدمة على بيان الأحكام ، فإذا لم يعرفهم ان الاله مركب  
من ثلاثة أقانيم وهى الآب والابن وروح القدس ، وهى مع أنها ثلاثة  
فهى اله واحد ، فقد خان الرسالة أو جهل الربوبية ولم يعرف الهه ،  
لأن عيسى جزء من الهه ، فإذا لم يعرف موسى الجزء فيصدق أنه ماعرف  
الكل . أو عرف لقومه بعض الهه وترك بعضه وجزءه - تعالى الله عما  
يقول الظالمون وتبرء موسى عما يظنه الخراصون - ولا يستبعد هذا من  
النصارى فكم وكم لهم هذيانا لا تقبلها العقول ، ويردها صريح  
المنقول •

ونحو هذا مما يستأنسون به لأمر التثليث والاعتقاد الخبيث :  
ما نقله الشيخ الامام والدنا عن العلامة محمد بن سعيد البوصرى  
رحمهما الله تعالى - أن بعض النصارى انتصر لدينه وانتزع عن  
البسمة الشريفة دليلا على تقوية اعتقاده فى المسيح عليه السلام فقلب  
حروفها ، وأنكر معروفها وفرق مألوفها وقدم فيها وأخر وفكر وقدر •  
فقتل كيف قدر ، ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر ، فقال : قد انتظم  
من البسمة «المسيح بن الله المحرر(١)» فقلت له حيث رضيت البسمة بيننا

---

(١) المسيح ابن الله المحرر : هذه العبارة استدلت بها بعض النصارى  
على أنها بحساب الجمل تساوى حروف البسمة بحساب الجمل . =

وبينك حكما وحزفت فيها أحكاما وحكما فلتتصرن البسمة منا الأختيار  
على الأثرار ولتتقضن أصحاب الجنة على أصحاب النار اذ تالت  
البسمة بلسان حالها : انما الله رب المسيح راحم - النحر لأمم لها المسيح

= والحساب هكذا في البسمة :

١ = ا	٤٠ = م	٦٠ = س	٢ = ب
١ = ا	٥ = هـ	٣٠ = ل	٣٠ = ل
٤٠ = م	٨ = ح	٢٠٠ = ر	٣٠ = ل
٢٠٠ = ر	٣٠ = ل	١ = ا	٥٠ = ن
= فالمجموع	٤٠ = م	١٠ = ي	٨ = ح

والمسيح ابن الله المحرر هكذا :

٦٠ = س	٤٠ = م	٣٠ = ل	١ = ا
٢ = ب	١ = ا	٨ = ح	١٠ = ي
٣٠ = ل	٣٠ = ل	١ = ا	٥٠ = ن
٤٠ = م	٣٠ = ل	١ = ا	٥ = هـ
= فالمجموع	٢٠٠ = ر	٢٠٠ = ر	٨ = ح

وحساب الجمل هو :

٤ = د	٣ = ج	٢ = ب	١ = ا
٨ = ح	٧ = ز	٦ = و	٥ = هـ
٣٠ = ل	٢٠ = ك	١٠ = ي	٩ = ط
٧٠ = ع	٦٠ = س	٥٠ = ن	٤٠ = م
٢٠٠ = ر	١٠٠ = ق	٩٠ = ص	٨٠ = ف
		٣٠٠ = ت	٤٠٠ = ث

وقد رد عليهم بعض المسلمين بجمل تفيد بحساب الجمل انهم من  
أهل النار . وحساب هذه الجمل مساوى لحساب ( المسيح ابن الله  
المحرر ) وقد يزيد أو ينقص قليلا : منها :

- ١ - انما الله رب المسيح راحم
- ٢ - النحر لأمم لها المسيح رب
- ٣ - ما برح الله راحم المسلمين
- ٤ - سل ابن مريم أهل لله الحرام ؟
- ٥ - لا المسيح ابن الله محرر
- ٦ - لا مرحمة لتثام ابن السحرة
- ٧ - رحم حر مسلم آتاب الى الله
- ٨ - لله نبي مسلم حرم الراح
- ٩ - ربح مال لحمه الايمان .

وقال المؤلف : ان جملة ( ان مثل عيسى كآدم ليس لله من شريك )  
وجملة : « ولا أشرك بربى أحدا » وجملة « يهدى الله لنوره من يشاء »  
كل جملة تقارب جملة بسم الله الرحمن الرحيم في العدد .



رب — ما برح الله راحم المسلمين — سل ابن مريم أحل له الحرام —  
لا المسيح ابن الله محرر — لا مرحمة للثام ابن السحرة — رحم حر  
مسلم أناب الى الله — لله نبى مسلم حرم الراح — ربح رأس مال لحمه  
الايمان • ثم قال له : « ولا تحسبنى استحسننت كلمتك الباردة ،  
فنسجت على منوالها ، وقابلت الواحدة بعشر أمثالها » بل أتيتك بما  
يغنيك ، فيبيهتك • ويسمك ما ييمك عن الاجابة فيصمك • فتعلم أن  
هذه البسمة مستقر لسائر العلوم والفنون ، مستودع لجوهر سرها  
المكنون • ألا ترك أن البسمة اذا حصلت جملتها كان عددها سبعمائة  
وستة وثمانين ، فوافق جملها ان مثل عيسى كآدم ليس لله من شريك  
بحساب الألف التى بعد لامى الجلالة — ولا أشرك بربى أحدا —  
يهدى الله لنوره من يشاء — باسقاط ألف الجلالة — فقد أجابتك البسمة  
بما لم نخط به خبرا ، وجاءك ما لم تستطع عليه صبيرا » (انتهى باقتصار)

**واستمع الآن ما نتلوه عليك فى الفصل الثانى :**



## الفصل الثاني

قال الله تعالى : « يا أهل الكتاب لا تغفوا في دينكم ولا تقولوا على الله  
الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم  
وروح منه فامنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله  
اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله  
وكيلا . ان يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن  
يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين آمنوا  
وعملوا الصالحات فيوفئهم أجورهم ويزيدهم من فضله . وأما الذين  
استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله  
وليا ولا نصيرا » .

فاعلم : أن هذه الآية الكريمة خطاب للنصارى وزجر لهم عما هم عليه  
من الضلال البعيد كما ذهب اليه جماعة من المفسرين وعن الحسن أنه  
خطاب لهم وللإهود ، لأن الغلو — أى مجاوزة الحد والافراط النهى  
عنه — وقع منهم جميعا .

أما النصارى : فقال بعضهم : عيسى عليه الصلاة والسلام — ابن  
الله عز وجل وبعضهم : أنه الله سبحانه — واخرون : ثالث ثلاثة .

وأما اليهود : فأكثرهم قالوا انه عاينه السلام ولد لغير رشدة ونسبوه  
الى يوسف النجار ، فأمرهم الله سبحانه أن لا يقولوا على الله الا الحق  
دون القول المتضمن لدعوى الاتحاد والخلول واتخاذ صاحبة الولد ،  
وبين لهم عز شأنه أن عيسى بن مريم رسول الله لا يتخطى رتبة الرسالة  
الى ما يقولون « وكلمته » أى حصل بكلمة كن من غير مادة معتادة كما  
في آية أخرى : « اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يشرك بكلمة منسه  
اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين »  
وقال الغزالي — قدس سره — لكل مولود سبب تقريب وبعيد فالأول

المنى والثانى قول كن • ولما دل الدليل على عدم القريب فى حق عيسى عليه السلام أضافه الى البعيد وهو قول كن اشارة الى انتقاء القريب • وقال بعضهم : يجوز أن يكون الايجاد من منى الأنثى فقط أو بما ينضم اليه مما لا يعلمه الا الله تعالى بحالة تصلح أن تكون مادة • وقصارى ما يلزم من ذلك الاستبعاد • وهو لا يجدى نفعا فى أمثال هذه المقامات • ويجوز أيضا أن يقيم الله تعالى غير المنى مقام المنى ، وأى محال يلزم فى ملك ؟ ألا ترى كيف أقيم التراب مقام المنى فى أصل النوع ؟ على أن كثيرا من الحيوانات تتولد بلا زوجين ، فهذا الذباب الذى نراه فى القول والبقلاء ، والفأرة التى تتولد من الطين ، أعظم دليل على أن خلقه آدم وعيسى عليهما السلام بلا واسطة الزوجين •

وقال كثير من المفسرين : اطلاق الكلمة على من أطلقت عليه باعتبار أنه خالق من غير واسطة أب ، بل بواسطة كن فقط ، على خلاف أفراد بنى آدم فكان تأثير الكلمة فى حقه أظهر وأكمل ، فهو كقولك لمن غلب عليه الجود مثلا : محض الجود • وايدوا ذلك : بقوله تعالى : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » وقيل : أطلق عليه ذلك ، لأن الله تعالى بشر به فى الكتب السالفة • وفى التوراة فى الفصل الثالث والثلاثين من السفر الخامس : « أقبل الله من سيناء ، وتجلى من ساعير ، وظهر من جبال فاران » وسيناء جبل التجلى لموسى ، وساعير جبل بيت المقدس ، وكان عيسى يتعبد فيه ، وفاران جبل مكة • وكان المتحنث فيه سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا كقول من يخبر بالأمر اذا خرج موافقا لما أخبر به : قد جاء كلامى • وقيل : لأن الله تعالى يهدى بكلمته • وقيل يمكن أن يقال : انها لما تخيلت صورة جبريل كفى ذلك فى علوق الولد فى رحمها لأن منى الرجل ليس الا لأجل العقد ، فاذا حصل الانعتاد لمنى المرأة بوجه آخر أمكن علوق الولد » انتهى

قال الوالد عليه الرحمة ليس بشيء • لأنه يعود بالفتنص لحضرة البتول ، وأنها لتنزّه ساحتها عن مثل هذا التخيل كما لا يخفى فى جواب

هذه الطاهرة ليوسف النجار ما قلناه : فقد أخرج اسحق بن بشير وابن عساكر عن وهب أنه قال : لما استقر حمل مريم وبشرها جبريل وثقت بكرامة الله تعالى ، واطمأنت به نفسا ، وأول من اطلع على حملها ابن خال لها يقال له يوسف • واهتم لذلك وأحزنه وخشى البلية منه لأنه كان يخدمها ، فلما رأى تغير لونها وكبر بطنها ، عظم عليه ذلك فقال معرضا لها : هل يكون زرع من غير بذر ؟ قالت نعم • قال : وكيف يكون ذلك ؟ قالت : ان الله خلق البذر الأول من غير نبات ، وأنبت الزرع الأول من غير بذر • ولعلك تقول : لم يقدر أن يخلق الزرع الأول الا بالبذر ، ولعلك تقول : لولا أن استعان الله عليه بالبذر لغلبه حتى لا يقدر على أن يخلقه ولا يئبته • قال يوسف : أعوذ بالله أن أقول ذلك • صدقت وقلت بالنور والحكم وكما قدر أن يخلق الزرع الأول وينتته من غير بذر ، يقدر أن يجعل زراعا من غير بذر • فأخبريني : هل ينبت الشجر من غير ماء ولا مطر ؟ قالت : ألم تعلم أن للبذر والماء والمطر والشجر خالقا واحدا ؟ فلعلك تقول : لولا الماء والمطر لم يقدر على أن ينبت الشجر ، قال : أعوذ بالله تعالى أن أقول ذلك ، قد صدقت ، فأخبريني خبرك • قالت : بشرنى الله تعالى « بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم » الى قوله تعالى : « ومن الصالحين » فعلم يوسف أن ذلك أمر من الله تعالى بسبب خير ، أراده بمريم ، فسكت عنها • فلم تنزل على ذلك ، حتى ضربها الطلق ، فنوديت : أن أخرجى من المحراب ، فخرجت •

وقوله تعالى : « وروح منه » قال المفسرون : انما سمي عليه السلام روحا لأنه حدث عن نفخة جبريل عليه السلام في درع مريم عليها السلام بأمره سبحانه ، وجاء تسمية النفخ روحا • ومنه قول ذى الرمة •

في نار واجها بروحك

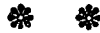
ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لروح ، وهى لانتداء الغاية مجازا ، لا تبغيضية ، كما زعمت النصارى •

ويحكى أن طبيبا نصرانيا حاذقا للرشييد ناظر على بن الحسين  
الواقدي المروزي ذات يوم ، فقال له ان في كتابكم ما يدل على أن عيسى  
عليه السلام جزء منه تعالى . وتلا هذه الآية فقرأ الواقدي قوله  
تعالى : « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه »  
فقال : اذن يلزم أن تكون جميع الأشياء جزءا منه سبحانه وتعالى  
علوا كبيرا ، فانقطع النصراني ، فأسلم وفرح الرشييد فرحا شديدا ،  
ووصل الواقدي بصلة فاخرة .

وقيل : سمي روحا لأن الناس يحيون به كما يحيون بالأرواح .  
وقيل : الروح بمعنى الرحمة كما في قوله تعالى : « وأيدهم بروح منه »  
على وجه . وقيل : أريد بالروح الوحي الذي أوحى الى مريم عليها  
السلام بالبشارة . وقيل : جرت العادة بأنهم اذا أرادوا وصف شيء  
بغاية الطهارة والنظافة قالوا انه روح ، فلما كان عيسى عليه السلام  
متكونا من النسخ لا من النطفة وصف بالروح . وقيل : أريد بالروح  
السر كما يقال : روح هذه المسألة كذا أي أنه عليه الصلاة والسلام سر  
من أسرار الله تعالى واية من آياته سبحانه . وقيل : المراد ذو روح على  
حذف المضاف . واستعمال الروح في معنى ذى الروح والاضافة الى  
الله تعالى تشریف .

ونظير ذلك ما في التوراة : أن موسى عليه السلام رجل الله ، وعصاه  
قضييب الله ، وأورشليم بيت الله . قال الوالد في روح المعاني : « وعلى  
المعلات لا حجة للنصارى على شيء مما زعموا في تشریف عيسى عليه  
السلام بنسبة الروح اليه ، اذ لغيره عليه السلام مشاركة له في ذلك .  
ففى انجيل لوقا قال يسوع لتلاميذه : « ان أباكم السماوى يعطى روح  
القدس للذين يسألونه » - وفى انجيل متى : « ان يوحنا المعمدانى  
امتلا من روح القدس وهو فى بطن أمه » - وفى التوراة : « قال الله  
تعالى لموسى اختر سبعين من قومك حتى أفيض عليهم من الروح التى  
عليهم فيحملوا عنك ثقل هذا النعت ، فأفاض عليهم من روحه فثبتوا  
لساعتهم » - وفيها فى حق يوسف عليه السلام يقول الملك : « هل

وأيتهم مثل هذا الفتى الذى روح الله حال فيه « — وفيها أيضا : ان روح الله تعالى حلت على دانيال ، الى غير ذلك • ولعل الروح فى جميع ذلك أمر قدسى وسر الهى يفيضه الله تعالى على من يشاء من عباده ، حسبما يشاء ، وفى أى وقت يشاء • واطلاق ذلك على عيسى عليه السلام من باب المبالغة ، على حد ما قيل زيد عدل • وليس المراد به الروح الذى به الحياة أصلا ، لاستحالة ذلك بالبداهة والضرورة • وقد يظهر ذلك بصورة كما يظهر الموت يوم القيامة بصورة الكبش ، ويذبح بين أهل الجنة وأهل النار • ويؤيد ذلك ما فى انجيل متى فى تمام الكلام على تعميد عيسى عليه السلام : أن يسوع لما تعمد وخرج من الماء انفتحت له أبواب السماء ونظر روح الله جاءت له فى صفة حمامة ، واذا بصوت من السماء : هذا ابنى الحبيب الذى سرت به نفسى • فانه على تقدير صحته يهدم ما يزعمه النصرانى من أنه عليه السلام تجسد بروح القدس فى بطن أمه • وما فيه من وصفه عليه السلام بالنبوة سيأتى ان شاء الله تعالى الجواب عنه •



### الفصل الثالث

قوله تعالى : « ولا تقولوا ثلاثة » أى الآلهة ثلاثة الله سبحانه ،  
والمسيح ، ومريم • كما ينبىء عنه قوله تعالى : « أنت قلت للناس  
اتخذونى وأمى الهين من دون الله » ؟ اذ معناه : الهين غير الله ، فيكونان  
معاً ثلاثة • أو الله سبحانه ثلاثة ، ان صح عنهم أنهم يقولون : الله  
تعالى جوهر واحد ثلاثة أقنانيم أقنوم الآب وأقنوم الابن وأقنوم روح  
القدس ، وأنهم يريدون بالأول الذات أو الوجود ، وبالثانى العلم أى  
الكلمة ، وبالثالث الحياة • كذا قيل : قال الشيخ الامام الواجد عليه  
الرحمة فى تفسيره : وتحقيق الكلام فى هذا المقام — على ما ذكره  
بعض المحققين — أن النصارى اتفقوا على أن الله تعالى جوهر بمعنى  
قائم بنفسه غير متحيز ولا مختص بجهة ولا مقدر بندر ولا يقبل  
الحوادث بذاته ولا يتصور عليه الحدوث والعدم • وأنه واحد  
بالجوهرية ثلاثة بالأقنومية ، والأقنانيم صفات للجوهر القديم ، وهى  
الوجود والعلم والحياة • وعبروا عن الوجود بالآب والحياة بروح  
القدس ، والعلم بالكلمة • ثم اختلفوا •

فذهب بعض المكنانية (١) أصحاب ملكا الذى ظهر بالروم واستولى  
عابها الى أن الأقنانيم غير الجوهر القديم ، وأن كل واحد منها انه ،  
وصرحوا بأثبات التثليث • وقالوا ان الله ثالث ثلاثة — سبحانه وتعالى  
عما يشركون — وأن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته ،  
وامتزجت به امتزاج الماء بالخمير ، وانقابت الكثرة وحدة ، وأن

---

(١) المكنانية : هم اليوم الكاثوليك والبروتستانت • وهم الذين قال  
الله عنهم : « لقد كفر الذين اتوا : ان الله ثالث ثلاثة » وذلك لأنهم  
يقولون : ان الله غير المسيح الابن • وهما غير الروح القدس •

واليعقوبية : هم اليوم الأرثوذكس • وهم الذين قال الله عنهم : « لقد  
كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم » وقد بينت مذاهبهم فى كتابنا  
أقنانيم النصارى — نشر دار الأنصار بالقاهرة •

المسيح ناسوت كلّي لا جزئى وهو قديم أزلى وأن مريم ولدت لها ألياً ، مع اختلافهم في مريم أنها انسان كلّي أو جزئى ؟ واتفقوا على أن اتحاد اللاهوت بالمسيح دون مريم ، وأن القتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت معا ، وأطلقوا لفظ الآب على الله تعالى ، والابن على عيسى عليه السلام .

وذهب نسطور (١) الحكيم في زمان «المأمون» الى أن الله تعالى واحد ، والأقنيم الثلاثة ليست غير ذاته ، ولا نفس ذاته ، وإن الكلمة اتحدت بجسد المسيح لا بمعنى الامتزاج أى أشرقت عليه كاشراق الشمس من كوة على باور . ومن النسطورية من قال : أن كل واحد من الأقنيم الثلاثة حى ناطق موجود وصرحوا بالتثليث كالملكانية . ومنهم من منع ذلك . ومنهم من أثبت صفات أخر كالقدرة والارادة ونحوها . لكن لم يجعلوها أقنيم وزعموا أن الابن لم يزل متولداً من الآب . وإنما تجسده وتوحده بجسد المسيح حين ولد . والحدوث راجع الى الناسوت ، فالمسيح اله تام وانسان تام ، وهما قديم وحادث ، والاتحاد غير مبطل لقدم القديم ولا لحدوث الحادث . وقالوا : ان الصلب ورد على الناسوت دون اللاهوت .

وذهب اليعقوبية الى أن الكلمة انقلبت لحما ودما فصار الاله هو المسيح وقالوا : ان الله هو المسيح عيسى بن مريم ، ورووا عن بوحنا الانجيلي أنه قال في صدر انجيله : « الكلمة صارت جسداً وحلت فينا وقال : « في المبدأ كانت الكلمة والكلمة عند الله تعالى والله تعالى هو الكلمة » ومنهم من قال : ظهر اللاهوت بالناسوت بحيث صار هو هو . وذلك كظهور الملك في الصورة المشار اليه بقوله تعالى : « فتمثل لها بقمرًا سويًا » ومنهم من قال : جوهر الاله القديم وجوهر الانسان المحدث تركبا تركب النفس الناطقة مع البدن وصارا جوهرًا واحداً

(١) قال صاحب الكشف : ان هذا القول قديم نسطور المذكور ، الا أنه اظهره ونصره في أيام المأمون ، نسب اليه . فالتسمية متأخرة ، ويسمىه بتقديم . نقله الشهاب عند تفسير قصة أصحاب الكهف .



وهو المسيح وهو الاله ، ويقولون : صار الاله انفسانا وان لم يصير  
الانسان الهاكما يقال في الفحمة في النار : صارت نارا ، ولا يقال :  
صارت النار فحمة ويقولون : ان اتحاد اللاهوت بالانسان الجزئى دون  
الكلى ، وأن مريم ولدت لها وأن القتل والصلب واقع على اللاهوت  
والناسوت جميعا ، اذ لو كان على أحدهما بطل الاتحاد • ومنهم من  
قال : المسيح مع اتحاد جوهره قديم من وجه ، محدث من وجه • ومن  
اليعقوبية من قال : ان الكلمة لم تأخذ من مريم شبيئا ، وانما مرت بها  
كمرور الماء بالمليزاب • ومنهم من زعم : أن الكلمة كانت تداخل جسد  
المسيح فتصدر عنه الآيات التي كانت تظهر عنه وتشارقه تارة ، فتحمله  
الآفات والآلام •

ومن النصارى من زعم : أن معنى اتحاد اللاهوت بالناسوت : ظهور  
اللاهوت على الناسوت ، وان لم ينتقل من اللاهوت الى الناسوت شىء •  
ولا حل فيه • وذلك كظهور النقش الطابع على الشمع ، والصورة  
المرئية في المرآة •

ومنهم من قال ان الوجود والكلمة قديمان والجهات دخلوقة • ومنهم  
من قال : ان الله تعالى واحد ، وسماه أبا • وأن المسيح كلمة الله تعالى  
وابنه على طريق الاصطفاء ، وهو مخلوق قبل العالَم ، وهو خالق  
الأشياء كلها •

وحكى المؤرخون وأصحاب النقل : أن « آريوس » أحد كبار  
النصارى كان يعتقد هو وطائفة : توحيد البارى ولا يشرك معه غيره ،  
ولا يرى في المسيح ما يراه النصارى ، بل يعتقد رسالته ، وأنه مخلوق  
بجسمه وروحه • ففشت مقالته في النصرانية فتكاتبوا واجتمعوا بمدينة  
« نيقية » عند الملك « قسطنطين » وتناظروا فشرح ( آريوس ) مقالته  
فرد عليه « الأكسيديروس » بطريق الاسكندرية ، وشنع على مقالته  
عند الملك ، ثم تناظروا فطال تنازعهم ، فتعجب الملك من انتشار مقالتهم  
وكثرة اختلافهم ، وأقام لهم البترك وأمرهم أن ييخذوا عن القول

المرضى ، فاتفق رأيهم على شيء وحرروه وسموه بالأمانة ، وأكثرهم اليوم عليها •

وهي : « نؤمن بالله تعالى الواحد الآب كل شيء مالك كل شيء ، صانع ما يرى وما لا يرى • وبالرب الواحد المسيح ابن الله تعالى الواحد بكر الخلائق كلها الذى ولد من أبيه قبل العوالم كلها ، وليس بمصنوع ، اله حق من اله حق ، من جوهر أبيه الذى بيده اتقنت العوالم وخلق كل شيء • الذى من أجلنا معاشر الناس ، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ومريم ، وصار انسانا وحبل به وولد من مريم البنوت ، واتجع وصلب أيام فيلاطس ، ودفن وقام فى اليوم الثالث ، كما هو مكتوب ، وصعد الى السماء وجلس على يمين أبيه ، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء • ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذى يخرج من أبيه وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا ، وبجماعة وأحدة قدسية كاثولويكية ، وبالحياسة الدائمة الى أبد الآبدين » •

وهذه جملة الأقاويل وما لهؤلاء الكفرة من الأباطيل • وهى مع مخيفتها للعقول ومزاحمتها للأصول مما لا مستند لها ولا معول لهم فيها غير التقليد لأسلافهم ، والأخذ بظواهر الالفاظ التى لا يحيطون بها علما •

على أن ما سموه أمانة لا أصل له فى شرع الانجيل ، ولا مأخوذ من قول المسيح ولا من أقوال تلاميذه وهو مع ذلك مضطرب متناقض متهافت يكذب بعضه ويعارضه ويناقضه •

واذ قد علمت ذلك فاسمع ما يتلى عليك فى ردهم :

أما قواهم بأن الله تعالى جوهر بالمعنى المذكور ، فلا نزاع لنا معهم فيه من جهة المعنى ، بل من جهة الاطلاق اللفظى سمعا • والأمر فيه هين •

وأما حصرهم الأقانيم فى ثلاثة صفة الوجود وصفة الحياة وصفة العلم فباطل ، لأنه بعد تسليم أن صفة الوجود زائدة أو طولبوا بدليل الحصر لم يجدوا اليه سبيلا ، سوى قولهم بحثنا فلم نجد غير ما ذكرناه

وهو غير يقينى كما لا يخفى • ثم هو باطل بما تحقق فى موضعه من وجوب صفة القدرة والارادة والسمع البصر والكلام • فان قالوا الأتانيم هى خواص الجوهر وصفات نفسه ، ومن حكمها أن تلزم الجوهر ولا تتعداه الى غيره وذلك متحقق فى الوجود والحياة ، اذ لا تعلق لوجود الذات القديم وحياتها بغيرها ، وكذلك العلم اذ العلم مختص بالجوهر من حيث هو معلوم به ، وهذا بخلاف القدرة والارادة فانهما لا اختصاص لهما بالذات القديمة ، بل يتعلقان بالغير • مما هو مقدور ، ومراد • والذات القديمة غير مقدورة ولا مرادة • وأيضا : فان الحياة تجزىء عن القدرة والارادة من حيث أن الحى لا يخلو عنهما بخلاف العلم ، فانه قد يخلو عنه ، ولأنه يمتنع اجزاء الحياة عن العلم لاختصاص الحياة بامتتاع جريان المبالغة والتفضيل بخلاف العلم • قلنا : أما قولهم ان الوجود والحياة مختصة بذات القديم ولا تعلق لهما بغيره ، فمسلّم ، ولكن يلزم عليه أن لا يكون العلم أقنوما لتعلقه بغير ذات القديم ، اذ هو معلوم به •

فلئن قالوا : العلم انما كان أقنوما من حيث كونه منعلقا بذات القديم لا من حيث كان متعلقا بغيره ، فيلزمهم أن يكون البصر أقنوما لتعلقه بذات القديم من حيث انه يرى نفسه ولم يقولوا به ، ويلزمهم من ذلك بقاء ذات الله تعالى أقنوما لاختصاص البقاء بنفسه وعدم تعلقه بغيره ، كما فى الوجود والحياة • فلئن قالوا : البقاء هو نفس الوجود ، فيلزم أن يكون الموجود فى زمان حدوثة باقيا • وهو محال • وقواهم بأن الارادة تجزىء عن القدرة والارادة • أما أن يريدوا به أن القدرة والارادة نفس الحياة وأنهما خارجتان عنها لازمان لهما لا تفارقنها ، فان كان الأول فقد نقضوا مذهبهم حيث قالوا : ان الحياة أقنوم لاختصاصها بجوهر القديم ، والقدرة والارادة غير مختصين بذات القديم تعالى • وذلك مشعر بالمغايرة ولا اتحاد معها • وان قالوا انها لازمة لها مع المغايرة فهو ممنوع ، فانه كما يجوز خلو الحى عن العلم ، فكذلك قد يجوز خلوه عن القدرة والارادة ، كما فى حالة النوم والاعماء • وقواهم :

لأنه يتمتع اجزاء الحياة عن العلم لاختصاصه بالمبالغة والتفضيل ،  
فيلزم منه أن لا تكون مجزية عن القدرة أيضا لاختصاصها بهذا النوع  
عن المبالغة والتفضيل •

**وأما قولهم أن الكلمة حلت في المسيح وتدرعت به ، فهو باطل من  
وجهين •**

**الأول :** أنه قد تحقق امتناع حلول صفة التقديم في غيره •

**الثاني :** انه ليس القول بحلول الكلمة أولى من القول بحلول  
الروح ، وهي الحياة •

رلئن قالوا : انما استدللنا على حلول العلم فيه لاختصاصه بعلوم  
لا يشاركه فيها غيره • قلنا : أولا : لا نسلم ذلك • فقد روى النصارى  
أنه عليه السلام سئل عن القيامة فلم يجب • وقال لا يعرفها الا الله  
تعالى وحده • وثانيا : سلمنا ، لكنه قد اختص عندكم باحياء الموتى  
وابراء الأكمه والأبرص وبأمور لا يقدر عليها غيره من المخلوقين بزعمكم ،  
والقدرة عندكم في حكم الحياة اما بمعنى أنها عينها ، أو ملازمة لها ،  
فوجب أن يقال بحلول الحياة فيه • ولم يقولوا به •

وأما قول الملكانية بالتثليث في الآلهة وأن كل أقنوم اله ، فلا يخلو  
أما أن يقولوا : ان كل واحد متصف بصفات الاله تعالى من الوجود  
والحياة والعلم والقدرة وغير ذلك من الصفات أو لا يقولوا به • فان  
قالوا به فهو خلاف أصلهم وهو مع ذلك ممتنع لقيام الأدلة على امتناع  
المهين • وأيضا : فانهم أما يقولوا بأن جوهر القديم أيضا اله ، أو  
لا يقولوا • فان كان الأول فقد أبطلوا مذهبهم ، فانهم مجمعون على  
الثالوث وبقولهم هذا يلزم التربيع ، وان كان الثاني لم يجدوا الى  
الفرق سبيلا ، مع أن جوهر القديم أصل والأقنيم صفات تامة ، فكان  
أولى أن يكون الها • وان قالوا بالثاني فحاصله يرجع الى منازعة  
لفظية ، والمرجع فيها الى ورود الشرع بجواز اطلاق ذلك • ولا سبيلا  
لهم اليه •

وأما قولهم ان الكلمة امتزجت بجسد المسيح ، فيبطله امتناع  
حلول صفات القديم بغير ذات الله تعالى ، ودعواهم الاتحاد ممتنعة  
من جهة الدلالة والالزام . أما الأول فانها عند الاتحاد اما أن يقين  
يبقائهما أو بعدهما أو ببقاء أحدهما وعدم الآخر ، أما على الأول فهما  
اثنان كما كانا ، وان كان الثاني فالواحد الموجد غيرهما ، وان كان الثالث  
فلا اتحاد للاثنين وعدم أحدهما .

وأما على التقدير الثاني فمن أربعة أوجه :

الأول : انه اذا جاز اتحاد أقنوم الجوهر القديم بالحادث ، فما  
المانع من اتحاد صفة الحادث بالجوهر القديم ؟ فلئن قالوا المانع أن  
اتحاد صفة الحادث بالجوهر القديم يوجب نقصه وهو ممتنع واتحاد  
صفة القديم بالحادث ، يوجب شرفه . وشرف الحادث بالقديم غير  
ممتنع . قلنا : فكما أن ذات القديم تنقص باتحاد صفة الحادث بها ،  
فالأقنوم القديم ينقص باتحاده بالناسوت الحادث ، فليكن ذلك ممتنعاً .

الثاني : انه قد وقع الاتفاق على امتناع أقنوم الجوهر القديم  
بغير ناسوت المسيح ، فما الفرق بين ناسوت وناسوت ؟ فلئن قالوا :  
انما اتحدت بالناسوت الكلى دون الجزئى . رددناه بما ستعلمه قريباً  
ان شاء الله تعالى .

الثالث : ان مذهبهم أن الأثنايين زائدة على ذات الجوهر القديم مع  
اختصاصها به ، ولم يوجب قيامها به الاتحاد ، فان لا يوجب اتحاد  
الأقنوم بالناسوت أولى .

الرابع : ان الاجماع منعقد على أن أقنوم الجوهر القديم مخالف  
للناسوت كما أن صفة نفس الجوهر مخالف نفس العرض ، وصفة  
نفس العرض مخالف الجوهر ، فان قالوا بجواز اتحاد صفة الجوهر  
بالعرض أو صفة العرض بالجوهر حتى أنه يصير الجوهر في حكم  
العرض والعرض في حكم الجوهر ، فقد التزموا محالاً مخالفاً لأصولهم .

وان قالوا بامتناع اتحاد صفة نفس الجوهر بالعرض ونفس العرض بالجوهر ، مع أن العرض والجوهر ، أقبلي للتبدل والتغير ، فلأن يمتنع في القديم والحادث أولى •

وقولهم : ان المسيح انسان كلي باطل من أربعة وجوه :

**الأول :** ان الانسان الكلي لا اختصاص له بجزئى من الناس • وقد انتفقت النصرى على أن المسيح مولود من مريم — عليهما الصلاة والسلام — وعند ذلك فاما أن يقال : ان انسان مريم أيضا ، كلى كما حكى عن بعضهم أو جزئى • فان كان كليا فاما أن يكون هو عين انسان المسيح أو غيره ، فان كان عينه لزم أن يولد الشيء من نفسه • وهو محال • ثم يلزم أن يكون المسيح مريم ومريم المسيح • ولم يقل به أحد ، وأن كان غيره فالانسان الكلى ما يكون عاما مشتركا بين جمع ، وطبيعته جزء من معنى كل انسان ، ويلزم من ذلك أن يكون انسان المسيح بطبيعته جزء من مفهوم انسان مريم وبالعكس • وذلك محال • وان كان انسان مريم جزئيا فمن ضرورة كون المسيح مولودا عنها أن يكون الكلى الصالح لاشتراك الكثرة ، منحصر في الجزئى الذى لا يصلح لذاته وهو ممتنع •

**الثانى :** ان النصرى مجمعون على أن المسيح كان مرثيا ومشار اليه ، والكلى ليس كذلك •

**الثالث :** انهم قائلون : ان الكلمة حلت في المسيح اما بجهة الاتحاد أو لا بجهة الاتحاد ؟ فلو كان المسيح انسانا كليا فلم يختص به بعض أشخاص الناس دون البعض ؟ ولم كان المولود من مريم مختصا بحلول الكلمة دون غيره ؟ ولم يقولوا به •

**الرابع :** ان الملائكية متفقون على أن الثقل وضع على اللاهوت والناسوت • ولو كان ناسوت المسيح كليا ، لما نصرر وقوع الجزئى عليه •

وأما ما ذهب إليه نسطور من أن الأثنان ثلاثة فالكلام معه في  
الحصر على طرز ما تقدم .

**وقوله :** « ليست عين ذاته ولا غير ذاته » فان أراد بذلك ما أراد  
به الأشعري (١) في قوله ان الصفات لا عين ولا غير ، فهو حق . وان  
أراد غيره ، فغير مفهوم .

(١) أهل الحديث النبوي ينقسمون الى سلف على رأى ابن حنبل رضى  
الله عنه والى خلف على رأى الأشعري . والسلف والخلف يقولون : ان  
صفات الله زائدة على ذاته . ومع زيادتها ليست جسما ، وليست الذات  
جسما ، لأن الله ليس كمثله شيء . ودليلهم هو :

أولا : قياس الغائب على الشاهد . فالله لأنه لا يرى بالعين ، يقولون :  
انه غائب . والانسان لأنه يرى بالعين ، يقولون : انه شاهد . والانسان  
مكون من ١ — ذات ٢ — وصفات متعددة ، فزيد اذا كان قادرا .  
تكون ذاته غير قدرته . واذا كان عالما مع القدرة ، يكون العلم غير  
القدرة . ومن كان قادرا وعالما ولا يكون سميعا وبصيرا .  
يكون غيره الذي يقدر ويعلم ويسمع ويبصر زائدا عليه في الصفات .  
وهكذا . وعلى هذا فالله تعالى — وله المثل الأعلى — ذات . وله كل  
الصفات اللاتمة بجلاله . وهي زائدة على ذاته .

ثانيا : قوله تعالى : « أنزله بعلمه » فقد نسب الانزال الى العلم وليس  
الى الذات . فدل ذلك على أن الصفة غير الموصوف . ومع هذا فانها غير  
منفكة عن الموصوف .

١ هذا كلام أهل الحديث سلفا وخلفا . وأما كلام المعتزلة فهو هكذا :  
أولا : قياس الغائب على الشاهد — مع التنزيه لله عن الجسمية أو  
ما يوهم الجسمية — يقولون : اننا لو رأينا زيدا من الناس . لرأينا واحدا .  
فاذا نطق وصفناه بالكلام . واذ نطق يدل نطقه على أنه كان تماردا على  
الكلام . وهكذا . ولكننا لا نقدر ان نقول بزيادة صفاته على ذاته . اذا  
لا نرى الا شخصا واحدا . ولا نرى قدرة هي جسم قد وضعت بازائه ،  
ولا علما قد زاد في الحس على ذاته ، فكيف نقول بزيادة لا تدل عليها  
المشاهدة في زيد ؟ . اننا نقول بذات موصوفة بصفات هي فيها وليست  
زائدة عليها . وعلى هذا فالله تعالى — وله المثل الأعلى — ذات . وله كل  
الصفات اللاتمة بجلاله . وهي ليست زائدة على ذاته .  
هذا قول المعتزلة .

وأما تفسيره العلم بالكلمة فالنزاع معه في هذا الاطلاق لفظي .  
ثم لا يخلو اما أن يريد بالكلمة الكلام النفسى ، أو الكلام اللسانى .  
والكلام فى ذلك معروف .

وقوله : « ان الكلمة اتحدت بالمسيح بمعنى أنها أشرققت عليه »  
لا حاصل له ، لأنه اما أن يريد باسراق الكلمة عليه عليه السلام ما هو  
مفهوم من مثاله ، وهو أن يكون مطرحا لشعاعها عليه أو يريد أنها  
متعلقة به كتعلق العلم القديم بالمعلومات أو يريد غير ذلك . فان كان  
الأول يلزم أن تكون الكلمة ذات شعاع وفى جهة من مطرح شعاعها ،  
ويلزم من ذلك أن تكون جسما وأن لا تكون صفة للجوهر القديم ، وهو  
محال . وان كان الثانى فهو حق غير أن تعلق الأئقنوم بالمسيح بهذا  
التفسير لا يكون خاصة . وان كان الثالث فلا بد من تصويره ليتكلم عليه .

وأما قول بعض النسطورية ان كل واحد من الأئقنيم الثلاثة اله حى  
ناطق ، فهو باطل بأدلة ابطال التثليث .

ثانيا : ان قوله تعالى « أنزله بعلمه » لا يدل على انفصال العلم عن  
الذات ولا يدل على أن الانزال بصفة العلم وحدها . لأن الصفة غير  
مستقلة عن الموصوف . أى أن العلم وحده بدون الذات لا ينزل . فالذات  
والعلم معا مرتبطان غير منفكان . ومعنى « أنزله بعلمه » أى بمعرفته  
لا من اله آخر . كما يقول العربى كان هذا على علم منى . وشبهه .

يقول أبو الحسين الخياط : « ان الله تعالى لو كان عالما بعلم . فامم  
أن يكون ذلك العلم قديما أو يكون محدثا . ولا يمكن أن يكون قديما ،  
لأن هذا يوجب وجود اثنين قديمين . وهو تعدد . وهو قول فاسد . ولا يمكن  
أن يكون علما محدثا ، لأنه لو كان كذلك يكون قد أحدثه الله . أما فى نفسه ،  
أو فى غيره ، أو لا فى محل . فان كان أحدثه الله فى نفسه ، أصبح محلا  
للحوادث ، وما كان محلا للحوادث فهو حادث . وهذا محال . وإذا أحدثه  
فى غيره ، كان ذلك الغير عالما ، بما حله منه دونه . كما أن من حله اللون ،  
فهو المتلون به دون غيره . ولا يعقل أن يكون أحدثه لا فى محل ، لأن العلم  
عرض لا يقوم الا فى جسم ، فلا يبقى الا حال واحد . وهو أن الله عالم  
بذاته » ( ص ٨٢ - ٨٣ الانتصار )



وأما من أثبت منهم لله تعالى صفات أخر كالقدرة والارادة ونحوهما، فقد أصاب • خلا أن القول باخراجهما عن كونهما من الأقانيم مع أنها مشاركة لها في كونها من الصفات تحكم بحت • والفرق الذي يستند اليه باطل ، كما علمت •

وأما قولهم : ان المسيح انسان تام واله تام وهما جوهران قديم وحادث • فطريق رده من وجهين :

**الأول :** التعرض لابطال كون الأقموم المتحد بجسد المسيح انها • وذلك بأن يقال : أما أن يقولوا بأن ما اتحد بجسد المسيح هو اله فقط، أو أن كل أقموم اله كما ذهب اليه الملكانية فان كان الأول فهو ممتنع لعدم الأولوية ، وان كان الثاني فهو ممتنع أيضا لما تقدم •

**الثاني :** انه اذا كان المسيح مشتملا على الأقموم والناسوت الحادث فاما أن يقولوا بالاتحاد أو بحلول الأقموم في الناسوت أو حلول الناسوت في الأقموم أو أنه لا حلول لاجدهما في الآخر فان كان الأول فهو باطل بما سبق في ابطال الاتحاد • وان كان الثاني فهو باطل بما يبطل حلول الصفة القديمة في غير ذات الله تعالى وحلول الحادث في القديم • وان كان الثالث فاما أن يقال بتجاوزهما واتصالهما أولا • فان قيل بالأول فاما أن يقال بانفصال الأقموم القديم من الجوهر الحادث أو لا يقال به ، فان قيل بالانفصال فهو ممتنع لوجهين :

**الأول :** ما يدل على ابطال انتقال الصفة عن الموصوف •

**الثاني :** انه يلزم منه قيام صفة حال مجاورتها للناسوت بنفسها • وهو محال • وان لم يقل بانفصال الأقموم عن الجوهر القديم ، يلزم منه أن يكون ذات الجوهر القديم متصلة بجسد المسيح ، ضرورة اتصال أقمومها به وعند ذلك فليس اتحاد الأقموم بالناسوت أولى من اتحاد الجوهر القديم به ، ولم يقولوا بذلك • وان لم يقل بتجاورهما

واتصالهما فلا معنى للاتحاد بجسد المسيح ، وليس القول بالاتحاد مع عدم الاتصال بجسد المسيح أولى من العكس .

وأما قول من قال منهم ان الاله واحد وأن المسيح ولد من مريم وأنه عبد صالح مخلوق الا ان الله تعالى شرفه بتسميته ابنا . فهو كما يقول الموحدون . ولا خلاف معهم في غير اطلاق اسم الابن .

وأما قول بعض اليعقوبية ان الكلمة لحما ودما وصار الاله هو المسيح . فهو أظهر بطلانا مما تقدم . وبيانه من وجهين :

**الأول :** انه لو جاز انقلاب الأقنوم لحما ودما مع اختلاف حقيقتهما ، لجاز انقلاب المستحيل ممكنا ، والممكن مستحيلا ، والواجب ممكنا أو ممتعا والمعكن أو الممتنع واجبا ولم يبق وثوق بشيء من القضايا البدئية ، ولجاز انقلاب الجوهر عرضا والعرض جوهرأ ، أو اللحم والدم أقنوما والقديم حادثا والحادث قديما . ولم يقل به أحد من العقلاء .

**الثاني :** لو انقلب الأقنوم (١) لحما ودما . فاما أن يكون هو عين الدم واللحم اللذين كانا للمسيح أو زائدا عليه منضمنا اليه ، والأول ظاهر الفساد والثاني لم يقولوا به .

وأما ما نقل عن يوحنا من قوله : « في البدء كانت الكلمة والكلمة عند الله . والله هو الكلمة » فهو مما انفرد هو به ، ولم يوجد في شيء من الأنجيل . والظاهر أنه كذب فانه بمنزلة قول القائل : الدينار عند الصيرفي ، والصيرفي هو الدينار . ولا يكاد يتفوه به عاقل . وكذا قوله : « ان الكلمة صارت جسدا وحلت فينا » غير مسلم الثبوت . وعلى تقدير تسليمه يحتمل التقديم والتأخير ، أي أن الجسد الذي صار بالتسمية حل فينا . وعن ذلك الجسد عيسى عليه السلام . ويحتمل أنه أشار بذلك الى « بطرس » كبير التلاميذ ، وصى المسيح .

---

(١) الأقنوم : هو الاصل .

فانه أقام بعده عليه السلام بتدبير دينه ، وكانت النصرى تفرغ اليه على ما تشهد به كتبهم ، فكأنه يقول : ان ذهبت الكلمة أى عيسى الذى سماه الله تعالى بذلك من بيننا فانها لم تذهب حتى صارت جسدا وحسبنا ، يريد أن تدبيرها حاضر فى جسد بيننا ، وهو بطرس •

ومن الناس من خرج كلامه على اسقاط همزة الانكار عند اخراجه من العبرانى الى اللسان العربى • والمراد : أصارت ؟ وفيه بعد •

ومن العجب العجيب : أن يوحنا ذكر أن المسيح قال لتلاميذه : « ان لم تأكلوا جسدى وتشربوا دمي فلا حياة لكم بعدى ، لأن جسدى مأكّل حق ودمى مشرب حق • ومن يأكل جسدى ، ويشرب دمي ، يثبت فى وأثبت فيه • فلما سمع تلاميذه هذه الكلمة قالوا ما أصعبها من يطيق سماعها ؟ فرجع كثير منهم عن صحبتته » فان هذا مع قوله ان الله سبحانه هو الكلمة ، والكلمة صارت جسدا فى غاية الاشكال . اذ فيه أمر الحادث بأكل الله تعالى القديم الأزلئ وشربه والحق أن شيئاً من الكلامين لم يثبت ، فلا نتحمل مؤنة التأويل •

وأما قولهم : ان اللاهوت ظهر بالناسوت فصار هو هو • فاما أن يريدوا به أن اللاهوت صار عين الناسوت ، كما يصرح به قولهم هو هو ، فيرجع الى تجويز انقلاب الحقائق • وهو محال • كما علمت • واما أن يريدوا به أن اللاهوت اتصف بالناسوت • فهو أيضا محال ، لما ثبت من امتناع حلول الحادث بالقديم ، أو أن الناسوت اتصف باللاهوت • وهو أيضا محال ، لامتناع حلول القديم بالحادث •

وأما من قال منهم بأن جوهر الاله القديم وجوهر الانسان المحدث ، تركبا وصارا جوهرًا واحدا هو المسيح فباطل من وجهين :

الأول : ما ذكر من ابطال الاتحاد •

والثانى : انه ليس جعل الناسوت لاهوتا بتركبه مع اللاهوت ، اولى



على قدم الصفات ، فهو قديم أزلى • كيف وانه او كان حادثا لكان  
الاله قبله ، غير حى ، ومن ليس بحى لا يكون علما ولا ناطقا ؟

وقول من قال ان المسيح مخلوق قبل العالم وهو خالق لكل شىء ،  
باطل لقيام الأدلة على أنه كان الله تعالى ولا شىء غيره •

**وأما الأمانة التى هم بها متقربون وبما حوته منعبدون •**

فبيان اضطرابها وتناقضها وتهافتها من وجوه :

**الاول :** ان قولهم « ذؤمن بالواحد الآب صانع كل شىء » ينناقض  
قولهم « وبالرب الواحد المسيح » الخ مناقضة ، لا تكاد تخفى •

**والثانى :** قولهم ان يسوع المسيح ابن الله تعالى بكر الخلائق مشعر  
بحدوث المسيح ، اذ لا معنى لكونه ابنه الا تأخره عنه ، اذ الوالد  
والولد لا يكونان معا فى الوجود ، وكونهما معا مستحيل ببداهة  
العقول ، لأن الرب لا يخلو اما أن يكون ولد ولدا ، لم يزل أو لم يكن •  
فان قالوا : ولد ولدا لم يزل • قلنا : فما ولد شيئا ، اذ الابن لم يزل  
وان ولد شيئا لم يكن ، فالولد حادث مخلوق • وذلك مكذب لقولهم :  
« اله حق من اله حق ، من جوهر أبية وأنه أنتقن العوالم بيده ، وخلق  
كل شىء » •

**الثالث :** ان قولهم « اله حق من اله حق من جوهر أبية » يناقضه  
قول المسيح فى الانجيل ، وقد سئل عن يوم القيامة (١) : فقال « لا أعرفه  
ولا يعرفه الا الآب وحده » فلو كان من جوهر الآب لعلم ما يعلمه  
الآب ، على أنه او جاز أن يكون اله ثان من اله أول ، لجاز أن يكون  
اله ثالث من اله ثان • ولما وقف الأمر على غاية • وهو محال •

---

(١) سئل عن انتصار المسلمين على اهل الكتاب ودخولهم القدس  
فاتحين . كما بينا فى الجزء الثانى من كتاب البشارة بنبى الاسلام فى التوراة  
والانجيل •

**الرابع :** ان قولهم : « ان يسوع أتت من العوالم بيده ، وخلق كل شيء » باطل مكذب لما في الانجيل اذ يقول متى : « هذا مولد يسوع المسيح بن داود » وأيضا : خالق العالم لا بد أن يكون سابقا عليه ، وأنى يسبق المسيح وقد ولدته مريم ؟ وأيضا في الانجيل أن ابليس قال للمسيح : « أسجد لى وأعطيك جميع العالم ، وأملكك كل تى » ولازال يسحبه من مكان الى مكان ، ويحول بينه وبين مراده ويطمع في تعبدته له فكيف يكون خالق العالم محصوراً في يد بعض العالم ؟ نعوذ بالله تعالى من الضلال .

**الخامس :** ان قولهم « المسيح الاله الحق الذى نزل من السماء لخلاص الناس ، وتجسد من روح القدس ، وصار انسانا وحبل به وولد » فيه عدة مفاسد : منها : أن المسيح لا يخص مجرد الكلمة ولا مجرد الجسد ، بل هو اسم يخص هذا الجسد الذى ولدته مريم عليها السلام ، ولم تكن الكلمة في الأزل مسيحا ، فبطل أن يكون هو الذى نزل من السماء . ومنها : أن الذى نزل من السماء لا يخلو اما أن يكون الكلمة أو الناسوت . فان زعموا : أن الذى نزل هو الناسوت ، فكذب صراح ، لأن ناسوته من مريم ، وان زعموا أنه اللاهوت فيقال : لا يخلو اما أن يكون الذات أو العام — المعبر عنه بالكلمة — فان كان الأول لزم لحق النقائص للبارى عز اسمه ، وان كان الثانى لزم انتقاص الصفة وبقاء البارى بلا علم ، وذلك باطل . ومنها : ان قولهم إنما نزل لخلاص معشر الناس ، يريدون به : أن آدم عايه السلام لما عصى أوثق سائر ذريته في حباله الشيطان ، وأوجب عليهم الخلود في النار ، فكان خلاصهم بقتل المسيح وصلبه والتنكيل به . وذلك دعوى لا دلالة عايتها .

هب أنا سلمناها لهم . لكن يقال : أخبرونا مم هذا الخلاص الذى تعنى الاله الأزلى له وفعل ما فعل بنفسه لأجابه ؟ ولم خلصكم ؟ وممن خلصكم ؟ وكيف استنزل بخلاصكم دون الآب والروح . والربوبية بينهم ؟ وكيف ابتذل وامتنه في خلاصكم دون الآب والروح ؟ فان زعموا :

أن الخلاص من تكاليف الدنيا وهمومها ، أكذبهم النحس • وان كان من تكاليف الشرع وأنهم قد حط عنهم الصلاة والصوم مثلاً ، أكذبهم المسيح والحواريون بما وضعوه عليهم من التكاليف • وان زعموا أنهم قد خلصوا من أحكام الدار الآخرة • فمن ارتكب محرماً منهم ، لم يؤاخذ ، أكذبهم الانجيل والنبوت ، اذ يقول المسيح في الانجيل : « انى أقيم الناس يوم القيامة عن يمينى وشمالى ، فأقول لأهل اليمين فعلتم كذا وكذا فاذهبوا الى النعيم المعد لكم قبل تأسيس الدنيا • وأقول لأهل الشمال : فعلتم كذا وكذا فاذهبوا الى العذاب المعد لكم قبل تأسيس العالم » •

السادس : ان قولهم تجسد من روح القدس ، باطل ، بنص الانجيل ، اذ يقول متى فى الاصحاح الثانى منه: ان يوحنا المعمدان حين عمده المسيح جاءت روح القدس اليه من السماء فى صفة حمامة ، وذلك بعد ثلاثين من عمره •

السابع : ان قولهم : ان المسيح نزل من السماء وحملت به مريم وسكن فى رحمها ، مكذب بقول لوقا الانجيلى اذ يقول فى قصص الحواريين فى الاصحاح الرابع عشر منه « أن الله تعالى هو خالق العالم بما فيه ، وهو رب السماء والأرض ، يسكن الهياكل ولا تتاله أيدي الرجال ، ولا يحتاج الى شىء من الأشياء ، لأنه الذى أعطى الناس الحياة ، فوجودنا به وحياتنا وحركاتنا منه » فقد شهد اوقا بأن البارى وصفاته لا تسكن الهياكل ولا تتاله ارجال بأيديها • وهذا يتنافى كون الكلمة سكنت فى هيكل مريم ، وتحولت الى هيكل المسيح •

الثامن : أن قولهم بعد أن قتل وصلب ، قام من بين الأموات وصعد الى السماء ، وجلس عن يمين أبية ، هو من الكذب الفاحش المستلزم للحدوث •

التاسع : ان قولهم ان يسوع هذا الرب الذى صلب وقتل مستعد

للمجىء تارة أخرى ، لفصل القضاء بين الأموات والأحياء بمنزلة  
قول القائل :

لا يغنينك بعد الموت تتدينى وفى حياتى ما زودتنى زادا

واذ زعموا أنه فى المرة الأولى عجز عن خلاص نفسه ، حتى تم عليه  
من أعدائه ما تم فكيف يتدر على خلاصهم بجملةهم فى المرة الثانية •

**العاشر : ان قولهم :** « ونؤمن بعمودية واحدة لغفران الذنوب »  
فيه مناقضة لأصولهم • وذلك أن اعتقاد النصارى انه لم تغفر خطاياهم  
بدون قتل المسيح • ولذلك سموه حمل الله تعالى الذى يحمل عليه  
الخطايا ، ودعوه مخلص العالم من الخطيئة ، فاذا آمنوا بأن العمودية  
الواحدة هى التى تغفر خطاياهم وتخلص من ذنوبهم ، فقد صرحوا  
بأنه لا حاجة الى قتل المسيح ، لاستقلال العمودية بالخلاص والمغفرة •  
وان كان التعميد كافيا للمغفرة فقد اعترفوا أن وقوع القتل عبث • وان  
كانت لا تحصل الا بقتله فما فائدة التعميد ؟ وما هذا الايمان ؟

فهذه عشرة وجوه كاملة فى رد تلك الأمانة واظهار مالهم فيها من  
الخيانة • ومن أمعن نظره ردها بأضعاف ذلك •

### وقال أبو الفضل المالكي بعد كلام

ظهرت خيانتها خلال سداورها  
نر الوجود على الخليفة كلها  
أو أن يروى فى مواطن حجرها  
لخلاص آدم من لظاه وحرها  
شرفا ملائكة السماء بأسرها  
ووقاه من غى النفوس بشرها  
كل الخلائق أن تبوء بضمها  
الله أكبر من معاني كفرها  
عيسى به ، فالخلف فى تعبيرها  
ما كان أغنى ذاته عن مائها  
ذهبوا لما لا يرتضيه أولو انتهى  
فضلا لهم جعل الفداء بقيرها

بطلت امانتهم فمن مضونهم  
قالوا بان الهم عيسى الذى  
بل كان محتاجا اشرب لبنها  
قالوا وجاء من السماء عناية  
لو جاء فى ظل الغمام وحوله  
ثم اجباه محببا ومفضلا  
من غير أن يحتاج فى تخلصه  
هذى امانتهم وهذا شردها  
بدأوا بتوحيد الاله واشركوا  
خلق أمه تبل الحلول ببطنها  
جعلوه ربا جوهر من جوهر  
قد تاب آدم توبة مقبولة



وفدى الذى بيديه احكم طينة  
كتم تخلون الاله مقامه  
بالعفو عن كل الامور وسترها  
فيما تراه نفوسكم من شركها  
من كيدها وبها دهن من مكرها  
ويشينه الأعداء بها لا يرتضى

ثم أعلم : أنه لا حجة للنصارى القائلين بالتثليث ، بما روى عن  
متى التلميذ أنه قال : أن المسيح عندما ودعهم قال : « اذهبوا وعمدوا  
الأمم باسم الآب والابن وروح القدس » ومن هنا جعلوا معتنح  
الانجيل ذلك ، كما أن مفتتح القرآن « بسم الله الرحمن الرحيم »  
ويوهم كلام بعض منا : أن هذه التسمية نزلت من السماء ، كالبسمه  
عندنا . لأننا نقول على تقدير صحة الرواية - ودونها خبط القتاد -  
يحتمل أن يراد بالآب (١) المبدأ . فان القدماء كانوا يسمون البارى بالآباء ،  
ومن الابن الرسول . وسمى بذلك تشريفا وتكريما كما سمي ابراهيم  
عليه السلام خليلا ، أو باعتبار أنهم يسمون الآثار أبناء . وقد رووا  
عن المسيح عليه السلام أنه قال : « انى ذاهب الى أبى وأبيكم » وقال  
لا تعطوا صدقاتكم قدام الناس لتراؤهم ، فانه لا يكون لكم أجر عند  
أبيكم الذى فى السماء » وربما يقال : ان الابن بمعنى الحبيب أو نحوه .  
ويشير الى ذلك ما رووه أنه عليه السلام قال عقيب وصية وصى بها  
الحواريين : « لئى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السماء ، وتكونوا تامين  
كما أن أباكم الذى فى السماء تام » ويراد بروح القدس جبرائيل عليه  
السلام والمعنى عمدوا ببركة الله تعالى ورسوله والملاك المؤيد للأدياء  
على تبليغ أوامر ربهم . ولعل لنا عودات كثيرة لرد التثليث بعبارات  
مختلفة النوع ، حيثما يكرر هذا النصرانى ذكره فانتظره ولا تغفل .



قال النصرانى : « فقد علمنا الآن أن ابراهيم كان منذ ولد الى أن  
أتت عليه تسعون سنة حنيفا عابد صنم ، ثم آمن بالله الى أن قبض  
فأنت - أصلحك الله - تدعونى الى دين اب ااهيم وملته . فليت شعرى  
الى أى مذهبيه ودينيه تدعونى ؟ وفى أى حالتيه زرغبنى ؟ أحيث كان

(١) لنا تفسير لعبارة عمدوهم باسم الابن والابن ... الخ فى كتابنا  
أقائيم النصارى - نشر دار الأنصار بالقاهرة .

حنيفاً يعبد الصنم المعروف بالعزى مع آبائه وأهل بيته وهو بحران ،  
أم حيث خرج عن الحنيفية ووحد الله وعبده وآمن به وانتهى الى أمره  
عندما أمره أن ينقل عن بلده فانقل طائعا عن «حوران» دار الكفرة ومدينة  
أهل الضلالة ؟ فلا أظنك تستجيز في عقلك وحسن تمييزك وجودة  
معرفتك التي زعمت بالكتب المنزلة ودراستك اياها أن تدعوني • انى  
مثل حال ابراهيم في كفره وضلاله من عبادة الأصنام التي هي الحنيفية،  
وان كنت تدعوني الى حاله وقت ايمانه وما حسب له من البر وقت  
توحيده ، فاليهودى ابن ابراهيم أولى بهذه الدعوة ، لأنه هو صاحب  
تراث اسحق الذى ورث هذا التوحيد عن ابراهيم ابيه ، وهو أولى  
منك وأحق بهذا الأمر ، فمالك والظلم والحيث وطلب ما لم يجعله الله  
لك حقاً ، فأنت دائماً تنسب ذاك الى العدل وتصفها بهذه الصفة ،  
وصاحبك يقرأ في كتابه ويقول طائفاً انه قيل له : « قل انى أمرت أن  
أكون أول من أسلم ولا أكون من المشركين » (الأنعام ١٤) - فلا ترى  
أنه أول من أظهر الاسلام ، وأن قبله ابراهيم وغيره أم يكونوا مسلمين  
لأن صاحبك قد أقر بأنه أول من أسلم - وفي هذا الجواب لهذا الباب  
كفاية وأمر مقنع لذوى الألباب •

**أقول ومنه سبحانه التوفيق الى أقوم طريق : قد قدمنا آنفاً كذبه**  
في نقله عن التوراة أن ابراهيم كان يعبد الصنم الى أن بلغ تسعين  
سنة ، ولنذكر الآن ان شاء الله تعالى حال ابراهيم عليه السلام ونبوه  
ووفاته وما يتعلق بأمره ليحيط علماً من يتطالع كتابنا هذا بأحواله عليه  
السلام ويتضح خلاف ما حرره هذا النصرانى لى المنصف من الأنعام •  
**اعلم : ان ابراهيم عليه السلام على ما ذكر أهل الأنساب والتواريخ**  
**هو ابن تارح (١) بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالخ بن عابر**

---

(١) اعلم : ان « أزر » هو الأب المباشر لابراهيم عليه السلام وليس هو  
هجه كما زعم بعض المفسرين وليس هو تارح كما التوراة .  
ذلك لأن سلسلة النسب مشكوك فيها . للاختلاف فى أعمار الأباء من  
آدم الى نوح ومن نوح الى ابراهيم بين السامرية والمبرانية واليونانية .  
وفى اليونانية ذكر فى سلسلة النسب «قينان» ولم يذكر لا فى العبرانية ولا  
فى السامرية .

بن شالخ بن قينان بن فخشذ بن سام بن نوح عليه السلام • واختلف في  
الموضع الذي كان فيه والموضع الذي ولد فيه ، فقبل ولد بالسوس من  
أرض الأهواز وقيل ولد ببابل وقيل بكوث(١) قريبتها منها • وقيل بخران  
من بلاد التمام ، ولكن أباه نقله • قال أكثر أهل العلم : كان مولده في  
عهد نمرود بن كوش وكان ملكه قد أحاط بمشارك الأرض ومغاربها —  
على المشهور — وكان ببابل من أرض العراق فلما أراد الله تعالى : أن  
يبعث إبراهيم عليه السلام حجة على خلقه ورسولا الى عباده ولم يكن  
فيما بينه وبين نوح عليه السلام الا هود وصالح ، فلما تقارب زمان  
إبراهيم أتى أصحاب النجوم « نمرود » فقالوا له : نجد غلاما يولد  
في قريتك هذه يقال له إبراهيم يفارق دينكم ويكسر أصنامكم في شهر  
كذا من سنة كذا ، فلما دخلت السنة التي ذكروا حبس نمرود الحبالى  
عنده الا أم إبراهيم فانها لم يعلم بحبلها لأنه لم يظهر عليها أثره ،  
فذبح كل غلام ولد في ذلك الوقت ، فاما وجدت أم إبراهيم الطلق  
خرجت ليلا الى مغارة كانت قريبة منها فولدت إبراهيم وأصلحت من  
شأنه ما يصنع بالمولود ، ثم سدت عليه المغارة ثم سعت الى بيتها  
راجعة ، ثم كانت تطالعه لتتظر ما فعل ، فكان يشب في اليوم ما يشب  
غيره في الشهر ، وكانت تجده حيا يمص ابهامه ، جعل الله تعالى رزقه  
فيها • وكان آزر قد سأل أم إبراهيم عن حملها فقالت ولدت غلاما  
فمات • فصدقها وقيل : بل أعلم آزر بولادة إبراهيم وكنمه ، حتى نسي  
الملك ذكر ذلك • فقال آزر : ان لى ابنا قد خبأته أفتخافون عليه الملك  
ان أنا جئت به ؟ فقالوا : لا • فانطلق فأخرجه من السرب ، فلما نظر  
الى الدواب والى الخلق ، ولم يكن رأى قبل ذلك غير أبيه وأمه فجعل  
يسأل أباه عما يراه • فيقول أبوه : هذا بعير أو بقرة أو غير ذلك •  
فقال : ما لهؤلاء الخلق بد من أن يكون لهم رب • وكان خروجه بعد  
غروب الشمس ، فرفع رأسه الى السماء ، فاذا هو بالكوكب وهو  
المسترى • فقال هذا ربي • فلم يلبث أن غاب فقال « لا أحب الأفلير »

(١) آثار المعبد الذي حرق فيه إبراهيم بالنار في « كوثة » وهي الان  
تسمى حدود تركيا قرب الحدود مع العراق •

وكان خروجه في آخر الشهر ، فلهذا رأى الكوكب قبل القمر •  
وقيل : كان تفكر وعمره خمسة عشر شهرا • وقال لأمه وهو في  
المغارة : أخرجيني أنظر فأخرجته عشاء فنظر فرأى الكوكب وتفكر في  
خلق السموات والأرض وقال في الكوكب ما تقدم ، فلما رأى القمر  
بازغا « قال هذا ربي » فلما غاب « قال لأن لم يهدنى ربي لأكونن من  
القوم الضالين » •

فلما جاء النهار وطلعت الشمس رأى نورا أعظم من كل ما رأى  
فقال « هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يقوم أنى برىء مما تشركون » •  
ثم رجع ابراهيم الى أبيه وقد عرف ربه وبرىء من دين قومه الا أنه  
لم ينادهم بذلك فاخبرته أمه بما كانت صنعت من كتمان حاله ، فسره  
ذلك • وكان آزر يصنع الأصنام التى يعبدونها ويعطيها لبييعها ابراهيم،  
فكان ابراهيم عليه السلام يقول : من يشتري ما لا يضره ولا ينفعه ؟  
فلا يشتريها منه أحد ، وكان يأخذها ونطلق بها الى نهر فيصوب  
رعوسها فيه • ويقول : أشربى استهزاء بقومه ، حتى فشأ ذلك عنه  
في قومه ، غير أنه لم يبلغ خبره « نمرود » • فلما بدا لابراهيم أن  
يدعو قومه الى ترك ما هم عليه ويأمرهم بعبادة الله تعالى دعا أباه الى  
التوحيد فلم يجبه ، ودعا قومه فقالوا : من تعبد أنت ؟ قال رب العالمين •  
قالوا : نمرود ؟ قال بل أعبد الذى خالقنى ، فظهر أمره وبلغ نمرود  
أن ابراهيم أراد أن يرى قومه ضعف الأصنام التى يعبدونها ليلزمهم  
الحجة ، فجعل يتوقع فرصة ينتهى بها ليفعل بأصنامهم ذلك • وكان لهم  
في كل سنة عيد يخرجون اليه ويجمعون فيه ، وادا عادوا من عيدهم  
دخلوا على الأصنام فسجدوا لها ، ثم عادوا الى منازلهم ، فلما ككان  
ذلك العيد قال آزر لابنه ابراهيم : لو خرجت معنا الى عيدنا أعجبك  
ديننا « فنظر نظرة في النجوم فقال : انى سقيم » أى سأستقم لأن كل  
انسان لابد أن يصير سقيما فتخلف عن قومه وخالف الى أصنامهم  
وهو يقول : « تالله لإكيدن أصنامكم » وهى فى بهو عظيم بعضها الى  
جنبي بعض ، كل صنم يليه أصغر منه حتى بلغوا باب البهو ، وادا هم

قد جعلوا طعاما بين يدي آلهتهم ، وقالوا نترك الآلهة الى حين نرجع  
فتأكله ، فلما نظر ابراهيم الى ما بين أيديهم من الطعام قال :  
« ألا تأكلون ؟ » فلما لم يجبه أحد قال : « مالكم لا تنطقون ؟ فراغ عليهم  
ضربا باليمين » فكسرها بفأس يده ، حتى اذا بقى أعظم صنم منها  
ربط الفأس بيده ، ثم تركهن . فلما رجع قومه ورأوا ما فعل بأصنامهم ،  
راعهم ذلك ، وأعظموه « وقالوا من فعل هذا بالهتنا ، انه من الظالمين ؟ »  
فقالوا « سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم » يعنون يسبها ويعيبها .  
ولم نسمع ذلك من غيره . وهو الذى نظنه صنع بها هذا . وبنح ذلك  
نمرود وأشراف قومه ، فقالوا : « فأتوا به على أعين الناس لعلمهم  
يشهدون » ما نفعل به وقيل يشهدون عليه كرهوا أن يأخذوه بغير بينة  
فلما أتى به واجتمع له قومه عند ملكهم نمرود . وقالوا « أأنت فعلت  
هذا بالهتنا يا ابراهيم ؟ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا  
ينطقون » غضب من أن تعبدوا هذه الصغار وهو أكبر منها فكسرها  
فادعوا ورجعوا عنه فيما ادعوا عليه . فكسرها الى أنفسهم فيملا  
بينهم ، فقالوا : لقد ظلمناه وما نراه الا كما قال أو عرفوا أنها لا تضر  
ولا تنفع ولا تبطش « لقد علمت ما هؤلاء ينطقون » أى لا يتكلمون  
فيخبرونا من صنع هذا بها . وما تبطش بالأيدي فنصدقك يقول الله  
نعالي : « ثم ذكسوا على رعوسهم » فى الحجة عنهم لابراهيم فقال  
لهم ابراهيم عند قولهم ما هؤلاء ينطقون : « أتعبدون من دون الله  
ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله  
أفلا تعقلون » .

ثم ان نمرود قال لابراهيم : أرأيت الهك الذى تعبد وتدعو الى  
عبادته ما هو ؟ قال : « ربي الذى يحبى ويميت » قال نمرود « أنا  
أحىي وأميت » قال ابراهيم : وكيف ذلك ؟ قال آخذ رجلين قد استوجبا  
القتل فأقتل أحدهما ، فأكون قد أمته ، وأعفو عن الآخر فأكون قد  
أحييته ، فقال ابراهيم : « ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها  
من المغرب . فهبت » عند ذلك نمرود ولم يرجع اليه شيئا .

ثم أنه وأصحابه أجمعوا على قتل ابراهيم فقالوا « أحرقوه وانصروا  
التهتكم » قال عبد الله بن عمر أشار بتحريقه رجل من أعراب فارس قيل  
له وللفرس أعراب ؟ قال نعم الأكراد هم أعرابهم . قيل كان اسمه  
هيزن فحُصِفَ به فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة ، فأمر نمرود  
بجمع الحطب من أصناف الخشب : حتى ان كانت المرأة لتنذر بأنها ان  
بلغت ما تطلب أن تحطب انار ابراهيم حتى اذا أرادوا أن يلغوه فيها ،  
قدموه وأشعلوا النار حتى ان كانت الطير لتمر بها فتحترق من شدتها  
وحرها ، فلما أجمعوا لتذفئه فيها صاحت السماء والأرض وما فيهما  
الا الثقلين الى الله تعالى صيحة واحدة : أى ربنا ابراهيم ليس فى  
أرضك من يعبدك غيره ، يحرق بالنار فيك فأذن لنا فى نصره . قال الله  
تعالى : ان استغاث بشىء منكم فلينصره ، وان لم يدع غيرى فأنا له ،  
فلما رفعوه على رأس البنيان رفع رأسه الى السماء وقال : اللهم أنت  
الواحد فى السماء وأنت الواحد فى الأرض حسبى الله ونعم الوكيل .  
وعرض له جبريل وهو يوثق فقال : ألك حاجة يا ابراهيم ؟ قال : أما  
ليك فلا فذفوه فى النار فناداها الله تعالى فقال : « يا نار كونى بردا  
وسلاما على ابراهيم » وقيل : ناداها جبريل فلو لم يتبع بردها سلام،  
لمت ابراهيم من شدة بردها . فلم يبق نار يومئذ الا طفئت ظنت  
أنها هى .

وبعث الله تعالى ملك الظل فى صورة ابراهيم فقعدها الى جنبه  
يوئسه ، فمكث نمرود أياما لا يشك أن النار قد أكلت ابراهيم فرأى  
كأنه نظر فيها وهى تحرق بعضها بعضا ، وابراهيم جالس الى جنبه  
رجل مثله ، فقال لقومه : لقد رأيت كأن ابراهيم حى ولقد شئته على  
ابنوا له صرحا يشرف بى على النار فبنوا له وأشرف منه فرأى ابراهيم  
جالسا والى جانبه رجل فى صورته ، فناداه نمرود يا ابراهيم ان الهك  
كبير ، الذى بلغت قدرته وعزته أن حال بينك وبين ما أرى هل تستطيع  
أن تخرج منها ؟ قال : نعم . قال : أتخشى أن أهدمت فيها ؟ قال : لا .  
فقام ابراهيم فخرج منها . فلما خرج قال له : يا ابراهيم من الرجل

الذى رأيت معك مثل صورتك ؟ قال : ذلك ملك الظل أرسله الى ربي ليؤنسنى ، قال نمرود : انى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته وما صنع بك حين أبيت الا عبادته ، فقال ابراهيم : اذن لا يقبل الله تعالى منك ما كنت على شىء من دينك • فقال : يا ابراهيم لا أستطيع ترك ملكى وقرب أربعة آلاف بقرة • وكف عن ابراهيم ومنعه الله تعالى منه ، وآمن مع ابراهيم رجال من قومه ، حين رأوا ما صنع الله تعالى به على خوف من نمرود وملتهم ، وآمن له لوط بن هاران • وهو ابن أخى ابراهيم • وكان لهم أخ ثالث يقال له ناحور بن تارح وهو أبو بتوئيل وبتوئيل أبو لابان وأبو رفقا امرأة اسحق بن ابراهيم أم يعقوب ولابان أبو ليا وراحيل زوجتى يعقوب •

وآمنت ه سارة وهى ابنة عمه وهى سارة بنت هاران الأكبر عم ابراهيم وقيل : كانت ابنة ملك حران فأمنت بالله تعالى مع ابراهيم •

**ثم ان ابراهيم والذين اتبعوا أمره ، أجمعوا على فراق قومهم فخرط مهاجرا حتى قدم مصر ، وبها فرعون من الفراعنة الأولى كان اسمه سان بن علوان بن عييد بن عولج بن املاق بن لاوذ بن سام بن نوح • وقيل : كان أخا الضحاك استعمله على مصر ، وكانت سارة من أحسن النساء وجها وكانت لا تعصى ابراهيم شيئا فلما وصفت لفرعون أرسل الى ابراهيم فقال : من هذه التى معك ؟ قال أختى يعنى فى الاسلام وتخوف ان قال هى امرأتى أن يقتله ، فقال له زينها وأرسلها الى ، فأمر بذلك ابراهيم فترينت وأرسلها اليه ، فلما دخلت عليه أهوى بيده اليها وكان ابراهيم حين أرسلها قام يصلى فلما أهوى اليها أخذ أخذها شديدا فقال ادعى الله ولا أضرك فدعت له فأرسل فأهوى اليها فأخذ أخذها شديدا فقال : ادعى الله ولا أضرك ، فدعت له فأرسل ثم فعل ذلك ، الثالثة فذكر مثل المرتين فدعا أدنى حجابها فقال : انك لم تأتني بانسان وانك أتيتني بشيطان أخرجها وأعطها هاجر ، ففعل فأقبلت بهاجر فلما أحس ابراهيم بها انفصل من صلته فقال مهيم ؟ فثالت : كفى الله كيد الكافرين ، وأخدم هاجر •**

وكان أبو هريرة رضى الله تعالى عنه يقول : تلك أمكم يا بنى ماء السماء لأن سارة وهبتها لزوجها إبراهيم عليه السلام وقالت له خذها لعل الله يبرزقك منها ولدا وكانت سارة قد منعت الولد ، حتى أسنت فوق إبراهيم على هاجر فولدت اسماعيل عليه السلام •

ولهذا قال النبي ﷺ « إذا افتتحتم مصر فاسنوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما » يعنى ولادة هاجر فكان إبراهيم قد خرج بها الى الشام من مصر خوفا من فرعون فنزل « السبع » من أرض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة • وهى من السبع مسيرة يوم وليلة فبعثه الله تعالى نبيا • وكان إبراهيم قد اتخذ بالسبع بئرا ومسجدا وكان ماء البئر معينا طاهرا ، فآذاه أهل السبع فاتقل عنهم فنضب الماء ، فاتبعوه يستلونه العودة ، فلم يفعل ، وأعطاهم سبعة أعنز ، وقال اذا أوردتموها الماء ظهر حتى يكون معينا طاهرا ، فاشربوا منه ولا تغترب منه امرأة حائض ، فخرجوا بالأعنز فاما وقفت على الماء ظهر اليها وكانوا يشربون منه الى أن غرفت منه امرأة طامث ، فعاد الماء الى الذى هو عليه اليوم •

وأقام إبراهيم بين الرملة وإيلياء ببلد يقال له قط أو قط • قال فلما واد اسماعيل عليه السلام حزنت سارة حزنا شديدا فوهبها الله تعالى اسحق وعمرها سبعون سنة ، كما حكى الله سبحانه ذلك فى القرآن الكريم وعمر إبراهيم مائة وعشرون سنة فلما كبر اسماعيل واسحاق اختصما فغضبت سارة على هاجر فأخرجتها ثم أعادتها فغارت منها فأخرجتها وحلفت لتقطعن منها بضعة ، فتركت أنفها وأذنها لثلاث تشينها ثم خففتها فمن ثم خفض النساء • وقيل كان اسماعيل صغيرا وانما أخرجتها سارة غيرة منها وهو الصحيح ، وقالت سارة لا تساكنتى فى بلد فأوحى الله تعالى الى إبراهيم أن يأتى مكة وليس بها يومئذ نبت ، فجاء إبراهيم بابنه اسماعيل وأمه هاجر فوضعها بمكة بموضع زمزم ، فاما مضى نادته هاجر يا إبراهيم من أمرك أن تتركنا بأرض ليس فيها زرع ولا ضرع ولا ماء ولا زاد ولا أنيس ؟ قال : ربي أمرنى قالت :



فانه لى يضيعنا • فلما ذهب قال : « ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن »  
يعنى من الحزن وقال : « رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع  
عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى  
اليهم » •

فلما ظمأ اسماعيل جعل يدهخض الأرض برجله فنبتت العيين وهى  
زمزم وكانت جرهم بواد قريب من مكة ولزمت الطير الوادى حين رأت  
الماء فلما رأت جرهم الطير لزمت الوادى قالوا : ما لزمته الا وفيه  
ماء ، فجاؤا الى هاجر فقالوا لو شئت لكنا معك فآتسناك والماء ماءك  
قالت : نعم فكانوا معها حتى شب اسماعيل وماتت هاجر ، فتزوج  
امراة من جرهم فتعلم العربية منهم هو وأولاده ، فهم العرب المتعربة  
واستأذن ابراهيم سارة أن يأتى هاجر فأذنت له وشرطت عليه أن  
لا ينزل • فقدم وقد ماتت هاجر فذهب الى بيت اسماعيل فقال لامرأته  
أين صاحبك قالت : ليس هنا ذهب يتصيد ، وكان اسماعيل يخرج من  
الحرم يتصيد ، ثم يرجع • قال ابراهيم : هل عندك ضيافة ؟ قالت :  
ليس عندى ضيافة ، وما عندى أحد فقال ابراهيم : اذا جاء زوجك  
فاقرئيه السلام وقولى له فليغير عتبة بابه وعاد ابراهيم وجاء اسماعيل  
فوجد ريح أبيه ، فقال لامرأته هل عندك أحد ؟ قالت : جاعنى شيخ  
كذا وكذا كالمستخفة بشأنه ، قال : فما قال لك ؟ قالت : قتل اقرأى  
زوجك السلام وقولى له فليغير عتبة بابه ، فطلقها وتزوج أخرى فلبث  
ابراهيم ما شاء الله أن يلبث ، ثم استأذن سارة أن يزور اسماعيل ،  
فأذنت له ، ثم بعد ذلك أمر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ببناء  
البيت الحرام فجعل ابراهيم بينيه واسماعيل يناوله الحجارة ، ثم لما  
فرغ من البناء أمره الله تعالى أن يؤذن فى الناس بالحج ، ولم يزل  
البيت على ما بناه ابراهيم الى أن هدمته قريش سنة خمس وثلاثين  
من موالد النبى الكريم ﷺ •

وأنزلت عليه عشر صحائف وتوفى وهو ابن مائتى سنة •  
واختلف السلف من المسلمين فى الذبيح من ولديه فقيل اسحق •

وقيل : اسماعيل عليهما السلام وهو الأصح كما قدمنا لك أدلة ذلك • ولما تزوج اسماعيل الامرأة الثانية وهي السيدة بنت مضاخ الجرهمي ، ولدت له اثني عشر رجلا ، وعمر اسماعيل على ما قيل مائة وسبعواثلاثين سنة ، ودفن عند قبر أمه هاجر في الحجر ، ومن رُديه نابت وقيدار ، ابني اسماعيل ، نشر الله تعالى العرب وكثر ذريته • كما قال في التوراة خطابا لهاجر : « انى سأكثر نسلك اكثرا ولا يحصى من كثرته » وفي اية أخرى من التوراة « وعلى اسماعيل استجيت لك . هوذا أباركه وأكبره وأكثره كثيرا جدا • فسيلد اثني عشر رئيسا وأجعل له لشعب كبير » كما تقدم •

**وأما قوله : « ان الحنيف هو الذي يعبد الصنم » الى آخره •**  
فدعوى بلا دليل ، بل الدليل على خلافها • فقد ورد في القرآن الكريم • اطلاق الحنيف على المسلم • ويؤيده : ان الجارود بن بشر من عبد القيس وهو أشرف العرب بيتا - وكان نصرانيا - وقد مع المنذر بن ساوى في وهو أشرف العرب بيتا • وكان نصرانيا فوفد مع المنذر بن ساوى في جماعة من عبد القيس على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في سنة تسع أو سنة عشر ، وأسلم طوعا كجماعته • وقال شعرا :

**شهدت بأن الله حق وسامحت ثبات فؤادى بالشهادة والنهض**

فأبلغ رسول الله منى رسالة : بأنى حنيف حيث كنت من الأرض

فهذا كان نصرانيا عربيا بحثا ويعرف أن الحنيف هو المسام لا عابد الصنم • وكان الجارود رضى الله تعالى عنه من أكابر النصارى ، وممن حسن اسلامه ، وصحبته ، وقد قدمنا لك في رد كلامه هذا أيضا ماتزيدك مراجعته علما فراجعته وتفطن •

**وأما قوله : « فلا أظنك تستجيز في عقلك أن تدعوني الى مثل حال ابراهيم في كفره وضلاله من عبادة الأصنام التى هى الحنيفية ، وان كنت تدعوني الى حاله وقت توحيده ، فاليهودى أولى بهذه**

الدعوة منك » • الى آخره •

فهذا مثل قول اخوانه الذين أنزل الله تعالى فيهم قوله سبحانه :  
« يا أهل الكتاب لم تحتاجون في ابراهيم ؟ وما أنزلت التوراة والانجيل  
الا من بعده • أفلا تعقلون ؟ ما أنتم هؤلاء حاجتكم فيما لكم به علم ،  
فلم تحتاجون فيما ليس لكم به علم ؟ والله يعلم وأنتم لا تعلمون •  
ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما • وما كان  
من المشركين • ان أولى الناس بابراهيم الذين اتبعوه وهذا النبي  
والذين آمنوا والله ولي المؤمنين » •

فقد أخرج ابن اسحق وابن جرير عن ابن عباس رضى الله تعالى  
عنهما قال : أجمعت نصارى نجران وأخبار يهود عند رسول الله صلى  
الله تعالى عليه وسلم فتنازعوا عنده • فقالت الأخبار ما كان ابراهيم  
الا يهوديا • وقالت النصارى : ما كان ابراهيم الا نصرانيا ، فأنزل الله  
تعالى فيهم هذه الآية فما في قوله تعالى : « لم » ؟ استفهامية  
والغرض الانكار والتعجب ، وحذفت ألفها لما دخل الجار للفرق بينها  
وبين الموصولة ، والكلام على حذف مضاف أى دين ابراهيم وشريعته ،  
لأن الذوات لا مجادلة فيها • ورد الله سبحانه عليهم ادعاءهم أنه كان  
يهوديا أو نصرانيا بأن التوراة نزلت على موسى بعده ، وكان بينهما  
خمسائة وخمس وستون سنة وقيل سبعمائة وقيل ألف سنة ، والانجيل  
على عيسى بعده ، وبينه وبين موسى عليهما السلام ألف وتسعمائة  
وخمس وعشرون سنة وقيل ألفا سنة • فكيف يكون ابراهيم يهوديا  
أو نصرانيا ؟ فهو قول ظاهر البطلان وليس لدينه ذكر في كتابكم ،  
ولا تعرض لكونه آمن بموسى وعيسى قبل بعثتهما أصلا ولو كان الأمر  
كذلك كما قيل لما أوتى موسى عليه السلام التوراة ولا عيسى عليه السلام  
الانجيل ، بل كانا يؤمران بتبليغ صحف ابراهيم ، فابراهيم عليه  
السلام كان حنيفا أى مائلا عن العقائد الزائفة ، مسلما أى منقادا  
لطاعة الحق أو موحدا لأن الاسلام يرد بمعنى التوحيد أيضا • ويؤيده:  
قوله تعالى : « وما كان من المشركين » أى عبدة الأصنام كالعرب الذى  
كانوا يدعون أنهم على دينه أو سائر المشركين ليعم أيضا عبدة النار

كالمجوس وعبدة الكواكب كالصابئة وقيل : أراد بهم اليهود والنصارى  
لقول اليهود « عزيز ابن الله » وقول النصارى « المسيح ابن الله »  
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا •

فان قلت : هل يصح تفسير الاسلام هنا بالدين المسمى • كما قاله  
بعضهم ؟ قلت : يرد عليه حينئذ أنه كان بعد ابراهيم بكثير ، فكيف  
يكون مسلما بهذا المعنى الاصطلاحي ؟ لئلا يكون كادعائهم تهوده  
وتنصره المردود بقوله تعالى : « وما أنزلت التوراة والانجيل الا من  
بعده » فيرد عليه ما ورد عليهم ويشترك الالزام • وان أجاب بعض  
المقاتلين بالمعنى الاصطلاحي : أن الالزام غير مشترك ، لأن القرآن  
أخبر بأن ابراهيم كان مسلما • وليس في التوراة والانجيل أنه عليه  
الاصلاة والسلام كان يهوديا أو نصرانيا • فظهر الفرق •

قال الوالد عليه الرحمة في تفسيره : في الآية وجه آخر وهو أن أهل  
الكتاب لما تنازعوا ، فقالت اليهود ابراهيم منا ، وقالت النصارى انه  
منا ، أرادت كل طائفة أنه عليه السلام كان اذ ذاك على ما هم عليه  
الآن من الحال • وهو حال مخالف لما عليه نبيهم في نفس الأمر ، موافق  
له زعما على معنى موافقة الأصول للأصول والموافقة فيما بعد في  
المعرف موافقة ، ولو لم تكن في المعظم • فرد عليهم سبحانه بقوله :  
« وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده » أي وليسا مشتملين على  
ذلك • وهو من الحرى بالذكر لو كان • ثم أشار سبحانه الى ما هم  
عليه من الحماسة ، ثم صرح بما أشار أولا فقال : « ما كان ابراهيم  
يهوديا » أي من الطائفة اليهودية المخالفة لما جاء به موسى في نفس  
الأمر « ولا نصرانيا » أي من الطائفة النصرانية المخالفة لما جاء به  
عيسى عليه السلام كذلك « ولكن كان حنيفا مسلما » أي على دين  
الاسلام الذي ليس عند الله دين مرضى سواه • وهو دين جميع الأنبياء  
صلوات الله وسلامه عليهم • وفي ذلك إشارة الى أن أولئك البهـود  
والنصارى ليسوا من الدين في شيء لمخالفتهم في نفس الأمر لما عليه  
النبيان بل الأنبياء ، ثم أشار الى سبب ذلك بما عرض به من قوله

سبحانه : « وما كان من المشركين » فعلى هذا يكون المراد بالمسلم  
سبحانه : « وما كان من المشركين » فعلى هذا يكون المراد بالمسلم  
المؤمن . ولو من غير هذه الأمة أ . ه .

وأما قوله : « فاليهودى بن ابراهيم أولى بهذه الدعوة منك ،  
لأنه هو صاحب تراث اسحق ، وارث هذا التوحيد عن ابراهيم أبيه »  
الى آخره .

فقول صادر عن فهم سخيف ، ومجادلة بالباطل ، لأنه اذا كانت هذه  
الدعوة حقاً ، فكل أحد من عباد الله الموحدين ، سواء فى ذلك . على أن  
العرب والنبي ﷺ سيدهم من ذرية ابراهيم من ولد ابنه اسماعيل  
المبارك عليه فى التوراة فما الفرق بين ولد اسحق وولد أخيه الأكبر  
اسماعيل بالدعوة الى توحيد الله تعالى ؟ فهؤلاء اليهود اولاد اسحق  
أيضاً دعواكم الى التوحيد وعدم القول بالثلاثية ، ونهواكم أن تجعلوا  
الآلهة ثلاثة ، فمسمعتهم وكذا اولاد عمكم اسماعيل يدعونكم الى  
ذلك . فما ارعويتهم ، وأصررتهم على هذه المقالة الشعاء ، وجعلتم المسيح  
إلهاً خالقاً للعالم ، وأكاتم لحمه الحقيقى فى الصباح والمساء .

على أن متى قال فى انجيله فى الأصحاح الخامس ما نصه : « يا ذرية  
الأفاعى من دلکم على الهرب من الغضب الآتى ؟ اعملوا الآن ثمرة  
تليق بالتوبة ، ولا تقولوا فى أنفسكم ان أبانا ابراهيم ، فأقول لكم :  
ان الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة بنين لابراهيم ، فانه قد وضع  
أنفاس على أصول الشجر ، فكل شجرة لا تثمر ثمرها صالحاً تقطع  
وتلقى فى النار » .

فانظر يا من يدعى الانصاف كيف بين فى الانجيل أن اولاد ابراهيم  
اذا لم يعملوا صالحاً يقيم بدلهم غيرهم ، ويجعلهم فى النار ، فقد  
أقام الله - واه سبحانه الحمد - أمة من العرب والنعمان والترك  
وغيرهم يدعون الى الرشد ويأمرون بالمعروف وينهون عن تعديد الآلهة

وعن كافة المحرمات ، فهم أولى من ولد ابراهيم الذين قتلوا الههم — بزعمك — المارقين عن كتبهم وعن الدين ، المحرفين المبديلين والمثليين ، فأولاد ابراهيم هم الصالحون وغيرهم وان كانوا من ذريته ، فهم المبدعون . كما قال الله تعالى : « ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا » ونحن والحمد لله سبحانه المؤمنون الموحدون ، وأنتم المثثون الآكلون لحم البهائم وادمه شاربيون . فانظر ما أنتم عليه وما عليه المسلمون ، وأنصف واعبد الله وحده ولا تعبد ثلاثة وتقول : « انا وجدنا آباءنا على أمة ، وأنا على آثارهم متتدون » .

وأما قوله : « وصاحبك يقرأ في كتابه ويقول طائعا انه قيل له « قل : انى أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونين من المشركين » . ( الأنعام ١٤ ) . أفلا ترى أنه أول من اظهر الاسلام وان قبله ابراهيم وغيره لم يكونوا مسلمين » .

اعلم : أن الاسلام في اللغة : الانتقاد ، يقال أسلم اذا انقاد وصار مسلما . وفي الشرع يأتي على ضربين : أحدهما : دون الايمان وهو الاعتراف باللسان وبه تجرى على المناطق به أحكام المسلمين الظاهرة . حصل الاعتقاد معه أو لم يحصل ، وإياه قصد بتوله تعالى : « قالت الأعراب آمنا » قل : لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » .

والثاني : فوق الايمان . وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب ووفاء بالفعل واستسلام لله تعالى في جميع ما قضى وقدر كما ذكر عن ابراهيم عليه السلام في قوله : « ان قال له ربه أسلم » قال : أسلمت لرب العالمين » . وقوله تعالى : « ان الدين عند الله الاسلام » وقوله تعالى : « توثنى مسلما » أى اجعلنى ممن استسلم لرضاك . وقوله تعالى : « ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسامون » أى متقادون للحق مدعون له . وقوله تعالى « يحكم بها النبيون الذين أساموا للذين هادوا » أى للذين انقادوا من الأنبياء الذين ليسوا من أولى

العزم الذين يهتدون بأمر الله ويأتون بالشرائع • وهذه الآية تفسيرها :  
أن أكون أول من أسلم وجهه لله سبحانه مخلصا له لأن النبي عليه الصلاة  
والسلام مأمور بما شرعه الا ما كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم  
وهو امام أمته ومقتداهم ، وينبغي لكل أمر أن يكون هو العامل أولا  
بما أمر به ليكون أدعى للامثال •

**ومن ذلك : ما حكى الله تعالى عن موسى عليه السلام « سبحانه تبت  
إليك وأنا أول المؤمنين » وقيل : انما ذكر للتحريض كما يأمر الملك  
رعيته بأمر ثم يقول : وأنا أول من يفعل ذلك ، ليحملهم على الامثال •  
والا فلم يصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم امتناع عن ذلك ، حتى  
يؤمر به ، وقوله سبحانه : « ولا تكونن من المشركين » أى فى أمر من  
أمور الدين • وفى الكلام قول مقدر ، أى وقيل لى : لا تكونن •  
وحاصل المعنى : أنى أمرت بالاسلام ونهيت عن الشرك •**

**وقال فى الفتح : « أمر الله سبحانه نبيه عليه الصلاة والسلام أن  
يقول للمشركين لما دعوه الى عبادة الاصنام : « قل غير الله اتخذ وليا؟ »  
أى كيف اتخذ غير الله تعالى معبودا ؟ ثم أمره أن يقول لهم ثانيا : انه  
مأمور بأن يكون أول من أسلم وجهه لله من قومه ، وأخلص من أمته  
من حيث انه مرسل لنفسه ، يعنى يجب عليه الايمان برسالة نفسه ،  
وبما جاء من الشريعة والأحكام كما أنه مرسل لغيره ، وهو أول من  
انقاد لهذا الدين ، أو المعنى أول فريق أسلم • وأفد الضمير فى  
« أسام » باعتبار لفظ فريق أو باعتبار لفظ من • وقيل : معنى أسلم  
استسلم لأمر الله ثم نهاه عز وجل أن يكون من المشركين • والمعنى :  
أمرت بأن أكون أول من أسلم ونهيت عن الشرك ، أى يقول لهم ذلك» •**

وعند السادة الصوفية أن المراد الأمر الكونى أى قل انى قيل لى :  
كن أول من أسلم ، فكنت • وذلك قبل ظهور هذه التعينات ، أى فى عالم  
الأرواح • ولا يبعد أيضا أن يراد بأول الأول النبي أى بالنسبة الى  
أمته عليه السلام ومن دعاه الى الاسلام كما أشير اليه فيما سبق •

فان قيل : قوله تعالى : « وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس » يشعر ظاهره أن إبراهيم هو سمانا المسلمين ، مع أن قول الأكثر ان هذه التسمية غير مخصوصة بهذه الأمة .

**قائلا :** قال المفسرون : الضمير في الآية عائد الى الله تعالى كما ذهب اليه ابن عباس رضى الله عنه ومجاهد والضحاك وقتادة وسفيان ويدل عليه قراءة أبي « الله سماكم المسلمين من قبل » أى من قبل نزول القرآن . وذلك في الكتب السماوية كاللوراة والانجيل الصحيحين . وقيل : الضمير عائد الى ابراهيم لقربه وتسميته اياهم بذلك من قبل في قوله « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » .

واذا علمت : جميع ما تقدم من معانى الاسلام وما يراد به على اختلاف موارد ، تبين لك كذب ما ادعاه هذا النصرانى من كفر ابراهيم عليه السلام وعبادته للأصنام قبل بعثته ، ولم يأت بدليل على ذلك . ومن أين علم أن الحنيفية كانت تطلق على عبادة الأصنام ؟ فهذا الا تحكم وبهتان ، مع أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها . لكن النصرارى كاخوانهم اليهود يحرفون الكلم ، وينسبون الأنبياء عليهم السلام الى عبادة الأصنام والكفر بعد النبوة أيضا . كما رووا في التوراة في حق سليمان أنه عمل الأصنام لزوجاته فعبدها — كما سيأتى تفصيل ذلك في محله ان شاء الله تعالى — واتضح لك كفاق الصبح أن الاسلام يأتى في القرآن في المعنى اللغوى في بعض الآيات الكريمة ، ويأتى في بعضها بالمعنى العرفى الشرعى ، فلا تناقض في الآيات ولا تدافع في الكلمات . ولكل مقام مقال ، ولكل لفظ معنى يناسبه الحال ، عند من أنصف وترك باطل الجدال . وبالله سبحانه التوفيق ونعوذ بالله من الغواية والضلال .



قال النصرانى : « فان أبيت أصلحك الله الا الوكالة بالخصومة



والاحتجاج عن اليهود ، فأنت تعلم ما يجب لنا عليك في الحكم اذا نحن طالبناك باقرار اليهودى بتوكيله اياك • فان ثبتت وكالتك له فبتمهلنا عليك ومسامحتنا لك في هذا الموضع أن نأخذ منك اقرارك انك قد أقمتم نفسك ونصبتها منصب الخصم عن اليهود •

وانا لا أرى لشرفك وحسبك أن أحلك هذا المحل ، وأقيمك هذا المقام ، وان كنت أنت أحلتت نفسه ، وانى أسألك عن هذا الواحد الذى دعوتنا الى الاقرار بوحدانيته ، كيف تفهمنا أنه واحد ؟ وعلى كم نحو يقال للواحد واحدا ؟ فاذا أنبأتنا بذلك عملنا أنك صادق فيما ادعيت من عبادة هذا الواحد ، وان ألفتيت غير عالم ، فأين تبصرك ؟ ألا تعلم أن الواحد لا يقال واحدا الا على ثلاثة أوجه ، اما فى الجنس واما فى النوع واما فى العدد • ولست أرى أحدا يدعى غير هذا أو يقدر أن يجد غير هذه الأوجه الثلاثة ان كان ذا لب وادراك لما يتول • وانما أناجيك بهذه المناجات وأخاطبك بما يخاطب به ذو العقل والرأى الراسخ فى العلم الداخلى فى الأمور بدراية وفهم لأنك - أيدك الله - لست عندى من الجهال الذين اذا أوردت عليهم مسألة غامضة تألطف عن غلظ طباعهم وجفاء أذهانهم ، عجزوا عن فهمها وانقطعوا عن الاجابة عنها لتقله علمهم ، فلم يكن لهم ولا عندهم من الجواب فيها غير سبحان الله •

نعم سبحان الله أبدا حتى تنصرم الدنيا وما دامت الآخرة من كل لسان ناطق وشفة متحركة فعلى أى وجه تصف الله جل وعز واحدا من هذه الوجوه التى ذكرتها لك ؟ فى الجنس أم فى النوع أم فى العدد ؟ فان قلت : انه واحد فى الجنس صار واحدا عاما لأنواع شتى ، لأن حكم الواحد فى الجنس هو الذى يضم أنواعا كثيرة مختلفة ، وذلك مما لا يجوز فى الله تعالى • وان قلت : انه واحد فى النوع صار ذلك نوعا عاما لأنواع شتى لأن حكم النوع يضم أنواعا كثيرة فى العدد • **وان قلت :** انه واحد فى العدد ، كان ذلك نقضا لكلامك انه واحد فرد صمد لأنى لا أشك فى أنه او سألك سائل عن نفسك فقال لك :

كم أنت لا تقدر أن تجيبه بأنك واحد فرد ؟ فكيف يقبل عقلك هذه الصفة التي لا تفضل الهك عن سائر خلقه ؟ وليتك مع وصفك اياه بالعدد كنت وصفته أيضا بالتبويض ، أتراك لا تعلم أنت أن الرجل الذي امتشت الكتب وقرأتها وناظرت أهل الملل المختلفة وفهمت اعتقاداتهم أن الواحد الفرد بعض العدد ، لأن كمال العدد ما عم جميع أنواع العدد فالواحد بعض العدد . وهذا نقض لكلامك .

**فان قلت :** انه واحد في النوع . فللنوع ذوات شتى لا واحد فرد . وان قلت : واحد في الجوهر وجب أن نسألك هل تخالف صفة الواحد في النوع عندك صفة الواحد في العدد ، وانما تعنى واحدا في النوع واحدا في العدد لأنه عام ؟

**فان قلت :** قد تخالف هذه تلك ، قلنا لك : حد الواحد في النوع عند أهل الحكمة العارفين بحدود الكلام والعالمين بقوانين المنطق : اسم يعم أفرادا شتى وواحد الواحد ما لا يعم غير نفسه ، أفمقر أنت أن الله واحد في الجوهر يعم أشخاصا شتى أو لهما تصفه شخصا واحدا ؟ وان كان معنى قولك بأنه واحد في النوع واحد في العدد ، فانك لم تعرف الواحد في النوع ما هو ؟ وكيف هو ؟ ورجعت الى كلامك الأول انه واحد في العدد ، وهذه صفة المخلوقين كما قدمنا آنفا .

**وان قلت :** هل تقدر أنت أن تصف الله واحدا في العدد اذا كان كرمك الواحد في العدد بعضا وليس بكامل ؟ قلنا لك : اننا نوصفه واحدا كاملا في الجوهر مثا في العدد ، أى في الأقسام الثلاثة فقد كملت صفته من الوجهين جميعا . اما وصفنا اياه واحدا في الجوهر فلاعتلائه جل وعز عن جميع خلقه وبريته محسوسة كانت أو غير محسوسة ، لا يشبهه شيء منها ولا يختلط في غيره بسيط غير كثيف ، وروحاني غير جسماني أب على كل شيء بقوة جوهره من غير امتزاج ولا اختلاط ولا تركيب . وأما في العدد فلأنه عام لجميع أنواع العدد ، لأن العدد لا يعدو ان تكن أنواعه نوعين زوجا وفردا فقلد دخل هذان

النوعان في هذه الثلاثة ، فبأى الأنحاء وصفناه ، لم نعدل عن صفة الكمال شيئاً كما يليق به ذلك ، لنعلم أننا وصفنا الله واحداً ليس على ما وصفته أنت — أكرمك الله — وأرجو أن يكون هذا الجواب مقنعاً لك ، وللناظر في كتابنا هذا اذا نظر بعين الانصاف ان شاء الله .

**واعلم أصلحك الله :** أنه كان يمكننا أن نعقد الكلام في هذا الفصل من كتابنا وكان ذلك مما يحتمله الموضوع ، لكننا أجبنا أن يكون كلامنا سهلاً يفهمه كل من قرأه واستملاً منه ، وكفى لا تستثقله الأسماع وينفر منه الذهن ، وينبغي لك — أصلحك الله — أن تعلم أن مناظرتنا في هذا الأمر كمنافسة الاخوة المشتركين في بضاعة واحدة ورثوها عن أبيهم ، فكل فيها مشترك ليس بعضهم فيها دون بعض ، فأنت ونحن في الكلام سواء ، فما جاء من الجواب وكان فيه بعض مرارة توجب الحق ، فينبغي لك أن تعترف به ولا تنكره ، فانا لا ندع الاستقصاء وبلوغ الغاية القصوى في الذب عن حقتنا ودحض حجة من أراد ابطال حجتنا وأمرنا وحاول ظلمنا » .



**أقول :** لا يخفى التناقض والتهافت وعدم الارتباط والتلبيس في كلام هذا النصراني ، على كل ذي لب وعقل . فانه قد رد بكلامه هذا على ما ذكره المسلم الموحد في رسالته له من قوله : « أن تعبد الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، ولم يكن له كفواً أحد » وهي الصفة التي وصف نفسه جل وعز بها ، إذ كان ليس أحد من خلقه أعلم به من نفسه ، فدعونك الى عبادة هذا الاله الواحد الذي هذه صفته » .

فالمسلم الموحد ما أراد من الواحد الأحد الا ما ذكره النعويين والعلماء العارفون من معانيها التي نذكرها لك قريباً ان شاء الله تعالى . والنصراني تهافت كلامه وتناقض حيث بين بعض معاني الواحد ، وريدها واختار أن الواحد هو الكامل في الجوهر المثلث في العدد ، أي في الأثانيم الثلاثة ، فأى تناقض أعظم من هذا ؟ إذ كيف يكون واحداً

وهي ثلاثة أرقام ؟ فأين الوحدة الحقيقية ؟ وأين نزيه الربوبية عن  
عن مشابهة المخلوقين ، في الوحدة التي اخترعها من عنده ، واخترتها  
من تلقاء نفسه وتناقض باثباتها تناقضا لا يخفى على الأطفال أو ربات  
الجمال ؟

**فاستمع ما قاله العلماء واللغويون ليزول ما أورده من الأشكال**  
قال : الراغب في مفرداته : « الواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء  
له البتة ، ثم يطلق على كل موجود ، حتى انه ما من عدد الا ويصح  
وصفه به ، فيقال : عشرة واحدة ومائة واحدة . فالواحد لفظ مشترك  
يستعمل على ستة أوجه :

**الأول :** ما كان واحدا في الجنس أو في النوع كقولنا : الانسان  
والفرس واحد في الجنس وزيد وعمرو واحد في النوع .

**الثاني :** ما كان واحدا بالاتصال ، اما من حيث الخلقة كقولك شخص  
واحد واما من حيث الصناعة كقولك حزمة واحدة .

**الثالث :** ما كان واحدا لعدم نظيره ، اما في الخلقة كقولك الشمس  
واحدة ، واما في دعوى الفضيلة كقولك فلان واحد دهره كقولك نسيج  
وحده .

**الرابع :** ما كان واحدا ، لامتناع التجزىء فيه ، اما الصغره  
كالهباء واما لصلابته كالإلماس .

**الخامس :** للمبدأ اما لبدء العدد كقولك واحد اثنان ، واما لبدء  
الخط كقولك النقطه واحدة . والوحدة في كلها عارضة ، واذا وصف الله  
سبحانه وتعالى بالواحد فمعناه هو الذي لا يصح عليه التجزىء  
ولا التكثر ، ولصعوبة هذه الوحدة قال عز وجل « واذا ذكر الله وحده  
اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة » والواحد المفرد ، ويوصف  
به غير الله تعالى والواحد مطلقا لا يوصف به غير الله تعالى .

وقال ابن الأثير في النهاية : « الواحد في أسماء الله تعالى هو المفرد  
الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر قال الأزهري : الفرق بين الواحد

والأحد : أن الأحد بنى لنفى ما يذكر معه من العدد ، تقول : ما جاعنى  
أحد ، والواحد اسم بنى لمفتتح العدد تقول : جاعنى واحد من القوم ،  
ولا تقول جاعنى أحد . فالواحد منفرد بالذات في عدم المثل والنظير ،  
والأحد منفرد بالمعنى . وقيل : الواحد هو الذى لا يتجزئ ولا يثنى  
ولا يقبل الانقسام ولا نظير له ولا مثل ولا يجمع هذين الموضوعين  
الا الله تعالى .

قال العلامة سيف الدين أبو الحسن على الأمدى في كتابه أبقار  
الأفكار بعد أن أورد بعض المعانى للواحد واعتراضا لها . ما نصه :  
« مسمى الواحد اما أن يكون غير منقسم أو هو منقسم ، فان كان غير  
منقسم فاما أن يكون قابلا للانقسام أولا . فان كان غير قابل للانقسام  
فهو الواحد بالعدد مطلقا ، كالجوهر الفرد ، وان كان قابلا للانقسام  
فأجزاؤه اما متشابهة أو غير متشابهة ، فان كان الأول فهو الواحد  
بالاتصال ، كالماء المتصل الأجزاء ، وان كان الثانى فيسمى الواحد  
بالتركيب كالواحد من الحيوانات والنبات ، واما أن يكون منقسما  
بالفعل ، فلا بد أن تشترك أعداده في معنى كلى يصح اطلاق اسم  
الواحد عليها باعتباره . والا فلا معنى لاطلاق الواحد عليها . وعلى  
حسب انقسام ذلك الكلى المشترك ، يكون أقسام هذا الواحد . فان  
كان الكلى المشترك جنسا قليل لما تحته من الأنواع انها واحدة بالجنس ،  
كالانسان والفرس بالنسبة الى الحيوان . غير أن ما كان واحدا  
بالجنس فهو كثير بالنوع وان كان الكلى المشترك نوعا قليل للأعداد  
الداخلة انها واحدة بالنوع كزيت وعمره بالنسبة الى الانسان . وان  
كان الكلى المشترك عرضا قليل لما تحته من الأعداد : انها واحدة  
بالعرض . ومن لواحق هذه الأقسام المجانسة . وهى الاتحاد في  
الجنسية والمشاكله ، وهى الاتحاد في النوعية والمشابهة ، وهى الاتحاد  
في الكيفية والمساواة ، وهى الاتحاد في الكمية والموازاة ، وهى الاتحاد  
في الوضع .

وعلى هذا فما كان واحدا بالعدد ، فقد يتفق أن يكون واحدا بمعنى

عدم النظير والشبيه - على ما تقدم - والبارى تعالى واحد بكلما الاعتبارين • أما أنه واحد بالعدد ، فعلى ما تقدم • وأما أنه واحد بالاعتبار اثنائي ، فلما قامت عليه الأدلة من عدم وجود الهين ، لكل واحد منهما صفات الالهية ما للاخر « الى أن قال :

« وأما التوحيد فقد يطلق بالاشتراك على التفريق بين الشئيين بعد سابقه ، وقد يطلق على الاثنيان بالفعل الواحد مفردا ، وقد يطلق ويراد به اعتقاد الوجدانية لله تعالى • وهذا هو المقصود من اطلاق لفظ التوحيد في عرف المتكلمين ، وربما أطلق على الأخبار عن التوحيد وان جهل اخبار الخبر » •

قلت والتوحيد عند العلماء السلفيين ثلاثة أقسام توحيد الربوبية ، وهو أنه لا خالق ولا رازق ولا محيي ولا مميت الا هو • وتوحيد الألوهية وهو افراده سبحانه بالعبادة والتأله له والخضوع والحب والتوجه • وتوحيد الصفات وهو أن يصفه بما وصف به نفسه من غير تشبيهه ولا تكيف ولا تعطيل • ولا بد للمؤمن أن يوحد الربوبية والألوهية كما هو مفصل في محله •

وقال الواجد تغمده الله تعالى بغفرانه في تفسيره : « **الأحد** : قالوا همزته مبدلة من الواو ، وأصله وحد ، وابدال الواو المفتوحة همزة قليل • ومنه قولهم : امرأة أناة يريدون وناة ، لأنه من الونى وهو الفتور وهذا بخلاف أحد الذي يلزم النفى ونحوه ، ويراد به العموم • كما في قوله تعالى : « **فما منكم من أحد** عنه حاجزين » وقوله تعالى « **هل تحس منهم من أحد** » وقوله سبحانه : « **فلا تدع مع الله أحدا** » وقوله عز وجل : « **وان أحد من المشركين استجارك** » فان همزته أصلية ، وقيل الهمزة فيه أصلية كالهمزة في الآخر •

والفرق بينهما : قال الراغب : أن المختص بالنفى منهما لاستغراق جنس الناطقين ، ويتناول القليل والكثير على طريق الاجتماع والانفراق ، نحو ما في الدار أحد ، أى لا واحد ولا اثنان فصاعدا ، لا مجتمعين

ولا مفترقين • ولهذا لم يصح استعماله في الاثبات ، لأن نفي المتضادين يصح ولا يصح اثباتهما • فلو قيل في الدار أحد لكان فيه اثبات واحد منفرد مع اثبات ما فوق الواحد مجتمعين ومفترقين وذلك ظاهر الاحالة • ولتناول ذلك ما فوق الواحد يصح أن يقال : ما من أحد فاضلين • وعليه الآية المذكورة آنفا • والمستعمل في الاثبات على ثلاثة أوجه •

الأول : أن يضم الى العشرات نحو أحد عشر ، وأحد وعشرون •

والثاني : أن يستعمل مضافا أو مضافا اليه بمعنى الأول كما في قوله تعالى : « أما أحدكما فيستقى ربه خمرا » وقولهم : يوم الأحد أي يوم الأول •

والثالث : أن يستعمل مطلقا وصفا ، وليس ذلك الا في وصف الله تعالى • وهو وان كان أصله وحدا الا أن وحدا يستعمل في غيره سبحانه نحو قول النابغة :

كان رحلى وقد زال النهار بنا      بذى الجليل على مستأنس وحد  
انتهى •

وقال مكى : أصل أحد وحد فأبدلوا الواو همزة • فاجتمع الفان لأن الهمزة تشبه الألف فحذفت احداهما نخفيها • وفرق « ثعلب » بيز أحد ووحد بأن أحد لا يبنى عليه العدد ابتداء فلا يقال أحد واثنان كما يقال واحد واثنان ، ولا يقال رجل أحد كما يقال رجل واحد • ولذلك اختلف به سبحانه وتعالى • وفرق بعضهم بينهما أيضا بأن الأحد في النفي نص في العموم بخلاف الواحد ، فانه محتمل للعموم وغيره ، فيقال : ما في الدار أحد • ولا يقال بل اثنان • ويجوز أن يقال : ما في الدار واحد بل اثنان :

ونقل عن بعض الحنفية أنه قال في التفرقة بينهما : أن الأحادية لا تحتل الجزئية والعددية بحال ، والواحدية تحتلها ، لأنه يقال : مائة واحدة وألف واحد ولا يقال مائة أحد ولا ألف أحد • وبني على ذلك مسألة الامام محمد بن الحسن التي ذكرها في الجامع الكبير ،

إذا كان لرجل أربع نسوة فقال : والله لا أقرب واحدة منكن صار موليا منهن جميعا ، ولم يجوز أن يقرب واحدة منهن الا بكفارة • ولو قال : والله لا أقرب احداكن لم يصير موليا الا من احداهن ، والبيان اليه وفرق الامام الخطابي : أن الأحدية لتفرد الذات ، والواحدية لنفى المشاركة في الصفات • ونقل عن المحققين • التفرقة بعكس ذلك • ولما لم ينفك في شأنه تعالى أحد الأمرين من الآخر ، قيل : الواحد الأحد في حكم اسم واحد ، وفسر الأحد هنا ابن عباس رضي الله عنه وأبو عبيدة رضي الله عنه بالواحد • وقال : بعض الأجلة : أن الواحد مقول على ماتحته بالتشكيك ، فالمرأة به هنا حيث أطلق بالمتصف بالواحدية التي لا يمكن أن يكون أزيد منها ولا أكمل ، فهو ما يكون منزه الذات عن أنحاء التركيب والتعدد ، خارجا وذهنا • وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والمقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية وهو مأخوذ من كلام أبي بن سينا في تفسيره السورة الجليلة حيث قال : ان أحدا دال على أنه تعالى واحد من جميع الوجوه ، وأنه لا كثرة هناك أصلا . لا كثرة معنوية وهي كثرة المقومات والأجناس والفصول ، وكثرة الأجزاء الخارجية التمايزة عقلا كما في المادة والصورة ، والكثرة الحسية بالقوة أو بالفعل كما في الجسم • وذلك يتضمن لكونه سبحانه منزها عن الجنس والفصل والمادة والصورة والأعراض والأبعاض والأعضاء والأشكال والألوان وسائر ما يثلم الوحدة الكاملة والبساطة الحقة اللائقة بكرم وجهه عز وجل عن أن يشبهه شيء أو يساويه سبحانه شيء •

وقال ابن عقيل الحنبلي : « الذي يصح لنا من القول مع اثبات الصفات أنه تعالى واحد في الهيته لا غير » وقال غيره من السافيين كالحافظ ابن رجب : « هو سبحانه الواحد في الهيته وربوبيته ، فلا معبود ولا رب سواه عز وجل » واختار بعد وصفه تعالى بما ورد له سبحانه من الصفات « أن المراد الواحدية الكاملة • وذلك على وجهين :



كقوله تعالى : « قل هو الله أحد » للشأن وكونه للمسئول عنه ، ولا يصح أن يراد الواحد بالعدد أصلاً ، اذ يخلو الكلام عليه من الفائدة •

ونقل الامام البيهقي عن الحلبي : أن الأحد هو الذي لا شبيه له ولا نظير ، كما أن الواحد هو الحي الذي لا شريك له ولا عديد • ولهذا سمي الله عز وجل نفسه بهذا الاسم لما وصف نفسه بأنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد • فكان قوله عز وجل « لم يلد ولم يولد » من تفسير قوله أحد ، والمعنى لم يتفرع عنه شيء ولا يتفرع هو عن شيء كما يتفرع الولد عن أبيه وأمه ويتفرع عنهما الولد ، فاذا كان كذلك كما يدعوه المشركون لها من دونه لا يجوز أن يكون لها اذ كانت امارات الحدوث من التجزىء والتناهي قائمة فيه لازمة له ، والبارى سبحانه لا يتجزىء ولا يتناهي ، فهو اذن غير مشبه ايها ولا مشارك له في صفته •

وفي الصحيح قال رسول الله ﷺ « يقول الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم ينبغ له أن يكذبني ، وشتمني ابن آدم ولم ينبغ له أن يشتمني ، فأما تكذبيه اياي ، فقوله لن يعيدني كما بداني ، وليس أول خلقه بأهون على من اعادته ، واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا • وأنا الله الأحد الصمد ، لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد •

والصمد : قال ابن الانباري : لا خلاف بين أهل اللغة انه السيد الذي ليس فوقه أحد ، الذي يصمد إليه الناس في حوائجهم وأمورهم • وقال الزجاج هو الذي ينتهي اليه السؤدد ويصمد اليه أي يقصده كل شيء • وعن ابن عباس هو السيد الذي قد كمل في سؤدده ، والشريف الذي قد كمل في شرفه ، والعظيم الذي قد كمل في عظمته والحليم الذي قد كمل في حلمه ، والعليم الذي قد كمل في علمه ، والحكيم الذي قد كمل في حكمته ، وهو الذي قد كمل أنواع الشرف والسؤدد • وعن أبي هريرة : هو المستغنى عن كل أحد ، المحتاج اليه كل أحد • وعن ابن جبير هو

الكامل في جميع صفاته وأفعاله • وعن الربيع : هو الذى لا تعتريه الآفات وعن مقاتل هو الذى لا عيب فيه • وعن فتادة هو الباقي بعد خلقه • وعن بريدة مرفوعا : الصمد الذى لا جوف له • وقيل هو الذى ليس له أحشاء • وقيل هو الذى لا يطعم • وعن الشعبي هو الذى لا يأكل ولا يشرب • وعن طائفة منهم أبى بن كعب والربيع بن أنس أنه الذى لم يلد ولم يولد كأنهم جعلوا ما بعده تفسيراً له ، لأن المشركين قالوا : يا محمد أنسب لنا ربك • فأنزل الله عز وجل « قل هو الله أحد » الى آخر السورة ، لأنه ليس شيء مولود الا سيموت ، وليس شيء يموت الا سيورث ، وأنه تبارك وتعالى لا يموت ولا يورث « ولم يكن له كفوا أحد » لم يكن له شبه ولا عدل « ليس كمثله شيء » قال الوالد عليه الرحمة : « ونفى الولادة عنه سبحانه لأن الولادة تقتضى انفصال مادة منه سبحانه ، وذلك يقتضى التركيب المنافي للصدمية والأحدية ولأن الولد من جنس أبيه • ولا بجانبه تعالى أحد لأنه سبحانه واجب وهو سبحانه دائم باق غير محتاج الى شيء من ذلك • ونفى المولودية عنه سبحانه لاقتضاءها المادة ، فيلزم التركيب المنافي للغناء المطلق والأحدية الحقيقية ، أو لاقتضاءها سبق العدم ، ولو بالذات ، أو لاقتضاءها المجانسة المستحيلة على واجب الوجود •

وقدم نفى الولادة لأنه الأهم لان طائفة من الكفار توهموا خلافه بخلاف نفى المولودية أو لكثرة متوهمى خلاف الأول دون خلاف الثانى، بناء على أن النصرارى يلزمهم بواسطة دعوى الاتحاد ، القول بانه لادة والمولودية فيمن يعتقدونه لها • وذلك على ما تضمنته كتبهم أنهم يقولون الآب هو الأبنوم الأول من الثالث ، والابن هو الثانى الصادر منه صدورا أزايا مساويا بالأزلية له ، وروح القدس هو الثالث الصادر عنهما كذلك ، والطبيعة الالهية واحدة • وهى لكل من الثلاثة ، وكل منها متحد معها • ومع ذلك هم ثلاثة جواهر لا جوهر واحد ، فالآب ليس هو الابن والابن ليس هو الآب وروح القدس ليس هو الآب ولا الابن • وها ليسا روح القدس • ومع ذاهم آله واحد ، إذ لهم لاهوت واحد

وطبيعية واحدة وجوهر واحد وكل منهم متحد مع اللاهوت ، وان كان بينهم تمايز ، والأول هو الوجود ألواجب الجوهري ، والثانى هو العقل الجوهري ، ويقال له العلم ، والثالث هو الارادة الجوهرية ، ويثاب لها المحبة • فالله ثلاثة أقانيم جوهرية ، وهى على تمايزها تمايزا حقيقيا • وقد يطلقون عليه أضافيا أى باضافة بعضها الى بعض جوهر وطبيعة واحدة هو الله ، وليس يوجد فيه غيره ، بل كل ما هو داخل فيه غير ذاته • ويقولون : ان فيه — تعالى — عما يقولون — أربع اضافات :

**أولها : فاعلية التعقل فى الأقتنوم الأول •**

**وثانيتها : مفعولية التعقل فى الأقتنوم الثانى الذى هو صورة عقل الآب**

**ثالثتها : فاعلية الانبثاق فى الأقتنوم الأول والثانى ، اللذين هما الارادة**

**رابعتها : مفعولية هذا الانبثاق فى الأقتنوم الثالث الذى هو حب**

**الارادة الالهية التى للأقتنوم الأول والثانى •**

وزعموا أن التعبير فى الفاعلية والمفعولية فى الأقانيم الالهية على سبيل التوسع ، وليست الفاعلية فى الآب نحو الابن الا الأبوّة وفيه وفى الابن ، نحو روح القدس ليست الا بدء صدوره منهما • وليست المفعولية فى الابن وروح القدس الا البنوة فى الابن والابنتان فى الروح ، ويقولون كل ذلك مما يجب الايمان به • وان كان فوق الطور البشرى • ويزعمون أن ذلك الأقانيم أسماء تلقوها من الحواريين فالأقتنوم الأول فى الطبع الالهى يدعى ابا • والثانى ابنا وكلمة وتوحيد حكمة ونورا وضياء وشعاعا • والثالث روح القدس ويدعى معزيا وهو معنى قولهم باليونانية « فارقليط » وقالوا فى بيان وجه الاطلاقات ذلك أن : الأقتنوم الأول بمنزلة ينبوع ومبدأ على الاقتنوم الثانى الصادر عنه بفعل يقتضى شبه فاعله • وهو فعل العقل الطبيعية وجوهره كله حتى أن الاقتنوم الثانى الذى هو صورة الأول الجوهرية الالهية مساو له كمال المساواة • وحد الايلاذ وهو صدور حتى من حتى بالة

ومبدأً مقارن يقتضى شبه طبيعته • وهنا كذلك بل أبلغ لأن الثلثانى  
الطبيعة الالهية نفسها فلا يدع اذا سمي الأول آبا والثانى ابنا •

وانما قيل للثانى كلمة لأن الايلاء ليس على نحو ، ايلاء الحيوان  
والنبات ، بل بفعل العقل أى بتصور الآب لاهوته وفهمه ذاته ، ولاشك  
أن تلك الصورة كلمة لأنها مفهومية العقل ونطقه وقيل لها كلمة لأنه  
كان مولودا من الآب بفعل عقله الالهى الذى هو حكمته ، وقيل له نورا  
وشعاعا وضيءا لأنه حيث كان حكمته كان به معرفة حقائق الأشياء  
واكتشافها كالمذكورات •

وقيل للثالث روح القدس لأنه صادر من الآب والابن بفعل الارادة  
البرى هى واحدة للآب ، والابن منبثق منهما بفعل هو كهيجان الارادة  
بالحب نحو محبوبها فهو حب الله ، والله نفسه هو الروح الصريف ،  
والتقدس عينه ، ولكل من الأول والثانى وجه لأن يدعى روحا لمكان  
الاتحاد • لكن لما دعى الاول باسم يدل على رتبته وازدافته الى  
الثانى والثالث ، كذلك اختص الثالث بالاسم المشاع ولم يدع ابنا ،  
وان كان له طبيعة الآب وجوهه كالابن ، لأنه لم يصد من الآب بفعل  
يقتضى شبه فاعله ، يعنى بفعل العقل بل صدر منه بفعل الارادة فالثانى  
من الأول كهابيل من آدم والثالث كحواء منه ، والكل حقيقة واحدة ،  
لكن يقال لهابيل ابن ولا يقال لها بنت ، وقيل له دعزى لأنه كان عتيذا  
لأن يأتى الحواريين فيعزيهم لفقد المسيح عليه السلام •

**وأما الفاعلية والمفعولية** فلأنهما غير موجودين حقيقة والأبوة  
والبنوة ههنا لا تقتضيها كما فى المحدثات • ولذا لا يقال هنا للآب علة  
وسبب لابنه ، وان قيل هناك فالثلاثة متساوية فى الجوهر والذات  
واستحقاق العبادة والفضل من كل وجه •

ثم انهم زعموا تجسد الأبنوم الثانى وهو الكلمة واتحاده بأشرف  
أجزاء البنوت من الدم بقوة روح القدس ، فكان المسيح عليه السلام

المركب من الناسوت والكلمة ، والكلمة مع اتحادها لم تخرج عن بساطتها وام تتغير ، لأنها الحق الذي ينتهي اليه الاتحاد ، فلا مانع من جهتها من الاتحاد ، وكذا لا مانع في جانب الناسوت منه ، فلا ينعاضى على الله تعالى شيء .

وزعموا أن المسيح عليه السلام كان لها تاما وانسانا تاما ذا طبيعتين ومشيئتين قائمتين بأقنوم الهى ، وهو أقنوم الكلمة ، ومن ثم تحمل عليه الصفات الالهية والبشرية معا لكن من حيثيتين ثم انهم زادوا في الطنبور رنة ، وقالوا ان المسيح أطعم يوما الحواريين خبزا وسقاهم خمرا وتال أكلتم لحمى وشربتم دمي ، فاتحدثتم معى ، وأنا متحد مع الآب الى رفات آخر ، هى أشهر من أن تذكر .

ويعلم مما ذكرنا أنه لا فرق عندهم بين أن يقال ان الله تعالى هو المسيح ، وبين أن يقال ان المسيح ابنه وبين أن يقال انه سبحانه ثالث ثلاثة . ولذا جاء في التنزيل كل من هذه الأقوال منسوبا اليهم ، ولا حاجة الى جعل كل قول لقوم منهم ، كما قال غير واحد من المفسرين والتكلمين .

ثم لا يخفى منافاة ما ذكره للأحدية والصدمية . وقولهم ان الأقانيم مع كونها ثلاث جواهر متميزة تمايزا حقيقيا جوهر واحد لبداهة بطلانه لا ييسمن ولا يغنى . وما يذكرونه من المثال لايضاح ذلك فهو عن الايضاح بمعزل ، وبعيد عن المقصود بالف ألف منزل « أ. ه .

وسنقف ان شاء الله تعالى في كتابنا هذا على متصل رد عقائددهم الزائفة التى ينقلها عنهم المتكلمون ، والتى يذكرها النصرارى في كتبهم ، ويندحلونها مذهباً لهم ، التى يذكرها هذا النصرانى عبد المسيح ببيان رجيح ، وقول معقول صحيح ، بحول الله تعالى وفوته وقد تبين لك مما تقدم معنى الواحد على ما قاله اللغويون ، وبطلان ما ادعاه النصرانى من معنى الواحد للتناقض ، حيث زعم أن الله سبحانه واحد بالجواهر مثلث بالأقانيم ، فهل هذا الا تناقض وتهانت لا يقنع الأطفال

فصلاً عن كمل الرجال ؟ فندسأله سبحانه لحفظ من وساوس الشيطان ،  
والسلوك في مسالك أولياء الرحمن ، انه الكريم المنان •



**قال النصراني :** « وأما قواك انه لم يتخذ صاحبة ولا وادا ولم يكن له كفوا أحد • فان أنت أبتاك الله أنصفتنا والانصاف أشبه بك وأولئ كما ضمنت عن نفسك وعدلت في القول وألزمنا قانون الحق ، أقررت بي بهذا أن الذي ألزمه أن له خليلاً وله حبيباً وله صفياً هو الذي شنع عليه وألزمه أن له صاحبة وأنه اتخذ ولداً ، وكان له أكفاء • وأما نحن — أصلحك الله — فلا نقول ان الله تبارك وتعالى كانت له صاحبة ولا أنه اتخذ ولداً ، ولا أنه كان له كفوا أحد ، ولا تصف الله عز وجل بمثل هذه الرذائل والخصائص من صفات التشبيه ، وانما هذه شبهات لكم من قبل اليهود ، حيث أرادوا كيدكم بذلك • فلفقوا هذه القصص التي يتصونها على ظهر الطريق وفي الشوارع فيتكلمون بالعظائم وبكل شنيع من الكلام • والا فأنت تعلم اذ كنت ذا علم بالكتب أن ليس في كتبنا المنزلة لهذا ذكراً فتقبله عقولنا ، أو نتكلم به ، وانما هو كتابك الذي أكثر التشنيع علينا ، وادعى على المسيح سيدنا محيي البشر الدعوى التي لم يقلها قط ، مما أكره تطويل كتابي به ، وتعريف القصة في تناقضه والأخبار بأسبابه ، وكيف كان ذلك من حليسة وهب بن منبه وعبد الله بن سلام وكعب المعروف بالأخبار ، أولاد اليهود وكيدهم ونعتهم ، وكيف احتالوا في ادخال ذلك وغيره من التشنيعات علينا بل وعليكم ، وان فحصت عن ذلك في كتابك عرفت حقيقته » •

**أقول :** لا يفيد عبد المسيح انكاره هنا قولهم بالصاحبة واتخاذ الولد له سبحانه وتستتره عن ذلك بهذه الكامات المبرجة السنوقية ، لما عامت من أقواله المتقدمة والمتأخرة وأقوال أمثاله من النصراني الطائفة كتبهم بذكر الآب والابن وروح القدس ، وأن الله واحد ثلاثة وثلاثة واحد ، وأن عيسى آله تولد من مريم من جوهر أبيه ، وأنه هو الله سبحانه ،

حتى خاطبها النصرارى فى صلواتهم بألفاظ مطبوعة فى كتبهم من جملة صلواتهم التى يسمونها صلاة العذراء منها قولهم : يا خطيبة الله ، يا أم الله ، يا زوجة الله كما ستسمعه ان شاء الله تعالى مفصلا فى كتابنا هذا .

**ومن ذلك ما قاله صاحب كتاب ميزان الحق فى كتابه المذكور المطبوع المنشور ما نصه :** « ثم اننا من الآيات التى أوردناها أعلاه نتحقق أيضا أن تسمية المسيح بالله وبابن الله لا تطلق عليه على سبيل المجاز تعظيما واجلالا له بل على وجه الحقيقة بناء على ألوهيته ، اذ كان متحدا بالله حقا بل هو الله لا محالة » .

وسنتكلم ان شاء الله تعالى على هذه الكلمات الزيفة بعد أن نذكر لك حال هؤلاء الأئمة الثلاثة الأعلام المطلعين على العهد القديم والجديد والكتاب المبين المنزل من العلام :

**فأما عبد الله بن سلام** رضى الله تعالى عنه فقد روت أئمتنا الحفاظ النقاد الصادقون المعدلون المطلعون المثبتون لأحوال الصحابة والتابعين وغيرهما من غير محاباة فى شأنهم ولا كتتم لصحيح سيرتهم وأمرهم ، أنه ابن الحارث الاسرائيلى ، ثم الأنصارى ، يكنى أبا يوسف وهو من ولد يوسف بن يعقوب — عليهما السلام — كان حليفا للأنصار ، وكان اسمه فى الجاهلية الحصين ، فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله . وهو أحد الأخبار أسلم طوعا حبا فى الاسلام اذ قدم رسول الله ﷺ المدينة المنورة ، روى الامام أبو عبد الله محمد البخارى فى صحيحه من حديث عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : أقبل رسول الله ﷺ الى المدينة فقتيل جاء نبي الله فاستشرفوا ينظرون اذ سمع به عبد الله بن سلام وهو فى نخل لأهله يخترف لهم منه ، فجعل أن يضع التى يخرف لهم فيها فجاء وهى معه ، فسمع من نبي الله ﷺ ثم رجع الى أهله فلما خلا نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاء عبد الله بن سلام فقال : أشهد أنك نبي الله حقا ، أنك جئت بالحق ، ولقد علمت اليهود أنى سيدهم وابن سيدهم ، وأعلمهم وابن أعلمهم . فادعهم فاسألهم عنى قبل أن يعلموا أنى قد أسلمت ، فانهم أن يعلموا

انى أسلمت قالوا فى ما لىس فى ، فأرسل نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليهم فدخلوا عليه ، فقال لهم نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم : يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله ، فوالذى لا اله الا هو انكم لتعلمون انى رسول الله حقا وانى جئتكم بحق ، أسلموا قالوا : ما نعلمه فأعادها عليهم ثلاثا وهم يجيبونه كذلك ، قال أى رجل فيكم عبد الله بن سلام قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال : أفرأيتم ان أسلم ؟ قالوا حاشا لله ما كان لىسلم ، فقال يا ابن سلام أخرج عليهم ، فخرج اليهم ، فقال يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله ، فوالذى لا اله الا هو انكم تعلمون أنه رسول الله حقا ، وأنه جاء بالحق • فتالوا كذبت فأخرجهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم •

**وفى صحبح البخارى أيضا :** من حديث حميد عن أنس رضى الله عنه قال : سمع عبد الله بن سلام بقدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فى أرض له فأتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبى : ما أول أشرط الساعة ؟ وما أول طعام أهل الجنة ؟ وما ينزل الولد الى أبيه أو الى أمه ؟ قال : أخبرنى بها جبرئيل أنفا قال : جبرئيل ؟ قال : نعم قال : ذاك عدو اليهود من الملائكة ، ثم قرأ هذه الآية « **من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بأذن الله** » ثم قال : أما أول أشرط الساعة فنار تخرج على على الناس من المشرق الى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، واذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع ، فقال : أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أنك رسول الله ، ان اليهود قوم بهت ، وانهم ان يعلموا باسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى ، فجاءت اليهود اليه ، فقال أى رجل فيكم عبد الله ؟ قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال : أرايتم ان أسلم عبد الله بن سلام قالوا : أعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله • فقال : أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله • قالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال : هذا الذى كنت أخاف يا رسول الله • وقال ابن القيم وفى رواية ابن اسحق



قال : كان من حديث عبد الله حين أسلم ، وكان حبرا عالما قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعرفت سفته واسمه وهيته .  
والذى كنا نتولف له ، فكنت مسرا لذلك صامتا عليه حتى قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة ، فلما قدم نزل معنا فى بنى عمرو بن عوف ، فأقبل رجل حتى أخبر بقدمه ، وأنا فى رأس نخل لى أعمن فيها . وعمتى خالدة بنت الحارث تحتى جالسة ، فلما سمعت الخبر ر بتقدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كبرت ، فقالت لى عمتى حين سمعت تكبيرى : لو كنت سمعت بموسى بن عمران ما زاد يعنى ان فعلت هذا . قال قلت لها : أى عمه هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه ، بعث بما بعث به ، فتالت : يا ابن أخى أهو النبى الذى كنا نبشر به أنه يبعث مع نفس الساعة ؟ قال : قلت لها نعم . قالت فذاك اذن .

قال ثم خرجت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأسلمت ، ثم رجعت الى أهل بيتى ، فأمرتهم فأسلموا وكتمت اسلامى من اليهود .

ثم ذكر قول اليهود السابق فى الرواية الأولى ثم قال : فأظهرت اسلامى واسلام أهل بيتى ، وأسلمت عمتى ابنة الحارث فحسن اسلامها . وفى مسند الامام أحمد وغيره قال عبد الله بن سلام خرجت فى جماعة من أهل المدينة لئنظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حين دخوله المدينة ، فنظرت اليه وتأملت وجهه ، فعلمت أنه ليس بوجه كذاب . فكان أول شىء سمعته منه : « أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » وشهد له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة .

**وروى أبو ادريس الخولانى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه يقول :**  
سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لعبد الله بن سلام أنه عاشر عشرة فى الجنة قال ابن عبد البر فى الاستيعاب : هو حديث

- حسن الاسناد صحيح ، وشهد مع عمر رضى الله عنه فتح بيت المقدس
- والجابية وذكره أبو عوانة في البدرين وشهد الخندق فما بعدها
- وتوفي بالمدينة سنة ثلاث وأربعين رضى الله تعالى عنه •

**وأما كعب الأخبار والأفصح الحبر ، فهو التابعى الجليل ابن مانع الحميرى ، كان أعام علماء أهل الكتاب ، أسلم فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه متفق على حفظه وموثوقيته ، وصحة روايته •**

**وروى العلامة ابن القيم فى هداية الحيارى عن سعيد بن عبد الرحمن المعافرى عن أبية أن كعبا رأى حبر اليهود يبكى • فقال : ما يبكيك ؟ فقال ذكر بعض الأمر فقال كعب : أنشدك الله لئن أخبرتك ما أمكك لتصدقنى ؟ قال : نعم ، قال أنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال : ربى انى أجد خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأول ، والكتاب الآخر ، ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الدجال ، فاجعلهم أمتى : قال : هم أمة أحمد يا موسى ؟ قال الحبر : نعم • قال كعب : فأنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال : يارب انى أجد أمة هم الحمادون ، رعاة الشمس المحكمون اذا أرادوا أمرا قالوا نفعله ان شاء الله تعالى ، فاجعلهم أمتى : قال : هم أمة محمد يا موسى ؟ قال الحبر : نعم ، قال كعب أفنشدك الله أتجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال يارب انى أجد أمة اذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله ، واذا هبط حمد الله • الصعيد طهورهم ، والأرض لهم مسجد ، حيثما كانوا ينتظرون من الجنابة ، طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء ، حيث لا يجدون الماء ، غرا محجلين من آثار الوضوء ، فاجعلهم أمتى • قال هم أمة أحمد يا موسى ؟ قال الحبر : نعم • قال كعب : فأنشدك الله أتجد فى كتاب الله أن موسى نظر فى التوراة فقال : يارب انى أجد أمة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب ، واصطفيتهم لنفسك فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق**

بالخيريات ، فلا أجد أحدا منهم الا مرحوما فاجعلهم أمتى • قال : هم  
أمة أحمد يا موسى ؟ قال الحبر نعم : قال كعب : أنشدك الله أتجد في  
كتاب الله أن موسى نظر في التوراة فقال يارب انى أجد أمة مصاحفهم  
في صدورهم ، يصفون في صلواتهم كصفوف الملائكة ، أصواتهم في  
مساجدهم كدوى النحل ، لا يدخل النار منهم أحد الا من برىء من  
الحسنات ، مثل ما برىء الحجر من ورق الشجر • قال موسى : فاجعلهم  
أمتى • قال : هم أمة أحمد يا موسى ؟ قال الحبر : نعم • فلما عجب  
موسى من الخير أذى أعطى الله محمدا وأمته ، قال يا ليتنى من أصحاب  
محمد • فأوحى الله تعالى اليه ثلاث آيات يرضيه بهن : « يا موسى انى  
اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى » الآية « وكتبنا له في  
الألواح » الآية « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون »  
قال فرضى كل الرضا •

**قال الحافظ ابن القيم :** وهذه الفصول بعضها في هذه التوراة التى  
بأيديهم ، وبعضها في نبوة أشعياء وبعضها في نبوة غيره • والتوراة  
أعم من التوراة المعينة ، ولا يتدح في هذا النقل جهل أكثر أهل الكتاب  
به ، فلا زال في العلم الموروث عن الأنبياء شىء مما لا يعرفه الا الآحاد  
من الناس ، أو الواحد • وهذه الأمة على قرب عهدها بنبيها في العلم  
الموروث عنه ما لا يعرفه الا الأفراد القليلون جدا من أمته ، وسائر  
الناس منكر له وجاهل به •

وسمع كعب رجلا يقول : رأيت في المنام كان الناس جمعوا للحساب  
لدعى الأنبياء ، فجاء مع كل نبي أمته ، ورأيت لكل نبي نورين ، ولكل  
من اتبعه نور يمشى بين يديه ، فدعى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم  
نادا لكل شعرة في رأسه ووجهه نور ، ولكل من اتبعه نوران ، يمشى  
بهما • قال كعب من حدثك بهذا ؟ قال : رؤيا رأيتها في منامى • قال :  
أنت رأيت هذا في منامك ؟ قال : نعم • قال : والذي نفس كعب بيده  
انما لصفة محمد وأمته وصفة الأنبياء وأممهم ، لكأنهم قرأوها  
من كتاب الله تعالى • وقال أيضا : قال محمد بن سعد في الطبقات :

حدثنا معن بن عيسى قال : حدثنا معاوية بن صالح عن أبي فروة عن ابن عباس رضى الله عنه أنه سأل كعب الأحبار كيف تجد نعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة ؟ قال : نجده « محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره الى طابة ويكون ملكه بالشام ، ليس بفحاش ولا سخاب في الأسواق ولا يكافئ بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، وأمته الحمادون ، يكبرون الله على كل نجد ، ويحمدونه في كل منزلة ، يأترون على أنصافهم ، ويوتنئون على أطرافهم ، مناديهم ينادى في جو السماء : صفهم في القتال ، وصفهم في انصالة سواء ، لهم دوى كدوى النحل ، مولده بمكة ومهاجره بطابة ، ملكه بالشام » وتوفى كعب في زمن خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه •

**وأما وهب بن منبه فهو أبو عبد الله اليماني ذكر الحفاظ والمؤرخون وأصحاب السير أنه من أخيار علماء التابعين وروى عن ابن عباس وعبد الله بن عمر ، وروى عنه عمرو بن دينار وغيره ، وكان ثقة صادقا كثير النقل من كتب الاسرائيليات ، وكان على قضاء صنعاء ، قال : مشى بن الصباح لوث وهب عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوء ، أى يصلى الصبح بوضوء العشاء • وقال أبو سنان : سمعت وهب بن منبه يقول : كنت أقول بالفدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتابا من كتب الأنبياء ، في كلها : « من جعل لنفسه شيئا من المشيئة فقد كفر » فتركت قولى • قال أبو عاصم النبيل : حدثنا أبو سلام عن وهب قال : « العلم خليل المؤمن ، والحلم وزيره ، والعقل دليـله ، والصبر أمير جنوده ، والرفق أبوه ، واللين أخوه » وتوفى سنة أربع عشرة ومائة رحمة الله تعالى عليه •**

## ونرجع الى الكلام على خزعاته

فنقول : قوله : « ان الذى ألزمه أن له خليلا وله حبيبا وله صفيا

(١) المحبة والرضا والسخط والغضب والاستحياء والأسف والمكر والسيان وشبه ذلك من لصفات التى نسبها الله تعالى الى نفسه . هى تليق بالملخوقين ولا تليق به جل شأنه . ومنها قوله تعالى : « واتخذ الله ابراهيم خليلا » فإند جعل ابراهيم بالنسبة اليه — سبحانه — كالصديق بالنسبة لصديقه . والخلة أما بمعنى الفقر والحاجة ، وأما بمعنى الخصلة والخلق . وقد طعن النصرانى « عبد المسيح » بالخلة فى القرآن . بقوله : ان الذى له خليل وله حبيب وله صفى ، يكون له زوجة وولد ، ويكون له أكفاء . فقوله بعد ذلك فى القرآن : انه « لم يلد ولم يولد » يكون متناقضا مع قوله : « واتخذ الله ابراهيم خليلا » .

وقد أجاب مؤلف الجواب الفسيح عن هذه الشبهة بقوله :  
أولا : ان علماء السلف يقولون فى مكر الله وغضبه وخلته لابراهيم ونسيانه . وما أشبه ذلك بأنه من المتشابه الذى يجب الايمان به من غير بحث عن الكيفية ، مع تنزيه البارى — سبحانه — عن مشابهة المخلوقين .  
ثانيا : ان علماء الخلف وهم الأشاعرة ، يقولون فى تلك الصفات : انها لا تراد على ظاهرها . بل تؤول على معنى يليق بجلال الله فخله ابراهيم لا تراد على الظاهر بمعنى الصداقة ، بل تؤول بمعنى أن الله اصطفاه وخصمه بكرامة تشبه كرامة الصديق عند صديقه . أ.هـ

أما الاجابة الصحيحة فهى اجابة المعتزلة . وهى :  
ان الله تعالى أكبر من الناس ، وليست طرق تفكيره كتفكيرهم . وهو اذ يريد مخاطبة الناس ، يصطفى نبيا من جنسهم ليستأنسوا به ، وهو يخاطب النبى عن نفسه ، كأن انسان يكلم انسانا حتى يتدبر النبى على فهم مراده ، والنبى يبلغ مراد الله الى الناس بلغتهم وعلى قدر عقولهم ، لكن الله عز وجل ليس انسانا . وليس كمثله شىء . ومن ذلك قوله تعالى : « قد يعلم ما أنتم عليه » فقد تحدث الى الناس كأنه انسان يعلم ولا يعلم . وذلك على طريقة مشاكلة فكره لفكرهم حتى يفهموا . أما هو فهو قائل الغيب والشهادة ، ومن ذلك قوله : ( فلما آسفونا انتقمنا منهم ) والأسف لا يليق الا بانسان ، ولكن الله عبر بمه فى حق نفسه ، ليفهم البشر مراده ، عن طريق لغة شبيهة بلغتهم . وهكذا .

أى أن القرآن تكلم عن الله بلسان بنى آدم . ويقول المعتزلة قال كثيرون من الأشاعرة .

والجاية المعتزلة هذه . قد قرررها اليهود فى كتبهم عن الله وصفاته ( دلالة الحائرين — الجزء الاول )

هو الذى شنع عليه وألزمه أن له صاحبة وأنه اتخذ ولدا • وكان له أكفاء» يريد عبد المسيح من هذا : أن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم حكى عن النصرارى هذا القول مع أنهم ليسوا قائلين له ، لكنه هو عليه الصلاة والسلام نسب لله سبحانه خليلا ، وهو ابراهيم ، وصفيا وهو آدم ، وحببيا وهو هو عليهم الصلاة والسلام • وذلك غير جائز ، يريد : أن الخليل مشتق من الخلة • وأنها مودة تخلل النفس وتخالطها مخالطة معنوية • قال الشاعر :

وقد تخللت مسلك الروح منى      ولذا سمي الخليل خليلا  
فإذا ما نطقت كنت حديثى      وإذا ما سكنت كآبت الغليلا

وهو سبحانه وتعالى منزه عن ذلك •

ومثل هذا قول غيره من النصرارى : انه اذا جاز عند المسلمين اطلاق الخليل على انسان تشريفا ، فلم لم يجز اطلاق الابن على آخر لذلك ؟

**والجواب عن ذلك وذا :** أن الخلة لا تقتضى الجنسية بخلاف المنوة فانها تقتضيها قطعا • والله سبحانه هو المنزه عن مجانسة المحدثات ، والخليل مشتق من الخلة بضم الخاء وهى اما من الخلال بكسر الخاء ، فانها مودة تتخلل النفس وتخالطها مخالطة معنوية ، فالخليل من بلغت مودته هذه المرتبة ، كما قال الشاعر السابق ، واما من الخلة بالفتح بمعنى الخصلة والخلق ، لأنهما يتوافقان فى الخصال والأخلاق ، أو بمعنى الفقر والحاجة ، واطلاقه على ابراهيم عليه السلام قيل : لأن محبته لله تعالى قد تخللت نفسه وخالطتها مخالطة تامة ، أو لتخلقه بأخلاقه تعالى • ومن هنا كان يكرم الضيف ويحسن اليه ، ولو كان كافرا فان من صفات الله تعالى الاحسان الى البر والفاجر ، وقيل : سمي خليلا لآظهاره الفقر والحاجة الى الله تعالى وانقطاعه اليه وعدم الالتفات الى من سواه ، كما يدل على ذلك قوله لجبريل عليه السلام حين قال له يوم ألقى فى النار : ألك حاجة ؟ قال : اما اليك فلا • ثم

قال : حسبي الله ونعم الوكيل • وقيل غير ذلك • وأيا ما كان فلا يريد المسلمون به الا المعنى اللائق به سبحانه وتعالى كما في المحبة وهي البلوغ بالود الى حبة القلب ، من قولهم حبيبته اذا أصبت حبة قلبه ، واذا استعملت في الله تعالى فالمراد بها مجرد الاحسان • وكذا الخلة ، فما جاز في أحد اللفظين جاز في الآخر ، فاما أن يراد بالحب حبة القلب وبالخلة التخلك ، فحاشا لله تعالى أن يراد فيه ذلك •

**وذهب جمع من العلماء : الى أن قوله تعالى : « واتخذ الله ابراهيم خليلا »** من باب الاستعارة التمثيلية ، لتنزّهه تعالى عن صاحب وخليل • والمراد : اصطفاه وخصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليه • وأما في الخليل وحده فاستعارة تصريحية الا أنه صار بعد ذلك علما على ابراهيم عليه السلام • وعدم اطلاق الخليل على غيره من الأنبياء عليهم السلام • وان كان كل منهم خليلا بالمعنى المشهور عند العارفين اما لأن ثبوت ذلك المقام له عليه السلام على وجه لم يثبت لغيره ، واما لزيادة التثريف والتعظيم ولا يخفى عليك أن مذهب أكثر علماء المسلمين في المتشابه : الايمان به من غير بحث عن الكيفية ، مع تنزيه الباري سبحانه عن مشابهة المخلوقين ، كالرحمن مثلا ، فانه مشتق من الرحمة هي دقة القلب ، وذلك في حقه سبحانه محال • فالخلف وهم جملة من علماء الاسلام على أن المراد بها لازمها وغايتها وهي الاحسان والانعام ، والسلف وهم جمهور العلماء يؤمنون به ولا يكتفون ولا يمثلون ولا يشبهون ولا يعطلون • وكل ما ورد من أمثال ذلك يسلكون فيه أحسن المسالك كالخلة والمحبة والرحمة وغير ذلك ، مما ليس يذكر في هذا المحل ، خشية من طول الكلام والخروج عن المرام • لأن اكمال البحث فيه يحتاج الى أسفار ضخام • على أنه قد ورد عندهم اطلاق الحبيب • ففي الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر تثنية الاستراع ما لفظه : **« وقال لِبَنِيَامِينَ حبيب الرب يسكن بَطْمَانِيَةَ وينزل كأنه بالسريير »** •

**والعجب من النصارى أنهم يوردون مثل هذا على المسلمين وينسبون**

ما ورد عندهم في التوراة والانجيل من ألفاظ تدل - والعياذ بالله تعالى - على التجسيم وغيره . كما في توراتهم : أن الله سبحانه نزل الى الأرض وغسل رجلية ابراهيم وأطعمه وتراءى لابراهيم حـالة كونه ثالث ثلاثة أشخاص ، كما استدل به عبد المسيح في كتابه هذا على التثليث ، وأنه ندم على خلق آدم ، وأنه اتحد بالمسيح وأن النصارى كل يوم يأكلونه حقيقة ، وأن الله خلق الانسان على صورته وعلى شبهه ، وأن له ذراعا ويمينا ، وأن عيسى جالس عن يمينه على العرش . وغير ذلك مما يضيق بنا لوقت عن تعداده وذكره . فاذا هم أولوا المتشابه ولا بد ، فالمسلمون أولى بتأويل ما ورد عندهم من ذلك لأنهم بخلاف غيرهم ليسوا مجسمين ولا مشبهين ولا معطلين ، بل يؤمنون بالكتاب من غير تشبيهه رب الأرباب بمن خلق من منى وتراب .

**وأما انكاره** كون النصارى جعلوا لله سبحانه كفوا . فمكابرة وانكار للبديهي ، لأن النصارى - والمؤلف منهم - لا جعلوا الله سبحانه ثلاثة أقنانيم ، وجعلوا أحد الأقانيم دخل في بطن مريم وتولد منها ، ثم بعد ثلاثين سنة من عمره تعمد على يد يحيى عليه السلام وجاءه روح القدس مثل الحمامة ، ثم صلبته اليهود بعد الأذية والسخرية بين سارقين ، فمات وقبر ثم قام وصعد وجلس عن يمين أبيه ، وهو الذي خلق أباه آدم وذريته ، ويرزقهم ويميتهم ويحييهم وحاسبهم ويدخل الجنة من يريد منهم ، والنار من لم يؤمن بأنه الله ، وأنه مع هذا كله كان يقول عند ارادتهم صلبه : « ايلى ايلى لم شبتتنى أى الهى الهى لم تركتنى ؟ » فظهر من أقوالهم هذه :

ظهور نار القرى ليلا على علم

أنهم جعلوه لله كفوا بل أعظم من الكفو ، لأن عيسى عليه السلام مع اعترافهم أنه في الاناجيل بن داود وابن الانسان ويستغيث بالله تعالى ، يفعل أفعال الاله ، لأن رزق الخلق واحيائهم واماتتهم وحسابهم عليه ، وتخليصهم من النار بدخوله فيها ، عائد اليه ، فكيف يقول هذا الملفق



انهم لم يجعلوه لله كفوا ؟ ويقولون : ويجلس عن يمين أبيه ، ويقول :  
لم نجعل له ولدا •

وكثيرون من النصارى يقولون المراد من الآب والابن وروح القدس :  
الله وعيسى ومريم • وأكثر فرقتهم يقولون في صلواتهم لمريم العذراء  
من جملة كلام طويل نقلته لك في كتابي هذا : « يا خطيبة الله يا ملكة  
السماء التي جميع الملائكة يسجدون لها وكل شيء يسبحها ، يا أم الله ،  
يا ابنة الله يا سيدتنا ارحمينا • لك نسجد ، لك نرتل ، تسابيح من  
صميم قلوبنا » الى آخر ما قالوه • فهل هذا يقال لغير الله ؟ وهل يجوز  
عندهم أن يسجد الانسان لغير الله ، وللصور المنقوشة ، مع ما ورد في  
توراتهم : « لا تسجد لغير الهك » وهؤلاء قد جعلوا كل الملائكة تسجد  
لمريم ، وكل شيء يسبحها • فهل أزيد من هذا ما يكون كفوا للبارى  
سبحانه ؟ فليت شعري ما يفيد «عبد المسيح» انكاره؟ لأن يجعل لله كفوا  
بعد اقراره بالتثليث البديهي البطلان ، وما يجديه ذلك نفعا بعد اقرار  
أخوانه في تأليفاتهم المطبوعة المنشورة : أن مريم خطيبته(١) ، أى زوجة  
الله ، وندائها بأم الله وابنة الله ؟ كما في كتابهم لشهر المسمى بأمجاد  
مريم •

وانظر الى هذه الحماسة فبعد أن جعلوها بنت الله ، جعلوها خطيبته ،  
وانظر الى هذه المتناقضات وأنصف • فقد حصص الحق والحمد لله  
سبحانه • واذا علمت هذا تبين لك أيضا عدم صدق قوله : « ولا نصف  
الله عز وجل بمثل هذه الرذائل والخصائص من صفات التشبيه » ويقال  
له أيضا : فأى صفة خسيصة لم تصف بها خالقك سبحانه ؟ فانك قد  
جعلته ثلاثة أجزاء ، وجزء منه دخل في مريم وتولد منها وأهين وصلب

---

(١) النصارى كلهم يقولون : ان عيسى اله ، على الحقيقة ، ويقولون :  
ان مريم الهة عى المجاز . فقله تعالى : « أنت قلت للناس : اتخذواى  
والى الهين من دون الناس » ؟ يعنى بالهين المعنى الحقيقى على عيسى ،  
والمعنى المجازى على مريم كما فى التوراة عن موسى وهرون : « أنا جعلتك  
الها لفرعون » أى سيدا •

ومات ، ثم قام من قبره ، وهو الآن يدبر أمر الخلائق ، وجعلت خطيئته مريم ، وجعلتها أم الله وبنيت الله . وأن عيسى بعد أن جعلته لها متولدا جعلته وسميته خروف الله ، ليكون فداء الخلائق ومخلصهم ، ويدخل جهنم ويجد ألما وأنه تحمل اللعنة . فأى صفة رذيلة أم تسندها لخالكك بزعمك ؟ وأى وبال أعظم من تسلط مخلوقاته عليه . وهم اليهود ، خلقهم ثم صلبوه ، ولم يخلصه من أيديهم أبوه . ثم يدخل النار ويخلص مخلوقاته من الخطيئة والوبال .

فهذا يا عبد المسيح هو التناقض القبيح ، والقول الفضيح ، والتهافت الظاهر ، والسفسطة التي لا تخفى على الأصغر والأكبر . وأما كتابنا فهو ناطق بالحق ولا يتجاوز الصدق ، ولم يشنع عليكم إلا ما قلتم ، ولم يحك عنكم إلا ما اعتقدتم ، فأقوال فرقكم العديدة مطابقة لما نقل ، وصريح مذاهبكم ولازمها عندكم عليه العمل ، فرميك لعبد الله وكعب ووهب بالكيد والحيل ، صرف بهتان ، بل خبل ، لأن التوراة والإنجيل والكتب السماوية بأيدي المسلمين ، والتناقض الذي فيها من التحريف والتبديل لا يخفى على الموحدين جيلا بعد جيل . والبشارات بمجىء نبينا عليه الصلاة والسلام فيها ظاهرة ، ومعجزاته التي رآها كل أحد باهرة ، ودلائل نبوته متظاهرة ، وهؤلاء إنما آمنوا بعد ما فشى الاسلام وانتشر في الآفاق وراج ، ودخلت الأمم من اليهود والنصارى والمجوس في دين الله أفواجا أفواجا . فما هؤلاء الثلاثة بالنسبة الى من دخل في الاسلام الا كقطرة بالنسبة الى البحر الطمطم

على أن كعبا أسلم — كما تقدم — في خلافة الصديق — رضى الله عنه — ووهب من أجله التابعين . فأى شيء شنع هؤلاء على المسلمين ، فرميك لهم بالتشنيع علينا وعليكم كذب صراح ، وظير طائرهم عليكم مقصوص الجناح . فهم لم يغشوا الموحدين ، لكنهم رموا بنا ، لاصابة نحور أعداء الدين . فكلامك المتناقض الموه ، بينا — والحمد لله — زيفه ، وأخرجنا مثل الشمس لكل عارف منصف أراجيفه . وسنورد ان شاء الله تعالى هذه الأبحاث بعبارات مفصلة ، ونذكرها . بمحالها

من هذا الكتاب مكملة ، ونخجل ببيانها أهل التوراة والأناجيل • والله يقول الحق وهو يهدى السبيل • وأما قوله : « وكان ذلك من حينه وهب بن منبه ، وعبد الله بن سلام وكعب الأحبار » الى اخره • فهو مثل قول اخوانه الذين حكى قولهم العلامة ابن القيم في كتابه هداية الحيارى بما نصه : « قال السائل : ان قلتم : ان عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ونحوهما شهدوا لنا بذلك من كتبهم ، فهل أتى ابن سلام وأصحابه الذين أسلموا بالنسخ التي لهم كي تكون شهادة لهم علينا » • والجواب من وجوه :

أحدها : أن شواهد النبوة وآياتها لا تنحصر فيما عند أهل الكتاب من نعت النبي عليه الصلاة والسلام وصفته ، بل آياتها وشواهدا متنوعة متعددة جداً ، ونعته وصفته صلى الله تعالى عليه وسنم في الكتب المتقدمة فرد من أفرادها ، وجمهور أهل الأرض لم يكن اسلامهم عن الشواهد والأخبار التي في كتبكم ، وأكثرهم لا يعلمونها ولا سمعوها بل أسلموا للشواهد التي عاينوها ، والآيات التي شاهدوها ، وجماعت تلك الشواهد التي عند أهل الكتاب مقوية وعاضدة ، من باب تقوية البيئة ، وقد تم النصاب بدونها • فهؤلاء العرب من أولهم الى آخرهم لم يتوقف على معرفة ما عند أهل الكتاب من الشواهد ، وان كان ذلك قد بلغ بعضهم وسمعه منهم قبل النبوة وبعدها كما كان الأنصار يسمعون من اليهود صفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبعثه ومخرجه ، فلما عاينوه وأبصروه ، عرفوه بالنعته الذي أخبرهم به اليهود ، فسبقوهم اليه ، فشرق أعداء الله تعالى بريثهم وغصوا بما يهمهم ، وقالوا ليس هو الذي كنا نعدكم به ، والعلم بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام والمسيح موسى — عليهما السلام — لا يتوقف على العلم بأن من قبلهم أخبر بهم وبشر بنبوتهم ، بل طرق العلم بها متعددة •

فاذا عرفت نبوة النبي بطريق من الطرق تثبت نبوته ووجب اتباعه ، وان لم يعلم أن من قبله بشر به • واذا علمت نبوته بما قام عليها من البراهين فاما أن يكون تبشير من قبله به لازماً لنبوته ، واما أن

يوقف تصديق النبي عليه ، أو يجب تصديقه بدونه ، فان كان لازماً . علم قطعاً أنه قد وقع • وعدم نقله اليينا لا يدل على عدم وقوعه ، اذ لا يلزم من وجود الشيء نقله العام ولا الخاص له • اذ ليس كل ما أخبر به تعالى والمسيح وموسى وغيرهما من الأنبياء المتقدمين وصل اليينا • وهذا مما يعلم بالاضطرار • فلو قدر أن البشارة بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم ليست في الكتب الموجودة بأيديكم ، لم يلزم أن لا يكون غيره بشر به ، اذ يمكن أن تكون في كتب غير هذه المشهورة المتداولة بينكم ، فلم تزل عند كل أمة كتب لا يطلع عليها الا بعض خاصتهم ، فضلاً عن جميع عامتهم ، ويمكن أنه كان في بعضها تأويل منه وبدل ، ونسخت النسخ من هذه التي قد غيرت واشتهرت بحيث لا تعرف غيرها ، وأخفى أمر تلك النسخ • الأولى • وهذا كله ممكن ، لاسيما من الأمة التي تواطئت على تبديل دين نبيها وشريعته ، هذا كله على تقدير عدم وجدان البشارة به في شيء من كتبهم أصلاً • ونحن قد ذكرنا في كتابنا هذا من البشارات به عليه الصلاة والسلام في كتبهم مما لا يمكن من يعرفه منهم جده والمكابرة فيه ، وان أمكنهم المغالطة بالتأويل عند رعائهم وجهالهم •

الوجه الثاني : ان عبد الله بن سلام قد قابل اليهود وواقفهم بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على أن ذكره ونعته وصفته في كتبهم ، وأنهم يعلمون أنه رسول الله ، وقد شهدوا بأنه أعلمهم وابن أعلمهم ، وخيرهم وابن خيرهم ، فلم يصر قولهم له بعد ذلك : انه شرهم وابن شرهم وجاهلهم وابن جاهلهم ، كما اذ شهد على رجل شاهد عند الحاكم فسأله عنه فعد له ، وقال : انه مقبول الشهادة عدل رضى لا يشهد الا الحق ، وشهادته جائزة على ، فلما أدى الشهادة قال : انه كاذب شاهد زور • ومعلوم أن هذا لا يقدر في شهادته •

**وأما كعب الأخبار فقد ملأ الدنيا من الأخبار بما في النبوات المتقدمة من البشارة به ، وصرح بها بين أظهر المسلمين واليهود والنصارى ، وأذن بها على رعوس الملأ ، وصدقه بها مسلمو أهل**

الكتاب عليها ، وأخبروا على ما أخبر به ، فإنه كان أوسعهم علما •  
بما في كتب الأنبياء وقد كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يمتحنون  
ما ينقله ويبدونه بما يعرفون صحته ، فيعلمون صدقه • وشهدوا له  
بأنه أصدق من يحكون لهم عن أهل الكتاب أو من أصدقهم ، فهم ونحن  
اليوم ننوب عن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار وغيرهما ، وقد  
أوجدناكم هذه البشارات في كتبكم ، فهي شهادة لنا عليكم ، والكتب  
بأيديكم فأتوا بها فأتوها ان كنتم صادقين • وسنذكر ما فيها في محله  
ان شاء الله تعالى • وعندنا ممن وفقه الله تعالى للإسلام منكم من  
يوافقكم ويقابلكم ويحافظكم عليها ، ولدينا كتبهم المطبوعة التي كتبوها  
في الرد عليكم بعد أن أسلموا وبينوا فيها ما يبشر بنبوته نبينا محمد  
صلى الله تعالى عليه وسلم في العهد القديم والجديد ، وان لم تؤمنوا  
وتصدقوا فاشهدوا على أنفسكم بما شهد الله وملائكته وأنبيأؤه ورسله  
وعباده المؤمنون من الكفر والتكذيب والجحد للحق الظاهر ، ومعاداة  
الله ورسوله •

الوجه الثالث : أنه لو أتاكم عبد الله بن سلام بكل نسخة متضمنة  
لغاية البيان والصرحة لكان في بهتكم وغنادكم وكذبكم ما يدفع في  
وجوهها ويحرفها أنواع التحريف ما وجد اليه سبيلا ، فاذا جاءكم  
ما لا قبل لكم به • قلتم ليس به • ولم يأت بعد ، وقلتم : نحن لا نفارق  
حكم التوراة والانجيل ولا نتبع نبي الأميين • وقد صرح أسلافكم  
الذين شاهدوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعايينوه أنه رسول  
الله حقا ، وأنه المبشر به الموعود به على السنة الأنبياء المتقدمين • وثم  
من قال له في وجهه : نشهد أنك نبي • فقال : ما يمنعكما من أتباعي ؟  
قالا : انا نخاف أن تقتلنا اليهود • وقد قال تعالى : « ان الذين هتفت  
عابهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو اجاءتهم كل آية حتى يروا العذاب  
الأليم » وقد جاءكم آيات هي أعظم من بشارات الأنبياء وأظهر  
بحيث أن كل آية منها يصلح أن يؤمن على مثلها البشر ، فما زادكم ذلك  
الا نفورا وتكذيبا وابعاء لقبول الحق ، فلو أنزل الله سبحانه اليكم  
ملائكته لغلبت عليكم الشقوة ، وصرتم الى ما سبق لكم في أم الكتاب •

وقد رأى من كان أعقل منكم وأبعد الحسد من آيات الأنبياء ما رأوا ، وما زادهم ذلك الا تكذيبا وعنادا ، فأسلافكم وقودتكم في تكذيب الأنبياء من الأمم لا يحصيه الا الله تعالى ، حتى كأنكم تواصليتم بذلك . أوصى به الأول للآخر ، واقتدى الآخر بالأول ، الا من وفقه الله تعالى لاتباع الحق فأسلم ، فهذا فرعون والنمرود وأمثالهما وبنو اسرائيل كل منهم رأى معجزات كثير من الأنبياء عليهم السلام فلم يؤمنوا بهم ومن أعظمهم عيسى عليه السلام مع أنه مكتوب عندهم ومبشر به في نبواتهم ، وأنه الههم على زعم النصارى فقتلوه وأهانوه وصلبوه ، فاذا أنكرتم يا بنى اسرائيل نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام بعد البشارات التى علمتموها في كتبكم ودرستموها في صحفكم ورؤيته معجزاته الباهرة ، ودلائل صدقه الظاهرة ، فذلك منكم غير بعيد . وسنورد لكم ان شاء الله تعالى ما يذعن له من أنصف ولم يكن جبارا عنيدا .



قال النصراني : « فاما نحن فلم نقل قط ولا نقول أبدا : ان الله تبارك وتعالى اتخذ صاحبة ، وولد ولدا ، وليس قلنا : ان الله أبنا - وهو الكلمة الخالقة - قول من قال انه اتخذ ولدا . وأنت - حرسك الله - تعلم ما في هذا الكلام من الشناعة والتناقض والفرية على الله وعلى كلمته وروحه ، ونحن نقول : ان الله الأزلى بكلمته لم يزل عليما رؤفا ، وانما وصفناه تبارك وتعالى بالرحمة والرافة والملك والعز والسلطان والجبروت والتدبير ، وما أشبه هذه الصفات لما يظهر لنا من أفعاله . وقد أخبرت عنها عقول الناس واشتتوها له اشتتاقا لأجل فعله أياها فاستوجبها جل وعز بالكمال والحقيقة ، كما استوجب جميع ما سمى به من أجل فعله له . فأما صفات ذاته تبارك وتعالى فجواهر ذو كلمة وروح أزلى لم يزل متعاليا مرتفعا عن جميع النعوت والأوصاف



ولننظر الآن في هذه الصفات من حى وعالم ، أهي أسماء مفردة مرسله ، أم أسماء مضافة تدل على اضافة شيء الى شيء ؟ ويجب

علينا . أن نعلم ما الأسماء المضافة ؟ وما الأسماء المفردة المرسله ؟  
فأما لأسماء المرسله فهى كقول القائل : أرض أو سماء أو نار أو ماء  
أو كل ما كان بما قيل شبيها مما لا يضاف الى غيره .  
وأما الأسماء المضافة الى غيرها كالعالم والعلم والحكمة والحكيم  
وما أشبه ذلك . فالعالم عالم بعلمه ، والعلم علم عالم ، والحكمة  
حكمة حكيم . وهذا القول نظير لما وصفنا . وتقتصر عليه لئلا يخرج  
بنا اتساع الكلام الى الكثرة . فاذا بينا ما الأسماء المفردة وما الأسماء  
المضافة المنسوبة الى غيرها ، وجب أن نسألك عن الموصوف بهذه الصفة  
اللازمة أهى لجوهده فى أزليته أم اكتسبها له اكتسابا ، واستوجب  
الوصف بها من بعد ، كما استوجب أن يوصف له خايقة حيث خلق ؟  
وسائر ذلك مع ما لم أذكر من أسماء يسمى بها صفات تجلى بها تفعله  
اياها . فاذا قيل : كما يوصف تعالى أنه كان ولا خلق حتى أتى على  
ذلك بالفعل ، كذلك يجوز أن يقال : انه كان ولا حياة له ولا علم  
ولا حكمة ، صارت الحياة والعلم والحكمة لديه موجودة . وهذا محال  
من الكلام أن يكون الله جل وعز طرفه عين خلوا من حياة وعلم .

**وان قلت : ان الأمر غير ما ظننت ووصفت ، لا يلزمك من الشذمه ،  
لأنه قد يوصف أن لله خليقة قبل أن يقارن شيئا منها بالفعال . قلنا :**  
انما هما وجهان اما أن يكون الله وحده أزليا وما سواء محدثا ، أو أن  
ترجم أن البرية والخلائق أزلية أيضا غير محدثة ، فلا أحسبك الا نأتضا  
على من يصف الخلق بشيء من ذلك . فاذن لا محالة يقال : ان الله وله  
الحمد قد كان من غير أن يكون شيء من الخلائق موجودا فكيف جاز  
أن يوصف أن لله خليقة ، ذ لم يخلق بعد حتى أتى الوقت الذى فيه  
شاء أن يخلق ما خلق ، فخلق الا أنا نقول : من أجل أنه قادر على أن  
يخلق اذا أراد ، يجب أن يوصف له خلق بأنه لم يزل ، فليوصف إذن  
بأنه لم يزل ، قد أقام القيامة وأحيا الموتى وبعث من فى القبور . وقد  
أدخل الجنة جميع الأبرار ، وملا جهنم بمن كان مستوجبا لذلك . مع  
أنى لا أظن أن أحدا من العقلاء يقول بهذه الصفة ، فينبغى أن ترجع  
أصلحك الله الى ما يوجبه العقل فى المناظرة ، وتعلم أن الصفات فى الله

تبارك اسمه وتعالى صفتان مختلفتان صفة طبيعية ذاتية لم يزل متصفا بها ، وصفة اكتسبها له اكتسابا وهي صفة فعله • فأما الصفات التي اكتسبها اكتسابا من أجل فعله فمثل رحيم وغفور ورعوف ، وأما الصفات المنزلة التي هي الطبيعية الذاتية التي لم يزل - جل وعز - متصفا بها فهي الحياة والعلم ، فان الله لم يزل حيا عالما • فالحياة والعلم اذن أزليان لا محالة •

فقد صحت نتيجة هذه المقدمات : ان الله واحد ذو كلمة وروح في ثلاثة أقانيم قائمة بذاتها يعمها جوهر اللاهوت الواحد، فهذه صفة الواحد **الثلاث الأقانيم الذي نعبده • وهذه الصفة التي ارتضاها لنفسه ، ودلنا على سرها في كتب ديوانه المنزل على ألسن أنبيائه ورسله « أ • ه**



**أقول وبالله سبحانه التوفيق والهداية الى أقوم طريق :** هذا الكلام وان كان بينه وبين سابقه ولا حقه تناقض وتهافت - وقفت على بيانها في كتابنا هذا ، وستأتيك زيادة بيان على ذلك ان شاء الله تعالى - وخلاصة مقصده هنا ان النصرارى لم يجعلوا المسيح عليه السلام ابنا حقيقيا للبارى سبحانه ومتولدا منه ، بل مقصدهم من الآب الذات ، ومن الابن العلم الذى هو قائم بها ، ومن الروح القدس الحياة • والكل أزلى قديم ، ذى صفات البارى تعالى ، فالواحد ثلاثة والثلاثة واحد ، أى وكل ذلك حقيقى ، فالمسيح اله حقيقى وهذا وان أراد به ترقيع خرقهم الواسع والتستر بثوب لا يصلحه راقع ، فقد استجن به أيضا غيره ، ولم يتم فيه أمره •

ولنذكر ما نقله « القرافى » عن ذلك الغير ونرد ان شاء الله تعالى الكلامين ، بما فيه الصلاح والخير •

قال : « لو علم المسلمون مرادنا بالآب والابن وروح القدس لما أنكروا علينا • فان مرادنا بالآب الذات ، والابن النطق الذى هو قائم بالذات ، وروح القدس الحياة ، والثلاثة اله واحد • وهذه الثلاثة يعتقدونها المسلمون • ونحن لم نطلق ذلك من قبل أنفسنا ، بل فى الانجيل قال عيسى عليه السلام : « اذهبوا الى سائر الأمم وعمدوهم باسمم الآب والابن وروح القدس » وفى أول القرآن : **بسم الله الرحمن الرحيم**



فاقتصر على هذه الثلاث الآب والابن وروح القدس • ونريد بقولنا :  
المسيح ابن مولود من الله تعالى بلا حدث قبل الدهور : أنه لم يزل  
نطقا ، وأنه لم يزل الله تعالى ناطقا ، ثم أرسل الله تعالى نطقه من غير  
مفارقة الآب الوالد كما ترسل الشمس ضوءها من غير مفارقة القرص  
الوالد له ، وكذلك يرسل الانسان كلامه الى غيره من غير مفارقة العقل  
الوالد له ، فتجسم النطق انسانا من الروح القدس ، ومن مريم رضى  
الله تعالى عنها ، وولد منها بالطبيعة البشرية لا بالالوية ، فاذا قلنا :  
المسيح ابن الله تعالى لا نريد بقوة بشرية ، وأن له ولداً من صاحبتة •  
وقد أثبت القرآن : الولد بمعنى النطق ، بقوله تعالى : «**والد وما ولد**»  
وتجسم كلمة الله تعالى انسانا : أن الله تعالى لا يخاطب الا بحجاب ،  
لأن اللطائف لا تظهر الا في الكنائف ، فظهر في الانسان لأنه أشرف  
خلقه كما خاطب موسى عليه السلام من العوسجة ، ففعل المعجز  
بلاهوته وأظهر المعجز بناسوته • والمفعلان للمسيح ، كما يقال : زيد  
ميت بجسده باق بنفسه ، واذلك صلب الناسوت دون اللاهوت ، كما  
أن الحديد المحمات يطرق حديدتها وتتقطع دون ناريتها • ولذلك سمي  
القرآن عيسى : روح الله وكلمته ، واسمه عيسى ، فيكون الخالق واحداً  
وهو الآب ونطقه وحياته • ولا يلزم من تعددها تعدد الخالقين • كما  
تقول : الخياط خيط الثوب ، ويد الخياط خيطة الثوب •

ولا يلزم أن يقال خيط لثوب خياطان بل خياط واحد ، كذلك قولنا :  
الله تعالى وروحه وكلمته اله واحد • ولا يلزمنا أنا عبدنا ثلاثة ، كما  
لا يلزم اذا قلنا : عقل الانسان ونطقه وحياته ثلاثة أناسي « ا • هـ  
وهذا الكحك من ذاك العجين • وكل منهم يشرب من ماء عين أسنة  
غير معين •

اعلم أولاً : أن فرق النصارى كثيرة حتى أنها تتوف على السبعين  
كما ورد في الحديث النبوي الشهير ، والآن المشهور منوم ما يقرب على  
العشرة بل يزيدون • واختلفوا فيما بينهم بالمراد من الأثناسيم على  
تسعة أقوال تأتيك في محلها ان شاء الله •

فمنها : أنها أشخاص ، ومنها أنها خواص ، ومنها أنها صفات ،  
ومنها أنها العقل والعقل والمعقول ، ومنها أنها جهات ذهنية واعتبارات  
عقلية • واختلفوا أيضا في الثلاثة فمنهم من قال : نعنى بأقنوم الآب  
الوجود وبأقنوم الابن العلم وبالثالـث الحياة وهو روح القدس • ومنهم  
من قال : المراد بالابن النطق ، ومنهم من قال الحياة • واختلفوا أيضا  
في تجسد المسيح من الكلمة ، فمنهم من قال : اتحد الابن الأزلى  
بانسان كلى مجرد عن الأقانيم فصار ذلك مسيحا واحدا لها تاما  
وانسانا تاما ذا طبيعتين ومشيتين ، وأقنوم واحد • ومنهم من قال  
اتحد الابن الأزلى بانسان جزئى شخص ذى أقنوم فصار بذلك مسيحا  
واحدا لها تاما وانسانا تاما ذا طبيعة من طبيعتين وأقنومين  
ومشيئة من مشيئتين •

ومنهم من قال : اتحد الابن الأزلى المولود من الآب قبل الدهور  
والأعصار بالابن الزمنى المولود من مريم ، فصار بذلك مسيحا واحدا  
لها تاما وانسانا تاما ، ذا طبيعتين وأقنومين ومشيئة واحدة •

وأكثرهم من يعتقد العشاء الربانى أى أكل لحم المسيح بحقيقتـه  
فى كل يوم وفى كل كنيسة ويسجدون للصور النقوشة المصنوعة بعمل  
أيديهم كصورة المسيح وأمه ويخاطبونها بقولهم : يا خطيبة الله يا أم  
الله يا ابنة الله ، لك نسجد • وكثير منهم — كما قيل — يعتقدون ان  
المعجزات التى ظهرت على يدى عيسى وامه عليهما السلام لم يخلقها  
الله تعالى بل هما خلقاها •

ومنهم الفرقة المريمية الذين كانوا يعتقدون فى مريم أنها اله •

وغير ذلك من عقائدهم الزائفة المخالفة للتوراة والانجيل — كما  
هو مفصل فى كتابنا هذا فما حكاه الله سبحانه وتعالى فى بعض الآيات  
الكريمة عنهم هو قول بعض منهم ، وفى بعض اخر قول آخرين ، وحكاية  
دعواهم ألوهية مريم كدعواهم ألوهية عيسى عليه السلام كما قال تعالى :

« واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس : اتخذوني وأمي  
الهي من دون الله » •

فانهم وان أنكروا الآن القول بألوهيتهما لكن يلزمهم ذلك • لما مر  
ويأتى ، حيث يعتقدون أنه أحد الأقانيم ، فاذا قالوا الأقانيم ثلاثة  
والثلاثة واحد ، فيكون جزء آله أو حل فيه الآله • وعلى كل يكونون  
قد اتخذوه لها ، فاذا كان الأمر كذلك فكأنهم نفوا الله سبحانه ، لأن  
الله ليس بالصفة التى يعتقدونها سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون  
فجعلهم عيسى لها لازم لقولهم بالأقانيم وأن أظهروا البراءة من القول  
بذلك • وسوف نكل الكلام على هذه الآية فى محله ان شاء الله تعالى .

ثم اعلم : أن الصفة هل هى نفس الموصوف أو غيره • فالذى ذهب  
اليه الشيخ أبو الحسن الأشعري وعامة أصحابه : أن من الصفات  
ما هى عين الموصوف كالوجود ، ومنها ما هى غيره • وهى كل صفة  
أمكن مفارقتها للموصوف كصفات الأفعال من كونه خالقا ورازقا  
ونحوهما • ومنها ما لا يقال انها عين الموصوف ولا غيره ، وهى كل  
صفة امتنع القول بمفارقتها للموصوف بوجه ، كالعلم والقدرة والارادة  
وغير ذلك من الصفات النفسانية لله تعالى ، بناء على أن معنى المتغيرين  
كل موجودين يصح مفارقة أحدهما للآخر بجهة ما • وعلى هذا فكما  
أن الصفة التى لا تفارق ليست هى عين الموصوف ولا غيره ، فكذلك  
الصفات النفسانية بعضها مع بعض ، لما لم يصح انفكاك بعضها عن  
بعض ، فلا يقال : بعضها عين الصفة الأخرى ولا غيرها • أما أنها  
ليست هى هى ، فإن المفهوم منها غير متحد قطعا • وأما أنها ليست  
غيرها فلعدم الانفكاك • وحاصل النزاع فى هذا لا يرجع الا الى  
اصطلاح لفظى لاحظ له فى المعنى • على ما قاله « الآمدى » •

ثم اعلم : أن البارى سبحانه له صفات سلبية مثل قولنا ليس بجوهر  
ولا جسم ولا عرض أزلى ، أى لا أول له ، صمد أى لا جوف له وغير  
ذلك من الصفات السلبية المفصلة فى علم الكلام • وله سبحانه صفات

ثبوتية قائمة بذاته تعالى موجودة في كافة الكتب السماوية ، وهي سبعة :  
العلم والارادة والقدرة والحياة والكلام والسمع والبصر ، ومنهنا  
فعلية خارجة عن ذاته جل وعز يستحيل قيامها به تعالى نحو الخلق فانه  
عز شأنه وصف بالخالق بعد أن صدر منه الخلق ، وكذلك صفات أخر  
فعليات كالرازق والغفار والمحیی والممیت والذامر وغير ذلك • وأما  
وأما الصفات السبع فهي أزلية أبدية سرمدية لأنه تعالى موصوف بها  
قبل أن يخلق شيئاً ، لأنه لو لم يكن موصوفاً بها ، لكان موصوفاً بضدها •  
ومحال أن يوصف البارئ سبحانه بأضدادها التي هي صفات نقص •

قال شيخ الاسلام تقى الدين بن تيمية في شرح العقيدة الأصبهانية  
« الدليل على علمه سبحانه : ايجاده الأشياء ، لاستحالة ايجاده  
للأشياء مع الجهل • وهذا الدليل مشهور عند نظار المسلمين أولهم  
وآخرهم ، والقرآن قد دل عليه كما في قوله تعالى : « **ألا يعلم من  
خلق وهو الإطيف الخبير ؟** » والمتفلسفة أيضا سلكوه • وبيانه من  
وجوه :

أحدها : أن ايجاده للأشياء هو بارادته — كما سيأتى — والارادة  
نستلزم تصور المراد قطعاً ، وتصور المراد هو العلم فكان الايجاد  
مستلزماً للارادة والارادة مستلزماً للعلم ، فالايجاد مستلزم  
للعلم •

الثانى : ان المخلوقات فيها من الاحكام والانتقان ما يستلزم علم  
الفاعل لها لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير عالم •

ولهم طرق أخرى منها أن من المخلوقات ما هو عالم والعلم صفة  
كمال ، ويمتنع أن لا يكون الخالق عالماً • وهذا له طريقتان :

أحدهما : أن يقال : نحن نعلم بالضرورة : أن الخالق أكمل من  
المخلوق ، وأن الواجب أكمل من الممكن ، ونعلم ضرورة : أنا إذا فرضنا  
شيئين أحدهما عالم والآخر غير عالم ، كان العالم أكمل منه • فاذا لم

يمكن الخالق سبحانه عالما ، يلزم أن يكون غير عالم أى جاهلا • وهو ممتنع •

الثانى : أن يقال : كل علم فى الممكنات التى هى المخلوقات فهو منه • ومن الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عاريا منه ، بل هو أحق • والله سبحانه - وله المثل الأعلى - لا يستوى هو والمخلوقات ، لا فى قياس تمثيل ولا قياس شمول ، بل كل ما أثبت لمخلوق فالخالق به أحق ، وكل نقص تنزه عن مخلوق ما فتنزيه الخالق عنه أولى •

والدليل على قدرته : ايجاده الأشياء • وهو اما بالذات وهو محال ، والا لكان العالم وكل واحد من مخلوقاته قديما • وهو باطل فتعين أن يكون فاعلا بالاختيار وهو المطلوب • والمختار انما يفعل بالقدر ، اذ القادر هو الذى ان شاء فعل وان شاء لم يفعل • فأما من يلزمه المفعول بدون ارادته ، فهذا ليس بقادر بل ملزوم بمنزلة الذى تلزمه الحركات الطبيعية ، التى لا قدرة له على فعلها ولا تركها • والدليل على أنها هى علمه وقدرته : استحالة قيام العلم والقدرة بغير الحى • وهذا دليل مشهور للنظار ، يقولون : قد علم أن من شرط العلم والقدرة : الحياة فان ما ليس بحى يمتنع أن يكون عالما ، اذ الموات لا يكون عالما ، والعلم بهذا ضرورى ، وقد يقولون : هذه الشروط العقلية لا تختلف شاهدا ولا غائبا فتقدير عالم لا حياة به ، ممتنع بصريح العقل ، وكذلك قوله : والدلالة على ارادته : تخصيصه الأشياء لخصوصيات ، واستحالة المخصص من غير مخصص • فان هذا دليل مشهور للنظار • ويقرر هذا : أن العالم فيه تخصيصات كثيرة مثل تخصيص كل شىء بما له من القدر والصفات والحركات كطوله وقصره وطعمه ولونه وريحه وحياته وقدرته وعلمه وسمعه وبصره ، وسائر ما فيه • مع العلم الضرورى بأنه من الممكن أن يكون خلاف ذلك ، اذ ليس واجب الوجود بنفسه ، ومعلوم أن الذات المجردة التى لا ارادة لها لا تخصص ، وانما يكون التخصيص بالارادة • ولو قيل : التخصيص بأسباب معلومة كالأرض والأشجار تكون مختامة ،

فاذا سقيت بماء واحد اختلفت ثمارها لاختلاف القوابل كما أن الشمس تختلف آثارها بحسب القوابل ، كما تبيض الثوب وتسود وجه القصار وتلين اليباس الذى لم ينضج بما تجذبه اليه من الرطوبة ، وتجفف الرطب الذى كمل نضجه لانقطاع الرطوبة عنه .

قيل : هب أن الأمر كذلك ، فما الموجب لاختلاف القوابل حتى خصت هذه الشجرة وهذا الجسم بسبب آخر ؟ فلا بد أن ينتهى الأمر الى سبب لا سبب فوقه .

فان قيل : هي شئ صدر عنه ، كما تقول المتفلسفة « لا يصدر عن الواحد الا واحد ، والصادر الأول هو العقل وصدر عن العقل عقل ونفس وفلك » فهذا باطل لأنه ان كان الصادر الأول واحدا من كل وجه ، لم يصدر عنه أيضا الا واحد ، وان كان فيه كثرة ، فقد صدر عن الواحد أكثر من واحد . وان قيل الكثرة عدمية ، لزم أن يصدر عن العدم وجود ، ثم يقال الفلك الثامن كثير الكواكب دون التاسع ، فما الموجب لكثرة كواكبه ؟ ثم قيل السبب الأول ان كان فيه اختصاص بصفة وقدر كان تخصيصه بالارادة ، لأن التخصيص بذات لا ارادة لها ، ممتنع فى صريح العقل . وان قيل ليس له اختصاص بصفة وقدر ، قبل هذا ، يقتضى أن يكون وجودا مطلقا . والمطلق لا يكون الا فى الأذهان لا فى الأعيان .

**وأما قوله :** والدليل على كونه متكلما : أنه أمر ناه ، لأنه بعث الرسل لتبليغ أوامره ونواهيه ، ولا معنى لكونه متكلما الا ذلك . وسلف الأئمة وغيرهم لهم فى اثبات كونه متكلما طريقتان : سمعية وعقلية . فالطرق السمعية مبينة على مقدمتين احدها : أنه أمر ناه ، ( والمقدمة الثانية ) : ومن كان كذلك : فهو متكلم . والمقدمة الأولى مدلول عليها بأن الرسل بلغوا أمره ونهيه . وكل من المقدمتين واضحة . فان الكلام نوعان : انشاء واخبار والانشاء أمر ونهى واباحة ، فاذا ثبت له نوع الكلام ثبت مطلق الكلام ، فثبت : أنه متكلم ، وأما الثانية

فقد علم بالاضطرار من دين جميع الرسل أنهم يخبرون عن الله بأنه أمر يكذا ونهى عن كذا ، فيلزم من ثبوت الرسالة ثبوت كلام الله تعالى . ووجد كون الله متكلماً هو جحد لما بلغته عنه الرسل من الأمر والنهى .

فان قيل : فما الفرق بين هذا الطريق التي أثبت بها السمع والبصر وهو السمع ؟ قيل : هناك أثبت السمع والبصر بنفس الاخبار المنفصل مثل قوله تعالى : « وهو السميع البصير » وهنا أثبت تكلمه بمجرد ارسال الرسل من غير تعيين نص ، كقوله تعالى : « وكلم الله موسى تكليماً » .

وأما العقلية فمن وجوه : منها أن الحي إذا لم يتصف بالكلام لزم اتصافه بضده ، كالسكوت والخرس ، وهذه آفة يفره الله تعالى عنها ، فتعين اتصافه بالكلام . وهذا المسلك يسلكونه في أثبات كونه سميعاً بصيراً أيضاً . ومنها : أن المخلوق ينقسم الى متكلم وغير متكلم ، والمتكلم أكمل من غير المتكلم ، وكل كمال ، هو في المخلوق مستفاد من الخالق ، فالخالق أحق به وأولى . ون جعله لا يتكلم فقد شبهه بملوئه والجماد ، وذلك صفة نقص ، إذ المتكلم أكمل من غيره . قال تعالى في ذم من يعبد من لا يتكلم ولا ينفع ولا يضر : « أفلا يرون أن لا يرجم إليهم قولاً ولا يملك لهم نفعا ولا ضرا » .

والفرق بين هذا الوجه وبين الذي قبله : أن هذا استدلال بما في المخلوق من الكمال على أن الخالق أحق به والأول أنه مستحق لصفات الكمال من حيث هي هي ، مع قطع النظر عن كونها ثابتة في المخلوقات لامتناع النقص عليه بوجه من الوجوه سبحانه وتعالى . والدليل على كونه سميعاً بصيراً : طرق . منها السمع كقوله تعالى : « ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير » ولا يجوز أن يراد بذلك مجرد العلم بما يسمع ويرى : لأن الله سبحانه فرق بين العلم وبين السمع والبصر ، وفرق بين السمع والبصر . ومنها : أنه لو لم يتصف بالسمع والبصر لا تصف . بضد ذلك : وهو العمى والصمم . ومنها : أن السمع والبصر

من صفات الكمال ، فان الحى السميع البصير أكمل من حى ليس بسميع ولا بصير ، كما أن الموجود الحى أكمل من موجود ليس بحى ، والموجود العالم أكمل من موجود ليس بعالم • وهذا معلوم بضرورة العقل ، واذا كانت صفة كمال ، فلو لم يتصف الرب بها ، لكان ناقصا • والله سبحانه منزه عن كل نقص •

وأیضا : فلو لم يتصف بهذا الكمال ، لكان السميع البصير من مخلوقاته أكمل منه • ومن المعلوم فى بدائه العقول : أن المخلوق لا يكون أكمل من المخالق اذ كل كمال فيه فانما استقاده من ربه وخالقه ، فاذا كان هو مبدعا للكمال وخالقا له ، كان من المعلوم بالاضطرار : أن معطى الكمال وخالقه ومبدعه أولى بأن يكون متصفا به من المستفيد المبدع المعطى • ومنها : أن نفى هذه الصفات نقائص مطلقا ، سواء نفيت عن حى أو جماد ، وما انتفت عنه هذه الصفات لا يجوز أن يحدث عنه شيئا ولا يخلقه ولا يجيب سائلا ولا يعبد ولا يدعى ، كما قال الخليل « يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يفنى عنك شيئا ؟ » وقال تعالى : « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ؟ اتخذوه وكانوا ظالمين » •

هذا • ومن المعلوم أن هذه الصفات فى البارى سبحانه لا تشبه صفات المخلوقين فلا يكون السمع كسمعنا بصماخ وأذنين ولا البصر بحدقة وعينين ، ولا الكلام بلهوات ورثة ولسان وشفنتين ، ونحو ذلك من آلات كلامنا ، لأن هذه الصفات فىنا حادثة ومحتاجة الى آلة ، وفيه سبحانه قديمة غير محتاجة اليها ، فلا مشابهة بين رب الأسباب وبين من أصله من تراب • وهذا لا يخفى على ذوى البصائر والألباب • فلا تعطل صفات البارى كبعض المبتدعة ، ولا تجسم كبعض أعمال الكتاب (١) • وهذا البحث وان كان استيفائه هنا يطول والسامع كالكتائب

---

(١) النصرارى يجسمون الله ، ولا يصرحون بالجسمية • واليهود لا يجسمون الله ( انظر كتابنا الله وصفاته فى اليهودية والنصرانية والاسلام ) كتاب الانتصارات الاسلامية للطوفى •



ملول ، غير أننا ذكرنا الاشارات اللازمة الى ما نحن بصدده من بيان الصفات منقولا ومعقولا . والله سبحانه الموفق الى اتباع الصواب ، والمسئول أن لا يجعل على قلوبنا غشاوة ولا بيننا وبين الحق حجاب ، بمنه وكرمه آمين .

## فصل

بعد ما ثبت لديك : أن الله سبحانه له الصفات السبع القديمة الأزلية الوجودية الزائدة على ذاته تعالى ، فإنه سبحانه حتى بحياة عالم يعلم يريد بارادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر ، كما هو مذهب جمهور المسلمين من الأشاعرة وغيرهم ، خلافا للفلاسفة ونحوهم . وقد بسطت دلائل الأولين والآخرين في الكتب الكلامية ، مما لا يسعنا تفصيله في كتابنا هذا لئلا يخرج بنا الكلام الى خلاف المتصور الأهم ( وهو أن ) نبين لك أن قول النصارى : أن الله سبحانه ثلاثة أقانيم وان الصفات محصورة في العلم والحياة والوجود باطل . لوجوه ذكرناها فيما سبق ، وان كان الكلام معهم في هذه المسألة غير محتاج الى الأدلة ، لأن هذه الطائفة النصرانية اعترفت بأن عقيدة التثليث أمر خارج عن ادراك العقول ، ومغاير للمشاهدة والمحسوسات والمعقول ، غير أنهم قالوه اتباعا لظاهر الأناجيل ، واعتقدوه ، وان عده العقل من المحالات والأباطيل ، كما صرح به النصراني صاحب « الميزان » بقوله : « ولاريب بأن الانسان يعجز عن ادراك (١) هذه الحقيقة العويصة الغامضة . لأنها من الأسرار الالهية التي علمها مختص بالله وحده » الى أن قال : « ومن ثم من اعتمد على قياسات العقل البشرى العاجز ، وأنكر ألوهية المسيح وكونه ابن الله أى حقيقته كما قال ، يهبط في هاوية الغرور والخيبر » ( انتهى من صحيفة ١٥٢ ) .

لكننا نذكر بعضا مما أسلفناه من وجوه ما رددنا كلامهم به في حصر الأقانيم لئلا يخلو كلامه عن جواب . فمن ذلك .

---

(١) كتاب ميزن الحق لفاتنر موجودا في دار الكتب المصرية رقم الاهوت

أنه بعد تسليم أن صفة الوجود زائدة لو طولبوا بدليل الحصر لم يجدوا إليه سبيلا ، سوى قولهم : بحثنا فلم نجد غير ما ذكرناه ، وهو غير يقينى كما لا يخفى • على أن هذا المؤلف ذكر في كلامه الذى سقناه لك الحكمة مع الحياة والعلم ، فيلزم من كلامه أن تكون الحكمة أيضا أقنوما ، فتصير حينئذ الأقانيم أربعة : ومنه أيضا أنه تحقق فيما سبق من وجوب صفة القدرة والارادة والسمع والبصر والكلام • فيكون الحصر فى العلم والحياة غير صحيح قطعاً • والذى أوقعهم فى هذه الورطة والغلط الفاحش والكفر الصراح : قول متى التلاميذ ان المسيح عندما ودعهم « قال : اذهبوا وعمدوا الأمم باسم الآب والابن وروح القدس » وهذا ان صح عن متى أنه نقل ذلك فالمراد منه : ببركة الله ورسوله (١) والملك المؤيد للأنبياء على تبليغ أوامر ربهم ، كقوله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » فهذه نتيجة التعميد ، وانما هى انخراطه فى سلك المطيعين الممتثلين وأوامر ربهم ، والمتمسكين بالمعروة الوثقى من اتباع نبيهم ، المؤمنين بما أتى به الملك الآتى للأنبياء بالوحى من خالقهم • فقوله عليه السلام : عمدوهم باسم الله ورسوله والآتى بالوحى منه لا يقتضى أن يكون مجموع ذلك هو المسيح • وأى دلالة تدل على ذلك ؟ بل الأدلة قائمة كما علمت على خلاف ما زعموه •

ومنها أن يقال لهم : انكم جعلتم معبودكم ثلاثة أقانيم الوجود والحياة والعلم ، فما الدليل على الحصر فى هذا العدد ؟ فان الدليل قائم على أن صفاته سبحانه أكثر من ذلك • ومنها القدرة فان قالوا : لا حاجة الى أقنوم القدرة اذ فى أقنوم العم مدوحة عنها • قلنا : لا نسلم من حصوله حصولها ، اذ كيف يكون العالم قادراً ؟ لأن العلم كشف المعلوم ومعرفته على ما هو به ، والقدرة الاختراع والايجاد ، ولو جاز الاجزاء بالعلم عن القدرة ،

---

(١) الاب هو الله تعالى • والابن هو رسول الله محمد • والروح القدس هو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بلفظة أهل الكتاب • وهذا قد بيناه فى كتابنا اقانيم النصارى •

لجواز الاجزاء ، بالحياة عن العلم ، اذ لا يلزم من الحي أن يكون عالما ، والعلم يخلفه ضده وهو الجهل والقدرة يخلفها ضدها وهو العجز .  
واذا ثبت وصفه بالقدرة ، فقد ثبت وصفه بالارادة ، اذ حظ القدرة الاختراع والابداع ، والارادة التخصيص بالمقادير والأشكال والأزمان والاحوال .

وقول هذا المؤلف : ان لله ابنا ، وهو الكامة الخالقة ، مقصده : أن الكلمة حلت في المسيح كما تقدم في بيان عقائدهم . وبطلانه من وجهين : الأول . انه قد تحقق امتناع حلول صفة القديم في غيره . والثاني : انه ليس القول بحلول الكلمة أولى من القول بحلول الروح وهي الحياة ، وستأتى أيضا توضيحات وبراهين أخر في محلها من هذا الكتاب نرد التثليث وحصص الأتقانيم ان شاء الله تعالى . غير أنا نذكر عبارة من مختصر تخجيل الأناجيل من كلام طويل جليل ، فنقول : قال عليه الرحمة ما نصه : « اعلم أن النصرى مجموعون على الثالوث . وهو أن ربهم آب وابن وروح القدس ، فيعبرون بالآب عن الذات ، وبالابن عن النطق الذى هو الكلام ، وبالروح عن الحياة . ويزعمون أنه لا يصح لأحد توحيد دون أن يعتقد هذا ، ويزعمون أن الآب جوهر وأن له حياة وصفة نطق قالوا : فلا يكون الاله فاعلا حكيما الا بعد كونه حيا ناطقا ، فهل الحياة والنطق ذوات أو صفات ؟ اختلف فيه أكابرهم فمنهم من قال : ان الحياة والنطق صفات لجوهر الآب ، ومنهم من قال : بل هى ذوات بأنفسها . ومنهم من قال : بل هى خواص لذلك الجوهر .

وطريق البحث معهم في ذلك أن يقال لهم : هل تتسبون اللاهوتية لكل واحد من الأتقانيم الثلاثة أم تزعمون أن الجميع واحد ، أو تقولون ان الاله واحد من الثلاثة والباقى صفات له ؟ فان قلتم : أن الاله واحد والزائد صفات له ، فقد أبطلتم القول بالثالوث ، ووافقتموننا على قولنا بأن الاله واحد وله صفات من العلم والقدرة والارادة والحياة والسمع والبصر والكلام ، وأن شيئا من هذه الصفات ليست لها وانما الاله ذات موصوفة بهذه الصفات ، وفارقتم حينئذ مشايخ

الأمانة ، اذ يقولون : ان الآب آله واحد وأن الابن اله واحد ، وأن روح القدس اله ثالث ، وأفسدتم صلواتكم ، حيث تقرعون فيها : « الملائكة يمجدونك وابنك نظيرك في الابتداء وروح القدس مساويك في الكرامة » .

**وان زعمتم : أن الجميع الله وأن واحدا من الثلاثة ليس بالله على** انفراده ، فقد تركتم القول بالتثليث وعبدتم الها واحدا مركبا من ثلاثة أقنانيم . وهذا مفسد لما انطوت عليه الأمانة ، من أن كل واحد من الآب والابن والروح اله مستقل باللاهوتية ، وهدمتم أصل النصرانية ، اذ لا خلاف بينهم أن اللاهوت اتحد بالناسوت . واذا كان الاله عبارة عن الثلاثة ، فالآب والروح ما اتحد بالناسوت ، وانما اتحد الابن الذي هو العلم أو النطق ، فاذا ما اتحد الاله بل أحد الأقانيم الثلاثة ، وذلك عند تجرده لا يسمى الها .

وفي أمانتهم الشهيرة : « المسيح اله حق وأنه أتقن العوالم بيده ، وخلق كل شيء ، وأنه نزل من السماء لخلص الناس » وذلك مما يبطل هذا القسم . وذلك لأن الذي نزل انما هو في زعمهم أقنوم الابن ، فان كان الاله هو مجموع الثلاثة ، بطل أن يكون الابن هو خالق الأسماء متقن العوالم ومخلص الناس ، اذ لا يوصف بذلك الا الاله الذي هو مجموع الثلاثة الآب والابن والروح القدس . وان زعمتم أن كل واحد من الأقانيم اله ومجموعها اله واحد . قلنا لكم : ان كل واحد ، من الثلاثة اله حقيقة وتجوزا أو توسعا ، وأن الاله الحقيقي هو مجموعها؟ فان قالوا بهذا وصرفوه الى مجرد التسمية دون الحقيقة ، تركوا القول بالثالوث وأثبتوا الها واحدا له صفات ، ثم سمو صفاته آلهة تحكما وتخرصا بغير توقف ولا دلالة ، وهدموا قول الأمانة وهو أن المسيح اله حق ، وقالوا بل هو اله تجوزا وأبطلوا عبادة المسيح حيث يقولون في صلواتهم الهنا ورددوا قول مشايخ الأمانة اذ يقولون : ان المسيح هو الاله الحق لا اله بالتسمية والتجوز ، وهذا الاله الحقيقي لم يتحد بجسد المسيح ، بل ما اتحد به ، الا اقنوم واحد . وقد يسعى الها على سبيل التجوز والاستعارة ، وان زعموا أن كل واحد من

الأقنيم اله كامل على الحقيقة • إذ أفرد والجميع اله واحد ، إذا جمعوا • وبهذا القول يقولون ، فهذه في الدرجة العليا من انفساد ، وذلك انما نقول لهم : أيجوز خلو الاله عن الحياة والعلم ؟ فان جوزوا ذلك ، قلنا لهم : فاذن لا حاجة الى الأقنيم إذ الاله مستغن عنها • وان قالوا : لا بد من الحياة والعلم • قلنا : إذا قلت : ان كل واحد من الأقنيم الثلاثة اله حقيقة ، فلا بد له من الحياة والعلم ، وحينئذ تصير الأقنيم تسعة ، فيصير التثليث تاسوعا ، إذ حياة كل واحد من الأقنيم الثلاثة وعلمه أقنومان • ثم كل واحد من التسعة أقنيم • ليس باله حقيقة ، وانما يصير لها حقيقة إذا ثبت وجوده وحياته • وعلمه • إذ لا يجوز خلو الاله عن الحياة والعلم ، وحينئذ يتمسك القول الى اثبات آلهة لا نهاية لها • فهذا يوزم من يقول : ان كل واحد من الأقنيم الثلاثة له حياة وعلم •

وان قالوا : لا يثبت هذا الوصف إلا نواحد منها امتنع عليهم وصف الثانى والثالث بالالهوية حقيقة ، لما تقرر أن الاله يجب أن يكون حيا علما ، وبطل عليهم القول بانثالوث على كل الوجوه • والله سبحانه الهادى الى سواء السبيل » •



ولنرجع الى رد ما نقله « القرافى » من كلامهم تكلمة لرد ما قاله « عبد المسيح » لأن دعواهما متحدة وندنتهما الى شىء واحد مستتدة •

فنقول : قولهم نريد بالآب الذات الخ • لا كفر فيه ، وانما الاطلاق منكر مغاير للاطلاقات الشرعية ، فهم عصاة بهذا الاطلاق ، كفار عند ارادة المعنى الحقيقى • وأما استدلاله بعبارة الانجيل ، فالجواب عنها بوجهين : الأول : ان الأنجيل لا يعتمد عليها إذ جمعها وتحريرها بعد المسيح عليه السلام وفيهما التناقض والمحرّف والمبدل ، كما سيوضح ان شاء الله تعالى لك فى كتابنا هذا : الثانى ان لفظ الآب أطلق

أيضا في العهد القديم والجديد على البارى — سبحانه — بالنسبة لى اغير عيسى من بنى اسرائيل ، وأطلق الابن أيضا على غيره منهم ، والروح القدس يطلق على جبريل أيضا كما سير عليك فى هذا الكتاب • وأما استدلاله على التثليث بالبسمة ، فاستدلال ساقط بالمرّة لأن الرحمن الرحيم صفات له سبحانه فعليّتان خارجتان عن ذاته سبحانه غير قائمتين بها لأن المراد منهما : أنه ذو الرحمة الكثيرة المحسن الى خلقه المنعم عليهم ، وليس المراد بهما : النطق والحياة — كما زعم —

**قال القرافى :** « وأما قولهم ان النطق موجد فغلط • انما الموجد القدرة ، لأن كل صفة من صفات الله جل وعز لها خاصية لا توجد لغيرها ، فبالقدرة توجد الممكنات والارادة تخصص الممكن بزمانه وأحواله • والعلم يكشف الواجبات والممكنات والمستحيالات على ما هى عليه ، والسمع ادراك يختص بالكلام النفسانى والصوت الانسانى ، والبصر ادراك يختص بالموجود دون المدوم بخلاف العلم ، فأنسه يعمها ، والكلام النفسى الذى هو النطق يكون منه الأمر والنهى والخبر والاستخبار دون التأثير ، ولا يجوز أن يعتقد الابداد الا للقدرة ليس الا • والبراهين على هذا المطلب فى مطولات الكتب الكلامية ليس هذا موضعها » •

**قلت :** وأما الابداد بلفظ كن كما تشعر به آية « كن فيكون » فهو تمثيل للتأثير قدرته تعالى فى مراده ، فراجع روح المعانى • وأما قولهم : ونريد ببنة المسيح وولادته بلا حدث قبل الدهور : أنه لم يزل الله تعالى ناطقا • فكلام غير معقول أصلا ، لأن النطق صفة قائمة بذات الله تعالى ، وقد سلمتم ذلك فهو من المعانى لا من الأجسام ، بل هو كالعلم والحياة والارادة • فان أردتم أن عيسى عليه السلام المتجسد أنه لم يزل هذه الصفة المعنوية فهو من باب قلب الحقائق الذى يستحيل وقوعه فى زمن من الأزمان فضلا عن كونه لم يزل كذلك • كما يستحيل أن السواد يكون بيضا أو العلم يكون طعما أو الرائحة

لونا ، كذلك ينبغي أن كون النطق انسانا • فهذا التفسير غير معقول  
ولا مقصود بالبداهة •

وان أردتم أنه لم يزل نطقا ، أى لم يزل الله تعالى يخبر عن وجود  
عيسى عليه السلام فى أزله فهو صحيح مقصود ، لأن خبر الله تعالى  
ينطق بجميع الأشياء الموجودات والمعدومات الماضيات والحاضرات  
والمستقبلات • لكن هذا التفسير لا يبقى معه لدين النصرانية وجود ،  
فان خبر الله تعالى كما يتعلق بوجود عيسى عليه السلام يتعلق بوجود  
غيره من الأنام • ولم يزل كل واحد منهم نطقا بهذا التفسير ، فيبغى  
أن يكون كل واحد من اليهود وغيرهم ابن الله سبحانه ولا مزية لعيسى  
عليه السلام على واحد منهم فى ذلك •

وان أردتم تفسيرنا ثالثا فتقولوه حتى نعرفه ونجيب عنه ولا شك  
أنكم لا تجدونه ولا تقولونه أبدا • وان أردتم أن الله تعالى خلق فى  
المسيح نطقا بما طلبه الله تعالى من العباد وأراده منهم ، فيقال : كذلك  
سائر الأنبياء عليهم السلام خلق الله تعالى فى نفوسهم الاخبار عن  
أحكامه سبحانه ، بل العلماء كذلك ، وليس أحد منهم صار ابنا لله بذلك •  
فظهر أن قولكم لم يزل المسيح نطقا قول باطل غير معقول أو قول  
لا يلزم منه ألوهية المسيح ولا اتحاده ولا الطول •

وأما قولهم : ثم أرسل الله تعالى نطقه من غير مفارقة : غلط وخبث  
فاحش لأن الارسال يلزم منه مرسلا ومرسلا اليه ولأن ارسال الشيء  
اتصاله بغيره المبائن له • وذلك غير معقول فى كل صفة من صفات النطق  
وغيره ، لأن الصفة أقامت بالموصوف فيستحيل ارسال الألوان والطعوم  
والروائح والعلوم • الا مع انتقال محالها • وأما بمفردها فمحال  
ببديهية العقل • ومن شك فى ذلك ، فليس بعقل • ومحل هذا النطق  
يستحيل عليه الحركة والاتصال والانفصال ، فانه ليس بجسم باتفاق  
الفريقين ، والصفات المذكورة فى البارى سبحانه قديمة كذاته التى  
ليست هى محل الحوادث •

وأما إرسال الشمس لضوئها الذي جعله تنظيرا لما ادعاه • فليس معناه أن نفة قائمة بالشمس اتصلت بالغير ، بل الله سبحانه يخلق الأنوار والأضواء في أجزاء الهواء الكائن بين السماء والأرض عند بروز الشمس ، فالضوء الحاصل في كل جزء من الهواء غير الضوء الحاصل في الجزء الآخر وغير الضوء القائم بجرم الشمس وعندنا صفات عديدة وموصوفات كثيرة لم ترسل منها صفة واحدة ، بل كل صفة لازمة لمحلها لم تفارقه • والعجب تنظيرهم لما ادعوه بالشمس ، فان ضياء الشمس أو حرارتها اذا أثرا في محل ، لا يقال لذلك المؤثر فيه انه صار شمسا أو حلت فيه الشمس ، أو اتخذت به كما هو ظاهر • فلم قالوا : ان جسد المسيح صار لها وهو الآن اله تام جالس عن يمين أبيه • فهل هذا الا خبط وخطا ، ولم يقله أحد ذوى العقول قط •

وأما إرسال الانسان كلامه لغيره عن فكره • فذلك اما بالكتابة ، فإرسال حينئذ أجسام ورقوم سود في أجسام بيض ونطقه القائم بنفسه لم يرسله بل أرسل ما يدل عليه • وأما أن يوصى من يخبره بمقاصده مشافهة ، فهو صوت صدر على لسانه ، سمعه ، رسوله فقال ذلك الرسول أصواتا أخر لذلك الغير • ولا يقال ان الانسان أرسل كلامه النفسى والماضى ، بل النفسى قائم بنفسه والصوتى سمعه رسوله ، ولم يأخذه معه ولا يمكن تجسد ذلك المعنى القائم بالنفس ولا اللفظ أيضا • كما هو ظاهر فهذا التمثيل غير مطابق للدعوى بل جهل بالحقائق وأحكامها •

وتبين الخبط في قولهم أيضا • فتجسم النطق انسانا من السروح القدس ومن مريم الى آخره • اذ كيف يتخيل عاقل أن النطق يصير جسما ويولد ويأكل ويشرب ويقتل والحالة هذه : هذا أن النطق اله كامل حقيقى ؟ وان ذلك كقول القائل : اللون صار جملا والطعم صار فرسا والرائحة صارت غزالا ، فمن قام به لون قام به جمل ، ومن قام به طعم قام به فرس ، ومن قام به رائحة قام به غزال •



وكيف يتخيل ذو لب أن المعانى تنقلب أجساما ، مع أن المعانى هفتقرة للمحال لذاتها والأجسام مستغنية عن المحال لذاتها ؟ وذلك كإنقلاب الممكن واجبا أو الزوج فردا أو الفرد زوجا ، السواد بياضا . فان كنتم تجوزون هذا كله وهو الظن بكم لصقاعة عقولكم سقط الكلام معكم . لأن الكلام مع من لا يعقل عبث . وان كنتم لا تجوزون ذلك فإتركوا التعصب والحمية الجاهلية وتقليدكم لأسلافكم واستعدوا لآعرتكم ، ولا تقولوا : تجسم النطق الربانى فى عيسى ، وصار الاله جسما مولودا مقهورا مقتولا ، وأعترفوا ببطلان هذه النبوة وأثبتوا له النبوة . ولا تقولوا : انه الله وانسان . اذ المبنى على الفاسد فاسد ، فلا يكون الاله حيوانا .

**وأما قولهم : ان القرآن العظيم أثبت هذه النبوة بقوله سبحانه :**  
« **ووالد وما ولد** » فهو افتراء على الله سبحانه وكتابه لأن المراد بذلك على ما هو المشهور عند أكثر المفسرين : آدم وذريته .

**وقيل : ابراهيم وولده اسماعيل والنبي عليه الصلاة والسلام .**  
والعجب من النصارى : أنهم لم يكتفوا بتحريف كتبهم وتأويلاتهم الفاسدة حتى تجرأوا على تأويل كتابنا الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بأرائهم الكاسدة .

**وأما قولهم : وسبب تجسد الكلمة أن اللطيف لا يظهر الا فى الكثيف كما خاطب الله تعالى موسى عليه السلام من العوسجة .**

**فواجبه : أن هذا تحكم اذ يجوز أن يخلق الله تعالى لنا عاما ضروريا بكل لطيف على ما هو عليه من غير أن يبدل ذلك اللطيف فى غيره ولا يتحد بسواه كما أن الخلق يعلمون وجود الله تعالى وصفاته العلية بدلالة صنعته عليه ، قبل ما يدعونه من الاتحاد الحادث فى زمن عيسى عليه السلام . ويلزم النصارى أن جميع الخلق قبل ظهوره لم يظهر لهم**

شئ من صفات الله تعالى وكمال ذاته ووحدانيته وألوهيته ، حتى ظهر عيسى عليه السلام . وهذا من المحال بمكان ، بل هذه دعوى ظاهرة البطلان .

وأما تمثيلهم ذلك بشجرة العوسج . فخطأ شنيع . وقد ذكر الله سبحانه هذه القصة في القرآن الكريم في ثلاث آيات : أحداها : قوله سبحانه : « وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً فقال لأهله : امكثوا انى آمنت ناراً ، لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى . فلما آتاها نودى يا موسى انى أنا ربك فأخضع نطيك أنك بالواد المقدس طوى ، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى : اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكري » والثانية : قوله سبحانه : « إذ تقال موسى لأهله انى آمنت ناراً بما آتيكم بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون . فلما جاءها نودى : أن يورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين . يا موسى انه أنا الله العزيز الحكيم » والثالثة قوله عز وجل : « فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً . فقال لأهله : امكثوا انا آمنت ناراً لعلى آتيكم منها بخبر أو جنوة من النار لعلكم تصلحون . فلما آتاها نودى من شاطئ الواد الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى انى أنا الله رب العالمين ، وأن ألق عصاك » الآيات

وفى السفر الثانى من التوراة قوله : « وكان موسى يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان فساق الغنم الى برية وجاء الى جبل الله بحوريب وترأى له الرب بلهب النار من وسط العليقة ، فنظر الى العليقة وتتوقد فيه النار وهى لم تحترق . فقال موسى : أنطلق وأنظر الى هذا المنظر العظيم لم لا تحترق العليقة ؟ ورأى الله أنه جاء لينظر فدعاه من جوف العليقة ، وقال : موسى موسى . فقال : ها أنا ذا . قال له : لا تدنوا لى ههنا . حل الحذاء من رجلك من أجل أن المكان الذى أنت فيه قائما ، أرض مقدسة . وقال له : انى أنا الله اله آبائك . انه ابراهيم والله

سحاق والله يعقوب • فغطى موسى وجهه من أجل أنه خشى أن ينظر نحو الله •

**وجوابه من أوجه أحدهما :** أن الكلام صفة قائمة بذاته تعالى • وقد أثبتنا في ما تقدم استحالة مفارقة الصفة للموصوف ، فكيف ينتقل كلام الله سبحانه إلى هذه الشجرة التي هي العناب أو المليقة أو العوسجة أو السمرة حتى يسمعه موسى عليه السلام ؟ ثانيها : أن الله سبحانه كلام نفسى (١) لا لفظى كما هو قول كثيرين من المسلمين ومنهم الأئمة الأشعرى والغزالي والفخر الرازى • فالذى سمعه موسى هو بلا صوت ولا حرف • وهذا كما أن ذاته سبحانه بلا كيف ولا كم •

(١) أن كلام الله تعالى لموسى في طور سيناء ، هو محل خلاف بين المعتزلة واهل الحديث سلفا وخلفا فالمعتزلة يقولون : قبل أن نتكلم في كلام الله ، نحدد معنى الكلام ونبين حقيقته • وقد حددوه بأنه ما انتظم من حرفين فصاعدا • أو هو ما له نظام من الحروف مخصوص • فهل الله تعالى تكلم بحرف وصوت ؟ فالمسلمون إلا السلف يقولون : لا • هو لا يتكلم بحرف ولا صوت • إذ ليس كمثله شيء • فكيف كلم موسى ؟ والاجابة هي :

- ١ - إما أن ملاكا من ملائكة السماء تكلم نيابة عن الله •
- ٢ - وإما أن الله الهم موسى في قلبه كلاما واستيقن أنه كلام الله •
- ٣ - وإما أنه خلق شيئا • إذا نظره الناظر يعرف منه مراد الله •
- ٤ - وإما أنه خلق الكلام في الشجرة • وهى التى كلمت موسى عليه السلام •

وكل فريق من المسلمين غير السلف اختار من الاجابة ما اعتقد انه صحيح • ولكنهم اتفقوا على أن الله لم يتكلم بصوت ولا حرف • أما الكلام النفسى • أى ما يجول في خاطر الانسان ولم يتلفظ به • فهذا يسميه الأشاعرة كلام الله • ولا يسميه المعتزلة كلاما • إذ هو ليس بحرف ولا بصوت •

وقد احتجت المعتزلة على قولهم بأن الله تعالى تكلم بكلام بخلقه في جسم بقوله تعالى : « من الشجرة » فان هذا صريح في أن موسى - عليه السلام - سمع النداء من الشجرة • والمتكلم بذلك النداء هو الله • وهو - تعالى - منزه أن يكون في جسم • فثبت : أنه تعالى إنما يتكلم بخلق الكلام في جسم •

ثالثها : انه عليه السلام تلقى ذلك الكلام تلقيا روحانيا ، كما تتلقى الملائكة عليهم السلام كلامه تعالى : لا من جارحة ، ثم أفاضته الروح بواسطة قوة العقل على القوى النفسية ، ورسمته في الحس المشترك بـ صور ألفاظ مخصوصة فصار لقوة تصور كآنه يسمع من الخارج • وهذا كما يرى النائم أنه يكلم ويتكلم • رابعها : ان هذا الكلام الذى سمعه موسى حادث • وهو صوت خلقه الله تعالى فى الشجرة • وهو قول المعتزلة القائلين بأن كلام الله سبحانه مخلوق حادث ، وقول أهل ما وراء النهر من أهل السنة القائلين بـ قدم الكلام ، فيكون حينئذ قول الشجرة : انى أنا الله حكاية لكلام الله سبحانه ، كما يحكى جبريل كلام الله • خامسها : ان البارئ سبحانه لم يحل فى الشجرة ولم يتحد بها — كما زعمه النصارى ، فى المسيح — بل ظهر النور على الشجرة أو النار • أو البارئ لم يحل فى شئ من ذلك ، وكلم موسى بكلامه اللفظى بحروف وأصوات كما هو مذهب السلف الصالح وكثيرون من أئمة المسلمين وأئسادة الصوفية منهم ، وسمع موسى ذلك الكلام اللفظى كما سمعه فى غير ما مرة • ولذلك يقال له : كليم الله • ولا يلزم منه حلول البارئ سبحانه فى الشجرة ، كما تريد النصارى بطولوه بـيسى واتحاده ، كما يستفاد ما قلناه من التوراة أيضا •

**وقد روى الامام أحمد وغيره عن وهب بن منبه انه عليه السلام**

لما رأى النار انطلق يسير حتى وقف منها قريبا ، فاذا هو بنار عظيمة تفور من ورق شجرة خضراء شديدة الخضرة ، يقال لها : العليق ، لا تزداد النار فيما يرى • الا عظما وتضرما ، ولا تزداد الشجرة على شدة الحريق الا خضرة وحسنا ، فوقف ينظر لا يدري على ما يضع أمرها الا أنه قد ظن أنها شجرة تحترق وأوقد اليها بوقد ، فنالها فاحترقت ، وأنه أنما يمنع النار شدة خضرتها وكثرة مائها وكثافة ورقها وعظم جذعها ، فوضع أمرها على هذا ، فوقف وهو يطعم أم يسقط منها شئ ، فيقتبسه ، فلما طال عليه ذلك أهوى اليها بضغث فى يده ، وهو يريد ان يقتبس من نهبها • فلما فعل ذلك مالت نحوه كأنها تريد

فاستأخر عنها وهاب ، ثم عاد فطاف بها • ولم تنزل تطعمه ويضع بها ،  
ثم لم يكن شيء بأوشك من خمودها ، فاشتد عند ذلك عجبه وفكر في  
أمرها • فقال : هي نار ممتنعة لا يقتتس منها ، ولكنها تنضرم في جوف  
شجرة فلا تحرقها ، ثم خمودها على قدر عظمها ، في أوشك من طرفة  
عين • فلما رأى ذلك قال : ان لهذه لساننا ، ثم وضع أمرها على أنها  
مأمورة أو مصنوعة لا يدري من أمرها ولا بم أمرت ؟ ولا من صنعها ؟  
ولا لم صنعت ؟

فوقف متحيرا لا يدري أيرجع أم يقيم ؟ فبينما هو على ذلك اذ رمى  
طرفه نحو فرعها فاذا أشد مما كان خضرة ساطعة في السماء ، ينظر  
اليها تنقش الظلام ، ثم لم تنزل الخضرة تنور وتصفى وتبييض حتى  
صارت نورا ساطعا عمودا بين السماء والأرض ، عليه مثل شعاع  
الشمس تكل دونه الأبصار كلما نظر اليه يكاد يخطف بصره ، فعند ذلك  
اشتد خوفه وحزنه ، فرد يده على عينيه ولصق بالأرض ، وسع حينئذ  
شيئا لم يسمع السامعون بمثله عظما •

فلما بلغ موسى عليه السلام الكرب واشتد عليه الهول ، نودى من  
الشجرة وقيل : يا موسى • فأجاب سريعا - وما كان  
سرعة اجابته الا استثناسا بالانس - فقال لبيك مرارا ، انى لأسمع  
صوتك وأحس حسك ، ولا أدري مكانك ، فأين أنت ؟ قال : أنا فوقك  
ومعك وأمامك وخلفك وأقرب اليك من نفسك : فلما سمع هذا موسى  
عليه السلام أنه لا ينبغي ذلك الا لربه تعالى ، فأيقن به • فقال كذلك  
أنت يا الهى ، فكلامك أسمع أم رسولك ؟ قال : بل أنا الذى أكلمك •  
وروى أنه عليه السلام كان كلما قرب منها تباعدت فاذا أدبر اتبعته ،  
فأيقن أن هذا أمر من أمور الله تعالى الخارقة للعادة ، ووقف متحيرا  
وسمع من السماء تسبيح الملائكة وألقيت عليه السكينة ، وكان ا كان •

وقال بعضهم انها لم تكن نارا بل هي نور من نور الرب تبارك  
ونعالى • وذكر بلفظ النار بناء على حسابان موسى عليه السلام • وروى

هذا عن ابن عباس رضى الله عنه أيضا • وقد روى أنه عليه السلام كان يسمع من جميع الجهات بجميع أعضائه ، وأنه بذلك عرف أنه كلام الله تعالى •

سادسها : يلزم النصرارى اذا استدلوا على حلول كلمة الله تعالى بعبسى بحلول كلمته فى العوسجة أن تكون العوسجة الها لموسى عليه السلام كما لا يخفى • ولا أظنهم قائلين بذلك • والله أعلم •

**وبما ذكرناه تبين : تزييف ما قالته النصرارى : أن القرآن الكريم ناطق بجواز الاتحاد ، اذ فيه أن الله تعالى كلم موسى من الشجرة •**  
وقالت : أنا الله • واذا صح الاتحاد بالشجرة ، صح بذات عيسى عليه السلام •

وفساد تنظيرهم بموت زيد وبقاء نفسه • واضح اذ أين هذا من القول بأن الله القديم الذى ليس كمثله شىء الواحد من جميع الجهات، يحل فى عيسى ويتحد به • فيكون عيسى الها وابن الاله • وكذا تنظيرهم بالحديدة المحماة • فأين الحديد الحادث المخلوق والنار ، من الله الواحد القهار ، وكذا تنظيرهم بيد الخياط • فهل هذا الا قياس فاسد وخباط ؟ حتى أرسل هذا السؤال زعيم القسيسين المدعو « أوغسطين » ورسده فى كتاب سماه « مصحف العالم » من طليطلة الى قرطبة (١) من بلاد الأندلس زاعما أنه وجد ما يلزم به المسامير فى ردهم للاتحاد والحلول وألوهية عيسى على ما اقتضته عقيدة المثلثين : فتبين له بعد جواب المسلمين : أن ذلك هباء أو سراب يظنه الظمان ماء والحمد لله رب العالمين •

**وأما استدلاله بتصريح القرآن الكريم : أن عيسى روح الله وكلمته •**  
فقد بينا غير مرة المراد بذلك •

**وأما قواه : الله وكلمته وروحه الله واحد ، فلا يلزمنا القول بثلاثة آلهة ، كما يقال : الانسان وعقله وحياته ثلاثة وهو انسان واحد •**

---

(١) كلام أوغسطين ورد الامام القرطبى عليه ، مذكور فى كتاب الاعلام بما فى دين النصرارى من الفساد والأوهام — نشر دار التراث العربى بالقاهرة •

فيقال لهم : نعم يلزمكم ذلك ، لأنكم قلتم : الكلمة انتقلت للمسيح ، فاستحق العبادة لذاته ، فهو اله كامل وانسان كامل ، وقلتم في أمانتكم : « نؤمن بالله الواحد الآب صانع كل شيء ، وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها ، وليس بمصنوع ، اله حق من اله حق ، من جوهر أبيه ، وخلق كل شيء ، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ومريم ، وصار انسانا وحبل به ، وولد من مريم البتول » الى آخر ما قلتم .

فهل يوجد في كلام خبط وتناقض شرك وافر ، أزيد من هذا ؟ وهل يكون هذا كقولنا الانسان وعقله وحياته ثلاثة وهو انسان واحد لأن العقل والحياة صفتان له ولم تنتقل منه الى غيره ؟ فانظروا الى هذا المقياس الفاسد والتنظير الكاسد ، فنعوذ من خذلانكم بالله الواحد .



## فصل

اذا علمت جميع ما حررناه وتدبرت بالفكر الصائب ما دبرناه تبين لك أن قول النصارى في بعض كتبهم ان اطلاقهم الآب والابن وروح القدس على الاله الواحد وجعلهم الاله ثلاثة . والثلاثة واحدا يكون كاطلاق اليد والعين والاستواء والنزول وغير ذلك من المتشابه عند المسلمين على الله تعالى ، مع أن أكثر المسلمين لا يعتقدون التجسيم ولا يريدون ظاهره البين البطلان وهو قول غير مطابق واحتجاج كاذب غير صادق لأن المتشابه الوارد عندنا وارد في جميع الكتب السماوية وكافة الكتابيين يأولون ذلك بما يليق بجلال الله سبحانه وذاته العلية ، أو يؤمنون به من غير بحث عن الكيفية ولا يعتقدون التجسيم والتشبيه بمخلوقاته سبحانه وتعالى ، والمسلمون بقرعون الآيات كما وردت وبحروفها نزلت ، ولا يشبهون ولا يعطلون ، أو يأولون الآيات اللازم تأويلها تأويلا قريبا حسنا ، كما أن اليهود والنصارى يأولون الآيات المتشابهة عندهم ، ويعترفون بكثرة وقوع المجاز في الكتب السماوية

كما ستعرفه أيضا من قول صاحب مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس  
الثمين في الفصل الثالث عشر من كتابه :

« وأما اصطلاح الكتاب المقدس فانه ذو استعارات وافرة غامضة  
وخاصة العهد العتيق » ثم قال : « واصطلاح اتعهد الجديد أيضا هو  
استعارى جدا ، وخاصة مسامرات مخلصنا - أى المسيح - وقد  
اشتهرت آراء كثيرة فاسدة ، لكون بعض معلمى النصرارى شرحوها  
شرحا حرفيا ليس صوابا » .

وستأتيك تتمته ان شاء الله تعالى في محلها . وقد ذكرنا في كتابنا  
هذا كثيرا من الكلمات الواردة عند النصرارى التى لا يراد بها ظاهرها  
فيا أولونها . والمقصد هنا - أن المتشابه الوارد فى الكتب السماوية هم  
بأولونه ونحن نأوله تأويلا قريبا أولا نأوله ، ولا نقول : ان المراد  
منه هو المعنى الظاهر للفظ . لأن ظاهره محال بالنسبة الى الدارىء  
سبحانه بل نمرة كما ورد من غير تشبيه ولا تعطيل . فنحن وسائر  
أصحاب الكتب السماوية على ذلك . فأين هذا من تثليث النصرارى  
والعشاء ايربانى كما ورد عندهم بعض الكلمات الموهمة للتثليث رالعشاء  
بزعمهم ، مع أن آيات أخر تردد ذلك . وتصرح بأن عيسى ابن الانسان (١)  
وابن داود ، وأنه رسول الله . ويقول : « ايلى ايلى لما شبقتنى ، أى  
الهى الهى لم تركتنى » ؟ ويولد من مريم . ويأكل ويشرب ويتعلم من  
اليهود ويصلب ويجرى عليه من خلقه بزعمهم ما لا يجرى على غيره ،  
مع أن رواة الانجيل حالهم معلوم ، وكذا حال التوراة مفهوم لدينا  
ومرسوم ، كما ستحيط به خبرا فى محله ان شاء الله تعالى فكيف تقاس  
مسألة ورود المتشابه عندنا على المروى بالتوراة أنه كلام الله سبحانه  
كما سنثبتته فى محله بحوله تعالى بورود مسألة التثايت ؟ وهل هذا  
الا قياس مع الفارق ؟ مع أنكم لم تقرأوا آية التعميد باسم الآب والابن

---

(١) لقب ابن الانسان فى الانجيل هو لقب لمحمد صلى الله عليه وسلم  
اقتبسوه من سفر دانيال عنه . كما بينا فى كتابنا البشارة بنبى الاسلام فى  
التوراة والانجيل - نشر دار البيان العربى بالقاهرة .



روح القدس ، وتسكتوا ، بل أخذتم بظاهاها وحكمتم بأن عيسى اله تام من جوهر أبيه • فأين هذا من قولنا في المتشابه الذى تأوله تأويلا حسنا أو نسكت عنه ، ونكل عامه الى الله تعالى ولا نشبه الله بخلقه ولا نعظمه عن صفاته ؟ والفرق بيننا وبينكم فى ذلك كالفرق بين الذهب الخالص والتراب • لأننا لم نجعل أحدا مشابها أو وادا لرب الأرباب • والحمد لله ملهم الصواب •



قال النصرانى : « فأول ذلك ما ناجى به موسى كئيمه حيث أعلمه كيف خلق آدم • فقال فى السفر الأول من كتاب الزوراة : « فى البدء الآلهة برأ السموات والأرض » • وبهذا يشير الكتاب المقدس الى تثليث الأقانيم ووحدة الطبيعة ، لأنه بقوله : « الآلهة » بصيغة الجمع يشير الى لاقانيم الالهية الثلاثة ، وبقوله « برأ » بضمير المفرد يشير الى وحدة الطبيعة والجوهر الذى هو للأقانيم الالهية الثلاثة • وقال أيضا فى هذا السفر : « أن الله قال عند خلقه آدم : لنصنعن انسانا يشبهنا وصورتنا » ولم يقل عز وجل : اصنع أو اعمل بصورتى وشبهى وقال تبارك وتعالى فى الأصحاح الثانى من هذا السفر عندما أراد أن يخلق حواء : « لا يجمل أن يكون آدم وحده ، فلنجعل له معينا مثله » ولم يقل : اجعل وقال جل وعز : « ان ادم قد صار كواحد منا » توبيخا له بذلك من أجل خطيئته ومعصيته الوصية فى أكله من ثمرة الشجرة التى أمره الله تعالى الا يأكل منها فعصاه وأكل ، فورث بذلك موت الخطيئة ، ولم يقل تبارك وتعالى : « مثلى » وقال عز وجل فى موضع آخر أيضا من هذا السفر : « تعالوا ننزل فنبلبل هناك لسانهم » وذلك لأنهم اجتمعوا ليينوا صرحا يكون رأسه فى السماء » ففرق الله ضعف رأيهم وثالة عقولهم فيما فكروا فيه من بناء صرح شامخ يصير لهم ملجأ ومهربا من الطوفان اذا جاءهم مرة أخرى • والله تبارك وتعالى عالم أنه قد كن عاهد نوحا أنه لا يأتى الطوفان مرة أخرى على وجه الأرض • وكان بناء هؤلاء والفكر فيه سخفا وسفها ، فغير أسنتهم ليتعطلوا على انفاذ فكرهم الذى لا معنى له • ولم يقل : انزل فابلبل •

فهذا ما ناجى الله به موسى فخبّرنا بهذا السر في الاقنيم الثلاثة عن الله تبارك وتعالى • أفترى لنا — أصلحك الله — أن ندع كلام الله عز وجل والسر الذي أودعه موسى نجيه ، وتصحيح موسى ذلك بالعلامات العجيبة والآيات الباهرة التي لا يمكن أحدا من الآدميين أن يأتي بمثلا وتصريحه لنا هذا التصريح عن تعليم الله له ، وتقبل قول صاحبك بلا حجة ولا آية ولا أعجوبة ولا دليل واضح ولا برهان ساطع ، حيث يقول : ان الله فرد صمد ، ثم يرجع فيناقض قوله ، ويقول : ان له روحا وكلمة • فهو قد وحد وثلاث من حيث لم يعلم ، وما أظنك ترى ذلك صوابا اذا أنت أنصفتنا ؟ ودانيال النبي يخبرنا في كتابه أن الله قال لبخت نصر : « لك نقول يا بخت نصر » ولم يقل : لك أقول • وفي كتابك أيضا شبيه بما ذكرنا من قول موسى ودانيال عن الله تعالى وهو : نزلنا وخلقتنا وأمرنا وأوحينا وأهلكنا ودمرنا ، مع نظائر لهذه كثيرة • أديشك أحد يعقل في أن هذا القول قول شتى لا قول فرد ؟

فان ادعيت : أن العرب قد أجازت هذا القول واستعمته في كلامها ومخاطبتها تريد به التفتخ • قلنا لك : أيها الملق لكلام انه لو كانت العرب وحدها هي التي ابتدعته كان لك في كلامك تعلق ، فأما اذ تمد سبق العرب العبرانيين والسريانيين واليونانيين وغيرهم من ذوى الألسن المختلفة على غير تواطىء فليس ما وصفت من اجازة العرب ذلك حجة ، مع أنه من أين أجازت العرب هذا ؟ فان قلت : بلى قد أجازته حيث الرجل الواحد منهم : أمرنا وأرسلنا وقلنا وقلينا وما أشبه ذلك • نقول لك : ان ذلك صحيح جائز في المؤلف من أشياء مختلفة ، والمركب من أعضاء غير متشابهة ، لأن الانسان واحد كثيرة أجزاءه • فأول الأجزاء من الانسان : النفس والجسد • والجسد مبنى من أجزاء كثيرة وأعضاء شتى • فلذلك جاز له أن ينطق بما وصفت من قلنا وأمرنا وأوحينا اذ هو عدد واحد كما ذكرت •

فان قلت : ان ذلك تعظيم لله جل وعز واجلال له وتفتخيم أن يقول : أرسلنا وأمرنا وأوحينا • قلنا لك : لعمرى او لم يقل ذلك من ليس بمستحق للتعظيم ، لجاز قوله • ولكن الله سبحانه وتعالى ليعلمنا أنه

واحد ذو ثلاثة ألقاب قد نطق بكلتا الصيغتين من • أمرت وأمرنا وخلقتم  
وخلقتنا وأوحيت وأوحينا فإن الأولى دليل على الموحداية والثانية على  
تعدد الألقاب •



فأقول الآن متكلما على هذه العبارات التي سردها النصرائى •  
وخلاصة مقصده منها : القول بالتثليث ، أى أن الله سبحانه ثلاثة حقيقة  
وواحد حقيقة على ما تقتضيه عقيدته الباطلة وعاقدا لابطاله مقدمة  
وثلاثة فصول وخاتمة •

أما المقدمة ففى بيان أمور تفيد الناظر بصيرة فى الفصول :

**الأمر الأول :** ان كتب العهد العتيق ناطقة بأن الله تعالى واحد أزالى  
أبدى لا يموت قادر يفعل ما يشاء ، ليس كمثله شىء لا فى الذات ولا فى  
الصفات ، برىء عن الجسم والشكل ، وهذا الأمر لشهرته وكثرته فى  
تلك الكتب غير محتاج الى نقل الشواهد هنا •

**الأمر الثانى :** ان عبادة غير الله سبحانه حرام وكفر ، وحرمتها مصرح  
بها فى مواضع شتى من التوراة ، مثل الأصحاح العشرين والرابع  
والثلاثين من سفر الخروج فقد قال فيه : « فان قام بينكم نبى أو من  
يقول انه نظر حلما وسبق وقال على آية أم عجيبة وحدث ما تكلم به ،  
وقال لك : لنذهب ونتبع آلهة أخرى لم تعرفها ، وتعبدوها ، فلا تسمع  
قول ذلك النبى أو حالم الأحلام ، ان الرب الهك انما يبتليكم لبيان انكم  
تحبونه من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم أم لا ؟ الرب الهكم فاتبعوه ،  
واياه فاحشوا ووصاياهم فاحفظوا واسمعوا صوتهم ، وله فاعبدوا ، وبه  
فاعتصموا ثم يقتل ذلك النبى أو ذلك حالم الأحلام أنه تكلم ليزيغكم  
عن الرب الهكم » وفى الأصحاح السابع عشر من السفر المذكور . أنه  
لو ثبت على أحد عبادة غير الله تعالى يجرم ، رجلا كان أو امرأة •

**الأمر الثالث :** فى آيات متعددة كثيرة من العهد العتيق ما ظاهره  
التجسيم والشكل والأعضاء لله سبحانه وتعالى • مثلا فى الأصحاح الاول  
من سفر التكوين قوله : « فلنعمل انسانا على صورتنا ومثالنا » وقوله

فيه أيضا : « فخلق الله الانسان كصورته كصورة الله خلقه ذكرا وانثى ، وباركهما الله » • وفي الأصحاح التاسع منه أيضا : « لأن على صورة الله خلق الانسان » وفي الأصحاح التاسع والخمسين من سفر أشعبياء : « ها هو ذا أن ليس يد الرب صغيرة عن الخلاص ولا أذنه ثقيلة عن السمع » وفي الزمور الثالث والأربعين قوله : « لكن يمينك وذراعك وضوء وجهك لأنك سررت بهم أنت هو ملكي والهي » وفي الزمور السابع عشر : « طأطأ السموات ونزل والضباب تحت رجله » وفي الزمور العاشر : « أجفانه تفحص بنى البشر » وفي الزمور الثاني : « الرب قال لى : أنت ابني وأنا اليوم ولدتك » وفي الأصحاح الرابع من نبوة ارميا « يقول الرب طرقتك وأفكارك فعلن عليك هذه هذا سوءك ، لأنه مر لأنه وصل إلى قلبك • بطنى بطنى يوجعنى احساس قلبى ارتجعت بى ، لا أسكت » • وغير ذلك مما يدل على التجسيم •

وللتنزيه في التوراة آيتان (١) وهما : « فكلمكم الرب من جوف النار فسمعتم صوت كلامه ولم تروا الشبه البتة » وقويه : « فاحتفظوا بأنفسكم بحرص فانكم لم تروا شبيها يوم كلمكم الرب في حوريب من جوف النار » ولما كان مضمون هاتين الآيتين مطابقا للبرهان العتلى في تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الجسمية والتشبيه بخلقه ، وجب تأويل الآيات الغير محصورة والامسك عن القول بظواهرها الدالة على الجسم والشبه لا تأويلهما • وأهل الكتاب ههنا أيضا يوافقونا على أن ليس المراد ظواهرها البينة ابطلان لأن الجسمية محالة في حقه تعالى ولا يرجحون تلك الآيات الكثيرة على هاتين الآيتين •

وكذلك يوجد في الكتب المذكورة اثبات المكان لله سبحانه مثل قوله : « ونيصنعوا لى مقدسا وأحل بينهم » وفي الزمور التاسع : « رتلوا للرب الساكن في صهيون » وفي الزمور العاشر : « الرب في هيكل قدسه ، في السماء كرسية ، عيناه الى البائس تنظران أجفانه تفحص بنى البشر » وفي الزمور الخامس والعشرين : « يارب أحببت جمال بيتك وموضع

---

(١) ذكرنا أكثر من الآيتين في تحقيقنا لكتاب أساس التقديس لشيخ الاسلام فخر الدين الرازى •

محلة مجدك « وفي المزمور السابع والستين : « الجبل الذى سر الله أن يسكن فيه الرب يسكن فيه الى الانقضاء ، مركبة الله بالربوات المضاعفة والألوف المخصبين ، الرب فيهم • فى سيفاء القدوس » •

وفى المزمور الخامس والسبعين : « الله معروف فى يهوذا ، واسمه عظيم فى إسرائيل ، صار موضعه بسلام ومسكنه فى صهيون » وفى المزمور الثامن والتسعين : « الرب ملك فلتسخط الشعوب الجالس على الشاروبيم فلتترازل الأرض ، الرب عظيم فى صهيون » وفى المزمور المائة والرابع والثلاثين : « يا خالقي الرب باركو الرب مبارك الرب من صهيون الساكن فى اورشليم » وغير ذلك من الآيات الدالة على المكان له سبحانه •

ولا توجد فى العهد العتيق والجديد الآيات الدالة على تنزيه الله فعانى عن المكان الا آيات قليلة • مثل ما فى الأصحاح السادس والستين من سفر أشعيا قوله : « هكذا يقول الرب : السماء كرسى والأرض موطنى ، رجلى • فأى البيت الذى تبغون لى ، وأى المكان لراحتى ، جميع هذه عملتها يدي ، وصنعت جميع هذه » والآية الثامنة والأربعين من الأصحاح السابع من سفر أعمال الحواريين ، لكن لما كان مضمون هذه الآيات القليلة موافقا للبراهين أولت الآيات الكثيرة الغير محصورة الشعرة بالمكان لأن ظاهرها بالمعنى اللغوى بين البطلان ، ولم تنزل هذه الآيات القليلة لموافقتها للعقل والبرهان •

وأهل الكتاب أيضا يوافقونا فى هذا التأويل ، فقد ظهر من هذا الأمر الثالث أن الآيات الكثيرة اذا كان منطوقها مخالفا للبراهين العقلية والنقلية ، يجب ارجاعها الى ذلك القليل الموافق للعقل ، ولا يند بكثرة المخالف ، فكيف اذا كان الكثير موافقا لصحيح العقول وصريح المنقول والقليل مخالفا لهما • فعدم اجرائه على ظاهره وتأويله أمر ضرورى بالبداهة كما لا يخفى •

الأمر الرابع : كما علمت فيما تقدم • أنه سبحانه ليس له شبه

وصورة • فاعلم أنه • قد صرح في العهد الجديد أيضا أن رؤية الله تعالى في الدنيا غير واقعة في الآية الثامنة عشر من الأصحاح الأول من انجيل يوحنا من قوله « الله لم يره أحد قط » وفي الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر الخروج من التوراة قوله : « الآن ان كانت لى عندك مرحمة فأرني وجهك لأعرفك وأظفر منك برحمة ، فانظر الى شعبك هذا فهو جمع عظيم • فقال الرب : وجهي يسير أمامك فأريحك • قال موسى : ان أنت لم تسر أمامنا فلا تصعدنا من ههنا • فاننا بماذا نعرف أنا وشعبك أننا ظفرنا منك برحمة ، ان كنت لم تسر معنا لنكون أنا وشعبك ممييزين معروفين من جميع الشعوب ، الذين على وجه الأرض ؟ وقال الرب لموسى : فقولك هذا الذي قلت أنا أفعل من أجل أنك لقيت عندي رحمة وعلمتك بالاسم • فقال له : أرني مجدك • قال له : أنا أظهر جميع حسناتي قدامك وأدعو باسم الرب تدامك ، فأترحم على من أترحم وأتحنن على من أتحنن • وقال له أيضا : انك لا تقدر على النظر الى وجهي ، لأنه لا يراني بشر فيحيا » •

وفي الآية السادسة عشر من الأصحاح السادس من الرسالة الأولى الى تيموثاوس : « لم يره أحد من الناس ولا يقدر ان يراه » وفي الآية الثانية عشر من الأصحاح الرابع من رسالة يوحنا الأولى : « الله لم ينظره أحد قط » فثبت من هذه الآيات : ان من كان مرثيا لا يكون لها قط • ولو أطلق عليه في كلام الله تعالى أو الأنبياء أو الحواريين لفظ الله ومثله •

فلا يغتر أحد بمجرد اطلاق مثل لفظ الله ولا يدعى أن التأويل مجاز فكيف يرتكب ؟ لأن المصير الى المجاز يجب عند القرينة المانعة عن ارادة الحقيقة سيما اذا دل البرهان القطعي على المنع لأننا اذا قلنا : بنى الأمير المدينة أو المسجد فلا يشك عاقل أنه لم بينها بنفسه ويده • بل لكونه الأمر نسب البناء له •

وقد أطلق لفظ الله ولفظ الرب في الكتب السماوية على غير الباري سبحانه كما ستقف عليه قريبا ان شاء الله تعالى •

فمن ذلك ما في الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين قوله : « ولما حمار أبرام ابن تسعة وتسعين سنة ترأى له الرب ، وقال له : أنا الله ضابط الكل فسر أمامي وكن تاما » وقوله : « ولما فرغ الله من خطابه معه ، سعد عن ابراهيم » ومثله ما في الأصحاح الثامن عشر من سفر التكوين من اطلاقه على الملك الذي ظهر على ابراهيم عليه السلام مع الملكين الآخرين اللذين بشرا ، بولادة اسحق ، وأخبره بهلاك قوم لوط . كما سيأتى ان شاء الله تعالى بقية الكلام عليه . ومن ذلك ما في الأصحاح الثاني والثلاثين من لسفر المذكور قوله : « وتخلف هو وحده وهو اذا رجل فكان يصارعه الى انفجر ، وحين نظر أنه لا يقوى به فجس عرق وركه ولساعته ذبل ، وقال له : أطلقنى لأنه قد أسفر أصبح . وقال له : لا أطلقك أو تباركتى . فقال له : ما هو اسمك ؟ فقال : يعقوب . وقال : لا يدعى اسمك يعقوب بل اسرائيل يكون اسمك . من أجل أنك ان كنت قوييت مع الله ، فكم بالحري لك قوة في الناس ، فسأله يعقوب وقال : عرفنى ما اسمك ؟ فقال له : لم تسأل عن اسمى وباركه في ذلك المكان . غدعا يعقوب اسم ذلك المكان فنوئيل قائلا : رأيت الله (١) وجها لوجه وتخلصت نفسى » .

وهذا المصارع كان ملكا لما عرفت . واذا لم نقل ذلك يلزم أن يكون له بنى اسرائيل في غاية العجز والضعف ، حيث صارع يعقوب الذى هو مخلوقه الى الفجر ، ولم يغلب عليه بدون الحيلة . وقد أطلق لفظ الله والأرب وأمثالهما في أيثر من خمسة وعشرين موضعا من العهد القديم والجديد على غيره سبحانه ، وقد ذكر في أكثر التراجم الهندية والفارسية كما نقله الفاضل الشيخ رحمت الله الهندي بدل لفظ الله لفظ فرشته الذى هو بالعربية الملك .

وقد أطلق لفظ الاله على موسى في الأصحاح السابع من سفر الخروج وهو قوله : « فقال الرب لموسى : أنظر فانى قد جعلتك الهما لفرعون وهارون أخوك يكون لك نبيا » ومن هنا يظهر ترجيح اليهود

(١) في التوراة السامرية : ان المصارع ملاك الله ، وليس الله نفسه . وكذلك في سفر هوشع .

على أهل الصليب في هذه العقيدة ، لأنهم بعد سماعهم ما ذكر ،  
ما أوصلوه الى رتبة الألوهية بل أبقوه على العبودية كما فعل النصارى  
بعيسى عليه السوم عند سماعهم بعض الكلمات الموهمة المأولة وجعلهم  
له الها .

**وفي الأصحاح الثالث عشر من سفر الخروج قوله : « وكان الرب يسير**  
أمامهم يهريهم الطريق في النهار بعمود سحب وفي الليل بعمود نار ليهديهم  
الطريق نهارا وليلا ، لم يزل قط عمود السحاب نهارا ولا عمود النار  
بيلا من قدام الشعب » فأطرق على الملك لفظ الرب كما هو مصرح به في  
الأصحاح الرابع عشر من السفر المذكور في قوله : « فنطلق ملاك الله  
الذي كان يسير قدام عسكر اسرائيل ومشى خافهم وعمود الغمام أيضا  
معه فتحول من قدام وجوههم الى ورائهم » ومن ذلك المزموه الحادى  
والثمانون : « قام في مجمع الآلهة وفي وسط الآلهة بحكم عليهم ، الى  
متى تقضون بالظلم وتأخذون بوجوه الخطاة ؟ أحكموا لليتيم والفقير  
انصفوا المسكين والبائس والفقير وخلصوهما من يد الخاطيء . لم  
يعلموا ولم يفهموا أنهم في الظلمة يسلكون تتزلزل كل أساسات  
الأرض انا قلت : انكم آلهة وبنو العلى كلكم ، فأنتم مثل الناس  
تموتون وكأحد الأركان تسقطون . قم يا الله وادكم في الأرض  
لأنك أنت تترث جميع الأمم » فقد جاء فيه اطلاق الاله وانباء الله على  
العوام فضلا عن الخواص .

وفي الأصحاح الرابع من الرسالة الثانية لمار «بولس» الى أهل ثورنثية  
قوله : « وان كان انجيلنا مستترا فانما انكتم عن الهالكين الذين فيهم  
اله العالم هذا ، قد أعمى قلوب الكافرين لئلا يظهر لهم نور الانجيل  
الذى لمجد المسيح » والمراد على ما زعم علماء البروتستنت الفرقة  
الغالية من النصارى من اله الدهر : الشيطان . لئلا يلزم نسبة  
الاعماء بزعمهم الى الله تعالى فيلزم كونه تعالى خالقا للشر ، فقد  
جاء مثل هذا الاطلاق على الشيطان الرجيم دون الانسان على  
ما زعموه . وفي رسالة بولس الى أهل فيلبى قوله في الأصحاح



الثالث : « الذين عاقبتهم البوار أولئك الذين بطونهم آلهتهم ومدحتهم في خزيمهم » فأطلق مقدسهم لفظ الاله على البطن .

وفي الأصحاح الرابع من الرسالة الأولى ليوحنا اطلاق لفظ الله على المحبة ولننقل كلامه وان كان فيه طول فانه لا يخلو ذكره عن فوائد فيما نحن بصدده . قال في النسخة المطبوعة في لندن سنة ١٨٤١ م « أيها الأحباء ليحبب بعضنا بعضا لأن المحبة انما هي من قبل الله وكما مودود فهو مولود من الله . وهو يعرف الله ، من ثم يكن ودود فلم يعرف الله لأن الله محبة ، فبهذا تبين محبة الله ، فينا أنه الله أرسل ابنه الوحيد لي العالم لتحبنا به ، فبهذا هي المحبة ليس كأننا نحن أحبنا الله ، بل انه هو أحبنا أولا ، وأرسل ابنه غفرانا لخطايانا أيها الأحباء اذ كان الله قد أحبنا هكذا ، فبالواجب علينا أن نحب نحن أيضا بعضنا بعضا . أما الله فلم يره أحد قط ، وان نحن أحبنا بعضنا بعضا فان الله حال فينا ومحبتته تكون فينا كاملة . بهذا نعلم أننا نحل فيه . وهو أيضا فينا لأنه أعطانا من روحه ونحن رأينا فنشهد بأن الآب أرسل ابنه للعالم مخلصا . وكسل من يعتدرف أن يسوع هو ابن الله ، فان الله حال فيه وهو حال في الله . ونحن قد عرفنا بالأمنا بالمودة التي لله فينا أن الله هو محبة ، ومن حل في المحبة فقد حل في الله ، وقد حل الله فيه . وبهذا تتم محبة الله معنا كيما يكون لنا طمأنينة في يوم الدين » .

واطلاق الآلهة على الأصنام كثير جدا في الكتب السماوية فلا حاجة بنا الى نقل الشواهد ، وكذا اطلاق الرب على المخدم والمعلم كثير أيضا . ومنه ما في الأصحاح الأول من انجيل يوحنا : « فقلا ربى تفسيره يا معلم أين تسكن ؟ » .

اذا علمت ما ذكرناه فقد حصلت المعرفة التامة لك أنه لا يجوز ولا يصح لذي عقل أن يستدل باطلاق بعض هذه الألفاظ على بعض

الحوادث التي حدوثها وتغيرها وعجزها من الحسيات أنه إله أو ابن إله وأن الله حل في ذلك الحادث • وينبذ جميع البراهين العقلية القطعية وكذا البراهين النقلية وراء ظهره •

**الأمر الخامس :** ان وقوع المجاز في غير المواضع التي مر ذكرها كثير ، مثل قوله لابراهيم في الأصحاح الثالث عشر من سفر التكوين : « وأجعل نسلك مثل تراب الأرض ، فان استطاع أحد من الناس أن يحصى تراب الأرض فانه يستطيع أن يحصى نسلك » وتوله له أيضا : « أباركك وأكثر نسلك كتنجوم السماء ومثل الرمل الذي على شاطئ البحر » وفي الأصحاح الثالث من سفر الخروج في مدح الأرض التي كان لله قد وعد باعطائها قوله « يسيل فيها اللبن والعسل » مع أنه لا أرض في الدنيا كذلك • وأمثال هذا كثير جداً •

وأهل الكتاب يأولون ذلك وأمثاله ويعترفون بكثرة وقوع المجاز والاستعارات في الكتب السماوية • قال صاحب مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين في الفصل الثالث عشر من كتابه كما نقله صاحبنا العلامة الشيخ رحمت الله سلمه الله تعالى ما نصه : « واما اصطلاح الكتاب المقدس فانه ذو استعارات وأقرب غامضة وبخاصة العهد العتيق » ثم قال : « واصطلاح العهد الجديد أيضا هو استعاري جدا وخاصة مسامرات مخلصنا • وقد اشتهرت اراء كثيرة فاسدة لمكون بعض معلمى النصرارى شرحوها شرحا حرفيا ولأجل ذلك تقدم بعض أمثال لنرى بها أن تأويل الاستعارات حرفيا ليس صوابا ، وذلك كقول المسيح عن هيرودس : « اذهبوا وقولوا لذلك الثعلب » فمن المعلوم أن المراد بلفظة الثعلب في هذه العبارة جبار ظالم لأن ذلك الحيوان المدعو هكذا معروف بالحيلة والعدو وأيضا : قال ربنا لليهود « أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء ، فكل من أكل من هذا الخبز يحيى الى الأبد ، والخبز الذى أنا أعطيه هو جسدى سوف أعطيه لحياة العالم » من الأصحاح السادس من أنجيل يوحنا • فاليهود المشهوانيون فهموا هذه العبارة بالمعنى الحرفى • وقالوا : كيف يقدر

هذا الرجل أن يأتينا جسده لتأكله ؟ ولم يلاحظوا أنه عنى بذلك ذبيحته التي وهبها كفارة لخطايا العالم •

وقد قال مخلصنا أيضا عن الخبز عند تعيينه العشاء السرى : « هذا هو جسدى » وعن الخمر « هذا هو دمي » من انجيل متى الأصحاح السادس والعشرين • فمنذ الدهر الثانى عشر جعلت الرومانيون الكاثوليكيون لهذا القول معنى آخر معكوسا ومعائرا لشواهد أخرى فى الكتب المقدسة وللدليل الصحيح ، وحتموا أن ينتجوا من ذلك تعليمهم عن الاستحالة أى تحويل الخبز والخمر الى جسد المسيح ودمه الجوهريين عندما يلفظ الكاهن بكلمات التأسيس الموهوم ، مع أنه قد يظهر لكل الحواس الخمسة أن الخبز والخمر باقيان على جوهرهما ولم يتغيرا فأما التأويل الصحيح لقول ربنا فهو أن الخبز يمثل جسده والخمر يمثل دمه » انتهى كلامه بلفظه

فاعترافه بين لا خفاء فيه أن التأويل واجب عند استحالة الظاهر ، وقد رد به على سائر اخوانه النصارى القائلين بأن من أكل هذا الخبز وشرب هذا الخمر فقد أكل لحم المسيح وشرب دمه حقيقة ، وقدر فى الكلام مضافا • وهو لفظ مثل • وقد يقال هنا للبروتستان المجعنين على أن المراد من قول المسيح أكل لحمى وشرب دمي : ذبيحته التي وهبها كفارة لخطايا العالم ، وأن عقيدة الرومانيين الكاثوليكين بحمل ذلك على ظاهره ظاهر البطلان بشهادة الحس والعقل فاجماعكم على التثليث وأن الأتقانيم ثلاثة بحق وواحد بحق مثل عقيدة اخوانكم الرومانيين الكاثوليكين الذين هم أكثر منكم عددا بمسألة الخبز والخمر ، واستحالتهما بعد أن يقرأ القسيس عليهما الى لحم المسيح الاله ودمه •

وحيث أن هذه المسألة من أغرب المسائل الاعتقادية للنصارى وموازنة مسألة التثليث فى البطلان بالبداهة ، فلنستوف على شرحها وردها المقال ليتبين لكل ذى عقل ويتميز الحال • قال فى انجيل متى

في الأصحاح السادس والعشرين : « ولما كان المساء تكأ مع تلاميذه  
الاثنى عشر ، وفيما هم يأكلون • قال : الحق أقول لكم : ان واحد  
منكم سيسلمني فحزنوا جدا وبدوا كل واحد منهم بقول : لعلى أنا  
هو يارب ؟ فأجاب وقال : ان الذى يجعل يده معى فى الصفحة هو  
يسلمنى وابن الانسان سلمنى كما كتب من أجله ، أما الويل لذلك  
الانسان الذى يسلم ابن الانسان • خير له لو لم يولد ذلك الانسان •  
فاجاب يهوذا مسلمه وقال : لعلى أنا هو يا معلم ؟ فقال له : أنت قلت •  
وفيما هم يأكلون أخذ يسوع خبزا وبارك وكسر وأعطى تلاميذه ، وقال :  
خذوا كلوا هذا هو جسدى وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم وقال : اشربوا  
من هذا كلكم لأن هذا : هو دمي عهدا جديدا الذى يهراق عن كثير  
لمغفرة الخطايا • فأقول لكم : اننى لا أشرب من الآن من عصير الكرمة  
هذا الى ذلك اليوم الذى فيه شربه معكم جديدا فى ملكوت أبى ،  
فسبحوا وخرجوا الى جبل الزيتون » •

وفى الأصحاح السادس من انجيل يوحنا قوله : « الحق أقول لكم :  
أنه من يؤمن بى له الحياة الدائمة أنا هو خبز الحياة آباؤكم أكلوا المن  
فى البرية ، وماتوا • هذا هو الخبز الذى نزل من السماء ، حتى أن  
الذى يأكل منه لا يموت • أنا هو الخبز الحى الذى نزلت من السماء ،  
ومن أكل من هذا الخبز يحيا الى الأبد ، والخبز الذى أنا أعطيه هو  
جسدى من أجل حياة العالم ، فخاصم اليهود بعضهم بعضا قائلين :  
كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لناأكله ؟ فقال لهم يسوع : الحق الحق  
أقول لكم ان لم تأكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمه ليست لكم حياة  
فبيكم ، من يأكل جسدى ويشرب دمي فله الحياة الدائمة ، وأنا اقيمه  
فى اليوم الآخر لأن جسدى مأكلا حق ودمى مشرب حق ، من يأكل  
جسدى ويشرب دمي يثبت فى وأنا فيه ، كما أرسلنى الآب الحى وأنا  
حى من أجل الآب • ومن يأكلنى فانه يحيا من أجلى • هذا هو الخبز  
الذى نزل من السماء ، ليس كالذى أكل آباؤكم المن وماتوا • فمن يأكل  
هذا الخبز يعيش الى الأبد • قال هذا فى المجمع وهو يعلم فى كفر  
ناجـوم » •

فأهل الصليب اذا قرأ القسيسون على الخبز والخمر وقدموهما  
قسموها على ألوف من النصارى بزعم أن هذا الخبز والخمر قد  
استحال كل منهما الى لحم المسيح ودمه ، فمن أكل شيئاً وشرب شيئاً  
من ذلك فقد أكل لحم المسيح وشرب دمه حقيقة يفعلون ذلك في كل  
سنة وفي كل شهر ، وان أرادوا في كل يوم غير الفرقة القليلة المعروفة  
ببيروتستنت الشهيرة ببيروتستانت فانهم لا يعتقدون الحقيقة في ذلك  
كما تقدم آنفاً .

وهذا الاعتقاد مع كونه بديهي البطلان ظاهر الفساد . لكل من اه  
هينان ، نذكر لابطاله وجوها : الوجه الأول : أن الاناجيل لم تنقل  
اليهم بالخبر المتواتر ، واربعة فيها اختلاف كثير ، وأن تراجمها  
مختلفة جداً بالزيادة والنقصان ، وأن كثيراً منها قد حُرف وبدل ، وأنها  
لم تجمع في أيام المسيح ، وأن فيها ما هو واجب التأويل والحمل على  
المجاز والاستعارة والقول بظاهره محال ، كما مضى بعض ذلك ،  
وستأتى تنمة الكلام على هذا كله في محلها ان شاء الله تعالى .

**الثانى : ان الكنيسة الرومانية تزعم أن الخبز وحده يستحيل الى  
جسد المسيح ودمه ويصير مسيحا كاملا . فيقال لهم : اذا استحال  
على زعمكم مسيحا كاملا حيا بلاهوته وناسوته الذى أخذه من مريم ،  
فلا بد أن يشاهد فيه عوارض الجسم الانسانى ويوجد فيه بعض  
أجزائه ، لكنها لا توجد فيه بل جميع عوارض الخبز باقية الآن كما  
كانت ، فاذا نظره أحد أو لمسه أو ذاقه لا يحس شيئاً غير الخبز ، واذا  
طرا عليه الفساد يطرأ عليه الفساد الذى يطرأ على الخبز ، لا الفساد  
الذى يطرأ على اللحم والعظم والدم الانسانى . فلو ثبتت الاستحالة  
تكون استحالة المسيح خبزاً لا استحالة الخبز مسيحا . فلو قال :  
ان المسيح استحال خبزاً ، لكان أقل بعداً من هذا ، وان كان كل منهما  
باطلاً بالبداهة .**

**الثالث : ان حضور المسيح بلاهوته في أمكنة متعددة في آن واحد .**

ان كان ممكنا في زعمهم فهو باعتبار ناسوته غير ممكن ، لأن اللحم والدم راجعان الى الناسوت • وانعجب : أنه قبل عروجه ما وجد بهذا الاعتبار في مكانين فضلا عن الأماكن التي لا يمكن عدها • وكذا بعد خروجه • فكيف يوجد بعد قرون عديدة بعد اختراع هذا الاعتقاد الباطل باعتبار المذكور في أمكنة غير محصورة في آن واحد ؟

**الرابع :** اذا فرضنا أن مليونات من الكهنة في العالم قدسوا في آن واحد ، وقرأ كل منهم على الخبز والخمر فاستحالا الى المسيح الذي تولد من مريم وهو ابن الانسان بنص الأناجيل • فلا يخلو اما أن يكون كل من هؤلاء المسيحيين الحادثين عين الآخر ، أو غيره • والثاني باطل على زعمهم • والأول باطل أيضا في نفس الأمر بالبداهة ، لان كل مادة غير مادة الآخر •

**الخامس :** اذا استحال الخبز مسيحا كاملا تحت يد الكاهن فكسر هذا الكاهن هذا الخبز كسرات كثيرة وأجزاء صغارا ، فلا يخلو اما أن ينتقطع المسيح على عدد الكسرات والأجزاء أو تستحيل كل واحدة منها مسيحا كاملا أيضا • فعلى الأول لا يكون المتناول متاولا مسيحا كاملا ، وعلى الثاني من أين جاءت هؤلاء لمسحاء ؟ لأنه ما حصل بالندقدمة التي من اتقيسيس الا المسيح الواحد •

**السادس :** لو كان العشاء الرباني الذي كان قبل صليبه بزمان يسير ، نفس الذبيحة التي حصلت على الصليب ، نرم أن يكون كافيا لخلاص العالم ، فلا حاجة الى أن يصلبه اليهود مرة أخرى لأن المسيح على زعمهم ما جاء الى العالم الا ليخلص الناس بذبيحته مرة واحدة • وما أتى لكى يتألم مرارا كما تصرح به عبارة الأصحاح التاسع من الرسالة العبرانية ونصها : « ولم يدخل يسوع الى بيت قدس عملته الأيادي شبه الخاق بل الى السماء بعينها ليترايا الآن عنا قدام الله ، ولا ليقرب نفسه مرارا كثيرة كما كان رئيس الأخبار يدخل كل سنة الى القدس

جدم غيره ، ولولا ذلك لكان حقيقيا أن يألّم مرارا كثيرة منذ بدء العالم ، ولكنه الآن في انتهاء العالمين • بذبيحته ظهر مرة واحدة ليبطل الخطيئة ، وتما حتم على الناس أن يموتوا مرة واحدة ، ثم من بعد هذا هو الدائن ، هكذا المسيح قرب نفسه مرة واحدة ليرفع خطايا كثيرين ، وسيظهر المرة الثانية بلا خطيئة للذين يترجونه للخلاص •

**السابع : ذكر في الأصحاح الثاني والعشرين من انجيل لوقا قول المسيح في العشاء الرباني : « اصنعوا هذا لذكري » فلو كان هذا العشاء هو نفسى الذبيحة ، لما صح أن يكون تذكرة ، لأن الشيء لا يكون تذكرة لنفسه •**

**الثامن :** لو صحت دعواهم ، لزم أن يكون المسيحيون أخبث من اليهود ، لأن اليهود ما آلموه الا مرة واحدة • وقد نرتب عليها تخليصه ثلثانام من الخطيئة ، وما أكلوا لحمه ولا شربوا دمه • وهؤلاء النصرارى يدعون أنه اله ويؤلمونه ويذبحونه ويأكلون لحمه ويشربون دمه كل يوم في أماكن عديدة • فاننا كان القائل للمسيح مرة واحدة ، بزعم أنه كذاب وغير نبي ، يكون كافرا وملعوناً ، فما بال الذين يدعون أنه اله حق ، ويأكلون لحمه ويشربون دمه حقيقة لا يكونون كافرين ملعونين ؟ وليست شعري كيف يكون الها من هو بهذه الدرجة من لضعف ، ويستولى عليه اليهود ويصلبونه ؟ ثم النصرارى في كل يوم يأكلون لحمه حقيقة ويشربون دمه الحقيقى ، ولا يقدر على خلاص نفسه ، وإن صعد الى السماء •

فنسال الله تعالى العفو والعافية والدوام على عقيدة الاسلام الصافية ، ويحفظنا من أقوال هى أشبه بأقوال المجانين ، وخيالات المسوسين ، وفوق أقوال الكفرة المتقدمين والمتأخرين • آمين • ولعل لنا ان شاء الله تعالى عودة الى ما يتعلق أيضا • بهذه العقيدة العجيبة التى هى على المثائين أعظم مصيبة •

### ولنرجع الى ما نحن بصدده فنقول :

**الأمر السادس :** كان الاجمال يوجد في كثير من أقوال المسيح عليه السلام بحيث لا يفهمها معاصروه وتلاميذه في كثير من الأحيان ، ما لم يفسره لهم بنفسه • فما فسره منه فهموه ، وما لم يفسره منه فهموا بعضه بعد مدة مديدة ، وبقي البعض عليهم مبهما الى آخر الحياة • وهو كثير •

وسنورد هنا ان شاء الله تعالى بعضه ليستدل الناظر فيه على غيره •

فمن ذلك ما في الأصحاح الثاني من انجيل يوحنا عند مكالة المسيح عليه السلام لليهود اذيين كانوا يطلبون منه معجزة من قوله : « أجاب يسوع وقال لهم : انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه • فقالوا : في ست وأربعين سنة بنى هذا الهيكل ، أفأنت في ثلاثة أيام تقيمه ؟ وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده • فلما قام من الأموات تذكر تلاميذه أنه قال هذا • فآمنوا بالكتاب ، والكلام الذي قاله يسوع » • فها هنا لم يفهم التلاميذ فضلا عن اليهود ، ولكن فهم التلاميذ بعد ما قام من الأموات •

**وفي الأصحاح الحادي عشر من انجيل يوحنا** حينما مات لعازر ما نصه : « قال لهم : لعازر حبيبنا قد نام • لكني أذهب لأوقظه • فقال تلاميذه : يا سيد ان كان قد نام فهو يشفى • وكان يسوع يقول عن موته وهم ظنوا أنه يقول عن رقاد النوم • فقال لهم يسوع حينئذ علانية : لعازر مات » • ثم ان المسيح أحياه من قبره بعد موته بأربعة أيام على ما في انجيل يوحنا • فلم يفهم تلاميذ المسيح عليه السلام كلامه حتى صرح به • وفي الأصحاح السادس عشر من انجيل متى ما نصه : « وهو قال لهم : انظروا وتحرزوا من خمير الفريسيين والزنادقة أما هم فكانوا يفكرون في نفوسهم قائلين : اننا لم نأخذ خبزا ، فعلم يسوع وقال ماذا تفكرون في نفوسكم يا قليلي الايمان



انه ليس معكم خبز » الى أن قال : « فحينئذ فهموا أن يتحرزوا من تعليم الفريسيين والزنادقة » .

وهنا أيضا لهم تفهم نلاميذه مقصوده قبل التنبيه • وأمثال هذا كثيرة جدا • ولو أردنا استقصائها لطال منا الكلام • وفي هذا كفاية لذوى الأفهام •

**الأمر السابع :** إذا تعارض القولان فلا بد من اسقاطهما ان لم يمكن التأويل ، أو من تأويلهما ان أمكن ، ولا بد أن يكون التأويل بحيث لا يستلزم المحال أو الكذب • مثلا : الآيات الدالة على الشكل والجسمية تعارضت ببعض الآيات الدالة على التنزيه ، فيجب تأويلها • كما عرفت في الأمر الثالث ، لكن لا بد أن لا يكون التأويل بأن الله متصف بصفتين أعنى الجسمية والتنزيه ، وان لم تدرك عقولنا هذا الأمر ، فان هذا التأويل باطل محض ، كما قالوا لا يرفع ائتناقض ، حتى أن ما ورد في القرآن الكريم من الآيات المتشابهات لا يراد بها ظاهرها من الجسمية والمكان ، بل تأول تأويلا مناسبا أو تفوض الكيفية الى عالمها البارى سبحانه ، ويؤمن المؤمن بها من غير تشبيه ولا تجسيم ولا تكيف ولا تعطيل • كما قال سبحانه : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » **فاول الآية رد على المشبهة وآخرها رد على الماطلة • كما قال الجمهور • وهذه المسألة وان كانت يحتاج بسطها الى سفر كبير الا أنا نكتفى هنا بهذه الاشارة اكتفاء بالوشل عن الغدير**

**الأمر الثامن :** أن العدد ، لما كان قسما من الكم لا يكون قائما بنفسه بل بالغير ، وكل موجود لا بد أن يكون معروضا للوحدة أو الكثرة والذوات الموجودة الممتازة بالامتياز الحقيقي المتشخصة بالتشخص تكون معروضة للكثرة الحقيقية ، فاذا صارت معروضة لها لا تكون معروضة للوحدة الحقيقية ، والا يلزم اجتماع الضدين الحقيقيين • وهو محال كما لا يخفى •

**الأمر التاسع :** للنازعة بيننا وبين أهل التثليث لا تتحقق ما لم

يقولوا : ان التوحيد والتثليث كليهما حقيقيان ، وان قالوا : التثليث حقيقى والتوحيد اعتبارى • فلا نزاع بيننا وبينهم فى ذلك ، لكنهم يقولون : ان كلا منهما حقيقى ، كما صرح به هذا النصرانى « عبد المسيح » فيما تقدم ، بقوله : « فهى ثلاثة بحق ، وواحد بحق » والنصرانى صاحب ميزان الحق أيضا فى الباب الأول من كتابه المسمى بحل الاشكال قال : « ان المسيحيين يحملون التوحيد والتثليث كليهما عن المعنى الحقيقى » •

**الأمر العاشر :** قال العلامة المقرئى فى كتابه المسمى بالخطط فى بيان الفرق المسيحية التى كانت فى عصره : « النصرانى فرق كثيرة الماكنية والنسطورية واليعقوبية والبوذعانية والمرقولية • وهم ارهاويون الذين كانوا بنواحي حران وغير هؤلاء » ثم قال : « والماكنية واليعقوبية والنسطورية كلهم متفقون على أن معبودهم ثلاثة أقنانيم • وهذه الأقنانيم اثلاثة هى واحد ، وهو جوهر قديم ، ومعناه أب وابن وروح القدس ، اله واحد » ثم قال : « قالوا الابن اتحد بانسان مخلوق فصار هو وما اتحد به مسيحا واحدا ، وأن المسيح هو اله العباد وربهم • ثم اختلفوا فى صفة الاتحاد • فزعم بعضهم : أنه ودع بين جوهر لاهوتى وجوهر ناسوتى اتحاد ، ولم يخرج الاتحاد كل واحد منهما عن جوهريته وعنصره ، وأن المسيح انه معبود وأنه ابن مريم الذى حملته وولده ، وأنه قتل وصلب • وزعم قوم : أن المسيح بعد الاتحاد جوهران أحدهما لاهوتى ، والآخر ناسوتى ، وأن القتل والصلب وقعا به من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته ، وأن مريم حملت بالمسيح وولده من جهة ناسوته • وهذا قول النسطورية ثم يقولون : ان المسيح بكماله اله معبود ، وأنه ابن الله — تعالى عن قولهم — وزعم قوم : أن الاتحاد وقع بين جوهرين لاهوتى وناسوتى • فالجوهر اللاهوتى بسيط غير منقسم ولا متجزى • وزعم قوم : أن الاتحاد على جهة حاول الابن فى الجسد ، ومخالطته اياه • ومنهم من زعم ان الاتحاد على جهة الظهور كظهور كتابه الخاتم والنقش اذا وقع

عنى طين أو شمع ، وكظهور صورة الانسان فى المرآة .

الى غير ذلك من الاختلاف الذى لا يوجد مثله فى غيرهم . والممكنية تنسب الى ملك الروم وهم يقولون : ان أحدا اسم لثلاثة معان فهو واحد ثلاثة وثلاثة واحد . واليعقوبية تقول : انه واحد قديم وانه كان لا جسم ولا انسان ثم تجسم وتأنس . والمرقولية قالوا : الله واحد ، علمه غيره قديم معه ، والمسيح ابنه على جهة الرحمة . كما يقال : ابراهيم خليل الله « انتهى كلامه بلفظ

قال صاحبنا العلامة فى اظهار الحق : « فظهر لك أن آراءهم فى بيان علاقة الاتحاد بين أقنوم الابن وجسم المسيح كانت مختلفة فى غاية الاختلاف . ولذا ترى البراهين الموردة فى الكتب القديمة الاسلامية مختلفة ، ولا نزاع لنا فى هذه لعقيدة مع المرقولية الا باعتبار اطلاق اللفظ الموهم وفرقة البروتستنت لما رأته أن بيان علاقة الاتحاد لا يخلو عن الفساد البين ، تركوا آراء الأسلاف وعجزوا أنفسهم واختاروا السكوت عن بيانها ، وعن بيان العلاقة بين الأقانيم الثلاثة » .

**الامر الحادى عشر :** ان عقيدة التثليث لم تكن فى أمة من الأمم السالفة من لدن ادم عليه السلام الى زمن رفع المسيح عليه السلام حتى جاءت النصرى وتمسكوا للتثليث بآيات من سفر التكوين وغيره لا تقوم بها الحجة ، لما علمت وتعلمه من التحريف للمعنى والألفاظ ، أو لبعد ما يقصدونه من الأغراض . وقد ثبت بالدلائل القطعية المسلمة لدى الخصم أن مسألة التثليث لم تكن معلومة فى أمة من الأمم . ومن طالع التوراة علم أن هذه العقيدة . لم تكن فى بنى اسرائيل قطعا ، حتى أن يحيى عليه السلام كان الى أواخر عمره شاكاً فى المسيح عليه السلام ، وأنه هل هو المسيح (١) الموعود به أم لا ؟ كما صرح به فى الأصحاح الحادى عشر من انجيل متى ونصه : « وكان لما أكمل يسوع

(١) المسيح الموعود به هو المسيا ، بلغة بنى اسرائيل . وهو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بينا فى كتابنا المسيا المنتظر - نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة .

أمره لتلاميذه الاثنى عشر ، انطلق من هناك ليعلم ويبشر في مدنهم •  
فما سمع يوحنا في السجن بأعمال المسيح أرسل اليه اثنين من تلاميذه  
قائلا له : أنت هو الآتى أم نترجى آخر ؟ فأجاب يسوع وقال لهما :  
اذهبا وأخبرا يوحنا بما سمعتما ورأيتما : أن العميان يبصرون ، والعرج  
يمشون ، والبرص يطهرون ، والصم يسمعون ، والموتى يقومون ،  
والمساكين يبشرون • وطوبى لمن لا يشك في » •

فلو كان عيسى الها يلزم كفر يحيى عليه السلام اذ الشك في الاله  
كفر ، وكيف يتصور أن النبي لا عرف الله ، بل هو على ما في هذا  
الأصحاح أشرف انبياء الشهادة المسيح له بقوله : « أقول لكم : لم  
يقم في مواليد النساء أعظم من يوحنا المعمدان » وإذا لم يعرف  
الأفضل مع كونه معاصرا ، فعدم معرفة السابقين أولى •

ومن المعلوم أن ذات البارى سبحانه وصفاته الإكتمالية قديمة غير  
متغيرة موجودة أزلا وأبدا ، فلو كان التثليث حقا ، لكان الواجب على  
موسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام أن يبينوه ويصرحوا به ، لان  
ذلك مدار النجاة على زعم المثليين • والعجيب أيضا : أن عيسى لم يبين  
ذلك الى وقت عروجه ببيان واضح ، بأن يقول مثلا : ان الله ثلاثة أقنانيم  
الآب والابن وروح القدس ، وأقنوم الابن تعلق بجسمى بعلاقة  
فلانية ، أو بعلاقة فهمها خارج عن ادراك عقولكم ، فاعلموا أنى أنا الله  
لا غير لأجل العلاقة المذكورة ، أو يقول : نحو هذا فيما يفيد المعنى  
صراحة ، وليس في أيدي المثليين من أقواله الا بعض أقوال متشابهة  
مأولة مطعون في صحتها عنه ، كما أوضحناه سابقا ، وسنزيده بيانا  
ان شاء الله تعالى في محله لاحقا •

وأجاب بعض الأنصارى عن عدم تصريحه بذلك بأجوبة أوهن من  
بيت العنكبوت وانه لاوهن البيوت • فمن ذلك : ما أجاب به النصرانى  
صاحب ميزان الحق في كتابه المسمى بمفتاح الأسرار بقوله : « ان قلت  
لم لم يبين المسيح ألوهيته ببيان أوضح مما ذكر ؟ ولم لم يقل : واضحا

ومختصرا انى أنا الله لا غير ؟ قلنا : بانه ما كان أحد يقدر على فهم هذه العلاقة والوحدانية قبل قيامه يعنى من الأموات وعروجه ، فلو قال صراحة لفهموا أنه انه بحسب الجسم الانسانى • وهذا الأمر كان باطلا جزما ، فدرك هذا المطلب أيضا من المطالب التى قال فى حقها لتلاميذه : « ان لى أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ، وأما متى جاء ذلك روح الحق (١) فهو يرشدكم الى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كما يسمع يتكلم ويخبركم بأمر آتية » ثم قال : ان كبار ملة اليهود أرادوا مرارا أن يأخذوه ويرجموه • والحال أنه ما كان بين ألوهيته بين أديهم الا على طريق الألفاظ •

• **فعلم من كلامه عزران : الاول** : عدم قدرة فهم أحد قبل العروج •  
• والثانى : خوف اليهود • وكلاهما كحبال القمر •

**أما الاول** : فانه يكفى لدفع الشبهة أن يقول : ان علاقة الاتحاد التى بين جسمى وبين أقتنوم الابن فهمها خارج عن وسعكم ، فاتركوا البحث عنها واعتقدوا بأنى نُسئت لها باعتبار الجسم ، بل اله بعلاقة الاتحاد المذكور ، وأما نفس عدم القدرة على فهمها ، فباقية بعد العروج أيضا • حتى لم يعلم عالم من علمائهم الى هذا الوقت كيفية هذه العلاقة والوحدانية • ومن قال ما قال فقوله رجم بالغيب لا يخلو عن مفسدة عظيمة ومناقضات جسيمة • ولذا ترك علماء الفرقة البروتستانتية بيانها بالكلية • وهذا التسييس يعترف فى مواضع من تصانيفه بأن هذا الأمر من الاسرار الخارجة عن درك العقول •

**وأما الثانى** : فلان المسيح عليه السلام ما جاء عندهم الا ليكون كفارة لذنوب خلقه ويصلب بأيدى اليهود وكان يعلم أنهم يصلبونه ومتى يصلبونه ، فأى محل بقى للخوف فى بيان هذه العقيدة ؟

والعجب أن خالق الأرض والسماء والقادر على جميع ما يشاء ،

---

(١) روح الحق ، لقب لحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم •

يخاف من اليهود الذين هم أذل عباده ، ولا يبين هذه العقيدة التي هي مدار نجاة عباده من الأنبياء وغيرهم • وعبيده من الانبياء مثل ارمياء وأشعياء ويحيى عليهم السلام لا يخافون أحداً في بيان الحق ، وينالون الايذاء الشديد ويقتل بعضهم لذلك • وأعجب منه أن المسيح يخاف منهم في بيان هذه المسألة العظيمة ، ويشدد عليهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غاية التشديد ، حتى أنه ينالهم منه السب بالمواجهة ، والشتم بالمشافهة • ويخاطب الكتبة والفريسيين كما في الأصحاح الثالث والعشرين من انجيل متى ونصه : « حينئذ كلم يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً : على كرسى موسى جالس الكتبة والفريسيون ، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ، ولكن مثل أعمالهم لا تصنعوا لأنهم يقولون ولا يفعلون • وكل أعمالهم يصنعونها لكي يتراءوا للناس ، وبعضهم أطراف ثيابهم ويجوبون لثكاً الأول في العشاء ، وصدور المجالس في الجامع ، والسلام في الأسواق ، وأن يدعواهم الناس سيدي ، الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرءون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل بتطويل صلواتكم ، أيها العميان • الذين يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل ، الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرءون لأنكم تشبهون القبور المكسرة التي تتراءى للناس من خارجها حسنة ، من داخلها مملوءة عظام أموات وكل نجس ، كذلك أنتم تتراءون للناس من ظاهر صديقتين ، فأما من داخل فأنتم مملوءون رياء واثماً • أيها الحيات والأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم ؟ » •

ومثله في انجيل لوقا وفيه : أن بعضهم قال له : « يا معلم اذا قلت هذا نشتمنا نحن أيضا ، فقال : وأنتم أيها لكتبة » فكيف يظن بالمسيح عليه السلام وحاشاه أن يترى بيان العقيدة التي هي مدار النجاة لأجل خوفه منهم ؟ فبين من أقوال علماء النصارى أن المسيح عليه السلام ما بين هذه المسألة لليهود قط الا بطريق الألتغاز ، وأنهم كانوا ينكرون هذه العقيدة أشد الانكار حتى أنهم أرادوا رجمه عن هذا البيان الالغازى •

• انرجع الى ابطار أصل المسألة المنعقدة لها الفصول • فنقول

## الفصل الأول

فى

### ابطال التثليث بالبراهين العقلية

**البرهان الأول :** لما كان التثليث والتوحيد حقيقيين عند المسيحيين ، وصرح به أيضا « عبد المسيح » فى كتابه هذا من قوله : « هو واحد ثلاثة وثلاثة واحد » وقواه : « فهى ثلاثة بحق ، واحد بحق » كما تقدم . فاذا وجد التثليث الحقيقى لابد من أن توجد الكثرة الحقيقية أيضا . ولا يمكن بعد ثبوتها ثبوت التوحيد الحقيقى ، والا يلزم اجتماع الضدين الحقيقيين . وهو محال ، كما مر آنفا . فلزم تعدد الوجباء وفات التوحيد يقينها . فالقائل بالتثليث لا يمكن أن يكون موحدا لله سبحانه وتعالى بالتوحيد الحقيقى . والقول بأن التثليث الحقيقى والتوحيد الحقيقى (1) ، وان كانا ضددين حقيقيين فى غير الواجب تعالى ، لكنهما فيه ليس كذلك : سفسطة محضة لأنه اذا ثبت أن الشئيين بالنظر الى ذاتيهما ضدان حقيقيان أو نقيضان فى نفس الأمر ، فلا يمكن اجتماعهما فى أمر واحد شخصى فى زمان واحد من جهة واحدة ، واجبا كان ذلك الأمر أو غير واجب . كيف والواحد الحقيقى ليس له ثلث صحيح والثلاثة لها ثلث صحيح . وهو واحد ، وأن الثلاثة مجموع آحاد ثلاثة ، والواحد الحقيقى ليس مجموع آحاد رأسا وأن الواحد الحقيقى جزء الثلاثة ، فلو اجتمعا فى محل واحد يلزم كون الجزء كلا والكل جزء ، وأن هذا الاجتماع يستلزم كون الله تعالى مركبا من أجزاء غير متناهية بالفعل ، لاتحاد حقيقة الكل والجزء على هذا التقدير ، والكل مركب ، فكل جزء من أجزائه أيضا مركب من الأجزاء التى تكون عين هذا الجزء . وهلم جرا . وكون الشئ مركبا من أجزاء غير متناهية بالفعل باطل قطعاً ، وأن هذا الاجتماع يستلزم كون الواحد ثلث نفسه والثلاثة ثلث

(1) لاحظ أن نصارى الارثوذكس يقولون بواحد ، انقلب الى مسيح .  
وراجع كتاب اثنانيم النصارى فى هذا الموضوع .

الواحد ، وكون الثلاثة ثلاثة أمثال نفسها والواحد ثلاثة أمثال الثلاثة . وهو باطل بالبدهة أيضا .

**البرهان الثاني :** لو وجد في ذاته سبحانه ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقي ، كما قالوا فمع قطع النظر عن تعدد الوجباء ، يلزم أن لا يكون لله حقيقة محصلة ، بل مركبا اعتباريا فان التركيب الحقيقي لا بد فيه من الافتقار بين الأجزاء . فان الحجر الموضوع بجانب الانسان لا يحصل منه أحدية ، ولا افتقار بين الواجبات لأه من خواص الممكنات . فالواجب لا يفتقر الى الغير ، وكل جزء منفصل عن الآخر وغيره . وان كان داخلا في المجموع . فاذا لم يفتقر بعض الأجزاء الى بعض اخر ، لم تتألف منها الذات الأحدية ، على أنه يكون الله سبحانه وتعالى في الصورة المذكورة مركبا ، وكل مركب يفتقر في الحقيقة الى تحقق كل واحد من أجزائه . والمجزء عين الكل بالبدهة ، فكل مركب مفتقر الى غيره ، وكل مفتقر الى غيره ممكن لذاته ، فيلزم أن يكون الله سبحانه ممكنا لذاته . وهو باطل قطعا .

**البرهان الثالث :** اذا ثبت الامتياز الحقيقي بين الاقانيم . فالامر الذي حصل به هذا الامتياز اما أن يكون من صفات الكمال ، أو لا يكون . فعلى الشق الأول لم يكن جميع صفات الكمال مشتركا فيه بينهم ، وهو خلاف ما تقرر عندهم : أن كل أقنوم من هذه الأقانيم متصف بجميع صفات الكمال ، وعلى الشق الثاني فالموصوف به يكون موصوفا بصفة ليست من صفات الكمال . وهذا نقصان يجب تنزيه البارئ سبحانه عنه .

**البرهان الرابع :** الاتحاد بين الجوهر اللاهوتي والناسوتي اذا كان حقيقيا ، لكان أقنوم الابن محدودا متناهيا . وكل ما كان كذلك كان قبوله للزيادة والنقصان ممكنا . وكل ما كان كذلك ، كان اختصاصه بالمقدار المعين لتخصيص مخصص وتقدير مقدر . وكل ما كان كذلك ، فهو محدث ، فيلزم أن يكون أقنوم الابن محدثا ، ويستلزم حدوثه حدوث الله تعالى .

**البرهان الخامس :** مذهب اليعقوبية أنه واحد قديم ، وأنه كان



لا جسم ولا انسان ، ثم تجسم وتأنس بديهي البطلان لأنه يستلزم انقلاب التقديم بالحادث والمجرد بالمادى • وأما مذهب غيرهم القائلين باتحاد المختلفين بصفة ، فيقال في إبطاله : ان هذا الاتحاد اما بالحلول أو بغيره فان كان الأول فهو باطل من وجوه ثلاثة على وفق عدد التثليث •

**أما أولا :** فلأن ذلك الحلول لا يخلو ما أن يكون كحلول ماء الورد في الورد والذهن في السمسم والنار في الفحم • وهذا باطل ، لأنه انما يصح لو كان أقمونم الابن جسما • وهم وافقونا على أنه ليس بجسم • واما أن يكون كحصول اللون في الجسم • وهذا أيضا باطل لأن المعقول من هذه التبعية حصول اللون في الحيز لحصول محله في هذا الحيز • وهذا أيضا انما يتصور في الأجسام واما أن يكون كحصول الصفات الاضافية للذوات • وهذا أيضا باطل ، لأن المعقول من هذه التبعية الاحتياج فلو ثبت حلول أقمونم الابن لهذا المعنى في شيء كان محتاجا ، فكان ممكنا ، فكان مفتقرا الى المؤثر وذلك محال •

وإذا ثبت بطلان جميع التقادير امتنع اثباته •

**واما ثانيا :** فلأننا لو قطعنا النظر عن معنى الحلول نقول ان أقمونم الابن لو حل في الجسم ، فذلك الحلول اما أن يكون على سبيل الوجوب أو على سبيل الجواز • لا سبيل الى الأول لأن ذاته اما أن تكون كافية في اقتضاء هذا الحلول أو لا تكون كافية في ذلك • فان كان الأول استحال توقف ذلك الاقتضاء على حصول شرط ، فيلزم اما حدوث الله أو قدم المحل وكلاهما باطلان • وان كان الثانى كان كونه مقتضيا لذلك الحلول أمرا زائدا على ذاته حادثا فيه • فيلزم من حدوث الحلول حدوث شيء فيه ، فيكون قابلا للحوادث • وذلك محال ، لأنه لو كان كذلك لكانت تلك القابلية من لوازم ذاته ، وكانت حاصلة أزلا • وذلك محال : لأن وجود الحوادث في الأزل محال • ولا سبيل الى الثانى لانه على هذا التقدير يكون ذلك الحلول زائدا على ذات الأقمونم • فاذا حل

في الجسم ويجب أن يحل فيه صفة محدثة ، وحلولها يستلزم كونه قابلا  
للحوادث • وهو باطل كما عرفت •

**وأما ثالثا :** فلأن أقنوم الابن اذا حل في جسم عيسى عليه السلام  
فلا يخلو اما أن يكون باقيا في ذات الله سبحانه أيضا أولا • فان كان  
الأول لزم أن يوجد الحال الشخصي في محلين ، وان كان الثاني لزم  
أن يكون ذات الله تعالى خالية عنه ، فينتفى • لأن انتفاء الجزء يستلزم  
انتفاء الكل ، وان كان ذلك الاتحاد بدون الطول ، فنقول : ان أقنوم  
الابن اذا اتحد بالمسيح عليه السلام فهما في حال الاتحاد ان كانا  
موجودين فهما اثنان لا واحد ، فلا اتحاد ، وان عدما وحصل ثالث فهو  
أيضا لا يكون اتحادا ، بل عدم الشئيين وحصل شئ ثالث • وأن بقى  
أحدهما وعدم الآخر فالمعدوم يستحيل أن يتحد بالموجود ، لأنه يستحيل  
أن يقال : المعدوم بعينه هو الموجود • فظهر أن الاتحاد محال • ومن  
قال : ان الاتحاد على جهة الظهور كظهور كتابة الخاتم اذا وقع على  
طين أو شمع أو كظهور صورة الانسان في المرآة فقوله لا يثبت الاتحاد  
الحقيقي ، بل يثبت التغير ، لأنه كما أن كتابة الخاتم الظاهرة على  
طين أو شمع ، غير الخاتم ، وصورة الانسان في المرآة غير الانسان ،  
فكذلك يكون أقنوم الابن غير المسيح عليه السلام بل غاية ما يلزم  
أن يكون ظهور أثر صفة الأقنوم فيه أكثر من ظهوره في غيره ، كما أن  
ظهور تأثير شعاع الشمس في بعض الأحجار التي تتولد منها الجواهر  
المعروفة أزيد من تأثيره في الأحجار التي هي غير تلك الأحجار •

**البرهان السادس :** فرقة : البروتستنت ترد — كما تقدم — على  
فرقة الكاثوليك في استحالة الخبز الى المسيح في العشاء الرباني  
بشهادة الحس ، وتستهزئ بها • فهذا الرد والهزؤ يرجعان اليها  
أيضا لأن الذي رأى المسيح ما رأى منه ألا شخصا واحدا انسانية  
يأكل ويشرب وينمو ويتألم ، ولحقته جميع العوارض البشرية • وتكذيب  
أصدق الحواس الذي هو البصر عين السفسطة في الضروريات ، فيكون  
القول به باطلا كالقول باستحالة الخبز الى المسيح والخمر الى دمه •

والجهلاء من المسيحيين من أية فرقة من فرق أهل التثليث قد ضلوا في هذه العقيدة ضلالا بيانا ولا يميزون بين الجوهر اللاهوتي والناسوتي، كما يميز بحسب الظاهر علماءهم ، بل يعتقدون الوهية المسيح عليه السلام باعتبار الجوهر الناسوتي ويخطبون خطبا عظيما .

وقد نقل « أنه تنصر من الجوس ثلاثة أشخاص وعلمهم بعض القسيسين العقائد الضرورية ، ولا سيما عقيدة التثليث أيضا . وكانوا عنده فجاءه صديق له وسأله عن تنصر . فقال له : قد تنصر ثلاثة أشخاص . فسأله : هل تعلموا من العقائد الضرورية شيئا ؟ فقال : نعم . ثم انه طلب واحدا منهم فسأله عن عقيدة التثليث فقال له : انك علمتني أن الآلهة ثلاثة . أحدهم الذي هو في السماء ، والثاني تولد من بطن مريم العذراء ، والثالث الذي نزل في صورة الحمام ، على الآلهة الثاني بعد ما صار ابن ثلاثين سنة . فغضب القسيس وطرده . وقال : هذا مجهول . ثم طلب الآخر منهم وسأله : فقال له : انك علمتني أن الآلهة كانوا ثلاثة وصلب واحد منهم فالباقي الهان . فغضب عليه أيضا وطرده . ثم طلب الثالث وكان ذكيا بالنسبة الى رفيقيه ، وحريصا على حفظ العقائد . فسأله . فقال : يا مولاي حفظت ما علمتني حفظا جيدا ، وفهمته فهما كاملا بفضل الرب المسيح ، وعلمت : أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد ، وصلب واحد منهم ومات (١) . فمات الكل لاجل الأبلحاد ، ولا اله الآن والا يلزم نفى الأتحاد »

وأنت تعلم أنه لا تقصير : للمسؤولين فان هذه العقيدة يخطب فيها الجهلاء منهم هكذا ، يتحير في تناقضها علماءهم ويعترفون بأنهم يعتقدون ذلك ولا يفهمون ويعجزون عن تصويرها وبيانها . ومن غير تصور يصدقون .

(١) هذه القصة من كتاب اظهر الحق للشيوخ رحمت الله الهندي المؤسس للهدسة الصولنية في مكة المكرمة ، والمدرس في المسجد الحرام .

## الفصل الثاني

فى

### ابطال التثليث بأقوال المسيح

وفيما سلم من التبديل من الفاظ الانجيل  
بما فيه الشهادة على عبوديته من الأدلة الواضحة  
والاشارات اللائحة بما ساوى به الانبياء والمرسلين  
بشرائع رب العالمين

وذلك كثير جداً فلنقتصر على البعض • فان انصف يكفى بشاهدين  
والمعاندا لا يرضى بالتثليث • فمنه ما فى الاصحاح السابع عشر من  
انجيل يوحنا قول المسيح : « وهذه حياة الأبد أن يعرفوك أنت الاله  
الحق وحدك ، وانذى أرسلته يسوع المسيح » فبين عيسى عليه السلام  
بهذا الكلام أن الحياة الأبدية عبارة عن أن يعرفه الناس أن الله سبحانه  
واحد حقيقى ، وأنه رسوله • ولم يقل ان الحياة الأبدية أن يعرفوا  
أن ذاتك ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقى ، وأن عيسى انه وانسان ،  
أو أن عيسى اله مجسم • ولما كان هذا فى خطاب الله فى الدعاء حينما  
رفع رأسه الى السماء ، وقال : « قد حضرت الساعة وآمنوا أنك أرسلتني »  
فلا احتمال هنا لخوف من اليهود ، ولا سيما وقد قال قد حضرت  
الساعة ، فلو كان اعتقاد التثليث مدار النجاة لبينة ولما قل : « الاله  
الحق وحدك » ولما فرق بين المرسل والمرسل • واذا ثبت أن الحياة الأبدية هى  
اعتقاد التوحيد الحقيقى لله وحده ، واعتقاد الرسالة للمسيح ،  
فضدهما يكون موتاً أبدياً وضلالاً سرمدياً بالبداهة ، لأن التوحيد  
الحقيقى ضد التثليث الحقيقى ، كما عرفت سابقاً • وكون المسيح  
رسولاً ضد لكونه الها لأن التغاير بين المرسل والمرسل اليه ضرورى •  
فهذه الحياة الأبدية والحمد لله تعالى للمسلمين حيث قالوا : آمنا بالله  
وملائكته وكتبه ورسله • وقالوا : المسيح عبد الله ورسوله • وأما غيرهم

من ذوى الأديان والنحل فهم محرومون منها كالمجوس ومشركى الهند والصين ، لانتقاء الاعتقادين عنهم ، وأهل التثليث لانتقاء الاعتقاد الأول واليهود لانتقاء الاعتقاد الثانى منهم . فالحمد لله الذى جعلنا أمة وسطا بين المفرط والمفرط ، والمعالى والمنكر ، والمبغض والكافر ، لذكور شهداء على الناس ، وفتحامى عن وسواس كل خناس من الجنة والناس .

**ومنه ما فى ، لأصحاح الثانى عشر من انجيل مرقس قوله : « فجاه**  
اليه واحد من الكتبة الذين كان سمعهم يتساءلون ، ونظر اجابته لهم حسنة . فسأله أى وصية أول الكل ؟ فأجابه يسوع : ان أول كل الوصايا اسمع يا إسرائيل الرب الهنا اله واحد هو ، وتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل نيتك ومن كل قوتك . هذه أولى الوصايا . والثانية هى مثلها أن تحب قريبك مثلك ليس وصية أخرى أعظم من هاتين . فقال له الكاتب : جيدا يا معلم ، قلت بالحق أن الله واحد ، وليس آخر غيره . فعلم أن أول الوصايا أن يعنقد الانسان أن الله واحد حقيقى ، لا ثلاثة ممتازة بامتياز حقيقى ، كما زعمت النصرارى . ومثل هذا كثير أيضا فى التوراة كما فى الأصحاح الرابع من سفر الاستثناء : « لتعلم أن الرب هو الله وليس غيره . فاعلم اليوم واقبل بقلبك أن الرب هو الاله فى السماء من فوق ، وعلى الأرض من تحت وليس غيره » وفى الأصحاح السادس من السفر المذكور : « اسمع يا إسرائيل أن الرب الهنا فانه رب واحد » وفى الأصحاح السادس والأربعين من سفر أشعيا « أنى أنا الله وليس غيرى الهيا وليس لى شبيهه » .

**ومن أقوال المسيح أيضا : ما فى الأصحاح الثالث عشر من انجيل مرقس : « وأما ذلك اليوم ونلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ، لا الملائكة الذين فى السماء ولا الأبنا (١) الا الآب » . وهذا القول ظاهر فى بطلان**

(١) المراد بالابن : نبوة المزمور الثانى وقد وضعناها فى كتابنا اثنائين النصرارى - فصل اثنوم الابن .

التثليث لا يزيغ عنه الا أعمى البصيرة ، لأن المسيح خصص علم القيامة  
بإله سبحانه ونفى علمها عن نفسه ، كما نفى عن غيره • وهذا لا يمكن  
في صورة كونه الها • ولا سيما اذا لاحظنا أن الكلمة ، وأقنوم الابن  
عبارتان عن عم الله تعالى وفرضنا اتحادهما بالمسيح وأخذنا هذا  
الاتحاد على مذهب القائلين بالحلول أو على مذهب اليعقوبيية  
القائلين بالانقلاب ، فانه يقتضى أن يكون الأمر بالعكس • ولا أقل أن  
يعلم الابن كما يعلم الآب • ولما لم يكن العلم من صفات الجسد •  
فلا يجدى فيه عذرهم الفاسد المشهور وهو أنه نفى عن نفسه باعتبار  
جسميته • فظهر أنه ليس الها لا باعتبار الجسمية ولا باعتبار غيرها  
عند كل منصف لم يكابر نفسه ويفتح عينيه حتى يرى من صبح  
الهدى شمسه •

**ومن ذلك ما في الأصحاح التاسع عشر من انجيل متى قوله : « واذا  
واحد تقدم • وقال له : أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لى  
الحياة الأبدية ؟ فقال له : لماذا تدعونى صالحا ؟ ليس أحد صالحا  
الا واحد • وهو الله »** فهذا القول أظهر من الشمس في رقع ظلام  
التثليث • وانظر فانه عليه السلام ما رضى من تواضعه أن يطلق عليه  
لفظ الصالح ، فكيف يرضى أن يطلق عليه أنه الرب المعبود وخالق كل  
موجود ، ويخاطبه المثلثون فى صلواتهم بقولهم : « ياربنا والهنا يسوع  
المسيح لا تضيع من خلقت بيدك » ومنه ما فى الأصحاح السابع  
والعشرين من انجيل متى قوله : « ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع  
بصوت عظيم قائلاً : ايلى ايلى لما شبتنتى أى الهى الهى لماذا تركتني؟ »  
الى أن قال متى : « وأما يسوع صاح بصوت عظيم وأسلم الروح »  
وفى الأصحاح الثالث والعشرين من انجيل لوقا هكذا : « ونادى يسوع  
بصوت عظيم وقال : يا أبتاه فى يديك أستودع روحى » وفى بعض  
النسخ المطبوعة : « وصاح يسوع بصوت عال • وقال : يا أبتاه فى يديك  
أسلم روحى » •

وهذا القول ينفى الوهبة المسيح رأسا • ولا سيما على مذهب

الى اله آخر ولما جزع من الموت ، ولما سلم الروح الى اله آخر •  
وأنت تعلم أن تألم بدن الانسان لا يكون إلا بواسطة  
الروح ، وروح المسيح بزعمهم لاهوتية ، ولما رأيناه قد تألم وصرخ  
على زعمهم علمنا : أنه ليس بالله فقول قائلهم : ان الناسوت تألم ،  
وأما اللاهوت فلم يتألم قول باطل وجواب عاطل ، لا يجديهم نفعا  
كما لا يخفى •

والعجب من النصارى : أنهم لا يكتفون بموت الههم وصلبه حتى  
قالوا دخل جنهم وعذب بعد ما صلب ومات • وسيأتى بقية الكلام على  
هذه العقيدة في محلها ان شاء الله تعالى •

**ومنه ما في الأصحاح الثالث والرابع من انجيل متى قوله : « حينئذ**  
أتى يسوع من الجليل الى الأردن الى يوحنا ليعمده • فكان يوحنا  
يمنعه قائلاً أنا المحتاج أن أتعمد منك وأنت تأتي الى ؟ فأجاب يسوع  
وقال له : دع الآن • فهكذا يجب لنا أن نكمل كل البر ، فحينئذ تركه ،  
فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء فيها انفتحت له السموات ورأى  
روح الله نازلاً كمثل حمامة وجائياً اليه ، واذا صوت من السموات قائلاً :  
هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت حينئذ أخرج يسوع الى البرية  
من الروح ليغرب من ابليس ، فلما صام أربعين نهساراً وأربعين  
ليلة • ثم جاع أخيراً ، تقدم المجرّب وقال له : ان كنت ابن الله  
فقل أن نصير هذه الحجاره خبزاً ، فأجابه وقال : مكتوب ليس بالخبز  
وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله • حينئذ أخذه  
الشيطان الى المدينة المقدسة واقامه على جناح الهيكل وقال له : ان  
كنت أنت ابن الله فانطرح الى أسفل فانه مكتوب أنه أوصى ملائكته  
من أجلك ، ويحملونك على أيديهم ، لئلا تعثر بحجر رجلك • قال له  
يسوع : مكتوب أيضاً : لا تجرب الرب الهك • فأخذه الشيطان أيضاً  
الى جبل عال جدا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها • وقال له : أعطيك  
هذه جميعها ان خررت لى ساجدا • حينئذ قال له يسوع : اذهب  
يا شيطان لأنه مكتوب للرب الهك تسجد ، وله وحده تعبد » •

ففى هذا الكلام دلالات متعددة واضحة على عبوديته عليه السلام، ما عدا قوله : « هذا ابنى » وستنكلم عليه فيما بعد ان شاء الله تعالى كما تكلمنا عليه فيما سبق .

**قمنها : أنه متعبد بالعبادات ليكمل نفسه بالتمديد ، فقد أتى الى يحيى بن زكريا عليهما السلام ليعمده بالماء أسوة بأمثاله . فهل يحسن بالرب أن يتعمد على يدى أتبيئه ويتصد لتتبرك بعض أصفيائه ؟ وهل كان يحسن من نبي الله يحيى أن يجهل ربه ويعمده ؟ وكان يلزم منه أن يقول له : أنت ربى واحسانك بالنبوة على فلا ينبغي من أن يكون تعميديك على يدى . نعم ان يحيى قد تواضع على عادة أمثاله ، فقال أنا أحق بالتعمد منك ، وأنتك أقوى ، فلم يقبل المسيح هذه الدعوى .**  
وقال : جئت للتكميل .

وليت شعرى هل يحتاجه الرب الجليل ؟ واذا قالوا انه تعمد ليعلم الناس ذلك . فهو جواب كسراب بقية يحسبه الظمان ماء ، لأنه كان يمكنه التعليم باللسان فيما هنالك . ولقد أحسن أبو الفضائل فى قوله :  
فلو كان ربا كما تزعمون      أيسعى ليحيى من الأردن ؟  
ويحتاج للماء فى بره      ليكمل بالمورد الأحسن  
ويجعل يحيى امامه      ليعمده . فهو كالمحسن  
اليه . وما كان من فعله      فتم لعيسى المقام السنى  
فلو كان عيسى الها ، كما      زعمتم . لقد كان عنه غنى

**ومنها مجيء الروح أى الملك بصورة حمامة .** اليه بعد مضى ثلاثين سنة من عمره ، وبعد التعميد . ومنها : صيامه وجوعه وعبادته وقوله لابليس : « للرب الهك تسجد وله وحده تعبد » أى لا أسجد لك ولا أعبدك بل أعبد ربي وحده . فهل أظهر من هذا دلالة على عبوديته؟ والعجب أن ابليس عليه العنة الذى هو علمه بالله سبحانه معلوم ، ومعرفة بخالقه اثباتها فى الكتب السماوية مرسوم . يجهل أن عيسى خالقه ثم يمتحنه بالأمر المتقدم ذكرها ولا يقول له عيسى أنا خالقك فكيف لا أقدر على هذه الأشياء ؟ وكيف أسجد لك وأنت قد سجدت لى قبل أن أخلق آدم والأرض والسماء ؟ فتأمل وأنتصف .



## الفصل الثالث

فى

التأويل

وان قد علمت بالبراهين العقلية القطعية والنقلية أن التثليث الحقيقى ممتنع فى ذات الله سبحانه • فلو وجد قول من الأقوال المسيحية دالا بحسب الظاهر على التثليث ، يجب تأويله لأنه لا يخلو اما أن نعمل بكل واحد من دلالة البراهين ودلالة القول • واما أن نتركها ، واما أن نرجح النقل على العقل ، واما أن نرجح العقل على النقل • والأول باطل قطعاً • والآ لزم كون الشئ الواحد مطنعا وغير ممتنع فى نفس الأمر • والثانى أيضا محال ، والآ يلزم ارتفاع النقيضين • والثالث أيضا لا يجوز ، لأن العقل أصل النقل ، فان ثبوت النقل موقوف على ثبوت وجود الصانع وعلمه وقدرته وكونه مرسلا للرسل وثبوتها بالدلائل العقلية فالقدح فى لعقل قدح فى والنقل معا ، فم يبق الا أن نقطع بصحة العقل ، ونشتغل بتأويل النقل • ولقد أحسن « أبو الفضائل المالكى » فى قوله :

إذا ما النقل خالف حكم عقل      نأوله • فنكسبه رجوعا  
لأن العقل أصل النقل مهما      يخالف أصله ، سقطا جميعا

والتأويل عند أهل الكتاب ليس بنادر ولا قليل ، لما عرفت فيما تقدم أنهم يأولون الآيات الكثيرة الدالة على جسمية الله سبحانه وشكله بورود الآيتين (١) اللتين مضمونهما مطابق للبرهان العقلى • وكذلك يأولون الآيات الغير محصورة الدالة على المكان لله عز وجل لأجل الآيات القليلة الموافقة للبرهان •

والذى أوقعهم فى هذه المهاكة الوخيمة والورطة الجسيمة من القول

---

(١) يقصد آيتا نقلى المثلية عن الله تعالى • وآيات نقلى المثلية كثيرة فى التوراة وقد ذكرنا بعضها فى أساس التقدیس للرازى •

بِالْإِثْنَانِ وَمِاتِحَادِ الْمَسِيحِ بِالرَّبِّ الْعَظِيمِ : مَا وَرَدَ مُوَهَّمَا مِنْ أَلْفَـاظِ  
الْإِنْجِيلِ كَالْآبِ وَالْإِبْنِ وَالْإِلَهِ وَالرَّبِّ وَالسُّجُودِ وَالغُفْرَانَ • وَنَحْوِ ذَلِكَ •  
فَلَمْ يَحْمِلُوهَا عَلَى مَا أُرِيدَ مِنْهَا وَحَمَلُوهَا عَلَى ظَاهِرِهَا وَخُصُوصِيَّتِهَا  
بِعَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا كَثِيرًا مِنْ جِهَةِ الْأَنْهَامِ •

وَسَنفَصِّلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُرَادَ بِهَا وَمَا وَرَدَ مِمَّا يَبْطِئُهَا عَنِ الْكُتُبِ  
الْمُتَدَمِّمَةِ ، وَالْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامِ •

فَنَقُولُ : أَمَا أَقْضَيْنَا الْآبَ وَالْإِبْنَ فَفِي لُغَتِهِمْ يُسَمَّى الْوَالِدُ ابْنًا  
وَيُسَمَّى الْمَرْبِيُّ أَبًا • وَيَعْبُرُونَ عَنِ ذَلِكَ بِأَبْوَةِ النِّعْمَةِ وَبِنُورَةِ الْخِدْمَةِ •  
وَذَلِكَ مُشْهُورٌ فِي نُبُوَّةِ أَنْبِيَائِهِمْ • وَأَمَا لُغَتُنَا الْإِلَهِ وَالرَّبِّ • فَالرَّبُّ هُوَ  
الْمَرْبِيُّ بِاللُّطْفِ وَالْإِحْسَانِ الْعَائِدِ بِالْإِمْتِنَانِ • وَهَاتَانِ اللَّفْظَتَانِ يَسْتَعْمَلَانِ  
فِي حَقِّ التَّعْظِيمِ مِنَ الْآدَمِيِّينَ تَجُوزًا وَتَوْسَعًا • لَكِنَّ عَلَى جِهَةِ التَّقْيِيدِ  
لَا عَلَى جِهَةِ الْإِطْلَاقِ • وَهَذِهِ كُتُبُ الْقَوْمِ تَشْهَدُ بِأَنَّ الْمَعْلَمَ وَالْمُدَبِّرَ  
وَالْقَيِّمَ يُسَمَّى رَبًّا كَمَا أَنَّ الرَّجُلَ رَبُّ مَنْزِلِهِ وَمَالِهِ • وَالْإِلَهِ هُوَ الْمُسَلِّطُ  
وَالْحَاكِمُ كَمَا فِي الْأَصْحَاحِ السَّابِعِ مِنْ سَفَرِ الْخُرُوجِ مِنَ التُّورَةِ يَقُولُ  
اللَّهُ تَعَالَى لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : « جَعَلْتُكَ الْهَارُونَ وَهَارُونَ أَخَوَيْكَ  
يَكُونُ لَكَ نَبِيًّا » وَفِيهَا : « قَدْ جَعَلْتُكَ رَبًّا لِهَارُونَ » وَأَمَا السُّجُودُ فَذَلِكَ  
كَانَ سَلَامَ الْقَوْمِ وَتَحِيَّتَهُمْ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ عَلَى أَكْبَارِهِمْ • وَأَمَا السُّجُودُ  
الَّذِي هُوَ غَيْرُ التَّحِيَّةِ فَهُوَ خَاصٌّ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى •

وَعَلَى مَا فَهَّمْنَا بِهِ الْآبَ وَالرَّبِّ وَغَيْرَهُمَا : دَلَالَتٌ مِنَ الْعَهْدِ الْعَتِيقِ  
وَالْجَدِيدِ • مِنْهَا مَا فِي الْأَصْحَاحِ الْخَامِسِ مِنْ أَنْجِيلِ مَتَّى قَوْلُهُ : « طُوبَى  
لِصَانِعِي السَّلَامِ لِأَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ يَدْعُونَ » وَقَوْلُهُ فِيهِ أَيْضًا : « وَأَمَّا  
أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ أَحْبَبُوا أَعْدَاءَكُمْ بَارِكُوا لِأَعْيُنِكُمْ ، أَحْسِنُوا إِلَى مَبْغُضِيكُمْ ،  
وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يَسْبُونَكُمْ ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي  
السَّمَوَاتِ » فَأُطْلِقُ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ ابْنًا وَعَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَبًا • وَمَا فِي  
الْأَصْحَاحِ الثَّامِنِ مِنْ أَنْجِيلِ يُوحَنَّا فِي الْمَكَالِمَةِ الَّتِي وَقَعَتْ بَيْنَ الْيَهُودِ  
وَالْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامِ قَوْلُهُ : « أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ آبَائِكُمْ • فَقَالُوا لَهُ :

اننا لم نولد من زناء ، لنا أب واحد وهو الله فقال لهم يسوع : لو كان الله أباكم كنتم تحبوننى « الى أن قال : « أنتم من أب هو ابليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا • ذاك كان قتالا للناس من البدء ، ولم يثبت في الحق ، لأنه ليس فيه حق ، متى تكلم بالكذب ، فانهما يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو الكذاب » •

فاليهود ادعوا أن لنا أباً واحداً • هو الله • وقيل المسيح : لا بل أبوكم الشيطان • وظاهر أن الله - سبحانه - والشيطان - عليه اللعنة - ليسا أباً لهم بالمعنى الحقيقي ، فلا بد من الحمل على المعنى المجازى • كما هو ظاهر ادى كل منصف •

**ومنها : ما في الأصحاح الرابع من سفر الخروج من التوراة :**  
« هذا ما يقول الرب ابنى بكرى اسرائيل ، فقلت لك : أطلق ابنى ليعبدينى » •

**ومنها ما في الأصحاح الخمسين من سفر التكوين من التوراة في**  
قصة يوسف هكذا : « فالآن أعف عنا وتجاوز عن جهل عبيد اله أبيك • فبكى يوسف اذ قالوا له ذلك ، وعمد اخوته ، وخرؤا قدامه ساجدين • وقالوا له : ها نحن عبيد لك » •

**ومنها الآية السابعة من الأصحاح الرابع من رسالة مار يوحنا**  
الرسول الأولى : « أيها الأحباء ليجب بعضنا بعضا لان المحبة انما هى من قبل الله • وكل ودود فهو مولود من الله ، وهو يعرف الله ومن لم يكون ودوداً ، فلم يعرف الله ، لأن الله محبة » •

**ومنها ما في أول رسالة ماربولس الى فيليمون قوله : « والسلام**  
من الله أبينا ، ومن الرب يسوع المسيح » • وقوله أيضا في أول رسالته الى أهل فيليببوس : « والسلام من الله أبينا ومن الرب يسوع المسيح »  
ومثله أيضا في أول رسالته الى أهل رومية • وقوله أيضا في رسالته الى أهل أفسس : « اله واحد أب الكل • وهو على الكل وبالكل وفي كلنا » • وقوله أيضا في الأصحاح الثالث من رسالته الأولى الى أهل

نسألونيكى : « والله أبونا وربنا يسوع المسيح بسهل سبيلنا اليكم »  
وقوله أيضا في الأصحاح الثانى من رسالته الى أهل « فيليبسيوس »  
« افعلوا كل شىء بلا دمدمة ولا مجادلة لكى تكونوا بلا لوم وبسطاء  
أولاد الله بلا عيب » ومنها ما فى الأصحاح السابع من سفر صموئيل  
الثانى قول الله سبحانه فى سليمان : « وأنا أكون له أباً وهو يكون لى  
ابننا » ومنها ما فى الزمور الثامن والثمانين : « وجدت داود عبدي  
فمسحته بدهن قدسى » الى أن قال : « هو يدعونى أنت هو أبى والهوى  
وتناصر خلاصى ، وأنا أيضا أجعله بكرى ، أعلى من كل ماؤك الأرض »  
الى أن يقول : « وأعرضت عن مسيحك » •

فى هذا اطلاق الأب على الله والابن على سليمان والمسيح • وفى  
الأصحاح الحادى والثلاثين من سفر ارمياء قول الله سبحانه :  
« لأن صرت أباً لاسرائيل ، وأفرايم هو بكرى » فأطلق لفظ ابن الله البكر  
على أفرايم ، فلو كان اطلاق مثل هذه الألفاظ موجبا للألوهية لكان  
اسرائيل وداوود وسليمان وأفرايم أحقاء بالألوهية ، بل أطلق الأبناء  
على كافة بنى اسرائيل كما فى الأصحاح الثالث والستين من سفر أشعيا ،  
قوله فى خطابه لله سبحانه : « فلانك أنت أبونا » وأمثال هذا كثير  
كما تقدم • ولعل لنا عودة الى هذا ان شاء الله تعالى ، فافهم وأنصف •

### خاتمة :

بقى ما استدلووا به على زعمهم من ألوهية عيسى عليه السلام وبنوته  
له سبحانه بكلمات من الانجيل وغيره • وقد تقدم جوابها اجمالا  
واشارة ، وان كنا لا نسلم بقاء الأناجيل سالمة من التحريف والتبديل ،  
كما سنتبته بحوله تعالى بصحيح الأقاويل • غير أننا نذكر ههنا  
مماشاة للخصوم ، وليتبين من الأجوبة حالها لدى أرباب المنطوق  
والمفهوم ، ان شاء الله تعالى •

الأولى : اطلاق الابن عليه • وهذا دليل واه مردود ، لأنه معارض  
بما تقدم من اطلاق لفظ الابن على غيره من بنى اسرائيل ، واطلاق

ابن الانسان وابن داوود عليه السلام ولأن الابن لغة : من قولد من نطفة الأبوين • وهذا محال فلا بد من الحمل على المجاز المناسب لشأن المسيح ، وقد علم من الانجيل أن هذا اللفظ في حقه بمعنى الصالح كما في الأصحاح الخامس عشر من انجيل مرقس هكذا • « ولما رأى قائد المائة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح ، قال : حقا كان هذا الانسان ابن الله » ونقل لوقا في الأصحاح الثالث والعشرين من انجيله هكذا : « بالحقيقة كان هذا الانسان بارا » ففي انجيل مرقس « ابن الله » وفي انجيل لوقا بدله لفظ « البار » واستعمل هذا اللفظ في حق الصالح غير المسيح ، كما استعمل في حق الطالح ، مثل ابن ابليس كما تقدم •

الثانية : ما في انجيل يوحنا في الأصحاح الثامن قوله : « أنتم لا تطيقون المجيء الى ، حيث أذهب أنا فماتل لهم : أنتم من أسفل وأنا من فوق • أنتم من هذا العالم وأنا لست من هذا العالم » يعنى على زعمهم : « أنه اله نازل من السماء وتجسم • وهذا التأويل باطل لوجهين •

الأول : مخالفته لإبراهيم العقلية والنصوص القاطعة المتقدمة • والثانى : أن عيسى قال مثل ذلك فى حق تلاميذه أيضا • كما فى الأصحاح السابع عشر من انجيل يوحنا هكذا : « لأنهم ليسوا من العالم كما أنى لست من العالم » •

فسوى بينه وبينهم فى عدم الكون من هذا العالم ، فلو لزم من ذلك الألوهية • لكنوا كلهم آلهة ، بل المراد الواضح ، أنتم أيها اليهود طالبون للدنيا ، وأنا لست كذلك • وهذا كلام شائع للزهاد انهم ليسوا من ادنيا •

الثالثة : ما فى الأصحاح العاشر من انجيل يوحنا : « ان أبى الذى

أعطينى هو أعظم من الكل ، ولن يقدر أحد أن يخطف من يد أبى ، أنا والآب واحد » •

قالوا : فهذا يدل على اتحاد المسيح بالله سبحانه ، وأنت تعلم أن هذا استدلال باطل ، لأن المسيح عندهم أيضا انسان ذو نفس ناطقة ، وليس بمتحد بهذا الاعتبار فلا بد أن يحتاجوا الى التاويل فيقولون : كما أنه انسان كامل فكذلك اله كامل ، فبالاعتبار الأول مغاير • وبالاعتبار الثانى متحد • وقد تقدم لك بطلان هذا التاويل ، ولأن مثلا هذا التعبير وقع فى شأن الحواريين كما فى الأصحاح السابع عشر من انجيل يوحنا قوله : « ليكونوا بأجمعهم واحدا كما أنك يا أبتاه فى وأنا فيك ليكونوا هم أيضا فينا واحدا ، لئو من العالم أنك أرسلتني ، وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتني ليكونوا واحدا ، كما نحن واحد أنا فيهم وأنت فى ، ليكونوا كاملين لواحد » •

فقلوه : « ليكون الجميع واحدا » الى آخره يدل على اتحادهم ومساواة اتحاده بالله واتحاده معهم واتحادهم به ، وظاهر أن اتحادهم فيما بينهم ليس حقيقيا فكذا اتحاده بالله • والحق : أن المراد من ذلك اطاعة أحكامه واتباع أوامره والاجتناب عن منهياته • والحواريون وأهل الايمان متشاركون فى ذلك • وإنما الفرق باعتبار القوة والضعف • والدليل على هذا : قول يوحنا فى الأصحاح الأول من رسالته الاولى وهو هكذا : « وهذا هو الخبر الذى سمعناه منه ، ونخبركم به : أن

الله نور ، وليس فيه ظلمة البتة ان قلنا ان لنا شركة معه ، وسلكتنا فى الظلمة نكذب ولسنا نعمل بالحق ، ولكن ان سلكتنا فى النور كما هو أيضا فى النور ، فلنا شركة بعضنا مع بعض » •

وفى التراجم الفارسية « متحد هستيم » فوقع فيها بدل لفظ الشركة لفظ الاتحاد فعلم أن الاتحاد بالله أو الشركة بالله عبارة عما قلنا • فتبين لك الجواب الثانى لمن تمسك بهذه الشبهة ولم يرد العذب الصافى •

الرابعة : ما فى الأصحاح الرابع عشر من انجيل يوحنا قوله :

« قال له فيلبس » يا سيد أرنا الآب وحسبنا • قال يسوع : أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفوني • يا فيلبس من رآنى فقد رأى أيضا الآب • فكيف تقول أنت : أرنا الآب ؟ أما تؤمنون أنى فى الآب والآب فى ؟ الكلام الذى أتتكم لكم أنا به لست أتتكم به من عندى ، بل أبى الذى هو حال فى ، هو يفعل الأعمال • أفلا تؤمنون أنى أنا فى الآب والآب هو فى ؟ والا فآمنوا من أجل الأعمال بعينها • الحق الحق أقول لكم : أن من يؤمن بى فالأعمال التى عملها أنا يعملها هو أيضا • فأفضل منها يصنع ، لأنى ماضى الى الآب • وكل شىء تسألون الآب باسمى لصنعه ليتمجد الرب بالابن ، وان سألتهمونى باسمى شىئا فافعله ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى وأنا أطاب من الآب فيعطىكم فارقليط(١) آخر ، ليثبت معكم الى الأبد روح الحق الذى لن يطيق العالم أن يقبله لأنه ليس يراه ولا يعرفه ، وأنتم تعرفونه لأنه مقبم عندكم وهو ثابت فيكم ، لست أدعكم يتامى ، أنى سوف أجيبكم عن قليل ، والعالم ليس يروننى ، وأنتم تروننى ، اتنى حى وأنتم تحبون • فى ذلك اليوم تعلمون أنتم أنى أنا فى أبى وأنتم فى ، وأنا فيكم •

وقد استدلوا بهذا على اتحاد المسيح بالله سبحانه وهذا الكلام وان كان داخلا فى جملة المحرف كما ستعرفه فى محله ان شاء الله تعالى ، لكن ننتزل ونقول بصحة وروده وظهور تأويله ، وأنه ليس فيه عند كل ذى لب وانصاف مخالفة لما يقوله المسلمون فى حقه من أنه عبد الله ورسوله •

**فاعلم : ان هذا الاستدلال مردود من وجهين :**

**الأول :** ان رؤية الله تعالى فى الدنيا محالة عندهم أيضا كما تقدم • فلو كان هو الله ، كيف يرى ؟ فيأولونها بالمعرفة باعتبار الألوهية والحلول الذى وقع فى القمل الثانى والثالث وأجب التأويل عند جمهور أهل التثايت • فيقولون • ان المراد بها الاتحاد الباطنى • وبعد هذه التأويلات يقولون : أنه لما كان انسانا كاملا والها كاملا ، صحت أقواله

(١) الفيرقليط هى اسم أحمد صلى الله عليه وسلم فى انجيل يوحنا • والنصارى حرفوها الى فارقليط •

الثلاثة باعتتار الثاني ، وقد عرفت مرارا انه باطل ، لأن التأويل يجب أن لا يخالف البراهين والنصوص .

**الثاني : ان قوله : « تظلمون أنى أنا في أبى وأنتم في ، وأنا فيكم »**

يمنع من تأويلهم المذكور ، لأنه يلزم أن يكون الحواريون بل أكثر النصراني حالين في المسيح ، والمسيح حالا فيهم ، لأن حال الحال حاله في محل الحال ، وقد تقدم أيضا في الثالثة قوله : « أنا فيهم وأنتم في » وكذا قوله في الأصحاح الرابع من الرسالة الى أهل افسس « اله وآب واحد للكل الذى على الكل وبالكل ، وفي كلكم » فالحق : أن الأدنى اذا كان من أتباع الأعلى كأن يكون رسوله أو عبده أو تلميذه أو قريبه ، فالأمر المنسوب الى الأدنى من التعظيم والتحقير والمحبة وغيرها ينسب الى الأعلى مجازا ، ولذلك قال المسيح في حق الحواريين : « من يقبلنى يقبلنى ، ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى » كما في الأصحاح التاسع من انجيل لوقا . ولذلك قال الله تعالى على لسان ارميا : « أكلنى ابتلعنى بخت نصر ملك بابل ، جعلنى كإناء فارغ » كما هو مصرح به في الأصحاح الحادى والخمسين من سفر ارميا ، فمعرفة المسيح بهذا الاعتبار بمنزلة معرفة الله تعالى .

وأما حلول الغير في الله أو حلول الله سبحانه فيه وكذا حلول الغير في المسيح أو حلول المسيح فيه ، فعبارة عن اطاعة أمرهما . ففى الأصحاح الثالث من الرسالة الأولى ليوحنا قوله : « من يحفظ وصاياهم يثبت فيه وهو فيه ، وبهذا نعرف أنه يثبت فينا من الروح الذى أعطانا » ومثل هذا المجاز في كلام العرب كثير ، حتى له في القرآن العظيم نظير . ومنه قوله تعالى : « وما رميت اذ رميت ، ولكن الله رمى » والعجب منهم : أنهم تصرفوا في تأويل هذه الآيات المتقدمة على ما يقتضيه هوى أنفسهم في الاتحاد ، مع أنه ظاهر البطلان . وأولوا الفارقليط بغير نبينا عليه لصلاة والسلام مع أن المراد به هو ، كما هو ظاهر لمن له عينان ، كما سنبينه في موضعه ان شاء الله تعالى .

ثم اعلم : أنهم قد يتمسكون الألوهية ببعض حالاته ، فيستدلون



على ذلك تارة أنه بلا أب ، وتارة أنه أحيا الموتى ، وتارة بأقوال بعض  
الحواريين • وهذه كلها تمسكات واهية جدا ، فكونه بلا أب لا يفيد  
الألوهية ، فهذا العالم بأسره خلق ولم يك شيئا بذكر ، و آدم عليه  
السلام خلق بلا أب ولا أم ، وحواء خلقت من ضلع آدم • ونرى في  
كل يوم حيوانات تخلق من التراب ونحوه بلا أب ولا أم • فان كان  
المخلق بلا أب موجبا للألوهية لكان آدم الها ، بل وكان « ملكى صادق »  
الكاهن الذى هو معاصر لابراهيم عليه السلام كما في الأصحاح السابع  
من الرسالة العبرانية في بيان حاله هكذا : « بلا أب بلا أم بلا نسب ،  
لا بداية أيام له ولا نهاية حياة » يفوق المسيح في كونه بلا أم ولا  
بداية له وأحيا الموتى فحز قيال - عليه السلام - أكثر منه كما في الأصحاح  
السابع والثلاثين من سفره فهو أولى وأحيا ايلياء عليه السلام ميتا  
كما في الأصحاح السابع عشر من سفر الملوك الأول ، وكذا اليعس كما  
في الأصحاح الرابع من سفر الملوك الثانى • وصدرت هذه المعجزة  
عن اليعس بعد موته عند ما ألقى الميت في قبر اليعس ، فحيى بإذن الله  
تعالى ، كما في الأصحاح الخامس من السفر المذكور • وأبرء الأبرص من  
برصه كما هو مصرح به في الأصحاح الخامس من السفر المذكور •  
وأما أقوال الحواريين فهي مأولة ان سلمنا ورودها ، والا فهي غير  
ثابتة كما ستعلمه في محله ان شاء الله تعالى •

وعلى كل حال لا يقول باتحاد البارى سبحانه مع خلقه الا ذو خيال،  
وكيف يسوى العاقل بين انراب ورب الأرباب ؟ فنعوذ بالله من كفر  
أهل الطول والاتحاد ، الذين لم يسبقهم سابق الى هذا الضلال  
والعناد • ولقد أحسن القائل :

وحاشا المسيح النبى الكريم  
ومن قبل حاعت به أمه  
بأنى عبد أتانى الكتاب  
فكيف يقول اذا ما استوى  
من القول فى أنه خالق  
رسولا • وفى مهده ناطق  
وما عاقه بعد ذا عائق  
أنا الله • والخالق الرازق ؟

## تتمة :

وإذا أحطت خبرا بما نزلنا عليك ، وعلمت الجواب المفصل عندما قربناه اليك ، فلنكمل الرد بالتنقيح في كلماته ، والتنقيح عن خزعبلانه وبيان أكاذيبه وتأويلاته الفاسدة ومحايله الكاسدة . فمن ذلك قوله : « فقال في السفر الأول من التوراة في البدء الآلهة براء السموات والأرض » وهذا ليس له أصل في التوراة . ففي التوراة التي بأيدينا المطبوعة في لندن سنة ١٨٤١ مسيحية ما نصه : « سفر تكوين الخلائق الأصحاح الأول : في البدء خلق الله السماء والارض ، وكانت الارض خاوية خالية ، وكانت الظلمة على وجه الغمر » فلمن أين فيه لفظ الآلهة ؟ ومن أين فيه الاشارة الى ما ادعاه النصراني من التثليث ؟ وكذا التوراة العبرانية ليس فيها هذا اللفظ . ونصها : « براسبه براء ايلوهيم اث هشايم وايت هارص » وتعريبها : « أول خلق الله هذه السماء وهذه الأرض » وليس فيها لفظ الآلهة كما كذب المؤلف . وكذا قوله : « لنصنع انسانا يشبهنا وصورتنا » فأى دليل فيه على أن عيسى اله ؟ فاذا قال اليهودى مثلا : ان المراد بذلك ألوهية موسى لا عيسى ، فبأى شئ يثبت أن المراد به عيسى لا موسى ؟ فان أثبت بشئ مما تقدم من شبهكم ، فقد ردت عليكم وأبطلت بالبراهين العقلية والانتقالية ، وقول اليهودى أن المراد به موسى أقرب من قولكم أنها تشير الى عيسى . لأن التوراة نزلت عليه ، فهو أولى بهذه الاشارة من عيسى ، لا سيما وقد خاطبه الله سبحانه بقوله : « جعلتك الها لفرعون » كما تقدم .

وأما قوله « يشبهنا وصورتنا » فهذا مثل قوله عليه الصلاة

---

(١) هذا حديث آحاد . وحديث الآحاد ليس . بحجة في العقائد . لأن الرواية ظهر فيهم ملون من الزنادقة وغيرهم . وقد قال حجة الاسلام الغزالي : انه قد كان يمكن أن يكون حجة ، لولا ما ظهر من كذب الرواية . (راجع المستصفي) .

والسلام : « ان الله خلق آدم على صورته (١) » فهو من المتشابه الذى يأول عند الكل تأويلا حسنا ، أو يفوض علمه الى الله تعالى كما هو المشهور ، وقد ألفت فيه كتب مخصوصة ، فليكتف فيه هنا بهذه الاشارة .

وأما قوله : « ان نون الجمع ليس المراد بها في هذه المواضع التعظيم ، بل الاشارة الى التثليث » الخ فهو كلام ساقط . لأن ارادة التعظيم أحق ممن له العظمة والكبرياء وايجاد الأرض والسماء إذ هو سبحانه الحقيق بالتعظيم والاتق بعظيم جلاله التبجيل والتكريم ، فكل لصفات العلية بالنسبة لى جنابه حقيقية ، وبالنسبة الى غيره مجازية .

ثم لا يخفى عليك ما فى باقى كلامه من انتناقض والتهافت والمكابرة ، وصرف الألفاظ عن معانيها الظاهرة المرادة . مع هذا فسنايتك أبحاث مفصلة لزيادة الرد عليها بحول الله تعالى وقوته .



قال النصرانى : « وبيان ذلك : قول موسى النبى عن الله تعالى فى التوراة التى أنزلها عليه » أن الله ترائى لابراهيم وهو فى موضع يعرف بياوط ممرا جالسا على باب خبائه . . فى وقت استحرار النهار رفع ابراهيم عينيه فرأى ثلاثة رجال وقوفا بازائه ، فبادر اليهم واستقبنهم قائلا : يا سيدى ان كنت تد وجدت نعمة فى عينيك ، فلا تتجاوزن عبدك » الا ترى أن المنظور اليه من ابراهيم ثلاثة وأن المخاطبة مخاطبة شخص واحد ، فسامهم ربا واحدا وتضرع اليه سائلا طالبا أن ينزل عنده . فعدة الثلاثة سر الأتقانيم الثلاثة وتسميته اياهم ربا واحدا لا أربابا ، سر لجوهر واحد . فهى ثلاثة بحق وواحد بحق كما وصفنا .

ثم ان موسى أخبر أن الله قل له : « اسمع يا اسرائيل الرب الهك رب

واحد» معنى ذلك • أن الله الموصوف بثلاثة أقنانيم هو رب واحد •  
• وداوود النبي يقول في المزمور الثالث والثلاثين عن الله تعالى : « بكلمة  
الله صنعت السموات وبروح فيه كل جنودها » فأفصح داوود وصرح  
بالثلاثة أقنانيم ، حيث قال الله : « وكلمته وروحه » فهل زدنا في وصفنا  
على ما قال داوود •

ثم انه قال في موضع آخر من كتابه تحقيقا بأن كلمة الله اله حق  
لكلمة الله « أسبح » فان كان داوود عندك يسبح لغير الله ، ما أظنك  
تقول هذا ؟ ثم أنه يقول في موضع آخر من كتابه : « تبارك الله اله  
تبارك الله يوما فيوما يسهله الله علينا » افداوود كان يطلب أن يبارك  
عليه اله واحد أم آلهة ثلاثة ؟ ولكنه رمز في كتابه الى ذكر للثلاثة  
أقنانيم أنها اله واحد • وقال أشعيا النبي المحمود من الله تعالى في  
الأصحاح الثامن والأربعين « منذ البدء لم أتكلم في الخفاء ، ومنذ  
زمان قبل أن يكون ، أنا هناك ، والآن الرب الاله أرسلنى وروحه »  
وهذا هو قولنا ثلاثة أقنانيم اله واحد ، ورب واحد ، لم نخرج عن  
حدود كتب الله المنزلة ولم نزد فيها ولم ننقص منها شيئا ، ولا بدناها  
ولا حرفناها كادعائك علينا بالتحريف والتبديل ، ولستنا ندع مناظرتك  
في التبديل والتحريف بما يعلم به العاقل اذا نظر في كتابنا هذا أنك  
قد ظلمتنا فيه ، بل ظلمت الحق وادعيت علينا فعلا لم نكن نفعله •  
ولا ندع تقرير ذلك عندك فيما بعد ان شاء الله تعالى » •



اقول وبالله سبحانه التوفيق : في هذا الكلام فصول :

## الفصل الأول

في قوله : « وبيان ذلك قول موسى الخ » فهذا النقل مع أنه محدودة ،  
الآخر ومغير بعض كلماته عن التوراة التي عندى المطبوعة في لندن  
سنة ١٨٤١ لا يجد به نفعاً لمسألة التثليث كما سنبينه ان شاء الله  
تعالى ، فنذكر ذلك بحروفه أولاً لكيلا يخفى تمويهه على كل منتهد  
بصير .

**قال في الاصحاح الثامن عشر من سفر التكوين من التوراة ما نصه :**  
« فترأى الرب له في وطاء ممرا ، وهو جالس على باب خيخته في وقت  
الظهر ورفع عينيه ، فظهر له ثلاثة رجال قياما يفربه ، فلما نظرهم  
أسرع للقائهم من باب الخيمة وسجد الى الأرض . وقال يا رب ان  
كنت قد وجدت نعمة أمامك فلا تتجاوز عتدك فانى آتى بظليل ماء  
وتغسلوا أرجلكم وتستريحوا تحت هذه الشجرة ، وأضع كسرة خبز  
واسندوا قلوبكم ثم تجوزون اذ أنتم ملتم الى عبدكم . فقالوا له :  
افعل كما قلت فأسرع ابراهيم الى الخباء الى سارة ، وقال لها : اسرعى  
اعجنى ثلاثة أكياس دقيق ، واصنعها ملة . وهو فأسرع الى البقر  
وأخذ عجلا خصيا جيدا جدا وأعطاه لعلامه فصنعه سريعا وتناول  
سمنا ولبنا والعجل الذى عمله ووضع قدامهم وهو كان قائما بقربهم  
تحت الشجرة ، ولما أكلوا قالوا له أين سارة زوجتك ؟ فأجاب قائلاً  
ها هى ذى فى الخيمة : فقال له : انى راجع اليك فى هذا الوقت والحياة  
باقية ويكون لسارة زوجتك ابن . وسمعت سارة ذلك فضحكت ، وهى  
خلف باب الخيمة ، وكان اثناهما قد شاخا وقد طعنا فى السن ، وكان  
قد انقطع عن سارة ما يكون للنساء . فضحكت سارة سرا قائلة فى  
نفسها : أمن بعد ما طعنت بالسن وسيدى قد شاخ أن أعود الى التتعلم ؟  
فقال الرب لابراهيم : لم ضحكت سارة قائلة أترى أنى ألد بالحيتية  
وأنا قد عجزت ؟ هل على الله أمر عسير ؟ » ا . ه

فانظر أولاً الى هذا التبديل والتغيير فى الفاظ التوراة فان النصرانى

قال يعرف ببلوط ممرا وفي النسخة التي عندنا وطاء ممرا ، وقال جالسا  
وفي نسختنا وهو جالس ، وقال : استحرار النهار وفي نسختنا الظهر •  
وقال ورفع وفي نسختنا رفع ، وقال فرأى ثلاثة رجال وقوفا بازائمه  
فبادر اليهم واستقبلهم قائلا : يا سيدي ان كنت وفي نسختنا فظهر له  
ثلاثة رجال قياما بقربه ، فلما نظرهم أسرع للمقائهم من باب الخيمة  
وسجد الى الأرض ، وقال يا رب ان كنت ، وقال النصراني نعمة في  
عينيك وفي نسختنا نعمة أمامك ، ثم انه حذف آخر الآيات التي فيها  
ان ابراهيم قال : أتى بقليل ماء وتغسلوا أرجلكم وتستريحوا تحت هذه  
الشجرة وأضع كسرة خبز واسندوا قلوبكم ، ثم تجوزون • ثم انه  
فعل بهم كما قال يعنى فغسل أرجلهم وأطعمهم •

فباليات شعري كيف يكون للرب رجل تغسل من التعب ، وجوفه  
يجوع ويمتلىء طعاما ؟ وكيف يكون الرب ثلاثة أشخاص وذا أجزاء ؟  
وكيف كان للباري سبحانه ستة أرجل وستة أيدي وثلاثة بطن وألسن  
ورءوس ، ثم كيف تكون الثلاثة لها واحدا ؟ فهل هذا الادعاء  
لا سفسطة وتناقض وهذيان وجنة • فنعوذ بالله من الخذلان • وكيف  
تكون هذه العبارة هي وأشباهاها المنقولة من التوراة المحرفة المبذلة  
المغيرة المأولة دايلا على هذه المسألة العظمى العائدة الى ذات الباري  
سبحانه عما يقول الظالمون • على أنا سنذكر ونثبت تحريف التوراة  
والانجيل وتأويل ما ورد موهما للتجسيم والتثبيث في محله ان شاء  
الله تعالى •

واذا نظر العاقل بعين بصيرته دون عين هواه الى أمثال ذلك ، يجده  
كما قال المسلمون من تبديله وتأويله ، على أن ظاهر الكلام وباطنه  
يناديان بصد ما ادعاه هذا النصراني ، فكثيراً ما يطلق في التوراة  
وغيرها مثل هذا الكلام ويراد به المجازي ملائكة الرب سبحانه على  
نحو بنى الأمير المدينة ، وقوله تعالى : « واسأل القرية » • وهذا أكثر  
من أن يحصى على أنه ليس في التوراة أن الرب جاء ، بل فيها كما  
تقدم فتراء الرب له في وطاء ممرا فظهر له ثلاثة رجال قياما بقربه •

غأى دلالة في هذا أن الرب جاء وصار ثلاثة رجال ؟ وان صحت العبارة فيمكن حملها على أن الرب تجلى له أو أوحى له أو ترائى له ملائكة الرب ، وكيف يجهل ابراهيم أن ربه لا يأكل ، فاذا كان ابراهيم علم أن هذه الثلاثة آلهته ، وأنها اله واحد ، فكيف يعرض عليهم الأكل ؟

وهذه القصة قد حكاها البارى عز وجل في كتابه الكريم في سورة هود ، قال تعالى : « ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبرى ، قالوا سلاما . قال : سلام . فما لبث أن جاء بعجل حبيئذ ، فلما رأى ابيهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة . قالوا : لا تخف اما أرسلنا الى قوم لوط . وامراته قائمة فضحكت ، فبشرناها باسحق ، ومن وراء اسحق يعقوب . قالت : يا ويلتى ءألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ؟ ان هذا لشيء عجيب . قالوا : أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد .

فانظر أيها المنصف الفرق بين القران العظيم وبين عبارة التوراة في هذه القصة الواحدة ، من قوة الألفاظ وصحة المعنى المقبول عقلا ونقلا . ففي القران الكريم أنهم ملائكة على صورة البشر ، وفيما نقله عن التوراة أنه الله سبحانه بزعمه وانقسم ثلاثة أشخاص وأنهم غسلوا أرجلهم وتعبوا وجاعوا وأكلوا وأسندوا قلوبهم بكسرة خبز فهل يقبل العقل والنقل ما نسبه للبارى سبحانه ؟ ولا بأس اذا تشككت الملائكة بصورة البشر(١) وجرى عليها ما يجرى على البشر كما ورد في التوراة في أماكن كثيرة .

قال المفسرون : جاءت الملائكة الى ابراهيم على صورة الغلمان

(١) الملائكة يتصلون ببني آدم للخير أو للشر . وهم الأجسام الفورالية أما الجن المؤمن أو الكافر فلا صلة له بالبنة ببني آدم . والذي له صلة بالسوسنة والظهور للدمى والتعاون معه على الشر هم الشياطين . ولا يحدث زواج بين بني آدم والجن . لانه يحتاج الى اشهاد وثبوت نسب أولاد ، وحصانة الزوج أو الزوجة من الزنا ، وهذا يتعذر اثباته في الجن . وقد امتن الله بقوله : « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا » ولم يقل من أنفس الجن أو الشياطين اما الزنا فانه واقع بين بني آدم والشياطين . لا الجن .

في غاية الحسن والبهجة وهم جبرائيل واسرافيل وميكائيل • وانما لم يسند اليهم الارسال بل أسند اليهم المجاء لأنهم لم يكونوا مرسلين اليه عليه السلام بل الى قوم لوط عليه السلام ، وانما جاءوه لداعية البشرى ، فما أبطأ ابراهيم أن جاء « بعجل » وهو ولد البقرة « حنيذ » أي سمين يقطر ودكه ، وقيل المشوى « فلما رأى » ابراهيم « أيديهم لا تصل اليه » أي لا يمدونها الى العجل المشوى كما يمد يده من يريد الأكل نكرهم ، أي وجدهم على غير ما يعهد لأن عادتهم أن الضيف اذا نزل عليهم ولم يأكل من طعامهم ظنوا أنه قد جاء بشر ولم يأت بخير « وأوجس منهم خيفة » أي أحس في نفسه خوفاً وفزعاً ، وكأنه ظن أنهم قد نزلوا به لأمر ينكره أو لتعذيب قومه • « قالوا لا تخف » • فلعلهم استدلوا على خوفه بامارات كظهور أثره على وجهه ، ثم عللوا نهيهم عن الخوف بقولهم : « انا أرسلنا الى قوم لوط » ولوط ابن أخيه هاران • وهو أول من آمن به ، وامرأته سارة ابنة عمه كانت قائمة عند تحاورهم وراء الستر تسمع كلامهم • وقيل كانت تخدم الملائكة - فضحكت متعجبة أو سرورا من البشارة بالولد ، وهي ابنة ثمان وتسعين سنة ، و ابراهيم ابن مائة سنة أو أكثر فبشرت بأنها تعيش حتى ترى من وراء اسحق ولده يعقوب ، وقد رأته •

ثم قال تعالى : « فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى » أي بالولد أو بقولهم : لا تخف « يجادلنا في قوم لوط » أي يجادل رسلنا • ومجادلته لهم أنه سمع قولهم « انا مهلكو أهل هذه القرية » وهي قرية قوم لوط • قال رأيتم ان كان فيها خمسون من المسلمين أتهلكونهم ؟ قالوا : لا • قال : فأربعون ؟ قالوا : لا قال : فثلاثون ؟ قالوا : لا • قال : فمئتين ؟ قالوا : لا • قال : فواحد ؟ قالوا : لا • « قال : ان فيها لوطا » قالوا : « نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله » فهذا معنى مجادلته في قوم لوط أي في شأنهم لأن العبد لا يقدر أن يخاصم ربه وان كان نبيا •

ثم ان العجب المجيب : استدلاله أيضا على الثلاثة اتانيم بقوله :



« ثم موسى أخبر أن الله قال له : اسمع يا اسرائيل الرب الهك رب واحد » قال : ان معنى ذلك أن الله الموصوف بثلاثة أقانيم هو رب واحد »

فهو دليل عليه بالوحدانية لا بالثلاثية . فكيف قلب الموضوع وجعل ما يكون دليلا عليه دليلا له ؟ فهل هذا الا من الخرافات وأثرهات فانه لو سمع هذا الكلام أجهل الناس لعلم منه أن المراد أن اله موسى واحد غير متعدد . وليت شعري من أين علم أن الله سبحانه أراد ذلك ؟ وكيف أتى بهذه الزيادة من تلقاء نفسه ؟ ولم لم يبينها موسى عليه السلام لبني اسرئيل حتى يأتي « عبد المسيح » فينشرها في عداد ما افترى من الأباطيل ؟ فأين هذا النصراني عن أمره بالانصاف ثم يركب مطية العناد والاعتساف ويروق عباراته بالكلمات التي يدعى بها طلب النصفة ويألف أدلة شعارها الترمويه وديثارها انكفة ، ليروج كلامه على النصراني المساكين ، ويزخرف كتابه بالأكاذيب ، لظن أن يخفى على غير المطلعين ، وييهرج افكه ليروج بزعمه على غير النقادين . ومن يضل الله فليس له هاد من الناس أجمعين .

## فصل

وأما قوله : « وداوود النبي يقول في المزمور الثالث والثلاثين عن الله تعالى : « بكلمة الله صنعت السموات وبروح كل جنودها » فأفصح داوود وصرح بالثلاثة أقانيم حيث قال الله وكلمته وروحه » .

فهو وهم ظاهر لأن هذا في لرموز الثاني والثلاثين لا في الثالث والثلاثين . وفي النسخة التي عندنا ما نصه : « امتلأت الأرض كلها من رحمة الرب بكلمة الرب تشددت السموات ، وبروح فيه كل قوتها ، الى أن يقول داوود في هذا المزمور : « الذي هو وحده خلق قلوبهم وعلى اسمه القدوس اتكلنا » فأنظر الى حذفه ما هو عليه وتغييره للألفاظ وسهوه في المحل وخطأه الظاهر في تعيين الأغراض ويقتضى على زعمه في معنى كلام داوود عليه السلام : أن تكون الآلهة أربعة بل

خمسة ، لأنه قال : رحمة الرب • وكلمة الرب وبروح فيه ، وعلى اسمه  
لقدوس اتكلت ، فالرحمة اله أول ، والرب اله ثان ، والكلمه اله  
ثالث ، والروح اله رابع ، والقدوس اله خامس • فصارت الأقميم  
خمسة • وهذا لا يخفى على ذى عينين أو أحول يجعل الواحد اثنين •  
وأين قلب هذا النصرانى عن قول داوود هنا « وحده خلق قلوبهم » ؟  
واذ كان داوود علم أن الآلهة ثلاثة واثلاثة اله • فعيسى جزء من الآلهة،  
فلم لم يخبر بنى اسرائيل أن الههم وربهم متعدد ، وأن جزء الاله  
أو الواحد من الآلهة حامته اذ ذلك فى صلبه وأنه سيكون من ذريته ،  
لأن النصرانى مسلم أنه ابن مريم ، وأنها من ذرية داوود • فهل هذا  
القول عند كافة أنخلق الا مذهب مردود مردول لا تقبله ربات الحجول  
فضلا عن كاملى العقول ؟

ولعمري ان رهبان النصرارى وقسيسهم اذا أنصفوا ورجعوا انى  
أنفسهم بعد اطلاعهم على كلام هذا النصرانى الملقق المختلق وأدلتته  
التي هى عندهم من أعظم الأدلة وليس عندهم غيرها ، وان كانت كهبال  
القمر ، فلا يبسعهم ان ذكروا موقفهم عند الله سبحانه وسؤاله اياهم ،  
الا ترك اعتقاد التثايت واتباع النبى الأمين ﷺ وعلى سائر النبيين ،  
غير أن حب الرئاسة وشغفهم بالدنيا المتى هى كالكناسة استوليا على  
قلوبهم ، وصار ذلك رانا على أفئدتهم حتى حجبهم عن الايمان بالقرآن  
العظيم وسيد الأكوان •

## فصل

وأما قواه : « وقال أشعيا النبى المحمود من الله تعالى فى  
الأصاحح الثامن والأربعين » الى آخره • فهو ينظأره السابقة التى  
هى أوهن من بيت العنكبوت استدلالا وتغيرا • ولنذكره حسبما هو فى  
النسخة المطبوعة فى لندن قال ما نصه : « لتقدموا الى واسمعوا هذا :  
انى أنا منذ البدء أنست أتكلم فى الخفية ، منذ زمان ، قبل أن يكن • أنا  
فيه • والآن الرب الاله أرسلنى وروحه » •

فانظر الى اختلاف النسخ ، وان كان فى بعضها لا يختلف المعنى

باختلاف الألفاظ ، غير أن الاختلاف الجزئى يدل على وقوع الأحناب الكلى ، الذى تختلف به المعانى المقصودة • وسنبين ان شاء الله تعالى تفصيل التحريف والتبديل الواقعين فى كتبهم •

**وأما استدلاله بما فى هذا الأصحاح على التثليث فهو تعلق بحبال القمر كتنظيره المتقدم ردها ، ويقتضى أن يكون الاله على زعمه أقتومين أيضا •** ففى الأصحاح ما نصه : « فحكى مع اثرب وعلمى مع الهى ، والآن يقول الرب مصورى من البطن عبد آله لأرجع يعقوب اليه ، واسرائيل لا يجتمع ، وتمجدت بعينى الرب ، والهى صار قوتى » وفى هذا الأصحاح أيضا : « هكذا يقول الرب الاله هأنذا أرفع الى الأمم يدي » • اذ ذكر الرب والاله فصار البارى تعالى أقتومين ، وفى ثقله الأول على زعمه : كان ثلاثة لأنه قال الرب والاله وروحه فعحبا • كيف يكون مرة أقتومين ومرة ثلاثة أقتومين ، ومرة أقتوما واحدا ؟ حيث كثيرا ما يطلق فى كتبهم لفظ الاله فقط أو الرب فقط كما فى الأصحاح الخمسين : « هكذا يقول الرب : ما هذا كتاب الطلاق ؟ » فهل هذه الأدلة التى يذكرها الا أدلة عليه لا له ، عند كل ذى لب وانصاف ؟

**وأما استدلاله باطلاق الكلمة والروح على عيسى عليه السلام** فاستمع الجواب الشافى الكافى من أهل التوحيد والاسلام . والحمد لله الواحد الأحد العلام •

**قال اللغويون والمفسرون : تطلق الكلمة على المقول المفرد كزيد** مثلا ، وعلى الجمل المفيدة المركبة كلاله الا الله محمد رسول الله • فانها تسمى كلمة التوحيد وقوله تعالى : « واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمونه » هى الأسماء التى امتحن الله سبحانه ابراهيم بها من ذبح ولده والختان وغيرهما • وقوله تعالى : « وكلمته ألقاها الى مريم » وقوله تعالى : « يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه » سمي عيسى كلمة لكونه موجدا بكن فى قوله تعالى : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون » وذلك لكونه على

خلاف أفراد بنى آدم ، فكان تأثير الكلمة في حقه أظهر وأكمل ، فهو كقولك لمن غلب عليه الجود مثلا : محض الجود • وقيل : لا هتداء • الناس به كاهتدائهم بكلمات الله • وقيل : سمى بها لما خصه الله تعالى له في مهده في صغره ، حيث قال وهو في مهده : « انى عبد الله اتانى الكتاب » وقيل : أطلق عليه ذلك لأن الله تعالى بشر به في الكتاب المسالفة ، ففي التوراة في الأصحاح العشرين من السفر الخامس : « أقبل الله تعالى من سيناء ، وتجلى من ساعير ، وظهر من جبال فاران » وسينا جبل التجلى لموسى ، وساعير جبل بيت المقدس وكان يتعبد فيه عيسى ، وفاران جبل مكة وكان المتحدث فيه سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا كقول من يخبر بالأمر اذا خرج موافقا لما أخبر به : قد جاء كلامى •

والروح : اسم للنفس وقوله تعالى : « اذ مال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » فاضافته تعالى الى نفسه اضافة ملك ، وتخصيصه تشريف له وتعظيم ، كقوله سبحانه : « وطهر بينى للطائفين » وسمى اشراف الملائكة ارواحا نحو قوله تعالى : « يوم يقوم الروح والملائكة ديفا » وقوله تعالى : « تعرج الملائكة والروح اليه في يوم » وسمى جبرئيل عليه السلام روحا في قوله تعالى : « نزل به روح الأمين » و « أيدناه بروح القدس (١) » وسمى عيسى عليه السلام روحا في قوله تعالى : « انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته أنقأها الى مريم وروح منه » وذلك لما كان من احيائه الأموات باذن الله تعالى • وسمى القرآن روحا في قوله تعالى : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا » وذلك لكون القرآن سببا للحياة الأخروية الموصوفة في قوله تعالى : « وان الدار الآخرة لهي الحيوان » •

### تتمة وايضاح

قال العلامة ابن قيم الجوزية في كتاب الروح « ان الروح ورد في

(١) المقصود بروح القدس — على رأى — هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح • لأن الانبياء كلهم مؤيدون بجبرئيل عليه السلام •

انقرآن عنى عدة أوجه أحدها : الوحي كقوله تعالى « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا » ثانيها : القوة والتببات والتحصرة التي وُيد بها من يشاء من عباده المؤمنين • كقوله تعالى : « ولئن كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه » ثالثها : جبريل عليه السلام كقوله تعالى : « نزل به الروح الأمين على قلبك » وقوله تعالى : « قل نزله روح لقدس » رابعها : الروح التي سئل عنها اليهود فأجابوا بأنها أمر من أمر الله تعالى على القول المشهور : كما سيجيء ان نساء الله تعالى ترجيحه عند تفسير هذه الآية حينما يعرض عليها هذا النصراني • رابعها : زمرة من الملائكة كقوله تعالى : « يوم يقيم الروح والملائكة صفا » خامسها : المسيح عليه السلام قال تعالى : « انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه » •

فان قيل : اذا كان النفخ حصل في مريم من جهة الملك كما ورد في انقرآن الكريم عندما تمثل لها بشر فكيف أضاف الروح اليه سبحانه في قوله تعالى : « والى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا » ؟ وما خاصية المسيح اذا كان النفخ من الملك الذى ينفخ الأرواح فى سائر البشر ؟

وقوله تعالى فى آدم عليه السلام : « فاذا سويته ونفخت فيه من من روحى » ثم أضيفت الروح اليه سبحانه ، فهل تعلق الروح بآدم بواسطة نفخ هذا الروح الذى نفخها فيه بأذن الله تعالى كما نفخه فى مريم ، أم الرب تعالى هو الذى نفخها فى نفسه سبحانه •

فالجواب : أن الروح الذى نفخ فى مريم هو الروح المضاف الى الله تعالى ، وهو روح خاص من بين سائر الأرواح • وليس بالملك الموكل بالنفخ فى بطون الحوامل : فان نفخته لما دخلت فى فرجها كان ذلك بمنزلة لقاح الذكر للأنثى من غير أن يكون هناك وطم • وأما ما اختص به آدم فهو أنه لم يخلقه كخلقة المسيح من أم ولا كخلقة سائر النوع من أب وأم ، لا كان الذى نفخ الله تعالى فيه منه هو الملك الذى ينفخ

الروح في سائر أولاده • فالنفخ الذي حصل في فرج مريم مفعول من مفعولاته ، فإضافة الروح إليه سبحانه في آية آدم وآية مريم ، من الإضافة الخاصة لا من العامة ولأ من باب إضافة الصفات ، لأن المضاف إلى الله تعالى نوعان • صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم والقدرة ونحوهما ، وإضافة أعيان منفصلة كالبيت والعبد ونحوهما ، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه ، لكنها إضافة تقتضى تخصيصاً أو تشريهاً يتميز المضاف به عن غيره كبيت الله • وإن كانت البيوت كلها ما كاله ، فالإضافة العامة تقتضى الخلق والإيجاد ، والخاصة تقتضى الاختيار ، والله يخلق ما يشاء ويختار مما خلقه » •

إذا عنمت جميع ما تقدم فاستدل بالانصراني على أوهية عيسى عليه السلام من القرآن الكريم أو من الكتاب السماوية باطلاق الكلمة أو الروح استدلال باطل ، لأن الكلمة في القرآن أطلقت على أشياء كثيرة كما مر آنفاً فمنها ما في قوله تعالى : « وكلمة الله هي الأولى » ، وكلمة الذين كثروا السفلى » وقوله تعالى : « لا تبديل لكلمات الله » وكذا الروح التي في آدم قال تعالى فيه : « ونفخت فيه من روحي » كما تقدم فما هذه الأدلة منه لاعتناء الله تعالى عنه الا سراب وافتراء على رب الأرباب • ولعل لنا عودة ان شاء الله تعالى إلى هذه الأبحاث زيادة في الجواب فيما يناسب المحض من هذا الكتاب ، والله سبحانه الهادي إلى صوب الصواب •

ثم أعلم : أن « المسيح » قيل اسمه أقوله تعالى : « اسمه المسيح عيسى ابن مريم » والمشهور : أنه لقبه • وهو من الألقاب المشرفة كالفاروق وأصالة بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك • وعن عمرو بن العلاء الملك • وعيسى معرب يسوع • ومعناه السيد • وعن كثير من السلف : أن المسيح مشتق من المسح • واختلفوا في وجه اطلاقه على عيسى عليه السلام فقيل : مسح بالبركة واليمن • وقيل لأنه كان يمسح عين الأكمه فيبصر باذن الله تعالى ، وقيل لأنه كان لا يمسح ذا غنمة بيده الا برىء • وقيل : لأنه كان يمسح بدهن زيت بورك فيه ، وكان

الأنبياء تتمسح به • وقيل : لأن جبرئيل مسحه يحنأه وقت الولادة ليكون عوده من الشيطان الرجيم • وقيل لأنه حين مسح الله تعالى ظهر آدم عليه السلام فاستخرج منه ذرات ذرات ذريته لم يرد لها إلى مقامه ، كما فعل بباقي الذرات بل حفظه عنده حتى ألقاه إلى مريم ، فكان قد بقي عليه اسم المسح أي الممسوح • وقيل غير ذلك •

وهذه الأقوال تشعر بأن اللفظ عربى لا عبرى • وكثير من المحققين على الثانى • وأما المسيح الدجال فعربى أجماعا ، وسمى به لأنه مسحت إحدى عينيه ، أو لأنه يمسح الأرض أى يقطعها في المسحة القليلة (١) •



**قال النصراني :** « ولنرجع الآن إلى كلامنا ولا نخرج منه حتى نستوفيه ونوفيك الشهادات من كتب الله المنزلة ، ومن ديوان أسرار المقدسة على صحة قولنا وحققنا الذى بأيدينا وصدق منهاجنا ، ونستعين بالله على ذلك ثم وصف أشعيا النبى أن الله عز وجل تراءى له والملائكة حافون به مقدسون له قائلين قدوس قدوس قدوس رب الجنود ، مجده مملأ كل الأرض ( أشعيا ص ١٤٦ - ٣ ) : بقديس الملائكة ثلاث مرات واقتصارهم على ذلك بلا زيادة ولا نقصان سر لا قديسهم الأقانيم الثلاثة لها واحدا وربا واحدا • وهذا شأنهم منذ خلقوا إلى أبد الآبدين بلا انقطاع لذلك ولا غاية ولا منتهى • ولو شئت من أمطر عليك الشهادات من الكتب المقدسة المنزلة بالتصريح والاجتهاد في القول في أن الله جل وتعالى واحد ذو ثلاثة أسماء ففعلت ذلك • لكنى أكره التويل ، فاقصرت على ما كتبت •

ولما ذكرته في كتابك من أنك درست كتب الله المنزلة حق دراستها •

راجع في هذا الموضوع موضوع لم سمي المسيح مسيحا ؟ كتابنا المسيا المنتظر نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة •

ثان كنت قد درستها كما ذكرت ، فقد استدللت بسير ما كتبت به اليك على كثرة ما في كتب الله المنزلة من أسرار أقدانيمه وتوحيده ، فأنا أبناك الله أدعوك بعد هذا الشرح والبيان الذي قد أوضحت لك وكشفته بين يديك وصح عندك وفي ذكرك ورضى به عقاك الي عبادة هذا الواحد الذي قد شرحت لك ، كيف هو واحد ثلاثة وثلاثة واحد وليس كدعائك اياي الي أمر مدغم مبهم • مجهول غير معقول ، فاستعمل أنا الله عقاك وقلبك ما ضمنته عن نفسك ، فان الوفاء من الله بمكان وينبغي لك أصلحك الله ان تميز الكلام وتعلم كيف مخارجه ولا تعسف معانيه ، وليس دعائي اياك الا الي الله الواحد الذي هو ثلاثة أقدانيم كامل بكلمته وروحه ، واحد ثلاثة وثلاثة واحد • ومن هذه الجهة ليس هو ثالث ثلاثة كما شنع في القول علينا صاحبك اذ قال: « لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ، وما من اله الا اله واحد ، وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ، أفلا يتوبون الي الله ويستغفرونه والله غفور رحيم » ( مائدة ٧٧ و٧٨ ) •

فهذا قول صاحبك • ولقد كنت أحب أكرمك الله أن أعلم من هؤلاء الذين يقولون : ان الله ثالث ثلاثة آمن فرق النصرانية هم أم لا ؟ وأنت فقد ادعت معرفة الفرق الثلاث • وهي لعمرى الفرق الظاهرة • نهل تعام أن أحدا منهم يقول ان الله ثالث ثلاثة ؟ فما أظنك تعرفه ولا نحن نعرفه أيضا • اللهم الا أن يكون أراد سفا يسمون المرتونية فانهم يقولون بثلاثة أكوان يسمونها آلهة متفرقة ، فواحد عدل وآخر رحيم وآخر شرير ، وليس أولئك نصارى ولا يسمون بهذا الاسم ، فأما أهل النصرانية فكل من ينتحل هذا الاسم فهو برىء من هذه المخالفة جاحد أنها كافر بها • وانما قولهم ان الله واحد ذو كلمة وروح من غير افتراق • وقد أقر صاحبك بهذا اذ حثكم على الايمان بالسيح سيد العالم ومخلص البشر ، وأمركم بذلك ودعائم اليه بقوله : « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكانته القاها الي مريم وروح منه ،



فآمنوا بالله ورسله • ولا تقونوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم ، انما لله اله واحد » ( نساء ١٦٩ ) •

فأفهم كيف أوجب أن الله تبارك وتعالى ذو كلمة وروح وصرح بأن المسيح كلمة الله تجسدت وصارت انسانا فهل يكون من البيان والشرح أو من الايضاح والتصريح أكثر من هذا ؟ ثم ختم بقوله : « ولا تقولوا ثلاثة » آلهة أو يتوهم ذلك عن الله جل وعز بل « انتهوا » عنه ، فإنه لعمري خير لكم ألا تقولوا بمقالة « مركيون » الكتاب الجاهل انهما ثلاثة آهة ، فقد شرحت لك أكرمك الله كيف مذهبنا ، ومعنى قولنا : ان الله واحد ذو كلمة وروح واحد ذو ثلاثة أقانيم ، وقو أوضحته انضاحا يكون فيه لك ولكل من نظر في جوابنا كفاية ونفع ، اذا لطف النظر ، ودقق الذكر ، ونصح لنفسه ان شاء الله تعالى » •



فأقول : لما كان هذا النصراني يكرر كلامه وشبهه الفلاسفة بلا فائدة في ألوهية عيسى عليه السلام ويناقض عبارته في ذلك حيث يقول الاله واحد ، ثم يقول : ثلاثة وكابر ويدعى انه هو واحد ثلاثة وثلاثة واحد ، ورددناه فيما تقدم بحمد الله سبحانه ببراهين ترتضيها أصحاب العقول ، وتحريير مؤيد من الكتاب السماوية مقبول ، ائزم علينا أيضا أن نكرر ابطال التثليث بعبارات مختلفة الألفاظ متعديدة المعاني والأغراض بعد الكلام على بعض كلماته ، وتزئيف سيء اشارته : فأما قوله : « ثم وصف اشعياء النبي » الى آخره فيقال له : ان هذه رؤيا أشعياء وأنت قد موت بظاهر كلامك أن الله عز وجل ترى له لحظة • وهى فى الأصحاح السادس من نبوة أشعياء بعد قص الرؤية ونصها : « وكان فى السفعة التى مات فيها أو رؤيا الملك رأيت الرب جالسا على كرسى عال مرتفع ، وما كان من تحته يمنع الهيكل • والساروفيم قراما حوله ، ستة أجنحة للواحد ، وستة أجنحة للواحد ، بجناحين يستران وجهه ، وبجناحين يستران رجله ، وحين كانا يطيران ( م ١٥ - الجواب الفسيح )

ويصرخان الواحد الى الآخر ويقولان : قدوس قدوس قدوس الرب  
اله الجنود كل الأرض مملوءة من مجده » •

على أن ذلك لو كان يقظة فأى دليل نك عليه على التثليث ؟ وهل  
يستدل به عاقل على ذلك ؟ وأى مذاسية بين تكرير لفظ التسبيح وبين  
تعديد الأقانيم ؟ على أن اخر الكلام دافع لهذا المرام ، إذ يقول :  
« الرب انه اللجنود » أى لا غيره • وعيسى غيره بالبداهة وبالادلة  
السابقة والآتية الملاحقة ، على أنه لو كان المراد ذلك تقال أشعياء  
لبنى اسرائيل : ان هذا الأتكرار اشارة وشهادة لعيسى الاله ابن داوود  
الذى يولد بعد سنين عديدة من مريم ويأكل ويشرب ويلحقه ما يلحق  
الانسان من العوارض ويصرب ويصلب ، فانه اله واليهكم واله آبائنا  
وآبائكم ، وهو الذى خلق اليهود ثم يصابونه ، فان أشعياء لا يمكن  
أن يجهل ذلك ولا يمكنه بعد العلم الكتمان ولحذرهم أشعياء من قتل  
ربهم ورب آبائهم الأولين •

وأما قوله : « ولو شئت أن أسطر عليك الشهادات » الى آخره  
فقال له أنت لم تأت بشاهد واحد واضح بالحق ، فكيف تمطر شهوداً  
لشهود ذلك على ما يناقض بعضه بعضاً وتآباء العقول وينكسر  
العبان والحس ؟ فكيف تأتى بشاهد يشهد أن الثلاثة واحد والواحد  
ثلاثة حتى يصير ضحكة للعقل ؟ مع أن الكتب السماوية والأناجيل  
ترد كلامك كما بيناه فى أماكن عديدة •

وأما قوله : « ولايس كدعائك اياى الى أمر مدغم مبهم مجهول غير  
معقول » الى آخره • فقوله يوجب الأسف على القائل والضحك من  
جهة على ترهات هذا القائل ، إذ كيف يكون القول بأن الواحد ثلاثة  
والثلاثة واحد أمراً معقولاً بزعمه ، ويكون القول بأن الله سبحانه  
واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد لا أول  
ولا آخر ولا معين ولا وزير ولا ناصر ولا شبيه له ولا مكان له ،  
ولا يحل به حادث ولا يمضى عليه زمان انتهى القادر العظيم الرب

المتكلم الخالق الباري الصور عالم الغيب والشهادة الذي  
ييس كمثلته شيء وهو السميع البصير ، أمرا مدغما مجهولا غير  
مقول ؟ فهل هذا الذي ادعاه « عبد المسيح » الا امر لا يخفى بطلانه  
وتناقضه على ربات الحجول .

على أن النصارى صرحوا في كتبهم أن التثليث أمر وراء طور العقول،  
وأنهم آمنوا به وان لم تتصوره عقولهم ، تسليما للمنقول . فقد قال  
النصراني في ميزان الحق بعد أن قال : أن المسيح اله وابن الله حقيقة ،  
يا . هو الله لا محالة ما نصه : « ولعل معترضا يقول : هل الاعتقاد  
بالوهية المسيح لا يناقض الاعتقاد بوحدانية الله ؟ فنجيبه : اننا من  
الانجيل نستدل على أن الوهية المسيح لا تناقض وحدانية الله الذي  
هو واحد لا شريك له ولا مثل له ، وأن الاعتقاد بها لا يدخل  
بالاعتقاد بتلك ، ولا ريب بأن الإنسان يعجز عن ادراك هذه الحقيقة  
العويصة الغامضة لأنها من الأسرار الالهية التي علمها مختص بالله  
وحده جات قدرته ، والعقل البشري لا تمكن الاحاطة بالأسرار  
الالهية » .

ثم العجب منه أن يمتزف بأن الله ثلاثة ثم يناقض قوله وينكر ذلك،  
مع ان كتب النصارى طافحة يتعدد الأشخاص . فقد نقل صاحبنا  
العلامة الشيخ رحمت الله الهندي سلمه الله تعالى في كتابه اظهار الحق  
عن صاحب ميزان الحق أنه قال في الصفحة الخامسة بعد المئة : « ونحن  
لا نقول : ان الله ثلاثة أشخاص أو شخص واحد ، بل نقول بثلاثة  
آقائهم في الوحدة وبين الأقانيم الثلاثة وثلاثة أشخاص ، بعد السماء  
والأرض » قال : « وهذه معالطة صرفة لأن الوجود لا يمكن أن يوجد  
بدون التشخيص ، فاذا فرض أن الأقانيم موجودون وممتازون  
بالامتياز الحقيقي ، كما صرح هو بنفسه في كتبه ، فالقول بوجود  
الأقانيم الثلاثة هو بعينه القول بوجود الأشخاص الثلاثة ، على أنه  
وقع في الصفحة التاسعة والعشرين من كتاب الصلاة الذي هو رائج  
في كنيسة انكرا ، وطبع هذا الكتاب في لسان الأوردواي الهندي في

سنة ١٨١٨ ع ما ترجمته : « أيها الثلاثة المقدسون والباركون والعاونون منزلة الذين هم واحد » يعني ثلاثة أشخاص وأنها واحدا « ارحمنا يا المنشرين المذنبين » فوقع فيه ثلاثة أشخاص صريحا .

وكذلك مملوءة بعبارات مصرحة بأن عيسى ابن الله ، وأنه الله ، وأن مريم أم الله ، وزوجة الله ، ويسجدون لها ولصورتها السجود المحرم في كتبهم لغير الله ، كما يسجدون لله . وهذه سورة صلواتهم لها من كتبهم تزيدك يقينا فيما قلناه عنهم ففي كتاب الثلاث عشر رسالة المطبعة في بيروت سنة ١٨٤٩ مسيحية في الكتب الرومانية هذه الصلاة نريم العذراء ونصها : « يا خطيبة مختارة من الله يا أيتها المستحقة

الاحرام فوق الجميع والمستحقة المحبة قبل الجميع ، يا باب السموات يا من هي الخلاص والسعادة الحقيقية يا تعزية الحزونين ، يا ملكة السموات التي جميع الملائكة يسجدون لها ، وكل شيء يسبحها ويكرمها ، حسى لأجلنا خلصينا يا أيتها الملائكة من كل شر من كل تجربة من غضب الله وسخطه ، من قطع الرجا . خلصينا من الكبر والبخل والغضب والحسد ، خلصينا في ساعة الموت وفي يوم الدين من عذابات جهنم

الشديدة ، نتضرع اليك ان تسرى وترضى بأن تحفظي الكنيسة المقدسة وجميع الشعب المسيحي ، فاستمعينا يا أم الله يا ابنة الله يا خطيبة الله ، يا سيدتنا ارحمنا واعطينا السلام الدائم يا أم النعمة يا سرور البائسين الأشقياء بأنوار الكنيسة لك نسجد لك فرث تسابيح من صميم قلوبنا انت خلاصنا وفرجنا في وقت الضيق

وامثال هذا كثير في كتابهم المسمى . بمزامير العذراء . فانظر الى صقاعتهم فمرة يجعلون مريم خطيبة الله أي زوجته ومرة يجعلونها أمه . ومرة ابنته ومرة يجعلونها لها لأنهم يسجدون لها . والسجود في العهد القديم والجديد لا يجوز الا لله وكذا يجعلون كل شيء يسبحها . وما ذا الا تناقض وهذيان كتناقضهم في المسيح أنه ابن الله وأنه الله

وأنه ابن داوود وأنه ابن الانسان فنسأله سبحانه وتعالى الحفظ ونعود  
به من الخذلان وتسويلات الشيطان آمين •

وأما قولهم : « اللهم الا أن يكون أراد صفا يسمون المرقونية  
فإنهم يقولون بثلاثة أكوان يسمونها آلهة متفرقة » الى آخره •

فاعلم أولا : أن المرقونية كما قال الشهر ستاني « أثبتوا أصلين  
قديمين متضادين أحدهما النور والثاني الظلمة ، وأثبتوا أصلا ثالثا  
هو المعدل الجامع وهو سبب المزاج ، فان المتنازعين المتضادين  
لا يمتزجان الا بجامع دون النور في المرتبة وفوق الظلمة ، وحصل من  
الاجتماع وامتزاج هذا العالم • ومنهم من يقول : الامتزاج انهما حصل بين  
الظلمة والمعدل • اذ هو قريب منها فامتزج به ليتطيب ويلتذ بملاذه  
فبعث النور الى العالم الممتزج روحا مسيحية وهو روح الله وابنه »

وهذه الفرقة قريبة من المانوية أصحاب ماني الحكيم الذي أخذ ديننا  
بين المجوسية والنصرانية ومذهبه أن لعالم مصنوع مركب من أصلين  
قديمين أحدهما نور والآخر ظلمة وأنهما أزليان حساسان سميعان  
بصيران •

ثم أن المرقونية زادت الأصل الثالث وجعلته روح الله • غظلمة  
كلامهم مساوية لظلمة كلام النصارى • وهذى اللبائى كلها أخوات •  
فأى فرق في الأبطالان بين من يجعل الله سبحانه حالا في مريم ومولودا  
منها وقد صلب بيد اليهود ومات ، ثم قام من قبره حيا وصعد الى  
السماء ثم نزل الى الحواريين ثم صعد ثم ينزل في اخر الزمان وفي  
كل يوم يقتل مرات على لسان القسيسين في أماكن عديدة ويأكل لحمه  
ويشرب دمه ألوف من النصارى في كل لقمة خبز وشربة خمر ، وبين قول  
المرقونية ؟ بل المرقونية من جهة لا يخطون هذا الخط ولا يأكلون في  
كل يوم اللحم وخالقهم ولا يشربون دمه كالنصارى المثالثين •

فاتظر أيها النصف في التثليثين فما أظنك تفوق بين هذين المتشابهين .

**وأما قوله :** « ان الله واحد ذو كلمة وروح من غير افتراق . وقد أقر صاحبك بهذا في قوله : « رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه » الى آخره فيقال له : ان نبينا عايه أفضل الصلاة والسلام كماله وعنايه وسداد رأيه مسلم عند المؤمن به والكافر به . وقد أتى بهذا القرآن الكريم مدعيا على الناس أنه نزل عليه من الرب العظيم ، وقد ذكر فيه أن انصارى كفروا لأن منهم من جعل عيسى الها ومنهم من جعله ابن الله سبحانه ، ومنهم من جعل أمه أيضا الها ، ومنهم من جعل الآلهة ثلاثة ، ومنهم من جعل الواحد ثلاثة آلهة ، والثلاثة واحدا . وقالوا : الآب والابن وروح القدس اله واحد . وقالوا : اتحد اللاهوت بالناسوت ، كما فصلنا ذلك مرارا عنهم . وذكر الله تعالى على لسان نبيه عايه الصلاة والسلام أيضا في القرآن العظيم : ان عيسى ليس بانه ولا تولد من اله ، بل هو عبد الله ورسوله ، ردا على النصارى . ولا هو ابن زنا وكذاب كما ادعت فيه لليهود والماذ بالله تعالى من التوليد ، فكيف يناقض أقواله ويدعى أنه نزل عليه - قرآن متباين فهل هذا الاعدم تدبير أو وقاحة وتدليس من هذا النصراني . فانبى عايه الصلاة والسلام بين اختلاف أقوال أهل الكتاب في عيسى عليه السلام وردهم بقوله سبحانه : « يا أهل الكتاب » خطاب لليهود والنصارى « لا تغلوا في دينكم » لأن النصارى غلوا بقولهم ثالث ثلاثة ونحوه ، واليهود قالوا : ولد لغير رشده « ولا تقولوا على الله الا الحق » أى لا تذكروا ولا تعتقدوا الا القول الحق دون القول المتضمن لدعوى الاتحاد والخلول واتخاذ الصاحبة والوئد « انما المسيح » يسمى مسيحا اما لمسحه الأرض أو لمسحه ذا انعاها فيير أو لمثل ما ورد في الزمور الثامن والثمانين : « وجدت : اوود عبدى فمسحته من قديسى » وقوله تعالى : « عيسى ابن مريم » رد على من يقول انه ابن الله أى الذى يكون والدته مريم ، كيف يكون والد الله سبحانه بل هو « رسول الله » أى كسائر الرسل عبد الله مبعوث الى عبيد الله

سبحانه « وكلمته » أى حصل بكلمته « كن » من غير مادة معنادة كما  
من لفظه سابقا « ألقاها الى مريم » أى أوصلها اليها جبريل عليه  
السلام « وروح منه » وسمى روحا لأنه حدث عن نفخة جبريل عليه  
السلام فى درع مريم كما تقدم الكلام عليه مفصلا « فأخووا بالله »  
وخصوه بالألوهية وآمنوا أيضا برسله أجمعين ولا تخرجوا أحدا منهم  
الى ما يستحيل وصفه من الألوهية ولا تكذبوهم ولا تغلوا فيهم ،  
فجعلوا بعضهم آلهة « ولا تقولوا » آلهتنا « ثلاثة » كما قالت  
الندمارى ، واتفقت على التثليث واختببت اختباطا عظيما فى كيفية  
التثليث كما بينا لك غير مرة : فأمرهم الله تعالى بقوله « انتهوا » أى  
عن القول بالتثليث « حيرا لكم • إنما الله اله واحد » لا شريك له  
ولا صاحبة ولا والد ولا يتجزىء ولا يحل فى غيره ، وليس له مماثل  
ولا شبيه « سبحانه » أى أسبحه تسيبعا عن أن يكون له ولد لأن الولد  
جزء من الأب وهو متعال عن التجزئة وصفات الحدوث « له ما فى  
السموات وما فى الأرض » فما جعلتموه جزء منه وشريكا له • فهو من  
جملة مماليكه ، كيف يكون ابنه أو شريكه أو مثله ؟ « وكفى بالله وكيفا »  
أى مستقلا بتدبير خلقه ، بكل الخلق أمورهم اليه فلا حاجة الى واد  
يعينه لأن الولد يعين أباه فى حياته ويقوم مقامه بعد وفاته • والله تعالى  
منزه عن كل هذا •

وإذا علمت ذلك فما استدبل به « عبد المسيح » على ألوهية عيسى  
بهذه الآية ، وأنه أطلق عليه لكلمة وروح ، فاستدلال فاسد وتحريف لكتاب  
الله سبحانه كاسد ، كما بيناه غير مرة •

فأما اطلاق الكلمة على غير عيسى • فواردة فى غير موضع من الكتب  
السماوية • ففى الزمور الثمانى والثلاثين : « لأن كلمة الرب مستقيمة  
وكل أعماله بالأمانة » وفيه أيضا : « بكلمة الرب تشددت السموات  
وبروح فيه كل قواتها »

وأما نسبة الروح الى غيره • فكثير جدا من ذلك ما فى الأصحاح

الثالث من سفر القضاة من التوراة ما نصه : « وكانت روح الرب عليه »  
وفي انجيل لوقا : « قال يسوع لتلاميذه أن أباكم السماوى يعطى روح  
القدس للذين يسألونه » • وفي انجيل متى أن يوحنا المعمدان « امتلا  
من روح القدس وهو فى بطن أمه » وفي التوراة : « روح الله تعالى  
حلت على دانيال » وفي الأصحاح التاسع من سفر نحemia : « وروحك  
الصالح أعيظتهم ليعامهم » الى غير ذلك مما قدمناه لك فى محله •

وخلاصة القول : أنه ليس القصارى دليل على ألوهية عيسى بكونه  
بلا أب ، لوجود غيره بلا أب وبلا أم ، كادم • ووجود حيوانات متكونة  
بلا والد • ولا دليل لهم أيضا بورود بعض الألفاظ الموهمة فى حقه  
كلاين فقد ورد استعمال الابن فى غيره من بنى اسرائيل ، والطلاق لفظ  
الأب على الله سبحانه لا يجوز لهم ، كما نقلناه لك عن التوراة وغيرها •

ففى الأصحاح الرابع من سفر الخروج : « هذا ما يقول الرب :  
إبنى بكرى اسرائيل » وفى اصحاح السابع من انجيل متى « أبوكم  
الذى فى السموات يعطى الخيرات » كما نقلنا لك ذلك وغيره فتذكر •

ولم يبق يدهم الا المعجزات التى صدرت عنه ، والمعجزات  
التى صدرت من موسى عليه السلام أعظم بكثير من معجزات عيسى  
عليه السلام اذ قلب العصا أعظم من احياء الموتى كما لا يخفى  
وفاق البحر وبقية معجزاته أعظم من ابراء الأكمه والأبرص ، فلم  
يبق عندهم ان أنصفوا ما يشعرون بالوهيئه أو اتحاد الاله به أو حلوله  
فيه - تعالى الله عما يقول المشركون - وثبت كما ورد فى القرآن  
الكريم أنه عبد الله ورسوله كسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام  
وأمه صديقه •

وأما قواه : « فقد شرحت لك أكرمك الله كيف مذهبنا ، ومعنى  
قولنا : ان الله واحد ذو كلمة وروح واحد ذو ثلاثة أقانيم ، وقد



أوضحته ايضاحاً يكون فيه لك ولكل من نظر في جوابنا كفاية «  
اللى اخره .

فلا يخفى عليك أنه قد تبين لك ، ولكل منصف زيف شرحه ،  
وانهد - وله الحمد - خاوى شرحه ، ونشرح لك نحن في فصول  
مذهبه ، ونرد مطلبه لتعرف رصاصة أو ذهبه ، وان كنا ذكرنا فيما  
سبق رد أقاويله ، وزيف أباطيله ، غير أنه يكرر فتكرر عليه بالرد  
في عبارات متقنة المعانى ، مختلفة اليبانى ، في هذا الكتاب لئلا يخلو  
مكرر كلامه عن رد الجواب . فنقول :

★ ★ ★

## الفصل الأول

فى

بيان بعض فرقهم المشهورة والموجودة .

وبيان بعض اعتقاداتهم المعروفة عنهم الآن .

فمنها النسطورية ، ويوجد أكثرهم الآن في جبال العمارية بين  
ديار بكر والموصل . ويقال لهم : التيارية . ومنهم اليعقوتية واليهيم  
تنتهى السريان القديمة والأرمن القديمة والروم القديمة ، وهؤلاء  
متقاربون في العقائد ، ويصلى بعضهم خلف بعض . وعقيدتهم : أن  
المسيح اله تام وانسان تام في طبيعة واحدة متأنسة ومتجسدة .  
وكلهم يعترفون للقس بذنوبهم ويعتقدون استحالة العشاء الربانى  
الى لحم المسيح . ومنهم الكاثوليك يعتقدون أن المسيح اله تام  
وانسان تام ، من طبيعتين الهية وانسانية ، وكذلك يقولون بالعشاء  
الربانى ، ويعتقدون أن البابا الذى فى رومية وكيل المسيح عليه  
السلام ، ولا يخطئ أبدا . وكذلك الأرمن الكاثوليك الحديث ،

والروم الحديث الكاثوليك والسريان الحديث ، واللأتين كلهم  
يزعمون عصمة البابا في جميع أقواله وما يشرعه لهم ويقولون بالعشاء  
الربانى •

ومنهم البروتستانت ويقال لهم برونستانت أيضا ، وهم أغلب  
نصارى الهند الآن ومنهم تبعة الانكليز وغيرهم ، ولا يحوزون استحالة  
العشاء الربانى الى لحم المسيح ولا الخمر الى دمه ، ولا يسجدون  
للصور كغيرهم ، الساجدين لصورة المسيح وأمه ، ولا يقولون بعصمة  
البابا ، وبينهم وبين جماعة القبا ومن يتبعه عداوات ومجادلات وردود  
كثيرة • وكل منهم أظهر كفر الآخر ، وتفرقوا أيضا فرقا عديدة  
وظهورهم كان من مدة تزيد على أربعمائة سنة ولا يحكمون الا بانجيلهم  
ويقولون : ان جميع النصارى الآن يخالفون أحكام الانجيل ، مع أن  
اللازم العمل بمقتضى العهد الجديد ، يعنى الانجيل ورسائل الحواريين  
ونحوها ، لا بالرأى ولا بأقوال البابا والقسيسين • وللطرفين كتب  
مؤلفة عديدة في رد بعضهم على بعض ، وتكفير كل فرقة للأخرى ،  
فهم كما وصفهم الله تعالى بقوله : « فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء  
الى يوم القيامة ، وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون » ولهم عقائد  
وأقوال آخر ذكرناها في محلها ان شاء الله تعالى •

ثم اعلم : أن علماء المسلمين رحمهم الله تعالى ذكروا في كتبهم  
أن النصارى قالوا الاله جوهر ثلاثة أقنانيم آب وابن وروح القدس ،  
كل واحد منها اله تام والكل اله واحد ، خلا آريوس في الابن فانه  
فكر ألوهيته ، ومقدونيوس في روح القدس ، فانه ينكر الهيته ،  
ويطلقون على مجموع الجوهر والأقنانيم اسمى التثليث والتوحيد •  
ثم قالوا بأن الذى هو أحد الأقانيم وثانيها نزل الى الأرض وتجسد  
من مريم ومن روح القدس وولد صغيرا كغيره من الأولاد ، ونشأ  
وكبر الى أن بلغ من العمر ثلاثا وثلاثين سنة وشهورا ، ثم ان اليهود  
صلبوه ومات وقبروه ثم قام من القبر في اليوم الثالث وأكل السمك

وشرب الماء وظهر للحواريين ، ثم ارتفع الى السماء وجلس عن يمين الآب . وهو في هذه الأحوال كلها اله تام وانسان تام ولا يزال كذلك الى أبد الآباد . والايجاد انما كان من وقت بشارة الملائكة لمريم قالوا : انما نزل الى الأرض وتجسد ليخلص الانسان من الخطيئة ، أى خطيئة آدم عليه السلام . وقد خلص . وسينزل مرة أخرى ويقيم الحق ويحاسب الخلق ، ويبعث بعثا الى النعيم ، وبعثا الى الجحيم . وأجمعوا على أن شريعة الانجيل ناسخة لشريعة التوراة ، رافعة لسنة السبت ، ثم انها لا تنسخ .

واختلفوا في كيفية الاتحاد ، وفي الذى وقع فيه الاتحاد

**فقالت الملكية :** اتحد الابن الأزلئ بانسان كلئ مجرد عن الأقانيم فصار بذلك مسيحا واحدا ، الها تاما ، وانسانا تاما ذا طبيعتين ومشيتين وأقنوم واحد .

**وقالت اليعقوبية :** اتحد الابن الأزلئ بانسان جزئئ ذئ أقنوم ، فصار بذلك مسيحا واحدا الها تاما وانسانا تاما ، ذا طبيعة من طبيعتين ، وأقنوم من أقنومين ، ومشيتة من مشيتتين .

**وقالت النسطورية :** اتحد الابن الأزلئ المولود من الآب قبل الدهور والأعصار بالابن الزمنى المولود من مريم ، فصار بذلك مسيحا واحدا الها تاما وانسانا تاما ذا طبيعتين وأقنومين ومشيتة واحدة . فالاتحاد وقع عند المالكئ فى أقنوم فقط ، وعند النسطورى فى المشيتة فقط ، وعند اليعقوبئ فى الأقنوم والطبيعة والمشيئة . وهؤلاء أصول النصرانية وعمادها ومن سواهم من المرقونية والمارونية والآريوسية والمقدونيسية والأرمن والروس وغيرهم ، تطلقون على هؤلاء . وقد سمعت آراءهم .

## الفصل الثاني

### فى

#### قولهم : الاله جوهر

قال بعض الأفاضل ان أرادوا بالجوهر التخصيص فهو محال ، لأن التخصيص اما أن لا يقبل القسمة وهو الجزء الذى لا يتجزى لصفه وهو فى غاية من الصغر والاحتقار ، والله سبحانه يتعالى عن ذلك بانتفاء العقلاء . واما أن يقبلها وهو الجسم ، والجسم مركب عند الفلاسفة من الهولوى والصورة ، وعند المتكلمين من الأجزاء لا تتجزى وكل مركب محتاج الى مفرداته ، ومفرداته غيره . فكل مركب محتاج الى غيره ، فاللهارى سبحانه لو كان جسما لكان مركبا من الهولوى والصورة ، أو من الأجزاء التى لا تتجزى ، والمكان محتاجا الى غيره . لكن المحتاج اليه كل شئ لا يجوز أن يكون محتاجا الى شئ للزوم الدور أو التسلسل الباطلين ، فاللهارى تعالى لا يجوز أن يكون جوهرًا بمعنى أن لا يتجزى لصفه وبمعنى أن يكون جسما . وان أرادوا بالجوهر الموجود الذى ليس فى موضوع كما تقول الفلاسفة فيأزمهم أن يقولوا ان وجوده نفس ماهيته ، ويلزمهم ما يلزم الفلاسفة حيث قالوا ان الوجود مفهوم واحد بين جميع الموجودات الجزئية ، مع أنه فى الواجب نفس ماهيته وفى الممكن عارض لماهيته ، والجمع بين كونه مفهوما واحدا وبين كونه فى الواجب مجردا وفى الممكن عارضا ممتنع .

وانما قلنا : الجمع بين هذين الأمرين ممتنع ، لأن الوجود من حيث هو هو ، اما أن يكون واجب التجرد ، فوجود الممكن واجب التجرد ، لأن لازم الحقيقة حاصل أينما حصلت واما أن يكون واجب العروض ، فوجود الواجب عارض للعلة التى ذكرناها ، وان لم يكن واجب التجرد ولا واجب العروض فتتجرد التجرد وعروض العارض

كل واحد منهما ممكن • وكل ممكن معلول ، فتجرد المتجرد عن علة ،  
وعروض العارض عن علة • فالوجود الواجبى معلول علة • وهذا خلف •

واما أن نقول التصارى ان وجوده عارض لماهيته ، وكل وجود  
عارض فهو معلول اما لمعرضه ، والعلة الموجبة للشيء يجب وجودها  
بالفعل قبل وجود المعلول ، فيلزم أن يكون المعرض الذى هو  
ماهيته موجودا قتل وجوده • واما لغير معرضه ويلزم الدور أو  
التسلسل • فالقول بكون البارى جوهرًا قول محال • ومن المعلوم  
أيضا : أن الجوهر يفتقر فى وجوده الى عرض يقوم به وله قدر وكمية •  
والقديم جل جلاله بخلاف ذلك ، فكيف يصح اطلاق لفظ الجوهر عليه  
سبحانه من غير توقيف ؟



## الفصل الثالث

### فى

### الاقانيم

وهى جمع أقنوم • وهى على ما فى كتاب المعربات الأصول :  
قيل رومية • وقيل سريانية معناها الشخص • ولهم فيها تسعة  
أقوال : أحدها : بأنها أشخاص • وثانيها : بأنها خواص • وثالثها  
بأنها صفات • ورابعها بأنها صفات ايجابية • وخامسها بأنها صفات  
ايجابية جوهرية • ومرادهم بالجوهرية أنها ليست اضافة ولا  
معرض للاضافة • وسادسها بأنها صفات لا بمفردها بل يكون كل  
واحد منها مع الذات أقنوما • وسابعها أنها أوصاف لا بمفردها بل  
كل واحد منها مع الذات يكون أقنوما • وثامنها أنها هى العقل

والمعقل والمعقول • وناسعها أنها جهات ذهنية واعتبارات عقلية •  
أما أنها أشخاص فهو ظاهر البطلان ، لوجوب القول بثلاثة الهة  
وامتناع ذلك • وأما أنها خواص فهو أيضا باطل لوجوب أن يكون  
أبا لنفسه ابنا لنفسه معلولا لنفسه ، ويازم اجتماع المتقابلات في  
محل واحد بالشخص ، ويلزم تقديم الشيء على نفسه وتأخره  
عن نفسه •

### • وأما أنها صفات فهو أيضا باطل •

أما أولا فلأنها سواء كانت صفات مطلقة أو ايجابية جوهرية ،  
فان صفات الجلال ونعوت الكمال في كل قسم يزيد على ثلاثة •  
والأقنيم عندهم لا تزيد على ثلاثة • وأما ثانيا فلأن الابن معروض  
الإضافة فان صح تفسير الصفة الجوهرية ، فالابن لأ يجوز أن يكون  
أقنوما فرجع الأقنيم الى أقنومين ، وان لم يصح يدخل القادر  
والمريد في الأقنيم فتزيد الأقنيم على ثلاثة • والقولان باطلان  
عند النصرى •

وأما أنها صفات تكون كل واحدة منها مع الذات أقنوما ، فهو  
أيضا باطل لأن الابن اتحد بذاته وجوهره عند الملاكى واليعقوبى ،  
فذاته ان كانت مغايرة لذات الآب ولذات روح القدس ، فيلزم القول  
بثلاثة آلهة ، وان لم تكن مغايرة لزم القول باتحاد الأقنيم الثلاثة  
والنصرى ينكرون القولين •

وأما أنها أوصاف يكون كل واحد منها مع الذات أقنوما ، فهو  
أيضا باطل ، لأن الأوصاف لا وجود لها في ذات الموصوف • لأنها  
أقوال الواصفين • ويلزمهم أحد الأمرين • اما انكار الاتصاف ، أو

- اتحاد الجوهر الذى هو الثالوث الجامع للأقناتيم الثلاثة .
- والنصارى ينكرون القولين .

وأما أنها هى العقل والعاقل والمعقول ، فهو أيضا باطل لأنها  
اضافات متلازمة ، فأياها اتحد لزم اتحاد الآخرين ، ويلزم رفع الاتحاد ،  
أو اتحاد الثلاثة . والنصارى ينكرون القولين . وفائدة العقل والعاقل  
والمعقول تسألونها من الفلاسفة ، وحسبهم تطفلهم على طائفة يعتقدون  
كفرهم ، مع أنهم ما نفعهم التطفل على ما بيننا .

وأما أنها جهات واعتبارات فهو أيضا باطل ، لأنه لا وجود  
لها فى الخارج . فالاتحاد لا وجود له فى الخارج . وكل من لا يقول  
بوجود الاتحاد فى الخارج فهو ليس بقصرأتى عند النصارى .

فالأقوال المنتسبة باطالة ، فلا يجوز اتصاف البارى سبحانه بشيء  
من الأقناتيم طويل الأذيل قليل النبل .

وأما قولهم كل واحد من الإقناتيم الله تلام وكلها الله واحد . لأنه  
أما لا تزيد كلها على كل واحد منها بشيء ، فلا فرق بين العدد وغير  
العدد . والمجنون لا يرضى بهذا القول .

وأما أن يزيد كلها على كل واحد منها بشيء ، فتلك الزيادة  
أما أن لا تتم الالهية الأبا بها فكل واحد منها ليس بالله ، لخلوه عن  
تلك الزيادة .

وأما أن تتم الالهية بدونها . فالأقناتيم حشو ، لأنها ليست غير تلك  
الزيادة .

## الفصل الرابع

فى

### النزول والاتحاد

أما النزول فنقول : نزل مجردا أو متحدا ؟ والأول باطل ، لأن النزول حركة ، والحركة هى الانتقال من حيز الى حيز ، وما ليس فى حيز يستحيل عليه الانتقال . فما نزل مجردا .

والثانى أيضا باطل ، لأن المتحد به وهو جسد المسيح والمتحد منه وهو مريم كلاهما أرضيان ، فلم ينزل متحدا . فالقول بالنزول باطل .

وأما الاتحاد فهو ضرورة : ما هو أكثر من واحد بالعدد ، يكون واحدا بالعدد . فالمتحد والمتحد به ، ان كانا موجودين بعد الاتحاد ، فلا اتحاد لبقاء الكثرة على حالها . وان كانا معدومين فلم يكن ذلك اتحادا ، بل اعداما . ويلزم أن لا يكون المسيح الها ولا انسانا ، قسلا عن أن يكون الها وانسانا . وان كان أحدهما موجودا والآخر معدوما . فالمعدوم لا يكون نفس الوجود وبالعكس . وأيضا : فالوجود ان كان هو الانسان ، فالمسيح انسان فقط .

وان كان هو الاله فهو اله فقط . ويبطل أن يكون الها وانسانا ، فالقول بالاتحاد باطل . واذا انتفى أصل الاتحاد انتفى الأتحد الذى عقد فريق فريق ، لأن فى انتفاء الحقيقة انتفاء أفرادها . لكننا لما أوردنا أقوالهم فى الاتحاد ، احتجنا الى ابطال قوله قول .

**فأما قول الملكى** فهو ظاهر البطلان لأن الانسان الكلى . أما أن لا يكون موجودا فى الخارج فالابن اتحد بما لا وجود له فى الخارج فالمسيح انسان فقط وأما أن يكون موجودا فى الخارج والابن متحدا



به ، فهو صادق على كل فرد من أفراد الناس ، والمتحد بالصادق على كل فرد من أفراد الناس صادق على كل فرد من أفراد الناس ، ومتحد به • فجميع أفراد الناس آلهة ومسحاء •

وأما قول اليعقوبى فهو أيضا باطل لأن كل فرد من كل روح من الطبيعتين والأشنومين والمشيئتين أما أن يمتاز عن الفرد الآخر فالكثرة على حالها في الأمور لسنة فلا تحاد ، وأما ألا يمتاز ، فالإلهية والإنسانية تترادتا على محل واحد من جهة واحدة ويلزم أن لا يكون ذلك المحل لها من جهة كونه إنسانا ولا إنسانا من جهة كونه لها ويلزم من القول بكونه لها وإنسانا الجمع بين النقيضين •

وأما قول النسطورى فهو أيضا باطل ، لأن مشيئة الأتقانيم اما واحدة ، ويلزم القول باتحادها جميعها واما متعددة ويلزم القول بتعدد الآلهة فالقول بالاتحاد باطل مجملا ومفصلا ولا تنس ما حررناه لك سابقا ولاحقا في أنواع التثليث فعرض عليه بالنواجذ واطلبه الطلب الحثيث وقل الحمد لله الذى ميز الطيب عن الخبيث وهو يتول الحق ويهوى السبيل •



قال النصرانى « فلنرجع الآن الى الباب الآخر من كتابك ونجيبك عنه •

فأقول قد فهمت مادعوتنى اليه من الشهادة لصاحبك والاقرار ببنوته ورسالته وما عظمت من أمره فأما تعظيمك اياه وتفخيمك أمره فلسنا نجادك فيه ولا نرده عليك ، وليس عندنا فيه الا تسليمه لك والسكوت عنك ، اذ كنت أولى الناس بقرايتك ، وقرايتك أولى الناس بك وانما نحن مناظرون فيما دعوتنا اليه من الاقرار ببنوته بأن ذلك حق واجب فان كان ذلك حقا واجبا ، فليس ينبغى لنا ولا لأحد ذى عقل

أن يمتنع أو يمتعض من قبوله فانه لا يمتنع من الاقرار بالحق الا ظالم متعد أو جاهل بمعرفته قدر الحق وان كان ذلك غير الحق فلا ينبغي لك أن تقيم على غير الحق فكيف تدعونا اليه ؟ فإنتك اذا فعلت هذا كنت ظالما لنفسك أولا ، ثم متعديا على من تدعوه الى غير الحق .

فلنطرح الآن من بيننا العصبية ولنفحص عن أول قصة صاحبك هذا الذي تدعونا الى الاقرار له بالنبوة ونشرحها من أولها الى آخرها ونختبرها اختبارا شافيا ونتناظر فيها مناظرة انصاف كي لا تميل الى الهوى الذى يرى بعين الغرض والجور فان هذا أمر جليل الخطب عظيم القدر شريف المنزلة ، وعلى حسب ذلك يجب أن يكون النظر فيه والبحث عنه بتأن وترو .

الست تعلم أكرمك الله ونحن معك أن هذا الرجل كان يتيما فى حجر عمه عبد مناف المعروف بأبى طالب وقد كفله عند موت أبويه ، وكان يعوله ويمنع عنه ، وكان يعبد الأصنام اللات والعزى مع عمومته وأهل بيته بمكة ، على ما حكى هو فى كتابه وأقربيه على نفسه حيث قال « ألم يجدك يتيما فاوى ، ووجدك ضالا فهدى ووجدك عاثلا فاغنى » (ضحى) افلا ترى أنه قد أوجب بهذا القول الاقرار بأنه كان يتيما فاواه وضالا فهداه ، وعاثلا فاغناه ، ثم نشأ فى ذلك الأمر حتى صار فى خدمة عير لخديجة بنت خويلد يأمر فيها بأجره ، ويتردد بها الى الشام وغيرها الى أن كان ما كان من أمره وأمر خديجة وتزوجه اياها للسبب الذى تعرفه .

فلما قوته بمالها نازعته نفسه الى أن يدعى الملك والترؤس على عشيرته وأهل بلده ، فرأى ذلك غير منتظم له ولم يتبعه عليه الا قليل من الناس بعد لموازنة المجحفة وأنت أكرمك الله عالم بمرارة نفس قريش وشدة آباتها لمثل هذا وشبهه من الضيم ، فعندما أيس مما سولت له نفسه ادعى النبوة وأنه رسول « .

أقول الكلام على هذه الأسطر وما يتعلق بها في فصلين وتتمة  
وتذييل •

★ ★ ★

## الفصل الأول

فى

نسبه صلى الله تعالى عليه وسلم

وبعض أحواله وسيرته وأبتداء أمره

مقدمة :

أعلم أولاً أن المسلمين أخذوا كتاب ربهم عز وجل بعد ثبوت النبوة والمعجزات من نبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم بلا زيادة ولا نقصان بطريق القرائن جماعة عن جماعة يحيل العقل تواطئهم على الكذب ، وكتبوه وحفظوه فى صدورهم جيلاً بعد جيل فى كل بلد وكل قبيل الى زمننا هذا وكذا أخذوا احاديث نبيهم عليه الصلاة والسلام وأقواله وسيرته وأحواله الشريفة عن الصحابة الذين هم جم غفير ، وعن تابعيهم وتابعى تابعيهم طبقة بعد طبقة الذين هم ألوف لا يحصى عددهم الا الله سبحانه ، وكل من هؤلاء عرفت سيرتهم ودونت أحوالهم وأقوالهم بأسانيدھا فى الكتب المعتمدة والأسفار المتعددة المحبرة •

وبين العلماء عدالة الراوى الصادق منهم وعدلوه ونهبوا على الضعيف وجرحوه والموضوع وطرحوه المطعون فتركوه واعتصموا بالا سناد والرواية وغاصوا فى استخراج الصحيح بكامل الدراية (١) ، بحيث لم يسبقهم الى هذه الطريق سابق ، ولم يشق لهم غبار فى هذا الميدان

(١) يتولى الحافظ ابن الصلاح فى المقدمة : وان أردت حديثاً متواتراً ،  
أميالك تطلبه ٥

من كافة الأمم لاحق ، اذ لولا الرواية لقال من شاء ما شاء والله سبحانه يختص برحمته من يشاء وهذا أمر يسلمه كل مطلع منصف من ذوى الملك ، ولا يختلف فيه صاحب عقل من أرباب النحل . وأما غيرهم من الأمم السالفة فليس عندهم اسناد ولا يحفظ كتبهم أحد من العباد ، ولم يسلكوا ما سلكه الموحدون ، بل سلكوا ضده . فهم للكتاب محرفون ونهيه بالزيادة والتقصيص متصرفون . وللفصص المردودة المتناقضة ناقلون ، وللأحكام برأيهم مغيرون ، ولم يميزوا بين كلام ربهم وزيادة أحبارهم وشرعية الهم وشرع قسوسهم ، وأكاذيب رهبانهم فالكل عندهم منزل من الله وكل ناقل لهم صادق أو اواه ورئيسهم البابا معصوم من الخطأ والزلل فجميع ما يقوله برأيه لا فرق بينه وبين ما به المسيح قول كما سيتضح لك ان شاء الله تعالى ما قلناه في محله وثبته بصحيح النقل ومفصله .

وإذا علمت ذلك واستحضرت هذه المقدمة في بالك ، فاستمع ما نذكره لك من أخبار النبي انصطفى المعظم ، وسيرته الصحيحة صلى الله تعالى عليه وسلم وما ورد من البشائر في نبوته في الكتب السماوية والأمارات الكونية وأخبار الكهان من العرب ، والأحصار من اليهود والرهبان من النصرارى .

قال العلماء هو عليه أفضل الصلاة والسلام محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، واسم عبد المطلب شيبية بن هاشم واسم هاشم عمرو بن عبد مناف واسم عبد مناف المغيرة بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب من النخطاء والزلل فجميع ما يقوله برأيه لا فرق بينه وبين ما به المسيح ابن لؤى بن غالب بن فهر — بكسر الفاء ، واسمه قريش — بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة — واسم مدركة عامر — بن الياس بن منصر ابن نزار — بكسر لنون — بن معد بن عدنان . قيل وعدنان بن أدد بن مقوم ابن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم

خليل الرحمن بن تارح (١) - وهو آزر - وبقية النسب الى آدم عليه السلام المذكور في التوراة ، وفي كتب السير والأنسب .

وأمه عليه الصلاة والسلام آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر - واسمه قريش - فهو عليه الصلاة والسلام خير أهل الأرض نسبا على الاطلاق ، فلنسبه من الشرف أعلى ذروة وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك ولهذا شهد له به عدوه اذ ذاك أبو سفيان بين يدي ملك الروم كما سنذكر القصة في محلها ان شاء الله تعالى . فأشرف القوم قومه وأشرف القبائل قبيلته وأشرف الأفاخذ فخذة اذ لا خلاف عند النسابين ان عدنان من ولد اسماعيل عليه السلام واسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، كما تدل التوراة عليه أيضا فان فيها ان الله أمر ابراهيم أن يذبح ابنه بكره ، وفي لفظ وحيدة واسماعيل أكبر من اسحاق فهو الوحيد وأما القول بأنه اسحاق فقد بينا فساده فيما سبق فتذكر .

ثم انه لا خلاف أنه ولد عليه الصلاة والسلام بجوف مكة ، وأن مولده كان عام الفيل ، وكان أمر الفيل مقدمة قدمها الله تعالى لنبيه وبيته والا فأصحاب الفيل كانوا نصارى أهل كتاب ، وكان دينهم خيرا من دين أهل مكة اذ ذاك لأنهم كانوا عباد أوثان فنصرهم الله تعالى على أهل الكتاب نصرا لا صنع للبشر فيه . اذسلط الله عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول ، ارهاصا وتقدمة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم الذي خرج في مكة وتعظيما للبيت الحرام .

واختلف في وفات أبيه عبد الله . هل توفي ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حمل أو توفي بعد ولادته بسبعة أشهر ؟ على قولين أصحهما الأول ولا خلاف أن أمه ماتت بالأبواء بين مكة والمدينة ، ولم

(١) التوراة تشب ابراهيم عليه السلام الى تارح . وائس فيها اسم آزر .

يستكمل اذ ذاك سبع سنين وكفله جده عبد المطلب وتوفى ولرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نحو ثمان سنين ، ثم كفله عمه أبو طالب واستمرت كفالته .

فلما بلغ اثنتى عشرة سنة خرج به عمه الى الشام ، فلما نزل الركب « بصرى » من أرض الشام وبها راهب يقال له بحيرا فى صومعه له وكان اليه علم أهل النصرانية وكانوا كثيرا ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم ، حتى كان ذلك العام ، فلما نزلوا به قريبا من صومعته رأى وهو فى صومعته رسول الله ﷺ وغمامة تنظله من بين القوم ، ورأى أغصان شجرة نزلوا عندها تهصرت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين استظل تحتها فلما رأى بحيرا ذلك نزل من صومعته وقد أمر بطعام ثم أرسل اليهم ، فقال انى قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش ، فانا أحب أن تحضروا كلكم فقال له رجل منهم والله يا بحيرا ان لك لشأنا اليوم ما كنت تصنع هذا بنا ، وقد كنا نمر بك كثيرا فما شأنك اليوم ؟ قال له صدقت قد كان ما تقول لكنكم ضيف . وقد أحببت أن أكرمكم فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من بين القوم لحدائة سنة فى رحال القوم تحت الشجرة فلما نظر بحيرا القوم ولم ير المصفة التى يعرف ويجد عنده . قال: يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامى فالوا له يا بحيرا ما تخلف عنك أحد ينبغى له أن يأتىك الا غلام ، وهو أحدث القوم سنا ، فتخلف فى رحالتنا فقال لا تفعلوا ، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم فاحضروه معهم فلما رآه بحيرا أجعل يلحظه لحظا شديدا وينظر الى أشياء من جسده ، وقد كان يجدها عنده من صفته ، حتى اذا فرغوا من طعامهم وتفرقوا قام اليه بحيرا فقال يا غلام أسألك بحق اللات والعزى الا ما أخبرتنى عما أسألك عنه وانما قال بحيرا ذلك لسماعه أن قومه يحلفون بهما فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسألنى بهما شيئا فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما أخبرتنى عما أسألك عنه فقال له سألنى عما بدالك . فجعل يسأله عن أشياء من حاله

من نومه وهيبته وأموره فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم  
يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ثم نظر الى ظهره فرأى خاتم  
النبوة بين كتفيه على موضعه ، من صفته التي عنده فلما فرغ أقبيل  
على عمه أبى طالب فقال له ما هذا الغلام منك قال ابني قال له بحيرا  
ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا قال: فانه ابن أخي •  
قال فما فعل أبوه ؟ قال مات وأمه حبلى به قال صدقت فارجع بابن أخيك  
الى بلده واحذر عليه يهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغذه  
شرا ، فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، فأسرع به الى بلاده • فخرج  
به عمه سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام •

فشب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكلؤه ويحفظه ويحوطه  
من اقدار الجاهلية لما يريد به من كرامته ورسالته حتى بلغ أن كان  
رجلا أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقا وأكرمهم حسبا وأحسنهم جوارا  
وأعظمهم حلما وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة وابعدهم من الفحش  
والأخلاق التي تدنس الرجال تنزها وتكرما حتى ما اسمه في قومه  
الا الأمين لما جمع الله تعالى فيه من الأمور الصالحة •

قال ابن هشام وغيره ولما بلغ عليه الصلاة والسلام خمسا وعشرين  
سنة تزوج خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب  
ابن مرة بن كعب وكانت خديجة امرأة ناجرة ذات شرف ومال تستأجر  
الرجال في مالها وتضاربهم اياه بشيء تجعله لهم ، وكانت ثريش قوما  
تجارا فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها من صدق  
حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعنت اليه فعرضت عليه أن يخرج  
في مال لها الى الشام تاجرا وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من  
التجار ، مع غلام لها يقال له ميسرة فقبله رسول الله ﷺ منها وخرج  
في مالها ذلك وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام وكان ميسرة  
يرى اذا اشتد الحر ملكين يظلاله من الشمس ، وهو يسير على  
بعيره ، ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها ، واشترى

ما اراد أن يشتري ثم أقبل قافلا الى مكة ومعها ميسرة فلما قدم علي خديجة بمالها باعت ما جاء به بأضعف أو قريبا • وحدثها ميسرة عما كان يرى من اظلال الملكين اياه وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة مع ما اراد الله تعالى بها من كرامة فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به وكانت تعلم حسن أخلاقه وكمال شرفه ، وكثيرا ما تسمع حسن الثناء عليه بصدقه وعفته واشتهار أمانته ، وكانت يومئذ أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهن شرفا وأكثرهن مالا ، وكل قومها كان حريصا على ذلك منها ، لو يقدر عليه لأنها كانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة • وكانت تحت عتيق ابن عائد المخزومي فولدت ثم مات وكان بها من العمر أربعون سنة فخطبها رسول الله ﷺ وتزوجها وصدقها عشرين بكرة وقيل أصدقها اثنتي عشرة أوقية ذهباً • وحضر العقد أبو بكر ورؤساء مضر فخطب أبو طالب وقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئى معد وعنصر مضر ، وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمة ، وجعل لنا بيتا محجوبا وحرما آمنا ، وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح به • فان كان في المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل ، ومحمد من قد عرفتم قرابته . وقد خطب خديجة بنت خويلد ، وبذل لها من الصداق ما أجله وعاجله من مالى عشرين بكرة وهو والله بعد هذا له نيا عظيم ، وخطر جليل فزوجها أبوها •

وهي أول امرأة تزوجها عليه الصلاة والسلام ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت رضى الله تعالى عنها وولدت له الطاهر والطيب وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنهم أجمعين •

ولما بلغ صلى الله تعالى عليه وسلم أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ورسولا الى كافة الثقلين أجمين •  
وروى البخارى أول ما بدء به رسول الله تعالى عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت



مثل فلق الصبح ثم حبيب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعمد (١) الليلي ذوات العدد ، قبل أن ينزع الى أهله وينتروذ لذلك ثم يرجع الى خديجة فينتروذ لثها حتى يجاءه لحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال أقر أقال: ما أنا بقارىء قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ قلت ما أنا بقارىء فأخذنى فغطنى الثانية ، حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى فقال: «اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم » فرجع بها رسول ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملونى زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسى فقلت له خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبداً أنك لتصبن أرحم وتحمل الكل وتكسب المعدم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به الى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان امرءاً قد تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى ، فيكتب من الانجيل بالعبرانى ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمى فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخى ماذا ترى ؟ فأجبره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذى أنزل الله على موسى ، ياليتنى فيها جذعاً ليتنى أكون حياً اذ يخرجك قومك . فقال رسول الله ﷺ أو مخرجى هم ؟ قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى ، وان يدركمى يومك أنصرك نصراً مؤزراً ثم لم ينشب ورقة أن توفي .

ثم فتر الوحي قال عليه الصلاة والسلام بينا أنا أمشى اذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصرى ، فاذا الملك الذى جاءنى بحراء يجالس على كرسى بين السماء والأرض ، فرعبت منه فرجعت فقلت زملونى

---

(١) التعمد هنا يعارض بتوله تعالى : « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان » ويوافق ما روى عن أن العرب كانوا على دين موسى عليه السلام .  
والمؤلف سيتحدث فى هذا .

زملوني ، فأُنزل الله عز وجل : « يا أيها المدثر قم فأُنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر » فحصى الوحي ونواتر •

**فصل** أما دعواه أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يعبد اللات والعزى مع عمومته (١) فكذب ويهتان ، واستدلالة بآية الضحى استدلال باطل من وجوه •

(١) معنى كون النبي على دين قومه عند الامام فخر الدين الرازى • صحيح . والمؤلف لم يفقه مراد الامام فخر الدين في كون النبي محمداً ﷺ على دين قومه . وما قاله الرازى قاله الماوردى في اعلام النبوة . وبيان ذلك :-

ان دعو موسى عليه السلام كانت عامة للناس جميعا ، لبني اسرائيل وللأمم . ولكن بنى اسرائيل جعلوها خاصة من زمان سبى بابل لبني اسرائيل وحدهم من دون الناس . وامتنعوا عن هداية الناس الى معرفة الله تعالى . والعرب كانوا على دين موسى . وأهل اليمن كانوا على دين موسى من حين دخول ملكة سبا في الاسلام مع سليمان عليه السلام وظلموا على اليهودية الى ان آمن أهل نجران - وكانوا على اليهودية - بكلام عيسى عليه السلام فحفر لهم « ذو نواس » اخذودا وأحرقهم فيه بالنار . وقد أشار الله تعالى في القرآن الى أن العرب أهل مكة وما حولها من القرى ، كانوا على دين موسى في قوله تعالى : « ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم . فيقيموا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا . فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ، فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا : لولا أوتى مثل ما أوتى موسى ، أو لم يكفروا بما أوتى من موسى من قبل ؟ قالوا : سحران تظاهرا . وقالوا : انا بكل كافرون » .

ووجه الدليل : هو أن كفر العرب بكتاب موسى ، يدل على أنهم كانوا مكلفين به . واذا ثبت أنهم كانوا مكلفين به ، يثبت أن موسى لم يكن خاصا ببني اسرائيل . وقد وضعنا هذا في كتابنا « نقد التوراة أسفار موسى الخمسة » ولذلك قال الامام الماوردى في اعلام النبوة : وقيل كان متعبداً بدين موسى . وللقرطبي كلام طويل في قوله تعالى : « ما كنت تدري ما للكتاب ولا الايمان » ولأن اليهود من أيام سبى بابل منعوا الدعوة من الأمم ، لم يظهروا طقوس اليهودية وشعائرها للعرب . واذا أظهروا لهم التوحيد لله رب العالمين ، وأن نبيا سوف يظهر منهم لينسخ شريعة موسى عليه السلام .

وقد بين « ابن كثير » في تفسيره في أول آل عمران : ان دعوة موسى

**أدما** ان الأنبياء معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها خلافا لما قال « عبد المسيح » سابقا ان ابراهيم كان يعبد الصنم قبل نبوته ، وخلافا لما قال اخوانه اليهود في توراتهم ان سليمان عليه السلام عمل أصناما لزوجاته بعد النبوة ، وعبودها نعم اختلف علماء الاسلام بعد أن اتفق جمهورهم على عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الكفر قبل النبوة وبعدها . هل الكفر غير جائز عليهم عقلا وسما أم لا ؟ فقالت الأشعرية انه غير ممنوع عقلا لأنه جائز في العقول

= عليه السلام كانت عامة في زمانه ، وما كانت عامة الى زمان محمد ﷺ **وقال في سورة القصص** : ان المخاطبين به « لولا ان تصيبهم ... الخ » هم العرب المخاطبون به « ان تقولوا : انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ... » وروى عن الحسن البصرى انه فسر « سحران تظاهرا » اى تعاونا وتناصرنا وصدق كل منهما الاخر : انهما موسى ومحمدا عليهما السلام . وفسر « اهدى منهما » بالتوراة والقرآن وقد صح قوله في تفسير سورة القصص . والقرآن يشهد بأن سليمان عليه السلام كان على دين موسى عليه السلام وكان يغزو في سبيل الله - كما جاء **في الاحاديث ايضا** - ويدعو الناس الى شريعة التوراة . وقد اسلمت على يديه ملكة سبأ وهى ليست يهودية . وهذا يدل على تسواالى العموم الى مجيء الناسخ لها وهو القرآن الكريم . وقد صرح فى التوراة بما نصه : « وقد علم بالضرورة لذوى الالباب : ان الله - تعالى - لم ينزل كتابا من السماء فيما أنزل من الكتب المتعددة على انبيائه اكمل ولا أشمل ولا أفصح ولا أعظم ولا أشرف من الكتاب الذى أنزل على محمد ﷺ وهو القرآن ، وبعده فى الشرف والعظمة الكتاب الذى أنزله على موسى بن عمران - عليه السلام - وهو الكتاب الذى قال الله فيه : « انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا . والربانيون والاحبار ، بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء » والانجيل انما أنزل متمما للتوراة ، ومحلا لبعض ما حرم على بنى اسرائيل » .

هذا نص كلامه فى سورة القصص . وليسال هو : من موسى الى محمد . - عليهما السلام - اذا كانت التوراة لبنى اسرائيل وحدهم . فما هى الشرائع التى كانت لغيرهم من أمم الأرض ؟

وقوله عن الانجيل : « انما أنزل متمما » خطأ . والصواب : انما أنزل مصححا . لان التتميم تشريع زائد على تشريع . وعيسى عليه السلام مصدق للتوراة فقط غير مهيمن عليها . ومبشرا بمحمد ﷺ .

أن يكون الشخص كافرا فيزقه الله تعالى الايمان ويكرمه بالنبوة الا أن الدليل السمعى • قام على أن هذا الجائر لم يقع وهو قوله تعالى « ما ضل صاحبكم وما غوى » وقدلت المعتزلة ان هذا غير جائز عقلا لما فيه من التنفير • قاله الامام الرازى فى تفسيره •

**الثانى :** انه يثبت عندنا بالتواتر أن النبى عليه الصلاة والسلام لج يعبد صنما ، وأنه كان أكثر ما يكره الأصنام ، وأنه عليه الصلاة والسلام كان يتعبد قبل البعثة بدين ابراهيم •

**الثالث :** أن النبى عليه الصلاة والسلام لو كان يعبد الأصنام لقال له كفار قريش حينما دعاهم لمعبادة الله وحده انك كنت تعبد معنا هذه الآلهة الى بلوغ عمرك أربعين سنة فما بالك رجعت عنها وتنهانا عن عبادتها ؟ مع أنهم لم يقولوا له ذلك ولو قالوه لوصل الينا كما وصلتنا بقية أقوالهم له • ومنها قولهم : « ساحر أو مجنون » وقولهم « أجمل الآلهة ألهة واحدا » ونحو ذلك •

**الرابع :** أن الانبياء لو لم يكونوا معسومين قبل النبوة من الشرك لما كان لنبيهم قومهم تأثير فى دعوتهم فالله سبحانه عصمهم ليكون لكلامهم وقع فى نفوس السامعين كما يحكم بذلك صاحب العقل السليم •

وأما استدلاله بأية الضحى فتفسيرها بخلاف ما يزعم لأننا لما حكمنا بعصمة الأنبياء فلا بد من تأويل ما يوهم خلاف ذلك مما فى القرآن الكريم ، كما أول أهل الكتاب كثيرا مما ورد فى التوراة والانجيل كما قدمناه لك ومن ذلك قوله فى التوراة خطابا لموسى : « أنت أله فرعون وهرون نبيك » ومن ذلك تأويل اليهودى العشاء الربانى كما سمعته سابقا فتأويل المسلمين وتفسير المفسرين لهذه الآية بأن المراد من الضلال الغفلة كما فى آية أخرى : « لا بضل ربي ولا يئسى » والمعنى : وجدك غافلا عما يبراد بك من أمر النبوة أو ضالا لم تكن تدرى القرآن ولا الشرائع فهذاك لذلك وليس المراد الانصراف عن الحق فهذا كقوله تعالى

« ما كنت تدري ما الكتاب » وقوله سبحانه « وان كنت من قبله لمن  
الفالين » فهذا الى ناهجها في تضاعيف ما أوحى اليك من الكتاب  
المبين ، وعلمك ما لم تكن تعلم • وعلى هذا أكثر المفسرين •

وقال بعض المفسرين : وجدك في قوم ضلال فهداهم الله تعالى  
بك ، أو فهداك الى ارشادهم أو ضالا عما أنت عليه الآن من الشريعة  
فهداك الله تعالى اليها • وقيل وجدك ضائعا في قومك فهداك اليهم •  
وعن ابن عباس رضى الله عنهما وجدك بين الضالين ، فأستنقذك من  
ضلالتهم وقيل ضل في صغره عن جده في شعاب مكة فراه أبو جهل  
فرده لجدته وهو متعلق بأستار الكعبة بتضرع الى الله تعالى في أن يرد  
اليه محمدا وذكر له لما رآه أناخ الناقة وأركبه من خلفه ، فأبت أن  
تقوم فأركبه أمامه فقامت ، فكأن الناقة تقول يا أحق هو الامام فكيف  
يقوم خلف المتتدى ؟ وفي ارجاعه عليه للصلاة والسلام الى أهله على  
يد أبى جهل وقد علم سبحانه منه أنه فرعون يشبه ارجاع موسى عليه  
السلام الى أمه على يد فرعون •

نعم ذكر الفخر الرازى في تفسيره عن بعضهم أنه عليه الصلاة  
والسلام كان على دين قومه قبل النبوة ، لكنه خلاف قول الجمهور  
فهو قول مردود غير مقبول ، فلا يلتفت اليه ولا يعول عليه هذا واذا  
أنصف كل عاقل لجزم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا بد أن يكونوا  
معصومين من الكفر قبل النبوة وبعدها ، وانهم لم يقع منهم ذلك وان  
ما يرد مما يوهم خلاف هذا فلا بد أن يكون مأولا وغير مراد الظاهر  
المتبادر ، كما فعلت النصرى في كثير من آيات التوراة والانجيل ،  
وأوجبته تأويلها ، لأن ظاهرها غير مراد ، كما مر عليك ذلك غير مرة ، فتذكر  
فما في العهد من تقدم •

ثم أنا أو فرضنا أن نبينا عليه الصلاة والسلام كان يعبد الأصنام  
قبل النبوة ، فأى بأس في ذلك — على ما زعم هذا النصرانى — في ابراهيم

عليه السلام فليكن بزعمه نبينا عليه الصلاة والسلام كأبى الأنبياء  
خليل الرحمن .

**تتمة :** اذا كان رمى الانبياء بعظائم الأمور المذكورا في كتبهم  
بهتاناً وزوراً ، فليس يبدع اذا رمى سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام  
بعبادة الصنم قبل نبوته زورا وكذبا . اذ من المعلوم لدى أصحاب السير  
وغيرهم أن نبينا عليه الصلاة والسلام لم يعبد صنما قبل نبوته ، وكذا  
سائر اخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأنهم معصومون من  
الكفر ونحوه قبل النبوة وبعدها . أقوله عليه الصلاة والسلام  
« ما كفر نبي قط » .

**قال :** الامام أبو محمد بن قتيبة في كتابه شرح الأحاديث « ان  
العرب جميعا من اسماعيل بن ابراهيم صلوات الله تعالى على نبينا  
وعليهما خلا «اليمن» ، لم يزالوا على بقايا من دين آبيهم . ومن ذلك حج  
البيت وزيارته والختان والنكاح وايثاق الطلاق اذا كان ثلاثا وللزواج  
الرجعة في الوجداء والاثنين وتفريق الفراش في وقت الحيض والغسل  
من الجنابة ودية النفس مائة من الابل والقصاص في الجرح وقطع  
اليدين في السرقة ودفع الظلم ولزوم لقتل لقاطع الطريق والرجم للزاني  
المحصن والزانية المحصنة ، واتباع الحكم في المبال في الخنثى وتحريم  
ذوات المحارم بالترابة والمصهر والنسب وهذه أمور مشهورة عندهم .  
وكانوا مع ذلك يؤمنون بالله تعالى ويوحدونه في صفاته وأفعاله ويؤمنون  
بالمكئين الكائنين ، وكلهم أهل التوحيد في الاعتقاد .

قال الأعشى وهو جاهلي .

فلا تحسبيني كافرا لك نعمة .: . على شاهدي ، يا شاهدا الله فأشهد

يريد على لساني يا ملك الله فأشهد بما أقول . ويؤمن بعضهم  
بالبعث والحساب وآباء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأمهاته كلهم  
مؤمنون بالبعث والحساب وموحدون في اعتقادهم . قال زهير بن أبي

سلمى - وهو جاهلى لم يلحق الاسلام - فى قصيدته المشهورة التى  
تعد من السبع •

يؤخر فيوضع فى كتاب ويدخر ••• لىوم الحساب أو يعجل فينقم

وكانوا يقولون فى البلية وهى الناقة التى تعقل عند قبر صاحبها  
فلا تعلق ولا تسقى حتى تموت أن صاحبها يجرى يوم القيامة راكبها  
وان لم يفعل أولياؤه ذلك بعده جاء حانها راجلا فقد ذكر أبو زيد فقال:

كالبلايا رعوسها فى الولايا ••• مانحات السموم حر الخدود

والولايا البرادع وكانوا يقورون البرذعة ويدخلونها فى عنق تلك  
الناقة وقال النابغة :

محلثهم ذات الاله ودينهم ••• تويم فما يرجون غير العواقب

يريد الجزاء بالأعمال وكان رسول الله ﷺ على دين قومه يعنى على  
دين اسماعيل وابراهيم عليهما السلام ، وهو الاسلام يراد على  
ما كانوا عليه من الايمان بالله تعالى والعمل بشريعتهما فى تلك المذكورات  
وكان مع هذا لم يقرب من الأوثان ، فى صغره وكبره قبل الوحي ، وكان  
يعيبيهم • وقال عليه الصلاة والسلام « بغضت الى » غير أنه كان  
لا يعرف فرائض الله تعالى والشرائع التى شرعها لعباده على لسانه  
حتى أوحى اليه • ولذلك قال تعالى : « ألم يجدك يتيما فأوى ووجدك  
ضالاً فهدى » يريد سبحانه ضالا عن تفصيل الايمان ولأسلام  
وكذلك قوله عز وجل : « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان »  
يريد سبحانه وتعالى ما كنت تدري ما القرآن ولا شرائع الايمان ، ولم  
يرد بالايمان الذى هو الاقرار لأن اباءه الذين كانوا فى أعمالهم على  
الكفر والشرك كانوا فى اعتقادهم موحديين ، لأنهم يعرفون الله تعالى  
ويؤمنون به ويعبدون الله تعالى على شريعة ابراهيم عليه السلام ، لكن

يتخذون من دون الله آلهة يتقربون بها إليه تعالى ، وتقربهم فيما ذكروا منه ويتقنون الظلم ويحذرون عواقبه ويتخالفون على أن لا يعني أحد على أحد ولا يظلم .

وقال عبد المطلب لملك الحبشة حين سأله حاجته فقال ابل ذهبت لى فعجب منه كيف لم يسأله الانصراف عن البيت ؟ فقال ان لهذا البيت من يمنع منه أو كما قال .

فهؤلاء كانوا يقرون بالله ويؤمنون به ، فكيف لا يكون الطيب المطهر قبل الوحي يؤمن بالله تعالى ؟ وهذا لا يخفى على أحد ولا يذهب عليه أن مراد الله تعالى في قوله : « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان » أن الايمان شرائع الايمان وهذا معنى قولهم انه كان على دين قومه أربعين سنة أنه عليه السلام كان على دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وقومه هؤلاء كذلك ، الابن أمية وعبد شمس وغيرهما من كفره قريش كأبى جهل وغيره لأنه سبحانه حكى عن ابراهيم عليه السلام « فمن تبعنى فإنه منى ، ومن عصانى فأتك غفور رحيم » وقال لنوح عليه السلام : « انه ليس من أهلك » يعنى ابنه لما كان على غير دينه . انتهى .

غير أنى لأعجب : من قوله أن ابراهيم كان يعبد الأصنام وأن ابراهيم أبو داود وعيسى بن داود (١) ، فأيت شعري لم لم يقل عيسى لابراهيم وهو نطفة محمول في صلب ابراهيم يا ابراهيم أنا ربك في ظهرك فلا تسجد للأصنام بل اسجد لى لأنى خلقتك ، وأنا الآن فى صلبك ؟ وكيف يعق عيسى أباه ولم يرشده الى عبادته آياه ؟ فانا لله . ولا حول ولا قوة الا بالله .

تذييل : يقال لهذا النصرانى اذا سلمنا المحال وأن النبى عليه الصلاة والسلام كان قبل النبوة وحاشاه فى وادى الضلال

(١) الاصح : أن عيسى من نسل هرون عليه السلام .



فعندك أن الأنبياء عليهم السلام صدرت دنهم الكبائر ككفر بعضهم وزناء بعضهم ، وليس ذلك مخلا بنبوتهم على زعمكم كما فصلناه غير مرة • على أن عيسى عليه السلام وهو الاله بزعمكم حكى عنه يوحنا في إنجيله في الأصحاح الثامن أنه معترف بالذنوب والعطايا بما نصه : « فقدم اليه الكتبة والفريسيون امرأة امرأة وجدت في زنا وأوقفوها في الوسط وقالوا له يا معلم هذه المرأة الآن أخذت في زنا ، وموسى أمر في ناموسه أن يرحم مثل هؤلاء • فماذا تتول أنت ؟ قالوا هذا ليجربوه ليكون لهم ما يثلبونه به ، فأطرق يسوع وكتب باصبعه على الأرض ، فلما استبطأوا سؤالهم اياه رفع رأسه قائلاً لهم : من كن منكم بلا خطيئة فليرحمها أولاً بحجر ، ثم أطرق أيضاً وكتب على الأرض ، فلما سمعوا طفتوا يخرجون واحداً واحداً • والشيوخ هم بدأوا ، وبقي يسوع وحده ، والمرأة واقفة في الوسط ، فرفع يسوع رأسه وقال لها يا امرأة أين أولئك الذين يقرفونك فلا واحد دانك ؟ فقلت : ولا واحد يارب • قال لها يسوع : ولا أنا أيضاً أدينك • اذهبي ومن الآن لا تعودى الى الخطيئة » انتهى •

فعلى هذا يلزم أن يكون عيسى عليه السلام مثل بقية الجمع له خطيئة ، فلا يقدر أن يدين الزانية ويرجمها وهذا أيضاً فيه شيطان أحدهما : انه ما عمل بشريعة موسى • والثانى : انه ليس في شريعة موسى أن الخاطيء لا يرحم الزانية •

وقد نمحل مفسرهم « الخورى » وأراد صرف اللفظ عن ظاهره بما لفظه « كأنه يقول : انا وحدى معصوم من الاثم ، وأقامنى الله قاضياً للناس ، ولذا يحق لى ان أدينك ، لكنى لا أريد لأننى ما جئت لأدين العالم بل لأخلص العالم » انتهى •

فلا يخفى أن لفظ أيضاً يقتضى أنه مخطيء كما انهم مخطئون ، وان في كلام هذا المفسر تناقضاً ، وان المسيح مع كونه قاضياً وحكماً بما في التوراة لم يجر مقتضى القضاء ، ولم يحكم بما فيها ، بل

حكم بضدها فبين قوله « يحق لى أن أدينك » وقوله « لأريد » تناف •  
وأیضا يلزم من هذا وأنه مخلص العالم عدم الأمر بالمعروف والنهي عن  
المنكر ، واستقاط الحدود الشرعية عن القاتلين والسارقين والزانيين  
وغيرهم • ولو اعترفوا ، بل ويلزم منه عدم التكاليف الشرعية من صوم  
وصلاة وزكاة ونحوها ، لأنه جاء لتخليصهم من العذاب على ذنوبهم ،  
وقد خلصهم بدخوله الى جهنم وتحمل العنة بدلا عنهم على زعمهم  
فليعملوا اذن ما شاءوا وهذا من الاعترادات العجيبة •

والأعجب منه أن التفسيرين أيضا مخلصون من يعترف لهم بخطيئة  
والأعجب منه أن الباباوات معصومون والأنبياء غير معصومين والأعجب  
من هذا كله : أن المسيح اله مخلص العالم ، وانه لم يخلص نفسه من  
اليهود حتى قتلوه ، ولا النصرارى حتى أكلوه • ومن العجيب أيضا  
انهم نقلوا عنه عليه السلام فى أنجيلهم : أن رجلا قال له يا صالح  
فناهه وقال لله لا تقبل لى لأته لا صالح الا الله • فانظروا يا ذوى الألباب  
هذه المحالات والمناقضات ، فليحفظ •



قال النصرانى : « فعندما آيس مما سولت له نفسه ادعى النبوة ،  
وانه رسول مبعوث من رب العالمين • فدخل عليهم من باب لطيف  
لا يعرفون عاقبته ماهى • ولا يفهمون كيف امتحان مثله • ولا ما يعود  
عليهم من ضرر منه • وانما هم قوم عرب أصحاب بدو ، لم يفهموا  
شروط الرسالة ، ولم يعرفوا علامات النبوة ، لانه لم يبعث فيهم نبي  
قط وكان ذلك من تعليم الرجل الملقن له الذى سذكرا اسمه وقصته فى  
غير هذا الموضع من كتابنا ، وكيف كان سببه » •

اقول : كلامه هذا كل زور وباطل كشمس الضحى فى الظهور ،  
لأنه عليه الصلاة والسلام لما ادعى النبوة ، امتحنته الناس فظهرت  
على يديه المعجزات التى ظهر على أيدي اخوانه الأنبياء أمثالها وأخبر  
الرب سبحانه قبل بعثته فى كتبه عنه وعن صفاته ومخرجه ونعته وتحديثه

الكهان من العرب والأخبار من اليهود والرهبان من النصارى بأمره عليه الصلاة والسلام قبل مبعثه لما تقارب من زمانه ، وآمن به من أهل الكتابين بالطوع من لا يحصى عددهم إلا الله سبحانه وتعالى كما سنذكر مفصل هذا كله قريبا إن شاء الله تعالى .

**وأما قوله : : « ولا ما يعود عليهم من ضرر منه » فيقال لهذا**

النصراني ليت شعري أى ضرر حصل للعرب بايمانهم بخاتم النبيين صلى الله تعالى عليه وسلم وعليهم أجمدين ، فقد كانوا قبل مبعثه يعبدون الأحجار والأشجار فهذاهم الى التوحيد ومحاسن الاعمال وصادق الأقوال وعمل الخيرات وترك الموبقات والايمان بالله تعالى وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأن لا يعبدوا الا اياه ولا يستعينوا الا به اذ لا خالق سواه والايمان بموسى وعيسى ، فأى ضرر حصل للعرب بذلك ، وأى مهلكة ترتبت على ما هنا لك ؟ ولعل النصراني يزعم أن الضرر الذي أتاهم من حيث أنه لم يقل لهم ان عيسى اله واحد وانه قد تولد من والدة والله له والد ولم يعلمهم أن من أكل من الخبز المقدس ، فقد أكل ربه ومن شرب من الخمر فقد شرب حقيقة دمه . ولم يقل لهم : ان من الأنبياء من عبد الأصنام قبل النبوة وبعدها وكفر ، ومنهم من زنى ببنته وسكر وفجر ، ولم يأمرهم بالسجود للصور المنقوشة في الحيطان ولريم خطية الرحمن ، ولم يأمرهم بأكل الخنزير والنجاسات . فمن هذا جاء الضرر على العرب الذين آمنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم على زعم هذا النصراني لأنهم لو اعتقدوا هذه العقائد الفاسدة وأمثالها لحصل لهم الهدى والرشاد ، لكنهم لما آمنوا به عليه الصلاة والسلام وبوحدانية الله سبحانه وسائر الأحكام الشرعية ، وأحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث فقد عاد عليهم الضرر ، بزعم هذا المثلث .

**قوله : « ولم يفهموا شروط الرسالة ولم يعرفوا علامات النبوة لأنه لم يبعث فيهم نبي قط » .**

**قد ذكرنا لك انفا : أن العرب لم يزالوا على بقايا من دين ابيهم**

اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وذكر « الماوردي » أن من الأنبياء خمسة من العرب وهم هود وصالح واسماعيل وشعيب وخاتمهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم • وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن الله تعالى بعث الى أهل الرس نبيا منهم يقال له حنظلة بن صفوان فكذبوه وقتلوه ، فأوعى الله تعالى الى نبي كان مع بخت نصر يقال له أرمياء بن برخيا : مر « بخت نصر » ليغزو العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم ، فيقتلهم بما صنعوا بنبيهم • وكذا بعث اليهم خالد بن سنان فالعرب كانوا يعرفون شروط الرسالة ، ولذا طلبوا المعجزات من النبي عليه الصلاة والسلام •

وفى كتاب المعارف لابن قتيبة عليه الرحمة كانت النصرانية فى ربيعة وغسان وبعض قضاة ، وكانت اليهودية فى حمير وبنى كنانة وبنى الحارث بن كعب وكندة ، وكانت المجوسية فى تميم ومنهم زرارة ابن عدس التميمي وابنه حاجب بن زرارة • وكان تزوج ابنته • ثم قدم ومنهم الأقرع بن حابس كان مجوسيا وأبو الأسود جد وكيع بن حسان كان مجوسيا • وكانت الزندقة فى قرينش ، أخذوها من الحيرة • وكان بنو حنيفة اتخذوا فى الجاهلية الها من حبس ثم أصابهم مجاعة فأكلوه فقال رجل من بنى تميم •

أكلت ربها حنيفة من جوع قديم بها ومن أعواز •

وقال آخر :

أكلت حنيفة ربها ••• زمن التثمم والمجاعة  
لم يحذروا من ربهم ••• سوء العواقب والتباعدة

وسياتى كلام يتعلق بكلماته هذه أيضا حينما نعيده فانتظره •  
وأما الرجل الذى عناه فى آخر كلامه فهو بحيرا الراهب وسنفضل حاله ان شاء الله تعالى اذا جئنا الى موضعه •

ولنفصل لك ما أشرنا اليه انفا مما يتعلق برسائله وحقيقة بعثته ،  
وأمارات نبوته عليه الصلاة والسلام بنفصول لا يبقى بعدها شك  
ولا ريب ولا ترديد لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد •

## الفصل الأول

في اثبات نبوته عليه الصلاة والسلام من الكتب السماوية وذكر بعض ما ورد فيها من البشارة به ونعته وصفته وصفة أمته .

غير انا نذكر أولا مقدمات تزيدك يقينا ووضوحا في ورود ذلك :

**الأولى :** انه من الممتع أن تخلو الكتب المتقدمة عن الاخبار بهذا الأمر العظيم . الذي لم يطرق العالم من حين خلق الى قيام الساعة أمر أعظم منه ولا شأن أكبر منه فان انعلم به طبق مشارق الأرض ومغاربها ، واستمر على تعاقب القرون والى أن يرث الله الأرض ومن عليها . ومثل هذا النبأ العظيم لا بد أن تتطابق الرسل على الاخبار به .

والأنبياء الاسرائيلية . مثل أشعيا وارميا ودانيال وحزقيال (١) وعيسى عليهم السلام أخبروا عن الحوادث الآتية كحادثة بخت نصر وقورن و اسكندر وخلفائه وحوادث أرض الروم ومصر ونيينوى وبابل ، فيبعد كل البعد أن لا يخبر أحد منهم بظهور النبي المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم . واذا كان الدجال رجل كاذب يخرج في آخر الزمان (٢) وبقاؤه في الأرض أربعين يوما وقل ستة أشهر قد تطابقت الرسل على الاخبار به وأنذر به كل نبي قومه من نوح الى خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام فكيف تتطابق الكتب الالهية من أولها الى آخرها على السكوت عن الاخبار بهذا الأمر العظيم الذي لم يطرق العالم أمر أعظم منه ولا يطرقه أبدا ؟ فهذا ما لا يسوغه عقل عاقل ، وتأباه حكمة أحكام الحاكمين ، بل الأمر بخض ذلك . فما بعث الله سبحانه نبيا الا أخذ عليه الميثاق بالايمان بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وتصديقه كما قال تعالى : « واخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب

(١) حزقيال هو ذو الكفل .

(٢) الدجال : يقول النصارى : انه محمد رسول الله . واخبار الدجال منقلا نحن المسلمين اخبار ظنية .

وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال  
أقررتم وأخذتم على ذلکم امری ؟ قالوا : أقررنا قال : فاشهدوا وأنا  
معكم من الشاهدين « قال ابن عباس - رضی الله عنهما - ما بعث الله  
تعالى من نبی الا أخذ علیه الميثاق لئن بعث محمد وهو حی لتؤمنن  
به ولتنصرنه • وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته : لئن بعث محمد ومعه  
أحياء ليؤمنن به ولينابعنه •

**الثانية :** لا يخفى على من تدبر الكتب السماوية وسرد رسائلها  
الالهامية أنه لا يشترط أن يكون أخبار الأنبياء المتقدمين  
عن الأنبياء المتأخرين مفصلة بذكر أسمائهم وصفاتهم  
وأماكنهم وتعيين وقت ظهورهم بل يكون هذا الأخبار في  
كثير من الأوقات مجملا وإشارة عند العرام ، وأما عند الخواص فقد  
يكون جليا بواسطة القرائن ، وقد يبقى خفيا عليهم لا يظهر لهم الحال  
الا بعد دعوة النبي اللاحق وظهور صدقه ومعجزاته فالأخبارات بنبينا  
عليه الصلاة والسلام في العهد القديم والجديد بعد التحريف والتبديل  
لم يبق منها الا القليل ، على أن الاشارات ببعثه في الكتب السماوية  
ظاهرة لمن تدبرها نابذا للمكابرة والحمية الجاهلية كافية ببغية من طلب  
السعادة الأخروية •

على أنا لو فرضنا عدم وجود ذلك الآن فأى ثلم يعترى لرسالة  
من أقر برسالته الثقلان ، وتوالت معجزاته الثابتة كانشقاق القمر  
والايوان ، وتكليم الحجر وانقياد الشجر ونزول القرآن ، الذي هو  
معجزة باقية ما دام الملوان ؟ وغير ذلك من المعجزات التي سنذكرها  
ان شاء الله تعالى في هذا الديوان والله المستعان •

**الثالثة :** ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان أحرص  
الناس على تصديقه واتباعه واقامة الحجة على من خالفه وجحد نبوته  
ولا سيما أهل العلم والكتاب ، فان الاستدلال عليهم با يعلمون بطلانه  
قطعا لا يفعاله عاقل ، وهو بمنزلة من يقول لرجل علامة صدقي أنك فلان  
ابن فلان وصنعك كيت وكيت ، وتعرف كيت وكيت ، ولم يكن الأمر  
كذلك بل بضده • فهذا لا يصدر ممن له مسكة عقل ولا يصدقه أحد على

ذلك ، ولا يتبعه ، بل ينفر العقلاء كلهم عن تصديقه واتباعه ، والعادة تحيل سكوته عن الطعن عليه ، والرد والتهجين لقوله . ومن المعلوم بالضرورة أن محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه نادى معلنا في هاتين الأمتين اللتين هما أعلم الأمم في الأرض قبل مبعثه بأن ذكره ونعته وصفته بعينه عندهم في كتبهم ، وهو يلو ذلك عليهم ليلا ونهارا ، سرا وجهارا ، في كل مجمع وكل ناد ، يدعوهم لذلك يعنى الى تصديقه والايان به فمنهم من يصدقه ويؤمن به ويخبر بما في كتبهم من نعته وصفته وذكره . كما سيمر بك ان شاء الله تعالى . وغاية المكذب الجاحد أن يقول هذا النعت والوصف حق ولكن لست أنت المراد به بل نبي اخر وهذا غاية ما يمكنه من المكابرة . ولم تجده هذه المكابرة الا كشف عورته ، وابداء الفضيحة بالكذب والبهتان فان الصفات والنعوت والعلامات المذكورة عندهم منطبقة عليه حذو القذة بالقذة ، بحيث لا يشك من عرفها ورآه أنه هو كما عرفه سلمان ، وكما عرفه هرقل ، وكما عرفه عبد الله بن سلام وغيرهم بتلك العلامات المذكورة . كما قال هرقل : قل لأبى سفيان ان يكن ما تقول حقا ، فانه نبي ، وسيملك ما تحت قدمي هاتين قال ابن عباس - رضى الله عنهما - لما حضر أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بين يدي النجاشي وقرءوا القرآن ، سمع ذلك القسيسون والرهبان ، فانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق . فقال الله تعالى : « ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا ، وأنهم لا يستكبرون » الآيات . وقل سعيد بن جبير : بعث النجاشي من أختيار أصحابه ثمانين رجلا الى رسول الله ﷺ فقرأ عليهم القرآن فبكوا ورقوا وقالوا نعرف والله انه الحق . فأسلموا وذهبوا الى النجاشي فأخبروه ، فأسلم فانزل الله تعالى فيهم : « واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فلاكنبنا مع الشاهدين . وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ؟ ونطع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فأتأبههم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار ، خالدن فيها وذاك جزاء المحسنين .

وأمثال هذا كثير جدا لو أردنا أن نستقصيه لخرجنا الى طول الكتاب  
وسأمة المستمع . ولعلنا نذكر بعضا منه أيضا في محال آخر ان شاء  
الله تعالى .

**ولنرجع الى المقصود من نقل ما في الكتب السماوية والزبر  
النبوية من الآيات والبشائر في الحضرة المحمدية (١) . وهي كثيرة جدا**

(١) اذا وضعت نصوص نبوءات التوراة عن محمد صلى الله عليه  
وسلم تحت بعضها ، فانها تدل عليه بوضوح . وقد فرقتها كاتب التوراة  
في « بابل » لثلاث تدل عليه بوضوح . ومثل ذلك مثل الجسم بأعضائه .  
اذا فصلت الاعضاء ووضعت كل عضو في جهة من الجهات ، فانه يصعب  
عليك معرفة صاحب الجسم . ولكن اذا ضممت الاعضاء ووضعتها في  
أماكنها ؟ فانك تعرف صاحبه . والمسلمون الذين كتبوا في هذا الموضوع ،  
تكلموا في كل نبوءة على حدة . وطريقة الضم هكذا :

أولا : تضع النصوص الدالة على بركة لاسماعيل عليه السلام .  
وتبين ( أ ) أن نبوءة موسى لم تثبت الا من النص على بركة لاسحاق عليه  
السلام . وحيث أن لاسماعيل بركة مساوية لبركة اسحاق . فان بركه  
اسماعيل تدل على نبي يظهر منه مماثل لموسى ( ب ) أن اسم محمد عليه  
السلام في بركة اسماعيل هو « بهاد ماد » و « لجوى جدول » بحساب  
الجهل وهو حساب أبجد هوز حطى كمن سغنص قرشت .

ثانيا : تضع بعد نص البركة مباشرة ، النص الدال على سكنى  
اسماعيل في « فاران » ثم تذكر النص الدال على تقسيم البركة بين سيفاء  
وساعير وفاران .

ثالثا : تضع بعد نصوص البركة كلها النص على زوال الملك وزوال الشريعة  
من بنى اسرائيل الذين هم حاملوا بركة اسحق . وهو قول اسرائيل :  
« لا يزول قضيب من يهوذا ... الخ » .

رابعا : تؤكد أن الامة الغيبة التي سيفيظ الله بها بنى اسرائيل هي  
امة اسماعيل وأن الاغاظة هي بسبب الملك منهم والنبوءة ، واعطائها لهم .

خامسا : : تذكر النص عن النبي الامي وهو : « يتيم لك الرب الهك  
نبيا ... الخ » وتذكر معه قوله في آخر التوراة : « لن يقوم نبي في  
اسرائيل مثل موسى » هذه هي الطريقة الجيدة في فهم النصوص والالزام بها .

واعلم : أن اليهود الى هذا اليوم يزعمون : أن النبي المنبأ عنه في  
التوراة ، لم يظهر بعد والنصارى يزعمون أنه هو عيسى عليه السلام .  
مع أن التوراة وأسفار الانبياء ليس فيهم من نص واحد على عيسى عليه  
السلام . وكل النصوص انما هي عن محمد صلى الله عليه وسلم الاتى من  
غير بنى اسرائيل . وقد بينا تفسير هذا الكلام في كتابنا « البشارة بنبي  
الاسلام في التوراة والانجيل » .



غير انا ننقل من الصريح فيها اثني عشر بشارة على عدد النقباء أو الحواريين لتكون مؤيدة للتحق المبين •

**البشارة الأولى :** ما في الاصحاح الثامن عشر من سفر الاستثناء من التوراة المطبوعة في لندن سنة ١٨٤١ ما نصه : « فقال الرب لى جميع لها قائلوا ، وسوف أقيم لهم نبيا مثلك من بين اخوتهم ، وأجعل كلامى فى فمه ، ويكلمهم بكل شىء أمره به ، ومن لم يطع كلامه الذى أتكلم به بأسمى فأنا أكون المذنب من ذلك فاما النبى الذى يجترىء بالكبرياء ويتكلم فى اسمى ما لم امره به بأنه يقوله أم باسم آلهة غيرى ، فليقتل •

فان أحببت وقلت فى قلبك كيف أستطيع أن أميز الكلام الذى لم يتكلم به الرب ؟ فهذه تكون لك آية ن ما قاله ذلك النبى فى اسم الرب ولم يحدث ، فالرب لم يكن تكلم به ، بل ذلك النبى صوره فى تعظم نفسه ولذلك لا تخشاه » انتهى بحروفه •

فهذا نص لا يمكن لأحد منهم جرده وانكاره ، ولكن لأهل الكتاب فيه أربع طرق أحدها : حمله على المسيح • وهذه طريقة النصارى • وهو دليل يخالف معتقدهم فى المسيح لأنه اله • والاله لا يكون مثل عبوده • وأما اليهود فلهم فيه ثلاث طرق • أحدها : أنه على حذف أداة الاستفهام والتقدير : أقيم لبنى اسرائيل ؟ أى لا أفعل هذا فهو استفهام انكار حذف منه أداة الاستفهام • وبطلان هذا لا يحتاج الى بيان (١) ، بل هو من جملة التحريف المألوف منهم والهديان • الثانى : أنه خبر ووعد ولكن ليس المراد به عيسى ، بل المراد شوثيل النبى ، فانه من بنى اسرائيل أو يوشع • والبشارة انما وقعت بنبى من اخوتهم ، واخوة القوم هم بنو أبيهم وهم بنو اسرائيل • الثالث : أنه نبى يبعثه الله تعالى فى آخر الزمان يقيم به ملك اليهود ويعلو به شأنهم ، وهم ينتظرونه الآن ويسمونه المنتظر • وهذه كلها طرق مسدودة وأقوال مردودة ، بل هذه بشارة بنبوة النبى الأمين ورسالة خاتم النبيين صلى

(١) وذلك لقوله فى أول النص : لا تسمعوا للكلام السحرة والمرافين •  
ولسوف أرسل لكم نبيا يقيم الدين قاسموا له ( تثنية ١٨ ) •

الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين • لما ستسمع الان من هذه الأجوبة والجوه الحسان :

**الوجه الأول :** ان اليهود المعاصرين لعيسى عليه السلام كانوا ينتظرون نبيا آخر مبشرا به في هذا الباب ، وكان هذا المبشر به عندهم غير المسيح ، فلا يكون هذا المبشر به شموئيل ويوشع ولا عيسى عليه السلام • ففي الاصحاح الأول من انجيل يوحنا ما نصه • « وهذه هي شهادة يوحنا حين ، أرسل اليهود من اورشليم كهنة ولاويين يسألونه : من أنت ؟ فاعترف ولم ينكر ، وأقر أنى لست أنا المسيح فسألوه : اذا ماذا ؟ ايليا أنت ؟ فقال لست أنا • أفالنبي أنت ؟ فقال : كلا فقالوا له : فمن أنت لنعطى جوابا للذين أرسلونا ؟ ماذا تقول عن نفسك ؟ قل : أنا صوت صارخ في البرية قوموا طريق الرب ، كما قال أشعيا النبي • وكان المرسلون من الفريسيين ، فسألوه وقالوا له : فما بالك تعتمد ان كنت لست المسيح ولا ايليا ولا النبي ؟ » انتهى •

والألف واللام في لفظ « النبي » للعهد • والمراد : النبي المهود الذى أخبر عنه موسى في الاصحاح الثامن عشر من سفر الاستثناء المتقدم ، وهو محمد بن عبد الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما لا يخفى •

**الوجه الثانى :** أنه وقع في هذه البشارة لفظ « مثلك » ويوشع وعيسى عليه السلام لا يصح أن يكونا مثل موسى عليه السلام أما أولا : فلأنهما من بنى اسرائيل ولا يجوز أن يقوم أحد من بنى اسرائيل مثل موسى ، كما تدل عليه الآية العاشرة من الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر الاستثناء وأما ثانيا : فكيف يكون يوشع مثله وهو على ما في الاصحاح الأول من سفر يشوع بن نون أنه خادم موسى ؟ فكيف يتمثل الخادم والمخدوم ؟ وأيضا أن موسى عليه السلام صاحب كتاب وشريعة جديدة مشتملة على أوامر ونواهي ويوشع ليس كذلك ، بل هو متبع لشريعته • وكذا لا توجد المماثلة التامة بين موسى وعيسى عليهما السلام لأن عيسى يزعم النصارى كان الها وربا لموسى وهو عبده

وأن عيسى علي زعمهم صار ملعونا لشفاعة الخلق كما صرح به بوأس في الاصحاح الثالث من رسالته الى أهل غلاطية بقوله : « فقد اشترانا المسيح من لعنة الناموس وصار لعنة لأجلنا ، لأنه مكتوب : ملعون كل من يعلق على خشبة » وموسى ما صار ملعونا لشفاعتهم ، وأن عيسى دخل الجحيم بعد موته كما هو مصرح به في عقائد أهل النثلث ، وموسى ما دخل الجحيم ، وأن عيسى صلب ليكون كفارة لأُمَّته بالصلب بخلاف موسى ، وأن شريعة موسى مشتملة على الحدود والتعزيرات وأحكام الغسل والطهارة والمحرمات من المأكولات والمشروبات بخلاف شريعة عيسى ، فانها خالية عنها ، على ما تشهد به الأناجيل التي بأيديهم الآن . وأن موسى كان رئيسا مطاعا في قومه وعيسى لم يكن كذلك ، فانفتقت المماثلة (١) .

**الوجه الثالث :** انه وقع في هذه البشارة لفظ « من بين اخوتهم » ولا شك أن الأسباط الاثني عشرة كانوا موجودين في هذا الوقت مع موسى عليه السلام : حاضرين عنده ، فلو كان المقصود كون النبي المبشر به منهم لقال : منهم لا من بين اخوتهم ، لأن الاستعمال الحقيقي لهذا اللفظ أن لا يكون المبشر به له علاقة الصليبية والبطنية ببني اسرائيل كما لا يخفى على من عرف مواقع الكلام وأحاط خبرا بعبارات التوراة .

**الوجه الرابع :** ان التعبير بسوف أقيم دليل على أن المراد بالمبشر به غير يوشع، لأنه كان حاضرا عند موسى وداخلا في بنى اسرائيل، نبيا في ذلك الوقت فكيف يصدق عليه هذا اللفظ ؟ كما هو ظاهر لكل ذي لب .

**الوجه الخامس :** ان قوله سبحانه « أجعل كلامي في فمه » اشارة الى ان ذلك المبشر به نبي ينزل عليه كتاب ، والى كونه اميا حافظا

---

(١) مقارنة المؤلف بين شريعة موسى وشريعة عيسى ليس لها محل . فان عيسى عليه السلام لم ينسخ شريعة موسى عليه السلام . فهما معا اصحاب واحدة هي التوراة . والناسخ للتوراة هو مجهد رسول الله ﷺ .

للكلام واعيا له في صدره ضابطا له في قلبه ، لا بواسطة لوح وأقلام •  
وهذا لا يصدق على يوشع لانتفاء كلا الأمرين فيه عليه السلام •

**الوجه السادس :** انه سبحانه بين في هذه الآيات علامة النبي الكاذب من أن اخباره عن المعجزات المستقبلية لا يكون صادقا • ويفهم منها : أن من ادعى النبوة وأظهر المعجزة وأخبر بالمعجزات المستقبلية وكان الأمر كما أخبر فهو نبي صادق • فهذا صادق على نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حيث أظهر المعجزة وأخبر بالمعجزات وخرج الأمر كما ذكر ، كما سنذكر ذلك مفصلا في محله أن شاء الله تعالى فهو النبي الصادق الذي لم يسبقه في جميع كمالاته سابق •

**بقي شيء :** وهو أن علماء البر وتستننت اعترضوا على ما قلناه بشيئين •

**الأول :** أنه وقع في الآية الخامسة عشر من الاصحاح الثامن عشر من سفر الاستثناء هكذا : « فان الرب الهك يقيم من بينك من بين اخوتك » : الى آخره فلفظ « من بينك » يدل دلالة ظاهرة على أن هذا النبي يكون من بنى اسرائيل لا من بنى اسمايل •

**الثاني :** ان عيسى عليه السلام نسب هذه البشارة الى نفسه • فقال في الاصحاح الخامس من انجيل يوحنا : أن موسى كتب في حقى •

**فالجواب عن الأول :** ان هذا اللفظ وهو « من بينك » لا يوجد فيما نقله بطرس الحوارى ولا في كلام موسى عليه السلام لما أعاد هذا الوعد من كلام الله تعالى في الآية الثامنة عشر • وكذا نقله استفانوس أيضا ولا يوجد في نقله هذا اللفظ كما صرح به في الاصحاح السابع من سفر الأعمال ونص عبارته هكذا : « هذا هو موسى الذى قال لبنى اسرائيل نبياً مثلى سيقوم لكم الرب الهكم من اخوتكم له تسمعون » انتهى فسقوطه في هذه المواضع واختلاف النسخ الموجودة الآن دليل على كونه غير مقصود • واذا سلمنا وروده فهو في نية السقوط ، لأنه حينئذ يكون قوله من بين اختك بدل اشتمال منه ، على رأى كثيرين من البحوثيين ، أو بدل اضراب على رأى بعضهم •

**والجواب عن الثاني :** ان آية الانجيل هكذا : « لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني » وليس في هذا تصريح بأن موسى عليه السلام كتب في حقه اللفظ الفلاني . والمحل الفلاني ، بل المفهوم منه أنه كتب في حقه ما يخبر بنبوته وهذا أمر مسلم عندنا أن موسى أخبر في التوراة بمجيء عيسى (١) بيا وبمحمد رسولا عليهم الصلاة والسلام لكن ننكر أن تكون هذه البشارة في شأن عيسى المكرم ، لما قدمناه من الأدلة انها في حق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم .

**والعجب :** من النصارى كيف يستدلون بهذه الآية المتقدمة من التوراة على أنها في حق عيسى عليه السلام وموسى عبده وعيسى معبوده ، وخالق الخاص والعام ؟ مع أن فيها المماثلة لموسى ، فكيف يماثله عيسى وهو الذى خلق موسى وكلمه وأنزل عليه التوراة وعلمه ؟ وكيف يكون له مماثلا للبشر معادلا ولشابهة عبده قابلا ؟ وكيف ينزل عليه هذا الكتاب ثم يقول له : يا عبدى سأكون مثلك نبيا وأهل بطن مريم بعد أحقاب ؟ فليت شعري على زعمهم من القائل لموسى هذا الكلام ؟ ومن صار عيسى ونزل الى الأنعام ؟ فهل هذه العقيدة الاسفسطة لا تقبلها ذو والأحلام ؟ والسلام .

**البشارة الثانية :** ما في الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر الاستثناء في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤١ ما نصه : « فهذه البركة التى بها بارك موسى رجل الله بنى اسرائيل قبل موته وقال جاء الرب من سيناء رأسرق لنا من ساعير ، واستعلن من جبل فاران ، ومعه ألوف الأطهار ، في يمينه سنة من نار » انتهى .

قال أبو محمد بن قتيبة ليس بهذا خفاء على من تدبره ولا غموض ، لأن مجيء الله من طور سيناء : انزاله التوراة على موسى من طور سيناء كالأذى هو عند أهل الكتاب وعندنا ، وكذلك يجب أن يكون اشراقه من ساعير : انزاله الانجيل على المسيح . وكان المسيح من

(١) ليس في التوراة آية نبوءات عن عيسى عليه السلام .

ساعير أرض الجليل بقرية تدعى ناصرة ، وبأسمها تسمى من اتبعه  
نصارى (١) . وكما يجب أن يكون اشراقه من ساعير بالمسيح ، فكذلك  
يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران : انزاله القران على محمد صلى  
الله تعالى عليه وسلم ، وجبال فاران هي جبال مكة « قال : « وليس  
بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة . فان ادعوا أنها  
غير مكة وليس ينكر ذلك من تحريفهم وأفكهم ، قلنا : أليس في التوراة  
أن إبراهيم أسكن هاجر واسماعيل فاران ؟ . وقلنا لهم : دلونا على  
الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران ، والنبي الذي أنزل عليه  
كتابا بعد المسيح ؟ أو ليس استعلن . وعلن بمعنى واحد : وهما ظهر  
وافتشف . فهل تعلمون ديننا ظهر ظهور الاسلام وفتشا في مشارق الأرض  
ومغربها ؟ فبينوه . وساعير جبل بالشام ومنه ظهور نبوة المسيح ،  
والى جانبه قرية بيت لحم القرية التي ولد فيها المسيح تسمى اليوم  
ساعير ، ولها جبال يسمى ساعير . وفي التوراة أن نسل العيص كانوا  
سكانا بساعير ، وأمر الله موسى أن لا يؤذيمهم » .  
قال شيخ الاسلام بن تيمية : « وعلى هذا فيكون قد ذكر الجبال

الثلاثة ، حراء الذى ليس حول مكة أعلى منه ، وفيه ابتدى رسول  
الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنزول الوحي عليه ، وحولته جبال كثيرة .  
وذلك المكان يسمى فاران . ولا يمكن أحدا أن يدعى أنه بعد المسيح  
نزل كتاب في شيء من تلك الأماكن ولا بعث نبي فعلم أنه ليس المراد  
باستلائه من جبال فاران الا ارسال محمد ﷺ وهو سبحانه ذكر هذا  
في التوراة على الترتيب الزماني . وهذه الالكاب نور الله وهدايته . وقال  
في الأول : جاء في الثاني أشرق ، وفي الثالث استعلن ، فكان مجيء  
التوراة مثل طلوع الفجر ، ونزول الانجيل مثل اشراق الشمس ، ونزول  
القرآن مثل ظهور الشمس في السماء .

---

(١) هم سموا نصارى من كلمة عبرانية هي « هانصرى » اطلقها  
اليهود على عيسى عليه السلام .

ونقل ابن التميم أن في ترجمة نبوة حبقوق ما نصه « جاء الله من  
اليمين وظهر ببيت المقدس ، والقديس علي جبال فاران ، وامتدأت  
الأرض من تحميد أحمد ، وملك بيمينه رقاب الأمم وأنارت الأرض  
لنوره ، وحملت خيله في البحر » .

**قال ابن تقيية : « وزادني بعض أهل الكتب : »** وستنزع في  
قسبيك اغراقا وترتوى السهام بأمرك يا محمد ارتواء « وهذا افصاح  
باسمه وصفاته . فان ادعوا أنه غيره فمن أحمد هذا الذي امتدأت  
الأرض من تحميده ، والذي جاء من جبال فاران ، فملك رقاب الأمم .

**ولنتقل لك من النسخ الأخرى حتى تعرف اختلاف نسخهم أيضا :**

**قال :** في النسخة المطبوعة في بيروت سنة ١٨٢٧ « فقال جاء  
الرب من سينا ، وأشرق لهم من ساعير ، وتلألأ من جبل فاران ، وأتى  
من ربوات القدس . وعن يمينه نار شريعة لهم » انتهى . وهذه  
متضمنة للنبوات الثلاث نبوة موسى ونبوة عيسى ونبوة محمد  
عليهم الصلاة والسلام فمجيئه من سينا وهو الجبل الذي كلم الله  
تعالى عليه موسى ونبأه عليه اخبار عن نبوته وتجليه من ساعير : هو  
مظهر المسيح من بيت المقدس ، وساعير جبل بالشام منه ظهور نبوة  
المسيح كما تقدم . وهذه بشارة بنبوة المسيح . وفاران هي مكة .  
وشبه سبحانه نبوة موسى بمجيء الصبح وقلقه ونبوة المسيح بعدها  
باشراقته وضيائه ونبوة خاتم الأنبياء بعدهما باستعلان لشمس وظهور  
ضوءها في الأفاق ، ووقع الأمر كما أخبر به سواء ، فان الله سبحانه  
صدع بنبوة موسى عليه السلام ليل الكفر فأضاء فجره بنبوته ، وزاد  
الضياء والاشراق بنبوة المسيح ، وكمل الضياء واستعلن وطبق الأرض  
بمؤونة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم .

**قال العلامة ابن القيم :** « وذكر هذه النبوات الثلاث التي  
اشتملت عليها هذه البشارة ، نظير ذكرها في أول سورة التين : « والتين  
والزيتون ، وطور سينين ، وهذا البلد الأمين » فذكر أمكنة هؤلاء  
الأنبياء وأرضهم التي خرجوا منها « والتين والزيتون » المراد به :  
منبتها وأرضها وهي الأرض المقدسة التي هي مظهر المسيح عليه

السلام • « وطور سينين » الجبل الذي كلم الله سبحانه عليه موسى فهو مظهر نبوته • « وهذا البلد الأمين » مكة حرم الله تعالى وأمنه ، التي هي مظهر نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فهذه الثلاثة نظير تلك الثلاثة سواء •

وقالت اليهود : فاران ليست أرض الحجاز بل هي أرض الشام • وقالت النصارى في تفسير ساعير وفاران : جبلان بقرب جبل سيناء ، كانا بازاء بنى اسرائيل حين أتاهم موسى بلوحى الشريعة نازلا من جبل سيناء • قالوا فكان بنو اسرائيل يرون كأن الشريعة نزلت من جبل ساعير وفاران • وليس هذا ببدع من بهتهم وتحريفهم وانكارهم للبيديات • وعندهم في التوراة في الاصحاح الحادى والعشرين من سفر التكوين في بحث اسماعيل عليه السلام ما نصه : « وابن الأمة أيضا فانى سأجعله لشعب عظيم لأنه زرعك » الى ان قال : « وكان الله معه ، ونمى وسكن في البرية ، وصار شابا يرمى بالسهام ، وسكن برية فران » انتهى •

ولا يشك علماء أهل الكتاب أن فاران مسكن لآل اسماعيل عليه السلام فقد تضمنت التوراة نبوة تنزل بأرض فاران وتضمنت نبوة تنزل على عظيم من ولد اسماعيل ، وتضمنت انتشار أمته وأتباعه حتى يملأوا السهل والجبل كما سنذكره ان شاء الله تعالى • ولم يبق بعد هذا شبهة أصلا أن هذه نبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم التي نزلت بفاران ، على أشرف ولد اسماعيل حتى ملأت الأرض مياء ونورا ، واملأ أتباعه السهل والجبل ، ولا يكثر على الشعب الذين نطقوا بالتوراة بأنهم عادمو الرأى والفظانة أن ينقسموا الى جاهل بذلك وجاحد مكابر ما اند • كما لفظ التوراة فيهم : « انهم لشعب عادمو الرأى وليس فيهم فطنة » ويقال لهؤلاء المكابرين : أى نبوة خرجت من الشام فاستعلنت استعلان ضياء الشمس وظهرت فوق ظهور النبوتين قبلها ؟ وهل هذا الا بمنزلة مكابرة من يرى الشمس قد طلعت من المشرق ، فيغالط ويكابر ويقول بل طلعت من المغرب ؟ •



واعلم : انه لا يصح أن يراد أن النار لما ظهرت من طور سيناء ظهرت من ساعير ومن فاران أيضا فاننتشرت في هذه المواضع كما لا يخفى على كل ذي عقل سليم ، لأن الله سبحانه لو خلق نارا في موضع لا يقال جاء الله من ذلك الموضع ، الا اذا اتبع تلك الواقعة وحى ينزل في ذلك الموضع أو عقوبة أو ما أشبه ذلك وقد اعترفوا أن الوحي اتبع تلك في طور سيناء ، فكذلك لا بد أن يكون في ساعير وفاران ، بل هو في فاران أعظم ، لأنه قال : استعلن من جبل فاران ومعه ألوف الأطهار ، ولم يقل في سيناء وساعير كذلك . ولا شك أن نبوة نبينا أشرف ، ودعوته أعظم ورسالته أعم وبعثته أتم صلى الله تعالى عليه وسلم .

**البشارة الثالثة :** ما في الأصحاح السادس عشر والسابع عشر من سفر التكوين من التوراة وهو السفر الأول : ان الملك ظهر لهاجر أم اسماعيل فقال لها : « يا هاجر من أين أقبلت ؟ وإلى أين تريدين ؟ » فما شرحت له الحال قال لها : « أرجعي ، واني سأكثر نسلك اكثارا ، ولا يحصى من كثرتة » وقال لها : « انك حامل وستلدين ابنا وتدعين اسمه اسماعيل لأن الرب قد سمع تعبدك ، وولدك يكون وحشى الناس وتكون يده على الكل ويد الكل مبسوطة اليه بالخضوع » وقال لابراهيم : « وعلى اسماعيل استجبت لك هو ذا أباركه وأكبره وأكثره جدا فسيلد اثني عشر رئيسا ، وأجعله لشعب كبير » انتهى . وهذه بشارة تضمنت أن يد ابنها على يد الخلائق وأن كلمته هي العليا وأن أيدي الخلق تحت يده فمن هو هذا الذي ينطبق عليه هذا الوصف سوى محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ؟ وقوله : « لشعب كبير » يشير الى نبينا أيضا لأنه لم يكن في ولد اسماعيل من كان لشعب كبير غيره ، اذ المراد **بهذا كله الخارج من نسل اسماعيل** فإنه هو الذى عظمه الله جدا وجدوا ولم يأت من نسل اسماعيل من بورك وعظم وانطبقت عليه هذه العلامات غير رسول الله صلى عليه وسلم فأمنه ملأوا الآفاق وأربوا في الكثرة على نسل اسحاق .

وقد قال الله تعالى ناقتلا دعاء ابراهيم واسماعيل في حقه عليهم

السلام في كلامه المجيد أيضا : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم » ومن تدبر هذه البشارات جزم بأن المراد بها رسول الله ﷺ لأن اسماعيل لم تكن يده فوق يد اسحاق قط، ولا كانت يد اسحاق مبسوطة اليه بالخضوع ، وكيف يكون ذلك وقد كانت النبوة والملك في ولد اسرائيل والعيص (١) ، وهم أبناء اسحاق فاما بعث رسول الله ﷺ انتقلت النبوة الى ولد اسماعيل ودانت له الأمم وخضعت له الملوك شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ، وجعل خلافة الملك الى أهل بيت اسماعيل وصارت أيديهم فوق الجميع مبسوطة اليهم بالخضوع .

**البشارة الرابعة :** ما في الاصحاح التاسع والأربعين من سفر التكوين في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٧٧٢ وسنة ١٨٤١ ما نصه : « ولا يزول القضيبي من يهوذا والمدبر من فخذه ، حتى يجيء الذي له الكلك ، واياها تنتظر الأمم يربط بالكرمة جحشه ، يا ابني . والى دالية الكرمة أتانه ، يغسل بالخمير حلته وبدم العنب رداؤه ، عيناه من الخمر متباشرة ، وأسنانه أبيض من اللبن » انتهى بحروفه وفي الترجمة المطبوعة سنة ١٨٧٢ في بيروت ما نصه : « لا يزول قضيبي من يهوذا ، ومشرع من بين رجليه ، حتى يأتي شيلون ، وله يكون خضوع شعوب ، رابط بالكرامة جحشه . وبالجفنة ابن أتانه . غسل بالخمير لباسه وبدم العنب ثوبه مسود العينين من الخمر ومبيض الأسنان من اللبن » وفي الترجمة المطبوعة سنة ١٨١١ هكذا : « فلا يزول القضيبي من يهوذا والرسم من تحت أمره الى أن يجيء الذي هو له ، واليه تجتمع الشعوب » . ولفظ « الذي له الكلك » أو « الذي هو له » ترجمة لفظ « شيلون » وفي ترجمة هذا اللفظ اختلاف كثير في ما بينهم . وفي الرسالة الوادية هكذا : « لا يزول الحاكم من يهوذا ولا راسم من بين رجليه حتى يجيء الذي له ، واليه تجتمع الشعوب » .

(١) المراد بالنبوة : النبوة التي تصحبها شريعة ، لا النبوة بدون شريعة . وموسى كان هو النبي المشرع في بني اسرائيل ومثله محمد في بني اسماعيل . ومن نسل عيصو ليس نبي مشرع .

وفي هذه الآية دلالة على مجيء سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بعد تمام حكم موسى وعيسى لأن المراد من الحاكم هو موسى ، لأنه بعد يعقوب ما جاء صاحب شريعة الى زمان موسى الا موسى عليه السلام ، والمراد من الراسم هو عيسى عليه السلام لأنه بعد موسى الى زمان عيسى ما جاء صاحب شريعة الا عيسى ، وبعدهما ما جاء صاحب شريعة الا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام . فعلم أن المراد من قول يعقوب هذا : نبينا عليه الصلاة والسلام لذلك من أنصف نفسه ولم يكبر حسه . وفي النسخة المصححة المعتبرة عند : الكاثوليك التي طبعت في الموصل سنة ١٨٧٥ ما نصه : « لا يزول القضيب من يهوذا ، والمدبر من بين رجليه ، حتى يجيء الذى له وله يكون خضوع الشعوب ، يربط بالكرمة جحشه ، وبالجفنة ابن أتانه ، غسل بالخمير حلته ، ويدم العنب رداءه ، عيناه من الخمر مسودة وأسنانه مبيضة من اللبن » انتهى بحروفه .

وكتب علماء النصارى المصححون لهذه النسخة تفسير هذه الآيات تحتها . وذلك قولهم على قوله يربط الخ ما نصه : المعنى الحرفى هو عن يهوذا من حيث هو يكون كراما ماهرا ، والمعنى الرمزي : هو عن المسيح المذكور فى الآية السابغة من حيث يضم بالكرمة أى بكنيسة الشعوب . جحشه : أى أمة اليهود . وعلى قوله بدم العنب رداءه : أى خضب جسمه وفديت كنيسته بدمه والكلام على المسيح . وعلى قوله عيناه الخ أو عيناه أكثر سوادا من الخمر وأسنانه أكثر بياضا من اللبن . انتهى بحروفه .

**فإنظر الى اختلاف توراتهم التى يتمسكون بها . ففى كل نسخة من نسخهم المطبوعة خلاف ما فى النسخة الأخرى ولم تجتمع نسختان على كلام واحد ، مع أن هذه النسخ جميعها محرر فيها : أن هذه النسخة هى التى اجتمع العلماء على تصحيحها وما عداها محرر مغير بالزيادة والنقصان . وفى كل بلدة وسنة يطبعون فيها يغيرون ويبدلون حتى الآن وهذه الآيات اتى حررتها لك بين يدك . فانظر فيها . فهل تجد نسخة توافق الأخرى ؟ ولا سيما لفظ « ثياون » الذى زيدوه فى**

النسخة التي طبعت في بيروت ، ليوهموا أنه المسيح ، مع أنه في بقية النسخ المصححة عندهم ليس فيها شيلون . وانظر الى تفسيرهم المتقدم والخبط فيه . فان الآية الأولى التي قبل هذه الآيات ما نصه : « يهوذا لك يحمد اخونك ويدك على تقفا أعدائك يسجد لك بنو أبيك » انتهى . فقالوا في تفسيرها تحتها مانصه : « بنو أبيك أى جميع اخوتك . وفي ذلك رمز الى يسوع المسيح الذي هو من نسل يهوذا ، الذي سجدت له كل القبائل والشعوب » انتهى .

فيقال لهم اذا كان المسيح من نسل يهوذا فكيف يكون هو المراد من الموعودية لأن معنى الآية كما هو ظاهر لكل من له عقل ان الحكم لا يزول من يهوذا ولا من الذي هو من نسله حتى يجيء الذي له الكل وله خضوع الشعوب ، أى فاذا جاء ذلك الشخص ، فحينئذ لا يكون المدبر والحاكم من نسل يهوذا ، وعيسى داخل في انه لا يكون مدبرا حينئذ ، لأنه من نسل يهوذا (١) كما اعترف هؤلاء المفسرون بأن هذا الاله المعبود من نسل يهوذا بن يعقوب .

**وبقى !** في هذه الآية كلام طويل يتوى الاستدلال بها على نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام ، من اراده فليرجع الى اظهار الحق لصاحبنا العلامة سلمه الله تعالى .

**البشارة الخامسة :** الآية الحادية والعشرون من الاصحاح الثانى والثلاثين من سفر تثنية الاشرع المسمى أيضا بسفر الاستثناء من التوراة ما نصه : « هم أغارونى » بغير اله وأغضبونى بمعبوداتهم

(١) اعلم : ان عيسى عليه السلام يهودى من جهة الأم . وأمه من نسل هرون . وهرون من سبط لاوى . وقد غير النصارى نسبه الشريف من هرون الى داود . ليقولوا : انه هو النبي المنتظر من آل داود . لان العبرانيين زعموا ذلك من سبى بابل . وقد دل لوقا على هرون : اذا قال : ان مريم قريبة لا ليصبايات واليصبايات من بنات هرون . فلقرايتها لها تكون هارونية مثلها . لان شريعة التوراة في سفر العدد تلزم كل امرأة يهودية ان تتزوج في سبطها اذا ارادت الزواج من يهودى . وقد بينا هذا في كتابنا « البشارة بنبى الاسلام في التوراة والانجيل » .

الباطلة ، وأنا أيضا اغيرهم بغير شعب ، وبشعب جاهل اغضبتمهم »  
انتهى • اذ المراد - كما لا يخفى على كل نبيه عارف - أن المراد بالشعب  
الجاهل هم العرب ، لأنهم كانوا قبل الاسلام في غاية الجهل والضلال ،  
وأهل البدو والجفاء ، وما كان عندهم من العلوم الشرعية ولا العلوم  
العقلية شئ يعتد به بالنسبة الى أهل الكتابين ، وما كانوا يعرفون  
سوى عبادة الأوثان والأصنام وكانت اليهود تستحقهم لانهم من  
أولاد الجارية هاجر لأن اسماعيل منها ، وهم من أولاد سارة لان  
اسحاق منها وسارة ابنة (١) عم سيدنا ابراهيم عليه السلام •

والظاهر من الآية : أن بنى اسرائيل أغاروني بعبادة المعبودات  
الباطلة ، فأنا اغيرهم باصطفاء الذين هم عند بنى اسرائيل محقرون  
وجاهلون فأوفى سبحانه بما وعد وبعث في الأميين رسولا منهم يتلو  
عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل  
لفى ضلال ميين •

وأما من يزعم أن الشعب الجاهل هم اليونان ، فكلام ساقط  
عن الاعتبار كما لا يخفى على من سبر أحوال القوم وتتبع الأخبار  
من ذوى الأنظار •

**البشارة السادسة :** ما في الاصحاح الرابع عشر من انجيل يوحنا  
المطبع سنة ١٨٤١ في لندن ما نصه : « وأنا أطلب من الآب فيعطيك  
فارقليط آخر ليثبت معكم الى الأبدروح الحق الذى لن يطبق العالم  
أن يقبله ، لأنه ليس يراه ولا يعرفه ، وأنتم تعرفونه لأنه مقيم عندكم  
وهو ثابت فيكم ، لست أدعكم يتامى ، انى سوف أجيئكم عن قليل ،  
والعالم ليس يروننى ، وأنتم تروننى ، اننى حى وأنتم تحيون • فى  
ذلك اليوم تعلمون أنتم أنى أنا فى أبى وانتم فى ، وانا فيكم • من كانت  
عنده وصاياى وحفظها • ذلك هو الذى يحبنى ، والذى يحبنى يحبه  
أبى ، وأنا أحبه واظهر له نفسى قال له يهوذا - وليس ذلك

(١) فى التوراة أنها أخته • وكان نكاح الأخت جائزا الى زمان موسى  
عليه السلام •

الا سفريوطى - يا سيدى أى شىء كان انك تظهر لنا نفسك وليس للعالم ؟ أجاب يسوع وقال له من يحببنى يحفظ كلمتى وأبى يحبه واليه نأتى وعنده نضع منزلا ، ومن لا يحببنى ليس يحفظ كلامى • وكلمتى التى سمعتموها ليست لى ، بل للآب الذى أرسلنى ، كلمتكم بهذا مقيما عنكم ، والفار قليط روح القدس الذى يرسله الآب باسمى هو الذى يعلمكم كل شىء ، وهو يذكركم كل ما قلته لكم • السلام أستودعكم ، سلامى أعطيكم ، لست أعطيكم كما أمنح العالم ، لا تقلق قلوبكم ولا تجزع • قد سمعتم أنى قلت لكم : اننى ماضى وآت اليكم • لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون بمضيى الى الآب ، لأن الآب أعظم منى ، والآن قد قاتت لكم قبل أن يكون ، حتى اذا كان تؤمنوا ، من الآن لا أكلمكم كثيرا ، لأن أركون هذا العالم يأتى وليس له فى شىء ، وليكن ليعلم العالم أننى أحب الآب • وكما أوصانى الآب كذلك أعمل قوموا ننطلق من ههنا » انتهى بحروفه •

وفى اخر الاصحاح الخامس عشر من انجيل يوحنا أيضا ما نصه : « فأما اذا جاء الفار قليط الذى أرسله أنا اليكم من الآب روح الحق الذى من الآب ينبثق ، هو يشهد لأجلى وأنتم تشهدون ، لأنكم معى من الابتداء » انتهى بحروفه •

وقال أيضا فى الاصحاح السادس عشر ما نصه : « والآن فانى منطلق الى من أرسلنى وليس أحد منكم يسألنى الى أين تذهب ؟ بل لأنى قلت لكم هذه ، فالكأبة ملأت قلوبكم ، لكنى أقول لكم الحق انه خير لكم أن انطلق لأنى ان لم انطلق لم يأتكم الفار قليط • فأما ان انطلقت أرسلته اليكم ، فاذا جاء ذاك فهو يوبخ العالم على خطيئة وعلى بر وعلى حكم •

أما على الخطيئة فلأنهم لم يؤمنوا بى • وأما على البر ، فلانى منطلق الى الآب ، ولستم تروننى بعد •

وأما على الحكم ، فان أركون هذا العالم قد دين ، وان لى كلاما كثيرا أقوله لكم ، ولكنكم لستم تطيقون حمله الآن ، واذا جاء روح

الحق ذلك فهو يعلمكم جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما سرأتى ، وهو يمجدنى لأنه يأخذ مما هو لى ويخبركم ، جميع ما هو للآب فهو لى فمن أجل هذا قلت ان مما هو لى يأخذ ويخبركم • قليلا ولا ترونى وقليلا أيضا وترونى ، لأننى منطلق الى الآب » انتهى بحروفه •

وهذه الآيات الانجيلية بشارة صريحة فى الرسالة الأحمديّة ، وقبل شرحها نذكر شيئا يلزم التنبيه عليه :

أولا : هو أن أهل الكتابين قد حرفوا وبدلوا وأولوا فى الكتيب التى بأيديهم كما تحب نفوسهم وتشتهى أهواؤهم ، حتى أنهم كلما طبعوا شيئا من العهد القديم والجديد ، ترى تغيير الطبع الثانى عن الذى قبله بتتقيص وترديد • كما يعرفه عنهم كل من تصلح فى مطالعه كتبهم وتتبع مختلف تراجمهم ومراجع دواوين الاسلام التى فى ردهم وسنين كثيرا من ذلك فى كتابنا هذا ان شاء الله تعالى فى محله • ولم يكتفوا بجميع ذلك حتى خبطوا خبط عشواء فى تراجم الآتب السماوية ، لأن التوراة والانجيل وما يتبعهما كانت باللسان العبرانى ، فترجمت باليونانى ثم بالسريانى ثم بالعربية والفارسية والهندية والتركية وغير ذلك من الألسنة ، فتراهم كثيرا ما يترجمون الأسماء بما يظنونه مطابقا ، ويوردون بدلها ما يقرب من معانيها ، ويزيدون تارة شيئا بطريق التفسير فى الكلام الذى هو كلام الله سبحانه بزعمهم ، ولا يشيرون الى تمييز كلامهم عن الكلام المنسوب للبارى سبحانه • وهذا الحال صار عندهم من الأمور العادية •

ولنذكر لك الآن مثلا واحدا لتجعله ميزانا لما قلنا ومعيار لما زبرنا • وذلك هذه البشارة التى ذكرناها لك آفنا التى نقلناها من انجيلهم المطبوع فى لندن سنة ١٨٤١ مسيحية • وبين ما أنقله لك الآن من النسخة التى طبعوها فى بيروت سنة ١٨٧٢ حتى تنظر الى الاختلاف الذى بين هاتين النسختين ، وتجعله مقياسا عاما • قال فى الاصحاح

الرابع عشر ما نصه : « وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم الى الأبد ، روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله ، لأنه لا يراه ولا يعرفه ، وأما أنتم فتعرفونه ، لأنه ماكث معكم ويكون فيكم لا أترككم يتامى انى أتى اليكم • بعد قليل لا يرانى العالم أيضا • وأما أنتم فتروننى ، انى أنا حى فأنتم ستحيون • فى ذلك اليوم تعلمون أنى اذا فى أبى وأنتم فى وأنا فيكم الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذى يحبنى • والذى يحبنى يحبه أبى وأنا أحبه وأظهر له ذاتى • قال له يهوذا ليس الاسخريوطى ياسيد ماذا حدث حتى أنك مزمح أن تظهر ذاتك لنا وليس للعالم ؟ أجاب يسوع وقال له : ان أحبنى أحد يحفظ كلامى ويحبه أبى واليه نأتى وعنده نصنع منزلا • الذى لا يحبنى لا يحفظ كلامى • والكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للآب الذى أرسلنى بهذا كلمتكم وأنا عندكم ، واما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى ، فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم بكل ما قلته لكم ، سلاما أترك لكم ، ليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا ، لا تضطرب قلوبكم ولا تترهب • سمعتم أنى قلت لكم أنا أذهب ثم أتى اليكم • لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون ، لأنى قلت : أمضى الى الآب ، لأن أبى أعظم منى • وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون • لا أتكم أيضا معكم كثيرا ، لأن رئيس هذا العالم يأتى وليس له فى شىء ولكن ليفهم لاعالم أنى أحب الآب وكما أوصانى الآب هكذا أفعل • قوموا ننطلق من ههنا » انتهى بحروفه •

### وفى آخر الاصحاح الخامس عشر ما نصه : « ومتى جاء المعزى

الذى سأرسله أنا اليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معى من الابتداء » انتهى بحروفه •

وقد ساق الشيخ الفاضل رحمت الله شيئا كثيرا مما تصرفوا فيه بالتراجم المختلفة ، فمن اراد التفصيل فعليه بكتابه • ولعلنا ننقل شيئا منه فى محل يناسبه ان شاء الله تعالى •



فإذا كان الأمر كذلك فلا غزو إذا بدلوا شيئاً من العبارات المصرحة  
ببعثة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأولوها على ما تشتهيه  
أهواؤهم • فمن ذلك أن اسم المبشر به : ترجم في الانجيل باليوناني  
بحسب عادتهم ، ثم مترجمو العربية عربوا اللفظ اليوناني بفارقليط •  
قال في اظهار الحق : « وقد وصلت الى رسالة صغيرة في لسان  
أوردواى الهند من رسائل القسيسين في سنة ألف ومائتين وثمان وستين  
من الهجرة • وكانت هذه الرسالة طبعت في كلكتة على تحقيق لفظ  
فارقليط ، وادعى مؤلفها أن مقصوده تنبيه المسلمين على سبب وقوعهم  
في الغلط من لفظ فارقليط • وملخص كلامه : أن هذا اللفظ معرب من لفظ  
يوناني • قال فان قلنا : ان هذا اللفظ اليوناني الأصل «باراكلى طوس»  
فيكون بمعنى المعزى والمعين والوكيل • وان قلنا : ان اللفظ اليوناني الأصل  
« بيركلوطوس » فيكون قريبا من معنى محمد وأحمد • فمن استدل  
من علماء الاسلام بهذه البشارة فهم أن اللفظ اليوناني الأصل  
« بيركلوطوس » ومعناه قريب من معنى محمد وأحمد • فادعى أن  
عيسى عليه السلام أخبر بمحمد أو احمد ، لكن الصحيح أنه « ياراكلى  
طوس » انتهى ملخصا من كلامه •

وأنت تعلم أن هذا التفاوت بين هذين اللفظين يسير جدا ، وأن  
الحروف اليونانية كانت متشابهة فتبدل « بيركلوطوس » بـ « ياراكلى  
طوس » في بعض النسخ من الكاتب قريب القياس •  
ثم رجح أهل التثليث المنكرين هذه النسخة على النسخ الأخر •  
ومن علم بأحوال هذه الملة ونظر بنظر الانصاف ، اعتقد يقينا  
بأن تبدل هذا وتحريفه من عباد الصليب غير بعيد ، بل هو من الأمور  
التي تستحسنها أهل ديانتهم وتتقرب بها الى المسيح علماء ملتهم (١) •  
قال أبو محمد ابن قتيبة : « وهذه الألفاظ على اختلافها متقاربة

---

(١) اعلم : أن عيسى عليه السلام كما روى عنه في الانجيل الاربعة  
وانجيل برنابا كان يذكر النص من نصوص نبوءات التوراة أو أسفار  
الانبياء عن محمد صلى الله عليه وسلم ويستشهد به ويفسره على محمد  
ﷺ . كانت هذه هي طريقتهم : ذكر نص التوراة أو أسفار الانبياء عن

= النبي المنتظر ، ثم يقول هذا النص يدل على مجيء محمد رسول الله ، ثم يفسره التفسير الصحيح ، فيدل عليه .  
والمسلمون لم ينتبهوا الى هذه الطريقة فقد اخذوا كل نص في الانجيل على حده ، ولم يربطوه بمثيله ، ولم يربطوه بالتوراة : فخرج كلامهم عن حد الالتزام والافحام .

وهذه هي طريقة عيسى عليه السلام :

أولاً : أخذنا من سفر دانيال — وهو من اسفار الانبياء — يدل على قيام اربع ممالك على الأرض . وبعد المملكة الرابعة يقوم ملك الهى على الأرض . وهذا النص موجود في الاصحاح الثانى والسابع . ثم قال لبنى اسرائيل : « توبوا فقد اقترب ملكوت السموات » الذى انبأ عن ظهوره دانيال بعدد .  
١ — بابل ٢ — وفارس ٣ — واليونان ٤ — والروم .  
وهذه هي طريقة يحيى عليه السلام أيضا المسمى بيوحنا المعمدان .  
فقد قال كما قال عيسى بالحرف الواحد : « توبوا فقد اقترب ملكوت السموات » .

ثم ان عيسى عليه السلام ذكر أمثلة كثيرة منها مثل ذكره الله فى القرآن الكريم فى سورة الفتح وهو موجود فى متى ومرقس ولوقا .  
ثانياً : أخذ من مزامير داود عليه السلام نصوصا كثيرة وطبقها على محمد ﷺ منها : « قال الرب لسيدى : اجلس عن يمينى حتى اضع اعدائك موطئا لتقدميك » وهذا مذكور فى متى ومرقس ولوقا . ومنها قول داود عن محمد ﷺ : « مبارك الاتى باسم الرب » فى متى ومرقس ولوقا ومنها : « الحجر الذى رفضه البناعون قد صار رأسا للزاوية » فى متى ومرقس ولوقا .

ثالثاً : أخذ من توراة موسى النص على بركة اسماعيل الموعود بهما ابراهيم وطبقها على محمد ﷺ كما روى عنه برنابا .  
رابعاً : أخذ من سفر المزامير نبوءة الزمور الثانى وطبقها على محمد ﷺ كما روى عنه برنابا .  
فعلى المسلمين أن يفعلوا هذه الطريقة فانها هي المزمرة لاهل الكتاب ، يهودا ونصارى .

وقد وضحتها فى الجزء الثانى من كتاب « البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل » وهى تدل على الانجيل الاصلى لعيسى عليه السلام .  
فقد كان كله فى هذه الطريقة ، مع وصايا وتفسيرات لآيات فى التوراة .  
ثم أعلم : أن كثيرين من المسلمين قد اخطأوا فى تفسير عبارات من كتب أهل الكتاب ومرد الخطأ هو الى عدم اطلاعهم على كتبهم ، وعلى تفاسير كتبهم . وقد اجتهدت فى بيان الصواب دون أن أشير الى الخطأ . فإذا وجدت فرقا فى المعنى بين ما كتبه وما كتبه غيرى ؟ فانه يمكنك المراجعة على كتب أهل الكتاب وعلى تفاسير لتلك الكتب . ومثال ذلك : موضوع « المسيا المنتظر » فقد أقرت له كتابا ، ورقبت الكتابة فيه . وبيئت أنه هو محمد رسول الله ﷺ . وفى نبوءة « بيركليت » هذه ، فسر المؤلف رئيس العالم بغير ما يفسره به النصارى فى كتبهم . فانهم يفسرونه بالشيطان . أما بيركليت فهى اسم « أحمد » .

وانما اختلفت لأن من نقلها عن المسيح صلوات الله تعالى عليه وسلامه في الانجيل من الحواريين عدة والفارقليط بلغتهم من ألفاظ الحمد ، اما أحمد أو محمد أو حامد • ونحو ذلك • وهو في الانجيل الحبشى « برنقطيس » •

وقال ابن القيم : « وقد اختلف في لغتهم — يعنى العبرانية — فذكرنا فيه أقوالا ترجع الى ثلاثة : أحدها : أنه الحامد أو الحماد أو الحمد — كما تقدم — ورجحت طائفة هذا القول • قالوا الذى يقوم عليه البرهان في لغتهم أنه الحمد والدليل عليه : قول يوشع : « من عمل حسنة تكون له فارقليط جيد » أى حمد جيد — والقول الثانى — وعليه أكثر النصارى — أنه المخلص • والمسيح نفسه يسمونه المخلص • قالوا وهذه كلمة سريانية ومعناها المخلص قالوا وهو بالسريانية فاروق فجعل فاروق • قالوا : وليط كلمة تتراد ، ومعناها كمعنى قول العرب رجل هو ، وحجر هو ، وفرس هو • قالوا : فكذلك معنى ليط في السريانية وقالت طائفة أخرى من النصارى : معناه بالسريانية المعز • قالوا : وكذلك هو في اللسان اليونانى •

ويعترض على هذين القولين بأن المسرح لم تكن لغته سريانية ولا يونانية بل عبرانية • واجيب عن هذا بأنه تكلم بالعبرانية والانجيل انما أنزل باللغة العبرانية ، وترجم عنه بلغة السريانية والرومية واليونانية وغيرها • وأكثر النصارى على أنه المخلص • والمسيح نفسه يسمونه المخلص •

وفي الانجيل الذى بأيديهم أنه قال « انما أتيت لأخلص العالم » والنصارى يقولون في صلواتهم : لقد ولدت لنا مخلصا • ولما لم يمكن للنصارى انكار هذه النصوص ، حرفوها أنواعا من التحريف بحيث لا يخفى زيفة على من له أدنى تبصر وانتقاد ، وأقل فهم بمعانى الكلام وبسياقه المراد • فمنهم من قال : هو روح نزلت على الحواريين • ومنهم من قال : هو ألسن نارية نزلت من السماء على التلاميذ ففعلوا بها

الآيات والعجائب • ومنهم من يزعم أنه المسيح نفسه ، لكونه جاء بعد الصلب بأربعين يوماً أو كونه قام من قبره • ومنهم من قال : لا نعرف ما المراد بهذا الفارقليط ولا يتحقق لنا معناه •

ومن تأمل ألفاظ الانجيل المتقدمة وسياقها ، أطلع على أن تفسيره بالروح باطل • وأبطل منه تفسيره بالألسن النارية ، وأبطل منه تفسيره بالمسيح ، فان روح القدس ما زالت تنزل على الأنبياء والصالحين قبل المسيح وبعده • وليست موصوفة بهذه الصفات • وقد قال الله تعالى : « لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم • أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه » •

وقال النبي عليه أفضل الصلاة والسلام لحسان بن ثابت لما كان يهجو المشركين : « اللهم أيده بروح القدس » وأمثال هذا في الكتب السماوية كما ستسمعه ان شاء الله تعالى •

ولنبين المراد بفارقليط وهو النبي المبشر به أعنى سيدنا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم لا غيره ولا الروح النازل على تلاميذ عيسى عليه السلام يوم الدار الذي جاء ذكره في الاصحاح الثاني من سفر الأعمال ونتكلم على هذه الآيات المتقدمة من انجيل يوحنا وظهور دلالتها على نبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وما يتعلق بذلك ، ونذكر ثانياً شبهات المسيحيين والجواب عنها بوجوه لا تخفى صحتها على كل منصف •

غير أنا نذكر أمام ذلك مقدمة • وهى أنه من الأمور المعلومه لدى العلماء المسيحيين ان غير واحد من الناس بعد عيسى قبل ظهور نبينا عليه الصلاة والسلام بمئات السنين ادعوا أنهم مصداق لفظ فارقليط الذى وعد عيسى عليه السلام • بمجيئه بعده • فمنهم منتسب المسيحى

الذى كان فى القرن الثانى من الميلاد وكان كثير الرياضة فانه ادعى فى  
قرب سنة سبع وسبعين ومائة من الميلاد الرسالة • وقل : انى أنا  
الفارقليط الموعود به الذى وعد بمجيئه عيسى عليه السلام وتبعه أناس  
كثيرون ، وذكر « وليم ميور » حاله وحال متبعيه فى القسم الثانى  
من الباب الثالث من تاريخه فى لسان أورد والمطبوع سنة ١٨٧٨ من  
الميلاد • وقال صاحب التواريخ : « ان اليهود والمسيحيين من معاصرى  
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كانوا منتظرين لنبى فحصل لمحمد  
من هذا الأمر نفع عظيم ، لأنه ادعى انه هو ذلك المنتظر » انتهى •

فعلم من كلامه أيضا أن أهل الكتاب كانوا منتظرين لخروج نبى  
فى زمان نبينا عليه الصلاة والسلام وهو الحق الظاهر لأن النجاشى  
ملك الحبشة وكان نصرانيا لما وصل اليه كتاب النبى صلى الله تعالى  
عليه وسلم قال أشهد بالله أنه النبى الذى ينتظره أهل الكتاب وكتب  
الجواب وأسلم وكذا المتوقس ملك القبط • قال : قد علمت أن نبيا  
قد بقى • وكذا الجارود من علماء النصارى قال للنبى عليه الصلاة  
والسلام قد بشر بك ابن البتول • وغير هؤلاء •

والمقصود : أن الناس من أهل الكتابين كانوا منتظرين بعثة نبى  
لما علموه من ذكره فى كتبهم ، وأن الفارقليط سيأتى •

**ونرجع الى ما نحن بصدده فنقول :** لما كان اللفظ العبرانى  
الذى قاله عيسى عليه السلام مفقودا ، واللفظ اليونانى الموجود هو  
رجمته فنترك البحث عن الأصل ، ونتكلم على هذا اللفظ اليونانى •  
فنقول : ان كان اللفظ اليونانى الأصل « بيركلوطوس » فالأمر ظاهر ،  
وتكون اشارة المسيح فى حق محمد عليه أفضل الصلاة والسلام بلفظ  
هو قريب من محمد وأحمد كما تقدم • وهذا وان كان قريب القياس  
بمقتضى عادتهم ، لكننا نترك هذا الطرف الراجح تنزلا ومما شاة  
لهم ، ونقول - كما يدعون - ان كان أصل هذا اللفظ اليونانى باراكلى  
طوس ، فهو أيضا لا ينافى الاستدلال على نبوة نبينا صلى الله تعالى

عليه وسلم لأن معناه المعزى والمعين واتوكيل ، على ما ادعى صاحب الرسالة المتقدم آنفا أو الشافع كما هو في الترجمة العربية المطبوعة سنة ألف وثمانمائة وستة عشر مسيحية .

فكل هذه المعاني تصدق على نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عند كل ذى فهم ترك التعصب وتدبر هذه الآيات وعلم سيرة نبينا وما ظهر على يديه من متواتر المعجزات . ويدل على ذلك وجوه .

**الأول :** ان عيسى عليه السلام قال أولا « ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى » ثم أخبر عن فارقليط ولا شك أن مقصوده عليه السلام هو أن يعتقد السامعون بأن ما يليق به بعد عليهم أمر ضرورى واجب الرعاية . فلو كان فارقليط عبارة عن الروح النازل يوم الدار ، لما كانت الحاجة داعية الى هذه الفقرة لأنه لا يظن استبعاد الحواريين نزول الروح عليهم مرة أخرى ، لأنهم كانوا مستضيئين به من قبل أيضا ، لأنه اذا نزل على قلوب أحد منهم وحل فيل يظهر أثره لا محالة ظهورا بينا فلا يتصور انكار لما تأثر منه . وليس ظهوره عندهم في صورة يكون فيه مظنة الاستبعاد ، فهو اذن عبارة عن النبى المبشر به . وحقيقة الأمر عند من له قلب يفقه به : أن المسيح عليه السلام لما علم بالتجربة لأحوال الناس ونظر بنور النبوة وأجرى القياس بأن أمته ربما ينكرون النبى المبشر به فى التوراة عند ظهوره ، أيقظهم لتلقى كلامه وأكد القبول لعظيم مرامه بهذه الفقرة المحرصة على الحفظ والقبول . ثم أخبر عن مجيء ذلك لبني اسرائيل .

**الثانى :** ان هذا الروح متحد بالآب مطلقا ، وبالأبن نظرا الى لاهوته اتحادا حقيقيا ، فلا يصدق فى حقه فارقليط آخر بخلاف النبى المبشر به ، فانه يصدق فى حقه هذا القول بلا تكلف .

**الثالث :** ان الوكالة والشفاعة من خواص النبوة لا من خواص هذا الروح المتحد بالله ، فلا يصدقان على الروح ، ويصدقان على النبى المبشر به بلا تكلف . كما هو ظاهر .

**الرابع ان عيسى عليه السلام قال :** « هو يذكركم كل ما قلته لكم » ولم يثبت في رسالة من رسائل العهد الجديد أن الحواريين كانوا قد نسوا ما قاله عيسى عليه السلام وأن هذا الروح النازل يوم ذكرهم اياه .

**الخامس :** ان عيسى عليه السلام قال : « هو يشهد لأجلى » وهذا الروح لم يشهد لأجله بين يدي أحد من التلاميذ وغيرهم . أما التلاميذ الذين نزل عليهم فلم يكونوا محتاجين لشهادة ، لأنهم يعرفون المسيح حق المعرفة قبل نزول هذا الروح ، فأى فائدة بشهادته عندهم ؟ وأما غيرهم الذين هم منكرون ، فهم وان كانوا محتاجين للشهادة غير أن الروح لم يشهد عندهم كما هو المطلوب من الأناجيل ومسلم لدى النصرى . فإذا أريد به سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فهو مطابق للحال ، فانه شهد لأجل المسيح وصدقه برسالته وبرأه عن ادعاء الألوهية الذى هو أشد أنواع الكفر والضلال وبرء أمه عن تهمة اليهود لها بالزنا . كما جاء كل ذلك في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

**السادس :** ان عيسى عليه السلام قال : « وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معى من الابتداء » فلفظ « أيضا » موجود في النسخة المطبوعة سنة ١٨٧٤ كما تقدم وفي النسخة المطبوعة سنة ١٨٩٠ وفي التراجم الفارسية المطبوعة سنة ١٨١٩ وسنة ١٨٧٨ وسنة ١٨٤٤ وفي ترجمة أردو أى الهندية المطبوعة سنة ١٨١٤ فسقطها من بعض النسخ اما عن سهو وأما عن تعمد، وهو الأقرب، لرداءة مقاصدهم لأن لفظ «أيضا» يدل دلالة ظاهرة على أن شهادة الحواريين غير شهادة فارقليطه. فلو كان المراد به الروح لنازل يوم الدار ، لما وجدت مغايرة للشهادتين ، لأن الروح المذكور لم يشهد شهادة مستقلة غير شهادة الحواريين ، لأن شهادته هى عين شهادتهم ، لأن هذا الروح مع كونه بزعمهم الها متحد بالله اتحادا حقيقيا برياً من النزول والحلول والاستقرار والشكل التى هى من عوارض الجسم والجسمانيات ، نزل مثل ريح عاصفة وظهر في أشكال السنة منقسمة كأنها من نار ، واستقرت على كل واحد منهم يوم الدار ، فكان حالهم كحال من تلبس به الجن ، فكما أن قول الجن يكون

قوله في تلك الحالة ، فكذلك كانت شهادة الروح هي عين شهادة الحواريين ، فلا يصح حينئذ هذا القول ، بخلاف ما اذا كان المراد به النبي البشر به ، فان شهادته غير شهادة الحواريين كما لا يخفى .

**السابع :** ان عيسى عليه السلام قال : « ان لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط . فأما ان انطلقت أرسلته اليكم » فعلق مجيئه بذهابه . وهذا الروح عندهم نزل على الحواريين في حضوره لما أرسلهم الى البلاد الاسرائيلية ، فلا يكون مرادا بالفارقليط ، بل المراد به شخص لم يستقض منه أحد من الحواريين قبل زمان صعوده . وكان مجيئه موقوفا على ذهاب عيسى . وما كان كذلك الا نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اذ كان مجيئه موقوفا على ذهاب عيسى عليه السلام لأن وجود رسولين ذوى شريعتين مستقلتين في زمان واحد غير واقع وغير جائز ، بخلاف ما اذا كان الثانى حاكما بشرية الأول أو كان كل من الرسل مطيعا لشريعة واحدة ، فانه اذ ذاك يجوز تعددهم ، كما وقع بين زمان موسى وعيسى عليهما السلام .

**الثامن :** ان قول عيسى عليه السلام « يوبخ العالم » بمنزلة النص الجالى على نبوة نبينا خاتم النبيين صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه كما هو معلوم وفي صحائف الأعصار مرسوم ، ولا ينكره الا متجاهل محروم ، قد وبخ العالم . ولا سيما اليهود على عدم ايمانهم بعيسى ، رميهم له بما هو برئى منه وكذا توبيخه للنصارى على أقوالهم الباطلة فيه . فهو صلى الله تعالى عليه وسلم الموبخ للأمم حتى يقوم ابنه المهدي (١) مع عيسى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا كذلك الروح النازل يوم الدار ، فان توبيخه لم يسمع لأحد من المؤمنين بعيسى أو الكفار والحواريون لم يصدر منهم أيضا توبيخ بعد نزوله ، لأنهم كانوا يدعون الى الملة بالوعظ والترغيب ، كما هو مسلم عند كل ذى فهم لبيب .

ومما يضحك الأطفال ما قتاله القسيس راتكين في كتابه المسمى دافع البهتان الذى ألفه في لسان الأردو : « ان لفظ التوبيخ لا يوجد في

(١) نزول المهدي وعيسى آخر الزمان ثابت باحاديث آحاد .



الانجيل ولا في ترجمة من تراجمه • قال : وانما ذكره المسلمون ليصدق على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم صدقا بينا لأن محمدا وبخ وهدد كثيرا » انتهى •

فنسخ الانجيل المترجمة قد ملأت العالم ولفظ يوبخ أو ييكت موجود فيها • فكيف يقال : ان المسلمين تقولوا ذلك فهل هذا الا انكار للشمس في رابعة النهار ؟ فهذه الترجمة المطبوعة في رومية العظمى سنة ١٦٧١ والمطبوعة في بيروت سنة ١٨٦٠ والمطبوعة سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٧٥ وفي التراجم الفارسية المتعددة الطبع أيضا فانكار وجود يوبخ أو ييكت الذي هو بمعناه في التراجم العربية وغيرها دليل على حماقة هذا القسيس ، لانكاره للبديهيات ، ولا عجب في ذلك من علماء البروتستانت فكم وكم أنكروا البديهيات وحرفوا وبدلوا في النسخ المطبوعات والآن كلما طبعوا شيئا من أنجيلهم وتوراتهم وسائر كتبهم غيروا وبدلوا وحرفوا وزيدوا وُنتصوا ، كما نبهناك عليه غير مرة • وهذا شيء بالعيان لا يمكن لأحد انكاره ، حتى أن في هذه الأيام مترجمي العربية والفارسية وأوردوا تركو اللفظ فارقليط من تراجمهم للانجيل لشهرته عند المسلمين في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » •

**التاسع :** قول عيسى عليه السلام : « أما على الخطيئة فلانهم لم يؤمنوا بي » وهذا يدل على أن فارقليط يظهر على منكري عيسى موبخا لهم على عدم ايمانهم به ، والروح الذي نزل من السماء يوم الدار لم يظهر للناس موبخا • كما لا يخفى •

**العاشر :** ان عيسى عليه السلام قال : « ان لي كلاما كثيرا أقوله لكم ولكنكم لستم تطيقون حمله الآن » وهذا ينافي ارادة الروح النازل يوم الدار لانه ما زاد حكما على أحكام عيسى ، لانه على زعم

أهل التثليث كان قد أمر الحواريين بعقيدة التثليث وبدعوة أهل العالم كله . فأى أمر حصل لهم أزيد من أقواله الى قتالها لهم الى زمان صعوده ؟ نعم بعد نزول هذا الروح أستطوا جميع أحكام التوراة التي هي ما عدا بعض الأحكام العشرة المذكورة في الاصحاح المتمم عشرين من سفر الخروج ، وأحلوا جميع المحرمات . وهذا الأمر لا يجوز في حقه أن يقال : انهم ما كانوا يستطيعون حمله ، لأنهم استطاعوا حمل سقوط حكم تعظيم السبت الذي هو أعظم أحكام التوراة الذي كان اليهود ينكرون كون عيسى عليه السلام مسيحا موعودا به ، لأجل عدم مراعاته هذا الحكم فقبول سقوط جميع الأحكام كان أهون عندهم نعم قبول زيادة الأحكام لأجل ضعف الايمان وضعف القوة الى زمان صعوده كما يعترف به علماء اليهودية كانتت كان خارجا عن استطاعتهم ، فظهر أن المراد بفارقليط نبي تزايد في شريعته أحكام بالنسبة الى الشريعة العيسوية ، ويثقل حملها على المكلفين الضعفاء ، وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم .

**الحادي عشر :** ان عيسى عليه السلام قال : « ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع » وهذا يدل على أن فارقليط يكون بحيث يكذبه بنو اسرائيل ، فاحتاج عيسى عليه السلام أن يقرر حال صدقته ، فقبل هذا القول . ولا مجال لمظنة التكذيب للروح النازل يوم الدار ، على أن هذا الروح عندهم عين الله . فلا معنى حينئذ لقوله : « بل يتكلم بما يسمع » .

وأما اذا أريد به انبي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فهو مظنة التكذيب ، وليس هو عين الله تعالى . فلذا دافع ذلك بقوله : « ليس ينطق من عنده » الخ . أى فهو يتكلم بما يوحى اليه . كما قال سبحانه في القرآن الكريم : « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » وقال تعالى : « قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ، أن أتبع الا ما يوحى الى » .

**الثاني عشر** ان عيسى عليه السلام قال : « انه أخذ مما هو لى » وهذا لا يصدق على الروح لأنه عند أهل التثليث قديم وغير مخلوق وقادر مطلق ليس له كمال مناظر بل كل كمال من كمالاته حاصل له بالفعل ، فلا بد أن يكون الموعود به ن جنس الذى يكون له كمال منتظر ، ولما كان هذا الكلام موهما أن يكون هذا النبى مطيعا لشريعته ، دفعه فهما بعد بتوله : « جميع ما للآب فهو لى فلاجل هذا قلت ان مما هو لى يأخذ » يعنى أن كل شىء يحصل لفارقليط من الله ، فاكنه يحصل منى • كما اشتهر : « من كان لله كان الله له » فلاجل هذا قلت : « ان مما هو لى يأخذ » انتهى من اظهار الحق ملخصا •

### فصل :

### بل وصل :

واذا علمت أن الفارقليط ليس هو الروح لوصفه بصفات لا تناسب هذا الروح ، وأنه ليس المراد به الألسن النارية لبداهة فساده • ولا هو عيسى عليه السلام فاسمع ما قال ابن القيم : « انه أراد به نبينا عليه الصلاة والسلام لانه وصف الفارقليط بصفات تناسب رجلا يأتى بعده نظيرا له لأنه قال : « يعطيكم فارقليط آخر يثبت معكم الى الأبد » فقوله اخر دل على أنه ثان لأول كان قبله ، وأنه لم يكن معهم فى حياة المسيح وانما يكون بعد ذهابه وتوليه عنهم •

وأیضا : فانه قال : « يثبت معكم الى الأبد » وهذا انما يكون لما يدوم ويبقى معهم الى آخر الدهر • ومعلوم أنه لم يرد بقاء ذاته ، فعلم أنه بقاء شرعه وأمره •

والفارقليط الأول لم يثبت معهم شرعه ودينه الى الأبد • وهذا يبين ان الثانى صاحب شرع لا ينسخ ، بل يبقى الى الأبد بخلاف الأول ، وهذا انما ينطبق عند كل ذى لب على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم • وأيضا فانه أخبر كما نقلناه فى الآيات المتقدمة أن هذا الفارقليط الذى أخبر به يشهد له ويعلمهم كل شىء ، وأنه يذكرهم كل

ما قال المسيح ، وأنه يوبخ العالم على خطيئته • فهذه الصفات والنعوت التي في الآيات لا تطبق على أمر معنوى يكون في قلب بعض الناس وانما تنطبق على من يسمعون كلامه ، فيشهد للمسيح ويعلمهم ويذكرهم كل ما قال لهم المسيح ويوبخ العالم ويرشد الناس الى الحق ولا ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبرهم بكل ما يأتى ، ويعرفهم جميع ما للرب العالمين • وهذا لا يكون ملكا لا يراه أحد ولا يكون هدى وعلم في قلب بعض الناس • لا يكون الا انسانا عظيم القدر يخاطب الناس بما أخبر به المسيح • وهذا لا يكون الا بشرا رسولا بل يكون أعظم من المسيح ، فان المسيح أخبر أنه يقدر على ما لا يقدر عليه المسيح ، ويعلم ما لا يعلمه المسيح ، ويخبر بكل ما يأتى وبما يستحقه الرب حيث قال : « ان لى كلاما كثيرا أريد أن أقوله ، ولكنكم لا تستطيعون حمله ، ولكن اذا جاء روح الحق ذاك الذى يرشدكم الى جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بما يسمع ويخبركم مما يأتى ، ويعرفكم جميع ما للأب » فلا يستريب عاقل أن هذه الصفات لا تنطبق الا على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك لأن الاخبار عن الله تعالى بما هو متصف من الصفات وعن ملائكته وعن ملكوته ، وعمه أعداه فى الجنة لأوليائه وفى النار لأعدائه أمر لا يحتمل عقول أكثر الناس معرفته على التفصيل » •

**وقال على كرم الله وجهه :** « حدثوا الناس بما يعرفون ، ودعوا ما ينكرون ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله ؟ » وقال ابن مسعود : « ما من رجل يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة لبعضهم » فقال لهم المسيح : « ان لى كلاما كثيرا أريد أن أقوله لكم ولكنكم لا تستطيعون حمله » وهو الصادق المصدوق • ولهذا ليس فى الانجيل من صفات الله تعالى وصفات ملكوته وصفات اليوم الآخر الا أمور مجملة ، وكذلك التوراة ليس فيها من ذكر اليوم الآخر الا أمور مجملة ، مع أن موسى عليه السلام كان قد مهد الأمر للمسيح ، ومع هذا فقد

قال لهم المسيح : « أن لى كلاما كثيرا أريد أن أقوله لكم ، ولكن لا تستطيعون حمله » ثم قال : « ولكن اذا جاء روح الحق فذلك الذى يرشدكم الى جميع الحق ، وأنه يخبركم بكل ما يأتى وجميع ما للرب » فدل هذا على أن الفارقليط هو الذى يفعل هذا دون المسيح ، وكذلك كان . فان نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم أرشد الناس الى جميع الحق ، حتى أكمل الله تعالى به الدين ، وأتم به النعمة . ولهذا كان خاتم الانبياء ، فانه لم يبق شىء يأتى به غيره ، وأخبر محمد عليه الصلاة والسلام بكل ما يأتى من أشراف الساعة والقيامة والحساب والصراط ووزن الأعمال والجنة وأنواع نعيمها والنار وأنواع عذابها ولهذا كان فى القرآن العظيم من تفصيل أمر الآخرة وذكر الجنة والنار وما يأتى أمور كثيرة لا توجد فى التوراة ولا فى الانجيل ، وذلك تصديق قول المسيح : انه يخبر بكل ما يأتى . وذلك يتضمن صدق المسيح وصدق محمد عليهما الصلاة والسلام .

وهذا معنى قوله تعالى : « أنهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون . ويقولون : ءأ لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ؟ بل جاء بالحق وصدق المرسلين » أى مجيئه تصديق للرسول قبله ، فانهم أخبروا بمجيئه فجاء كما أخبروا به فتضمن مجيئه تصديقهم ، ثم شهد هو بصدقهم ، فصدقهم بقوله ومجيئه صلى الله عليه وسلم ، فأخبر من الأمور التى تأتى فى المستقبل بما لم يأت به نبي من الأنبياء كما نعته به المسيح حيث قال : « انه يخبركم بكل ما يأتى » ولا يوجد مثل هذا أصلا عن أحد من الأنبياء قبل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فضلا عن أن يوجد فى شىء أنزل على قلب بعض الحواريين كما هو ظاهر لكل منصف ومطلع على الكتب السماوية .

وأیضا فانه قال : « ويعرفكم جميع ما للرب » فبين انه يعرف الناس جميع ما لله تعالى وذلك يتناول ما لله سبحانه من الاسماء والصفات ، وما له من الحقوق وما يجب من الايمان به وملائكته وكتبه ورسله بحيث يكون ما يأتى به جامعا لما يستحقه الرب وهذا لم يأت

به غير نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فانه تضمن ما جاء به من الكتاب والحكمة .

هذا كله وأيضا : فان المسيح قال : « اذا جاء الفارقليط الذى أرسله أبى فهو يشهد لى . قلت لكم هذا حتى اذا كان تؤمنوا به » فأخبر أنه شهد له . وهذه صفة نبي بشر به المسيح ، ويشهد للمسيح كما قال تعالى : « واذا قال عيسى ابن مريم : يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ، ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » وأخبر أنه يوبخ العالم على الخطيئة وهذا أيضا يستحيل حمله على معنى يقوم بقلب الحواريين ، فانهم آمنوا به وشهدوا له قبل ذهابه . فكيف يقول اذا جاء فانه يشهد لى ويوصيهم بالايمان به ؟ افترى الحواريين لم يكونوا مؤمنين بالمسيح ؟ فهذا من أعظم جهل النصارى وضلالهم .

وأیضا : فانه لم يوجد أحد وبخ العالم على الخطيئة الا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فانه أنذر جميع العالم من أصناف الناس ووبخهم على الخطيئة من الكفر والفسوق والعصيان ، ولم يقتصر على مجرد الأمر والنهي ، بل وبخهم وقرعهم وتهدهم . وأيضا : فانه أخبر أنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع . وهذا اخبار بأن كل ما يتكلم به فهو شيء يسمعه ليس هو شيئا تعلمه من الناس أو عرفه باستنباطه . وهذه خاصة بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم . وأما المسيح عليه السلام فكان عنده علم ما جاء به موسى قبله يشاركه به أهل الكتاب تلقاه عن قبله ، ثم جاء وحى خاص من الله تعالى فوق ما كان عنده . « وقال تعالى : « ويعمله الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل » فأخبر سبحانه انه يعلمه التوراة وزاده تعليم الانجيل الذى اختص به والكتاب الذى هو الكتابة ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن يعلم قبل الوحي شيئا من ذلك البتة ، ولم يكن ينطق من تلقاء نفسه ، كما قال تعالى : « وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى » وهذا

مطابق لقول المسيح « انه لا يتكلم من تلقاء نفسه ، بل يتكلم بما يوحى اليه » فالله تعالى أمره أن يبلغ ما أنزل اليه وضمن له العصمة في تبليغ رسالته ، ولهذا أرشد الناس الى جميع الحق ، وألقى الى الناس ما لم يكن غيره من الأنبياء القاه ، خوفا أن يقتله قومه •

وقد أخبر المسيح بأنه لم يذكر لهم جميع ما عنده وأنهم لا يطيقون حمله ، وهم معترفون بأنه كان يخاف منهم اذا أخبرهم بحقائق الأمور وسيدنا محمد ﷺ أيده الله سبحانه وتعالى تأييدا لم يؤيده لغيره ، فعصمه من الناس ، حتى لم يخف من شيء يقوله ، وأعطاه من البيان والعلم وعموم الرسالة ، ودخول الناس في دينه أفواجا أفواجا بأقصر زمان ما لم يؤته غيره ، فالكتاب الذي بعث به : فيه من بيان حقائق الغيب ما ليس في كتاب غيره وقد حفظ عن الزيادة والبتقصان والتحريف ، بخلاف غيره كما سنذكره مفصلا في محله ان شاء الله تعالى ، وأيد أمته تأييد طاقت به حمل ما ألقاه اليوم ، فلم يكونوا كأهل التوراة الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها ، ولا كأهل الانجيل الذين قال لهم المسيح : « ان لى كلاما كثيرا أريد أن أقوله لكم ، ولكن لا تستطيعون حمله » •

ولا ريب أن أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أكمل عقولا وأعظم ايمانا وأتم تصديقا وجهادا • ولهذا كانت علومهم وأعمالهم القلبية ، وايمانهم أعظم وكانت العبادات البدنية لغيرهم أعظم • وأيضا : فإنه أخبر عن الفارقليط أنه يشهد له ، وأنه يعلمهم كل شيء وأنه يذكرهم كل ما قال المسيح • ومعلوم ان هذا لا يكون الا اذا شهد له بشهادة يسمعها الناس ، ولا يكون هذا في قلب طائفة قليلة • ولم يشهد أحد للمسيح شهادة سمعها عامة الناس الا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فإنه أظهر أمر المسيح وشهد له عامة أهل الأرض وعلموا أنه صدق المسيح ونزوه عما افترته عليه اليهود وما غلت فيه النصارى • ولهذا لما سمع النجاشي من الصحابة ما شهد به محمد عليه الصلاة والسلام للمسيح ، قال لهم : ما زاد عيسى على ما قلتم هذا العود •

وجعل الله تعالى امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم شهداء على الناس  
شهدوا عليهم بما علموا من الحق ، اذ كانوا وسطا عدولا ، بخلاف شهادة  
اليهود والنصارى فى المسيح •

**وأىضا :** فان معنى الفارقليط ان كان هو الحامد أو الحماد أو  
المحمود أو الحمد ، فهذا الوصف ظاهر فى نبينا محمد صلى الله تعالى  
عليه وسلم فانه وأمهته الحمادون الذين يحمدون الله على كل حال ، وهو  
صاحب لواء الحمد ، والحمد مفتاح خطبة ومفتاح صلواته ، ولما كان  
حمادا سمى بمثل وصفه محمدا ، على وزن مكرم ومقدس ومعظم ،  
وهو الذى يحمده أكثر مما يحمده غيره ، ويستحق ذلك • فلما كان  
حمدا لله كان محمدا •

وفى شعر حسان بن ثابت :

أعز عليه للنبوّة خاتم  
من الله ميمون يلوح ويشهد  
وشق له من اسمه ليجله  
فدو العرش محمود وهذا محمد  
وضم الاله اسم النبى الى اسمه  
اذا قال فى الخمس المؤذن : أشهد

وأما أحمد ، فهو أفضل التفضيل اذ هو أحمد من غيره أى بأن  
يكون محمودا أكثر من غيره ، يقال : هذا أحمد من هذا أى هذا (١) أحق  
بأن يحمده من هذا ، فيكون فيه تفضيل على غيره فى كونه محمودا ، فلفظ  
محد يقتضى زيادة فى الكمية ، ولفظ أحمد يقتضى زيادة فى الكيفية •  
ومن الناس من يقول : معناه انه أكثر حمدا لله تعالى من غيره •  
وعلى هذا فيكون الحامد والحمد وعلى الأول بمعنى المحمود •  
وان كان الفارقليط بمعنى الحمد فهو تسمية بالمصدر مبالغة فى كثرة

(١) أحمد ترجمة براكليت • وأحمد بدل « ايلياء » فى سفر ملاخى  
وانجيل متى • فاسم أحمد قديم لا يخضع للاشتقاق • وكذلك محمد فى  
سفر التكوين وفى انجيل برنابا • لا يخضع للاشتقاق • والعربية والعبرانية  
متشابهتان •



الحمد ، كما يقال رجل عدل ورضا ونظائر ذلك ، وبهذا يظهر سر ما أخبر به القرآن عن المسيح من قوله : « ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد » فان هذا هو معنى الفارقليط كما تقدم .

وفي بعض نسخ التوراة القديمة ما ترجمته بالعربية : « وأما في اسماعيل فقد قبلت دعاك • قد باركت فيه وأثمره • وأكثره بماد ماد » وماد على وزن عمرو ، قد اختلف فيه علماء أهل الكتاب فطائفة يقولون : معناه جدا جدا ، أى كثيرا كثيرا ، فان كان هذا معناه فهو بشارته بمن عظم من بنيه كثيرا كثيرا • ومعلوم أنه لم يعظم من بنيه أكثر مما عظم محمد ﷺ وقالت طائفة أخرى بل هى صريح اسم محمد • قالوا : ويدل عليه : أن ألفاظ العبرانية قريبة من ألفاظ العربية فهى أقرب اللغات الى العربية ، فانهم يقولون لاسماعيل شماعيل ، ولوسى موسى وقد سك قد سخا •

وتأمل قوله فى التوراة : « نأبى أقيم لا هيم مقارب آخهم كاموخوا الاؤه يشماعون » • وان معناه : « نبيا أقيم لهم من وسط اخوتهم مثلك له يسمعون » ونظائر ذلك أكثر من ان يذكر ، فاذا أخذت لفظ مؤد ، وجدتها أقرب شىء الى لفظ محمد ، واذا أردت تحقيق ذلك فطابق بين ألفاظ العبرانية والعربية ، ولذلك يقولون : اصبوع ألوهيم ، أى اصبع الله كتب له بها التوراة • ويدل على ذلك : أداة الباء فى قوله بمؤد مؤد • ولا يقال عظمه بجدا جدا ، بخلاف أعظمه بمحمد • وكذلك هو فانه عظم به وازداد به شرفا الى شرفه ، بل تعظيمه بمحمد ابنه صلى الله تعالى عليه وسلم فوق تعظيم كل والد بولده العظيم القدر ، فالله سبحانه كثرة بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم • وعلى التقديرين فالنص من أظهر البشارات به • أما على هذا التفسير فظاهر جدا جدا ، وأما على التفسير الأول فانه كثر اسماعيل وعظمه على اسحاق جدا جدا بابنه محمد صلى الله عليه وسلم فاذا طبقت بين معنى الفارقليط ، ومعنى مؤد مؤد ، ومعنى محمد وأحمد ، ونظرت الى خصال الحمد التى فيه وتسميته أمته فالحمادين ، وافتتاح كتابه بالحمد ، وكثرة خصال الحمد التى فيه وفى أمته وفى دينه وفى كتابه ، وعرفت ما خلص

به العالم من أنواع الشرك والكفر والخطايا والبدع والقول على الله تعالى بلا علم ، وما أعز الله تعالى به الحق وأهله ، وقمع به الباطل وحزبه ، تيقنت أنه الفارقليط بالاعتبارات كلها . فمن هذا الذى هو روح الحق الذى لا يتكلم الا بما يوحي اليه ؟ ومن هو العاقب للمسيح والشاهد لما جاء به والمصدق له بمجرئه ؟ ومن الذى أخبرنا بالحوادث فى الأزمنة المستقبلية ؟ كخروج الدجال وظهور الدابة وطلوع الشمس من مغربها وخروج يأجوج ومأجوج ونزل المسيح بن مريم ، وظهور النار التى تحشر الناس وأضعاف أضعاف ذلك من الغيوب التى قبل يوم القيامة والغيوب الواقعة يوم القيامة من الصراط والميزان والحساب وأخذ الكذب بالايمان والشمائل وتفاصيل ما فى الجنة والنار ، مما لم يذكر فى التوراة والانجيل غير سيدنا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام . ومن الذى وبخ العالم على الخطايا سواء ؟ ومن الذى عرف الأمة ما ينبغى لله سبحانه حق التعريف غيره ؟ ومن الذى تكلم فى هذا الباب بما لم يطق أكثر العالم أن يقبلوه من غيره ، حتى عجزت عنه عقول كثير ممن صدقه وآمن به فساموه أنواع التحريف والتأويل ، لعجز عقولهم عن حمله ، كما قال أخوه المسيح صلوات الله عليهما وسلامه ؟ ومن الذى أرسل الى جميع الخلق قولاً وعملاً واعتقاداً فى معرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته وأحكامه وأفعاله وقضائه وقدره غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ ومن هو أركان العالم الذى أتى بعد المسيح غيره اذ أركان العالم هو عظيم العالم وكبير العالم .

تأمل قول المسيح فى هذه البشارة التى لا ينكرونها : « أن أركون العالم سيأتى وليس لى من الأمر شيء » وفى نسخه : « ان رئيس هذا العالم يأتى وليس له فى شيء » (١) . كيف شهد بنبوة المسيح ونبوة

(١) يفسر النصارى رئيس هذا العالم بالشیطان الرجيم . والمعنى : أن عيسى عليه السلام يقول : ان الشيطان الذى أضل الناس وأبعدهم عن الحق واتنع علماء بنى اسرائيل بتحريف التوراة عن محمد ﷺ . قد اظهرت للناس ضلالة ، وحذرتهم منه ، ووضحت لهم نبوءات التوراة عن محمد ﷺ حتى اذا ما ظهر لا يكون امره خافياً ، بل يكون واضحاً . ويكون الشيطان قد أخزى ، ويكون أتباعه قد ادينوا على رفضهم بسبب بيأتى وتوضيحي .

محمد صلى الله تعالى عليه وسلم معا فانه لما جاء صار الأمر له دون المسيح فوجب على العالم كلهم طاعته والانتقياد لأمره وصار الأمر له حقيقة ، ولم يبق بأيدي النصارى الا دين ، باطله أضعاف أضعاف حقه وحقه منسوخ بما بعث الله تعالى به محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فطابق قول المسيح قول أخيه محمد عليه الصلاة والسلام «ينزل فيكم ابن مريم حكما علاءا وأماما مقسطا فيحكم بآيات ربكم(١)» وقوله في اللفظ الآخر : « فأمكم بكتاب ربكم » فتطابق قول الرسولين الكريمين وبشر الأول بالثاني ، وصدق الثاني الأول .

**وتأمل قوله في البشارة الاخرى : « ألم تر الى الحجر الذى اخره البناؤن صار أسا للزاوية »** كيف تجده مطابقا لقول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : « مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى دارا فأكملها وأتمها الا موضع لبنة منها فجل الناس يطيفون بها ويعجبون منها ، ويقولون : هلا وضعت تلك اللبنة ؟ فكتبت أنا تلك اللبنة » .

**وتأمل قول المسيح في هذه البشارة : « ان ذلك عجيب فى أعينا »** وتأمل قوله فيها على ما فى كثير من نسخه التى لم يبدل فيها هذا الكلام وهو : « ان ملكوت الله سيؤخذ منكم ويدفع الى أمة أخرى » ومثله فى التوراة : « وأنا أغيرهم بشعب جاهل » كيف تجده مطابقا لقوله تعالى : « ولقد كتبنا فى الزبور » الآية . وتأمل قوله : « يعلمكم كل شىء » ولقوله سبحانه : « ما كان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذى بين يديه ، وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » .

وإذا تأملت التوراة والانجيل والكتب وتأملت القرآن وجدته كالتفصيل (٢) لأجملها والتأويل لأمثالها والشرح لرموزها فهو حقيقة قول المسيح : « يعلمكم كل شىء » وقوله : « يعلمكم جميع الحق » وقوله على ما فى بعض نسخ الانجيل : « أجيئكم بلأمثال ويجيئكم بالتأويل ،

(١) نزول عيسى آخر الزمان ثابت بأحاديث احاد .

(٢) شريعة القرآن سهلة ، وشريعة التوراة صعبة .

ويفسر لكم كل شيء ، ويذكركم بكل ما قلته لكم » وإذا تأملت تفصيل ما أخبر به من الجنة والنار والثواب والعقاب تيقنت صدق الرسولين الكريمين ومطابقة الخبر المفصل من نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم للخبر المجمل من أخيه المسيح •

وتأمل قوله في الفارقليط : « وهو يشهد لى كما شهدت له » منطبقا على محمد بن عبد الله وكيف تجده شاهدا بصدق الرسولين ؟ وكيف تجده صريحا فى رجل يأتى بعد المسيح يشهد له بأنه عبد الله ورسوله كما شهد له المسيح أنه يرسله الله تعالى وأنه يوبخ العالم ، وأنه أركون العالم أى سيده وعظيمه ، وأنه يعلمهم كل شيء ، ويذكرهم بجميع ما قاله المسيح ، ولقد أذن المسيح بنبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أذانا لم يؤذنه نبي قبله ، وأعلن بتكبير ربه أن يكون له صاحبة أو ولد ، ثم رفع صوته بشهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الها واحدا أحدا فردا صمدا لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، ثم أعلن بشهادة أن محمدا عبده ورسوله الشاهد له بنبوته المؤيد بروح الحق الذى لا يقول من تلقاء نفسه ، بل يتكلم بما يوحى اليه ويعلمهم كل شيء ، ويخبرهم بما أعد الله تعالى لهم ثم رفع صوته بحى على الفلاح بإتباعه والايمان به وتصديقه ، وأنه ليس له من الأمر شيء ، وختم التأذين بأن ملكوت الله سيؤخذ ممن كذبه ويدفع الى أتباعه والمؤمنين به ، فهلك من هلك عن بينة ، وعاش من عاش عن بينة ، فاستجاب أتباع المسيح حقا لهذا التأذين وأباه الكافرون والجاحدون فقال تعالى « انى متوفيك ورافعك الى ، ومطهرك من الأذين كفروا ، وجاعل الذين أتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ، ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم فيه تختلفون » وهذا بشارة بأن المسلمين لا يزالون فوق النصرى الى يوم القيامة فان المسلمين هم أتباع المسيح فى الحقيقة واتباع جميع الأنبياء لا أعداؤه عباد الصليب ، الذين رضوا أن يكون الها مصفوعا مصلوبا مقتولا بأيدي عبده الذين ضرب عليهم الذلة والمسكنة ، ولم يرضوا أن يكون نبيا عبد الله وجيها عنده ، مقربا

لغديه • فهو لاء أعداؤه حقا والمسلمون أتباعه حقا • والمقصود أن  
بشارة المسيح بالنبي ﷺ فوق كل بشارة ، لما كان أقرب الأنبياء اليه  
وأولاهم به وليس بينه وبينه نبي مرسل صاحب شريعة وكتاب •

وتأمل قوله : ان أركون العالم سيأتي • وفي بعض نسخهم التي  
بدلوها برئيس هذا العالم يأتي وليس له شيء • وعلى كل فهو سيد  
العالم وعظيمه • فمن الذي ساد العالم وأطاعه بعد المسيح غير النبي  
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سئل : ما كان أول أمرك ؟ قال :  
« انا دعوة أبى ابراهيم ، وبشرى عيسى » وطابق بين هذا وبين هذه  
البشارات التي ذكرها المسيح • فمن الذي ساد العالم باطنا وظاهرا  
وانقادت له القلوب والأجساد وأطيع في السر والعلانية في محياه وبعد  
ممانته في جميع الأعصار وأفضل الاقاليم والأمصاير وسارت دعوته  
في أيام قليلة سير الشمس في الأقطار ، وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار ،  
وخرت لمجيئه الأمم على الأذقان ، وبطلت به عبادة الاوثان وقامت به  
دعوة الرحمن ، واضمحت به دعوة الشيطان ، وأذل الكافرين  
والجاحدين ، وأعز المؤمنين • وجاء بالحق وصدق المرسلين ، حتى أعلن  
بالتوحيد على رءوس الاشهاد وعبد الله وحده لا شريك في كل حاضر  
وباد ، امتلأت به الأرض تحميذا لله وتهليلا وتسبيحا وتكبرا واكتست  
به بعد الظلم والظلام عدلا ونورا •

==

**تتمة :** أعلم أنه لم يسم قبل نبينا عليه أفضل الصلوات والسلام  
أحد بمحمد • وذلك لانه سبحانه سماه في الكتب المقدمة بذلك وبشر به  
الأنبياء والأمم ، فلو جعل اسمه مشتركا فله لوقعت الشبهة ، الا أنه  
لما قرب زمنه عليه السلام وبشر أهل الكتب بقربه سمى قوم أولادهم  
بذلك ، رجاء أن يكون هو هو صلى الله عليه وسلم والله أعلم حيث يجعل  
رسالته :

ما كل من زار الحمى سمع النداء  
من أهله • أهلا بهذا الزائر

وقد سماه به جده عبد المطلب • وذلك أنه لما قيل له : ما سميت ولدك ؟ قال : محمد • فقيل له : كيف سميته باسم ليس لأحد من آبائك وقومك ؟ فقال : لأني أرجو أن يحمد الله تعالى في السماء ، ويحده أهل الأرض • وذلك لرؤيا كان رآها وهي : أن عبد المطلب كان رأى في المنام كأن سلسلة من فضت خرجت من ظهره ، لها طرف في السماء وطرف في المشرق وطرف في المغرب ، ثم عادت مكانها شجرة ، على كل ورقة منها نور • وإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها فقصها فعبرت بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ، ويحده أهل السماء والأرض فلذلك سماه محمدا ، مع ما حدثته به أمه آمنة بنت وهب من البشارات التي رأتها • ومنها أنه قيل لها : فاذا وضعته فسميه محمدا •

ومن أسمائه عليه الصلاة والسلام أحمد ومحمود كما تقدم ، فمحمد منقول من الصفة ، وهو الذي يحمد حمداً بعد حمد وأحمد منقول أيضا من الصفة التي معناها التفضيل ، ومعناه أحمد الحامدين لربه • ثم لم يكن محمداً حتى كان أحمد حمد ربه ، فأنبأه وشرفه ، وذلك لأنه حمد ربه قبل أن يحمد الناس • وقيل انه بمعنى أحمد الناس أي أحق الناس وأولاهم ان يحمد فهو بمعنى محمد • وبذلك ذكره موسى وعيسى عليهما السلام فيكون أحمد أيضا بمعنى اسم المفضول •

قال الامام عياض : أحمد أكبر من حمد ، وأجل من حمد • وقال العلامة ابن القيم في الفصل الثالث من جلاء الافهام في معنى اسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم محمد واشتقاقه • ما ملخصه : ان هذا الاسم الشريف هو أشهر أسمائه عليه الصلاة والسلام وهو اسم منقول من الحمد وهو في الأصل اسم مفعول من الحمد • وهو يتضمن الثناء على المحمود ومحبته واجلاله وتعظيمه ، هذا هو حقيقة الحمد ، وبنى على زنة مفعل مثل معظم ومبجل لأن هذا

البناء موضوع للتكثير ، فان اشتق منه اسم فاعل فمعناه من كثر صدور الفعل منه مرة بعد مرة كمعلم ومفهم ومخلص وان اشتق منه اسم مفعول فمعناه من تكرر وقوع الفعل عليه مرة بعد أخرى ، اما استحقاقا أو وقوعا . فمحمد هو الذى كثر حمد الحامدين له مرة بعد أخرى ، أو الذى استحق أن يحمد مرة بعد أخرى . يقال حمد فهو محمد كما يقال علم فهو معلم . وهذا علم وصفة اجتمع فيه الأمران فى حقه صلى الله تعالى عليه وسام وان كان علما محضا فى حق كثير ممن تسمى به غيره .

وهذا شأن أسماء الرب تعالى وأسماء كتابه واسماء نبيه . وهى اعلام دالة على معان هى بها أوصاف فلا تضار فيها العلمية والوصف بخلاف غيرها من أسماء المخلوقين ، فهو الله الخالق البارئ المصور الغفار ، فهذه أسماء دالة على معان هى صفاته . وكذلك القرآن والفرقان والكتاب المبين ، وغير ذلك من أسمائه . وكذلك أسماء النبى عليه الصلاة والسلام التى منها محمد وأحمد والمأحى . ولهذا قال حسان فى الأبيات السابقة .

وشق له من اسمه ليجله

فذو العرش محمود وهذا محمد

فتسميته ﷺ بهذا الاسم لما اشتمل عليه من مسماه ، وهو الحمد ، فانه عليه الصلاة والسلام محمود عند الله ، ومحمود عند ملائكته ، ومحمود عند اخوانه من المرسلين ، ومحمود عند أهل الأرض كلهم وان كفر به بعضهم ، فان ما فيه من صفات الكمال محمود عند كل عاقل ، وان كابر عقله بجحودا وعنادا أو جهلا باتصافه بها ولو علم اتصافه بها لحمده ، فان من يحمد من اتصف بصفات الكمال ويجهل وجودها فيه فهو فى الحقيقة حامد له وهو ﷺ اختص من سمي الحمد بما لم يجتمع لغيره فان اسمه محمد وأحمد وأمهات الحمادون يحمدون الله تعالى على السراء والضراء وصلاته وصلاة أمته مفتتحة بالحمد وخطبه مفتتحة بالحمد ، وكتابه مفتتحة به . هكذا كان عند الله تعالى فى اللوح المحفوظ أن خلفاء

وأصحابه يكتبون المصحف مفتتحا بالحمد ، وببيده عليه الصلاة والسلام  
لواء الحمد يوم القيامة •

ولما يسجد لربه عز وجل اذ ذاك للشفاعة ويؤذن له فيها ، يحمد ربه  
بمحامد يفتحها عليه حينئذ وهو صاحب المقام المحمود الذي يغبطه  
الأولون والآخرون • واذا قام في ذلك المقام حمده حينئذ أهل الموقف  
كلهم ، مسلمهم وكافرهم وأولهم وآخرهم وهو محمود صلى الله تعالى  
عليه وسلم بما ملأ به الأرض من الهدى والايمان والعلم النافع ولعمل  
الصالح ، وفتح به القلوب وكشف به الظلمة عن أهل الأرض واستنقذهم  
من أسر الشياطين ، ومن الشرك بالله تعالى والكفر به والجهل به ، حتى  
قال به أتباعه شرف الدنيا والآخرة ، فان رسالته افقت أهل الأرض أحوج  
ما كانوا اليها فانهم كانوا بين عباد أوثان وعباد صلبان وعباد نيران وعباد  
الكواكب ومغضوب عليهم ، قد باعوا بغضب من الله ، وحيران لا يعرف  
ربا يعبده ولا بماذا يعبده • والناس يأكل بعضهم بعضا من استحسن  
شيئا دعا اليه من خالفه ، وليس في الأرض موضع قدم مشرق بنور  
الرسالة •

وقد نظر الله سبحانه وتعالى حينئذ إلى أهل أرض فمقتتهم عربهم  
وعجمهم الا بقايا على اثار من دين صحيح ، فأغاث الله تعالى به البلاد  
والعباد ، وكشف به تلك الظلم ، وأحيا به الخليقة بعد الموت ، فهدى به  
من الضلالة ، وعلم به من الجهالة وكثر به من القلة ، وأعز به بعد  
الذلة ، وأغنى به بعد الغيلة ، وفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا  
غلفا •

فعرف الناس ربهم ومعبودهم غاية ما يمكن أن تناله قواهم من  
المعرفة ، وأبدى وأعاد واختصر وأطبب في ذكر أسمائه وصفاته وافعاله  
وأحكامه حتى تجلت معرفته سبحانه في قلوب عباده المؤمنين ، وانجلت  
سحائب الشك والريب عنها كما ينجاب السحاب عن القمر ليلة ابداره ،  
ولم يدع عليه الصلاة والسلام لأمته حاجة في هذا التعريف لا الى من



قبله ولا الى من بعده ، بل كفاهم وشفاهم وأغناهم عن كل من تكلم في هذا الباب « أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم • ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » •

قال أبو ذر رضى الله تعالى عنه لقد توفى رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء الا ذكرنا منه علما وعرفهم حالهم بعد القدوم على ربهم سبحانه أتم تعريف فكشف الأمر وأوضحه ولم يدع بابا من العلم النافع للعباد المقرب لهم الى ربهم الا فتحه ولا مشكلا الا بينه وشرحه ، حتى هدى الله تعالى به القلوب من ضلالها وشفاهها من أسقامها وأغاثها به من جهلها • فأى بشر أحق بأن يحمد منه ﷺ ؟ فجزاه عن أمته أفضل الجزاء •

وأصح القولين في قوله تعالى : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » أنه على عمومته • وقاؤه على هذا التقدير وجهان :

**أحدهما :** أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته اما اتباعه عليه الصلاة والسلام فنالوا به كرامة الدنيا والآخرة • وأما أعداؤه الكافرون بالله ورسوله المحاربون له عجل قتلهم وموتهم وهو خير لهم من حياتهم ، لأن حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة • وهم قد كتب عليهم الشقاء فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم في الكفر وأما المعاهدون له فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته • وهم أقل شرا بذلك العهد من المحاربين له • وأما المنافقون فحصل لهم باظهار الايمان به عليه الصلاة والسلام حقن دمائهم وأموالهم وأهلهم واحترامها وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيره •

وأما الأمم النائية عنه فان الله سبحانه وتعالى رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض ، فأصاب كل العالمين النفع برسالته •

الوجه الثانى : انه عليه الصلاة والسلام رحمة لكل أحد لكن المؤمنون قبلوا هذه الرحمة فانتشعوا بها دنيا وأخرى والكفار ردوها فلم ( م ٢٠ - الجواب الفسيح )

يخرج بذلك عن ان يكون رحمة لهم لكن لم يقبلوها كما يقال هذا دواء لهذا المرض فاذا لم يستعمله المريض لم يخرج عن أن يكون دواء لذلك المرض .

ومما يحمد عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ما جبله الله عليه من مكارم الأخلاق وكرائم الشيم فان من نظر في أخلاقه وشيمه عليه الصلاة والسلام علم انها خير أخلاق وأكرم شمائل الخلق فانه ﷺ كان أعلم الخلق وأعظمهم أمانة وأصدقهم حديثا واحلمهم واجودهم واسخاهم واشدهم احتمالا وأعظمهم عفوا ومغفرة وكان عليه الصلاة والسلام لا يزيد شدة الجهل عليه الا حلما أرحم الخلق وأرثفهم بهم ، وأعظم الخلق نفعا لهم في دينهم وأنصح خلق الله وأحسنهم تعبيراً عن المعاني الكثيرة بالألفاظ الوجيزة الدالة على المراد ، وأصبرهم في مواطن الصبر ، وأصدقهم في مواطن اللقاء ، وأكثرهم توكلا وأوفاهم بالعهد والذمة وأعظمهم مكافأة على الجميل بأضعافه وأشدهم تواضعا وأعظمهم ايثارا على نفسه ، وأشد الخلق ذبا عن أصحابه وحماية لهم ودفاعا عنهم ، وأقوم الخلق بما يأمر به وأتركهم لما ينهى عنه وأوصل لخلق لرحمه .

ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر كما جاءت أغلب هذه الأوصاف له في التوراة كما رواه الامام البخارى في صحيحه وكان عليه الصلاة والسلام قد جمع الخير كله بحذافيره ، وأودع في صدره ، فهو أجود الناس صدرا ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشيرة ، وأصدقهم لهجة حتى أن أعداءه اقرت له بذلك وقد حاربوه وليس أحد منهم يوما من الدهر طعن فيه بكذبة واحدة صغيرة ولا كبيرة ولذا كانوا يسمونه الأمين . ولما كذبه بعض كفار قريش بدعواه الرسالة حسدا وكبرا وعصبية جاهلية ، سلاه البارى سبحانه ليهون عليه قول أعدائه بقوله عزت كلمته « قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون . ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله . ولقد جاءك من نبا المرسلين » انتهى .

## فصل

وطابق بين قول المسيح « ان أركون العالم سيأتيكم » وقول أخيه محمد ﷺ أنا سيد ولد آدم ولا فخر • آدم فن دونه تحت لوائى وأنا خطيب الأنبياء اذا رقدوا ، وامامهم اذا اجتمعوا ، ومبشرهم اذا يؤسوا » وفى قول المسيح فى هذه البشارة « وليس له فى شىء » وفى بعضها « ليس له شىء » وفى بعضها « وليس لى من الأمر شىء » اشارة الى التوحيد وأن الأمر كله لله • فتضمنت هذه البشارة أصلى الدين : اثبات التوحيد ، واثبات النبوة •

وهذا الذى قاله المسيح مطابق لما جاء به أخوه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من ربه سبحانه من قوله « ليس لك من الأمر شىء » فمن تأمل حال الرسولين الكريمين ودعوتيهما ، وجدتهما متوافقين متطابقين حذو الفذة بالفذة ، لا يمكن التصديق بأحدهما مع التكذيب بالآخر البتة ، فان المكذب بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم أشد تكذيبا للمسيح ، الذى هو ابن مريم عبد الله ورسوله ، وان آمن بمسيح لا حقيقة له ولا وجود فهو من أبطل الباطل •

وقد قال يوحنا فى كتاب أخبار الحواريين « اياكم أن تؤمنوا بكل روح لكن ميزوا الأرواح التى من عند الله من غيرها • واعلموا أن كل روح تؤمن بأن يسوع المسيح قد جاء وكان جسدا نيا ، فهى من عند الله وكل روح لا تؤمن بأن المسيح قد جاء وكان جسدا نيا ، فليست من عند الله بل من المسيح الكذاب ، الذى هو الآن فى العالم » •

فالمسلمون يؤمنون بالمسيح الصادق الذى جاء من عند الله بالهدى ودين الحق الذى هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول • والنصارى انما تؤمن بمسيح دعا الى عبادة نفسه وأمه ، وأنه ثالث ثلاثة ، وأنه الله وابن الله وهذا هو أصل المسيح الكذاب ، لو كان له وجود ، فان المسيح الكذاب يزعم انه الله • والنصارى فى الحقيقة أتباع

هذا المسيح ، كما أن اليهود انما ينتظرون خروجه ، وهم يزعمون أنهم ينتظرون النبی الذی بشروا به فعوضهم الشیطان بعد مجیئه من الايمان به انتظار المسيح الدجال • وهذه طريقة الشیطان لما أعرض عن السجود لآدم کبرا أن یخضع له تعوض من ذلك ذل القيادة لكل فاسق ومجرم من بنیه ، فلا بتلك النخوة ولا بهذه الحرفة ، والنصارى لما أنفوا أن یكون المسيح عبد الله تعوضوا من هذه الأنفة بأن رضوا بجعله مصفحة لليهود ، ومصلوبهم الذی یسخرن منه ویهزؤن به ثم عقدوا له تاجا من الشوك بدل تاج الملك ، وساقوه فی حبل الی خشبة الصلیب ، یصفقون حوله ویرقصون حتی صلبوه بین لصین ، وهو ینادی « الهی الهی لم ترکنتی ؟ » فمات وقبر ثم قام وصعد الی أبیه وجلس عن یمینه •

ثم انهم الآن للحمة آكلون ولدمه حقيقة شاربون ، فلا بتلك الأنفة له من عبودية الله ولا بهذه النسبة له الی أعظم الذل والضیم والقهر ، فكیف صیروه لها وعبدوه ؟ ثم انهم أكلوه وشربوه ، ثم من المخرجین أخرجوه • وكذلك أنفوا أن یكون للبترك والراهب زوجة او ولد ، وجعلوا لله رب العالمین الولد والزوجة وكذلك أنفوا أن یعبد الله وحده لا شریک له ویطیعوا عبده ورسوله ، ثم رضوا بعبادة الصلیب والصورة المصنوعة بالأیدی فی الحیطان والسجود لها وطاعة كل من یحرم علیهم ما شاء ویحلل لهم ما شاء وشرع لهم من الدین ما شاء من تلقاء نفسه • فلیتأمل العاقل کیف لعب بهم الشیطان ، حتی اعتقدوا أشياء تأبأها ذوو العقول ، وغدت ظاهرة البطلان مخالفة للمنتقول والمعقول •

## فصل

وقول المسيح « اذا انطلقت أرسلته اليكم » معناه أنى أرسله  
بدعائى ربى وطلبى منه ، أن يرسله كما يطلب الطالب من ولى الأمر أن  
يرسل أحدا أو يولى نائبا أو يعطى احدا فيقول انا ارسلت هذا ووليته  
واعطيته اى كنت سببا فى ذلك فان الله سبحانه اذا قضى أن يكون الشئ  
فانه يقدر له أسبابا يكون بها ومن تلك الأسباب دعاء بعض عباده بأن  
يفعل ذلك فيكون فى ذلك من النعمة اجابة دعائه مضافا الى نعمته بايجاد  
ما قضى كونه •

ونبينا محمد ﷺ قد دعا به الخليل أبوه فقال : « ربنا وابعث فيهم  
رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويطلعهم الكتاب والحكمة ، ويزكيهم أنك  
أنت العزيز الحكيم » مع أنه سبحانه قد قضى بارساله قبل ذلك ولا يمتنع  
أن يكون المسيح سأل ربه بعد صعوده أن يرسل أخاه محمد الى العالم ،  
ويكون ذلك من أسباب ارساله ، اضافة الى دعوة ابراهيم •

وتأمل قول المسيح : « انى لست أدعكم أيتاما لأنى سأتيكم عن  
قريب » كيف هو مطابق لقول أخيه عليه الصلاة والسلام « ينزل فيكم  
ابن مريم حكما عدلا واماما مقسطا فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ،  
ويضع الجزية » وأوصى أمته أن يقرأه السلام منه من لقيه منهم وفى  
حديث اخر « كيف تهلك أمة أنا فى أولها ، وعيسى فى آخرها » صلى الله  
تعالى عليه وسلم •

وبقيت فى الآيات وجوه لا تخفى على المتأمل ، تدل على أن المراد  
بها البشارة بأكرم الرسل ﷺ تركناها خشية التظويل ، وللظن الغالب ،  
أنها لا تخفى على كل متيقظ نبيل والله يقول الحق وهو يهدى السبيل •

وأما الشبهات التى ذكرها علماء بروتستنت من النصارى فخمس :

**الأولى :** ان فارقليط جاء في هذه العبارات مفسرا بروح القدس وروح الحق وهما عبارتان عن الأقتنوم الثالث ، فكيف يصح أن يراد به محمد ﷺ .

**وجوابها :** ان النصراني صاحب « ميزان الحق » يدعى في تأليفاته ان ألفاظ روح الله وروح القدس وروح الحق وروح الصدق وروح فم الله بمعنى واحد .

قال في الفصل الأول من الباب الثاني من مفتاح الأسرار من النسخة الفارسية المطبوعة سنة ١٨٥٠ : « ان لفظ روح الله ولفظ روح القدس في التوراة والانجيل بمعنى واحد » انتهى فادعى أن هذين اللفظين يستعملان بمعنى واحد في العهدين . وقال في حل الاشكال في جواب كشف الأستار : « من له شعور ما على التوراة والانجيل ، فهو يعرف أن ألفاظ روح القدس وروح الحق وروح فم الله وغيرها بمعنى روح الله . فلذلك ما رأيت اثباته ضروريا » انتهى .

فاذا عرفت هذا القول فنحن نقطع النظر عن صحة ادعائه وعدم صحته ههنا ، ونسلم ترادف هذه الألفاظ على زعمه . لكننا ننكر أن استعمالها في كل موضع من مواضع العهدين بمعنى الأقتنوم الثالث . ونقول كما قال من له شعور ما على كتب العهدين يعرف أن هذه الألفاظ تستعمل في غير الأقتنوم الثالث كثيرا كما في الاصحاح السابع والثلاثين من سفر حزقيال قول الله تعالى في خطاب ألوف من الناس الذين أحياهم بمعجزة حزقيال عليه السلام ما نصه : « فأعطى فيكم روحي » انتهى فروح الله هنا بمعنى النفس الناطقة الانسانية لا بمعنى الأقتنوم الثالث الذي هو عين الله على زعمهم .

وفي الاصحاح الرابع من الرسالة الأولى ليوحنا ما نصه : « لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح ، هل هي من الله ؟ لأن الانبياء الكذبة كثيرون قد خرجوا الى العالم . بهذا تعرفون روح الله . كل روح يعرف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله » الى أن يقول :

« نحن من الله فمن يعرف الله يسمع لنا ، ومن ليس من الله لا يسمع لنا ،  
من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال » انتهى •

وقد ترجموا في الهندية وغيرها الروح بالواعظ من جانب الله وروح  
الحق بالواعظ الصادق • فتبين من كتبهم وتراجمهم : أنه ليس المراد  
بروح الله وروح الحق الأَقْنوم الثالث الذى هو بزعمهم عين الله سبحانه  
وهو المسيح • وهذا ظاهر لا يخفى على كل ذى عينين ، فنفسير الفارقليط  
بروح القدس وروح الحق لا يضرنا شيئاً في ما نحن بصدده ، لأنهما  
بمعنى الواعظ الحق كما أن لفظ روح الحق وروح الله بهذا المعنى في  
الرسالة الأولى ليوحنا فيصح إطلاقهما على سيدنا محمد ﷺ بلا شك  
ولا ريب •

**الشبهة الثانية :** ان المخاطبين بلفظ « كم » هم الحواريون • واذا  
كان كذلك فلا بد أن يظهر فارقليط في عهدهم ، مع أن محمد عليه الصلاة  
والسلام ما ظهر الا بعدهم •

**وجوابها :** ان هذه شبهة أوهاج من بيت العنكبوت ، لأنه ليس المراد  
أن المخاطبين بأنفسهم يكونون موجودين بأنفسهم وقت التذكير ووقت  
ارساله ووقت تعليمه • ألا ترى قول عيسى عليه السلام في الاصحاح  
السادس والعشرين من انجيل متى في خطاب رؤساء الكهنة والشيوخ  
والمجمع ما نصه : « وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الانسان  
جالسا عن يمين القوة وآتيا على سحاب السماء » • وهؤلاء المخاطبون  
قد ماتوا ومضت على مدتهم مدة هي أزيد من ألف وثمانمائة سنة  
وما رأوا آتيا على سحاب السماء • فكما أن المراد بالمخاطبين ههنا الموجودون  
من قومهم وقت نزوله من السماء ، فكذلك فيما نحن فيه ، اذ المراد الذين  
يوجدون وقت ظهور فارقليط كما لا يخفى •

**الشبهة الثالثة :** انه قال في حق فارقليط : « أن العالم لا يراه ولا  
يعرفه وأنتم تعرفونه » وهذا لا يصدق على محمد ﷺ لأن الناس رأوه  
وعرفوه •

**وجوابها :** ان النصارى أحوج الناس تأويلا لهذا القول لأن روح  
لقدس عين الله عندهم ، وأهل العالم يعرفون الله سبحانه أكثر من معرفتهم  
لمحمد ﷺ فلا بد أن يقولوا ان المراد بالمعرفة المعرفة الحقيقية الكاملة ،  
فاذا أولوا هذا القول لباطل مرادهم ، فنحن أولى بتويله • لصحيح  
مرادنا ويكون المقصود لا يعرفه معرفة حقيقية كاملة ، وأنتم تعرفونه  
معرفة حقيقية كاملة • والمراد بالرؤية المعرفة • ولذا لم يعد عيسى عليه  
السلام لفظ الرؤية بعد لفظ « أنتم » بل قال : « وأنتم تعرفونه » ولو  
حملنا الرؤية على الرؤية البصرية يكون نفى الرؤية محمولا على ما هو  
المراد في قول الانجيل الأول في الاصحاح الثالث عشر من انجيله ونقل  
عبارته عن الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ ما نصه : « فلذلك اضرب  
لهم الأمثال لأنهم ينظرون ولا يبصرون ويسمعون ولا يستمعون ولا  
يفهمون • وقد كمل فيهم تنبأ أشعيا حيث قال انكم تسمعون سماعا  
ولا تفهمون وتنتظرون نظرا ولا تبصرون » انتهى •

فلا اشكال أيضا وأمثال هذين الأمرين — وان كانت معانى مجازية —  
لكنها بمنزلة الحقيقة العرفية • ووقعت في كلام عيسى كثيرا كما في الاصحاح  
الحادى عشر من انجيل متى ما نصه : « وليس أحد يعرف الابن الا الآب ،  
ولا أحد يعرف الآب الا الأب ، ومن أراد الأب أن يعلن له » • وفى  
الاصحاح السابع من انجيل يوحنا ما نصه : « الذى أرسلنى حق الذى  
أنتم لستم تعرفونه » • وفى الاصحاح الثامن من انجيل يوحنا ما نصه :  
« لستم تعرفوننى أنا ولا أبى ، لو عرفتمونى لعرفتتم أبى أيضا ولستم  
تعرفونه » اى الله الى آخره •

وفى الاصحاح الرابع عشر من انجيل يوحنا ما نصه : « لو كنتم  
عرفتمونى لعرفتتم أبى أيضا ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه • قال له  
فيلبس يا سيد أرنا الأب وإفانا • قال له يسوع • أنا معكم زمانا هذه مدته  
ولم تعرفونى يا فيلبس ؟ الذى رآنى فقد رأى الآب • فكيف نقول أنت  
أرنا الآب » انتهى •

فالمراد فى هذه الأقوال بالمعرفة المعرفة الكاملة وبالرؤية المعرفة



والا لا تصح هذه الأقوال يقينا لأن العوام من الناس كانوا يعرفون عيسى عليه السلام فضلا عن رؤساء اليهود والكهنة والمشايع والحواريين ورؤية الله تعالى بالبصر في هذا العالم ممتعة عند أهل التثليث أيضا •

الشبهة الرابعة : انه وقع في حق فارقليط انه مقيم عندكم وثابت فيكم ، ويظهر من هذا القول أن فارقليط كان في وقت الخطاب مقيما عند الحواريين وثابتا فيهم • فكيف يصدق على محمد ﷺ •

وجوابها : ان هذا القول في التراجم الأخر كالترجمة المطبوعة سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٢٥ هكذا : « لأنه مستقر معكم وسيكون فيكم » والتراجم الفارسية والهندية كلها موافقة لهذا • وفي النسخة المطبوعة سنة ١٨٢٢ التي نقلنا عبارتها أولا هكذا : « لأنه ماكن معكم ويكون فيكم » فظهر أن المراد بقوله ثابت الثبوت الاستقبالي يقينا فلا اعتراض به بوجه من الوجوه •

بقي قوله : « مقيم عندكم » وجوابه : انه لا يصح حمل هذا القول على معنى هو مقيم عندكم الآن ، لأنه يناهى قوله : « أنا أطلب من الآب فيعطيكُم فارقليط آخر » • وقوله : « قد قلت لكم قبل أن يكون ، حتى اذا كان تؤمنون » • وقوله : « ان لم انطلق لم يأتكم الفارقليط » واذا أول نقول انه بمعنى الاستقبال • كما أن القول الذي بعده بمعنى الاستقبال ومعناه يكون مقيما عندكم في الاستقبال ، فلا خدشة في صدقه أيضا على سيدنا محمد ﷺ •

والتعبير عن الاستقبال بالحال بل بالماضي في الأمور المتيقنة كثير في المعهدين • ألا ترى أن حزقيال عليه السلام أخبر أولا عن خروج يأجوج ومأجوج في الزمان المستقبل واهلاكهم حين وصولهم الى جبال اسرائيل • ثم قال في الآية الثامنة من الاصحاح التاسع والثلاثين من سفره هكذا : « ها هو جاء وصار يقول الرب الاله ، هذا هو اليوم الذي قلت عنه » فانظر الى قوله : « ها هو جاء وصار فعبر عن الحال المستقبل بالماضي لكونه يتينا لا شك فيه ، وقد مضت مدة زيد من ألفين وأربعمائة وستين

سنة ، ولم يظهر خروجهم • وفي الآية الخامسة والعشرين من الاصحاح الخامس من انجيل يوحنا ما نصه : « الحق الحق أقول لكم : انه تأتي ساعة ، وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون » فانظر قوله : « وهي الآن » وقد مضت مدة أزيد من ألف وثمان مائة سنة ، ولم تجيء هذه الساعة والى الآن أيضا مجهولة لا يعرف أحد متى تجيء •

**التشبهة الخامسة :** قال في الاصحاح الأول من سفر الأعمال هكذا : « وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من اورشليم بل ينتظروا موعد الآب الذي سمعتموه منى ، لأن يوحنا عمد بالماء ، وأما أنتم فستعمدون بالروح القدس ، ليس بعد هذه الأيام بكثير » وهذا يدل على أن فارقليط هو الروح النازل يوم الدار ، لأن المراد بوعد الآب هو فارقليط •

**وجوابها :** ان قولهم المراد بوعد الآب هو فارقليط غلط وفاسد للوجوه المتقدمة التي عرفتها انفا • والحق الظاهر للعيان الذي لا يخفى على من له عيان أن الاخبار عن مجيء فارقليط شيء ، والوعد بانزال الروح عليهم مرة أخرى شيء آخر • وقد وفي الله تعالى بالوعدين • وقد عبر بالوعد الأول بمجىء فارقليط وههنا بموعد الآب • غاية الأمر ان يوحنا نقل بشارة فارقليط ولم ينقلها الانجيليون الباقون ، ولو نقل موعدا نزول الروح الذي نزل يوم الدار ولم ينقله يوحنا ولا بأس فيه ، فانهم قد يتفقون في نقل الأقوال الخسيسية كركوب عيسى عليه السلام على الحمار وقت الذهاب الى اورشليم ، فقد اتفق على نقلها الأربعة ، وقد يتخالفون في نقل الأحوال العظيمة • ألا ترى أن لوقا انفرد بذكر احياء ابن الأرملة من الاموات في نايين ، وذكر ارسال عيسى عليه السلام سبعين تلميذا ، وذكر ابرائه عشرة برص ، ولم يذكر هذه الحالات أحد من الانجيليين ، مع أنها من الحالات العظيمة ، وأن يوحنا انفرد بذكر وليمة العرس في قانا الجليل ، وظهر من يسوع فيه معجزة تحويل الماء خمرًا ، وهذه المعجزة أول معجزاته ، وسبب ظهور مجده ، وايمان

التلاميذ به ، ويذكر ابرائه السقيم في بيت صيدا في اورشليم • وهذه أيضا معجزة عظيمة ، والمريض كان مريضا من ثمان وثلاثين سنة ، ويذكر قصة امرأة أخذت في زناء ، ويذكر ابراء الأكمة • وهذا أيضا من اعظم معجزاته وهي في الاصحاح التاسع ، ويذكر احياء العازار من بين الأموات ، ولم يذكرها أحد من الانجيليين ، مع أنها حالات عظيمة ، وهكذا حال متى ومرقس فانهما انفردا بذكر بعض المعجزات والحالات ، التي لم يذكرها غيرهما •

إذا علمت جميع ما زبرناه وتأملت بالانصاف ما حررناه ، تبين لك أن الفارقليط المبشر به هو محمد ﷺ وأن أركون العالم هو الرسول المصطفى المكرم بلا شك ولا اشتباه ، وهو رئيسه الثابتة رياسته في مبدأ الكتاب ومنتهاه ، وأن شبههم المتقدمة كسراب وتأويلهم لهذه البشارة على مقتضى أهوائهم وتأويل باطل كذاب • والحمد لله الذي نور وجوه الموحدين بلامع الأصواب وصلاته على المبشر به في الكتب الالهية والآل والأصحاب وسلم تسليميا في البدأ والمآب آمين •



**البشارة السابعة:** ما في المزمور الخامس والأربعين ، وفي بعض نسخهم الرابع والأربعون ما نصه : « فاض قلبي كلمة صالحة أنا أقول أعمالي للملك ، لسانى قلم كاتب سريع الكتابة بهي في الحسن أفضل من بنى البشر ، انسكبت النعمة على شفقتك ، لذلك باركك الله الى الدهر ، تقلد سيفك على فخذك ، أيها القوي بحسبك وجمالك • انجح واملك من أجل الحق والدعة والصدق وتهديك بالعجب يمينك ، نبلك مسنونة أيها القوي في قلب أعداء الملك الشعوب تحتك يسقطون كرسيك يا الله الى دهر الدهارين ، عصا الاستقامة عصا ملكك • أحببت البر وأبغضت الاثم ، لذلك مسحك الله الهك بدهن الفرح أفضل من أصحابك • المر والبيعة والسليخة من ثيابك • من منازل الشريفة العاج التي أبهجتك ، بذت الملوك في كرامتك ، قامت الملكة من عن يمينك ، مشتملة بثوب مذهب ، موثى •

اسمى يا بنت وانظري وانصتى بأذنك وانسى شعبك وبيت  
أبيك ، فيشتهى الملك حسنك لأنه هو الرب الهك وله تسجدين ، بنات  
صور ، يأتينك بالهدايا لوجهك يصلى كل أغنياء الشعب كل مجد ابنة  
الملك ، من داخل مشتملة بلباس الذهب الموشى ، يبلغن الى الملك عذارى  
في اثرها قريباتها • اليك يقدمن يبلغن بفرح وابتهاج يدخلن الى هيكل  
الملك ويكون بنوك عوضا من آبائك ، ويطيهم رؤساء على سائر الأرض  
سأذكر اسمك في كل جيل وجيل ، من أجل ذلك تعترف لك الشعوب الى  
الى الدهر والى دهر الدهرين « انتهى بحروفه •

وهذا الكلام بشارتة بنبي يأتي بعد داود كما هو مسلم به عند أهل الاسلام  
وأهل الكتاب ، فيكون زمانه بعد زمان داود عليه السلام ولم يظهر الى  
هذا الوقت نبي موصوف بهذه الصفات عند اليهود • ولعلمهم يحملوه على  
المنتظر كما سبق في آية التوراة في الذى تنتظره الأمم وعلماء البروتستانت  
من النصرى يحملوه على عيسى عليه السلام ، وأنت تعلم أن هذه  
الأوصاف لا تنطبق الا على سيدنا محمد ﷺ كما يقوله أهل الاسلام  
سلفا وخلفا انه هو المراد من ذلك • وهذا مما لا يشك فيه من عرف سير  
النبيين وأوصافهم وتجنب عن التعصب ونصح نفسه •

فقد ذكر في هذا الزمور من صفات النبي المبشر به سبعة عشر  
صفة وهى كونه حسنا وكونه أفضل البشر وكون النعمة منسكبة على  
شفتيه وكونه مباركا الى الدهر وكونه منقلد بالسيف وكونه قويا وكونه  
ذا حق ودعة وصدق وكونه هداية يمينه بالعجب وكونه نبلا مسنونة  
وسقوط الشعب تحته ومحبا للبر ومبغضا لللاثم ، وخدمة بنات الملوك  
واتيان الهدايا اليه وانتقاد كل أغنياء الشعب له وكون أبنائه رؤساء  
الأرض بدل آبائهم وكون اسمه مذكورا جيلا بعد جيل ومدح الشعوب  
له الى دهر الدهرين • وهذه الأوصاف لم تجتمع على أكمل وجه في نبي  
غير محمد ﷺ كما لا يخفى على كل ذى عقل وانصاف •

**اما الاول :** فهو متواتر في روايات عديدة صحيحة ، منها ما قاله  
أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : « ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم كأن الشمس تجرى في وجهه ، وإذا ضحك  
يتلألأ في الجدار » •

وعن أم معبد رضى الله تعالى عنها قالت في بعض ما وصفته به هو  
أجمل الناس من بعيد ، وأحلاهم وأحسنهم من قريب •

**وأما الثانى :** فلأن الله تعالى قال في كتابه العزيز « تلك الرسل  
فضلنا بعضهم على بعض » وقال المفسرون أراد سبحانه بقوله : « ورفع  
بعضهم درجات » محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أى رفعه على سائر  
الأنبياء من وجوه متعددة ، ليس هذا محل ذكرها ، لئلا يخرج بناء الكلام  
الى خلاف المرام • ولعلنا نذكرها في محلها ان شاء الله تعالى • وقال ﷺ :  
« أنا سيد ولد آدم ولا فخر » أى لا أقول ذلك مفتخرا بل تحدثنا بنعمة  
ربى •

**وأما الثالث :** فلا يحتاج الى بيان • فقد أقر بفصاحته كل انسان  
من أهل الأديان •

**وأما الرابع :** فلأن الله سبحانه قل : « ان الله وملائكته يصلون على  
النبي يا أيها الذين آمنوا » الآية ، فلا زال في كل آن وزمان تصلى عليه  
من المشرق الى المغرب ألوف ألوف لا يحصى عددهم الا الله تعالى في  
صلواتهم الخمس وفي غيرها •

**وأما الخامس :** فهو صاحب السيف كما هو مسلم به عند أهل الكتاب •  
وقال عليه الصلاة والسلام : « أنا رسول الله بالسيف » كما سنفصل هذا  
في محله ان شاء الله تعالى •

**وأما السادس :** فقد كانت قوته الجسمانية على أكمل حال ، فقد  
ثبت أن ركانة رضى الله تعالى عنه كان من الأثوياء والمصارعين  
المشهورين ، خلا مع رسول الله ﷺ في بعض شعاب مكة قبل أن يسلم  
فقال : « يا ركانة ألا تتقى الله وتقبل ما أدعوك اليه ؟ » فقال : لو أعلم

ما تقول حقا لاتبعنك • فقال : « أرأيت ان صرعتك أتعلم ان ما اقول حق ؟ » قال : نعم • فلما بطش به ﷺ أضجعه لا يملك من أمره شيئا • ثم قال يا محمد عد فصرعه أيضا • فقال يا محمد ان ذا للعجب • فقال عليه الصلاة والسلام : « وأعجب من ذلك ان شئت أن أريكه • ان اتقيت الله تعالى وتبعت أمرى » قال : ما هو ؟ قال : « أدعو لك لهذه الشجرة » فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يديه ﷺ فقال لها : « لرجعى مكانك » فرجعت ثم رجع ركانة الى قومه ، فقال يا بنى عبد مناف ما رأيت أسحر منه ، ثم أخبرهم بما رأى •

وأما شجاعته فقد قال عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود من رسول الله ﷺ وقال على كرم الله وجهه : وانا كنا اذا حمى البأس واحمرت الحدق اتقيننا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب الى لعدو منه ، ولقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا الى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأسا •

**وأما السابع :** فلان الأمانة والصدق من صفاته المشهورة الجليلة كما قال النضر بن الحارث لقريش : قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثا وأعظمكم امانة ، حتى اذا رايتم فى صدغيه الشيب ، وجاعكم بما جاعكم قلتم انه ساحر ؟ لا والله ما هو بساحر •

وسئل هرقل فى حديثه الطويل أبا سفيان عن حاله عليه الصلاة والسلام قبل أن يسلم ، وكان اذ ذاك أشد الناس عداوة له عليه الصلاة والسلام فقال له : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فقال له : لا •

**وأما الثامن :** فلأنه رمى يوم بدر وكذا يوم حنين وجوه الكفار بقبضة تراب فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهمزوا وتمكن المسلمون ، منهم قتلا واسرا فأمثال هذه من هداية يمينه •

**وأما التاسع :** فلأن كون أولاد اسماعيل أصحاب النبيل في سالف الزمان غير محتاج الى البيان ، حتى ورد في الأحاديث الصحيحة ، العديدة عنه عليه الصلاة والسلام الأمر بتعلم ذلك • وكان عليه الصلاة والسلام يقول : « ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله تعالى ، فلا يعجز أحدكم أن يلهو باسمه » وكان يقول : « ارموا بنى اسماعيل ، فان أباكم كان راميا » ويقول عليه الصلاة والسلام : « من تعلم الرمي وتركه فليس منا » •

**وأما العاشر :** فلأن الناس دخلوا في دينه أفواجا أفواجا في مدة حياته عليه الصلاة والسلام •

**وأما الحادى عشر :** وهو كونه محبا للبر ومبغضا للآثم فأشهر من أن يذكر ولا يخالف فيه أحد حتى أن أعداءه شهدت له بذلك • والفضل ما شهدت به الأعداء فقد نقل « سيل » النصرانى عن « اسيان هميس » المسيحى في ترجمة القرآن في الصفحة السادسة من النسخة المطبوعة سنة ١٠٨٥ ما نصه : « انه كان حسن الوجه وزكيا وكانت طريقتة مرضية ، وكان الاحسان الى المساكين شيمته ، وكان يعامل الكل بالخلق الحسن ، وكان شجاعا على الأعداء ، وكان يعظم اسم الله تعظيما عظيما ، وكان يشدد على المفتريين والذين يرمون البرءاء والقائلين ، وأهل الفضول والطامعين ، وشهود الزور تشددا بليغا • وكانت كثرة وعظه في الصبر والجود والرحم والبر والاحسان وتعظيم الأبوين والكبار وتوقيرهم وتكريمهم وكان عابدا مرتاضا في الغاية » انتهى كلامه •

**وأما الثانى عشر :** فقد صارت بنات الملوك والأمراء خادمات للمسلمين في الطبقة الأولى ومنهن « شهربانو » بنت يزيدجرد كسرى فارس ، كانت تحت الامام الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما •

**وأما الثالث عشر والرابع عشر :** فالنجاشى ملك الحبشة ، ومنذر ابن سئوى ملك البحرين وملك عمان انقادوا وأسلموا ، وهرقل قيصر الروم أرسل اليه بهدية ، والقوقس ملك القبط أرسل اليه ثلاث جوارى وغلاما أسود وبغلة شهباء وحمارا أشهب وفرسا وثيابا وغير ذلك •

**وأما الخامس عشر :** فقد نال الخلافة والامارة والرئاسة من ذريته وشرفاء عترته رؤساء متعددون وأئمة من أهل بيته هادون مهديون فمنهم على كرم الله تعالى وجهه والحسن السبط رضى الله تعالى عنه وذريته لازالت تقولاها في كثير من الأقاليم كالحجاز واليمن ومصر والمغرب والشام وفارس والهند وغيرها ، ونال كثيرون من الفاطميين السلطنة والامارة في مشارق الأرض ومغاربها ، حتى أن امارة الحجاز الى الآن في نسله عليه الصلاة والسلام ، وكذا في بعض بلاد اليمن والهند لم تخرج الامارة والرياسة منهم ولا تخرج بالكلية منهم الى ظهور القائم المهدي (١) فيهم . وهو من ذريته عليه الصلاة والسلام فيكون حينئذ خليفة الله تعالى في الأرض ويحكم فيها بالطول والعرض ، حتى تقوم الساعة ويقرب الحساب والعرض .

**وأما السادس عشر والسابع عشر :** فمن المعلوم أنه في كل يوم ينادى على الأماكن العالية والمنابر ألوف ألوف جيلا بعد جيل في مشارق المعمورة ومغاربها في أوقات الصلوات الخمس : أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . ويصلى عليه في الأوقات المذكورة بل وساعات النهار والليل من المصلين من لا يحصى عددهم الا الله سبحانه . ومع هذا فالقراء يحفظون منشوره . والمفسرون يفسرون فرقانه ومأثوره . والرعاظ يبيلغون وعظه . والعلماء يبينون سننه وفرضه . والسلطين يتصدون مسجده . وينشرفون بخدمة روضته وينالون أعظم الفخر بزيارته ، والكل يرجون عظيم شفاعته ، ويكتحلون بتراب عتبه .

وهذا كله لا يصدق على المسيح عليه السلام كما يدعيه علماء البرتستاننت أنها بشارة في المسيح عليه السلام لأن فيها قوله « مسحك الله الهك بدهن الابتهاج » أو بدهن الفرح . والمسيح عندهم اله فكيف يمسحه الهه ؟ ولأن المسيح ليس له زوجة ولا ولد ، فكيف يصدق عليه أن يكون أبناءه رؤساء ولا دخول بنات الملوك في بيته وليس له سيف

(١) كل مسلم يكون رئيسا على جماعة ، هو كالمسلم المنتسب الى أهل البيت لأن المسلمين كلهم أبوهم واحد .



ولا نبلة مسنونة ولا انقاد اليه الأغنياء ولا أرسلت له الهدايا ، بل هم على زعم النصرارى أهانوه وقتلوه ، وكيف تصدق عليه هذه الأوصاف والنصارى يدعون أن الاصحاح الثالث والخمسين من سفر اشعيا مخبّر ببشارة فيه ونصه : « ليس له منظر وجمال ، ورأيناه ولم يكن له منظر ، واشتهيناه مهانا • وآخر الرجال رجل الأوجاع مخبّر بالأمراض وكان مكتوما وجهه ومرذولا ولم نحسبه ، ونحن حسبناه كأبرص ومضروبا من الله ومذلولا ومخضوعا • والرب شاء أن يسحقه » انتهى •

فهذه الأوصاف ضد الأوصاف التى فى الزبور المتقدمة آنفا كما لا يخفى على ذوى العقول الطالبين للحق المقبول •

**البشارة الثامنة :** ما فى الأصحاح الخامس والستين من سفر اشعيا ما نصه : « طلبنى الذين لم يسئلونى قبل ، ووجدنى الذين لم يطلبونى ، قلت ها أنا ذا الى الأمة الذين لم يدعوا باسمى ، بسطت يدى طول النهار الى شعب غير مؤمن ، الذى يسلك بطريق غير صالح وراء أفكارهم ، الشعب الذى يغضبنى أمام وجهى دائما الذين يذبحون فى البساتين ويذبحون على الأجر واللبن ، الذين يسكنون فى القبور وفى مساجد الأوثان يبرقدون ، الذين يأكلون لحم الخنزير والمرق المنجس ، آيتهم ، الذين يقولون : أبعد عنى لا تقرب منى ، لأنك نجس • هؤلاء يكونون دخانا فى رجزى نارا متقدة طول النهار ، ها مكتوب قدامى لا أسكت بل أرد وأكافئ جزاء فى حضنهم » انتهى بحروفه •

ولا يخفى على كل فطن منصف أن المراد بقوله : الذين لم يسألونى والذين لم يطلبونى العرب ، لأنهم كانوا غير عارفين بذات الله سبحانه وصفاته وشرائعه ، فما كانوا سائلين عن الله تعالى ولا طالبين منه بالوجه اللائق به عز وجل ، كما قال تعالى فى سورة آل عمران : « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم

ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » • وأنت تعلم أنه لا يمكن أن يراد بهذه الأمة اليونانيين كما تقدم في البشارة الخامسة ، فتذكر فما في العهد من قدم • ثم ان الآية الثانية والثالثة تصدقان على كل من اليهود والنصارى ، والأوصاف المذكورة في الآية الرابعه ألصق بحال النصارى كما أن الأوصاف المذكور في الخامسة ألصق بحال اليهود ، فردهم البارى سبحانه واختار الأمة المحمدية المتدسفة بضد هذه الأوصاف الردية ، والمتحلين بكل صفة حسنة مرضية •

**البشارة التاسعة :** ما في الاصحاح العشرين من انجيل متى ونصه :  
« فان ملكوت السموات يشبه رجلا رب بيت خرج مع الصبح ليستأجر فعلة لكرمه فاتفق مع الفعلة على دينار في اليوم ، وأرسلهم الى كرمه ، ثم خرج نحو الساعة الثالثة ورأى آخرين قياما في السوق بطالين • فقال لهم اذهبوا أنتم أيضا الى الكرم فأعطيكم ما يحق لكم ، فمضوا وخرج أيضا نحو الساعة السادسة والتسعة ، وفعل كذلك • ثم الساعة الحادية عشرة خرج ووجد آخرين قياما بطالين • فقال لهم : لماذا وقفتم ههنا كل النهار بطالين ؟ قلوا له : لأننا لم يستأجرنا أحد • قال لهم : اذهبوا أنتم أيضا الى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم ، فلما كان المساء قال صاحب الكرم لوكيله : ادع الفعلة وأعطهم الأجرة مبتدئا من الآخرين الى الأولين ، فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة ، وأخذوا دينارا دينارا ، فلما جاء الأولون ظنوا أنهم يأخذون أكثر فأخذوا هم أيضا دينارا دينارا ، وفيما هم يأخذون تدمروا على رب البيت قائلين هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة ، وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر ، فأجاب وقال لواحد منهم يا صاحب ما ظلمتكم • أما اتفقت معي على دينار ، فخذ الذى لك واذهب ، فانى أريد أن أعطى الأخير مثلك • أو ما يحل لى أن أفعل ما أريد بمالى ، ام عينك شريرة لأنى أنا صالح ؟ هكذا يكون الآخرون أولين والأولون آخريين ، لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون » انتهى بحروفه •

ولا يخفى على كل منصف أن المراد بذلك انه محمد ﷺ لأنهم الآخرون فهم يقدمون في الأجر وهم الآخرون الأولون كما قال عليه الصلاة والسلام : « نحن الآخرون السابقون » • وقال عليه الصلاة والسلام : « ان الجنة حُرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي » • وقال سبحانه وتعالى : « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » •

• ويؤيد هذه البشارة •

**البشارة العاشرة : قول المسيح أيضا في الاصحاح الحادى والعشرين من انجيل متى ما نصه : « اسمعوا مثلا آخر كان انسان رب بيت غرس كرما وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجاً وسلمه الى كرامين وسافر ، لياخذ أثماره • فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضا وقتلوا بعضا ورجموا بعضا ، ثم أرسل أيضا عبيدا آخرين أكثر من الأولين ففعلوا بهم كذلك • فأخيرا أرسل اليهم ابنه قائلاً : يهابون ابني • وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم : هذا هو الوارث هلموا نقتله ونأخذ ميراثه • فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه ، فمضى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين ؟ قالوا له : أولئك الأرياء يهلكهم هلاكاً ردياً ويسلم الكرم الى كرامين آخرين ، يعطونه الأثمار في أوقاتها • قال لهم يسوع : أما قرأتم قط في الكتب الحجر الذى رفضه البنائون هو قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا ؟ لذلك أقول لكم : أن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل على اثماره ، ومن سقط على هذا الحجر يترضض ، ومن سقط هو عليه يسحقه • ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم » انتهى بحروفه •**

فرب البيت كما لا يخفى كناية عن الله تعالى ، والكرم كناية عن الشريعة ، واحاطته بسياج وحفر المعصرة وبناء البرج كنايةات عن

المحرمات والمباحات والأوامر والنواهي وأن الكرامين الطاغين كناية عن اليهود كما فهم رؤساء الكهنة والفريسيون ، أنه تكلم عليهم ، والعبيد المرسلين كناية عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والأبن كناية عن عيسى عليه السلام ، وقد مر عليك مرارا أنه لا بأس باطلاق هذا اللفظ عليه ، لأنه مصطاح عليه في زمانه ، حتى في غيره عليه السلام . وقد قتله اليهود في زعمهم أو لما طلبوا قتله وشبهه لهم فكأنهم قتلوه . والحجر الذي رفضه البناعون كناية عن نبينا محمد ﷺ والأمة التي تعمل أثماره كناية عن أمته ﷺ . وهذا هو الحجر الذي كل من سقط عليه ترضض وكل من سقط هو عليه سحقه .

وادعاء علماء النصارى أن هذا الحجر كناية عن المسيح ، فباطل من وجوه عديدة لا تخفى على متأمل .

**منها :** أن داود عليه السلام قال في المزمور الثامن عشر بعد المائة ما نصه : « الحجر الذي رذله البناعون هو صار رأسا للزاوية ، من قبل الرب كانت هذه ، وهي عجيبة في أعيننا » فلو كان هذا الحجر عبارة عن المسيح عليه السلام لم يتعجب منه ، لأنه من اليهود ، إذ هو من آل يهوذا من آل داود عليه السلام ، فلا يتعجب اليهود ولا داود من ذلك ، لأن المسيحيين يزعمون أن داود يعظم عيسى في مزاميره غاية التعظيم ، بل ويعتقد ألوهيته ، فكيف يجعله حجرا يرذله البناعون ؟ وهذا بخلاف آل اسماعيل فإن اليهود يحتقرونهم لأنهم أولاد هاجر ولم ينتبأ منهم أحد بعده ، فاذا صار واحد منهم رأسا للزاوية ، فذاك العجب عندهم .

**ومنها :** أنه وصف الحجر بأن من يسقط عليه يترضض ، وكل من يسقط هو عليه يسحقه ، وهذا لا يصدق على عيسى عليه السلام لأنه كما في الاصحاح الثاني عشر من انجيل يوحنا قال : « ومن يسمع كلامي ولا يحفظه فأنا لا أدينه لاني ما أتيت لأدين العالم ، بل لأخلص العالم . من آهاننى ولم يقبل كلامي ، فإن له من يدينه ، الكلمة التي نطقت بها هي

تدينه في اليوم الآخر ، لأنى أنا لم أتكلم من ذات نفسى ، لكن الآب الذى أرسلنى هو أعطانى الوصية بما أقول » انتهى •

فصدقه على سيدنا محمد ﷺ غير محتاج الى برهان لأنه كان مأمورا بمقاتلة الفجار وزجر الأشرار والشدة على الفساق وعدم الرأفة بذوى الشقاق • فان سقطوا عليه ترضضوا ، وان سقط هو عليهم سحقتوا •

**ومنها :** أن المتبادر الظاهر من كلام المسيح أن هذا الحجر غير الابن • ثم اعلم أن النبى ﷺ قال : « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل قصر أحسن بنيانه ، ترك منه موضع لبنة ، فطاف به النظار ، يتعجبون من حسن بنيانه الا موضع تلك اللبنة ، فختم بي البنيان وختم بي الرسل » فهو طبق ما قاله أخوه عيسى عليه السلام •

**البشارة الحادية عشرة :** فى الاصحاح الثانى من المشاهدات ما نصه : « ومن يغلب ويحفظ أعمالى الى النهاية ، فسأعطيه سلطانا على الأمم ، فيرهاها بتقضيى من حديد كما تكسر آنية من خزف ، كما أخذت أيضا من عند أبى ، وأعطيه كوكب الصبح • من له أذن فليسمع ما يقوله الروح بالكنائس » انتهى بحروفه •

ولا يخفى أن هذا الغالب الذى أعطى سلطانا على الأمم ويرعاهم بقضيى من حديد هو محمد ﷺ ويدل على هذا أيضا فى الاصحاح التاسع عشر من جملة رؤيا يوحنا الرسول ونصها : « ثم رأيت السماء مفتوحة واذا بفرس أبيض ، والراكب عليه يسمى الأمين الصديق ، وبالعدل يقضى ويجلب وكانت عيناه تشبه وقيد النار ، وأكليل جبهة على رأسه ، وله اسم مكتوب ليس يعرفه الا هو وحده ، وعليه ثوب مرشوش بدم ، ويدعى اسمه كلمة الله ، والأجناد الذين فى السماء كانوا يتبعونه بخيل شهب ، وعليهم ثياب من بز أبيض نقى ، ومن فمه يخرج سيف ذو حدين ، ليضرب الأمم به ، وهو يرعاهم بقضيى من حديد ، وهو يدرس

معصرة خمر برجز غضب الله ضابط الكل ومكتوب على ثوبه وفخذه ملك  
الملوك ورب الأرباب « انتهى بحروفه •

وفي بعض نسخهم : « خيل بيض ومن فمه يخرج سيف ماض وهو  
مسيرعاهم بعضا من حديد » فليت شعري كيف يسوغ للنصارى أن  
يصرفوا هاتين البشارتين عن نبينا ﷺ ؟ فهل غيره من عيسى الى زمنه  
عليه الصلاة والسلام رعى الناس بعضا من حديد ؟ وهل كان غيره يدعى  
أمينا ؟ وهل غيره أعطى سلطانا على الأمم كافة ؟ وهل غيره حارب ؟ وهل  
نزلت الملائكة على خيل شهب مع غيره ؟ وهل درس وأزال معصرة الخمر  
غيره ، وهل استولى على الملوك بأقصر زمن غيره وغير خلفائه ؟ فانكار  
هذا مكابرة وغش من المنكر لنفسه •

ومن الأخبار المشهورة : أن سطيح الكاهن سماه صاحب الهراوة أى  
العصا قبل بعثته عليه الصلاة والسلام فقد روى الثقات أن ليلة ولادته  
انشق ايوان كسرى أنو شيروان ، وسقط من ذلك أربع عشرة شرافة ،  
وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، وغارت بحيرة ساوة  
بحيث يبست ورأى الموبذان في نومه أن ابلا صعبا تقود خيلا عربا  
قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فخاف كسرى من حدوث هذه الأمور ،  
وأرسل عبد المسيح الى سطيح الكاهن وكان في الشام ، ولما وصل  
عبد المسيح اليه وجده في سكرات الموت فذكر له هذه الأمور ، فأجاب  
سطيح بقوله : اذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وغاضت بحيرة  
ساوة وخمدت نار فارس فليست بابل للفرس مقاما ولا الشام لسطيح  
مناما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرافات ، وكل آت هو آت ثم  
مات سطيح بعد زمن قليل ورجع عبد المسيح فأخبر كسرى أنو شيروان  
بما قال سطيح •

فقال كسرى : الى أن يملك أربعة عشر ملكا تكون أمور وأمور ،  
فملك منهم عشرة في أربع سنين وملك الباقيون الى خلافة عثمان رضى الله  
تعالى عنه ، فملك آخرهم يزدجرد في خلافته ، وكان عمر رضى الله تعالى

عنه قد استولى على بابل والعراق وغيره • والمراوة بكسر الهاء وهي العصا الغليظة وكوكب الصبح هو القرآن العظيم كما قال تعالى : « وأنزلنا اليكم نورا مبينا » وتشبيهه بكوكب الصبح لأنه لا ينزل بعده شيء ، ولا يبعث بعد النبي عليه الصلاة والسلام أحد ، لأنه نبي الساعة •

ونقل الفاضل عباس على الجاجموى الهندى فى كتابه صولة الضيغم على أعداء ابن مريم هذه البشارة ، ثم قال : قلت للتقيسين « وبت » و « وليم » عند مناظرتى لهما : ان صاحب القضيبي هو محمد ﷺ فاضطربا لسماح ذلك • وقالوا : ان عيسى حكم بهذه الكنيسة ثباتيرا ، فلا بد أن يكون ظهور مثل هذا الشخص هناك ، ومحمد ما راح الى هناك • قلت : هذه الكنيسة فى أى ناحية كانت ؟ فراجعا كتب اللغة وقالوا : كانت فى أرض الروم قريية من « اسلامبول » قلت : قد ذهب أصحاب محمد ﷺ فى خلافة عمر الفاروق الأعظم رضى الله تعالى عنه الى تلك البلاد وفتحوها ، وبعد الصحابة كان المسلمون متسلطين عليها فى أكثر الأوقات • ثم تسلط سلاطين آل عثمان أدام الله تعالى سلطنتهم من مدة مديدة • وهم الى هذا الآن متسلطون عليها • فهذا الخبر اذن صريح فى حق محمد ﷺ انتهى •

قلت : ولا سيما وقد حفته القرائن القوية المتعددة ، فلا مجال للخصم الى انكارها الا العناد والمكابرة أو الجهل أو التجاهل والله سبحانه الموفق للرشاد •

**البشارة الثانية عشرة :** فى الأصحاح الثانى من سفر دانيال فى حال الرؤيا التى رآها بخت نصر ملك بابل ونسى ، ثم بين له دانيال عليه السلام تلك الرؤيا التى نسيها بطريق الوحي وفسرها له ما نصه : « فكننت أنت الملك ترى واذا تمثال واحد جسيم ، وكان التمثال عظيما ورفيع القامة واقفا قبلك ومنظره مخوفا • رأس هذا التمثال هو من ذهب أبريز ، والصدر والذراعان من فضة ، والبطن والفخذان من

نحاس ، والساقان من حديد ، وقسم منها من خزف • فكنت ترى هكذا حتى انقطع حجر من جبل لا بيدين وضرب التمثال في قدميه من حديد ومن خزف فسحقهما ، فانسحق حينئذ معا الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب ، وصارت كغبار البيدر في الصيف • فذرتها الريح ولم يوجد لها مكان • والحجر الذى قد ضرب التمثال صار جبلا عظيما وملا الأرض بأسرها •

**فهذا هو الحلم ، وتنبىء أيضا قدامك يا أيها الملك بتفسيره : انت** هو ملك الملوك واله السماء أعطاك الملك والقوة والسلطان والمجد وجميع ما يسكن فيه بنو الناس ووحوش الحقل وأعطى بيدك طير السماء أيضا • وجعل جميع الأشياء تحت سلطانك • فأنت هو الرأس من الذهب • وبعيدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك من فضة ، ومملكة الثالثة أخرى من نحاس ، ومتسلط على جميع الأرض • والمملكة الرابعة تكون مثل الحديد • كما أن الحديد يسحق ويغلب الجميع ، هكذا هى تسحق وتكسر جميع هذه • أما فيما رأيت قسم القدمين وأصابعهما من الخزف الفاخوري وقسما من حديد تكون المملكة مفتقرة وان كان يخرج من نصبة الحديد جسما رأيت الحديد مختلطا بالخزف من طين ، وأصابع القدمين قسم من حديد وقسم من خزف ، فتكون المملكة بقسم صلبة ويقسم مسحوقة ، فبما رأيت الحديد مختلطا بالخزف من طين ، أنهم يختلطون بزرع بشرى ، بل لا يتلاصقون ، مثل ما ليس بممكن أن يمتزج الحديد بالخزف •

فأما في أيام تلك الممالك يبعث اله السماء مملكة ، وهى لن تنقضى قط ، ملكها لا يعطى لشعب آخر ، وهى تسحق وتفنى جميع هذا الممالك أجمعين • وهى تثبت الى الأبد • وكما رأيت أن من جبل انقطع حجر لا بيدين وسحق الخزف والحديد والنحاس والفضة والذهب ، فالاله العظيم أظهر للملك ما سيأتى من بعد • والحلم هو حقيقى وتفسيره صحيح يثين « انتهى بحروفه •



فالمراد بالمملكة الأولى سلطنة بخت نصر • وبالمملكة الثانية سلطنة  
الماديين الذين تسلطوا بعد قتل بلشاصح بن بخت نصر كما هو مصرح  
به في الاصحاح الخامس من السفر المذكور ، وسلطنتهم كانت ضعيفة  
بالنسبة الى سلطنة الكلدانيين • والمراد بالمملكة الثالثة سلطنة الكلدانيين  
لأن قورش ملك ايران الذى هو بزعم القسيسين كايخسرو ، وتسلط على  
بابل قبل ميلاد المسيح بخمسمائة وست وثلاثين سنة ولما كان الكيانيون  
على السلطنة القاهرة فكأنهم كانوا متسلطين على جميع الأرض •  
والمراد بالمملكة الرابعة سلطنة اسكندر بن فيلوقش الرومى ، الذى تسلط  
على ديار فارس قبل ميلاد المسيح بثلاثمائة وثلاثين سنة ، فهذا السلطان  
كان فى القوة بمنزلة الحديد ، ثم جعل هذا السلطان سلطنة فارس  
منقسمة على طوائف الملوك ، فبقيت هذه السلطنة ضعيفة الى ظهور  
الساسانيين ، ثم صارت قوته بعد ظهورهم فكانت ضعيفة تارة وقوية  
تارة • وتلد فى عهد نو شيرى ان سدينا ونبينا محمد ﷺ وأعطاه الله تعالى  
السلطنة الظاهرية والباطنية ، وقد تسلط متبعوه فى مدة قليلة شرقا وغربا  
على جميع ديار فارس ، التى كانت هذه الرؤيا وتفسيرها متعلقين بها •

فهذه هى السلطنة الأبدية التى لا تنقضى ، وملكها لا يعطى لشعب  
آخر ، وسيظهر كمالها ودوامها فى زمن الامام المهدي رضى الله تعالى عنه  
الذى بشرنا به جده النبى المصطفى ﷺ ، لكن الوهن يقع قبل ظهوره  
بمدة قليلة كما تخبر بذلك الأحاديث النبوية الجلية ، ثم فى أيامه يكون  
الدين كله لله وينزل موافقا له المسيح كلمة الله •

فهذا الحجر الذى انقطع لا بيدين من جبل وسحق الخزف والحديد  
والنحاس والفضة والذهب وصار جبلا عظيما ، وملا الأرض بأسرها  
هو محمد المصطفى ، وحبیب الله المرتضى ﷺ •

وهذا يفهمه كل ذى لب وانصاف ويعلمه من كلام دانيال من له  
بالحق اعتراف وتوجيه ، يشهد لصحته شاهد الوقوع ويؤيده المنقول  
والسموع •

هذا وقد بقيت بشائر كثيرة في كتب العهدين ، تركنا ذكرها خشية التطويل والمال ، من أراها فعلية باظهار الحق والأجوبة الفاخرة وهداية الحيارى ، ففيها ما يقر العينين ويفحم أرباب الجدل ، والله سبحانه المسئول أن يهدى للإسلام من أحبه من المال آمين • غير أنى أذكر لك بشارتين لا توجدان الآن في كتب النصارى المشهورة :

**البشارة الأولى :** نقلها القسيس « سيل » في مقدمة ترجمته للقرآن العظيم من انجيل برنابا وطبعت سنة ١٨٥٤ وانتشرت ، ثم طبعوا الكتاب مرة ثانية فأخرجوها وحذفوها ، وهى ما نصها : « اعلم يا برنابا أن الذنب وان كان صغيرا يجزى الله عليه لأن الله غير راض عن الذنب ، ولما أحببتى أمتى وتلاميذى لأجل الدنيا ، سخط الله لأجل هذا الامر ، وأراد باقتضاء عدله أن يجزيهم في هذا العالم على هذه العقيدة الغير لائقة ، ليحصل لهم النجاة من عذاب جهنم ، ولا يكون لهم أذية هناك • وانى وان كنت بريئا ، لكن بعض الناس لما قالوا في حقى انه الله وابن الله كره الله هذا القول ، واقتضت مشيئته بأن لا تضحك الأسياطين يوم القيامة على ، ولا يستهزئون بى ، فاستحسن بمقتضى لطفه ورحمته أن يكون الضحك والاستهزاء في الدنيا بسبب موت يهوذا • ويظن كل شخص أنى صلبت • لكن هذه الاهانة والاستهزاء يبيقان الى أن يجيء محمد رسول الله • فاذا جاء في الدنيا يئبه كل مؤمن على هذا الغلط ، وترتفع هذه الشبهة من قلوب الناس » انتهت ترجمته بحروفها •

**قال في اظهار الحق :** فان اعترضوا أن هذا الانجيل رده مجالس علمائهم • فنقول لا اعتبار لردهم • وهذا من الأناجيل القديمة ويوجد ذكره في كتب القرن الثانى والثالث • فعلى هذا كتب قبل ظهور نبينا ﷺ بمائتى سنة ، ولا يقدر أحد أن يخبر بمثل هذا الأمر من غير الهام ، كما لا يخفى على ذوى الأفهام •

**قال :** والبشارة الثانية : قال الفاضل حيدر على القرشى في كتابه المسمى خلاصة سيف المسلمين الذى هو في لسان الأردواى الهندى في

الصحيفة الثالثة والمستين : « ان القسيس أوسكان الأرمنى ترجم سفر أشعياء باللسان الارمنى فى سنة ألف وستمائة وست وستين ، وطبعت سنة ١٧٣٣ وفيه فى الباب الثانى والأربعين هذه الفقرة ونصها : « سبحوا الله تسبيحا جديدا وأثر سلطنة على ظهره ، واسمه أحمد » انتهت •

• وهذه الترجمة موجودة عند الأرامن فانظروا فيها • انتهى كلامه •

**وقال العلامة ابن القيم فى هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى بعد أن كتب بشارات عديدة من التوراة والنبوات وغيرها مما هو موجود الآن فيها ومما هو محرف ومبدل أو محذوف منها ما لفظه :** « والأخبار والبشارات بنبوة نبينا عليه الصلاة والسلام فى الكتب المتقدمة عرفت من عدة طرق :

**أحدها :** ما ذكرناه وهو قليل من كثير وغيض من فيض •

**الثانى :** اخباره ﷺ لهم أنه مذكور عندهم وأتهم وعدوا به ، وأن الأنبياء عليهم السلام بشرت به ، واحتججه عليهم ذلك • ولو كان هذا لا وجود له البتة ، لكان مغريا لهم بتكذيبه منقرا لاتباعه محتجا على دعواه بما يشهد ببطلانها •

**الثالث :** ان هذه الأمتين معترفتان بأن الكتب القديمة بشرت بنبى عظيم الشأن يخرج فى آخر الزمان ، نعته كيت وكيت • وهذا مما اتفق عليه المسلمون واليهود والنصارى •

فأما المسلمون فلما جاءهم عليه الصلاة والسلام آمنوا به وصدقوه وعرفوا أنه الحق من ربهم • وأما اليهود فعلمواؤهم عرفوه وتيقنوا أنه محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه فمنهم من آمن به ومنهم من جحد نبوته ، وقال للاتباع : انه لم يخرج بعد • وأما النصارى فوضعوا بشارات التوراة والنبوات التى بعدها على المسيح عليه السلام ولا ريب أن بعضها صريح فيه ، وبعضها ممتنع حمله ، وبعضها محتمل • وأما بشارات المسيح فحملوها كلها على الحواريين • وإذا جاءهم

ما يستحيل انطباقه عليهم حرفوه أو سكتوا عنه ، وقالوا لا ندري من المراد به » •

**الرابع :** اعتراف من أسلم منهم بذلك ، وأنه صريح في كتبهم عن المسلمين الصادقين • ومنهم تلقى المسلمون هذه البشارات وتيقنوا صدقتها وصحتها بشهادة المسلمين منهم بها ، مع تباين أعصارهم وأمصارهم وكثرتهم واتفاقهم على لفظها • وهذا يفيد القطع بصحتها ، ولو لم يقر بها أهل الكتاب ، فكيف وهم مقرون بها لا يجحدونها وإنما يغالطون في تأويلها ؟ وكل واحد من هذه الطرق الأربعة كاف في العلم بصحة هذه البشارات • وقد قدمنا أن اقدامه ﷺ على اخبار أصحابه وأعدائه بأنه مذكور في كتبهم بنعته وصفته وأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وتكرار ذلك عليهم مرة بعد مرة في كل مجمع ، وتعريفهم بذلك وتوبيخهم والنداء عليهم به ، من أقوى الأدلة القطعية على وجوده من وجهين :

أحدهما : قيام الدليل القطعى على صدقه •

الثانى : دعوته لهم بذلك الى تصديقه • ولو لم يكن له وجود ، لكان ذلك من أعظم دواعى تكذيبه والتفجير عنه •

قال : وهذه الطريقة يسلكها من يساعدهم على أنهم لم يحرفوا ألفاظ التوراة والانجيل ، ولم يبدلوا شيئا منها ، فيسلكها بعض نظار المسلمين معهم من غير تعرض الى التبديل والتحريف • وطائفة أخرى تزعم أنهم بدلوا وحرفوا كثيرا من ألفاظ الكتابين ، مع أن الغرض الحامل لهم على ذلك دون الغرض الحامل لهم على تبديل البشارة برسول الله ﷺ بكثير ، وأن البشارات لثبوتها لم يمكنهم اخفاؤها كلها وتبديلها • ففضحهم ما عجزوا عن كتمانها أو تبديله وكيف ينكر من الأمة الغضببية قتلة الأنبياء الذين رموهم بالعظائم أن يكتموا بعث رسول الله عليه الصلاة والسلام وصفته • وقد جحدوا نبوة المسيح عليه السلام ورموه وأمه بالعظائم ونعته ، والبشارة به موجودة في كتبهم ؟ ومع هذا أطبقوا على جحد نبوته ، وانكار بشارة الأنبياء به ، ولم يفعل بهم ما فعله نبينا محمد

رسول الله ﷺ من القتل والسبى وغنيمية الأموال وتخریب الديار واجلالهم منها • فكيف تتواصى هذه الأمة بكتمان نعته وصفته وتبدله من كتبها ؟ •

وقد عاب الله سبحانه وتعالى عليهم ذلك فى غير موضع من كتابه ولعنهم عليه •

ومن العجب أنهم والنصارى يقولون أن التوراة كانت طول مملكة بنى اسرائيل عند الكاهن الأكبر الهارونى وحده ، واليهود تقول أن السبعين كاهنا اجتمعوا على اتفاق من جميعهم على تبديل ثلاثة عشر حرفا من التوراة • وذلك بعد المسيح فى عهد القياصرة الذين كانوا تحت قهرهم حيث زال الملك عنهم ، ولم يبق لهم ملك يخافونه ويأخذ على أيديهم • ومنهم من يقول على زمن بخت نصر حيث ألزمهم بكتابة التوراة لطائفة من جماعته حين أسكنهم بيت المقدس •

وعلى تقدير الروايتين فمن رضى بتبديل موضع واحد من كتاب الله تعالى فلا يؤمن منه تحريف غيره • واليهود تقول أيضا أن السامرة حرفوا مواضع من التوراة وبدلوها تبديلا ظاهرا وزادوا ونقصوا ، والسامرة تدعى ذلك عليهم « انتهى » •

وقد بسطنا وأثبتنا ذلك فى كتابنا هذا فراجعه ، فان فيه كفاية لكل منصف •

وأما الانجيل فقد ذكرنا لك أيضا : أن الذى بأيدي النصارى الآن منه أربعة كتب مختلفة من تأليف أربعة رجال بعد المسيح عليه السلام وهم يوحنا ومتى ومرقس ولوقا • فكيف ينكر تطرق التبديل والتحريف اليها ؟ كيف لا • ونسخهم الموجودة المطبوعة فيها من مخالفة لبعضها لبعض مالا يحصى ؟ كما مر عليك غير مرة • وعلى ما فيها من ذلك • فقد صرفهم الله تعالى عن تبديل ما ذكرنا من البشارات بنبينا محمد ﷺ وازالته ، وان قدروا على كتمانهم عن أتباعهم وجهالهم •

ثم انه نقل في كتابه : عن الصائم والبيهقي وغيرهما من حديث عبد الله بن ادريس عن شرحبيل بن مسلم عن أبي أمامة عن هشام بن العاص قال : ذهبت أنا ورجل آخر من قريش الى هرقل صاهب الروم ندعوه الى الاسلام فخرجنا حتى قدمنا الغوطة غوطة دمشق ، فنزلنا على جبلة بن الأيهم الغساني فدخلنا عليه ، فاذا هو على سرير له فأرسل الينا برسول نكلمه ، فقلنا : لا والله لا نكلم رسولا . انما بعثنا الى الملك ، فان أذن لنا كماناه ، والا لم نكلم الرسول فرجع اليه الرسول فأخبره بذلك . قال : فأذن لنا . فقال : نكلموا . فكلمه هشام بن العاص ودعاه الى الاسلام واذا عليه ثياب سواد . فقال له هشام : ما هذه التي عليك ؟ فقال : لبستها وحلفت أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام . قلنا : ومجلسك هذا فوالله لناأخذنه منك ولناأخذ ملك الملك الأعظم ، أخبرنا بذلك نبينا . فقال : لستم بهم ، بل هم قوم يصومون بالنهار ويفطرون بالليل ، فكيف صومكم ؟ فأخبرناه . فملىء وجهه سوادا . فقال : قوموا وبعث معنا رسولا الى الملك ، فخرجنا حتى اذا كنا قريبا من المدينة ، قال لنا الذى معنا : ان دوابكم هذه لا تدخل مدينة الملك . فان شئتم حملناكم على براذين وبغال . قلنا : والله لا ندخل الا عليها . فأرسلوا الى الملك أنهم يأبون ، فدخلنا على رواحلنا متقلدين سيوفنا ، حتى انتهينا الى غرفة له ، فأنخنا فى أصلها ، وهو ينظر الينا . فقلنا : لا اله الا الله والله أكبر . والله يعلم لقد انتفضت الغرفة حتى صارت كأنها عذق بصفحة المراح ، فأرسل الينا ليس لكم أن تجهروا علنا بدينكم ، وأرسل الينا أن ادخلوا فدخلنا عليه ، وهو على فراش له وعنده بطارقتة من الروم ، وكل شيء فى مجالسه أحمر ، وما حوله حمرة وعليه ثياب من الحمرة . فدنونا منه ، فضحك وقال : ما كان عليكم لو حينئذونى بتحيتكم فيما بينكم ، واذا رجل فصيح بالعربية كثير الكلام . فقلنا ان تحيتنا فيما بيننا لا تحل لك وتحيتك التى تحيا بها لا يحل لنا أن نحيك بها . قال : كيف تحيتكم فيما بينكم ؟ فقلنا : السلام عليكم . قال : كيف تحيون ملككم ؟ قلنا : بها . قال : فكيف يرد عليكم ؟ قلنا : بها . قال : فما أعظم كلامكم ؟ قلنا : لا اله الا الله والله أكبر . فلما تكلمنا بها والله يعلم

لقد انتفضت الغرفة حتى رفع رأسه اليها • قال : هذه الكلمة التي  
قلتموها حيث انتفضت الغرفة كلما قلتموها في بيوتكم تنتفض بيوتكم  
عليكم • قلنا لا ما رأيناها فعلت هذا قط الا عندك • قال : وددت أنكم  
كلما قلتموها ينتفض كل شيء عليكم ، فاني خرجت من نصف ملكي •  
قلنا : لم ؟ قال : لأنه يكون أيسر لسانها وأجدر أن لا تكون من أمر  
النبوة ، وأن تكون من حيل الناس • ثم سألنا عما أراد ، فأخبرناه •

ثم قال كيف صلواتكم وصومكم ؟ فأخبرناه • فقال : قوموا فقمنا ،  
فأمر لنا بمنزل حسن ونزل كثيرة ، فأقمنا ثلاثا فأرسل إلينا ليلا فدخلنا  
عليه ، فاستعاد قولنا فأعادناه • ثم دعا بشيء كهيئة المربعة الأربعة مذهب  
فيها بيوت صغار عليها أبواب ، ففتح بيوتا وقفلا واستخرج حريرة سوداء  
فنشرها • فاذا فيها صورة حمراء ، واذا فيها رجل ضخم العينين عظيم  
الأيدين لم أر مثل طول عنقه ، واذا ليست له لحية ، واذا له صغيرتان  
أحسن ما خلق الله • قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا • قال : هذا آدم  
عليه السلام واذا هو أكثر الناس شعرا ثم فتح بابا آخر واستخرج منه  
حريرة سوداء ، واذا فيها صورة بيضاء ، واذا له شعر قطط أحمر العينين  
ضخم الهامة حسن اللحية ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا • قال :  
نوح عليه السلام • ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء ،  
واذا فيها رجل شديد البياض حسن العينين صلت الجبين طويل الخد ،  
أبيض اللحية كأنه يبتسم ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا • قال :  
هذا ابراهيم عليه السلام • ثم فتح بابا آخر فاستخرج حريرة فاذا فيها  
صورة • واذا والله رسول الله ﷺ قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : نعم  
محمد رسول الله • قال : وبكينا قال : والله يعلم أنه قام قائما ثم جلس ،  
وقال : والله انه لهو ؟ قلنا : نعم انه لهو كأنما ننظر اليه ، فأمسك ساعة  
ينظر اليها ، ثم قال : أما انه كان آخر البيوت ولكنى عجلته لكم لأنظر  
ما عندكم •

ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء ، فاذا فيها صورة  
أدماء سحماء واذا رجل جعد قطط غائر العينين حديد النظر عابس

مترابك الأسنان مفلس الشفة كأنه غضبان قال : هل تعرفون من هذا ؟  
قلنا : لا . قال : هذا موسى بن عمران ، والى جنبه صورة تشببه ،  
فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا هارون . ثم فتح بابا  
آخر فاذا فيها صورة رجل آدم سبط ربعة كأنه غضبان . فقال : هل  
تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا لوط عليه السلام .

ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء ، فاذا فيها صورة  
رجل أبيض حسن الوجه أثنى الأنف حسن القامة يعلو وجهه نور ، يعرف  
في وجهه الخشوع يضرب الى الحمرة فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا .  
قال : هذا اسماعيل عليه السلام جد نبيكم . ثم فتح بابا آخر فاستخرج  
حريرة بيضاء فيها صورة كأنها صورة آدم كأن وجهه الشمس فقال :  
هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا يوسف . ثم فتح بابا آخر ،  
فاستخرج حريرة بيضاء فيها صورة رجل أحمر أحمر الساقين أخفش  
العينين ضخم البطن ، ربعة منقلد سيفا ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا :  
لا . قال : هذا داود . ثم فتح بابا آخر فاستخرج حريرة بيضاء فيها  
صورة رجل ضخم الاليتين طويل الرجلين راكب فرسا . فقال : هل  
تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا سليمان بن داود .

ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فيها صورة بيضاء ،  
واذا رجل شاب شديد سواد اللحية لين كثير الشعر حسن الوجه حسن  
العينين . فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا عيسى . قلنا :  
من أين لك هذه الصور . لأنها تعلم أنها على ما صورت عليه الأنبياء ،  
لأننا رأينا صورة نبينا مثله ؟ قال : ان آدم سأل ربه أن يريه الأنبياء من  
ولده ، فأُنزل عليه صورهم وكانوا في خزانة آدم عند مغرب الشمس ،  
فاستخرجها ذو القرنين ، فصارت الى دانيال ، ثم قال : أما والله ان نفسى  
طابت بالخروج من ملكى ، وأنى كنت عبدا كأسرائكم ملكه ، حتى أموت .  
ثم أجازنا وأحسن جائزتنا ، وسرحنا . فلما أتينا أبا بكر الصديق فأخبرناه  
بما رأينا وما قال لنا وما أجازنا . فبكى أبو بكر رضى الله عنه وقال :  
لو أراد الله تعالى به خيرا لفعل .



وأنت تعلم أن البشارات المحمدية التي بينها عبد الله بن سلام  
ودعب الأخبار وبنيامين ومخيريق وبحيرا ونسطور الحبشى والأسقف  
الرومى الذى أسلم على يد دحية الكلبي أيام الرسالة وقتلوه ، والجارود  
والنجاشى والقسوس والرهبان الذين جاءوا مع جعفر بن أبى طالب  
وغيرهم من علماء النصارى ، واليهود الذين أسلموا طوعا سلفا وخلفا  
كثيرة جدا . وكل ذكر محرر فى كتب المسلمين وفى تأليفات المهتدين .  
وذلك عنك غير بعيد ، ويكفى من القلادة ما أحاط بالجيد . والله حسيب  
كل كفار عنيد .

**قال النصرانى :** « فعندما أيس مما سولت له نفسه ادعى النبوة  
وأنه رسول مبعوث من رب العالمين ، فدخل عليهم من باب لطيف  
لا يعرفون عاقبته ما هى ، ولا يفهمون كيف امتحان مثله ؟ ولا يعود  
عليهم من ضرر منه ، وإنما هم قدم عرب أممحاب يد ، ولم يفهموا  
شروط الرسالة ، ولم يعرفوا علامات النبوة لأنه لم يبعث فيهم نبى  
قط ، وكان ذلك من تعليم الرجل الملقن له ، الذى سنذكر اسمه وقصته  
فى غير هذا الموضع من كتابنا . وكيف كان سببه » انتهى .

فأقول : ومنه سبحانه التوفيق والهداية الى أقوم طريق انى قد  
نقلت لك مقالته هذه أنفا وحررت مطلب تتعلق بردها ، غير أنى أعدتها  
بحروفها هنا لأزيدك أبحاثا نفيسة تتعلق أيضا بما نحن بصده ، وليكون  
هذا فى نفسك أوقع ، ولحجاجة أذفع ، فاعلم أن هذا الكلام الذى أراد  
به عبد المسيح ابطال نبوة سيد الأنبياء عليه الصلاة والسلام مع كونه  
كذب ظاهر وبهتان صريح وكلام مزيف وكوشن مزخرف . ولا يخفى زوره  
وباطله على كل منصف عارف بسيرة النبى الأمين وأحوال الجاهلية فى  
زمنه من البدو والقاطنين ، وعالم بما قدمناه من البشارات السماوية  
برسالته وذكر صفاته بكتب المهتدين ومدح أمته ، نذكر فى رده جملة  
فصول مطابقة للمنقول والمعقول :



### فصل : فى قوله : « فعند ما آيس » الى آخره •

اعلم أولا : أن من أعظم دلائه النبوات المعجزات • وهى الخارقة للعادة ، اذا ظهرت ممن يدعى النبوة وكانت طبق ما يريد أو ما يراد منه ، كما وقع لابراهيم ولوسى وعيسى وغيرهم ، فما ثبتت به نبوة اخوانه المرسلين ثبتت بمثله أيضا نبوة النبى الصادق الأمين محمد بن عبد الله عليه أفضل صلاة المطين وأزكى سلام المسلمين • ولنذكر لك أولا ما يتعلق بأمر النبوات على العموم ، وبيان خلاف الفرق الضالة فيها ، والبراهين المثبتة لها ، لتزداد معرفة فيما نحن بصدده ، ثم نردف الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى باثبات نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام أيضا التى هى الغرض الأسمى فى هذا الكتاب •

قال الامام أبو الحسن على الماوردى فى دلائله : « والأنبيا هم رسل الله تعالى الى عباده بأوامره ونواهيه ، زيادة على ما اقتضته العقول من واجباتها ، والزاما لما جوزته من مباحاتها ، لما أراد الله تعالى من كرامة العاقل ، وتشريف أفعاله ، واستقامة أحواله ، وانتظام مصالحه ، حين هياه للحكمة ، وطبعه على المعرفة ، ليجمعه حكيما وبالعوالم عليما ، لأن الناس بنظرهم لا يدركون مصالحهم بأنفسهم ، ولا يشعرون بعواقب أمورهم بغرائزهم ، ولا ينجرون مع اختلاف همومهم دون أن يرد عليهم آداب المرسلين وأخبار القرون الماضية ، فتكون آداب الله تعالى فيهم مستعملة وحدوده فيهم متبعة وأوامره فيهم ممثلة ، ووعده ووعيده فيهم زاجرا وقصص من غير من الأمم واعظا • فان الأخبار العجيبة اذا طرقت الأسماع والمعانى الغريبة اذا أيقظت الأذهان استمدتها العقول فزاد علمها وصح فهمها • وأكثر الناس سماعا أكثرهم خواطر ، وأكثرهم خواطر أكثرهم تفكرا وأكثرهم تفكرا أكثرهم علما ، وأكثرهم علما أكثرهم عملا ، فلم يوجد عن بعثة الرسل معول ولا منهم فى انتظام الحق بدل •

وأكثر فريق من الأمم نبوات الرسل وهم فيها ثلاثة أصناف :

أحدها : ملحدة دهرية يقولون بقدوم العالم وتدبير الطبائع ، فهم بانكار المرسل أجدر أن يقولوا بانكار المرسل •

والصنف الثانى : براهمة موحدة يقولون بحدوث العالم ويجحدون بعثة المرسل ، ويبطلون النبوات • وهم المنسوبون الى « بهرمن » صاحب مقاتلتهم • وشذ فريقي منهم فادعى أنه آدم أبو البشر ومنهم من قال هو ابراهيم •

ومن قال من هذه الفرقة الشاذة منهم : انه أحد هذين ، أقر بنبوتهما وأنكر نبوة من سواهما • وجمهورهم على خلاف هذه المقالة فى اعترائهم لصاحب مقاتلتهم ، وانكار جميع النبوات عموما •

والصنف الثالث : فلاسفة لا يتظاهرو بابطال النبوات فى الظاهر ، وهم مبطلون فى تحقيق قولهم لأنهم يقولون : ان العلوم الربانية بعد كمال العلوم الرياضية من الفلسفة والهندسة يضعها من كملت رياضته اذا كان عليها مطبوعا •

واختلف من أبطل النبوات فى علة ابطالها فذهب بعضهم الى أن العلة فى ابطالها : أن الله تعالى قد أغنى عنها بما دلت عليه العقول من لوازم ما يأتى به المرسل • وهذا فاسد من وجهين :

أحدهما : انه لا يمنع ما دلت عليه العقول جواز ، أن يأتى به المرسل وجوبا • ولو كان العقل موجبا لما امتنع أن تأتى به المرسل ، تأكيدا كما تترادف دلائل العقول على التوحيد ، ولا يمنع وجود بعضها من وجود غيرها •

والثانى : انه لا تستغنى قضايا العقول عن بعثة المرسل من وجهين : أحدهما : أن قضايا العقول قد تختلف فيما تكافأت فيه أدلتها فانحسم ببعثة المرسل اختلافها •

والثانى : انه لا مدخل للعقول فيما تأتى به المرسل من الوعد

والوعيد والجنة والنار ، وما يشرعونه من أوصاف التعبد الباعث على التآله ، فلم يغن عن بعثة الرسل •

وذهب آخرون منهم الى أن العلة في ابطال النبوات : أن بعثة الرسل الى من يعلم من حالهم أنهم لا يقبلون منهم ما بلغوه اليهم عبث ، تمنع منه حكمة الله تعالى • وهذا فاسد من وجهين :

أحدهما : أنه ليس بعبث أن يكون فيهم من لا يقبله ، كما لم يكن فيما نصبه الله تعالى من دلائل العقول على توحيده عبثا ، وان كان فيهم من لا يستدل على توحيده ، كذلك بعثة الرسل •

والثاني : أن وجود من يقبله فيهم على هذا التعليل يوجب بعثة الرسل • وهم يمنعون من ارسالهم الى من يقبل ولا يقبل فبطل به هذا التعليل •

وقال آخرون منهم : بل العلة فيه ما جاء به الرسل مختلف ينقض بعضه بعضا وينسخ المتأخر ما شرعه المتقدم ، وقضايا العقول لا تتناقض ، فلم ترتفع بما يختلف ويتناقض • وهذا فاسد من وجهين :

أحدهما : أن ما جاء به الرسل ضريان :

أحدهما : ما لا يجوز الا أن يكون على وجه واحد هو التوحيد وصفات الرب والمربوب ، فلم يختلفوا فيه وأقوالهم متناصرة عليه •

والضرب الثاني : ما لا يجوز أن يكون من العبادات على وجه ، ويجوز أن يكون على خلافه ، ويجوز أن يكون في وقت ، ولا يجوز أن يكون في غيره • وهذا النوع هو الذي اختلف فيه الرسل لاختلاف أوقاتهم ، اما بحسب الأصلح ، واما بحسب الارادة • وهذا في قضايا العقول جائز •

والوجه الثاني : ان قضايا العقول قد يخالف فيها العقلاء • ولا

يمنع ذلك أن تكون العقول دليلا • كذلك ما اختلف فيه الرسل لا يمنع أن يكون حجة •

وقال آخرون منهم : بل العلة في ابطال النبوات أنه لا سبيل الى العلم بصحتها لعينها ، وأن ظهور ما ليس في الطباع من معجزاتهم ممتنع بالطباع الدافعة لها • وهذا فاسد من وجهين :

أحدهما : أن المعجزات من فعل الله تعالى فيهم ، فخرجت عن حكم طباعهم •

والثاني : انهم لما تميزوا بخروجهم عن الطباع من الرسالة ، تميزوا بما يخرج عن عرف الطباع من الاعجاز •

وقال آخرون منهم : بل العلة في ابطال النبوات : ان ما يظهره من المعجز الخارج عن العادة ، قد يوجد مثله في أهل الشعبة والمخرقة وأهل الفارنجيات ، ليس ذلك من دلائل صدقهم ، فذلك أحكام المعجزات • وهذا فاسد من وجهين :

أحدهما : أن الشعبة تظهر لذوى العقول وتدلس على الغر الجهول ، فخالفت المعجزة التي تذهل لها العقول •

والثاني : أن الشعبة تستفاد بالتعليم ، فيتعلمها من لم يحسنها فيصير مكافئا لمن يحسنها ويعارضه بمثلها • والمعجزة مبتكرة لا يتعاطاها غير صاحبها ، ولا يعارضه أحد بمثلها • كما انقلبت عصا موسى حية تلقف ما أفكه السحرة فخرؤا له سجدا • ولئن كان في ابطال هذه الشبهة دليل على اثباتها فيستدل على اثبات النبوات من خمسة أوجه ، وان اشتملت تلك الأجوبة على بعضها •

أحدها : أن الله تعالى منعم على عباده بما يرشدهم اليه من المصالح • ولما كان في بعثة الرسل ما لا تدركه العقول ، كان ارسالهم من عموم المصالح التي يكفل بها •

والثانى : أن فيما يأتى به الرسل من الجزاء ، بالجنة ثوابا ، يبعث على الرغبة فى فعل الخير ، وبالنار عقابا ، يبعث على الرهبة فى الكف عن الشر ، صار سببا لائتلاف الخلق وتعاطى الحق •

والثالث : ان فى غيوب المصالح ما لا يعلم الا من جهة الرسل فاستفيد بهم ما لا يستفيده بالعقل •

والرابع : ان التأله لا يخلص بالتدين والدين لا يصلح الا بالرسل المبلغين عن الله تعالى ما كلف •

والخامس : ان العقول بما استنكرت من موافقة الأفكار ، ومتابعة النظر ، فلم يجمعهم عليه الا طاعة المعبود ، فما أداه رسالته فصارت المصالح بهم أعم والاتفاق بهم أتم ، والشمل بهم أجمع ، والتنازع بهم أمتع ، فيجوز اثبات التوحيد والنبوات بدقيق الاستدلال كما يجوز بجليه ، فان ما دق فى العقول هو أبلغ فى الحكمة •

وقد تلوح لابن الرومى هذا المعنى فنظمه فى شعره فقال :

غموض الحق حين يذب عنه  
تملأ ناصر الخصم المحق  
يجل عن الدقيق عقول قوم  
فيقتضى للمجل على المدى

## فصل

فاذا ثبت جواز النبوات وبعثة الرسل بالعبادات • فهم رسل الله تعالى الى خلقه بخطاب مسموع أو سفارة ملك منزل ؟ ومنع قوم من مثبتى النبوات أن تكون نبوتهم عن خطاب أو نزول ملك لانتهاء المخاطبة الجسمانية عنه ، لأنه ليس بجسم ، فاللائحة من العالم العلوى وهو بسيط لا يهبط • كما أن العالم السفلى كثيف لا يعلو • واختلف من قال بهذا فيما جعلهم به أنبياء • فقال بعضهم : صاروا أنبياء بالالهام لا بالوحى • وهذا فاسد من وجهين :

أحدهما : أن ما بطل به الهام المعارف فى التوحيد ، كان ابطال المعارف به فى النبوة أحق •

والثانى : ان الالهام خفى غامض يدعيه الحق والمبطل ، فان ميزوا بينهما بطلب أمانة ، عدلوا عن الالهام الى دليل يبطل الالهام •

وقال آخرون منهم : انما صاروا أنبياء لأن الله تعالى فى العالم خواصا وأسرارا تخالف مجرى الطبائع • فمن أظفره الله تعالى بهما من خلقه ، استحق بهما النبوة •

وهذا فاسد من وجهين :

أحدهما : خفاها فيه عن غير دليل على صدقه •

والثانى : أن يكون نبيا عن نفسه لا عن ربه ، فصار كغيره •

وقال آخرون : بل صاروا أنبياء لأن الله تعالى خصهم من كمال العقول بما يتوصلون به الى حقائق الأمور ، فلا يشتبه عليهم منها ما يشتبه على غيرهم ، فصاروا أنبياء عن عقولهم لا عن ربهم • وهذا فاسد من وجهين :

أحدهما : أن هذا يقتضى فضل العلم في حقه ولا يقتضيه في حق

• غيره .

والثانى : أنه ان أخبر عن نفسه لم يكن رسولا ، وان أخبر عن ربه

• كان كاذبا .

وقال آخرون : انما صاروا أنبياء لأن الأنور فيهم صفا ونما بالنور

الأعظم الالهى الذى تخلص به الأفهام وتصح به الاوهام ، حتى ينتقلوا

الى الطباع الروحانية فيزول عنهم كثير من الطباع البشرية ، فيخرجوا

عن سنخ الكائنات بصفاء نورهم وخالصهم • وهذا قول الثنوية • وهو

فاسد من وجهين :

أحدهما : أنهم دفعوا أسهل الأمرين من بعثة الرسل الى أغلظهما

من اعطاء نوره ، فأولى أن يدفعوا عن الأغلظ بما دفعوا عن الأسهل •

والثانى : انهم أثبتوا ممازجة البارى سبحانه فيما اختص بذاته

ومخالفة الذات تمنع من ممازجته •

والجواب عما قالوه من امتناع المخاطبة الجسمانية عن ليس

• بجسم من وجهين :

أحدهما : أنه لا يمتنع أن يظهر منه كخطاب الاجسام ، وان لم يكن

• جسما • كما يظهر منه كأفعال الأجسام ، وان لم يكن جسما •

والثانى : أن الله تعالى يجوز أن يودع خطابه في الأسماع حتى

تعيه الآذان وتفهمه القلوب بقدرته التى أخفاها عن خلقه •

والجواب عما ذكروه من أن جرم الملائكة علوى لا ينهبط من وجهين :

أحدهما : أنه ليس بممتنع أن ينتقل جرم سماوى لطيف الى جرم

أرضى كثيف • اما بزيادة أو انقلاب كما يقولون في العقل والنفس أنهما

جرمان علويان هبطا الى الجسم ، فحلا فيه •



والثانى : أنهم يقولون بانقلاب الأجرام الطبيعية ، يتولون ان الهواء المركب من حرارة ورطوبة اذا ارتفعت حرارته ببرودة صار ماء ياردا وأن الماء المركب من برودة ورطوبة اذا ارتفعت برودته بحرارة صار هواء ، وأن الهواء المركب من حرارة ورطوبة ، اذا ارتفعت رطوبته بيبوسة صار نارا فاذا جاز ذلك عندهم في انقلاب الطبائع ، كان في فعل الله تعالى أجوز وهو عليها أقدر .

ولا يمكن أن تدفع أقاويلهم الخارجة عن قوانين الشرع الا بمثلها ، وان خرج عن حجاج أمثالنا ، لنقض قولهم بقولهم ، لا يتدلس به باطل ولا يضل به جهول . فما يضل عن الدين الا قادح في أصوله ومزر على أهله .



## فصل

فاذا ثبت أن النبوة لا تصح الا ممن أرسله الله تعالى بوحيه اليه ، فصحتها فيه معتبرة بثلاثة شروط تدل على صدقه ووجوب طاعته .

**أحدهما :** أن يكون مدعى النبوة على صفات يجوز أن يكون مؤهلا لها لصدق لهجته وظهور فضله وكمال حاله . وان اعتوره نقص أو ظهر منه كذب ، لم يجز أن يؤهل للنبوة من عدم آلتها وفقد أمانتها .

فقد بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضى الله عنه الى بعض أحياء العرب يدعوهم الى الاسلام فقالوا : يا خالد صف لنا محمدا . قال بايجاز وباطناب ؟ قالوا : بايجاز . قال : هو رسول الله ، والرسول على قد المرسل .

**والشرط الثاني :** اظهر المعجز يدل على صدقه ويعجز البشر عن مثله ، لتكون مضاهية للأفعال الالهية وليعلم أنها منه فتصح دعوى رسالته لأنه لا يظهرها من كاذب عليه ، ويكون العجز دليلا على صدقه ، وصدقه دليلا على صحة نبوته •

**والشرط الثالث :** أن يقترن بالمعجز دعوى النبوة • فان لم يقترن بالمعجز دعوى ، لم يصير بظهور المعجز نبيا ، لأن المعجز يدل على صدق الدعوى ، وكان صفة لها فلم يجز أن تثبت الصفة قبل وجود الموصف ، فان تقدم ظهور العجز على دعوى النبوة كان تأسيسا للنبوة ككلام عيسى عليه السلام في المهد هو تأسيس للنبوة • واحتاج مع دعوى النبوة الى احداث معجز ، يقترن بها ليدل على صدقه فيها • وان تقدمت دعوى النبوة على المعجز اتقى بحدوث المعجز بعدها عن اقتترانه بها ، لأن استصحابه للدعوى مقترن بالمعجز ، فان ظهر المعجز المقترن بالدعوى لبعض الناس دون جميعهم، نظر • فان كان عددا يتواتر بهم الخبر ويستقيض بهم الأثر كان الغائب عنهم محجوبا بالمشاهدة له في لزوم الاجابة والانقياد للطاعة ، كما يكون العصر الثانى محجوبا بالعصر الأول ، وان كان المشاهد المعجز عددا لا يستقيض بهم الخبر ولا يتواتر بهم الأثر لامكان تواطئهم على الكذب أو يتوجه الى مثلهم الخطأ أو الزلل ، كان المعجز حجة عليهم ، ولم يكن حجة على غيرهم ، حتى يشاهدوا من المعجزة ما يكونوا محجوبين به ، وسواء كان من جنس الأول أو من غير جنسه ، فان قصر من شاهد الأول عن عدد التواتر ، وقصر من شاهد الثانى عن عدد التواتر ، لم يكن فيهما حكم التواتر ، ولا فى واحد منهما ، لجواز الكذب على كل واحد من العددين •

## فصل

وإذا كانت حجج الأنبياء على أممهم هي المعجز الدال على صدقهم فالمعجز ما خرق عادة البشر من خصال لا يستطيع الا بقدره الهية تدل على أن الله تعالى خصه بها تصديقا على الاختصاصه برسالته ، فيصير دليلا على صدقه في ادعاء نبوته ، اذا وجد ذلك منه في زمان التكليف . فاما عند قيام الساعة اذا سقطت فيه أحوال التكليف ، فقد يظهر فيه من أشراتها ما يخرق العادة ، فلا يكون معجزا مدعى نبوة .

وانما اعتبر في المعجز خرق العادة لأن المعتاد يشمل الصادق والكاذب ، فاخص غير المعتاد بالصادق دون الكاذب ، فاذا تقرر أن المعجز محدود بما ذكرناه من خرق العادة ، فقد ينقسم ما عرج عن العادة على عشرة أقسام :

**أحدها :** ما يخرج جنسه عن قدرة البشر كاختراع الأجسام وقلب الأعيان وأحياء الموتى . فقليل هذا وكثيره معجز بخروج قليله عن القدرة بخروج كثيره به .

**والقسم الثاني :** ما يدخل جنسه في قدرة البشر ، لكن يخرج مقداره عن قدرة البشر كطى الأرض البعيدة في المدة القريبية ، فيكون معجزا لخرق العادة . واختلف المتكلمون في المعجز منه . فعند بعضهم أن ما خرج عن القدرة منه يكون هو المعجز خاصة لاختصاصه بالمعجز . وعند آخرين منهم : أن جميعه يكون معجزا لاتصاله بما لا يتييز منه .

**والقسم الثالث :** ظهور العلم بما خرج عن معلوم البشر كالإخبار بحوادث الغيوب فيكون معجزا بشرطين :

أحدهما : أن يتكرر حتى يخرج عن حد الاتفاق .

الثاني : أن يتجرد عن سبب يستدل به عليه .

**والقسم الرابع :** ما خرج نوعه ، عن مقدور البشر وان دخل جنسه في مقدور البشر ، كالقرآن في خروج أسلوبه عن أقسام الكلام ، فيكون معجزا لخروج نوعه عن القدرة فصار جنسا خارجا عن القدرة ، ويكون المعجز مع القدرة على آفته من الكلام أبلغ في المعجز .

**والقسم الخامس :** ما يدخل في أفعال البشر ويفضى الى خروجه عن مقدور البشر كالبراء الحادث عن المرض والزرع عن البذر ، فان براء المرض المزمع لوقته واستحصاد الزرع المتباقل قبل أوانه ، كان بخرق العادة معجزا لخروجه عن القدرة .

**والقسم السادس :** عدم القدرة عما كان داخلا في القدرة ، كانذار الناطق بعجزه عن الكلام ، واخبار الكاتب بعجزه عن الكتابة ، فيكون ذلك معجزا يخص العادة جزء ولا يتعداه ، لأنه على يقين من عجز نفسه وليس غيره على يقين من عجزه .

**والقسم السابع :** انطاق حيوان أو حركة جماد ، فان كان باستدعائه أو عن اشارته كان معجزا له ، وان ظهر بغير استدعاء ولا اشارة لم يكن معجزا يخص العادة جزء لا يتعداه ، لأنه على يقين من عجز نفسه وليس اختصاصه بغيره ، وكان من نذر الوقت وحوادثه .

**والقسم الثامن :** اظهار الشيء في غير زمانه كاظهار فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف ، فان كان استبقاؤهما في غير زمانهما ممكنا لم يكن معجزا وان لم يكن استبقاؤهما ممكنا كان معجزا سواء بدأ باظهاره أو طوّل به .

**والقسم التاسع :** انفجار الماء المنقطع أو قطع الماء المتفجر ، اذا لم يظهر بحدوثه من غيره فهو من معجزاته لخرق العادة .

**والقسم العاشر :** اشباع العدد الكثير من الطعام اليسير واروائهم من الماء القليل يكون معجزا في حقهم وغير معجز في حق غيرهم لما قدمناه

من التعليل • فهذه الأقسام ونظائرها الداخلة في حدود الاعجاز متساوية الأحكام في ثبوت الاعجاز وتصديق مظهرها على ما ادعاه من النبوة ، وان تفاوت الاعجاز فيها وتباين ، كما أن التوحيد قد يختلف في الخفاء والظهور وان كان في كل منها دليل • واما فعل ما يقدر البشر على تقاربه وان عجزوا عن مثله فليس بمعجز ، لأن الجنس مقدر عليه ، وانما الزيادة فضل حذق به كالصنائع التي يختلف أهلها فيها فلا يكون حذقهم بها معجزا ، يجوز أن يدعى بها النبوة •

**فان قيل :** فقد جاء زرادشت وبولس بآيات مبهرة ، ولم تدل على صدقهما في دعوى النبوة •

**قيل :** لأنهما قد كذبا أنفسهما بما ادعياه في الله تعالى مما يدل على جهلهما به ، لأن «بولس» يقول : ان عيسى عليه السلام ابن الله وهو الله وزعم زرادشت : أن الله تعالى كان وحده ولا شيء معه فحين طالت وحدته ، فكر فتولد من فكره «أهرمن» وهو «ابليس» فلما مثل بين عينيه ، أراد قتله ، فامتنع منه فلما رأى امتناعه وادعته الى مدته وسالته الى غايته • ومن قال بهذا في الله تعالى • ولم يعرفه لم يجز أن يكون رسولا ، ثم داعيا الى القبائح والأخلاق السيئة ، كما شرع زرادشت الموضوء بالبول وغشيان الأمهات وعبادة النيران • وكذلك «بولس» و «مانى» فخذلهم الله تعالى • ولو دعوا الى محاسن الأخلاق ، لكان الوثوق بهم أكثر • ولكن الله تعالى عصم بالعقول من استرشدها ، وقاد الى الحق من يقظ بها •

## فصل

ولا يجوز أن يظهر الله تعالى المعجز ممن يجعله دليلا على صدقه في غير النبوة ، وإن كان فيها مطبقا • لأن النبوة لا يوصل إلى صدقه فيها إلا بالمعجز ، لأنه مغيب لا يعلم إلا منه ، فاضطر إلى الإعجاز في صدقه • وغير النبوة من أقواله وأفعاله قد يعلم صدقه فيها بالعيان والمشاهدة ، وتخرج عن صورة الإعجاز وإن نفذت المشاهدة • ولئلا تشبهه معجزات الأنبياء بغيرها • فأما مدعى الربوبية إذا أظهر آيات باهرة ، فقد ذهب قوم إلى أنها تكون معجزة وقد بطلت بكذبه ، فلم يمتنع لظهور بطلانها • أن تجد منه ، إذا كان كاذبا في ادعاء النبوة ، لأنه لم يقترب بدعواه ما يبطلها كمدعى الربوبية • والذي عليه قول الجمهور : أنه لا يجوز أن يظهر المعجز عن مدعى الربوبية ، كما يجوز أن يظهر على مدعى النبوة لأن معصيته في ادعاء الربوبية أغلظ وأفكه فيها أعظم • وكان ذلك المعجز بأن لا يظهر عليه أجدر ، وإذا استوضح ما أظهره مدعى الربوبية من الآيات ظهر فسادها وبان اختلافها ، فخرجت عن الإعجاز إلى سحر أو شعبة •



## فصل

ولما علم الله تعالى أن أكثر عباده لا يشهدون حجج رسالته ولا يحضرون آيات أنبيائه ، أما لبعد الدار أو لتعاقب الأعصار ، وطبع كل فريق على الاخبار بما عين ، فيعلمه الغائب من الحاضر ويعرفه المتأخر من المعاصر ، وقد علم مع اختلاف المهتم أن خبر التواتر إذا انتفت عنه الريب حق لا يعترضه شك ، وصدق لا يشتبه بافك ، فصار وروده كالعيان في وقوع العلم به اضطرارا ، فثبت به الحجة ، ولزم به العمل . وقد قال الطفيل الغنوى مع أعرابيته في وقوع العلم باستفاضة الخبر ، ما دلته عليه الفطرة وقاده اليه الطبع :

تأوبنى هم من الليل منصب

وجاء من الاخبار مالا يكذب

تظاهرت حتى لم يكن لى رية

ولم يك عما أخبروا متعقب

★ ★ ★

## فصل

فأما ما يجوز لدعى النبوة أن يدعى به النبوة فإنه يقسم ثلاثة أقسام :

أحدها : أن يكلمه الله تعالى بغير واسطة •

والثاني : أن يخاطبه بواسطة ملك •

والثالث : أن يكون عن رؤيا في المنام •

فالقسم الأول : مثلاً كلامه لموسى حين نودى من الشجرة فيعلم اضطراباً ، أنه من الله تعالى • وفيما يقع به علم الاضطراب في كلامه ، لأهل العلم فيه قولان :

أحدهما : أنه يضطره إلى العلم به •

والثاني : أنه يقترن بكلامه من الآيات ما تدل على أنه منه •

وأما القسم الثاني : فعلى الأنبياء معرفة الله تعالى قبل ملائكته في رسالته • وطريق علمهم به الاستدلال ، ثم يصير بعد نزول الملائكة بمعجزاتهم القاهرة على اضطراب ، وعلى الملائكة إذا نزلوا بالوحي على الرسول اظهار معجزتهم له ، كما يلزم الرسول اظهار معجزته لأُمَّته •

روى : أن جبريل عليه السلام لما تصدى رسول الله ﷺ بمكة في الوادي • قال له : قل يا محمد للشجرة أقبلي • فقال : لها ذلك فأقبلت • وقال له : قل لها أدبري • فقال لها ذلك فأدبرت • فقال له رسول الله ﷺ : « حسبى » يعنى في العلم بصدقك فيما آتيتنى به عن ربي • فتستدل الرسل بالمعجزات على تصديق الملائكة بالوحي ، وتستدل الأمم بمعجزات الأنبياء على تصديقهم بأرسالة •



**واما انقسم الثالث :** أن يكون عن رؤيا منام ، فان لم يكن ممن تصدق رؤياه بكثرة أحلامه ، لم يجوز أن يدعى به النبوة • وان كان ممن تصدق رؤياه فقد روى عن النبي ﷺ انه قال : « أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا » لم يجوز أن يدعى النبوة بأول رؤيا لجواز أن تكون من حديث النفس ، وأن الرؤيا قد تصح تارة وتبطل أخرى • وان تكررت رؤياه مرارا حتى قطع بصحتها ، ولم يخالجه شك فيها ، جاز أن يدعى النبوة بها فيما كان حفظا لما تقدمها من شرع وبعثنا على العمل بها من بعد ، ولم يجوز أن تعبد بها في نسخ شرع واستئناف تعبد • ويجوز أن يعمل على رؤيا نفسه فيما يلزمه من استئناف • ولا يجوز أن يعمل عليها في نسخ ما لزمه من شرع ، ليكون بها ملزما ولا يكون بها مسقطا • وهذا الذي ذكرناه لا يكون جائزا بعد نبينا ﷺ لأنه خاتم الأنبياء • فلا تغفل •



## فصل

قال الماوردي : وأما نبوة نبينا محمد ﷺ فقد اختلف فيه مخالفوه من مثبتى النبوات على أقوال شتى ، فمنعت اليهود من نبوته لامتناعهم من نسخ الشرع • واختلفوا في المانع من نسخه ، فمنع منه بعضهم بالعقل ، لأن نهى الله تعالى عما أمر به وأمره بما نهى عنه انما يكون لخفاء المصلحة عليه في الابتداء وظهور حاله في الانتهاء • والله تعالى عالم بها في الحالين ، لتباين الضدين • ومنع بعضهم منه بالشرع ، وان جوزوه في العقل بما نقلوه عن موسى عليه السلام وذكروه في التوراة أنه قال : « تمسكوا بالسبب أبدا ، سنة الدهر » وكلا الوجهين فاسد من وجهين :

أحدهما : أن العقل لا يمنع من الأمر بالشئ في زمان ، والنهى عنه في غيره ، بحسب المصلحة في قول من اعتبرها • ولا يكون مستقبحا من فعل حكيم كما يغنى من أفقر ، ويفقر من أغنى اما للمصلحة أو بالارادة • ولا يكون ذلك لاستيهاام المصلحة واشكال الارادة •

والثانى : ان موسى عليه السلام نسخ شرع من تقدمه ، لأن آدم زوج بنيه ببناته ، وجوز يعقوب الجمع بين الأختين ، ونكح ابراهيم بنت أخيه • وكل هذا عند موسى منسوخ بشرعه ، فجاز ان ينسخ شرعه بشرع غيره •

أقول : ولعل لنا عودة ان شاء الله تعالى لاستيفاء الكلام على هذه المسألة •

وقال آخرون : محمد ﷺ نبي مبعوث الى قومه من العرب ، وليس نبي لغيرهم • وهذا فاسد من وجهين :

أحدهما : أنه تخصيص بغير دليل •

والثانى : ان ثبوت نبوته عليه الصلاة والسلام فى قومه موجب لصدقه • وقد قال : انه بعث الى كافة الخلق ، وأنه خاتم الأنبياء ، فلم يجز رد قوله مع ثبوت صدقه •

وقال آخرون : هو نبي مبعوث الى من لم يتمسك بشرع من عبدة الأوثان ، وليس بمبعوث الى من تمسك بشرع من اليهود والنصارى • وهذا فاسد من وجهين مع الوجهين المتقدمين :

أحدهما : أنه يدفع به عن نسخ الشرع • وقد دللنا على جوازه •  
والثانى : أن من اعترف بالنبوات كانت ألزم له ممن جردها •

وقال آخرون : ليس بنبي لأنه لم يأت بمعجزة قاهرة تضطر الى صدقه ، كمعجزة موسى وعيسى عليهما السلام وان جاز نسخ الشرائع بمثلها من الشرائع • وفى هذا يتعين اقامة الدليل على اثبات نبوته عليه الصلاة والسلام • وهو معتبر بثلاثة شروط :

أحدهما : وصف المستدل •

والثانى : حكم المدلول عليه •

والثالث : صفة الدليل •

فأما الشرط الأول فى صفة المستدل : فقد اختلف فيه فذكر الجاحظ

أنه العقل لأنه المميز للحق • وقال الأكثرون : المستدل هو العاقل والعقل آلة استدلاله لليتوصل به الى صحة مدلوله •

وأما الشرط الثانى ففى حكم الدلول عليه • فعند فريق أنه اثبات نبوته ليعلم بها صدق قوله • وعند الأكثرين أنه اثبات صدقه ليعلم بقوله صحة نبوته •

وأما الشرط الثالث وهو الدليل ، فحجاج ينتوع أنواعا • لأن المستدل واحد ، والدلول عليه واحد • والدليل يشتمل على أعداد متنوعة وشواهد مختلفة فرق الله تعالى بينهما لتكون الحجج متغايرة والبراهين متناصرة ، بحسب ما عليه علمه من المصلحة ورآه من أسباب الاجابة • كما قال تعالى : « وكذلك نصرنا الآيات » أى نخالف بينها فى المعجزات ، فكان بعضها حجة قاطعة وبعضها أمانة لائحة ، تجرى عليها أحكام ما قاربها فيقوى بعد الضعف وتحج بعد الكشوف • وان لم يكن الانذار بانفرادها من قواطع الحجج المغنية عن دليل يحج ، وهكذا القول فى نبوة غيره ، فلا يلزم تطابق حججهم كما لم يلزم اتفاق شرائعهم •

وقد قدمنا أقسام المعجزات ، فاذا ظهرت احداهن حجت ودلت على صحة النبوة • وقد ظهر فى نبوة نبينا محمد المصطفى ﷺ أكثرها مع ما تقدمها من انذار وظهر بها من آثار وتحقق بها من أخبار ، فصارت أعم النبوات اعجازا ، وأوضحها طريقا وامتيازاً ، وأكثرها تأييدا الهيا وتعبدا شرعيا ، تعتمد شواهدا من نافر وعائد ، وتحج دلائلها من ناكر وجاحد • ولم تنزل أمارات النبوة لائحة فى رسول الله ﷺ حتى تدرج اليها وهو غافل عنها • وغير متصنع لها فنهض بأعبائها حين أتته وقام بحقوقها حين لزمته ، غير ذاهل فيها ولا عاجز عنها ، الى أن تكامل به الشرع • هذا وهو أسمى لم يقرأ كتابا ولا اكتسب علما فأوضح كل ملتبس وبين كل مشتبه ، حتى رجع كثير من الملل الى شريعته فى عالم ما قصرُوا عنه من حقوق وعقود استوعب أقسامها وبين أحكامها • وما ذلك الا بعون الهى وتأييد لاهوتى • وحسبك بهذا شاهدا لو اقتصرنا عليه وحجاجا لو اكتفينا به •

ولكن سنذكر ان شاء الله تعالى قريبا من معجزاته المتأهرة وبراهينه الواضحة ، ما يرد كل جاحد ويصدق كل معاند من أنواع متغايرة وأخبار متواترة وآثار متظاهرة يصدق بعضها بعضا ، ليكن تغايرها جامعا لكل برهان ، وتظاهرها رافعا لكل بهتان \*

فمنها ما تقدمه من نذير وبشير ومنها ما تعقبه من تغيير وتأثير ومنها ما تباريه من أقوال وأفعال صدرت منه واليه ، فلم يسبق من الآيات ما اخل به ولا من الأعلام ما كثر فيه وسنذكرها ان شاء الله تعالى فصولا مفصلة وأنواعا متميزة لتكون أوضح بيانا وأوضح برهانا أحقها بالسابقة والتقديم اعجاز القرآن الكريم لأنه أصل شرعه ومستودع رسالته لكننا نذكره في محله من رد هذا الكتاب ، ليكون أقعد في هذا الباب ان شاء الله تعالى \*



## فصل

### في معجزات (١) عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم

(١) المعجزات الحسية وردت في كتب الأحاديث عن طريق الاحاد ، لا المتواتر . وقد رد الراسخون في العلم من المسلمين أحاديث الاحاد ، وطعنوا في سندها ومثتها . وحذروا المسلمين من أن يأخذوا بها في العقائد ، لكثرة المدسوسات فيها من اليهود والنصارى . وقالوا : ان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تثبت بالقرآن الكريم لقوله تعالى : « أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ؟ » ففى كتاب المغنى : لا يجوز قول أخبار الاحاد في ما طريقه العلم ، لأن كل واحد من المخبرين يجوز عليه الغلط . ولا يرجع إليها في معرفة التوحيد والعدل وسائر أصول الدين . ( المغنى ص ٢٢٥ ج ٤ ) .

وفي كتاب هموم داعية للشيخ محمد الغزالي : « هناك من يسوى بين الأخبار المتواترة ، وبين أخبار الاحاد في افادة اليقين . وهذا غلو مرغوض . وهناك من يرحب بأخبار الاحاد دون تطبيق للشروط العلمية المقررة عن ضرورة خلوها من الشذوذ والعلل القوادح . وهناك من يقضى سحابة عهد في دراسة السنن ، وصلته بالقرآن الكريم واهية ، وبصره بهدياته كليل . ولذلك لا يحسن وضع الأحاديث في مواضعها العتيقة من كتاب الله ، ولا وضع النسب بين الأركان والنوافل والوسائل والغايات . ويتضح هذا =

أظهر الله تعالى لرسوله محمد عليه الصلاة والسلام من أعلام نبوته ،

= المعنى قليلا ، اذا عرفنا أن علماء المذهب الحنفى يرون أن لا فرض الا بنص شاطع ، وأنه لا حرمة الا بنص قاطع ، وأن أخبار الاحاد لا تفيده القطع ، بل هى كما يرى الجمهور تفيد الظن العلمى أو العلم الظنى . ولنتترك رأى الأحناف جانبا ، لنشرح ما نريد عن طريق ضرب الامثال . يقول الله تعالى فى جلالة كتابه « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . تنزيل من حكيم حميد » .

فهل وعى ذلك من قبل حديث الفرانيق . وقال : ان تظاهر لروايات يجعل له أصلا ما ؟ والمثائل محدث كبير . وقد قبل فرية الفرانيق مدع للسلفية كبير ، ووضعها فى سيرة الفها .  
الحرث مكان الانبات باجماع أولى الالباب . فهل وعى ذلك من روى فى شرح الاية : « نساءكم حرث لكم » انه يجوز اثيان النساء فى غير مكان الحرث ؟ .

قتال العدوان مرغوض بنص القرآن الكريم . فهل درى ذلك من روى ، أو رأى جواز القتال دون دعوة الى الاسلام ، وبالتالي جواز أخذ الناس على غرة ؟ ا . ه .

وروى الشيخ محمد الغزالى فى تفسير قوله تعالى : « وما خلق الذكر والانثى » فى هوم داعية : « أن خبر الواحد تتلأشى صحته عندما يخالف المتواتر . والمسلمون على هذه القاعدة » ا . ه . والصواب ما قاله ههنا فى أخبار الاحاد . لا ما نقلته عنه من كتابه « من هنا نعلم » فى التقديم لهذا الكتاب فى موضوع المؤاخاة بين المسلمين وأهل الكتاب .

وأذكر فى سنة من السنين هى تقريبا سنة ١٩٧٩ م أن التقيت بطالب نصرانى من كلية اللاهوت بالقاهرة ، اسمه « مودى » كان قد كتب بحثا فى أحاديث الاحاد ، وطعن فى دين الاسلام . ولما اشتمتد المنافسة بينى وبينه فى موضوع « المسيا المنتظر » وامتدت الى طوال الايام التى كنت أتردد فيها على المكتبة . سألتنى عن أحاديث الاحاد : ما منزلتها فى الدين عندكم ؟ وأجبتة بشبهه كلام الشيخ محمد الغزالى . فرد قائلا : هى ثابتة بالسند المتصل على شرط البخارى ومسلم الى نبىكم . فقلت له : هذا لا يمنع من ضعفها . لأن كتب الجرح والتعديل لم تكن قد دوتت الا بعد تدوين المحدثين للحديث . ولأن البخارى روى معلقات فى كتابه ومعناها اسقاط اسم الراوى فى بدء الرواية - كما أذكر الان - ما طلعنى على ما كتب وقال : ما رأيك فيه ؟ فقلت له : قد أتعبت نفسك فى شيء لا طائل من ورائه . لأن المسلمين لا يأخذون بها على استقلال لا فى العقائد ولا فى الفقه . وانما يأخذون بالقرآن الذى قال الله فيه : « انا نحن نزلنا الذكر . وانا له لحافظون » .

بعد ثبوتها بمعجزات القرآن واستغناؤه عما سواه من البرهان ما جعله زيادة استبصار ، يحجج بها من قلت فطنته ، ويذعن لها من ضعفت بصيرته ، ليكون اعجاز القرآن مدركا بالخواطر ايثاقية تفكرا واستدلالات واعجاز العيان معلوما ببداية الحواس احتياطا واستظهارا فيكون البليد مقهورا بوهمه وعنائه ، واللبيب محجوجا بفهمه وبيانه لأن لكل فريق من الناس طريقا هي عليهم أقرب ، ولهم أجذب . فكان بأجمع انقياد الفرق أوضح سبيلا وأعم دليلا .

فن معجزاته عصمته من أعدائه وهم الجم الغفير والعدد الكثير ، وهم على أتم حنق عليه وأشد طلبا لنفسه وهو برئهم مسترسل قاهر ، ولهم مختلط ومكائر ترمقه أبصارهم شزرا ، وتزيد عنه أيديهم ذعرا وقد هاجر عنه أصحابه حذرا ، حتى استكمل مدته فيهم ثلاث عشرة سنة ، ثم خرج عنهم سليما لم يكلم في نفس ولا جسد . وما كان ذلك الا بعصمة الهية وعده الله تعالى بها . فحققتها حيث يقول « والله يعصمك من الناس » فعصمه منهم .



## فصل

قد ذكرنا فيما سبق أن الأحاديث والأخبار التي يرويها المسلمون عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقبل منها الا ما رواه الثقة المحدثون بالأسانيد الصحيحة ومن كان مجروحا غير معدل أو مجهولا أو معلولا أو ضعيفا فحديثه غير مقبول ، حتى ألفوا في أحوال الرجال وسيرتهم وأصول الحديث كتبا كثيرة جلية . وهذا بخلاف غيرهم من أهل الكتابين ، وان الأحاديث التي تآلفتها الأمة عن النبي عليه الصلاة والسلام انما عمل بها بعد استيفائها للشروط المعتبرة عندها المفصلة في كتبها .

ومن ذلك ما ورد في بيان دلائل نبوته ومعجزاته عليه الصلاة والسلام التي نحن بصدد ذكرها فانها قد روتها الائمة الحفاظ باسنانيد معتبرة مصححة في محالها من صحاحها ومسانيدها وسيرها كمشروح الشفاء والمواهب اللدنية وشرحها وكسيرة ابن هشام وغيرها حتى أنها من حيث المجموع بلغت مبلغ التواتر بحيث يجزم العدل بان نقلتها لا يمكن أن يتواطئوا على الكذب وأنها مفيدة للعلم وقد بلغت في الشهرة عند المسلمين بمحل استغنى عن أسماء الرواة والمخرجين ، فلذا ترانا لا نلتزم ذكر الأسانيد وعننة الراوين فيما سنروييه في هذا البحث ، حيث لم تمس الحاجة بنا الى ما هنالك .



## فصل

فمن ذلك أن قريشاً اجتمعت في دار الندوة وكان فيهم النصرين الحارث من كنانة وكان زعيم القوم وساعده عبد الله بن الزبعرى وكان شاعر القوم ، فحرضهم على قتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال لهم الموت خير لكم من الحياة فقال بعضهم كيف نصنع ؟ فقال أبو جهل لعنه الله تعالى هل محمد الا رجل واحد ؟ وهل بنو هاشم الا قبيلة من قبائل قريش؟ فليس فيكم من يزهّد في الحياة فيقتل محمداً ويريح قومهم؟ وأطرق ملياً . فقالوا : من فعل هذا ساد ؟ فقال أبو جهل ما محمد بأقوى من رجل منا وانى أقوم اليه فأشدخ رأسه بحجر فان قتلت أرحمت قومي ، وان بقيت فذاك الذي أوثر .

فخرجوا على ذلك فلما اجتمعوا في الحطيم خرج عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا قد جاء فتقدم من الركن فقسام بصلى فنظروا اليه يطبل الركوع والسجود ، فقال أبو جهل : فانى أقوم فأريحكم منه فأخذ مهرأشاً عظيماً ودنا : من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ساجد لا يلتفت ولا يهابه ، وهو يراه فلما دنا منه ارتعد وأرسل

الحجر على رجله ، فرجع وقد شدخت أصابعه وهو يرتعد وقد دوخت أوداجه ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ساجد فقال أبو جهل لعنه الله تعالى لأصحابه خذوني اليكم فالتزموه وقد غشى عليه ساعة فلما أفاق قال له أصحابه ما الذى أصابك ؟ قال : لما دنوت منه أقبل على من رأسه فحل فاغر فاه • فحمل على أسنانه فلم أتمالك وانى أرمى محمدا محجوبا فقال له بعض أصحابه يا أبا الحكم رعبت وحببت الحياة ، ورجعت قال : ما تعسرونى عن نفسى •

قال النضر بن الحارث فان رجع غدا فأنا له قالوا يا أبا سهم لئن فعلت هذا لتسودن فلما كان من اتعد اجتمعوا فى الحطيم منتظرين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما أشرف عليهم قاموا بأجمعهم فواشبهوا ، فأخذ حفنه من تراب ، وقال « شأهت الوجوه » وقال « حم لا يبصرون » ففترقوا عنه • وهذا دفع الهى وثق به من الله تعالى فصبر عليه حتى وقاه الله تعالى وكان من أقوى شاهد على صدقه •

ومن أعلامه عليه السلام أن معمرا بن يزيد وكان من أشجع قومه استعاضت به قريش وشكروا اليه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت بنو كنانة تصدر عن رأيه وتطيع أمره فلما شكروا اليه قال لهم انى قادم الى ثلاث وأريحكم منه وعندى عشرون ألف نرج فلا أرى هذا الحى من بنى هاشم يقدر على حربى ، وان سألوني اللدية أعطيهم عشر ديات ففى مالى سعة • وكان يتقلد بسيف طوله سبعة أشبار فى عرض شبر وقصته فى العرب مشهورة بالشجاعة والبأس ، فلبس يوم وعده قريشا سلاحه وظاهر بين درعين ، فوافقهم بالحطيم ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحجر يصلى وقد عرف ذلك • فما التفت ولا ترزع ولا قصر فى صلاته فقبل له هذا محمد ساجد فاهوى اليه وقد سل سيفه وأقبل نحوه فلما دنا منه رمى بسيفه وعدا فلما صار الى باب الأصفى عثر فى درعه فسقط فقام وقد أدمى وجهه بالحجارة يعدو كأشد العدو ، حتى بلغ البطحاء ما أتفت الى خلف فاجتمعوا وغسلوا عن وجهه الدم وقتلوا ماذا أصابك ؟ قال ويحكم الغرور من غررتموه قالوا ما شأنك ؟ قال ما رأيت كاليوم • دعونى



أرجع الى نفسى فتركده ساعة ، وقالوا : ما أصابك يا أبا ليث ؟ قال انى لما دنوت من محمد فأردت أن أهوى بسيرفى اليه ، أهوى الى من عند رأسه شجاعان ينفخان بالنيران وتلمع من أبصارهما فعدوت فما كنت لأعود فى شىء من مساءة محمد •

ومن أعلامه أن كلدة بن أسد أبو الأشد وكان من القوة بمكان خاطر قريشا يوما فى قتل رسول الله ﷺ فأعظموا له العطاء ان هو كفاهم ، فرأى رسول الله ﷺ فى الطريق يريد المسجد ما بين دار عقيل وعقال ، فجاءه كلدة ومعهم مزارق فأهوى نحوه ومعهم المزارق فرجع المزارق فى صدره فرجع فزعا فقالت له قريش مالك يا أبا الأشد ؟ فقال ويحكم ما تزون الفحل خلفى ؟ قالوا ما نرى شيئا قال ويحكم انى أراه • فلم يزل يعدو حتى بلغ الطائف فاستهزئت به قريش • فقال أنا أعذرکم لو رأيتم ما رأيتم الهلکم •

ومن أعلامه أن أبا لهب خرج يوما وقد اجتمعت قريش فقالوا له يا أبا عتبة انك سيدنا وأنت أولى بمحمد منا وان أبا طالب هو الحائل بيننا وبينه ولو قتله لم ينكر أبو طالب ولا حمزة منك شيئا وأنت برىء من دمه ، فنؤدى نحن اللية وتسود قومك فقال فانى أكنيكم • ففرحوا بذلك ومدحته خطباؤهم فلما كان فى تلك الليلة وكان مشرفا عليه ، نزل أبو لهب وهو يصلى وتسلقت امرأته أم جميل الحائض حتى وقفت على رسول الله ﷺ وهو ساجد ، فصاح به أبو لهب فلم يلتفت اليه ، وهما كانا لا ينقلان قدما ولم يقدر على شىء حتى تفجر الصبح ، وفرغ رسول الله ﷺ فقال له أبو لهب يا محمد أطلق عنا فقال « ما كنت لأطلق عنكما أو تضمنا الى انكما لا تؤذيانى » قالوا : قد فعلنا فدعا ربه فرجعا •

ومن أعلامه أن قريشا اجتمعوا فى الحطيم فخطبهم عتبة بن ربيعة ، فقال : ان هذا ابن عبد المطلب قد نغص علينا عيشنا ، وفرق جماعتنا وبدد شمانا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا وكان فى القوم الوليد ابن المغيرة وأبو جهل بن هشام وشيبة بن ربيعة والنضر بن الحارث ومنبه

ونبيه ابنا الحجاج وأميرة وأبى ابنا خلف في جماعة من صناديد قريش فقال له قل ما شئت فانا نطيعك • قال سأقوم فأكلمه فان هو رجع عن كلامه واما يدعو اليه ، والا رأينا فيه رأينا فقالوا له شأنك يا أبا عبد شمس • فقام فقدم الى النبي ﷺ وهو جالس وحده فقال : انعم صباحا يا محمد قال يا عبد شمس ان الله تعالى قد أبدلنا بهذا السلام تحية أهل الجنة قال يا ابن أخي انى جئتك من عند صناديد قريش لأعرض عليك أمورهم ان أنت قبلتها فلك الحظ فاها ، ولنا فيها الفسحة •

ثم قال يا ابن عبد المطلب أنا زعيم قريش فيما قالت قال عليه الصلاة والسلام : قل قال : يا ابن عبد المطلب انك دعوت العرب الى أمر ما يعرفونه فاقبل منى ما أقول لك •

قال عليه الصلاة والسلام قل قال ان كان ما تدعو اليه تطلب به ملكا فانا نملكك علينا من غير تعب ، ونتزوجك فارجع عن ذلك فسكت ثم قال له : وان كان ما تدعو اليه أمرا تريد امرأة حسناء فخصن تزوجك فقال عليه الصلاة والسلام : لا قوة الا بالله ثم قال له وان كان ما نتكلم به تريد مالا أعطيناك من الأموال حتى تكون أغنى رجل في قريش ، فان ذلك أهون علينا من تشئت كلمتنا وتفريق جماعاتنا وان كان ما تدعو اليه جنونا داويناك لما تدارى قيس بن ثعلبة مجنونهم •

فسكت النبي ﷺ فقال يا محمد ما تقول ؟ ربما أرجع الى قريش ؟ فقال النبي ﷺ « حم تزيل الكتاب من الرحمن الرحيم • كتاب نصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون • بشيرا ونذيرا فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون » حتى بلغ الى قوله تعالى « فان أعرضوا فقل : أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » قال عتبة فلما تكلم بهذا الكلام كأن الكعبة مالت حتى خفت أن تمس رأسى من أعجازها وقام فزعا يجر رداءه فرجع الى قريش وهو ينتفض انتفاض العصفور ، وقام النبي ﷺ يصلى ، فقالت قريش لقد ذهب من عندنا نسطا ورجعت فزعا مرعوبا فما وراءك ؟ قال : ويحكم دعوى انه كلمنى بكلام لا أدرى منه شيئا ولقد وعرت على

الرعدة حتى خفت على نفسي ، وقتلت الصاعقة قد أخذتني فندموا  
على ذلك .

**ومن أعلامه عليه الصلاة والسلام :** أنه لما أراد الهجرة خرج من  
مكة ومعه أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فدخل غارا في جبل ثور  
ليستخفى من قريش ، وقد طلبته وبذلت لمن جاء به مائة ناقة حمراء ،  
فأعلمه الله تعالى باخفاء أثره وأنبت على باب الغار ثمامة ، وهى شجرة  
صغيرة وألهمت العنكبوت فنسجت على باب الغار نسيج سنين فى طرفه  
عين وما أحسن قول البويصرى عليه الرحمة فى ذلك .

ظنوا للحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تتسج ولم تحم  
ولسع أبو بكر رضى الله عنه هذه الليلة غير لسعة فخرق ثيابه وجعله  
فى الشقوق وسد بعضها بقدمه انتقاء لرسول الله ﷺ وأقام فيه ثلاثة  
أيام ثم خرج منه فلقبه سراقا بن مالك بن جعشم وهو من جملة من  
توجه لطلبه فقال له أبو بكر رضى الله عنه : هذا سراقا قد قرب فقال  
رسول الله ﷺ « اللهم اكفنا سراقا » فأخذت الأرض قوائم فرسه الى  
ابطها . فقال سراقا يا محمد ادع الله أن يطلقنى ولك أن أرد من جاء  
بطلبك ولا أغير عليك أبدا فقال عليه الصلاة والسلام « اللهم ان كان  
صادقا فاطلق عن فرسه » فأطلق الله تعالى عنه ، ثم أسلم سراقا وحسن  
اسلامه .

**ومن أعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه عليه الصلاة والسلام**  
انفرد فى غزوة ذى امر عن أصحابه واضطجع وحده فوقف عليه ذو عثور  
فسل سيفه وقال يا محمد من يمنعك منى ؟ فقال الله فسقط السيف من  
يده ، فأخذه رسول الله ﷺ ثم قال له من يمنعك منى ؟ قال لا أحد أشهد  
أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وعاد الى قومه يدعوهم الى  
الاسلام .

**ومن أعلامه أن الناس لما انهزموا عن رسول الله ﷺ يوم**  
حنين ، وهو معتزل عنهم رآه شيبية بن عثمان بن أبى طلحة فقال اليوم

أدرك ثأرى وأقتل محمدا لأن أباه تقتل يوم أحد في جماعة أخوته وأعمامه  
قال شيبه فلما أردت قتله أقبل شيء حتى تغشى فؤادى ، فلم أطق ذلك ،  
علمت أنه ممنوع •

ومن أعلامه أن عامر بن الطفيل وأربد بن قبيس ، وهو أخو ليبيد  
ابن ربيعة الشاعر لأمه وفدا على رسول الله ﷺ في قومهما بنى عامر ،  
فقال عامر لأربد إذا قدمنا على محمد ، فانى شاغل عنك وجهه • فاعله  
أنت بالسيف حتى تقتله • فقال أربد أفعله •

ثم أقبل عامر يمشى وكان رجلا جميلا حتى قام على رأس رسول  
الله ﷺ فقال : يا محمد مالى ان أسلمت ؟ فقال « لك ما للإسلام وعليك  
ما على الإسلام » • فقال : ألا تجعلنى الولى من بعدك ؟ قال : « ليس ذلك  
لك ولا لقومك ، ولكن لك أعنة الخيل تغزو بها » قال أو ليست لى اليوم ؟  
ولكن اجعل لى ولك المدر • قال « ليس ذلك لك » فقال : قم يا محمد  
الى ههنا فقام اليه ، فوضع عامر يده بين منكبيه ، ثم أومأ الى أربد أن  
أضرب • فسل أربد سيفه قريبا من ذراع ثم أمسك الله يده فلم يستطع  
أن يسله ولا يغمده فالتفت رسول الله ﷺ الى أربد فرآه على ما هو عليه •  
فقال : « اللهم اكفنيهما بما شئت ، اللهم اهد بنى عامر ، وأعر الذين  
عن عامر » فانطلقا وعامر يقول والله لأملأنها عليك خيلا دهما ووردا •  
فقال : عليه الصلاة والسلام : « يابى الله ذاك وأبناء قتيلة يعنى الأتصار »  
ثم قال عامر لأربد ويلك لم أمسكت عنه ؟ فقال والله ما هممت به مرة  
الا رأيتك ولا أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ؟ •

وسار فأما عامر فطرح الله تعالى عليه الطاعون في عنقه فقتله في  
بيت امرأة من بنى سلول فجعل يقول :

أغدة كغدة البكر •

في بيت امرأة من بنى سلول •

وركب فرسه فركضه حتى مات •

وأما أربد فقدم على قومه فقالوا : ما وراءك ؟ فقال : والله لقد

دعانا الى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فأرميه بنبلى هذا حتى  
أقتله • ثم خرج بعد مقالته بيوم ومعه جمال له تتبعه ، فأرسل الله  
تعالى عليه وعلى جماعته صاعقة أحرقتهم • وقيل نزلت في صاعقته  
قوله تعالى : « وهو الذى يرىكم البرق خوفا وطمعا » يعنى خوفا من  
الصواعق وطمعا فى المطر وفيه يقول لبيد بن ربيعة :

أخشى على مريد الخوف ولا	ارهب نوء السمك والأسد
كل بنى حرة مصيرهم	قل وان أكثرت من العدد
أفجعنى الرعد والصواعق بالفا	رس يوم الكريهة النجد
ان يغبطوا يهبطوا وان أمروا	يوما يصيروا للهلك والتكد



## فصل

فى ما شوهد من معجزات أفعاله عليه الصلاة والسلام

قال أبو الحسن الماوردى : ان الله تعالى قدر لعبادة أفعالا كما  
قدر لهم أجساما وأجالا انتهى الى غاية أعجزهم عن تجاوزها لتكون  
أفعالهم مقصورة على عرف مألوف وحد معروف ، يتوصلون بها الى  
مصالحهم ، فيعلموا أن ما تجاوزها أو خرج عن عرفها أنه من أفعال الله  
تعالى فيهم لا من أفعالهم فان أظهرها فى أحدهم دل على اختصاصه  
بالله تعالى دونهم ، فكان بها ممتازا ، واليه تعالى منازا ليخص بطاعة  
الهيبة كما اختص بأفعال لاهوتية فلذلك صارت الأفعال المعجزة شاهدة  
على صحة النبوة •

ومن أعلامه : ما رواه البخارى عن عبد الرحمن بن أبى عن أبى  
قال : قلت لجابر بن عبد الله حدثنى بحديث عن رسول الله ﷺ سمعت  
منه أرويه عنك • فقال جابر كنا مع رسول الله ﷺ يوم الخندق نحفر  
فلبثنا ثلاثة أيام لم نطعم طعاما ولا نقدر عليه ، فعرضت فى الخندق

كدية ، فجيئت الى رسول الله ﷺ فقلت : هذه كدية قد عرضت في الخندق ، ورششنا عليها الماء ، فقام وبطنه معصب بالحجر فأخذ المول والمسحاة ثم سمى ثلاثا ثم ضرب فعاد كثيرا • فلما رأيت ذلك منه قلت : يا رسول الله ائذن لى • فأذن لى ، فجيئت الى امرأتى فقلت : ثكلتك أمك انى رأيت من رسول الله ﷺ ما لا صبر لى عليه ، فما عندك ؟ قالت : عندى صاع من شعير وعناق • قال : فطحنا الشعير وذبحنا العناق وطبخناها وجعلناها فى البرمة وعجنا العجين •

ثم رجعت الى رسول الله ﷺ : فلبثت ساعة ثم استأذنت ثانية ، فأذن لى فجيئت • فاذا بالعجين قد أمكن فأمرتها بالخبز ، وجعات القدر على الاثافى ، ثم جيئت الى رسول الله ﷺ فساررته وقلت : عندنا طعيم لنا • فان رأيت أن تقوم معى أنت ورجل أو رجلان معك • فعلت • فقال : « ما هو ؟ وكم هو » قلت : صاع من شعير وعناق • فقال : ارجع الى أهلك • فقل لها : « لا تنزعى البرمة عن الاثافى ولا تخرج الخبز من التنور حتى أتى » ثم قال للناس « قوموا الى بيت جابر » فاستحييت حياء لا يعلمه الا الله تعالى فقلت لامرأتى : قد جاء رسول الله ﷺ بأصحابه أجمعين فقالت : أكان سألک کم الطعام ؟ قلت : نعم قالت : الله ورسوله أعلم ، قد أخبرته بما كان عندنا فذهب عنى ما أجده وقلت لها صدقت وجاء رسول الله ﷺ ودخل ثم قال لأصحابه لا تضاعطوا ثم برك على التنور والبرمة ، فجعلنا نأخذ من التنور الخبز ونأخذ من البرمة اللحم فنثرد ونعرف ونقرب اليهم فقال رسول الله ﷺ لا يجلس على الصحفة سبعة أو ثمانية ، فلما أكلوا كئسنا التنور والبرمة فاذا هم قد عادا الى أملا مما كانا عليه ، حتى شبع المسلمون كلهم ، وبقيت طائفة من الطعام فقال : أنا رسول الله ﷺ « ان الناس قد أصابتهم مخمة فكلوا وأطعموا » فلم نزل يومنا نأكل ونطعم • قال : فأخبرنى أنهم كانوا ثمانمائة ، أو قال : مئین أقل من الثمانمائة وهذا نظير معجزة عيسى عليه السلام فى المائة •

ومن أعلامه : ما رواه مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه عن

أسحق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك يقول : قال أبو طلحة لأم سليم : لقد سمعت رسول الله ﷺ ضعيفا أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شيء ؟ قالت : نعم فأخرجت أقراصا من شعير ، ثم أخرجت خمارا لها • فلفت الخبز ببعضه ، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ فوجدته في المسجد ، معه الناس فقامت عليه فقال لي رسول الله ﷺ « أرسلك أبو طلحة ؟ » قلت نعم • قال : قال « للطعام ؟ » قلت : نعم فقال لمن معه « قوموا » فانطلق وانطلقت بين أيديهم ، حتى جئت أبا طلحة فأخبرته • فقال أبو طلحة : يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ ومعه أصحابه ، وليس عندنا من الطعام ما نطعمهم • فقالت : الله ورسوله أعلم • فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ وأقبل معه حتى دخلا • فقال رسول الله ﷺ : « يا أم سليم هلمي ما عندك » فجاءت بذلك الخبر ، فأمر به ففتت وعصرت أم سليم عكة لها • ثم قال رسول الله ﷺ ما شاء أن يقول • ثم قال : « ائذن لعشرة » فأذن لهم • فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال « ائذن لعشرة » فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال « ائذن لعشرة حتى تأكل القوم وشبعوا وخرجوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلا •

والمعجز فيه مع اطعام العدد الكثير من الطعام اليسير : ما أخبر به أنس بن مالك مما جاء فيه فقد قال عليه الصلاة والسلام : « أرسلك أبو طلحة للطعام » •

**ومن أعلامه :** ما رواه أنيس بن أبي يحيى عن اسحق بن سالم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال خرج علينا رسول الله ﷺ فقال لي : « ادع لي أصحابك » يعني أصحاب الصفة • قال : فجعلت أتبعهم رجلا رجلا أو قظهم ، حتى جمعتهم فجئنا باب رسول الله ﷺ فاستأذنا • فأذن لنا • ووضعت بين أيدينا صحيفة أظن فيها صنعا قدر مد من الشعير ، فوضع رسول الله ﷺ يده • فقال « خذوا باسم الله » فأكلنا ما شئنا ، ثم رفعنا أيدينا • فقال رسول الله ﷺ حين وضعت الصحيفة « والذي نفس محمد بيده ما أسمى في آل محمد طعام غير شيء ترونه »

فقيل لابي هريرة قدر كم كانت حين فرغتم ؟ قال : مثلها حين وضعت :  
الا أن فيها أثر الأصابع •

ومن أعلامه : أنه عليه أفضل الصلاة والسلام لما حصل  
بالحديبية وهي جافة • قال للناس : انزلوا • فقالوا : يا رسول الله  
ما بالوادي ماء ننزل عليه • فأخرج سهما من كتانته فدفعه الى البراء  
ابن عازب ، وقيل الى ناجية بن جندب ، وقال : « اغرس هذا السهم  
في قلب من بعض القلب وهي جافة » ففعل فجاش الماء ونادى  
الناس بعضهم بعضا من أراد الماء فليأت • فقال أبو سفيان : قد ظهر  
في الحديبية قلب فيه ماء ثم قال لسهيل بن عمرو قم بنا الى ما فعل  
محمد فأشرفا على القلب والعيون تحت السهم ، فقالا : ما رأينا كالיום  
قط • وهذا من سحر محمد قليل •

فلما أمر رسول الله ﷺ بالرحيل قال للناس خذوا حاجتكم من  
الماء ثم قال للبراء : « اذهب فرد السهم » فلما فرغوا وارتحلوا  
أخذ البراء السهم ، فجف الماء كأنه لم يكن هناك ماء • وهذا نظيره  
ما أعطى موسى عليه السلام من الحجر الذي انفجرت منه اثنتا عشرة  
عينا •

ومثل ما روى أنه في غزوة بنى المصطلق دعا بركوة جافة ثم ثقل  
فيها ثم قلبها فتنفجرت من بين أصابعه عيون حتى شربت الخيل والابل  
وملى كل سقاء •

ومن أعلامه : أن قوما شكوا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم  
ملوحة مائهم فقام بأصحابه حتى أشرف على بئرهم فثقل فيها • ثم  
انصرف فانفجرت بالماء الزلال وكانت غائرة وأنها على حالها الى اليوم  
يتوارثها أهلها يعدونها من أعظم مفاخرهم ولما بلغ ذلك قوم مسيلمة  
الكذاب ، سألوه مثلها فثقل فيها فصار ماؤها أجاجا كبول الحمار وهي  
الى اليوم على حالها •



ونظير هذا : أنه جاءته صلى الله تعالى عليه وسلم امرأة بصبي لها قد تمعط شعره فمسح رأسه بيده ، فاستوى شعره ، فبلغ ذلك قوم مسيامة فأتوه بصبي مثله فمسح رأسه فصلح ، وبقي نسله صلحا الى وقتنا هذا قاله الماوردي .

**ومن أعلامه :** صلى الله تعالى عليه وسلم : ما رواه أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه . قال لما غزونا خيبر ومعنا من يهود فدك جماعة فلما أشرفنا على القاع اذا نحن بالوادي والماء يقلع الأشجار ويهد الجبال ، فقدرنا الماء فاذا هو أربع عشرة قامة فقال بعض الناس : يا رسول الله العدو من ورائنا ، والوادي قدامنا فنزل رسول الله ﷺ فسجد ودعا . ثم قال سيروا على اسم الله فعبرت الخيل والابل والرجال فكان الفتح والغلبة له . وهذا نظير فلق البحر لموسى عليه السلام .



## فصل

### فى

### نوع آخر

**ومن أعلامه عليه الصلاة والسلام :** ما روى الحسن أن رجلا جاء الى الانبى ﷺ فقال : انى قدمت من سفرتى فاذا بنت خماسية تدرج حولى فى وصيفها وحليها أخذت بيدها فانطلقت بها الى وادى فلان فطرحتها فيه . فقال النبى ﷺ « انطلق معى ، فأرنى الوادى » فانطلق معه الى الوادى . فقال النبى ﷺ لأبيها : « ما كان اسمها ؟ » فقال : فلانة فقال النبى ﷺ : « يا فلانة أحيى باذن الله تعالى » فخرجت الصبية ، وهى تقول : لبيك يا رسول الله وسعديك . فقال

لها : « ان أبويك قد أساءا فان أحببت أن اردك عليهما » فقالت : لا حاجة لى فيهما ، وجدت الله خيرا لى منهما • وهذا نظير ما فعله عيسى عليه السلام من احياء الموتى •

**ومن أعلامه :** أن الطفيل العامرى جاء اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فاشكى اليه الجذام ، فدعا بركوة ثم تفل فيها وأمره أن يغتسل بها فاغتسل فقام صحيحا • وأتاه حسان بن عمرو الخزاعى مجذوما ، فدعا له بماء فنقل فيه ، ثم أمره فصبه على نفسه ، فخرج من علقته ، كأن لم تكن به قط • فرجع ودعا قومه الى الاسلام فأسلموا عن آخرهم • وأتاه قيس اللخمي وهو من سادات قومه وبه بزص ، فقتل عليه ، فما بقى عليه الا مقدار الحبة وهذا نظير ما كان من عيسى ابن مريم •

ولقد أحسن البوصيرى عليه الرحمة بقوله :

وكل آى أتى الرسل الكرام بها فانما اتصلت من نوره بهم

**ومن أعلامه :** ما رواه سعيد بن أبى سعيد عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انصرف ليلة من العشاء فأضاءت له برقة ، فنظر الى قتادة ابن النعمان فعرفه • فقال : يا نبى الله كانت ليلة مطيرة فأحببت أن أصلى معك ، فأعطاه عرجونا • وقال : « خذ هذا ليضى لك ليلتك فاذا أتيت بينك فان الشيطان قد خلفك ، فانظر فى الزاوية على يسارك فدخلت فنظرت حيث قال فاذا أنا بسواد ، فعلق به حتى سبقنى »

وفى هذا الخبر معجزات من قول وفعل •

**ومن أعلامه :** أن أبا قتادة بن ربعى جاءه يوم أحد وقد انتقلت إحدى عينيه وتعلقت على وجهه • فقال : يا رسول الله صلى الله عليك ان لى امرأة وأخشى أن يثقتنى هذا عندنا فردها رسول الله ﷺ الى

موضعها فكانت أحسن عينيه • ومثله : ما رواه عورة بن الزبير أن زبيرة أسلمت فأصيب بصرها • فقالوا لها : أصابك اللات والعزى • فرد الله تعالى عليها بصرها • فقالت عظماء قريش : لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقتنا اليه زبيرة فأنزل الله تعالى قوله : « وقال الذين كفروا للذين آمنوا : لو كان خيرا ما سبقونا اليه » •

ومن أعلامه : أن جرهدا أتى رسول الله ﷺ وبين يديه طبق ، فأدنى يده الشمال ليأكل وكانت اليمنى مصابة • فنفت عليها فما اشتكاها بعد الى ساعته وأبصر عليه السلام رجلا يأكل بشماله فقال : « كل بيمينك » فقال لا أستطيع • فقال : « لا استطعت فما وصلت الى فيه بعد • كلما رفع الأثمة الى فيه ذهبت في شق آخر •

ومن أعلامه : شاة أم معبد الخزاعية وكانت مجهودة عجفاء وضراء ، فمسح رسول الله ﷺ ضرعها فدرت لبنا وامتلات سمنا ، وبقيت على حالها الى أن وانماها أجلها • وأهدت له أم شريك عكة فيها سمن ، فأخذ منه شيئا ورد العكة عليها فلم تزل العكة تصب سمنا مدة طويلة •  
الى أمثال هذا ونظائره •



## فصل

في ما سمع من معجزات أقواله عليه أفضل الصلاة والسلام

قال الماوردي والمعجز من القول هو الاخبار عن غائب لا يعلم به غير مخبره فيكون على صدقه دليلا لأن الخبر ما احتمل الصدق والكذب وحقيقة الخبر ما كان عن ماض • فأما المستقبل فيطلق اسم الخبر عليه مجازا فان أضيف المستقبل الى فعل المخبر ، كان وعدا ، يصح من نبي وغير نبي ، وان أضيف الى فعل غيره كان من الغيوب

المعجزة ولا يصح الا من نبى مبعوث ، وعن وحى منزل ، اذا تكرر عاريا  
عن الأسباب المنذرة ولئن ظهر خبر من غير نبى فهو بالاتفاق عن حدس  
وفراسة ، ان صح في خبر لم يصح في كل خبر •

**قال الماوردي : فان قيل :** فليس في ذكر ما كان ويكون اعجاز  
نبوة تقهر ولا آية رسالة تظهر ، لأن المنجمين يخبرون بذلك ، فلا يكون من  
اعجاز الانبياء وآيات ، الرسل •

### فعنه ثلاثة أجوبة :

**احدها :** أن المنجم يعمل على حساب ويرجع الى استدلال  
ولا يبتكر قولاً الا بعدهما • واخبار الرسل عن بديهة تخلو من أسباب  
وتعمرى عن استدلال •

**والثاني :** ان من خلا من علم النجوم لم يصح منه الاخبار  
عنها ، ولم يتعاط نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم علم النجوم ولا خالط  
أهلها فيكون مخبراً عنها ، فبطل أن يخبر بها الا عن علام الغيوب المطلع  
على ضمائر القلوب •

**والثالث :** أن المنجم يصيب في الأقل ويخطئ في الأكثر ويستحسن  
منه الصواب ، ولا يستقبح منه الخطأ ، واخبار الرسل كلها صدق  
ولا يتخلله كذب ، وصواب لا يعتوره زلل ، لأن الوحي من الله تعالى  
المحيط بعلم الغيوب • كما قال لنبيه « قل لا أقول لكم عندي خزائن  
الله ولا أعلم الغيب ، ولا أقول لكم : انى ملك ان أتبع الا ما يوحى الى  
قل هل يستوى الأعمى والبصير ؟ أفلا تتفكرون ؟ » وفي خزائن الله  
هنا تأويلان :

احدهما : خزائن الرزق فأغنى وأفقر •

والثاني : خزائن العذاب فاعجل وأؤخر وفي قوله « ولا أعلم الغيب »  
تأويلان :

احدهما : علم الخزائن على ما مضى من التأويلين •

الثانى : علم ما غاب عن ماضٍ ومستقبل الا أن المستقبل لا يعلمه الا الله تعالى ، ومن أطلعته عليه من أنبيائه كما قال تعالى : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول » وقال سبحانه : « او كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان انا الا نذير وبشير » وأما الماضى فقد يعلمه المخالطون من أحد وجهين : اما من مخلوق معين أو من خالق مخبر ، فكانت الأخبار المستقبلية من آيات الله تعالى المعجزة فأما الماضية فان علم بها المخبر لم تكن معجزة ، وان لم يعلم بها أحد كانت آيات معجزة • وفي قوله « ولا أقول لكم انى ملك » تأويلان :

أحدهما انه لا يقدر على ما يعجز عنه العباد ، وان قدرت عليه الملائكة •

والثانى : أنه من البشر وليس بملك ، لينفى عن نفسه غلو النصرى فى المسيح ، أو أنه ليس يملك فى السماء فيعلم الغيب الذى تشاهده الملائكة ويغيب عن البشر وان كان البشر أفضل وفى قوله : « ان اتبع الا ما يوحى » تأويلان أيضا •

احدهما : ان أخبركم الا بما يطلعنى الله تعالى عليه •

والثانى : ان أفعل الا ما أمرنى الله سبحانه به وقوله : « هل يستوى الأعمى والبصير » ؟ فإيه تأويلان أيضا :

احدهما : العالم والجاهل •

والثانى : المؤمن والكافر • فثبت بما قررناه : أن فى الأقوال معجزة كالأفعال فكانت من أعلام النبوة وآيات الرسل ونحن نذكر منها ان شاء الله تعالى ما اختص بقول الرسول ﷺ دون ما تضمنه القرآن ، لأن القرآن معجزة فى الخبر وغير الخبر •

## فصل

قد صح بروايات عديدة وطرق سديدة أنه عليه الصلاة والسلام قام مقاما أخبر فيه بما سيكون الى يوم القيامة • وما ترك شيئا مما يتعلق بالفتن ونحوها ، حفظ ذلك من حفظه ، ونسيه من نسيه وقد ثبت أن حذيفة بن اليمان كان قد أخبره رسول الله ﷺ بما يحدث من الفتن بعده ، حتى سأله عن ذلك أكابر الصحابة ورجعوا اليه • وثبت في الصحيح وغيره أن عمر بن الخطاب سأله عن الفتنة التي تموج كموج البحر فقال : ان بينك وبينها بابا • فقال عمر : هل يفتح أو يكسر ؟ فقال : بل يكسر • فعلم عمر أنه الباب وان كسره قتله • كما في الحديث الصحيح المعروف أنه قيل لحذيفة : هل كان عمر يعلم ذلك ؟ فقال : نعم كما يعلم أن دون غد الليلة وكذلك ما ثبت من اخباره عليه الصلاة والسلام لأبى ذر بما يحدث له ومن وفاته بالربذة واخباره لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه بأخبار كثيرة منها قتل أشقى الآخريين له ، وخبر ذى النديية ، وحرب صفين والجمال وقتل عمار بن ياسر وقتل الحسين ونهيه له عن الصلاة ببابل ، فانها ملعونة ، وملك بنى أمية ومروان وما صح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « زويت لى الأرض فأريت مشارقتها ومغاربها ، وسيلغ ملك أمتى ما زوى لى منها » فصدق الله تعالى خبره وحقق ما ذكره وملكت أمته اقطار الأرض ، حتى دان له بشرعه من المشرق والمغرب ، بأقصر زمن وأقل مدة • وقال عليه الصلاة والسلام لعدى بن حاتم : لا يمنعك من هذا الدين ما ترى من جهد أهله وضعف أصحابه ، فكانهم ببيضاء المدائن قد فتحت عليهم ، ولكأنهم بالطعينة تخرج من الحيرة حتى تأتى مكة بغير خفارة ، لاتخاف الا الله فأبصر عدى ذلك كله •

وغير ذلك مما لو جمع لبلغ مصنفا كبيرا مستقلا وسنذكر بعضه قريبا ان شاء الله تعالى ، وهذا لا يكون الا من اطلاع الله تعالى له على عينه وتحقيقه لوعده • فى قوله سبحانه : « ليظهره على الدين كله »

**ومن أعلامه :** ما رواه البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه قال :  
أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق فعرضت لنا صخرة عظيمة لا يأخذ  
فيها المعول ، فأخذ المعول • وقال : بسم الله وضرب ضربة • فكسر  
ثلثها • وقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام ، ثم ضرب الثانية فقطع  
ثلثا آخر وقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس ، ثم ضرب الثالثة فقطع  
بقية الحجر ، وقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن • فصدق الله تعالى  
قوله وأعطاه ما فتح له •

وروى كعب بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا فتحت  
مصر فاستوصوا بالمقبط خيرا فان لهم رحما وذمة ، يعنى أن هاجر أم  
اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام كانت منهم •

**ومن أعلامه :** أنه عليه الصلاة والسلام كتب الى كسرى كتابا  
يدعوه الى الاسلام وبدأ باسمه قبل اسمه • فلما قرأه أنف لنفسه من  
ابتدائه باسمه ، فمزق كتابه ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : « تمزق  
ملكه » ثم كتب كسرى فى الوقت الى عامله باليمن باذان ، ويكنى أبا  
مهران أن احمل الى هذا الذى يذكر أنه نبي ، وبدأ باسمه ودعانى الى  
غير دينى ، فبعث الية فيروز الديلمى مع جماعة من أصحابه وكتب معهم  
كتابا يذكر فيه ما كتب به كسرى ، فأتاه فيروز بمن معه • وقال له :  
إن ربى — يعنى كسرى — أمرنى أن أحملك اليه ، فاستنظره ليلة فلما  
كان من الغد حضر فيروز مستحيا فقال له رسول الله ﷺ : أخبرنى ربى  
أنه قتل ربك البارحة ، سلط عليه ابته شيرويه على سبع ساعات من  
الليل ، فأمسك ريثما يأتيتك الخبر ، فراع ذلك فيروز وهاله • وعاد  
فيروز الى باذان فأخبره فقال له باذان كيف وجدت نفسك حين دخلت  
اليه ، فقال : والله ما هبت أحدا قط كهيبة هذا الرجل • فقال باذان :  
ان كان ما قال حقا فهو نبي ، فلم يرعه الا ورود الخبر عليه بقتله فى  
تلك الليلة من تلك الساعة فأسلم باذان وفيروز ومن معهم من الأبناء •  
وظهر العنسى بما افتراه من الكذب ، فأرسل الى فيروز أن اقتله

قتله الله فقتله وفي الخبر من آيات الغيوب ما لا يعلمه الا الله تعالى  
أو من أطلعه عليه •

**ومن أعلامه :** أنه رأى ذراعى سراقه بن مالك بن جشعم دقيقين  
أشعرين • فقال : كيف بك اذا لبست بعدى سوارى كسرى ؟ فلما  
فتحت فارس دعاه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وألبسه سوارى  
كسرى • وقال له : قل الحمد لله الذى سلبها من كسرى بن هرمز  
وألبسها سراقه بن جشعم •

**ومن أعلامه :** ما رواه جابر بن عبد الله قال : صلى بنا رسول  
الله ﷺ ثم قال ان النجاشى أصحمة قد توفي هذه الساعة ، فاخرجوا  
بنا الى المصلى نصلى عليه • فصلى عليه وكبر أربعاً فقال المنافقون :  
انظروا الى هذا يصلى على علق نصرانى لم يره قط ، فأنزل الله تعالى :  
« وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم »  
الآية • ثم ما جاء الخبر بموت النجاشى الا من تجار وردوا من المدينة •  
ومثله ما روى أن ريحا هبت بتبوك • فقال رسول الله ﷺ :  
هذا لموت منافق عظيم ، فقدموا المدينة فوجدوا منافقا عظيم النفاق  
قد مات في ذلك الوقت •

**ومن أعلامه :** أنه عليه الصلاة والسلام قال لأصحابه : اليوم نصرت  
العرب على العجم وبى نصرورا « فجاء خبر الواقعة بذى قار • وما أدال  
الله تعالى فيه العرب من العجم ، حين قتلت فيه بنو شيبان وبكر بن وائل  
من الفرس من قتلوا • وكان أول يوم انتصف فيه العرب من العجم ،  
وجاءهم الخبر أنه كان في الساعة من اليوم الذى أخبر به رسول  
الله ﷺ •

**ومن أعلامه :** أن كشف الله تعالى له ما غاب عنه في جيش مؤتة •  
فقال لأصحابه : أخذ الراية زيد بن حارثة وتقدم فقتل شهيدا ثم أخذ  
الراية بعده جعفر بن أبى طالب وتقدم فقتل ومضى شهيدا ، ووقف وقفه •



ثم قال : وأخذ الراية بعده عبد الله بن رواحة وتقدم فقتل ومضى شهيدا لأن عبد الله بن رواحة توقف عن أخذ الراية بعد قتل جعفر زمانا • ثم أخذها • قال : ثم ارتضى المسلمون خالد بن الوليد ، فكشف العدو عنهم ، حتى خلصوا ثم مال الى بيت جعفر بن أبى طالب فاستخرج ولده ودمعت عيناه • ونعى جعفر الى أهله • وجاءت الأخبار بأنهم قتلوا في ذلك اليوم على ما وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم •

**ومن أعلامه :** قوله عليه الصلاة والسلام في ليلة الاسراء حين أصبح ، مررت بعير بنى فلان فوجدت القوم نياما وإذا اناء فيه ماء ، وقد غطوا عليه • فكشفت غطاءه وشررت ما فيه ، ورددت الغطاء كما كان وآية ذلك : أن غيرهم الآن تقبل من البيضا ثنية التنعيم ، يتقدمها جمل أورق عليه غرارتان احدهما سوداء والأخرى ورقاء ، فابتدر القوم الثنية ، فوجدوا ما وصف وسألوهم عن الاناء فوجدوا الأمر كما قال عليه الصلاة والسلام •

**ومن أعلامه :** أنه عليه الصلاة والسلام رأى عليا كرم الله تعالى وجهه في غزاة العشيرة على التراب ، ومعه عمار • فقال لهما : ألا أخبركم بأشقى الناس ؟ قالوا بلى قال : أشقى الناس أحمر ثمود عاقر الناقة ، والذي يخضب يا على هذه من هذا • وأشار الى لحيته من رأسه • وقال لعمار : تقتلك الفئة الباغية وآخر زادك من الدنيا صاع من ابن فكان من قتل ابن ملجم لعنه الله تعالى لعلى رضى الله تعالى عنه ما كان • وقتل عمار يوم صفين فلما ذكر الخبر لمعاوية لم ينكره ودفعه عن نفسه ، بان قال : انما قتله من جاء به •

ومثله ما روى أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر زيد بن صوحان فقال : زيد وما زيد ؟ يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده يوم نهاوند في سبيل الله عز وجل •

**نوع آخر من أعلامه :** أنه عليه الصلاة والسلام نزل بجيشه في غزوة تبوك على غير ماء ، وهم العدد الكثير فعطشوا فشكوا ذلك اليه

عليه الصلاة والسلام فبعث أبا قتادة وأبا طلحة وسمك بن حرشة وسعد بن عباد يلبسون الماء ، فغابوا الى قائم الظهيرة ثم رجعوا ولم يجدوا شيئاً وبلغ العطش من الناس والخيل والدواب فصلى باصحابه متيمماً فلما فرغ شكوا اليه العطش فبعث أسيد بن خضير وأسامة يلبسان الماء من الأعراب . فقال المنافقون ان محمداً يخبرنا بأخبار السماء وهو لا يدري الطريق الى الماء فأتاه جبرائيل عليه السلام فأخبره بقولهم وسماهم له ، فشكا ذلك الى سعد بن عباد . فقال سعد : ان ثقت ضريت أعناقهم . فقال : لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ولكن نحسن صحبتهم ما أقاموا معنا ثم قال لابن الهيثم ابن التيهان وأبى قتادة وسهيل بن بيضاء يستعرضون الطريق ويأخذون على الخبيث فتقفوا ساعة ، فان عجوزاً من الاعراب تمر بكم ، على ناقة لها سقاء من ماء ، فاطعموها واشتروا منها بما عز وهان ، وحيثوا بها مع الماء . فبلغوا الموضع الذى وصف لهم فاذا بالمرأة . قالوا تبيعينا هذا الماء ؟ قالت : أنا وأهلى أحوج الى الماء منكم . فطلبوا منها أن تأتي الى رسول الله ﷺ مع الماء ، فأنتت وقالت ان هذا لساحر وخير الأشياء أن لا أراه فشدوها وثاقاً حتى جاءوا بها مع الماء فلما وقفت بين يدى رسول الله ﷺ قال : خلوا عنها . وقال لها : تبيعين هذا الماء ؟ قالت ان أهلى أحوج اليه منكم قال : فأذنى لنا فيه وليعزبن كما جئت به قالت شأنكم . قال لأبى قتادة : هات الميضة فقريت اليه فحل السقاء وتفل فيه وصب فى الميضة ماء قليلاً ظننا أنه نصف الميضة فوضع يده فيه ، ثم قال : ادنوا فخذوا فجعل الماء يزيد والناس يأخذون ، حتى ما أبقوا معهم شيئاً الا ملأوه ورواهم وخايهم وابلهم والميضة ملئى ثم رد رسول الله ﷺ الستاء حتى ملأه وبقى فى الميضة ثائاه ثم توضعوا كلهم حين أصبحوا وهو يزيد ولا ينقص .

ومن أعلامه : أن ناقة له ضلت فى توجهه الى تبوك ، فتفرق الناس فى طلبها وكان عنده عمارة بن حزم وكان فى رحل عمارة زيد بن اللصيت . وكان يهودياً قد أسلم وناق . فقال زيد فى رحل عمارة بن

حزم : يزعم محمد أنه نبي يوحى اليه يخبركم خبر السماء وهو لا يدري  
أين ناقته • فقال رسول الله ﷺ ان منافقا يقول أليس محمد يزعم أنه  
نبي ويخبركم بخبر السماء ولا يدري أين ناقته • والله لا أعلم  
الا ما علمنى ربي وقد أعلمنى أنها فى الوادى فى شعب كذا ، حبستها  
سمة بزمامها فبادر الناس فوجدوها كذلك ، فأتوه بها فرجع عمارة بن  
حزم الى رحله ، وقال : لقد عجبت مما ذكر رسول الله ﷺ فقال رجل  
كان فى رحله مع زيد بن اللصيت ان زيدا قال : هذا قبل أن تطلع علينا  
فوجاً عمارة زيدا فى عنقه • وقال : انك لداهية فى رحلى اخرج يا عدو  
الله منه • ولأجل ما لقيه فى غزاة تبوك من الجهد قل عليه الصلاة والسلام  
لأصحابه ألا أبشركم ؟ قالوا بلى يا رسول الله • قال ان الله أعطانى  
الليلة الكنزين فارس والروم ، وأمدنى بالملوك ملوك حمير يجاهدون  
فى سبيل الله ، ويأكلون فى الله • فكان ذلك •

**ومن أعلامه :** أنه عليه الصلاة والسلام بعث خالد بن الوليد  
من تبوك فى أربعمائة وعشرين فارسا الى أكيدر بن عبد الملك بدومة  
الجنندل من كندة • فقال خالد يا رسول الله كيف لى به وسط بلاد كلب ،  
وانما أنا فى عدد يسير ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : ستجده بصيد  
البقر فتأخذه ، فخرج خالد حتى اذا كان من حصنه بمنظر العين فى ليلة  
قمرة صائفة ، وهو على سطح له من شدة الحر ، مع امرأته • فأقبلت  
البقر تحك بقرونها باب الحصن ، فقل أكيدر : والله ما رأيت بقرا جاءتنا  
ليلا غير هذه الليلة • لقد كتبت أضمر له الخيل اذا أردتها شهرا أو أكثر ،  
ثم نزل فركب بالرجال والآلة فلما فصلوا من الحصن وخيل خالد تنتظر  
اليهم لا يسهل منها فرس ولا يتحرك • فساعة فصل أخذته الخيل  
فاستأسر أكيدر •

**ومن أعلامه :** أنه عليه الصلاة والسلام قاضى سهيل بن عمرو  
بالحديبية حين صدته قريش عن العمرة ، وكتب بينه وبينه القضية قال  
لعللى رضى الله تعالى عنه : اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله  
سهيل بن عمرو • فقال سهيل : لو أعلم أنك رسول الله ما صددتك ولكن



ولا الهدى ولا الفلأند ولا آمين البيت الحرام» فقال له ناس من أصحابه  
هذا صاحبنا دخل بيننا وبينه • فقال : انه قد قلد •

ومن أعلامه ما روى عاصم بن عمرو بن قتادة لما رجع المشركون  
الى مكة من بدر ، قال عمير بن وهب الجمحي : قبح الله العيش بعد  
قالى بدر • ووالله لولا دين على لا أجد له قضاء وعيال لا أدع لهم  
شيئا لأدخلت الى محمد حتى أقتله • ان ملأت عيني منه قتلته ، فانه  
بلغنى أنه يطوف فى الأسواق • فقال له صفوان : دينك على وعيالك  
أسوة عيالى ، فأعد لشأنك ، فجهزه وحمله على بعير مشحذ عمير سيفه  
وسمه ، وسار الى المدينة فدخلها متقلدا ، فبصر به عمر فوثب اليه  
ووضع حمائل سيفه فى عنقه وأدخله على رسول الله صلى الله تعالى عليه  
وسلم وقال : هذا عدو الله عمير بن وهب • فقال : نأخر عنه يا عمر ،  
وقال له : ما أقدمك ؟ فقال : لفداء أسيرى عندكم • فقال عليه الصلاة  
والسلام : فما بال السيف ؟ فقال : وقبحها الله وهل أغنت من شيء وانما  
نسيته حين نزلت وهو فى رقبتى ، فقال : وما شرطت لصفوان بن أمية  
فى الحجر ؟ ففزع عمير وقال : ماذا شرطت له ؟ قال : تحملت له بقتلى  
على أن يقضى دينك ويعول عيالك • والله حائل بينك وبين ذلك • فقال  
عمير : أشهد أنك لرسول الله وأنتك صادق ، وشهد أن لا اله الا الله  
كنا نكذبك بالوحي من السماء • وهذا الحديث كان سرا بينى وبين  
صفوان • كما قلت لم يطلع عليه أحد غيرى وغيره ، فقال عمر : والله  
لأخزير كان أحب الى منه حين طلع ، وهو الساعة أحب الى من بعض  
ولدى • فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علموا أخاكم القرآن  
وأطلقوا له أسيره • فقال عمير : انى كنت جاهدا فى اطفاء نور الله ،  
وقد هدانى الله تعالى فله الحمد ، فأذن لى فالحق قريشا فادعوهم الى  
الله والى الاسلام فأذن عليه الصلاة والسلام اه ، فلدق بمكة ودعاهم  
الى الاسلام فأسلم معه بشر كثير ، وحلف صفوان أن لا يكلمه أبدا •

ومن أعلامه : ما حكاه شيبية بن عثمان بن أبى طلحة قال :

ما كان أحد أبغض الى من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكيف لا يكون كذلك ، وقد قتل منا ثمانمائة كل منهم يحمل اللواء ؟ فلما فتح الله تعالى مكة أنسيت ما كنت أتمناه من قبله ، وقلت في نفسي : قد دخلت العرب في دينه ، فمتى أدرك ثأرى منه ؟ فلما اجتمعت هوازن بخيبر قصدتهم لأجد منه غرة ، فأقنطه . فلما انهزم الناس عنه وبقي من ثبت معه جئت من ورائه ، فرفعت السيف ، حتى اذا كدت أحطه ، غشيتني فؤادى ، فرفع لى شواظ من نار فألم أطلق ذلك . فعلمت : أنه ممنوع . فالتفت الى . وقال لى : ادن ما شئت ، فقاتل . ووضع يده في صدرى ، فصار أحب الناس الى ، وتقدمت فقاتلت بين يديه . ولو عرض لى أبى لقتلته في نصرته . فأما انتضى القتال ، دخلت عليه ، فقال لى الذى أراد الله بك خير مما أردته لنفسك وحدثنى بجميع ما زورته في نفسى . فقلت : ما اطلع على هذا أحد الا الله . فأسلمت .

ومن أعلامه : ما رواه ابراهيم عن محمد بن شريحيل عن أبيه قال : كان النصر بن الحارث بن كلدة يصف عداوته لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقتله لأخيه نصر بن الحارث صبوا قال : وكنت شهدت بدرا فرأيت قلة من المسلمين وكثرة قريش ، فلما نشب القتال رأيت المسلمين أضعاف قريش فانهمزمت قريش ، ورأيت يومئذ رجالا على خيل باق بين السماء والأرض معلمين ، يأسرون ويغلبون ، فهربت مذعورا . ثم خرجت معه يوم الفتح الى هوازن لأصيب منه غرة ، فلما انهزم المسلمون صمدت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا هو في وجه العدو واقف على بغلة شهباء حوله رجال بيض الوجوه ، فأقبلت عامدا اليه . وصاحوا بى : اليك . فرعب فؤادى وارتعدت جوارحى . فقلت : هذا مثل يوم بدر ، وان الرجل لثبى حق ، وأنه معصوم . فأدخل الله تعالى في قلبى الاسلام ، ثم التقيت برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد رجوعه من الطائف . وحين رآنى قال : التضير ؟ قلت : لبيك قال وهذا خير لك مما أردت يوم حنين مما حال الله تعالى بينك وبينه .

من أعلامه : أنه قال لعمة العباس وقد أسر يوم بدر : أفد نفسك  
وابنى أخيك عقيلا ونوفلا وحليفك ، فأنك ذو مال • فقال : يا رسول  
الله انى كنت مسلما وأخرجت مكرها • فقال عليه الصلاة والسلام :  
الله أعلم باسلامك • فأين المال الذى وضعته • بمكة عند أم الفضل حين  
خرجت وليس معكما أحد وقلت ان أصبت فى سفرى فللفضل كذا وإعبد  
الله كذا ولعثمان كذا ؟ فقال : والذى بعثك ما علم بهذا أحد غيرى وغيرها  
وانى لأعلم أنك لرسول الله • ففدى نفسه وابنى أخيه وحليفه • فقال  
له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله سيعوضك خيرا ان كان  
ما قلت من اسلامك حقا • فعوضه الله تعالى ما لا جما •

**ومن أعلامه :** عليه الصلاة والسلام : ما روى أنه عايه السلام  
كان اذا أراد الذهاب الى أم فروة الأنصارية قال لأصحابه : انطلقوا  
بنا الى الشهيدة نزورها وأمر أن يؤذن لها ويقام ، وان تأم لأهل دارها  
فى الفرائض فقتلها فى أيام عمر غلام وجارية كانا لها فصاحبها عمر  
رضى الله تعالى عنه فكانا أول من صلبا فى الاسلام فقال عمر صدق  
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول : انطلقوا بنا نزور  
الشهيدة •

**ومن أعلامه :** ما روى عن عبد الله بن الزبير قال : أتيت النبى صلى الله  
تعالى عليه وسلم وهو يحتجم فلما فرغ قال : يا عبد الله اذهب بهذا  
الدم فاهرقه حيث لا يراك أحد ، فلما برز عنه عهد الى الدم فحساه ،  
فاما رجع قال يا عبد الله ما صنعت ؟ قال جعلته فى أخفى مكان ظننت  
أنه خاف عن الناس • فقال : شربت الدم ؟ قلت : نعم قال : ويل  
للناس منك • وويل لك من الناس •

الى أمثال ذلك من نظائره التى يطول الكتاب بذكرها حتى كان  
المنافقون لا يخوضون فى شىء من أمره عليه الصلاة والسلام الا أطلعه  
الله جل وعز عليه ، فكان يخبرهم به ، حتى كان بعضهم يقول لصاحبه :  
اسكت وكف فو الله لو لم يكن عنده الا الحجارة لأخبرته حجارة البطحاء •

## فصل

### فيما أكرم به من اجابة ادعيته عليه الصلاة والسلام

اعلم أن الله سبحانه وتعالى لما فضل الأنبياء على جميع خلقه بما فرض اليهم من القيام بحقه تميزوا بطلب المصلحة فخصوا باجابة الأدعية ليكون عوناً على ما كلفهم وآية على من أنكرهم ، فدخل بهذا الامتياز في أقسام الاعجاز .

فان قيل : اجابة الأدعية لا تكون معجزة للنبوة لأنه قد تجاب دعوة غير الأنبياء قيل : أدعية الأنبياء مجابة على العموم في جميعها وأدعية غيرهم ان أجيبت فهي على الخصوص في بعضها ، لأن الأنبياء ينطقون بالحق ، وغيرهم ينطقون بالحق وبغيره . فان أجيبت أدعيتهم فهي تفضل تنقف على مشيئة الله تعالى . قاله الماوردي .

ومن أعلامه : أن النبي ﷺ لما تلا « والنجم اذا هوى » قال عتبة بن أبي لهب كفرت برب النجم . فقال النبي ﷺ سلط عليه كلبا من كلابك ، يعنى الأسد فخرج عتبة مع أصحابه في غير الى الشام ، حتى اذا كانوا في طريقهم رأى الأسد فجعلت فرائص عتبة ترتعد فقال له أصحابه : من أى شىء ترعد فو الله ما نحن وأنت الا سواء ؟ فقال ان محمدا دعا على وما ترد له دعوة ولا أصدق منه لهجة فوضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه ، وحاط القوم أنفسهم بمتاعهم وجعلوه وسطهم وناموا . فجاء الأسد يستشم رعوسهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه ، فهشمه هشمة فقال وهو بأخر رمق : ألم أقل لكم ان محمدا أصدق الناس لهجة ؟ .

ومن أعلامه : أن المستهزئين به من قريش سبعة الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي والأسود بن عبد يغوث الزهري وفكيهة بن عامر الفهري والحارث بن الطلائة والأسود بن الحارث وابن عيطلة . كانوا يكثر من عليه الصلاة والسلام الاستهزاء



ويواصلون عليه الأذى وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقرأ  
الا مستترا ولا يدعو الا مستخفيا فنزل عليه قوله تعالى : « ولا تجهر  
بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا » أى لا تجهر بها فيؤذون  
ولا تخافت بها عن أصحابك فلا يسمعون ، وابتغ بين الجهر والاسرار  
سبيلا . فأذن عليه الصلاة والسلام لأصحابه حين اشتد بهم الأذى  
في الهجرة الى أرض الحبشة لأن ملكها كان منصفا ورغب الى الله أن  
يكفيه أمرهم ، فنزل عليه قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض  
عن المشركين ، انا كفيناك المستهزئين » فاصدع أى شق جماعاتهم  
بالتوحيد والصدع الصبح في كلامهم ، أى امض لما تؤمر به من ابطال  
الشرك ولا تهتم باستهزائهم « انا كفيناك المستهزئين » يعنى بما عجله  
عسبانه من هلاكهم .

أما الوليد فانه ارتدى فعلق بردائه شوكة فذهب يجلس عليه  
فقطعه أكحله فنزف فمات لوقتته .

وأما العاص فوطيء على شوكة فتساقط لحمه من عظامه فمات  
من يومه . وأما الأسود فقد كان رسول الله ﷺ دعا اليه بالعمى وثكل  
ولده ، فأتى بعض شوكة فأصاب عينه ، فسالت حدقته على وجهه وقتل  
ولده زمعة يوم بدر ، فأعمى الله بصره وأثكله ولده . وأما فكيهة فخرج  
ميريد الطائف ففقد فلم يوجد . وأما الحارث فانه خرج لبعض حوائجه  
فضربه السموم في الطريق فاسود وجهه ومات . وأما الاسود بن  
الحارث فأكل حوتا مملوفا فأصابه عطش فلم يتمالك من شرب الماء  
حتى انشق بطنه ومات . وأما عيطلة فاستسقى فمات .

ومثله ما رواه ابن مسعود رضى الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ  
فنصلى في ظل الكعبة وناس من قريش وأبو جهل قد نحروا جزورا في  
ناحية مكة ، فبعثوا فجاءوا بسلاها فطرحوه بين كتفى النبي ﷺ فجاءت  
فاطمة رضى الله تعالى عنها فطرحت عنه ، فلما انصرف عليه الصلاة

والسلام قال : اللهم عليك بقريش اللهم عليك بأبى جهل وعتبة وشيبة  
ووليد بن عتبة وأممية بن خلف وعتبة بن أبى معيط • قال عبد الله بن  
مسعود : فلقد رأيتهم قتلنى فى قلب بدر •

**ومن أعلامه :** عليه الصلاة والسلام : أن النضر بن الحارث لما  
كتب الصحيفة التى علقها المشركون فى الكعبة على بنى هاشم ، وتعاهدوا  
على أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ، دعا عليه النبى ﷺ فشل بعض  
أصابعه التى كتب بها •

**ومن أعلامه :** عليه الصلاة والسلام : أن خباب بن الأرت أتاه  
حين اشتد الأذى من قريش ، فقال : يا رسول الله ادع لنا ربك أن  
يستتصر لنا على مضر ، فقال : انكم تعجلون • لقد كان الرجل من قبلكم  
يمشط بأمشاط الحديد حتى يخلص الى ما دون عظمه من لحم أو عصب  
ويشق بالمنشار ولا يرده ذلك عن دينه ، وانكم لتعجلون • والله ليمضى  
هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا  
الله ، أو الذئب على غنمه • ثم دعا عليهم فقال : اللهم اشدد وطأتك على  
مصر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فقطع الله عنهم المطر ، حتى  
مات الشجر ، وذهب الثمر وأجدبت الأرض ، وماتت المواشى ، واكثروا  
القد وأكلوا العلهز ، فلما انتهت بهم الموعظة استعطفوه ، فعطف ورغب  
الى الله تعالى فمطروا •

**ومن أعلامه :** صلى الله تعالى عليه وسلم : ما رواه ابن عباس  
قال : قيل لعمر حدثنا عن شبان جيش العسرة فقال عمر رضى الله تعالى  
عنه : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى قيظ شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه  
عطش شديد ، حتى خشينا أن تنقطع ركابنا • فكان الرجل يذهب  
ليلتمس الماء ، فلا يرجع حتى يظن أن رقبتة ستقطع ، حتى كان الرجل  
ينحر بغيره فيعصر فرثه فيشربه ، ثم يجعل ما بقى على صدره ، فقال  
أبو بكر : يا رسول الله ان الله قد عودك فى الدعاء خيرا ، فادع الله لنا •

قال : أتنب ذلك ؟ قال : نعم • فرفع رسول الله ﷺ يده فلم يرجعها حتى مالت السحاب ، فأظلت وأمطرت ، ثم مطرت فحملوا بها معهم ، فذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر •

**ومن أعلامه :** ما رواه مسلم عن أنس بن مالك قال : أتى أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله لقد أتيتك وما لنا بغير يئط ولا صبي يصطبح ، ثم أنشد •

أتيناك والعذراء تدمى لبانها وقد شغلت أم الصبي عن الطفل  
والقى بكفيه الصبي استكانة من الجوع ضعفا ما يمر ، وما يحاي  
ولا شيء مما يأكل الناس عندنا سوى الحنظل العامي والعلهز الغشل  
وليس لنا الا اليك فرارنا وأين فرار الناس الا الى الرسل؟

فقام رسول الله ﷺ يجر رداءه ، حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال اللهم استقنا غيثا مغيثا سريحا طبقا غير رائث ينبت به الزرع ويملا به الضرع ، ويحيى به الأرض بعد موتها « وكذلك تخرجون » فما استمر الدعاء ، حتى ألفت السماء بأودقها فجاء أهل البطانة يضحون يا رسول الله العرق • فقال : حوالينا ولا علينا • فانجاب السحاب عن المدينة كالاكيل فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه • وقال : لله در أبي طالب لو كان حيا لقرت عيناه من الذي ينشدنا شعره؟ فقام على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه فقال : يا رسول الله كأنك أردت قوله :

وأبرض يستسقى الغمام بوجهه ربيع الينامي عصمة للأرامل  
تلوذ به الهالك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل  
كذبتم وبيت الله يدمى محمد ولما نقاتل دونه وتناضل  
ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقام رجل من كنانة وأنشد :

لك الحمد والحمد ممن شكر سقينا بوجه النبي المظر

دعا الله خالقه دعوة  
فلم يك الا كالقضاء الرداء  
وفاق العزالي جم النفاق  
وكان كما قاله عمه  
به الله يسقى صوب الغمام  
وأشخص منه اليه البصر  
وأسرع حتى رأينا الدرر  
أغاث به الله علينا مضر  
أبو طالب أبيضاً ذا غرر  
وهذا العيان لذلك الخبر

فقال رسول الله ﷺ : ان يك شاعر يحسن فقد أحسنت •

ومن شبه هذا : ما أظهره الله تعالى من كرامته في عمه العباس  
رضي الله تعالى عنه • حين استسقى به عمر بن الخطاب رضي الله تعالى  
عنه فدعا العباس وأمنت الصحابة والناس فامطرت السماء مطراً  
عظيماً •

ومن أعلامه : صلى الله تعالى عليه وسلم ما روى أن أسماء  
بنت عميس قالت لفاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها : ان على بن أبي  
طالب كان عند النبي ﷺ ، وقد أوحى اليه فجعله بثوبه ، فلم يزل  
كذلك حتى أدبرت الشمس أو كادت تغيب ، ثم انه سرى عن رسول الله  
ﷺ فقال : أصليت يا على ؟ قال : لا قال : اللهم رد على على الشمس  
فرجعت الشمس أو وقفت ، حتى صلى على كرم الله تعالى وجهه

وهذه مثل ما وقع ليوشع بن نون •

ومن أعلامه : عليه الصلاة والسلام : ما روى عن على بن أبي  
طالب كرم الله وجهه ، قال : بعثني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم  
الى اليمن ، فقلت : يا رسول الله تبعثني وأنا حدث السن لا علم لي  
بالقضاء ؟ قال : انطلق ، فان الله يهدي قلبك ويثبت لسانك • قال على  
رضي الله تعالى عنه : فما شككت في قضاء بين اثنين ولذا قال ﷺ :  
« أقضاكم على »

ومثله قوله عليه الصلاة والسلام لابن عباس رضي الله تعالى عنهما

وهو يومئذ غلام : اللهم فقته في الدين وعلمه التأويل ، فخرج أفقه  
الناس في الدين وأعلمهم بالتأويل حتى سمي البحر لسعة علمه •

**ومن أعلامه :** ما رواه أبو العالية عن أبي هريرة رضى الله تعالى  
عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ بتميرات فقلت : ادع لى بالبركة فيهن  
فوضعهن على يدي ثم دعا بالبركة فيهن ، ثم قال : أجولهن في المزود ،  
فاذا أردت شيئاً فأدخل يدك فيه ولا تتشره ، قال قتال أبو هريرة : فلقد  
حملت من ذلك التمر كذا وكذا وسقنا في سبيل الله تعالى ، وكنا نأكل منه  
ونطعم ، وكان لا يفارق حقوى ، فلما كان يوم قتل عثمان انقطع فذهب

**ومن أعلامه :** ما في صحيح مسلم عن أبي هريرة أو أبي سعيد  
بالشك أنهم كانوا مع النبي ﷺ في غزاة تبوك فأصابتهم مجاعة ، فدعا  
النبي ﷺ بنطع ، فبسطه ، ثم دعا بفضل أزوادهم ، فجعل الرجل يجيء  
بكف ذرة ، وجعل الآخريجيء بكف تمر ، وجعل الآخريجيء بكسرة ،  
حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير ، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ،  
ثم قال : خذوا في أوعيتكم • فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في  
العسكر وعاء الا ملأوه ، فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة • فقال  
رسول الله ﷺ أشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله لا يلتقى الله  
بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة •

**ومن أعلامه :** ما رواه جعيل الأشجعي قال : غزوت مع رسول  
الله ﷺ في بعض غزواته • فقال : سر يا صاحب الفرس • فقلت :  
يا رسول الله هي عجفاء ضعيفة فدفع مخفقة في يده فضربها بها • وقال :  
اللهم بارك له فيها • فلقد رأيتنى ما أمسك رأسها أن تقدم الناس ،  
ولقد بعث من بطنها الجمل الكثير •

**ومن أعلامه :** ما روت عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : قدم  
رسول الله ﷺ المدينة وهي أوبأ أرض فيه • فقال عليه الصلاة والسلام :  
اللهم حبب الينا المدينة كما حبيت اليينا مكة وصححها لنا وبارك في  
صاعها ومدما وانقل حماها الى الجحفة • فصارت كذلك •

**ومن أعلامه عليه الصلاة والسلام :** ما ذكره شيخ الاسلام في اقتضاء الصراط المستقيم أنه دعا الأئمن بن مالك أن يكثر الله تعالى ماله وولده فكان نخله يحمل في السنة مرتين خلاف عادة بلده ورأى من ولده وولد ولده أكثر من مائة فان مثل هذا الحادث يعلم أنه كان بسبب ذلك الدعاء .

**ومن أعلامه :** انه عليه الصلاة والسلام أخذ يوم بدر كفنا من حصى وتراب ورمى به في وجوه القوم ، وقال : شأهت الوجوه فتفرق الحصى في المشركين ، ولم يصب ذلك الحصى والتراب أحدا الا قتل أو أسر ، وفيه نزل قوله سبحانه « فَم تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِن الله قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِن الله رَمَى » .

**ومن أعلامه أن الطفيل بن عمرو الدوسى قدم مكة وكان شاعرا لبيا فقالت قريش له : احذر محمدا فان قوله كالسحر يفرق بين المرء وزوجه . فأتاه في بيته وقال يا محمد أعرض أمرك ، فعرض عليه الاسلام وتلا عليه القرآن فأسلم وقال : يا رسول الله انى امرؤ مطاع في قومه ، وانى راجع اليهم وداعيهم الى الاسلام ، فادع الله تعالى أن يجعل لى آية تكون عوننا عليهم . فقال اللهم اجعل له آية فخرجت حتى اذا كنت بالثنية وقع نور بين عيني مثل المصباح ، فقلت : اللهم في غير وجهى ، أخشى أن يظنوا بى أنها مثلة ، فتحول فوقع في رأس سوطى فجعل الحاضرون يرون ذلك النور في سوطى كالتنديل المعلق ، وأنا أهبط من الثنية ، ثم دعوت رؤساء قومه الى الاسلام فأبطاءوا فجئت رسول الله ﷺ بمكة . فقلت : يا رسوال الله انهم قد غلبونى على دوس ، فادع الله تعالى عليهم فقال : اللهم اهد دوسا ارجع الى قومك فادعهم الى الله تعالى وارفق بهم ، فرجعت اليهم فلم أزل بأرض دوس أدعوهم حتى أسلموا .**

**ومن أعلامه :** ما رواه أبو نهيك الأزدى عن عمرو بن اخطب

استسقى رسول الله ﷺ فأتيته باناء فيه ماء وفيه شعرة فرفعتها فناولته ثم قال : اللهم جملة • قال : فرأيته بعد ثلاث وتسعين ما في رأسه ولحيته شعرة بيضاء ، ونهى رسول الله ﷺ أن يعقص الرجل شعره في الصلاة فرأى رجلا يعقص شعره في الصلاة • فقال : قبح الله شعرك • فصلع مكانه •



## فصل

### في انذاره عليه الصلاة والسلام بما يحدث بعده

روى فضالة بن أبي فضالة الأنصاري قال : خرجت مع أبي الى ينبع عاملا لعلى رضى الله تعالى عنه وكان بها مريضا فقال له أبى : يا أبا الحسن ما يقيمك بهذا البلاد ؟ لا آمن أن يصيبك أجلك ، ولا يكن أحد إليك الا أعراب جهينة ، فان احتمات الى المدينة ، فان أصابك أجلك وليك أصحابك وصلوا عليك • فقال : يا أبا فضالة أخبرنى حبيبنى وابن عمى رسول الله ﷺ أنى لا أموت حتى أوامر ولا أموت حتى أقتل الفئة الباغية ، ولا أموت حتى تخضب هذه من هذا الدم ، وضرب على لحيته وهامته قضاء مقضيا وعهدا معهودا وقد خاب من افترى •

ومن انذاره : ما رواه أبو سلمة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : دخل رسول الله ﷺ بمارية القبطية في بيت حفصة بنت عمر رضى الله تعالى عنه • ، فوجدتها معه تضاحكه • فقالت : يا رسول الله في بيتى من دون بيوت نساءك ؟ قال : فانها على حرام أن أمسها • ثم قال لها يا حفصة ألا أبشرك ؟ قالت : بلى بأبى أنت وأمى • قال : يلى هذا الأمر من بعدى أبو بكر ثم يليه من بعد أبى بكر أبوك • اكتمى هذا على ، فخرجت حتى دخلت على عائشة فقالت لها : ألا أبشرك

يا ابنة أبى بكر ، فقالت : بماذا ؟ فذكرت ذلك لها • وقالت : قد استنكمتنى  
فاكتميه ، فأنزل جل وعز « يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ؟ »  
ولعل لنا عودة الى الكلام على هذه الآية الكريمة فى محله أيضا ان شاء  
الله تعالى فلا تغفل •

**ومن انذاره :** ما رواه عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما  
قال : كنت قاعدا عند رسول الله ﷺ اذ أقبل عثمان فلما دنا منه •  
قال : يا عثمان تقتل وأنت تتقرأ سورة البقرة نتقع قطرة من دمك على  
« فسيكفيهم الله » يغبطك أهل المشرق والمغرب ، وتبعث يوم القيامة  
أميرا على كل مخذول •

**ومن انذاره :** ما رواه جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ :  
من أحب أن ينظر الى شهيد يمشى على وجه الأرض فليُنظر الى طلحة  
ابن عبيد الله •

**ومن انذاره** عليه الصلاة والسلام أنه قال لفاطمة رضى الله تعالى  
عنها : انك أول أهل بيتى لحاقا بى • ونعم السلف أنالك ، فكانت أول  
من مات بعده من أهل بيته •

**ومن انذاره :** ما رواه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال :  
قال رسول الله ﷺ لنسائه : ليت شعرى أيتكن راكبة الجمل الأريب  
تخرج فتنبجها كلاب الحوآب ، يقتل عن يمينها ويسارها قتلى كثير ،  
تتجو بعد ما كادت تقتل ، فقيل ان عائشة رضى الله تعالى عنها وصلت  
الى مياه بنى عامر ليلا فنبجتها كلاب • فقالت : ما هذا ؟ قالوا الحوآب •  
قالت : ما أظننى راجعة ان رسول الله ﷺ قال لنا ذات يوم كيف  
باحداكن اذ نبج عليها كلاب الحوآب •

**ومن انذاره** ما رواه ثابت عن الحسن البصرى قال : كان الحسن بن على



رضى الله عنهما يجرى ورسول الله ﷺ ساجد فيجلس على عنقه فاذا أراد أن يرفع رأسه أخذه فوضعه في حجره ، ثم قال : ان ابني هذا سيد ، وان الله تعالى سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، فكان الأمر كذلك .

**ومن انذاره :** ما رواه عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : دخل الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما على رسول الله ﷺ وهو يوحى اليه فبرك على ظهره وهو منكب ولعب على ظهره . فقال جبرائيل : يا محمد ان امك ستقتن بعدك ويقتل ابنك هذا من بعدك ومد يده فأتاه بتربة بيضاء ، فقال : في هذه الأرض يقتل ابنك . هذا اسمها الطف ، فلما ذهب جبرائيل عليه السلام خرج رسول الله ﷺ الى أصحابه والتربة في يده ، وفيهم أبو بكر وعمر وعلى وحذيفة وعمار وأبو ذر رضى الله عنهم وهو يبكي فقالوا : ما يبكيك يا رسول الله ؟ فقال : أخبرنى جبرئيل أن ابني الحسين يقتل من بعدى بارض الطف فجاعنى بهذه التربة وأخبر أن فيها مضجعه .

**ومن انذاره عليه الصلاة والسلام :** ان الحجاج لما قتل عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما دخل على أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما فقال لها : ان أمير المؤمنين أوصانى بك فهل لك من حاجة ؟ قالت : مالى من حاجة لكن انتظرنى حتى أحدثك شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ سمعته يقول : يخرج من ثقيف كذاب ومبير ، أما الكذاب فقد رأيناه تعنى المختار ، وأما المبير فأنت . فقال الحجاج : أنا مبير المنافقين .

**ومن انذاره :** ما رواه عبد الملك بن عمير قال : قال معاوية رضى الله تعالى عنه والله ما حملنى على الخلافة الا قول رسول الله ﷺ يا معاوية اذا وليت فأحسن .

**ومن انذاره ما :** رواه عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما

عن أبيه أن النبي ﷺ نظر إليه مقبلا فقال : هذا عمى أبو الخلفاء  
الأربعين أجود قریش كفاران من ولده السفاح والمنصور والمهدى ،  
يا عم بى فتح الله تعالى هذا الأمر ويدخل فى ولدك •  
الى أكثر من نظائر هذا تركناه خشية السامة •



## فصل

### فى

### معجزة ما ظهر من البهائم

إذا كان الاعجاز خارقا للعادة لم يمتنع فيه ظهور ما خالفها ،  
وإذا كانت البهائم مسلوقة الأفهام مفقودة الكلام ، فليس بمستكثر  
اذ أراد الله تعالى بها اظهار معجزات يعطيها من المعرفة أن تنطق بما  
ألهما وتخبر بما علمها ثم يسلبها ذلك ، فتعود الى طبيعتها كمعجزة  
موسى عليه السلام فى العصا ، أن صارت حية تسعى لتكون باهر  
الآيات قاهر المعجزات •

فمن آياته : أن رجلا كان فى غنمه يرعاها فعلقها ساعة فغفل عنها  
ساعة من نهاره فخاتله ذئب فأخذ منها شاة فأقبل يلهف فطرح الذئب  
الشاة ثم كلمه بكلام فصيح فقال الرجل : تا الله ما رأيت كاليوم عجبا  
فكلمه الذئب وقال أنتم أعجب وفى شأنكم عبرة ، ، هذا محمد يدعو  
الى الحق ببطن مكة وأنتم لاهون عنه ؟ فهدى الرجل لرشده وأقبل  
حتى أسلم وحدث القوم بقصته وبقي لعقبه شرف يفخرون به على  
العرب ، ويقول مفتخرهم : أنا ابن مكلم الذئب •

ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم : ما رواه أبو سعيد

الخدري رضى الله تعالى عنه قال : بينا راع يرعى في الحيرة اذ جاء ذئب الى شاة من غنمه فانتهزها فحال الراعى بين الذئب والشاة ، فألقى الذئب على ذنبه وقال للراعى : ألا تتقى الله ؟ تحول بينى وبين رزق ساقه الله الى ؟ فقال الراعى العجب من ذئب يقمى على ذنبه يكلمنى بكلام الانس ، فقال له الذئب لا أحدثك بأعجب من هذا ؟ هذا رسول الله بين الحيرتين يحدث الناس بأنباء ما سبق ، فأخذ الراعى الشاة فأتى بها المدينة وأتى الى رسول الله ﷺ فأخبره ، فخرج الى الناس وقال للراعى : قم وحدثهم • فقام فحدثهم فقال صدق الراعى وكان اسمه عمير الطائى ، فسمى بمكلم الذئب •

أقول : لعله يختلج في ذهن نصرانى وشبهه ان هذه الرواية ونحوها يمكن اخذها ، ويمكن أن ذلك تعليم لهذا الراعى أن يقول كذا ، فنقول له : ان هذا الاختلاج من أبعد ما يكون لأن هذه الروايات لتعددتها يقوى بعضها بعضا ، فهى من حيث المجموع مفيدة للتواتر المفيد للعلم ، فانكارها مكابرة وكذا مظنة التعليم والمواطأة كما لا يخفى على كل منصف وهذا عيسى عليه السلام لم يأتنا بخبر معجزاته بعد القرآن الا آحاد ممن اتبعه ، كأصحاب الأتاجيل فقط • وحال أناجيلهم معلومة وأكثر رواياتها عن امرأة أو عن رجل واحد ، مع أن اليهود قالوا ان ابراهه للمتعذر ونحوه لم يكن صحيحا ، بل كان مواطأة وتعليل لشخص أن يظهر حاله كذلك ، ثم يأتية ويقول له : قم فيقوم ، فترى الناس أنه أبراه • فكل من أنكر معجزات الرسل يتشبهت بمثل هذه الظنون الواهية والاحتمالات البعيدة العاطلة ، فنعوذ بالله تعالى من الخذلان ونسأله سبحانه دوام كامل الايمان آمين •

ومن آياته : ما روى ابن عمر عن أبيه رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ كان في محفل من أصحابه اذ جاء أعرابى قد صاد ضبا وجعله في كفه ليذهب به فيأكله ، فلما رأى الجماعة قال : ما هذا ؟ فقالوا النبى ﷺ فجاء يشق الناس وقال واللات والعزى ما أحد أبغض

الى منك ، ولولا أن تسميني قومي عجولا لعجلت ففتنتك • فقال عمر  
رضى الله عنه : يا رسول الله دعنى أقوم فأقتله • فقال : يا عمر أما  
علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا • ثم قال للأعرابي : ما حملك على  
ما قلت ؟ فقال واللات والعزى لا أومن بك حتى يؤمن بك هذا الضب •  
فأخرج الضب من كفه فطرحة بين يدي رسول الله ﷺ فقال عليه  
الصلاة والسلام : يا ضب • فأجابه الضب بلسان عربى مبين يسمعه  
القوم جميعا : لبيك وسعديك يا زين من يوافى يوم القيامة • قال : من  
تعبد ؟ قال : الذى فى السماء عرشه وفى الأرض سلطانه ، وفى الجنة  
رحمته ، وفى النار عقابه • قال رسول الله ﷺ : فمن أنا يا ضب ؟ قال :  
أنت رسول رب العالمين وخاتم النبيين ، قد أفلح من صدقك وقد خاب من  
كذبك • فقال الأعرابي لا أتبع أثرا بعد عين ، والله لقد جئتكم وما على  
ظهر الأرض أحدا أبغض الى منك ، وانك اليوم أحب الى من نفسى  
ومن ولدى ووالدى ، وانى لأحبك بداخلى وخارجى وسرى وعلانيتى ،  
أشهد أن لا اله الا الله وأنت رسول الله • فقال النبى ﷺ : الحمد لله  
الذى هداك بى ، ان هذا الدين يعلو ولا يعلى فرجع الأعرابي الى  
قومه ، فأخبرهم بالقصة ، وكان من بنى سليم ، فأتى رسول الله ﷺ  
ألف انسان منهم فأمرهم أن يكونوا تحت راية خالد بن الوليد ، ولم  
يؤمن من العرب ألف فى وقت واحد غيرهم • هذه واقعة مشهورة لا ينكرها  
الا مكابر •

**ومن آياته عليه الصلاة والسلام :** ما رواه أنس بن مالك رضى  
الله تعالى عنه قال : دخل رسول الله ﷺ حائطا للأنصار ومعه أبو بكر  
رضى الله تعالى عنه وغيره ، وفى الحائط — أى البستان — عنز فسجدت  
له ، فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : يا رسول الله كنا نحن أحق  
بالسجود لك من هذه العنز فقال : أنه لا ينبغي أن يسجد أحد لأحد ،  
ولو جاز السجود لغير الله تعالى لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها •

**ومن آياته** ما رواه عبد الله بن أبى أوفى قال : بينما نحن قعود  
عند رسول الله ﷺ إذ أتاه آت فقال يا رسول الله ناضح بنى فلان قد

دبر عليهم • قال : فنهض ونهضنا معه • فقلنا : يا رسول الله لا تقربه فاننا نخاف عليك ، فدنا من البعير ، فلما رآه البعير سجد له ، فوضع يده على رأس البعير ، وقال : هات السكان فوضعه في رأسه وأوصى به خيرا •

**ومن آياته :** أنه عليه الصلاة والسلام بينما هو جالس في أصحابه إذا هو بجمل قد أقبل له رغاء ، فوقف • فقال رسول الله ﷺ : أتدرون ما يقول هذا ؟ انه ليقول : انى الأكل فلان لحى من الخزرج استعملونى وكدونى حتى كبرت وضعفت ، فلما لم يجدوا فى حيلة يريدون ذبحى ، فأنا أستغيث بك منهم ، فأوقفه رسول الله ﷺ وبعث اليهم فاستوهبه منهم فوهبوه وخلاه فى الحى •

**ومن آياته :** ما روى جبير بن مطعم رضى الله تعالى عنه قال : كنا جلوسا عند صنم لنا قبل أن يبعث رسول الله ﷺ بشهر فنحرقنا جزورا فسمعنا صائحا يصيح : اسمعوا الى العجب ذهب استراق السمع فلنبنى بمكة اسمه أحمد ، مهاجرته الى يثرب • فكان هذا الأمر من الآيات الخدرة والآثار المبشرة به ﷺ •

**ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم :** ما رواه برذة عن مكحول رضى الله عنه قال : بينا أهل ذريح حى من العرب عرب اليمن فى مجلسهم اذ أقبل عجل فتبسم فقال : أهل ذريح ، أمر نجيح ، ببطن مكة يصيح ، بلسان فصيح ، شهادة أن لا اله الا الله • فأجيبوه •

**فان قيل :** فيجوز أن يكون ما يسمع من كلام البهائم كالصدى يحكى كلام المتكلم فيظنه السامع كلام الصدى • وهو كلام المتكلم ويكون بقوة يحدثها الله تعالى فى المتهيبىء لذلك يخفى عن الأسماع والأبصار •

**فمنه جوابات :**

أحدها : أن الصدى يحكى كلاما مسموعا اذا قابله قبل صوته

فحكاه وليس كلام البهيمة مقابلا لكلام يحكيه فامتنع التشاكل •

والثانى : أن القوة المهيأة لذلك ليست من جنس قوى البشر فلا يكون فى التفاضل اعجاز ، وانما هى خارجة عن جنس قواهم فخرج عن قدرتهم ، وما خرج عن قدرة البشر كان معجزا ، لو صح هذا الاعتراض لبطل به الاعتراض •



## فصل

### فى

**ظهور معجزه صلى الله تعالى عليه وسلم من الشجر والجماد**

ولئن كانت المعارف من الجمادات أبعد ، والكلام منها أغرب فليس بمستبعد ولا مستغرب أن يحدث الله تعالى فيها من الآيات الخارجة عن العادة ما يحجج الله سبحانه به من استبصر ويمد به من استنصر •

**فمن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم :** ما حكاه أهل النقل عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه خطب على الناس خطبته المعروفة بالفاضحة فقال فيها : الحمد لله الذى هو العالم بمضمرات القلوب ومحجوبات الغيوب ، أيها الناس اتقوا الله ولا تكونوا لنعمة عليكم أصدادا ولا لفضله عندكم حسادا ، ولا تطيعوا أساس الفسوق وأحلاس العقوق ، فان الله تعالى مختبر عباده المستكبرين فى أنفسهم بأوليائهم المستضعفين فى أعينهم ، ألا ترون أنه اختبر الأولين من لدن آدم الى الآخرين من هذا العالم بأنواع الشدائد وتعبدهم بألوان المجاهد ليجعل ذلك أبوابا ، فتحا الى فضله وأسبابا ذللا لعفوه ، فاحذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثالات بسوء الأفعال وذميم الأعمال ، أن تكونوا أمثالهم •

فلقد كانوا على أحوال مضطربة وأيدي مختلفة وجماعة متهرقة في بلاء  
أزلي واطباق جهل ، من بنات موعودة وأصنام معبودة وأرحام مقطوعة  
وغارات مشنونة • فانظر الى مواقع نعم الله تعالى عليهم حين بعث  
اليهم رسولا كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها وأسالت لهم  
جداول نعيمها ، فهم حكام على العالمين وملوك في أطراف الأرضين ،  
يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم ، ويمضون الأحكام على من  
كان يمضيها فيهم ولقد كنت مع رسول الله ﷺ وقد أتاه الملائكة من  
قريش فقالوا يا محمد انك قد ادعيت عظيما لهم تدعه آباؤك ولا أحد  
من أهل بيتك ونحن نسألك أمرا ان أجرتنا اليه وأريتناه علمنا انك  
نبي ورسول ، وان لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب • قال لهم وما  
تسألون ؟ قالوا : تدع لنا هذه الشجرة حتى تتقلع بعروقها وتقف بين  
يديك • فقال ﷺ : ان الله على كل شيء قدير ، فان فعل الله ذلك لكم  
أتؤمنون وتشهدون بالحق ؟ قالوا : نعم • قال : فاني سأريكم ما تطلبون  
واني لأعلم أنكم لا تفيئون الى خير وان منكم من يطرح في القلب ومن  
يحزب الأحزاب •

ثم قال عليه الصلاة والسلام : يا أيها الشجرة ان كنت تؤمنين  
بالله واليوم الآخر وتعلمين أني رسول الله فتنقلعي بعروقك حتى تقفي  
بين يدي باذن الله تعالى •

قال علي كرم الله تعالى وجهه : فو الذي بعثه بالحق لقد انقلعت  
بعروقها وجاءت ولها دوى شديد حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ  
مرفرفة وألقت بغصنها الأعلى عليه وبيعض أغصانها على منكبي وكنت عن  
يمينه فلما نظر القوم الى ذلك قالوا علوا واستكبارا : فمرها فليأتك نصفها  
ويبقى نصفها • فأمرها بذلك فأقبل نصفها كأعجب ما يكون اقبالا وأشدّه  
دويا فكادت تلتفت برسول الله ﷺ فقالوا كفرا وعتوا : فمر هذا  
النصف فليرجع الى نصفه كما كان ، فأمره فرجع ، فقلت لا اله الا الله  
أنا أول مؤمن بك يا رسول الله ، وأول من آمن بأن الشجرة قلعت بأمر

الله تصديقا لنبوتك واجلالا لكلمتك • فقال القوم كلهم : بل ساحر كذاب عجيب السحر ، وهل يصدقك الا مثل هذا ؟ يعنونى •

وهذا حكاة خطيبا عبي الأئساد ، وقل أن يخاو جمع مثله ممن يعرف حق ذلك من باطله • فكانوا بالموافقة مجمعين على صحته ، ولولاه لظهر الرد وان ندر ، وهذا من أبلغ آياته واطهار اعجاز له عليه الصلاة والسلام •

**ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم :** ما رواه عبد الله بن بريدة عن أبيه قال جاء أعرابي الى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد هل من آية فيما تدعو الياه ؟ قال : نعم ائت تلك الشجرة فقل لها رسول الله يدعوك • فمالت عن يمينها ويسارها وبين يديها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الأرض حتى وقفت بين يديه ، فقال الأعرابي : مراها فلترجع الى منبتها فأمرها فرجعت الى منبتها وقال الأعرابي : ائذن لى اسجد لك فقال : لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها قال فأذن لى أن أقبل يديك ورجليك فأذن له •

**ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم :** ما رواه يعلى بن شبابة قال : كنت مع رسول الله ﷺ فى سير فأراد أن يتقضى حاجته فأمر ودتين فانضمت احدهما الى الأخرى ثم أمرهما بعد قضاء حاجته ان يرجعا الى منبتهما فرجعنا •

**ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم :** ما رواه على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى مكة فخرج فى بعض نواحيها ، فما استقبله شجر ولا جبل الا قال السلام عليك يا رسول الله •

**ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم :** أنه مر فى غزوة الطائف فى كثيف من طلع ، فمشى وهو وسن من النوم ، فاعترضته سدرية



فانفجرت السدرة له نصفين ، فمر بين نصفيها • قال الماوردي : وبقيت السدرة منفرجة على ساقين الى قريب من أعصارنا هذه • وكانت معروفة بذلك في مكانها ، ويسمونها سدرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم •

**ومن آياته عليه الصلاة والسلام :** ما رواه سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : سعد النبي ﷺ حراء ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن والزبير وطلحة وسعيد ، فتحرك الجبل • فقال النبي ﷺ : اسكن حراء ، فليس عليك الا نبي أو صديق أو شهيد فسكن الجبل •

**ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم :** ما رواه جابر بن عبد الله قال : كان في رسول الله ﷺ خصال لم يكن يمر في طريق فيتبعه أحد الا عرف أنه قد سلكه من طيب عرقه ، ولم يكن يمر بحجر ولا شجر الا سجد له •

**ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم :** ما رواه ثابت عن أنس رضى الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ فأخذ كفا من حصي فسبحن في يده حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن في يده ، حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في أيدينا ، ، فما سبحن في أيدينا •

**ومن آياته عليه الصلاة والسلام :** ما رواه جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ انى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على •

**ومن آياته عليه الصلاة والسلام :** أن عكاشة بن محصن انقطع سيفه بيده يوم بدر ، فدفع اليه رسول الله ﷺ قطعة من خشب ، وقال : قاتل بها الكفار يا عكاشة فتحولت سيفا في يده فكان يقاتل به •

**ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم :** جذع كان يستند اليه

فلما اتخذ منبرا تحول عن الجذع اليه فحن اليه الجذع حتى ضمه اليه ، فسكن • وهذا أمر مشهور بين الصحابة •

**ومن آياته عليه الصلاة والسلام :** أن مكرزا العامري أتاه فقال : هل عندك من برهان نعرف به أنك رسول الله ؟ فدعا بسبع حصيات فسبحن في يده ، فسمع نغماتها من جمودتها • وهذا أبلغ من احياء عيسى عليه السلام للموتى •

**ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم :** أنه لما حاصر الطائف سموا له جذعة ، فكلمه منها الذراع ، فقالت لا تأكلنى فانى مسمومة وهذا أمر شهير • وهو نظير احياء الموتى وسيأتى أيضا الكلام عليه فى محله ان شاء الله تعالى •

**ومن آياته :** أنه عليه الصلاة والسلام أول ما أوحى اليه لم يمر بحجر ولا مدر الا سلم عليه بالنبوة • وهذا نظير قوله تعالى لداود : « يا جبال أوبى معه والطير » •

**ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم :** ما رواه حمزة بن عمرو الأسلمى قال : نفرنا مع رسول الله ﷺ فى ليلة ظلماء فأضاعت أصابعه •

**ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم :** ما رواه ابراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : انكم تعدون الآيات عذابا وانا كنا نعدھا على عهد رسول الله ﷺ بركة ، لقد كنا نأكل مع رسول الله ﷺ الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام •

قال الماوردى : فان قيل : يجوز أن يتخيل ذلك للناظر كما يتخيل لراكب السفينة سير النخل والشجر • فعنه جوابان : احدهما : أنه وان تخيل ذلك لراكب السفينة فهو غير متخيل لغيره من قائم وقاعد • وهذا متحقق عند كل شاهد على اختلاف أحواله • والثانى : ان راكب السفينة يعلم أنه تخيل له غير معلوم ، وهذا معلوم • وان قيل : فقد يجوز أن

يكون في خواص الجواهر ما يجذب النخل والشجر كما في خاص حجر المغناطيس • فعنه جوابان : أحدهما لو كان لظهر ، ولو كان ذلك موجودا ، لكان الملوك عليه أقدر ، وكان مدخورا في خزائنهم ، كادخار كل مستغرب ومستظرف ، ولجاز ادعاء مثله في قباب الأعيان وابطال الحقائق والثاني : انه لو كان ذلك لخاصية الجوهر كان بظهوره جاذبا وبملاقاته للنخل والشجر فاعلا ولما انتقل اليه عن غيره ، وعنه الى غيره • وكل هذا فيه معدوم وان كان في حجر المغناطيس موجودا •

• انتهى



## فصل

### فى

#### هتوف الجن بنبوة صلى الله تعالى عليه وسلم

وهو من آيات نبوته فان كان قبل مبعثه كان من نذر آياته المصادرة عن الهام فمن هتوفها بنبوته عليه الصلاة والسلام ما حكاه ابراهيم ابن سلامة عن اسماعيل بن زياد عن ابن جريج عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه كان يحدث عن رجل من خثعم قال : كانت خثعم لا تحل حلالا ولا تحرم حراما وكانت تعبد أصناما فبينما نحن عند صنم ذات ليلة نتقاضي اليه في أمر قد شجر بيننا اذ صاح من جوف الصنم صائح فقال :

يا ايها الركب نوو الأحكام  
هَذَا نبي سيد الأنام  
قد ظهر الناس من الأثام  
ما أنتم وطائش الأحلام ؟  
اعدل ذى حكم من الأحكام  
ومسنو الحكم الى الأصنام

**ويتبع النور على الظلام  
يصدع بالحق وبالاسلام  
سيعلين في البلاد الحرام**

قال الخثعمي ففزعنا منه وخرجت الى مكة وأسلمت مع النبي ﷺ

ومن بشائر هتوفهم : ما رواه عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن كعب قال : بينما عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ذات يوم جالسا اذ مر به رجل فقيل له : أتعرف هذا المار يا أمير المؤمنين ؟ قال : ومن هو ؟ قالوا ابن قارب رجل من أهل اليمن وكان له رثى من الجن ، فأرسل اليه عمر فقال : أنت سواد بن قارب ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . فقال : أنت الذى أتاك رثيك بظهور النبي ﷺ ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان ، اذ أتانى رثيى من الجن فضربنى برجله ، وقال : قم يا سواد بن قارب ، فاسمع مقالى واعقل ان كنت تعقل ، انه قد بعث رسول الله من لؤى بن غالب ، يدعو الى الله تعالى والى عبادته ، وأنشأ يقول :

**عجبت للجن وتطلبها      وشدها العيس بافتابها  
تهوى الى مكة بيفى الهدى      ما صادق الجن ككذابها  
فارحل الى الصفوة من هاشم      ليس قدامها كاذباها**

فقلت له دعنى فانى أمسيت ناعسا ولم أرفع بما قال رأسا . فلما كانت الليلة الثانية أتانى فضربنى برجله ، وقال : قم يا سواد ابن قارب فاسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول الله من لؤى بن غالب ، يدعو الى الله تعالى والى عبادته وأنشأ يقول :

**عجبت للجن وتخبأرها      وشدها العيس باكوأرها  
تهوى الى الصفوة من هاشم      بين روايبها وأدجارها  
فارحل الى مكة تبفى الهدى      ما مؤمنوا الجن ككفارها ؟**

فقلت دعنى فقد أمسيت ناعسا ولم أرفع بما قال رأسا فلما كانت الليلة الثالثة أتانى فضربنى برجله . وقال : قم يا سواد بن قارب

فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل ، قد بعث رسول الله من لؤى بن غالب يدعو الى الله تعالى والى عبادته • وأنشأ يقول :

عجبت للجن وتحساسها      وشدها العيس باحلاسها  
فارحل الى الصفوة من هاشم      واسم بعينيك الى راسها  
تهوى الى مكة تبغى الهدى      ما خير الجن كانجاسها

قال : فاصبحت وقد امتحن الله قلبي للاسلام فرحلت ناقتي وأتيت المدينة ، فاذا رسول الله ﷺ وأصحابه فقلت : اسمع مقالتي يا رسول الله • قال : هات فأنشأت :

ثلاث ليال قوله كل ليلة      فأتشهد ان الله لا رب غيره  
فهرنا بما ياتيك يا خير من مشى      اتانى نجى بين هدو ورقدة  
فشعرت عن ذيل الازار ووسط      فاشعرت عن ذيل الازار ووسط  
وانك ادنى المرسلين وسيلة      وانك ادنى المرسلين وسيلة  
وكن لى شفيعا يوم لا تو شفاعه      وكن لى شفيعا يوم لا تو شفاعه

ففرح رسول الله ﷺ وأصحابه بمقالتي فرحا شديدا حتى رؤى الفرح في وجوههم ، قال فوثب اليه عمر رضى الله تعالى عنه فالتزمه وقال : قد كنت أحب أن أسمع منك هذا الحديث • فهل يأتيك ربيك اليوم ؟ فقال : مذ قرأت القرآن فلا • ونعم العوض كتاب الله تعالى من الجن •

ومن بشائر هتوفهم : ما رواه ابراهيم بن سلامة عن اسماعيل ابن زياد عن ابن جريح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه حدث يوما في مجلس بعد رسول الله ﷺ فقال : خرجنا قبل مظهر النبي ﷺ بشهرين الى ابطح بمكة معنا عجل فريد ذبحه ، ونحن نفر ، فلما ذبحناه وتصاب دمه ومات ، اذ صاح من جوفه صائح يقول يا ذريح يا ذريح صائح يصيح بصوت فصيح نبي يظهر الحق بفيح يقول لا اله الا الله • فصاح كذلك ثلاث مرات ثم هدأ صوته وتفرقتنا ورجعنا منه ، فلم يلبث النبي ﷺ أن ظهر •

فقال رجل من القوم : ما تعجب يا أمير المؤمنين ، خرجت وأصحابي لي في تجارة لنا ونحن أربعة نفر نريد الشام حتى اذا كنا ببعض أودية الشام ، قرمنا الى اللحم قرما شديدا قبل مظهر النبي ﷺ فاذا بطيبة قد عرضت لنا مكسورة القرن فلم نزل نخفلها حتى أخذناها • قال : فوالله اننا نتوامر بذبحها ، اذ هتف هاتف فقال :

**يا أيها الركب السراع الأربعة**      **خلو سريال الظبية المروعة**  
**فاتها لطفلة ذات دعة**      **خلو عن العصابة قدامي سعة**

ثم قال : خلوا عنها فوالله لقد رأيت هذا الوادي وما يمر فيه أقل من خمسين رجلا حتى كنتم به ، قال : فارسلناها فلما أمسينا أخذنا بأزيمة رواجنا ، حتى أتى بتا الى حاضر لجب كثير الأهل فأطعمنا من الثريد ما أذهب قرمنا ثم عرجنا حتى قضى الله تعالى تجارتنا فصحبنا رجل من يهود ، فلما كن بذلك الوادي هتف هاتف فقال :

**إياك لا تعجل وخذها موبقة**      **فان شر السير سير الحقيقة**  
**قد لاح نجم فاستوى في مشرقه**      **يكشف عن ظلما عبوس موبقه**  
**يدعو الى ظل جنان مذهقه**

فقال اليهودي : تدرون ما يقول هذا الصارخ ؟ قلنا : ما يقول ؟ قال : يخبر أن نبيا قد ظهر خلافتكم بمكة ، فقدمنا فوجدنا النبي صلى الله تعالى عليه سلم بمكة •

**ومن بشائره توفهم : ما حكاه أبو عيسى قال : سمعت قريش في الليل هاتفا على أبي قبيس يقول :**  
**ان يسلم السعدان يضح بمكة**      **محمد لا يخشى خلاف المخالف**

فلما أصبحوا قال أبو سفيان : من السعدان ؟ سعد بكر وسعد تميم ؟ فلما كان في الليلة الثانية سمعوه يقول :

**يا سعد سعد الامس كن أنت ناصرا**      **ويا سعد سعد الخزرجين العطارف**  
**فان ثواب الله للطالب الهدى**      **جنان من الفردوس ذات زخارف**  
**اجيبا الى داعي الهدى وتمنيا**      **على الله في الفردوس منية عارف**

فلما أصبحوا قال أبو سفيان : هو والله سعد بن معاذ وسعد بن

عبادة •

ومن بشائر هتوفهم : ما رواه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما  
عن أسماء بنت أبى بكر قالت : ما علم المشركون من أهل مكة أين توجه  
رسول الله ﷺ حين هاجر الى المدينة ، حتى هتف هاتف بعد ذلك  
بأيام فقال :

جزى الله خيرا والجزاء بفضله  
هما دخلاها بالهدى واهتدى به  
ليهن بنى كعب محل قتاتهم  
رفيقين حلا خيمتى أم معبد  
ومقعدا للمسلمين بهرصد  
فأفاح من أمسى رفيق محمد

وقالت أسماء رضى الله تعالى عنها : ما علم المشركون من أهل مكة  
بوقعة بدر حتى هتف هاتف من جبال مكة وفتيان يسمرون بمكة فقال :

قال الحنفيون بدرا بوقعة  
الا ويح من أمسى عدو محمد  
اصاب رجالا من لوى وجررت  
حرائر يضرين التراب حسرا  
سينقض منها ملك كسرى وقيصرا  
لقد ذاق حزنا في الحياة وحسرا  
وأصبح في هامى العجاج معفرا  
تناوبه الطير الجياع وتنفرا

فعلموا بذلك وظهر الخبر من الغد ولئن كانت هذه الهتوف أخبار  
آحاد عن لا يرى شخصه ولا يحتج بقوله فخروجه عن العادة نذير ،  
وتأثيره فى النفوس بشير ، وقد قبلها السامعون وقبول الأخبار يؤكد  
صحتها ويؤيد حجتها •

فان قيل : ان كانت هتوف الجن من دلائل النبوة ، جاز أن تكون  
دليلا على صحة الكهانة •

فعنه جوابان : أحدهما : ان دلائل النبوة غيرها • وانما هي من  
البشائر بها وفرق بين الدلالة والبشارة •

والثانى ان الكهانة عن مغيب ، والبشارة عن معين • فالعيان معلوم  
والغائب موهوم •

بقي شيء يحسن التنبيه عليه : وهو كما قال الماوردي عليه  
الرحمة : ان قوما أنكروا خلق الجن ولم يؤمنوا بالكتب الالهية ، وقد  
قهرتهم براهين العقول وحجج القياس ، لأن الله تعالى أنشأ خلق العالم  
من أربعة أجرام جعلها أصولا لما خلق من العالم الحي ، وهي الأرض  
والماء والهواء والنار • والعالم نوعان اتفاقا علوى وسفلى • فالعالم  
السفلى نوعان خلقتهما من جرمين أحدهما : من الأرض وهو ما عليها  
من الحيوان • والثانى من الماء وهو ما فيه من السموك وهما هابطان  
لهبوط الأرض والماء وظاهران لظهور أصلهما واستمر القياس فيهما  
وبقى العالم العلوى جرمان الهواء والنار • وقد استقر خلق الملائكة  
من الهواء فافتضى معقول القياس أن يكون خلق الجن من النار لتكون  
الأجرام الأربعة أصولا لخلق أجناس أربعة ، ولعلو الهواء ما كان عالمه  
من الملائكة علويا ، ولخفائه ما كان خفيا لا يهبط الا عن أمر الهى  
ولا يعاين الا بمعونة الهية ، ولعلو النار فى أصل هابط ما كان لعالمه من  
الجن علوا وهبوطا ولخفاء مكونها خفى عالمها عن العيان ، الا بمعونة  
الهية فصار أصلان من الأربعة محسوسين بالعيان • وهما على الأرض  
فى الماء ، وأصلان معقولين بالقياس وهما الملائكة والجن ، ولولا أن  
دافع ذلك عادل عن الدلائل الشرعية ، لما عدلنا عنها الى هذا  
الاستدلال الخارج عن البراهين الشرعية • انتهى •



## فصل

فى ما هجست به النفوس من الهام العقول  
بنيوته عليه أفضل الصلاة والسلام

قال الماوردي : العقل الهى ركبه الله تعالى فى النفوس الناطقة  
فهو ينذر بالخواص الكائنة حدسا ، ويعلم بعد الوجود حسا ، فقل  
حادث الا تقدم نذيره ، وبحسب خاطره يكون تأثيره ، ولا حادث أعظم



مما جده الله بنبوة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، فاقتضى أن يكون بشائر بنبوته أشهر ، وشواهد آياته أظهر •

**فمن الهواجس بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم :** أن كعب بن لؤى بن غالب كان يجتمع اليه الناس في كل جمعة ، وكان يوم الجمعة يسمى في الجاهلية يوم العروبة فسماه كعب يوم الجمعة ، وكان يخطب فيه الناس ، ويقول بعد خطبته : حرمكم عظه وتمسكوا به ، فسيأتى له بناء عظيم ، وسيخرج به نبي كريم ، والله لو كنت فيه ذا سمع وبصر ويد ورجل ، لتنصبت تنصب الخيل ولارقلت لارقت الفحل ، ثم يقول :

**يا ليتنى شاهد فحواء دعوته حين العشيرة تبغى الحق خذلانا**

ومن هواجس الالهام : ما حكاه ابن قتيبة أن أبا كرب بن أسعد الحميري آمن بالنبي ﷺ قبل أن يبعث بسبعمائة سنة وقال :

**شهدت على احمد انه رسول من الله بارى التسم  
فلو مد عمرى الى عمره لكنت وزيرا له وابن عم**

ومن هواجس الالهام ، ما حكاه عبيد الجرهمى وكان كبير السن عالما بأخبار الأمم أن تبعا الأصغر وهو تبع بن حسان بن تبع ساير بيثرب أى مدينة الرسول ﷺ فنزل في سفح أحد ، وذهب الى اليهود فقتل منهم ثلاثمائة وخمسين رجلا صبورا وأراد خرابها • فقام اليه رجل من اليهود كبير السن ، فقال أيها الملك مثلك لا يقتل على الغضب ، ولا يقبل قول الزور ، أمرك أعظم من أن يظن بك رق ، أو تصريح بك لجاج ، فانك لا تستطيع أن تخرب هذه القرية ، قال : ولم ؟ قال : لأنها مهاجرنبي من ولد اسماعيل ، يخرج من هذه الثنية — يعنى البيت الحرام — فكف تبع ومضى الى مكة ومعه هذا اليهودى ورجل آخر عالم من اليهود فكسا البيت ونحر عنده ستة آلاف جزور ، وأطعم الناس وقال :

**قد كسونا البيت الذى حرم الله ملاء منضدا وبرودا**

وقيل : انه ملك ثلاثمائة وعشرين سنة وسيأتى ان شاء الله تعالى  
في بحث المدينة بما هو أطول من هذا •

ومن هو اجس الالهام : ما روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة  
رضى الله تعالى عنها قالت : كان يهودى يسكن مكة ، فلما كانت الليلة  
التي ولد فيها رسول الله ﷺ حضر مجلس قريش ، فقال : يا معشر  
قريش هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ فقال : القوم والله ما نعلم • قال :  
الله أكبر أما اذا أخطاكم فلا بأس ، انظروا واحفظوا ما أقول لكم ،  
ولد في هذه الليلة نبي بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات ، كأنها  
عرن وثن ، فتصارع القوم عن مجلسهم وهم متعجبون من قوله ، فلما  
صاروا الى منازلهم أخبر كل انسان منهم أهله ، فقالوا : ولد لعبد الله  
ابن عبد المطلب غلام سموه محمدا فانطلق القوم الى اليهودى  
فأخبروه • فقال : اذهبوا بي حتى أنظر اليه ، فأدخلوه على آمنة  
وقالوا : اخرجي الينا ابنك ، فأخرجته وكشفوا عن ظهره ، فرأى  
اليهودى تلك الشامة فوق مغشيا عليه • فلما أفنق قائلوا له : مالك ؟  
قال : ذهبت والله النبوة من بنى اسرائيل ، يا معشر قريش • والله  
ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق الى المغرب ، وكان في القوم  
الذين أخبرهم اليهودى بذلك هشام بن المغيرة وعبيدة بن الحرث بن عبد  
المطلب وعذبة بن ربيعة ، فعصمه الله تعالى منهم •

ومثله : أنه كان لقريش في الجاهلية عيد يجتمع فيه النساء دون  
الرجال ، فاجتمعوا فيه فوقف عليهن يهودى ، وفيهن خديجة رضى الله  
عنهما فقال لهن يا معشر نساء قريش يوشك أن يبعث فيكن نبي ، فأيتكن  
استطاعت أن تكون له أرضا فلتفعل ، فحصبته ووقر ذلك في نفس  
خديجة حتى حققه الله تعالى لها ، فكانت أول من آمن به •

ومثله : أن جماعة من النصارى قدموا من اللثام تجارا الى مكة ،  
فنزّلوا بين الصفا والمروة ، فرأوه وهو ابن سبع سنين ، فعرفه بعضهم  
بصفته في كتبهم ، وسمته في فراستهم ، فقال له : من أنت ؟ وابن من

أنت ؟ فقال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب • فقال له : من رب هذه ؟ وأشار الى الجبال • فقال الله ربه لا شريك له • فقال له : من رب هذه ؟ وأشار الى السماء فقال الله ربه لا شريك له ؟ فقال له النصرانى : فهل له رب غيره ؟ فقال : لا تشككنى فى الله ؟ ما له شريك ولا ضد • فقام عليه الصلاة والسلام بالتوحيد فى صغره ، وفتح النصرانى بخبره ، وأنذر بنبوته •

ومثله : قصة بحيرا الراهب • وقد تقدمت •

ومن هواجس الالهام : ما نقله الماوردى قال : حدثنا أبو الحسن محمد بن على عن عمر بن حماد الفقيه قال حدثنا عمر بن محمد أن بحيرا السمرقندى قال حدثنا أحمد بن عبد ربه الضبى قال أخبرنا عبد الرحمن ابن نوح بن عبيد قال حدثنا عمر بن بكير قال حدثنى أحمد بن القاسم عن الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : لما ظفر سيف بن ذى يزن بالحبشة وذلك بعد مولد النبى ﷺ بسنين أتى وفود العرب وأشرافها وشعراؤها أتتهنئته ومدحه ، وذار ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه ، فأناه وفد من قريش وفيهم عبد المطلب ابن هاشم وأميه بن عبد شمس وعبد الله بن جدعان وأسد بن خويلد ابن عبد العزى فى ناس من أشراف قريش ، فلما قدموا عليه اذا هو فى رأس قصر يقال له غمدان • وهو الذى يقول فإيه أميه بن أبى الصلت : **أشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا فى رأس غمدان دار منك محلا**

قال : فاستأذنوا عليه ، فأذن لهم فدخلوا عليه فاذا الملك مضمخ بالعبير يرى وبيص الطيب من مفرقه عليه بردان متزرا بأحدهما مرتد بالآخر ، سيفه بين يديه وعن يمينه وعن يساره الملوك وأبناء الملوك والمقاول • قال : فمدنا عبد المطلب واستأذن فى الكلام • فقال : ان كنت ممن تكلم بين يدى الماك فتكلم فقد أذنا لك • فقال عبد المطلب : ان الله أحلك أيها الملك محلا رفيعا صعبا منيعا شامخا باذخا وأنبئك منبتا طابت أرومه وعزت جرثومته وثبت أصله ويسق فرعه فى أحرم موطن وأطيب معدن وأنت أبيت اللعن ملك العرب وربيعها الذى به يخصب ، وأنت أيها الملك رأس العرب الذى

اليه تنتقاد عمودها الذي عليه العماد ومعقلها الذي تلجأ اليه العباد ،  
سلفك خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف ، فإن يخمل ذكر من أنت  
سلفه ، وإن يهلك من أنت خلفه ونحن أربها الملك أهل حرم الله وسدنة  
بيته ، أشخصنا إليك الذي أبهجنا لكشف الكرب الذي فرحنا ، فنحن  
وفد التهنئة لا وفد المرزأة فقال ابن ذى يزن : فأيهم أنت أيها المتكلم ؟  
فقال : أنا عبد المطلب بن هاشم . قال : ابن أختنا . قال : نعم ابن أختكم .  
قال : ادن فأدناه على القوم وعليه ، فقال : مرحبا وأهلا وناقة ورحلا  
ومستناخا سهلا وملكا ربحلا ، يعطى عطاء جزلا . قد سمع الملك مقالتيكم  
وعرف قرابنتكم وقبل وسيلتكم ، فأنتم أهل الليل وأهل النهار لكم  
الكرامة ما أقمتم ، والجباية إذا ظعنتم ، قال : ثم استنفضه الى دار  
الضيافة والوفود ، فأقاموا شهرا لا يصلون اليه ولا يؤذن لهم بالانصراف  
قال : ثم انتبه اقتباهة فارسل الى عبد المطلب فأخلاه وأدنى مجلسه ،  
وقال : يا عبد المطلب انى مفوض اليك من سر علمى ما لو كان غيرك  
لم أبح له ، ولكن رأيته معدنه وأطلعته عليه ، فلا يكن عندك مطويا حتى  
يأذن الله فيه ، فان الله بالغ فيه أمره انى أجد فى الكتاب المكتون والعلم  
المخزون الذى اخترناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيره ، خبرا عظيما وخطرا  
جسيما ، فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة ، للناس عامة ، ولرهطك  
كافة ولك خاصة .

قال عبد المطلب أيها الملك فمئلك من سر ووبر فما هو فداك أهل الوبر  
زمرنا بعد زمر ؟ قال : اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة كانت له  
الامامة ، ولكم بالزعامة الى يوم القيامة . فقال له عبد المطلب أبيت  
اللعن لقد أتيت بخبر ما أتى بمثله وافد ، فلولا هيئة الملك واجلاله  
واعظامه لسألته من بشارته اياى ما ازداد به سرورا .

قال ابن ذى يزن : هذا حينه الذى يولد فيه ، أو قد ولد ، اسمه  
أحمد ، يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه ، قد ولدته مرارا ، والله  
باعته جهارا وجاعل منا له أنصارا ، يعز بهم أولياؤه ويذل بهم أعداؤه ،  
يضرب بهم الناس عن عرض ويستفتح بهم كرائم الأرض يكسر الأوثان .

ويخمد النيران ويعبد الرحمن ويدحر الشيطان • قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطئه ، قال عبد المطلب : أيها الملك عز جدك وعلا عقبك وطاب ملكك وطال عمرك ، فهل الملك سارى بافصاح فقد أوضح بعد الايضاح ؟ فقال ابن ذى يزن : والبيت ذى الحجب والعلامات على النصب ، انك يا عبد المطلب لاجده غير الكذب • قال : فخر عبد المطلب ساجدا • فقال ابن ذى يزن : ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا أمرك ، فهل أحسست شيئا مما ذكرت لك ؟ قال : نعم أيها الملك كان ابى ابن وكنت به معجبا رفيقا أو رقيقا فزوجته كريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب بن عبد مناف ، فأنت بسلام سميته محمدا مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه بين كنفيه شامة ، وفيه كل ما ذكرت من علامة ، قال ابن ذى يزن : ان الذى قلت لك لكما قلت لك ، فاحتفظ بابنك واحذر عليه من اليهود ، فانهم له أعداء ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا ، فاطو ما ذكرته دون هؤلاء الرهط الذين معك ، فانى لست آمن أن بداخلهم النفاسة من أن تكون لك الرئاسة ، فيبغون له الغوائل وينصبون له الحبال ، وهم فاعلون • وأبنائهم • ولولا أنى أعلم أن الموت يجتاحنى قبل مبعثه لسرت بخيائى ورجلى حتى أصير بيثرب دار ملكى ، فانى أجد فى الكتاب المناطق والعلم السابق أن يثرب استحكام أمره وأهل نصرته وموضع قبره ولولا أنى أقيه الآيات واحذر عليه العاهات ، لأعلنت على حداثة سنة ذكره ، وأوطيت أسنان العرب عقبه ، ولكننى صارف ذلك إليه يغير تقصير مما معك ، ثم أمر لكل رجل من القوم بعشرة أعبد وعشرة اماء سود ، وحلقتين من حلل البرود ، وخمسة أرتال ذهب ، وعشرة أرتال فضة وكرشا مملوة عنبرا ولعبد المطالب بعشرة أضعاف ذلك • وقال له : اذا حال الحول فأنتنى بأمره وما يكون من خبره قال : فمات ابن ذى يزن قبل أن يحول الحول • قال : فكان عبد المطلب كثيرا يقول : يا معشر قريش لا يغبطنى رجل منكم بجزيل عطاء الملك ، وان كان كثيرا فانه الى نفاذ ، ولكن ليغبطنى بما يبقى لى ولعقبى ذكره وفخره وشرفه ، فاذا قيل له : وما ذاك ؟ قال : ستعلمون ما أقول لكم ولو بعد حين •

ومن هواجس الالهام : ما حكاه عامر بن ربيعة قال : سمعت زيد ابن عمرو بن نفيل يقول : أنا أنتظر نبيا من ولد اسماعيل من بنى عبد المطلب ، ولا أرانى أدركه وأنا أومن به وأصدقته وأشهد انه نبي ، فان طال بك مدة فرأيتته فانقرأه منى السلام وسأخبرك ما نعتته حتى لا يخفى عليك • قلت : هلم • قال : هو رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ولا بكثير الشعر ولا بقليله ، وليس يفارق عينيه حمرة وخاتم النبوة بين كتفيه ، واسمه أحمد • وهذا البلاد مولده ، ثم يخرج قومه منها ويأكرهون ما جاء به ، حتى يهاجر الى يثرب فيظهر أمره ، فايك أن تخضع عنه ، فانى طففت البلاد كلها أطلب دين ابراهيم فكل من أسئل عنه من اليهود والنصارى والمجوس يقولون هذا الدين وراعى ، وينعتونه مثل ما نعت لك ويقولون : لم يبق نبي غيره قال عامر : فلما أسلمت أخبرت رسول الله ﷺ بقول زيد وأقرأته منه السلام ، فرد عليه السلام وترحم عليه ، وقال عليه الصلاة والسلام : قد رأيتته فى الجنة يسحب الذبول •

ومن هواجس الالهام : ما رواه الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال : بعث الله تعالى الى كسرى ملكا وهو فى بيت ايوانه الذى لا يدخل عليه فيه ، فلم يرعه الا به قائما على رأسه فى يده عصا بالهاجرة من ساعته التى كان يثقل فيها • فقال : يا كسرى أتسلم أو أكسر هذه العصا ؟ فقال : بهل بهل ، فانصرف عنه ، فدعا حراسه وحجابه فتغيظ عليهم ، فقال : من أدخل هذا الرجل ؟ فقالوا : ما دخل عليك أحد ولا رأيناه ، حتى اذا كان العام القابل أتاه فى الساعة التى أتاه فيها فقال له كما قال ، ثم قال : أتسلم أو أكسر هذه العصا ؟ فقال : بهل بهل بهل ثلاثا فخرج عنه ، فدعا كسرى حراسه وحجابه فتغيظ عليهم ، وقال لهم كما قال لهم أول مرة ، فقالوا : ما رأينا أحدا دخل عليك ، حتى اذا كان فى العام الثالث أتاه فى الساعة التى أتاه فيها ، فقال له كما قال ، ثم أتسلم أو أكسر هذه العصا ؟ فقال :

بهل بهل فكسرها • ثم خرج فلم يكن الا تهور ملكه وانبعث ابنه والفرس على قتله حتى قتلوه •

ومن هواجس المنام : ما حكاه ابن قتيبة أن كسرى أبرويز هرما كان سائرا ذات يوم فهووم على مركبه وطال حتى استغفل فأيقظه بعض قواده ، فانتهبه مذعورا لرؤيا رآها قطعها عليه الموقظ له • فقال : رأيت قائلا لى انكم غيرتم فغيرناكم ، ونقل الملك الى أحمد ، وقيل له : سلم ما بيدك الى صاحب الهراوة ، اللى أن ورد عليه كتاب النعمان بن المنذر يخبر فيه أن خارجا نجم بتهامة ، يخبر أنه رسول الله الله السماء والأرض الى أهل الأرض كافة فارتاح لذلك وأكبره وعلم أنه الذى رآه فى منامه ، وكان يتوقعه •

ومن هواجس المنام : ما رواه عروة بن مفرس عن مخرمة بن نوفل عن أمة رقيقة بنت أبى ضبعى بن هاشم قالت : تتابعت على قريش سنون أمحلت الضرع وأدقت العظم ، فبينما أنا نائمة لاهم أو مهمومة ، فاذا هاتف يصرخ بصوت صخب يقول يا معشر قريش إن هذا النبى المبعوث فيكم قد أظلتكم أيامه ، وهذا ابان نجومه فحيلا بالحياة والخصب ، ألا فانظروا رجلا منكم وسيطا جسيما أبيض بضاً أوظف الأهداب سهل الخدين أشم لعرنين له فخر يلظم عليه وسند يهدى اليه ، فليخلص هو وولده وليهبط اليه من كل بطن رجل فليستنوا من الماء وليمسوا من الطيب ، ثم ليستلموا الركن ثم ليرتقوا أبا قبيس فليستسق الرجل ، وليؤم القوم ، فغشتم ما شئتم فأصبحت علم الله مذعورة • قد اتشعر جادى ووله عقلى واقتصت رؤياى • فوالحرمة والحرم ما بقى بها أبطحى الا قتال : هذا شبية الحمد • يعنون عبد المطلب ، فنتامت اليه رجالات قريش وهبط اليه من كل بطن رجل فسفتوا ومنوا واستلموا ثم ارتقوا أبا قبيس وطبقوا جانبيه ما يبلغ سعيهم مهالة ، حتى استنوا بذروة الجبل • فقام عبد المطلب ومعه رسول الله ﷺ غلام حين أيفع أو قرب فقال : اللهم ساد الخلة وكاشف

الكربة أنت معلم غير معلم ومستول غير مبخل • وهذه عبادك واماؤك  
بغورات حرمك يشكون اليك سنتهم اذ هبت الخف والظائف ، اللهم فأمطر  
علينا غيثا معرفا مريعا • فوالكعبة ما راحوا حتى تفجرت السماء  
بمائها واليط الوادى بثجيجه فسمعت شيخين من قریش وجلتها عبد الله  
ابن جدعان وحرب بن أمية وهشام بن المغيرة يقولون لعبد المطب :  
هنيئا لك يا أبا البطحاء أى عاش بك أهل البطحاء •

وفى ذلك يقول رفيقه :

بشبية الحمد اسقى الله بلدنا      ما فقنا الحيا واجلود المطر  
مبارك الأهر يستسقى الغمام به      ما فى الأنام له عدل ولا خطر  
فجاد بالماء جوى له سبل      سحا فعاشت به الأنام والشجر

ومن هو اجس الانذار والالهام والمنام : ما رواه أبو أيوب يعلى  
ابن عمران النحلى عن مخزوم بن هانىء المخزومى عن أبيه وأنت له  
مائة وخمسون سنة قال : لما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله ﷺ  
ارتجس ايوان كسرى فسقطت منه أربع عشرة شرفة ، وخمدت نار  
فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، وغارت بحيرة ساوة • فأنزع  
ذلك كسرى فلبس تاجه وقعد على سيره وجمع وزراء ومرازبته ،  
وأخبرهم برؤياه فقال اللوبذان : وأنا أصلح الله تعالى الملك قد رأيت  
فى هذه الليلة ابلا صعبا تنمود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى  
بلادنا • فقال : أى شىء هذا يا موبذان ؟ فقال : حادثة تكون من ناحية  
العرب ، فكتب الى النعمان بن المنذر أن أبعث الى بزرجمهر عالم أسأله  
عما أريد ، فوجه اليه عبد المسيح بن عمرو بن نفيلة الغساني ، فاما  
قدم عليه أخبره • فقال : أيها الملك علم ذلك عند خال لى يسكن مشارق  
الشمام يقال له سطيح ، قال : فأتته فأسأله عما أخبرتك به ثم أتتني  
بجوابه ، فركب عبد المسيح راحلته حتى ورد على سطيح ، وقد أسفى  
على الموت فسلم عليه وحياه فلم يحر سطيح جوابا فأنشأ عبد المسيح  
يقول :



اصم ام بسمع غطريف اليمين  
ابيض فضفاض الرداء واليدن  
يا فاصل الحطة اعتب من ومن  
رسول قبل العجم سري للوسن  
آمال شيخ الحى من آل سنن  
وامه من آل نئب بن حجن

فرجع سطيح رأسه ، وشال عبد المسيح على جهل فسيح وافي الى  
سطيح وقد أوفى به ابى الضريح ، بعثك ملك بنى ساسان لارتجاس  
الايوان وخمود النيران ورؤيا الجوزان ، رأى ابلا صعبا تقود خيلا  
عرايا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها ثم قال يا عبد المسيح اذا  
كثرت التلاوة وبعث من تهامة صاحب المراهة وغاض وادى السماوة  
وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما ،  
يملك منهم ملك وملكات بعدد الشرفات ، وكل ما هو آت آت . ثم  
تضى سطيح فصار عبد المسيح على راحلته وهو يقول :

ولا يعرفك تفريق وتغيير تهاب صولهم الأنسد المهاصير ان قد اقل فمهجور ومحذور فالخير متبع والنشر محذور فان ذا الدهر اطوار ، دهاير والهرمزان وشابور وسابور فذاك بالغيب محفوظ ومنصور	شمر فانك ماضى الهم شمير غربما اصبحوا يوما بمنزلة والتاس اولاد علات فمن علموا والخير والنشر مقرونان في قرن ان ليس ملك بنى ساسان لفرطهم منهم اخو الصرح بهرام واخوته وهم بنو الام الا ان يروا نشبا
--	---

فلما قدم عبد المسيح على كسرى وأخبره قال كسرى : الى أن  
يملك منا أربعة عشر ملكا قد كانت أمور ، فملك منهم عشرة ملوك في  
أربع سنين ، وزال ملكهم عن يزدجرد الرابع عشر بعد اثنتى عشرة  
سنة .

فان قيل : فهذا قول كاهن قد أبطلته النبوة فلم يقبل قوله في  
اثبات النبوة . فعنه جوابان :

أحدهما : أنه تأويل رؤيا تحققت خرج بها عن حكم الكهنة .

والثانى : أنه علمها بنقل الجن كهتوف الجن كما قال تعالى :  
« وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم » فاذا التخير ما اختلف طريقة  
وتغاير وصفه خرج عن القلة الى التكاثر ، وعن الآحاد الى اللواتر ،  
فصار الظن معلوما والتوهم محتوما • انتهى •



### تتمة

قال الامام الرازى فى كتابه « المطالب العالية » :

الفصل الرابع فى بيان أن محمد ﷺ أفضل من جميع الأنبياء  
والرسل : اعلم أنا بينا أن الرسول هو الذى يعالج الأرواح البشرية  
وينقلها من الاشتغال بغير الله تعالى الى الاشتغال بعبادته ولما كان  
المراد من الرسالة والنبوة هو هذا المعنى ، فكل من كان - صدور هذه  
الفوائد عنه أكثر وأكمل ، وجب القطع بأن رسالته أعظم وأكمل •

إذا عرفت هذا فنقول : ان تأثير دعوة موسى عليه السلام كانت  
مقصورة على بنى اسرائيل فقط ، أما دعوة عيسى عليه السلام فكانه  
لم يظهر لها تأثير الا فى أقل القليل • وذلك لأننا نقطع بأنه ما دعا الى  
الدين الذى يقول به هؤلاء النصارى لأن القول بالآب والأبن ( وروح  
القدس • وهو ) التثليث أشبح أنواع الكفر وأفحش أقسام الجهل  
ومثل هذا لا يليق بأجهل الناس فضلا عن الرسول المعظم المعصوم •  
فعلمنا : أنه ما كانت دعوته البتة الى هذا الدين الخبيث ، انما كانت  
دعوته الى التوحيد والتنزيه •

ثم تلك الدعوة ما ظهرت البتة بل بقيت مطوية غير مروية •

فثبت أنه لم يظهر لدعوته الى الحق أثر البتة •

أما دعوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الى الأوحيد والتنزيه :  
فقد وصلت الى أكثر بلاد المعمورة والناس قبل وصوله كانوا على  
الأديان الباطلة فعبدوا الأصنام كانوا مشغولين بعبادة الحجر والخشب ،  
واليهود كانوا في دين التشبيه وصنعة التزوير وترويح الأكاذيب  
والجوس كانوا في عبادة الالهين ونكاح الأمهات والبنات ، والنصارى  
كانوا في التثليث . والصائبة كانوا في عبادة الكواكب ، فكان كل أهل  
العالم معرضين عن الدين الحق والمذهب الصدق ، فلما أرسله الله عز وجل  
الى هذا العالم بطلت الأديان الخبيثة ، وزالت المقاتلات الفاسدة وطلعت  
شموس التوحيد وأقمار التنزيه من قلب كل أحد وانتشرت تلك الأنوار  
في بلاد العالم .

فثبت : أن تأثير دين محمد ﷺ في علاج القلوب المريضة والنفوس  
الظلمانية كان أتم وأكمل من تأثير دعوة سائر الأنبياء فوجب القطع  
بأنه أفضل من جميع الأنبياء والمرسل في كل ما يتعلق بالنبوة والرسالة  
وهذا برهان ظاهر من باب البرهان اللمى ، فانا بحثنا عن حقيقة النبوة  
والرسالة ثم بينا أن كمال تلك الماهية ما حصلت لأحد من الأنبياء  
كما حصلت أنبيينا محمد ﷺ .

واعلم : أن اثبات النبوة بهذا الطريق أقوى وأكمل من اثباتها  
بالمعجزات (١) . واعلم أن التمسك بطريق المعجزات هو من باب البرهان

---

(١) قول الامام فخر الدين الرازى : « ان اثبات النبوة بهذا الطريق  
أقوى وأكمل من اثباتها بالمعجزات » يقصد بالطريق : أن النبى الذى يقدر  
على الكمال فى نفسه ، ويقدر على تكميل الناقلين بإبعادهم عن الرذائل  
يكون صادقا فى دعوى النبوة . وقوله : « أقوى وأكمل من اثباتها بالمعجزات »  
يحتمل بالمعجزات الحسية ، ويحتمل بمعجزة القرآن وحدها . وهو يقصد —  
والله أعلم — المعجزات الحسية . أى قدرة محمد ﷺ على الكمال فى نفسه —  
وقد قدر حقا — وقدرته على تكميل الناقلين — وقد أكمل أتباعه بتزكية  
نفوسهم — هى أقوى فى اثبات نبوته ، من المعجزات الحسية ، لأن أتباعه  
كلهم لم يروها . وانما رأوا أثر هدايته فيهم . وان كان يقصد عموم  
المعجزات . فانه يكون مناقضا لنفسه ، فقد ذكر فى تفسير سورة البقرة =

الأنى وهو الاستدلال بالأثر المؤثر على سبيل الاجمال ، فانا نعرفه بظهور المعجز عليه كونه مشرفا عند الله تعالى على الاجمال من غير أن نعرف كيفية ذلك الشرف . وأما هذا الطريق الثانى فهو من باب برهان اللمى وذلك لأننا بينا أن الأمراض الروحانية غالبة على أكثر النفوس ، فلا بد لهم من طبيب ، ونشاهد أن النبى ﷺ معالج يؤثر علاجه ويفيد الصحة بقدر الامكان ، فهذا يدل على كونه طبيبا حاذقا فى هذا الباب ، وحيثئذ يظهر أنه عليه الصلاة والسلام لا حاجة به فى معرفته الى أن يكون عالما بدقائق المنطق والطب والهندسة والحساب ، بل كونه عالما بها مستغلا باستنباط دقائقها مما يضره فى كونه مستغرقا فى معرفة الله تعالى ، وعند هذا تتروى جملة الشبهات المذكورة فى باب نفى النبوات ، فانه دلت المشاهدة على أنه عليه الصلاة والسلام كان طبيبا حاذقا فى علاج هذه الأمراض كما بيلاه ، بل كان روحه قدرت على قلب طبائع أهل الدنيا ، فنقلهم عن الباطل الى الحق ، ومن الكذب الى الصدق ، ومن الأديان الفاسدة الى العقائد الصحيحة ، بقدر الامكان انتهى نقله الوزير راغب باشا فى سفينته .



## فصل

ولنرجع الى الكلام أيضا على بعض كلماته الباطلة التى ذكرناها  
أنفا .

فنقول : قوله « فعندما أيس ما سولت له نفسه ادعى النبوة »  
الى آخره .

فكلام زور لا يخفى على من له أدنى علم بسيرته ﷺ لأنه عليه

---

= وسورة الصف كثيرا من نصوص نبوءات التوراة والانجيل عن محمد ﷺ  
وأحسن تفسيرها . وقال فى كتابه محصل افكار المتقدمين : أن نبوة محمد  
لا تثبت الا بالقرآن وحده .

الصلاة والسلام لو كان طالبا للملك وحاشاه كما زعم هذا النصراني  
لظهر بعد النبوة ما أضره من ذلك اذ كما قيل :

### ان التخلق يأتى دونه الخالق

لأنه وأرواحنا له الفداء لما ادعى النبوة وأظهر المعجزات كسائر  
اخوانه عليهم الصلاة والسلام وتبعه الناس من اليهود والنصارى  
ومشركو العرب والمجوس ، ودخلوا في دينه أفواجا أفواجا وجاهدوا  
معهم وغدوه بأنفسهم وأولادهم وأموالهم ، لم يجعل نفسه الشريفة  
ملكا ولا سلطانا ولا لبس كما يلبس المترفون ولا أكل كما يأكل القولون ،  
ولم يشبع من خبز كما شبع المتسلطون ، ولم يدخر من حطام الدنيا بل  
ولم يترك لأهل بيته شيئا ولم يرض بتعظيمه كتعظيم الملوك ، ولم  
يترفع على أحد من غنى وصلوك ، وكذلك حال أصحابه المقتدين بأفعاله  
وأقواله . وهذا وغيره من سيرته عليه الصلاة والسلام أمر مشهور  
متواتر ، لا يخفى على الأكابر والأصغار ، ولو أردنا أن نسرد ذلك هنا  
لأطبنا في الكتاب والأفضى الى ملك السامعين .

على أننا سنذكر بعضه في محله ان شاء الله تعالى ومن له أدنى  
دراية وانصاف أو عقل ، يعرف صدق ما قلناه . والله سبحانه الهادى  
الى سواء السبيل .

قوله « ولا يفهمون كيف امتحان مثله » الى آخره . فكلام يكذبه  
أيضا ما سمعته آنفا من امتحانهم له عليه أفضل الصلاة والسلام حتى  
أظهر لهم المعجزات من تكليم الحيوانات وتمشية النباتات ونطق  
الجمادات ، وشهادات العجاوات وتظاهر العلامات وأخبار أهل الملك  
والكاتب المنزلة من السموات وغير ذلك مما ذكرناه سابقا . ولا حاجة  
بنا الى اعادة ، وهذا مع ما يعرفونه من صدقه وأمانته وعفته ورحمته  
ورأفته بنطق ربه سبحانه ، حتى أنهم كانوا يدعونه الأمين قبل نبوته ،  
فالعرب يعرفون شروط النبوة وامتحنوه فأيده الله تعالى وصدقته بما أجرى  
على يديه من شروطها لديهم ، فأمنت عند ذلك العرب وغيرهم .

ويقال لهذا النصراني : اذا كانت العرب آمنت به عليه الصلاة والسلام لعدم علمهم بشروط النبوة كما تزعم ، فما بال النصراني واليهود والمجوس آمنوا به طوعا من حين دعوته حتى دخلوا في دينه أفواجا أفواجا ؟ ولا زال أهل الملل كافة الى يومنا هذا يدخلون في دينه طوعا في كل يوم في مشارق الأرض ومغاربها ، وجميع أقطارها ، واستنقام دينه وأمره الى هذا الآن ، بل الى نهاية الدوران فلو لم يكن نبيا كما تزعم ، لانهد هذا البنيان ولانطفئ نوره في أقل زمان ، فدخل أهل الأديان وغيرهم في دينه واستقامة ذلك وتزايد ، من أقوى الدلائل على صدقه ﷺ فيما ادعاه وكل من له خبرة بأحوال الأزمنة الماضية والأنبياء وأحوال المنتبئين الكذبة ، وعدم استقامة أمرهم وتبين أحوالهم لدى الشاهد والغائب يعلم ويجزم أن نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام من النبوات الالهية ، ورسالته حقة صمدية وسيرته رحمانية ومعجزاته قدسية وتأيداته سماوية ولا ينكر ذلك الا من استولى المران على قلبه ولعب الشيطان بلبه والله الهادي لأتباع حبه .

قوله : « ولم يعرفوا آلامات النبوة لأنه أم يبعث فيهم نبي قط » أقول : لو سلمنا أنه لم يبعث نبي قط ، فهم يعرفون شروطها لاختلاطهم بأهل الكتاب ومجاورتهم لهم وسماعهم منهم معجزات الأنبياء السالفين عليهم السلام وأحوالهم . والأدلة على ذلك كثيرة . منها ما تقدم من طلبهم منه عليه السلام المعجزات وأتيانه بها واخبار أهل الكتاب لهم ، واسلامهم بعدها على أنا نقول : هذه المسألة وهي عدم بعثة نبي الى العرب أصلا قبل نبينا ﷺ وهو ظاهر قوله تعالى : « وما كنت بجانب الغربي إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتندر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون » لكنه غير مراد ، للاتفاق . على أن اسماعيل عليه السلام كان مرسلا اليهم ، ولقواه تعالى : « وان من أمة الا خلا فيها نذير » والعرب من أعظم الأمم وكأنه اتطاول الأمد ، بين بعثته عليه السلام وبعثة نبينا ﷺ حتى قيل انها نحو ثلاثة آلاف سنة واندراس شرعه وعدم وقوف الأكثرين في أغلب هذه المدة على حقيقته

قبل ذلك • وقيل ان ذلك لما صرحوا به من أن حكم بعثة اسماعيل قد انقطع بموته ، وأنه لم يرسل اليهم بعده نبي سوى النبي ﷺ •

وقال الوالد : عليه الرحمة في تفسيره روح المعاني : « قيل ان موسى وعيسى عليهما السلام كما أرسلنا لبنى اسرائيل أرسلنا للعرب فالمراد بنفى هذا الاتيان : الأفترة التي بين عيسى وبين نبينا عليهما السلام وزمنهما على ما روى البخارى عن سلمان الفارسي رضى الله تعالى عنه ستمائة سنة وفي كثير من الكتب انه خمسمائة وخمسون سنة ، ونفى اتيان نبي بين زمانى اتيان نبينا واتيان عيسى عليهما السلام هو ما صححه جمع العلماء لحديث : « لا نبي بينى وبين عيسى » وقيل : ان بينهما أربعة أنبياء ثلاثة من بنى اسرائيل وواحد من العرب • وهو خالد بن سنان • واختار بعضهم أن المراد بهؤلاء القوم المعاصرون له ﷺ اذ هم الذين يتصور انذارهم عليه الصلاة والسلام اياهم دون أسلافهم الماضين والمراد بعدم اتيان النذير اياهم : عدم وصول ما أتى به على الحقيقة اليهم • وقال في تفسير قوله تعالى : « انتذرت قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون » المراد بالانذار الاعلام أو التخويف والمراد بآبائهم الأذنون ، والا فالأبعدون قد أنذرهم اسماعيل عليه السلام وبلغهم شريعة ابراهيم عليه السلام • وقد كان منهم من تمسك بشرعه على أتم وجه ثم تراخى الأمر وتناول المدد ، فم يبق من شريعته عليه السلام الا الاسم وعلى ما عرف في البحر أن المعنى ما أنذر آباؤهم رسول أى لم يباشروهم بالانذار ولا آباؤهم الأقربين ، لا أنه لم ينذرهم منذر أصلا فيجوز أن يكون قد أنذرهم من ليس بنبي كريد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة • فلا منافاة بين ما هنا وقوله تعالى : « وان من أمة الا خلا فيها نذير » وليس في ذلك انكار الفترة المذكورة في قوله تعالى : « على فترة من الرسل » لأنها فترة ارسال وانقطاعها زمانا لا فترة انذار مطلقا انتهى •

وروى أبو صالح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أن الله

تعالى بعث في زمن الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ الى أهل الرس  
( والررس البئر ) نبيا منهم من ولد اسماعيل يقال له حنظلة بن صفوان  
فكذبوه وقتلوه فأوحى الله تعالى الى نبي كان مع بخت نصر يقال له  
نارميا بن برخيا مر بخت نصر يغزو العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم ،  
فليتقتلهم بما صنعوا بنبيهم ، وكان فيهم خالد بن سنان العبسي فقد روى  
أن النبي ﷺ قال : « ذاك نبي أضاعه قومه » وذلك أنه قال لقومه وأهله  
لما حضرته الوفاة : اذا دفنت فانه ستجئ عانة من حمر الوحش  
يقدمها غير أبتر ، فيضرب قبري بحافره ، فاذا رأيتم ذلك فانبشوا  
عني ، فاني سأخرج اليكم وأخبركم بجميع ما هو كائن بعد الموت وأحوال  
البرزخ والقبر ، فلما مات ودفنوه رأوا ما قال • فأبى أولاده نبشسه ،  
وقالوا نخاف أن يشيع بين العرب أننا نبشنا ميتا لنا • فتركوه •

وروى أن ابنته أتت رسول الله ﷺ فبسط لها رداءه فأمنت وقال  
لها : أهلا ببنت خير نبي ضيعه قومه فسمعت رسول الله ﷺ يقرأ :  
« قل هو الله أحد » فقالت : كان أبي يقول هذا • وذكر أهل الأخبار :  
أنه كان من معجزاته : أن نارا ظهرت من أرض العرب كانت تخرج من  
مغارة على الناس فتأكل الناس والدواب ولا يستطيعون ردها ،  
فافتتتوا بها وكادوا يتمجسون فخرج خالد ومعه راعي غنم ، يقال له  
ابن راعية المعزى • فقال له خالد : امسك ثيابي • فأخذ خالد عصاه  
ودخل النار حتى توسطها ففرقتها وهو يقول : بدا بدا كل هدى لله  
مؤدى لأدخلنها وهي تتأطى ولأخرجن منها ثيابي تندي ، ثم انها  
طفئت وهو في وسطها •

وأما قوله : « لم يبعث في العرب نبي قط » فيرد عليه بعد دعواه  
هذه أنه ينبغي حينئذ أن يكون المسلمون من العرب الى الآن لم يأتيهم  
نبي من الله تعالى لا محمد ﷺ ولا غيره من الأنبياء ، فاللازم إذن أن  
لا يعذبهم سبحانه وتعالى اذ عيسى عليه السلام بعث للخراف الضالين  
من بنى اسرائيل كما في الانجيل وموسى عليه السلام أيضا كان مبعوثا



اليهم فقط ، والتعذيب قبل الانذار لا يطابق حكمة الحكيم القهار •

ويورد عليه أن المسيح عليه السلام الذي هو الاله بزعم النصارى  
نم يرسل الى العرب رسولا يأمرهم بالايمان حينما كان الها واحدا  
ولا أمرهم أيضا بالانقرار بالوهيته ولم يعرفهم أنه صار ثلاثة عندما  
دخل في بطن مريم ، وخرج اليهم وحل بينهم ، فأى تقصير للعرب  
بعدم ايمانهم به ؟ فهذا الهمم بزعم النصارى لما كان في السماء لم  
يرسل الى عبده العرب رسولا ، ثم انه لما نزل وصار بصورة انسان  
وسكن معهم في الأرض ، لم يعرفهم حاله ولا تفضل عليهم بالرسالة ،  
ولم يبعث اليهم من رسله أحدا قط الى هذا الآن • مع أنه نزل الى  
الأرض وصار ملعونا بدل خلقته - على ما زعم يولس في رسالته الى  
أهل غلاطية ( ص ٣ ) ونزل الى الجحيم ودخلها بدلهم لخلاصهم ،  
والعرب لم يفوزوا بشيء من ذلك ، فيلزم على الحكيم العادل الرحيم  
الرحمن أن لا يعذبهم ولا يدينهم ، ولا سيما النازل الصاعد هو  
بزعمهم الديان •

فعلى هذا ينبغي أن لا يعذب العرب بانثران وأن يدخلهم بعدله  
ورحمته الجنان ، لما قررناه من عدم الدعوة ، وأنه المخلص للانس  
والجان • فتدبر ما قلناه بانصاف ولا تجعل العرب كالخراف ، فانهم  
ليوث لا تهاب ولا تخاف • ويذكر أيضا ما قلناه أولا مما يتعلق  
بكلماته هذه • والله سبحانه ولى الألطاف •

وأما قوله : « وكان ذلك من تعليم الرجل الملقن له » الى آخره  
يعنى به بحيرا - كما سيصرح به في كتابه هذا • وهذا كلام سبقه  
اليه اخوانه المشركون الذين حكى الله سبحانه قولهم في كتابه فقال  
عز من قائل : « قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا  
وهدى وبشرى للمسلمين • ولقد نعلم أنهم يقولون : انما يعلمه بشر ،  
لسان الذى يلحدون اليه اعجمى ، وهذا لسان عربى مبین »

قال المفسرون (١) : عنوا بهذا البشر حبرا الرومى ، غلام عامر بن الحضرمى كان قد قرأ التوراة والانجيل وكان ﷺ يجلس اليه اذا اذاه أهلامكة ، فقالوا ما قالوا • وقيل : مولى لحويطب بن عبد العرى اسمه عائش أو يعيش ، كان يقرأ الكتب وقد أسلم وحسن السلامه • وقيل : أبو فكيهة مولى لامرأة بمكة قيل اسمه يسار ، وكان يهوديا وعن عبد الله ابن مسلم الحضرمى قال : كان لنا عبدان نصرانيان من أهل عين التمر ، يقال لأحدهما يسار وللآخر جبر ، وكانا يصنعان السيوف . مكة وكانا يقرآن الانجيل فربما مر بهما النبى ﷺ وهما يقرآن فيقف ويستمع • فقال المشركون : انما تعلم منهما • • وفى بعض الروايات : انه قيل لأحدهما : انك تعلم محمدا ﷺ فقال : لا بل هو يعلمنى • وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : بمكة غلام أعجمى رومى لبعض قريش ، يقال له بلعام وكان رسول الله ﷺ يعلمه الاسلام • فقالت قريش : هذا يعلم محمدا من جهة الأعاجم •

قال الشيخ الامام الوالد فى تفسيره روح المعانى : « وأخبرنى من أتق به عن بعض النصارى أنه كان نبيكم ﷺ يتردد اليه فى غار حراء رجلان نصرانى ويهودى يعلمانه ، ولم أجد هذا عن أحد من المشركين • وهو كذب بحت لا منشأ له وبهت محض لا شبهة فيه ، وانما لم يصرح باسم من زعموا أنه يعلمه عليه الصلاة والسلام مع أنه أدخل فى ظهور كذبهم للايذان بأن مداد خطأهم ليس نسبته ﷺ الى التعلم من شخص معين ، بل من البشر كائنا من كان ، مع كونه عليه الصلاة والسلام معدنا لعلوم الأولين والآخرين • ومحصل معنى الآية : ولقد نعلم أن هؤلاء الكفار يقولون ليس القرآن من عند الله تعالى وانما يعلم محمدا بشر من بنى آدم غير ملك • وقد اختلف

(١) يظن المفسرون : ان القائل فرد واحد كان فى زمان محمد ﷺ . وهذا خطأ منهم . فان « بشر » معناها : البشر . أى يقول الكافرون انما يعلم محمدا البشر . أى انه جمع قرآنه من كتب هى أساطير الأولين . والقائل ليس فردا بعينه ، فى زمان بعينه . بل هذا هو قول الكفار فى كل زمان ومكان •

أهل العلم في تعيين هذا البشر الذي زعموا عليه ما زعموا كما قدمنا •  
ثم أجاب سبحانه عن قولهم هذا فقال : « لسان الذي يلحدون إليه »  
أى لغته وكلامه « أعجمي » والا لحاد الميل • والمعنى لسان الذي يميلون  
إليه ويشيرون ويزعمون أنه يعلمك أخبار القرون الأولى لكونك أميا  
أعجمي وأنجمه عدم الافصاح ، والعرب تسمى كل من لا يعرف لغتهم  
ولا يتكلم بها أعجميا • « وهذا » أى القرآن لسان أى كلام عربى  
مبين • وسماه لسانا لأن العرب تقول للتصيدة والبيت : لسانا •  
أو أراد باللسان البلاغة ، فكأنه قال : وهذا قرآن ذو بلاغة عربية  
وبيان واضح ، فكيف تزعمون أن بشرا يعلمه من العجم ؟ وأين فصاحة  
هذا القرآن من عجمة هذا الذى تشيرون إليه وقد عجزتم أنتم عن  
معارضة سورة منه ، وأنتم أهل الفصاحة وقادة البلاغة • وهو عليه  
الصلاة والسلام أمدى لا يقرأ ولا يكتب • فثبت بهذا : أن الذى جاء  
به وحى من الله سبحانه لا بتعليم بشر ولا من تلقاء نفسه • والله سبحانه  
الهادى الى سواء الطريق » •

قال النصرانى : « ثم انه استصحب قوما فراغا أصحاب غارات  
ممن يصيب الطريق على سنة البلد ، وعادة أهله الجارية عندهم الى  
هذه الغاية • فانضم اليه هذا الضرب وأقبل بيت الطلائع ويدس  
العيون ويبعث الى المواضع التى ترد القوافل اليها من الشام بالتجارات ،  
فيصيبونها قبل وصولها فيغيرون عليها فيأخذون العير والتجارات  
ويقتلون الرجال والدليل على ذلك : أنه خرج فى بعض أيامه فرأى  
جمالا مقبلة من المدينة الى مكة وكانت الجمال لأبى جهل بن هشام  
ويسمى ذلك غزوا على سبيل ما تسميه أعراب البادية اذا خرجت  
الفارة على اسابلة ، وأصابة الطريق • وكان أول خروجه من مكة  
الى المدينة بهذا السبب • وهو حينئذ ابن ثلاث وخمسين سنة ، بعد أن  
ادعى ما ادعاه من النبوة بمكة ثلاث عشرة سنة ، ومعه من أصحابه الذين  
قد ألفوا معه ولصقوا به أربعون رجلا وقد لقي كل جهد وكل أذى من  
أهل مكة ، لأنهم كانوا به عارفين ، فأظهروا أن طرده لادعائه النبوة

وعقد باطنهم ، لما صح عندهم من اصابته الطريق ، فصار مع أصحابه الى المدينة ، وهى يومئذ خراب يباب ليس فيها الا قوم ضعفاء أكثرهم يهودى لا حراك بهم ، فكان أول ما افتتح به أمر فيها من العدل وأظهار نصفة النبوة وعلامتها : انه أخذ المرید الذى للفلامين اليتيمين من بنى النجار وجعله مسجداً • ثم انه بعث أول بعث حمزة بن عبد المطب في ثلاثين راكباً الى العيص من بلد جهينة يعترض غير قريش ، وقد جاءت من الشام ، فلقى أبا جهل بن هشام في ثلاثمائة رجل من أهل مكة ، فافترقوا لأن حمزة كان في ثلاثين فخاف لقاء أبى جهل وفزع منه ، فلم يكن بينهم قتال • فأين شروط النبوة — أصلحك الله — في هذا الموضع من قول الله تبارك وتعالى في التوراة المنزلة من عنده لموسى ، حيث وعده أن يدخل بنى اسرائيل الذين أخرجهم من مصر الى أرض الجبابة المسماة أرض الميعاد • وهى أرض فلسطين والشام وأن الواحد يهزم ألفاً والاثنين يهزمان ربوة لما ألقيت في قلوبهم من الفزع والرعب ، وكذلك كان فعله جل وعز بهم على يدى يشوع بن نون المتولى ادخال بنى اسرائيل أرض الميعاد ومحاربة فلسطين ؟ فهذا — أكرمك الله حد ما يطالب به في هذا الموضع من علامات النبوة والرسالة لصاحبك » لانتمى •

فأقول : قوله « ثم انه استنصب قوما فراغا أصحاب غارات ممن يصيب الطريق » الى آخره • كلام زور وكذب وتمويه على ضعفاء العقول لأن الذين اتبعوه عليه الصلاة والسلام وآمنوا به لم يكن همهم المال ، ولا مقصدهم الغنى ، كما هو معلوم لمن عرف سيرهم وسبر تراجمهم بالروايات المتواترة الصحيحة المتسلسلة بالرواة الثقات ، بل الأمر بالعكس ، فان أغلب الذين اتبعوه عليه الصلاة والسلام كانوا يقدمون الى حضرته العلية أموالهم لانفاقها في سبيل الله تعالى وصفها لثففة المجاهدين وتقوية الدين المبين وكلام هذا النصرانى لا يجديه نفعا لأننا قد أثبتنا في كتابنا هذا نبوة نبينا محمد ﷺ بالبراهين القاطعة العقلية والنقلية فحيث لا يتوجه عليه الصلاة والسلام طعن طاعن في

فقال رسول الله ﷺ لا اله غيره • قال وكانت يمين رسول الله ﷺ قال : قلت : نعم والله الذي لا اله غيره • قال : فألقيت رأسه بين يدي رسول الله ﷺ فحمد الله تعالى • قال ابن هشام : وكان قد ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح فقطع رجلاه وضرب ابنه عكرمة يد معاذ فطرحها ثم ضربه معوذ بن عفراء حتى أثبتته ثم ترك وبه رمق ، ثم ذفف عليه عبد الله بن مسعود فاجتز رأسه حين أمر رسول الله ﷺ به أن يلتمس في القتلى • وكان من أعظم أعداء النبي ﷺ المصريين على كفرهم والمؤذنين له والطاعنين في دينه ، والمثبطين للناس على اتباعه والجامعين على محاربتة الجموع • وكان عليه الصلاة والسلام يناله منه ومن رفقاءه ما لم يناله من غيرهم ، فهو فرعون هذه الأمة •

قال ابن اسحق : كان رسول الله ﷺ ثلاث سنين من بعد بعثته يخفى أمره ويستتر به ، الى أن أمره الله تعالى باظهار دينه بقوله سبحانه : « فاصدع با تؤولر وأعرض عن المشركين » وقوله تعالى : « وانذر عشيرتك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » وقل : « انى أنا النذير المبين » لما دخل الناس في الاسلام رسالا من الرجال والنساء ، حتى فشا ذكر الاسلام بمكة ، وتحدث به •

قال ابن اسحق : وكان أصحاب رسول الله ﷺ اذا صاوا ذهبوا في الشجاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم ، فبينما سعد بن أبى وقاص في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في شعب من شعاب مكة ، اذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون ، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون ، حتى قال : قاتلوهم ، فضرب سعد بن أبى وقاص يومئذ رجلا من المشركين بلحى بعير فشجه ، فكان أول دم أهريق في الاسلام ولما بادی رسول الله ﷺ قومه بالاسلام وصدع به كما أمره الله تعالى لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه ، حتى ذكر آلهتهم وعابها • فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه ، وأجمعوا على خلافه وعداوته ، الا

غزوه وجهاده وتعاطى الأسباب الموجبة الى اتباع دعوته وتوحيد البارى سبحانه والاشرار بالهيته وربوبيته ، اذ هو عليه الصلاة والسلام في ذلك متبع لأوامر رب العالمين مأمور بقوله سبحانه : « فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين » ، وسالك في جهاده مسلك اخوانه المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فكم قد قتلوا من الكفار نفوسا وأأسروا منهم عروسا ، وأماتوا صغارا ، وسلبوا نضارا ، وأبادوا بلادا وأيتموا أولادا ، وحرقوا مواشيا وأشجارا وأغرقوا عبادا فجارا فأدخلوهم نارا كما تحكيه عنهم الكاب السماوية والذير الاسرائيلية . وكل ذلك بأمر الهى ومدد سماوى . والآمر سبحانه يفعل ما يختار ويشاء ويحكم ما يريد فى الأرض والسماء ، فلا راد لحكمه ولا معتب لأمره ، فلا تخلو أفعاله جل وعز عن حكم عليه ومصالح لا تصل الى معرفتها العقول البشرية . فله سبحانه الأمر ، بين الكاف والنون ، لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون .

قوله : « وكانت الجمال لآبى جهل بن هشام » الى آخره واسمه عمرو وكان يكنى أبا الحكم بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى ، وقتل فى غزوة بدر ، وكان يرتجز ويقول :

ما تنقم الحرب العوان منى  
بازل عامين حديث سنى  
لمثل هذا ولدتنى أسمى

ولما فرغ رسول الله ﷺ من القتال فى بدر ، أمر بأبى جهل لعنه الله تعالى أن يلتمس فى القنطرى . قال عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه فوجدته بأخر رمق فوضعت رجلى على عنقه ، وقلت له : هل أخزأك الله يا عدو الله ؟ قال : وبماذا أخزأنى ؟ أعار على رجل قتلتهموه ؟ أخبرنى لمن الدائرة اليوم ؟ قال : قتلت لله ولرسوله . ثم اجتززت رأسه ثم جئت به رسول الله ﷺ فقتلت بها رسول الله هذا رأس عدو الله أبى جهل قال :

من عصم منهم بالاسلام ، وهم قليل مستخفون وحذب على رسول الله ﷺ معه أبو طالب ومنعه وقام دونه ولما رأت قريش أن النبي ﷺ لا يترك ذكر آلهم وعيبتها ، وأن أبا طالب قد حذب عليه فلم يسلمه لهم ، مشى رجال من أشراف قريش الى أبي طالب وفيهم أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف وأبو سفيان ابن حرب بن أمية بن عبد شمس ، وأبو البختری وأسمه العاص والوليد ابن المغيرة وغيرهم • فقالوا يا أبا طالب ان ابن أخيك قد سب آلهمنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا • فاما أن تكفه عنا واما أن تخلى بيتنا وبينه • فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه • فنكفيكه •

فقال لهم أبو طالب قولوا رقيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه • ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو اليه ثم استند الأمر بينه وبينهم ، حتى تباعد الرجال وتضاغنوا وأكثر قريش ذكر رسول الله ﷺ بينها ، وحض بعضهم بعضا عليه ، ثم انهم مشوا الى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له : يا أبا طالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا ، وانا قد استنهيئك من ابن أخيك فلم تنهه عنا • وانا والله لا نصير على هذا من شتم آباءنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهمنا حتى تكفه عنا أو ننزله وإياك في ذلك ، حتى يهاك أحد الفريقين ، ثم انصرفوا عنه ، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ، ولم يطم نفسا باسلام رسول الله ﷺ لهم ولا خذلانه ، فبعث أبو طالب الى رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال له : يا ابن أخي ان قومك قد جاءوني • فقالوا لي كذا وكذا للذي كانوا قالوا ، فابق على وعلى نفسك ، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق •

قال رسول الله ﷺ : يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته • ثم قال أبو طالب : اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله ما أسلمك لشيء أبدا ، ثم ان قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى

خذلان رسول الله ﷺ واسلامه اليهم واجماعه لفرقتهم في ذلك وعداديتهم ، مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقلوا له : يا ابا طالب هذا عمارة بن الوليد أتهد فتى في قرش وأجمله فخذه فلك عقله ونصره واتخذ ولدًا ، فهو لك وأسلم الينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك ففقتله ، فانما هو رجل برجل قال : والله لبئس ما تسومونني • أتعتونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه ؟ هذا والله ما يكون أبدا •

فحقب الأمر بينهم وبينه وحميت الحرب وتناذب القوم • ثم ان قريشا تذامروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسالمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله رسوله ﷺ بعمه أبى طالب • وقد قام أبو طالب حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون في بنى هاشم وينى المطلب ، فدعاهم الى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه فاجتمعوا اليه وقاموا معه ، وأجابوه الى ما دعاهم اليه ، الا ما كان من أبى لهب عدو الله ورسوله •

ثم ان الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش — وقد حضر الموسم — فقال لهم : يا معشر قريش انه قد حضر هذا الموسم ، وان وفود العرب ستقوم عليكم فايه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ، ويرد قواكم بعضه بعضا • قالوا : فاننا يا ابا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا ، نقل به • قال بل أنتم فقولوا استمع ، قالوا نقول كاهن قال لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمنة الكاهن ولا سجعته ، قالوا : فنقول مجنون • قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته • قالوا : فنقل شاعر قال : ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله فما هو بالشعر • قالوا : فنقول ساحر • قال : ما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحراهم ، فما هو بنقتهم ولا عقدهم ،



قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله ان لقوله لخلوة وأن أصله لعذق ، وان فرعه لجناة • وما أنتم بقاتلين من هذا شيئاً الا عرف أنه باطل وان أقرب القول فيه : لأن نقولوا هو ساحر جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه وأخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته • فنفرقوا عنه بذلك •

فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد الا حذروه اياه وذكروا لهم أمره ، فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة قوله سبحانه : « ذرني ومن خلقت وحيدا ، وجعلت هـ مالا ممدودا ، وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ، ثم يطمع أن أزيد • كلا انه كان لآياتنا عنيدا » أي خصيما • قال ابن اسحق ان أبا جهل لعنه الله تعالى مر برسول الله ﷺ عند الصفا فاذاه وشتمه • ونال منه ما يكره من العيب لدينه ، والتضعيف لأمره ، فلم يكلمه رسول الله ﷺ فسمع بذلك عمه حمزة بن عبد المطلب ، فأتى أبا جهل فقام على رأسه ، ورفع القوس فضربه بها فشق شجة منكورة ، ثم قال : انثثتمه وأنا على دينه ؟ أقول ما يقول • فرد على ان استطعت فبقي حمزة على اسلامه ، فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع وأن حمزة سيمنعه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه ولما رأوا ذلك وأن أصحابه عليه السلام يزيدون ويكثرون ، قال لهم عتبة بن ربيعة وكان سيادا يا معشر قريش ألا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها ويكف عنا فقالوا : بلى يا أبا الوليد • فقام اليه عتبة حتى جلس الى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخى انك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب ، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها • فقال له رسول الله ﷺ :

قل يا أبا الوليد اسمع • قال : يا ابن أخي ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت انما تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا تقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي يأتيك رثيا أى جنيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه ، أو كما قال لله • حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه ، قال أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال نعم • قال : فاستمع منى • قال : فقال : « بسم الله الرحمن الرحيم : حم تنزيل من الرحمن الرحيم • كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون • بشيرا ونذيرا فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون • وقالوا : قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه » •

ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه فلما سمعها منه عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ثم انتهى رسول الله ﷺ الى السجدة منها فسجد • ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك • فقام عتبة الى أصحابه • فقال بعضهم لبعض : يحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به • فلما جلس اليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائى أنى سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش أطيعونى وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ، فو الله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ • فان نصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وان ظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به • قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه • قال : هذا رأى فيه فاصنعوا ما بدا لكم •

قال ابن اسحاق : ثم ان الاسلام جعل يفتشو بمكة فى قبائل قريش فى الرجال والنساء وقريش تحبس من قدرت على حبسه وتفتن من استطاعت فتنته من المسلمين • ثم ان أشرف قريش من كل قبيلة

اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، وفيهم عتبة بن ربيعة  
وأبو سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة وأبو جهل وغيرهم ثم قال  
بعضهم لبعض : البعثوا الى محمد فكنهوه وخاصموه حتى تعذروا فيه ،  
فبعثوا اليه ﷺ فجاءهم وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلهم فيه بداء ،  
وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ، حتى جلس اليهم • فقالوا :  
يا محمد انا قد بعثنا اليك لنكلمك وانا والله ما نعلم رجلا من العرب  
أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء وعبت  
الدين ، وشتمت الآلهة وسفنت الأحلام وفرقت الجماعة ، فان كنت  
انما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا  
مالا ، وان كنت انما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا ، وان كنت  
تريد به ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذي يأتيك رثيا تراه قد  
غلب عليك • وكانوا يسمون أتباع من الجن رثيا ، فربما كان ذلك بذانا  
لك أموالنا في طلب الطب لك ، حتى نبرئك منه ، أو نعذر فيك • فقال  
اهم رسول الله ﷺ ما بي ما تتولون • ما جئت بما جئتمكم أطلب أموالكم  
ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني اليكم رسولا  
وأنزل على كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات  
ربي ونصحت لكم • فان تقبلوا مني ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا  
والآخرة ، وان تردوه على أصبر لأمر الله ، حتى يحكم الله بيني وبينكم  
وطال بينه وبينهم الكلام • ثم انصرف رسول الله ﷺ الى أهله حزينا  
أسفا لما فاتته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه ، ولما رأى  
من مبادئهم اياه •

فلما قام عنهم رسول الله ﷺ قال أبو جهل لعنه الله تعالى :  
يا معشر قريش ان محمدا قد أبى الا ما ترون من عيب ديننا وشتم  
آبائنا وتسفاهه أحلامنا وشتم آلهتنا واني أعاهد الله لأجلسن له غدا  
بحجر ما أطيق حملة ، فاذا سجد في صلاته فضخت به رأسه ، فأسلموني  
عند ذلك أو امنعوني ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدالهم •  
قالوا : والله لا نسلمك لشيء أبدا فامض لما تريد ، فلما أصبح أبو

جهل أخذ حجرا كما وصف ، ثم جلس رسول الله ﷺ ينتظره وغدا رسول الله ﷺ كما كان يدعو ، فنام يصلى عند الكعبة وقد غدت قريش ، فجلسوا في أنديةهم ينظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد رسول الله ﷺ احتلم أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا ، قد يبست يده على حجره ، حتى قذف الحجر من يده •

وقامت إليه رجال قريش ، فقالوا له : مالك يا أبا الحكم ؟ قال : قممت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الابل لا والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته أى عنقه ولا أنيابه لفحل قط ، فهم بى أن يأكننى فلما قال لهم ذلك ، قام النضر ابن الحارث بن كلادة فقال : يا معشر قريش انه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به ، قتلتم ساحر ، لا والله ما هو بساحر ، لقد رأينا السحرة ونفتهم وعقدهم • وقلتم كاهن • لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم ، وقلتم شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ، لقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه ، وقلتم مجنون لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون فما هو بختقه ولا وسوسته ولا تخليطه ، يا معشر قريش فانظروا في شأنكم ، فانه والله لقد نزل بكم • أمر عظيم •

فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعثوه ويعثوا معه عقبة بن أبى معيط الى أحبار يهود بالمدينة ، وقالوا لهما : سلام عن محمد وصفا لهم صفاته واخبراهم بقوله فانهم أهل الكتاب الأول وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قدما المدينة فسألا أحبار اليهود عن رسول الله ﷺ ووصفا لهم أمره واخبراهم بعض قوله ، وقالوا لهم : انكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، فقالت لهما

أخبار اليهود : سألوه عن ثلاث فأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول ، فروا فيه رأيكم •

سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم ؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب • وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هي ؟ فإن أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبي ، وان لم يفعل فهو رجل متقول ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم • فأقبل النصر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط حتى قدما مكة على قريش فقالوا : يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أخبرنا أخبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها ، فإن أخبرنا عنها فهو نبي ، وان لم يفعل فالرجل متقول ، فروا فيه رأيكم • فجاجوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول لقد كانت لهم قصة عجب • وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها • وأخبرنا عن الروح ما هي ؟ فقال لهم رسول الله ﷺ أخبركم بما سألتهم عنه غدا • ثم بعد ذلك جاءه جبرائيل من الله عز وجل يسورة أصحاب الكهف ، وفيها الأجوبة عن أسئلتهم •

ولما جاءهم صلى الله تعالى عليه وسلم بما عرفوا من الحق وعرفوا صدقه فيما حدث وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغروب ، حين سألوه عما سألوه عنه ، حال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه ، فعتوا على الله وتركوا أمره عيانا ولجوا فيما هم عليه من الكفر ، فقال قائلهم : (( لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون )) أى اجعلوه لغوا وباطلا واتخذوه هزوا لعلكم تغلبونه بذلك ، فانكم ان ناظرتموه يوما غلبكم ثم ان الله سبحانه أظهره عليهم حتى هلكوا في غزوة بدر ، وقتلوا أشر قتلة ونصره الله تعالى عليهم نصراً عزيزاً وآمنت به القبائل ، ودخلوا في دينه أفواجا •

واتبعه من النصرى واليهود والمجوس والمشركين أكثرهم وعم

دينه أهل المشرق والمغرب بأقصر زمن وأقل مدة • وما ذلك الا عن امداد  
الهي ونصر رباني وتأبيد رحمانى ، قاض بصدق نبوته ، ودال على  
حقية رسالته ، وحاكم بعموم دعوته عند كل ذى قلب سليم ولب مستقيم ،  
والحمد لله على التوفيق وهدايته الى أقوم طريق •

**قوله : « وكان أول خروجه من مكة الى المدينة بهذا السبب »**  
الى آخره • هذا وما بعده أيضا من جملة افتراء هذا النصرانى وكذبه  
وبهتانه وتمويهه على ضعفة العقول لأن النبى عليه الصلاة والسلام  
هاجر الى المدينة ، لكن لا لهذا السبب بل هجرته لأسباب آخر نذكرها  
ان شاء الله تعالى قريبا •

والعجب من هذا النصرانى ولا عجب كيف نسى ما فى انجيل  
يوحنا فى الأصحاح الرابع ما نصه : « وبعد اليومين خرج من هناك  
ومضى الى الجليل لأن يسوع نفسه شهد أن ليس أنبى كرامة فى وطنه »  
انتهى ونسى ما فعلته اليهود على زعمه بالمسيح من اهانتته وضربه ورميه  
بأثيياء عظيمة وصلبه • وهو المههم ولم يقدر على خلاص نفسه منهم  
ورنادى « ايل ايل لم شسبقتنى ؟ أى الهى الهى لم تركتنى ؟ » فكيف  
نسى ما حل بالله على زعمه وذكر ما فعلته قريش مع النبى ﷺ  
مما هو بالنسبة الى ما فعله اليهود بالمسيح عليه السلام كنسبة مسألة  
الشعيرة ؟ فكما أن ذلك لا يزرى بالمسيح عليه السلام وكذا ما فعله  
بنو اسرائيل بأنبيائهم كزكريا ويحيى وغيرهما لا يخل بجلالة نبوتهم ،  
كذلك ما فعله قريش بنبينا عليه الصلاة والسلام لا يزرى بمقامه الرفيع  
ولا يشين وجه دعوته الصادقة ، ورسالته العالية عند كل ذى لب  
وانصاف •

واعلم : أن قريشا لما فتقوا الذين أسلموا وعذبوا كثيرا منهم بأنواع  
العذاب الأليم ، ومع ذلك فلا يرجعون عن اسلام ولا ينتهى غيرهم عن  
الدخول فيه ، ورأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلاد  
الحبشة وأصابوا أمنا وقرارا ، وأن الذجاشى قد منع من لجأ اليه

منهم ، وأن عمر رضى الله تعالى عنه قد أسلم وحمة بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه مع رسول الله ﷺ وأصحابه وجعل الاسلام يفسو في القبائل ، اجتمعوا واثمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى عبد المطلب على أن لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم .

فلما اجتمعوا لذلك كتبوا فى صحيفة ثم تعاهدوا وتوافقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم ، فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا لا يصل اليهم شيء الا سرا مستخفيا به ، ممن أراد صلتهم من قريش . وقد كان أبو جهل لقى حكيم ابن حزام بن خويلد معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة بنت خويلد وهى عند رسول الله ﷺ فتعلق به ، وقال : أتذهب بالطعام الى بنى هاشم والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة ؟ فجاءه أبو البختري بن هشام بن الحرث . فقال : مالك وله ؟ فقال : يحمل الطعام الى بنى هاشم . فقال أبو البختري : طعام كان لعمته عنده بيعت اليه ، أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ؟ خل سبيل الرجل . فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه ، فأخذ أبو البختري لحي بغير فضربه فشهجه ووطأه وطأ شديدا .

ورسول الله ﷺ على ذلك يدعو قومه ليلا ونهارا وسرا وجهارا مناديا بأمر الله تعالى لا يتقى فيه أحدا من الناس .

ثم ان النبي ﷺ قال لأبى طالب : يا عم ان الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش ، فلم تدع فيها اسما هو لله الا أثبتته فيها ونفت منها الظلم والتطبيعة والبهتان ، أى أكاته ، فقال : أربك أخبرك بهذا قال : نعم قال : فو الله ما يدخل عليك أحد . ثم خرج الى قريش فقال : يا معشر قريش ان ابن أخى أخبرنى بكذا وكذا ، فهلهم صحيفتكم فان كانت كما قال ابن أخى فانتهوا عن قطيعتنا ، وأنزلوا عما فيها وان كان كاذبا دفعت اليكم ابن أخى . فقال القوم : رضينا فتعاقدوا على ذلك ،

ثم نظروا فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ فزادهم ذلك شرا وكان نفر منهم يؤذون رسول الله ﷺ في بيته وهم جاره ، وكان أحدهم يطرح عليه رجم الشاة وهو يصلى ، وكان أحدهم يطرحها في برمته ، إذا نصبت له ، حتى اتخذ عليه الصلاة والسلام حجرا يستتر به منهم إذا صلى ، وكان إذا طرحوا عليه ذلك الأذى يخرج به فيقف به على بابه ، ثم يقول : يا بنى عبد مناف أى جوار هذا ؟ ثم يلقيه في الطريق • ثم ان أبا طالب وخديجة رضى الله تعالى عنها ماتا في عام احد ، فنتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلكهما •

قال ابن اسحاق : ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تتألم منه في حياته ، فخرج رسول الله ﷺ الى الطائف ، يلتمس النصرة من ثقيف ، والمنعة بهم من قومه رجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل ، فخرج اليهم وحده ، ثم خرج منهم وقد يؤس من خيرهم ، فانصرف راجعا الى مكة ، فلما قدمها وجد قومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه ، الا قليلا مستضعفين ممن آمن به • فكان عليه الصلاة والسلام يعرض نفسه في المواسم اذا كانت على قبائل العرب ، يدعوهم الى الله تعالى ويخبرهم أنه نبي مرسل ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله تعالى ما بعث به ، وكان عليه الصلاة والسلام يقف بمنى على منازل القبائل من العرب ، فيقول يا بنى فلان انى رسول الله اليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بى وتصدقوا بى وتمنعونى حتى أبين عن الله تعالى ما بعثنى به •

قال ابن اسحاق : فلما أراد الله عز وجل اظهار دينه واعزاز نبيه عليه الصلاة والسلام وانجاز مواعده له خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذى لقي فيه النفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب ، كما كان يصنع في كل موسم ، فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج أراد الله تعالى بهم خيرا فقال لهم : من أنتم ؟ قالوا نفر من الخزرج ،



قال : أمن موالى يهود ؟ فقالوا : نعم . قال : أفلا تجلسون أكلمكم ؟  
فقالوا : بلى . فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم  
الاسلام وتلا عليهم القرآن ، وكان مما صنع الله تعالى لهم به في الاسلام  
أن يهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وكانوا هم أهل  
شرك وأصحاب أوثان وكانوا قد غزوهم ببلادهم ، فكانوا اذا كان  
بينهم شيء قالوا لهم : ان نبيا مبعوثا الآن قد أطل زمانه نتبعه فنفتلكم  
معه قتل عاد وارم ، فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ، ودعاهم  
الى الله تعالى ، قال بعضهم لبعض : يا قوم تعلمون والله انه النبي  
الذي نرعدكم به يهود ، فلا يسببتنكم اليه ، فأجابوه وصدقوه وقبلوا  
منه ما عرض عليهم من الاسلام ، وقالوا له : انا تركنا قومنا ولا قوم  
بينهم من العداوة والشرا ما بينهم ، وعسى أن يجمعهم الله تعالى بك ،  
فستقدم عليهم فنندعوهم الى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبتك اليه  
من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك .

ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين الى بلادهم وقد آمنوا  
وصدقوا ، فلما قدموا المدينة الى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ  
ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم تبق دار من دور الأنصار الا  
وفيهما ذكر من رسول الله ﷺ .

حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر  
رجلا ، فأتوه عليه الصلاة والسلام بالعقبة - وهي العقبة الأولى -  
فبايعوه على بيعة النساء ، وذلك قبل أن يفرض الحرب على أن لا يشركوا  
بالله شيئا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ولا يأتوا ببهتان يمترونه من  
بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصوه في معروف ، فان وفوا فلهم الجنة ،  
وان غشوا من ذلك شيئا فأمرهم الى الله عز وجل ان شاء غفر وان شاء  
عذب .

ولما انصرف عنه القوم بعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم  
وأمره أن يقرأهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم في الدين ، فكان يسمى  
المقرئ بالمدينة مصعب .

قال ابن اسحاق : ثم البيعة الثانية الكبيرة بالعقبة فان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج من خراج من الأنصار من المسلمين الى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك ، حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله ﷺ بالعقبة من أوسط أيام التشريق ، حين أراد الله تعالى بهم ما أراد من كرامته والنصر لنيبه واعزاز الاسلام وأهله ، واذلال الشرك وأهله فناموا مع قومهم المشركين في رحالهم تلك الليلة التي واعدوا بها رسول الله ﷺ حتى اذا مضى ثلث الليل خرجوا من رحالهم ليعاد رسول الله ﷺ يتسللون تسلك القطا مستخفين ، حتى اجتمعوا في الشعب عند العقبة ، وهم ثلاثة وسبعون رجلا من الخزرج والأوس ، ومعهم امرأتان من نسائهم •

فاجتمعوا ينتظرون رسول الله ﷺ حتى جاءهم ومعه عمه العباس ابن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه الا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه عليه الصلاة والسلام ويتوثق له ، فلما جلس كان أول متكلم العباس • فقال : يا معشر الخزرج وكانت العرب يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها ان محمدا منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ، مما هو على رأى مثلنا فيه ، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده ، وانه قد أبى الا الانحياز اليكم واللاحق بكم ، فان كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم ، فمن الآن فدعوه ، فانه في عز ومنعة من قومه وبلده • فقالوا للعباس : قد سمعنا ما قلت • وقالوا للنبي عليه الصلاة والسلام فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت • فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا الى الله تعالى ورغب في الاسلام •

ثم قال : أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون به نساءكم وأبناؤكم • فأخذ البراء بن معرور بيده • ثم قال : نعم والذي بعثك بالحق لنمنعك مما تمنع منه أذرنا فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أهل الصروب وأهل الحلقة ، ورثناها كابرا عن كابر •

ثم قال أبو الهيثم بن أقيهان : يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال

حبالا وانا قاطعوها — يعنى اليهود — فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ،  
ثم أظهرك الله أن ترجع الى قوك وتدعنا ؟ • فتبسم رسول الله ﷺ  
ثم قال : بل الدم الدم والمهدم المهدم أنا منكم وأنتم منى أحارب من  
حاربتكم وأسالم من سالمتم — أى ذمتى ذمتكم وحرمتى حرمتكم —

ثم قال عليه الصلاة السلام : أخرجوا الى منكم اثنى عشر  
نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم ، فأخرجوا اثنى عشر نقيبا تسعة  
من الخزرج وثلاثة من الأوس • فقال عليه الصلاة والسلام للنقباء :  
أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحوارين لعيسى ابن مريم ،  
وأنا كفيل على قومى ؟ — يعنى المسلمين — قالوا : نعم •

قال ابن اسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن القوم  
لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عباد بن نضلة :  
يا معشر الخزرج هل تدرون على ما تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم •  
قال : انكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فان كنتم  
ترون أنكم اذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه ، فمن  
الآن فهو والله ان فعلتم خزي الدنيا والآخرة ، وان كنتم ترون أنكم  
وافون لله بما دعوتموه اليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف ، فخذوه •  
فهو والله خير الدنيا والآخرة • قالوا : فانا نأخذنه على مصيبة الأموال  
وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك يا رسول الله ، ان نحن وفينا ؟ قال :  
الجنة • قالوا ابسط يده فبايعوه •

قال الزهرى : حدثنى معبد بن كعب بن مالك فحدثنى في حديثه  
عن أخيه عبد الله بن كعب عن أبيه كعب بن مالك قال : كان أول من  
ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور ، ثم بايع بعده القوم ،  
فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت  
سمعتة قط : يا أهل الجبابب — أى المنازل — هل لكم فى مذمم ؟ أى  
محمد عليه الصلاة والسلام لأن المشركين كانوا يسمونه به والصبا معه  
قد اجتمعوا على حربكم ، قال فقال رسول الله ﷺ : هذا أذب العقبة ،

هذا ابن أزيب ، أى عدو الله أما والله لأقرغن لك • ثم قال رسول الله ﷺ : ارفضوا إلى رحالكم ، فقال له العباس بن عباد : والذي بعثك بالحق ان شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا • فقال رسول الله ﷺ : لم نؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم ، فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا عليها ، حتى أصبحنا فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش ، حتى جاءونا فى منازلنا • فقالوا : يا معشر الخزرج انه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا ، وأنه والله ما من حى من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم ، فانبعث من هناك من مشركى قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شىء وما علمناه •

قال الراوى : وقد صدقوا ، لم يعلموه • فلما قدموا المدينة أظهروا الاسلام وفى قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك ، منهم عمرو بن الجموح ، وكان ابنه معاذ بن عمرو شهد العقبة وبايع رسول الله ﷺ وكان عمرو المذكور من سادات بنى سلمة ، وكان قد اتخذ فى داره صنما من خشب يقال له مناة كما كانت الأشراف يصنعون تتخذ لها تعظمه ، فلما أسلم قوم عمرو كانوا يدلجون بالليل مع ولده معاذ على صنم عمر فيحملونه فيطرحونه فى بعض الحفر ، وفيها عذر الناس منكسا على رأسه ، فاذا أصبح عمرو قال : ويلكم من غدا على آلهتنا هذه الليلة ؟ ثم يدعو يلتمسه حتى اذا وجده غسله وطهره وطيبه ، ثم قال : أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزينه ، ثم اذا أمسى ونام عمرو فعلوا به مثل ذلك حتى فعواوا به ذلك مرارا فلما أكثروا عليه استخرجه فغسله وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه • ثم قال له : انى والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى ، فان كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك • فلما أمسى ونام عمرو ، غدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ، ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ، ثم ألغوه فى بئر فيها عذر ، وغدا عمرو فلم يجده فى مكانه فخرج يتبعه حتى وجده فى تلك البئر منكسا مقرونا بكلب ميت ، فكلمه من أسلم من قومه فأسلم وحسن

اسلامه رضى الله تعالى عنه فقال حين أسلم وعرف من الله تعالى : ما عرف ، وهو يذكر صنمه وما أبصر من أمره ويشكر الله تعالى الذى أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة قوله :

والله لو كنت الها لم تكن أنت وكلب وسط بئر فى قرن  
الحمد لله العلى ذى المنن الواهب الرزاق ديان الدين  
أف لملقائك الها مستندن الآن فتشسناك عن سوء الغبن  
هو الذى أنقذنى من قبل أن أكون فى ظلمة قبر مرتهن  
بأحمد المهدي النبى المؤتمن

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : كان رسول الله ﷺ قبل بيعة العقبة لم يؤذن له فى الحرب ولم تحط له الأدماء انما يؤمر بالدعاء الى الله والصبر على الأذى والصفح عن الجهل ، وكانت قريش قد اضطهدت على من اتبعه من قومه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوهم من بلادهم ، فهم بين مفتون فى دينه وبين معذب فى أيديهم وبين هارب فى البلاد فرارا منهم بأرض الحبشة ومنهم من بالمدينة وفى كل وجه ، فلما عنت قريش على الله عز وجل وردوا عليه ما أراد بهم من الكرامة وكذبوا نبيه عليه الصلاة والسلام وعذبوا ونفوا من عبده ووحده وصدق نبيه واعتصم بدينه ، أذن الله عز وجل لرسوله عليه الصلاة والسلام فى القتال والامتناع والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم . فكانت أول آية أنزلت فى اذنه له فى الحرب واحلاله له القتال لمن بغى عليهم قوله تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله قوى عزيز . الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور » .

ثم انزل الله تعالى : « وقتاؤهم حتى لا تكون فتنة » أى حتى لا

يفتن مؤمن عن دينه ويكون الدين لله أى حتى يعبد الله لا يعبد معه غيره •

قال ابن اسحاق : فلما أذن الله سبحانه له عليه الصلاة والسلام في الحرب تابعه هذا الحي من الأنصار على الاسلام والنصرة له ولمن اتبعه وآوى اليهم من المسلمين ، أمر رسول الله ﷺ أصحابه من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج الى المدينة والهجرة اليها واللحوق باخوانهم من الأنصار • وقال ان الله تعالى قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون بها فخرجوا أرسالا وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة ، والهجرة الى المدينة •

وكان أول من هاجر الى المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد واسمه عبد الله • وكان قبل ذلك مهاجرا الى الحبشة ، ثم خرج عمر بن الخطاب ومعه أهله وقومه وصهيب لما أراد الهجرة قال له كفار قريش أتيتنا صلوكا حقيقيا فكثير مالك عندنا ، وبلغت الذى بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك والله لا يكون ذلك ؟ فقال لهم صهيب • أرأيتم أن لو جعلت لكم مالى أتخارون سببى ؟ قوا : نعم • قال : فانى قد جعلت لكم مالى ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : ربح صهيب ، ربح صهيب •

وخرج حمزة بن عبد المطلب والزبير بن العوام وعثمان بن عفان وغيرهم وأقام عليه الصلاة والسلام بمكة بعد الصحابة من المهاجرين ينتظر أن يأذن الله تعالى له في الهجرة ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين الا من حبس أو فتن ، الا على بن أبى طالب وأبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما • وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن في الهجرة ، فيقول له عليه الصلاة والسلام : لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا فيطمع أبو بكر أن يكونه •

قال ابن اسحاق : ولما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد كانت له أصحاب وشيعة من غيرهم بغير بلادهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين اليهم عرفوا أنهم قد نزلوا دار وأصابوا منهم منعة ، فحذروا

خروج رسول الله ﷺ اليهم ، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا له في دار الندوة ، وهي دار قصى بن كلاب التي كانت قريش لا تتقضى امرا الا فيها يتشاورون ما يصنعون في أمر النبي ﷺ حين خافوه ، ولما أرادوا أن يدخلوها اعترضهم ابليس عليه اللعنة في هيئة شيخ جليل ، فوقف على باب الدار ، وقالوا : من الشيخ ؟ قال شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم ، ليسمع ما تقولون ، وعسى أن لا يعدمكم منه رأيا ونصحا • قالوا : أجل فادخل ، فدخل لعنة الله تعالى معهم وقد اجتمع فيها أشرف قريش منهم عتبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب وطعيمة بن عدى وأمية بن خلف وابو جهل وغيرهم •

قال بعضهم لبعض : ان هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم فاننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا ، فيمن قد اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأيا فتشاوروا • ثم قال قائل منهم : احبسوه في الحديد ، وأغلقوا عليه بابا ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيرا والناطقة ومن مضى منهم من هذا الموت ، حتى يصيبه ما أصابهم • فقال لشيخ : لا والله ما هذا لكم برأى ، والله لئن حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتن دونه الى أصحابه فلاوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ، ثم كاثروكم به ، حتى يغلبوكم على أراكم ، ثم قال قائل آخر منهم : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فاذا أخرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع ، اذا غاب وفرغنا منه •

قال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأى ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتن أن يحل على حى من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يبابعوه ، ثم يسير بهم اليكم حتى يطاكم في بلادكم ، فيأخذ أراكم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد دبورا رأيا غير هذا • فقال أبو جهل : والله ان لى فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه

بعد • قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : نأخذ من كل قبيلة شابا فتى  
جليدا نسييا وسيطا فينا ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا  
اليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه ، فنستريح منه فانهم اذا  
فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب  
قومهم جميعا • فيرضوا منا بالعقل أى الدية • فنعقله لهم فقال الشيخ  
النجدى : القول ما قال الرجل ، هذا الرأى الذى لا رأى غيره • فتفرق  
القوم على ذلك ، وهم مجمعون له ، فأتى جبرائيل عليه السلام رسولا  
الله ﷺ فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبت عليه •  
فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابهِ يرصدونه متى نام ، فيثبون  
عليه فقتل عليه الصلاة والسلام لعلى بن أبى طالب : نم على فراشى  
وتسج ببردى ، فتم فيه ، فانه لن يخلص اليك شئ تكرهه منهم ،  
ولما اجتمعوا وفيهم أبو جهل قال — وهم على بابهِ — : ان محمدا  
يزعم أنكم ان تابعتموه كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد  
موتكم فجعلت لكم جنات ، وان لم تفعلوه كان له فإم ذبح ، ثم بعثتم  
من بعد موتكم ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها فخرج عليهم رسول الله  
ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده الشريفة ثم قال : نعم أنا أقول ذلك •  
أنت أحدهم •

وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه ، فلا يرونه فجعل ينثر ذلك  
التراب على رؤوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس الى قوله تعالى :  
« فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ » حتى فرغ عليه الصلاة والسلام من  
هؤلاء الآيات ، ولم يبق منهم رجل الا وقد وضع على رأسه ترابا •  
ثم انصرف الى حيث أراد أن يذهب •

فأتاهم آت ممن لم يكن معهم • فقال : ما تنتظرون ههنا ؟  
قالوا محمدا قال : خبيكم الله قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ما ترك  
منكم رجلا الا وقد وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته • أفما ترون  
ما بكم ؟ فوضع كل منهم يده على رأسه ، فاذا عليه تراب ، ثم جعلوا  
يبتلعون فيرون عليا على الفراش مسجيا ببرد رسول الله ﷺ فقولون :



بوالله ان هذا لمحمد نائما عليه برده ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا  
فقام على رضى الله تعالى عنه عن الفرائض • فقالوا : والله لقد كان  
صدقنا الذى كان حدثنا •

قال ابن اسحاق وكان مما أنزل الله تعالى من القرآن فى ذلك اليوم  
وما كانوا أجمعوا له : « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك  
أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » وقوله جل وعز :  
« ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون » المنون الموت • وريب المنون  
ما يريب ويعرض منها •

قال ابن اسحاق : ثم أذن لرسول الله ﷺ فى الهجرة فأخبر  
أبا بكر بذلك • فقال أبو بكر الصحبة يا رسول الله • قال : الصحبة •  
فبكى أبو بكر رضى الله تعالى عنه من شدة فرحه ، وكان أبو بكر ابتاع  
راحتين فاحتبسهما فى داره اعدادا لذلك ، حينما استأذن رسول الله  
ﷺ فى الهجرة فقال له : لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا ، فطمع بأن  
يكون عنى نفسه عليه الصلاة والسلام • ثم قال : يا نبى الله ان هاتين  
راحتين قد كنت اعددتهم لهذا ، فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروج  
مع أبى بكر خرجا الى غار بثور ، جبل بأسفل مكة ، فدخلاه ولم يعلم  
بخروجهما الا على بن أبى طالب وآل أبى بكر الصديق •

أما على فان رسول الله ﷺ أخبره بخروجه وأمره أن يتخلف بعده  
بمكة حتى يؤدى عن رسول الله ﷺ الودائع التى كانت عنده للناس ،  
وكان عليه الصلاة والسلام ليس بمكة أحد عنده شئ يخشى عليه  
الا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته ، فأقام عليه الصلاة والسلام  
فى الغار ثلاثا ، ومعه أبو بكر وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة  
فاقة لمن يرده عليهم ، وكان عبد الله بن أبى بكر يأتئيهما اذا أمسى  
فيخبرهما بأخبار قريش ، وكان عامر بن فهيرة مولى أبى بكر يرعى فاذا

أمسى أراح عنيهما غنم أبي بكر فاحتلبا وذبحا • حتى اذا مضت  
الثلاث وسكن عنهما الناس سارا الى المدينة ، فقدم عليه الصلاة والسلام  
ومعه أبو بكر ثبأ لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم  
الاثنين ، فأقام ﷺ بقاء وأسس مسجده وخرج يوم الجمعة ، فدخل  
المدينة واحتمل أبو أيوب الأنصاري رحله فوضعه في بيته ، ونزل عليه  
رسول الله ﷺ وكانت قد بركت الناقة على باب مسجده وهو يومئذ  
مريد لغلामين يتيمين من بنى النجار ، وهما في حجر معاذ بن عفراء سهل  
وسهيل ابني عمر ، فسأل عليه الصلاة والسلام عن المربد لمن هو ؟  
فقال له معاذ بن عفراء : هو يا رسول الله لسهل وسهيل وهما يتيمان  
لمي ، وسأرضيهما منه ، فاتخذ مسجدا يا رسول الله • فأمر به رسول  
الله ﷺ أن يبني مسجدا ونزل عليه الصلاة والسلام على أبي أيوب  
حتى بنى مسجده ومسكنه ، ثم انتقل اليها ، وأقام على كرم الله وجهه  
في مكة بعده ثلاث ليال وأيامها ، حتى أدى الودائع فالحق برسول الله  
ﷺ بالمدينة •

انتهى باقتصار •

وقد ظهر في هذه الهجرة من المعجزات النبوية والمصالح الالهية  
وخير العباد والمنافع العامة التي ليس لها نفاذ الى يوم التناد ، ما يضيق  
عنه نطاق هذا الكتاب ، فلذا اقتصرنا على أقل القليل في هذا الباب ،  
وقد تبين لكل منصف وعاقل غير متعسف بطلان ما سطره « عبد المسيح »  
من كل بهتان صريح ، وانبلج صبح الحق والصواب عن ليل ما موه من  
افتراء وكذاب • والحمد لله الذي أرسل نبيه بفصل الخطاب ، حتى  
نلنا بهما السعادة العظمى في البدأ والمآب •

قوله : « ثم أنه بعث أول بعثة حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين  
راكبا الى العيص » الى آخره • فيقال له بعد ما أثبتنا نبوته عليه  
الصلاة والسلام • بما تقدم من الأدلة التي ليس لك عنها محيص ،  
فكل ما تقول سراب أو هباء اذ ما فعلاه عليه الصلاة والسلام في أمر

الجهاد لا بد أن يكون عن أمر رباني أو القاء في روعه رحمانى ، وهو نظير ما فعله اخوانه المرساون عليهم الصلاة والسلام مما سنذكره في محله ان شاء الله تعالى مفصلا فلا عتاب ولا ملامة ولا اعتراض عليهم وعونه في ذلك ، عند كل مؤمن بكتاب سماوى :

فقسى ليزدجروا ، ومن يك حازما فليقس أحيانا على من يرحم

### وأما ما ذكره من سرية حمزة رضى الله تعالى عنه .

فقد ذكر أهل السير والأخبار الصحيحة : أن أول غزواته عليه الصلاة والسلام غزوة ودان وهى غزوة الأبواء ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا ثم سرية عبيدة بن الحارث وهى أول راية عقدها عليه الصلاة والسلام فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة فلقى بها جمعا من قريش ، فلم يكن بينهم قتال ، ثم انصرف القوم عن القوم والمسلمين حامية ، وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن عمرو البهرانى وعتبة ابن غزوان بن جابر ، وكانا مسلمين ولكنهما خرجا يتوصلان بالكفار وكان على القوم عكرمة بن أبى جهل ثم سرية حمزة رضى الله تعالى عنه الى سيف البحر .

وبعض العلماء يزعم أن رسول الله ﷺ بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء قبل أن يصل الى المدينة وبعث فى مقامه ذلك حمزة الى سيف البحر من ناحية العيص ، فى ثلاثين راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد ، فلقى أبا جهل بذلك الساحل فى ثلاثمائة راكب من أهل مكة ، فحجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى ، وكان موادعا للفريقتين جميعا وانصرف بعض القوم عن بعض ، ولم يكن بينهم قتال .

وبعض الناس يقول : كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله ﷺ لأحد من المسلمين .

وأما قول هذا النصرانى (( فأين شروط النبوة )) الى آخره فيقال

له : سنذكر ان شاء الله تعالى فيما بعد من المحال المناسبة لهذا البحث  
كلاما وافيا كافيا شافيا في بيان نصرته وغلبته على المشركين وتأيد الله  
سبحانه له : ونذكر جهاد غيره من الأنبياء عليهم السلام غير أنا نقول  
الآن : أمن شروط ألوهية المسيح انتمى ترعمونها أن يؤخذ المسيح وهو  
اله بالحالة التي تنسبونها له الصادرة من اليهود ؟ فانظروا بعين الانصاف  
الحالتين ، ولا تنسبوا شيئا ولا نقصا للنبين المكرمين عليهما الصلاة  
والسلام .

قال النصراني : « فلنرجع الآن اذ ليس عندك في هذا جواب  
وكننت من ذلك صفرا مفلجا أنت وجميع من يعتقد مثل مقالتك ، فقول :  
اما أن يكون حمزة هذا رسول نبي مبعوث . وهو ابن عمه وعن أمره  
خرج ومعه ثلاثون راكبا وهو على حق عند نفسه ، فانحاز فرقا من  
أبي جهل . وهو كافر مشرك . وانما معه ثلثمائة رجل كفار مشركين  
عباد أوثان وام يحاربه بل سألته ، أو يكون هذا خلاف ما تدعيه أنت  
أنه نبي مرسل ، وان الملائكة تؤيده وتقاتل دونه كما كانت تقاتل مع  
يشوع بن نون فانه رأى ملكا في زى فارس ، فلم يعرفه يشوع  
فقال له : أمن أصحابنا أنت أم من أعدائنا ؟ فقال له الملك : أنا عظيم  
جيوش الرب وساعة اقبلت فخر يشوع بوجهه على الارض ساجدا ،  
وقال : ما يأمر السيد عبده ؟ فقال رئيس جيوش الرب انزع خفيك من  
قدميك لأن المكان الذي أنت فيه مكان مقدس . ففعل يشوع ذلك .  
وفي هذا للقول من الملك ليشوع سر ليس هذا موضعه ، وكان يشوع  
في ذلك الوقت محاصرا أريحا ، فاما أتى على ذلك سبعة أيام فتح يشوع  
أريحا على غير عقد ولا عهد فقتل كل من كان فيها من ذكر وأنثى ،  
كما أمره مك الرب ، فما أظنك — أيدك الله — انك تجد في ذلك جوابا  
لأنك خاو من ذلك ، انتهى كلامه .

فأقول هذا كلام يدل على حماقة قائلة من وجوه عديدة ، لا تخفى  
على الناقد البصير ، منها : أنه متى ثبت افحامه للمسلمين بهذه المقالة

الفاسدة ، حتى يحكم أنهم صفر وليس لهم جواب عن باطل كلامه  
المردود المزيف سابقا ولاحقا • فكيف سولت له نفسه هذه الدعوة  
العظيمة أن المسلمين خلو عن جواب سفسطته وعاجزون عن رد ترهاته  
وغير مطلعين على هناته ؟

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الحرب وحده والنزالا

مع أنهم والله الحمد كم لهم من مؤلف خافل وتصنيف كالصاعقة  
على المناضل أجابوا به عن شبهات النصرارى واحتوى على طعون جعلتهم  
فى ميدان البحث حيارى ، وأبانوا زيف اليهود والمسيحيين وأطفأوا بزلال  
تحريرهم وتقريرهم نار الجوسين ، وأبادوا بصوارم بحثهم جيوش  
المشركين ، وهزموا عسكر الزنادقة المتحدين ، مع أن الواقعة لم تكن  
كما حرر كما قدمنا شرحها آنفا •

على أننا لو سلمنا خوف المسآمين من كثرة الألفارين ، واختاروا  
المتاركة المؤقتة ، فأى بأس فى ذلك وهم ناوون للرجعة والحرب كما  
قيل خدعة ؟ على أن الحواريين الذين هم فى زعم النصرارى أفضل من  
موسى وسائر الأنبياء الإسرائيية عليهم السلام فروا فى الليلة التى  
أخذت اليهود فيها عيسى عليه السلام وتركوه فى أيدي أعدائه ولم يخلص  
نفسه ، ولا حواريوه خلصوه من كيد اليهود • فان كانوا علموا أن عيسى  
اللهم وفروا عنه خوفا على أنفسهم ، فكيف لم يعلمهم اللهم أن القتل  
عليه فقط ، وأنهم ناجون من قتل اليهود لهم ؟ لاسيما وهو كان يطلب  
منهم أن يسهروا معه تلك الليلة • وقال لهم كما فى الانجيل ؟ « ان نفسى  
حزينة جدا امكثوا ههنا واسهروا معى » ثم تقدم يصلى وجاءهم فوجدهم  
نياما • فقال لبطرس : « أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة ؟  
وان كان أعلمهم فلم فروا ؟ وللم لم يسهروا معى ؟ ولم طلبوا الحياة  
دوننه ؟ •

فهذا على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه لما اجتمع المشركون على

اغتيال النبي ﷺ في دار الندوة كما تقدم تفصيل ذلك آنفا أمره المصطفى ﷺ فنام على فراشة وأخبره بأنه ناج من قصد المشركين ، وأنه لا تصل اليه أيديهم بسوء ، فكان كما قال عليه الصلاة والسلام فهذا من أعظم الأدلة على نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام وما فعله الحواريون من أعظم الأدلة على عدم ألوهية عيسى عليه السلام ، بل دليل واضح على العبودية عند كل منصف خال من العصبية .

هذا ومن المشهور بل المتواتر الذي يفيد العلم أن الملائكة كانت تقاثل المشركين في بعض غزوات سيد المرسلين ، كما سنذكره ان شاء الله تعالى في محله .

فان قول : لم لم تقاثل في جميعها ؟ فالجواب : أن الله سبحانه جعل لكل شيء قدرا وأجلا وزمانا بمتنضى حكمته التي أخفاها على عباده فلا يستل سبحانه عما يفعل لأنه لا يفعل ما يستل عنه ، فهو المتصرف في ملكه كما يشاء ويختار ، ألا ترى أنه قدر القتل على زكريا ويحرق وكثير من الأنبياء عليهم السلام فلا يقال انهم لو كانوا أنبياء لما قتلوا ، ولا يقال مثلا : لم خلق ابليس وسلطه على كثير من عباده فأضلهم وأغواهم ؟ وهو سبحانه أرسل لهم رسلا يدعونهم الى توحيدهم فما هدام ، ثم يعذبهم على عدم ايمانهم ، ولا يقال : لم قدر عليهم الكفر ؟ ولم لم يهدمهم ؟ ولم ساط عليهم ابليس ؟ ولم يعذبهم — ؟ ولا يقال : ان نوحا بقى ألف سنة يدعو قومه الى التوحيد فلم يؤمنوا ، فلم أغرقهم ؟ ولم لم يغرقهم قبل هذه المدة حتى لا يلدوا الكفار ويهلك هذا المقدار ؟ ولم لم يجعل الايمان في قلوبهم ؟ فكل اعتراض من هذه الاعتراضات ونحوها على البارئ الحكيم سبحانه وتعالى ، أو على رساله عليهم السلام لا تصدر عن مؤمن به عز شأنه وبرسله ؟ وهذا أمر ظاهر لدى كافة الكتابيين والمطلعين على سيرة الأنبياء والمرسلين ، لا يحتاج الى اقامة البراهين . ولعل لنا عودة الى هذه الأبحاث ان شاء الله تعالى .

غير أنا ننبه على كائنين من سقطاته هنا أيضا وهي قوله : « سر ليس هذا موضعه » فالعله قصد به اثبات التثليث فما أبعد من قصد ، وما أبطله من مراد لا يخفى بطلانه حتى على النساء وصغار الأولاد • وقوله : « فلما أتى على ذلك سبعة أيام فتح يوشع أريحا » فيقال له : لم لم يفتحها في يوم واحد أو أقل منه لأن قوة الملائكة تقطع المدائن والقرى في آن واحد كما فعلت ملائكة الرب في قرى لوط وغيرها ؟ فهلا أهلكوا أهل أريحا بيوم واحد أو أقل ؟ وهلا جعلهم يقاتلون مع كل نبي من الأنبياء ؟ فما أظنه يجد الى نزول عيسى عليه السلام جوابا عن هذا وغيره مما ذكرناه ، وسيأتيك ان شاء الله تعالى زيادة على ما حررناه هنا مما يتعلق في هذه الأبحاث ، فانتظره في محله • والله سبحانه الموفق •

قال النصراني : « ولنذكر أيضا غزوة صاحبك الثانية لعله يكون لك فيها أدنى جواب : ثم بعث في الثانية كما علمت عبيدة بن الحارث بن المطالب في ستين راكبا ، ليكون ضعف العدة الأولى فتتقوى قلوبهم الى بطن رابع بين الأبواء والجحفه ، فلقى أبا سفيان بن حرب • وأبو سفيان في مائتي راكب فكان بينهم من الدماء ما قد علمت ثم رجعوا فما رأيت أحدا من الملائكة أعانهم على أمرهم بشيء ، وقد شهدت أنت أن جبريل كان في صورة رجل راكب رمكة شهباء ، عليه ثياب خضر ، وقد ركب فرعون بجنوده أربعمئة ألف حصان في طلب بني اسرائيل ، فلما توسط بنو اسرائيل البحر قحم جبرئيل على الرمكة في اثرهم قائلا : قدم خير ، فتبعته الخيل التي كان عليها فرعون وأصحابه ، فنجا بنو اسرائيل وغرق فرعون وأصحابه • هذه شهادتك واقرارك ببعض علامات موسى النبي الذي أتى بني اسرائيل وأنت صاحبك خلو من هذا كله » انتهى •

فنقول : هذا كلام فيه من الكذب ما تسمع بيانه ، وقد علمت جواب بعضه فيما تقدم قريبا ، فتذكر فما في العهد من قدم ، غير أنا نذكر ما في كتاب المواهب اللدنية • قال : « ثم سرية عبيدة بن الحارث الى بطن

رابع فلقى أبا سفيان بن حرب ، وكان على المشركين وقيل مكرز بن حفص وقيل عكرمة بن أبي جهل في مائتين ، ولم يكن بينهم قتال الا أن سعد بن أبي وقاص رمى بسهم فكان أول سهم رمى في الاسلام . قال ابن اسحاق : فكانت راية عبدة فيما بلغنا أول راية عقدت في الاسلام . وبعض الناس يتول راية حمزة قال : وانما اشكل أمرهما انه عليه الصلاة السلام بعثهما معا فاشتبه ذلك على الناس « انتهى .

فقول النصراني : « فكان بينهم من الدماء ما قد علمت » لم نر أحدا من الاخباريين ذكر ذلك . ولو سلمنا وقوعه فأى بأس فيما هنالك ؟ فالجواب سجال والعاقبة للمتقين كما وقع أمثال ذلك لآخوانه المرسلين .

وقوله : « فما رأيت أحدا من الملائكة أعانهم » فنقول : نعم ان الملائكة قد أعانتهم كما تواترت به الأنباء في غير ما مرة من غزواته عليه الصلاة والسلام . ومن ذلك في غزوة بدر الكبرى التي أعز الله سبحانه بها الاسلام وأذل بها الكفرة وعبدة الأصنام .

قال في المواهب اللدنية : « غزوة بدر الكبرى وتسمى العظمى والثانية وبدر القتال وهي مشهورة ونسبت الى بدر بن مخلد كان نزلها وقيل بدر بن الحارث حافر بئرها . وقيل بدر اسم البئر التي بها سميت بدرا لاستدارتها ولصفاتها ورؤية البدر فيها . وقال ابن كثير وهو يوم الفرقان الذي أعز الله سبحانه فيه الاسلام وأهله ودمغ فيه الأشرك وحزبه هذا مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدو ، مع سوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيول المسومة ، فأعز الله رسوله وأظهر وحيه وتنزله وبيض وجه النبي عليه الصلاة والسلام وقبيله ، وأخزى الشيطان وجيله ، ولهذا قال تعالى ممتنا على عباده المؤمنين وحزبه المتقين : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة » أى قليل عددكم لتعلموا أن النصر انما هو من عند الله لا بكثرة العدد « انتهى .

فقد كانت هذه الغزوة أعظم غزوات الاسلام اذ منها كان ظهوره ،



ويعد وقوعها أشرق على الآفاق نوره • ومن حين وقوعها أذل الله تعالى  
الآفار وأعز المسلمين الأبرار •

وكان خروجهم من المدينة يوم السبت لثنتي عشرة خلت من رمضان  
على رأس تسعة عشر شهرا ، واستخلف عليه الصلاة والسلام أبا لبابة  
الأنصاري ، وخرج معه الأنصار وهم تكن قبل ذلك خرجت وكان عدة  
من خرج معه ثلاثمائة وخمسة وثمانين ، أم يحضرها كلهم ، وإنما ضرب  
لهم بسهمهم وأجرهم ، فكانوا كمن حضرها وكان معهم ثلاثة أفراس  
وكان معهم سبعون بعيرا ، وكان المشركون ألفا ويقال تسعمائة وخمسين  
رجلا معهم مائة فرس وسبعمائة بعير ، وكان قتالهم يوم الجمعة لسبع  
عشرة خلت من رمضان • وقيل يوم الاثنين وكانت من غير قصد للمسلمين  
ولا ميعاد كما قال تعالى : « ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن  
ليقتض الله أمرا كان مفعولا » وإنما كان المقصد أبا سفيان وكان بالشام  
في ثلاثين راكبا منهم عمرو بن العاص ، فأقبلوا في قافلة عظيمة فيها  
أموال قريش الذين عملوا ما عملوا بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم  
وفعلوا ما فعلوا بالذيان أسلموا في مكة ، ويريدون اطفاء دين الله حتى  
إذا كانوا قريبا من بدر ، فبلغ النبي ﷺ ذلك فأمر أصحابه بالخروج  
اليهم •

فلما سمع أبو سفيان بسير النبي ﷺ استأجر ضمضم الغفاري  
أن يأتي قريشا فيخبرهم ويستنفرهم فنهضوا في قروب من ألف مقنح  
ولم يتخلف أحد من أشرف قريش الا أبا لهب ويعث مكانه العاص بن  
هشام وخرج رسول الله ﷺ في أصحابه حتى بلغ الروحاء ، فأتاه  
الخبر عن قريش بمسيرهم ، فاستشار النبي ﷺ الناس في طلب العير  
وحرب النفير ، فقال : ان الله تعالى وعدكم احدى الطائفتين اما العير  
واما قريش • فقام أبو بكر فقال فأحسن ، ثم قام عمر فقال فأحسن ،  
ثم قام المقداد بن عمرو ، فقال : يا رسول الله امض لما أمرك الله تعالى

فنحن معك • والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا انا معك مقاتلون • فو الذى بعثك بالحق لو سرت بنبأبرك الغماد يعنى مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير ، وقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله تعالى قد وعدنى احدى الطائفتين ، والله لكأنى اليوم أنظر الى مصارع القوم •

روى أنس رضى الله عنه قال قال عليه الصلاة والسلام : هذا مصرع فلان ويضع يده على الأرض ههنا وههنا ، قال فما ما ط أى ما تتحى أحدهم عن موضع يده عليه الصلاة والسلام ، ثم ارتحل عليه الصلاة والسلام قريبا من بدر ، ونزل المشركون بالعدوة القصوى من الوادى ، ونزل المسلمون على كتيب أعفر تسوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب ، وسبقتهم المشركون الى ماء بدر ، فأحرزوه وحفروا القلب لأنفسهم ، وأصبح المسلمون بعضهم محدث وبعضهم جنب وأصابهم الظمأ وهم لا يصلون الى الماء ، ووسوس الشيطان لبعضهم ، وقال : ترعمون انكم على الحق وفيكم نبى الله وأنكم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم غطاش وتصلون محدثين مجنبيين ، وما ينتظر أعداؤكم الا أن يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم ، فيحكموا فيكم كيف شاءوا فأرسل الله سبحانه عليهم مطرا سال منه الوادى ، فشرب منه المسلمون ، واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وملأوا الأستقية وأطفأ الغبار ولبد الأرض ، حتى ثبتت عليه الأقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان وطابت أنفسهم فذلك قوله تعالى « وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به » أى من الأحداث « ويذهب عنكم رجس الشيطان » وسوسته « ويربط على قلوبكم » بالصبر « ويثبت به الأقدام » حتى لا تسوخ فى الرمل بتلبيد الأرض •

وعن سعيد بن منصور عن عبد الله بن عتبة قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ الى المشركين وكاثرهم ، والى المسلمين فاستقلهم فركع ركعتين وأبو بكر عن يمينه فقال عليه السلام وهو في صلاته : اللهم لا تخذلنى ، اللهم أنشدك ما وعدتنى • وفى صحاح مسلم قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : لما كان يوم بدر نظر ﷺ الى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا ، دخل العريش فاستقبل القبلة ، ومد يده فجعل يهتف بربه : اللهم انجزلى ما وعدتنى • فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأخذ أبو بكر رداؤه ، فألقاه على منكبيه فأنزل الله تعالى : « اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين » متتابعين بعضهم فى اثر بعض وعلى قراءة فتح الدال معناه أردف الله تعالى المسلمين وجاءهم بهم مددا ، ثم زادهم سبحانه وتعالى والألف هم الذين قاتلوا مع المؤمنين ، وهم الذين قيل لهم : « فثبتوا الذين آمنوا » وكانوا فى صور الرجال ويقولون للمؤمنين : اثبتوا فان عدوكم قليل وان الله معكم •

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما جاء ابليس عليه اللعنة يوم بدر ، مع رايته فى صورة سراقه بن مالك بن جعشم ، فقال للمشركين : لا غالب لكم اليوم « وانى جار لكم » فلما أقبل جبريل عليه السلام والملائكة كانت يده فى يد رجل من المشركين ، فانترع يده ، ثم نكص على عقبيه ، فقال يا سراقه أترعم أنك لنا جار ؟ فقال : « انى أرى مالا ترون انى أخاف الله • والله شديد العقاب » وأن جبريل نزل فى خمسمائة وميكائيل فى خمسمائة فى صور الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعلى رعوسهم عمائم بيض قد أرخوا أطرافها بين أكتافهم •

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض ، ويوم حنين عمائم خضر •

قال ابن الانبارى : وكانت الملائكة لا تعلم كيف تقتل الآدميين

فعلمهم الله تعالى بقوله : « فاضربوا فوق الأعناق » أى السرعوس  
« واضربوا منهم كل بنان » أى كل مفصل وما وقعت ضربة يوم بدر  
الا فى رأس أو مفصل وكانوا يعرفون قتلاء الملائكة من قتلاتهم باثار  
سود فى الأعناق والبنان • وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال :  
حدثنى رجل من بنى غفار قال أقبلت أنا وابن عم لى حتى سعدنا على  
جبل يشرف على بدر ، ونحن مشركان ننظر الوقعة على من تكون الدبرة ،  
فننتهب مع من ينتهب ، فبينما نحن فى الجبل اذ دنت منا سحابة فيها  
حممة الخيل ، فسمعت قائلا يقول : أقدم حيزوم ، فأما ابن عمى  
فانكشف قناع قلبه فمات مكانه ، وأما أنا فكذت أهلك ، ثم تماسكت •  
والدبرة بالوحدة الهزيمة فى القتال • وحيزوم اسم فرس جبريل •

قال الشيخ تقي الدين السبكي عن الحكمة فى قتال الملائكة مع النبى  
ﷺ مع أن جبريل قادر على أن يرفع الكفار بريشة من جناحه فعل •  
ذلك لارادة أن يكون الفعل للنبى ﷺ وأصحابه ، وتكون الملائكة مددا  
على عادة مدد الجيوش ، رعاية لصورة الأسباب التى اجراها الله تعالى  
فى عبادته ، والله سبحانه فاعل الجميع •

انتهى •

ولما التقى الجمعان تناول رسول الله ﷺ كفا من الحصباء فرمى  
به فى وجوههم وقال : شأهت الوجوه • فلم يبق مشرك الا دخل فى  
عينه ومنخريه منها شيء ، فانهزموا وقتل الله تعالى من قتل من صناديد  
قريش ، وأسر من أسر من أشرافهم ، ونزل قوله تعالى : « وما رميت  
اذ رميت ولكن الله رمى » وقد فعل مثل ذلك يوم حنين أيضا • قال  
أصحاب السير : استشهد يوم بدر من المسلمين أربعة عشر رجلا ستة  
من المهاجرين وثمانية من الأنصار ، وقتل من المشركين سبعون وأسر  
سبعون ، وكان من أفضلهم العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبى طالب ،  
وكان العباس فيما قاله أهل العلم قد أسلم قديما وكان يكتم الاسلام

وخرج مع المشركين ، فقال النبي ﷺ : من لقي العباس فلا يقتله ، فإنه خرج مستكرها ففادى نفسه ورجع الى مكة •

ونقل أهل السير أنه لما قدم سفيان بن الحارث بن عبد المطلب واسم أبي سفيان المغيرة ، فقال له أبو لهب : هلم الى فعندك لعمري الخبر ، فجلس اليه الناس قيام عليه ، فقال : يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس ؟ قال : والله ما هو الا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يفتلوننا كيف شاءوا ويأسروننا كيف شاءوا وإيم الله مع ذلك ما مات الناس ، تقينا رجلا بيضا على خيل بياق بين السماء والأرض والله لا يقوم لها شيء •

فقال له أبو رافع — غلام العباس بن عبد المطلب ، وكان الاسلام قد دخله وهو في مكة — : تلك والله الملائكة • فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجه أبي رافع ضربة شديدة •

فقامت أم الفضل الى عمود فضربته به ، وقالت : استضعفته أن غاب عنه سيده • فقام موليا ثم انه ما عاش بعدها الا سبع ليال ، حتى رماه الله تعالى بالعدسة ، وهي قرحة كانت العرب تتشام بها • وقيل انها تعدى أشد العدوى فتباعد عنه بنوه حتى قتله الله تعالى ، وبقي بعد موته ثلاثا لا تقرب جنازته ولا يحاول دفنه ، فلما خافوا السب في تركه حفروا له ثم رفعوه بعود في حفرة وقذفوه بالحجارة من بعيد ، حتى داروه • وأهلك الله سبحانه صنائيد المشركين بأقصر زمان ، وجعل كثيرا منهم أسراء بأيدي المسلمين ، وأنجز وعده لسيد الأكوان وقوى الاسلام واشتد ساعده ، وذل الكفر وباد معاضده •

ومما ينسب لحمزة بن عبد المطلب في هذه الغزوة قوله :

والحين اسباب مئة الأمر  
فخاتوا تواصوا بالعقوق وبالكفر  
فكانوا رهونا للريكة من بدر  
فساروا الينا فالتقينا على قدر

الم تر أمرا كان من عجب الدهر  
وما ذاك الا ان قوما أقادهم  
عشيه راحوا نحو بدر بجمعهم  
وكننا طلبنا العير لم نبغ غيرها

لنا غير طعن بالمتفلة السمير  
مشهرة الألوان بينة الاثر  
وشبية في قتلى تجرجم في الجفر  
فشقت جيوب النائحات على عمرو  
كرام تعز عن الذوائب من فهر  
وخلو لواء غير محتضر النصر  
فخاس بهم أن الخيبت الى غدر  
برئت اليكم ما بنى اليوم من صبر  
أخاف عذاب الله والله ذو قسر  
وكان بما لم يخبر القوم ذا خبر  
ثلاث مئين كالمسدمة الزهر  
بهم في مقام ثم مستوضح الذكر  
لدى ما زق فيه منايهم تجرى

فلما التقينا لم تكن مثنوية  
وضرب بيض يختلى الهام حدها  
ونحن تركنا عتبة الغى ثاريا  
وعمرو ثوى فهمن ثوى من حماةم  
جيوب نساء من لؤى بن غالب  
أولئك قوم قتلوا في ضلالهم  
لواء ضلال قاد ابليس أهله  
وقال لهم اذ عين الأمر واضحا  
فانى لدى مالا ترون واننى  
فقدمهم للحين حتى تورطوا  
فكانوا عداة البئر ألفا وجمعنا  
وفينا جنود الله حين يمدنا  
فشد بهم جبريل تحت لواءنا

وقد انتهى بيان غزوة بدر على وجه الاختصار ، وتبين فيها من  
دلائل النبوة والمعجزات ما يكفى لذوى الاستصبار ولا يحتاج الى غيرها  
من المعجزات ، اذ هذه الغزوة وما انطوى فيها من الآيات كافية في اثبات  
نبوته ، وحاكم قوى بصدق رسالته ، على أنها بعض من معجزاته عليه  
الصلاة والسلام كما بينا جملة منها فيما سبق ، فلا تغفل .

قال النصرانى : « ولا بد أن نأتيك بالثلاثة فاصبر لها طائما  
أو مكرها . ثم سعد بن أبى وقاص الى الخرار خارج الجحفة في عشرين  
رجلا فورد الموضع وقد سبقته العير قبل ذلك ، ففاته أمه ورجع خائبا  
من رجائه ، فهذا أكرمك الله خلاف آيات النبوة وعكس ما فهمه نبي الله  
صموئيل بشاول . ولسنت شاكاً في معرفتك بالقصة على ما حكيت أنك  
عارف بالكتب المنزلة دارس لها حق دراستها . وذلك أن تيساً أباً شاول  
غاريت له أنن فوجه ابنه شاول في طائها وصار شاول الى صموئيل النبي  
فقل له في بعض قوله وهو يخاطبه قبل أن يعطمه خبر ما جاء لاجله :  
أما الآن فرجعت الى بيت أبيك ، وأما أبوك فقد شغله الاهتمام بغيبتك  
عن الأتن . فهكذا تكون شروط النبوة — أصلحك الله تعالى — التى هى  
علم الغيب الماضى وعام الغيب المستقبل فتخبر الانبياء عنه ، وتذكر  
كونه قبل وقوعه وتعلم حدوثه قبل مجيئه ، بما يظهر لهم الروح القدس .

معطى عام الغيب الذى هو نهاية الدلالات على النبوات • وقد قال المسيح الرب فى انجياه النير الطاهر المقدس ان الشهادة العادلة الصادقة هى الكائنة من قبل رجلين عدلين صادقين ، أو ثلاثة عدول • فتلك واجب قبولها وقد أنبأناك فى فصل كتابنا هذا بثلاث شهادات عدل ، لك فيهن متنع •

فلتنظر الآن بعد الغزوات الثلاث التى خرج فيها هؤلاء الأنفر ومن خرج معهم بأمر صاحبك فانصرفوا فرغا فى الغزوات التى خرج هو بنفسه فيها مع أصحابه ، فخرج أولا يريد عيرا لقريش ، فانتهى الى ودان ، فوافاه مجشى بن عمرو الضمرى ، فام ينل منها شيئا ورجع صفرا ، ثم خرج ثانيا الى بواط وهى فى طريق الشام ، فى طلب عبر لقريش فيها أمية بن خلف الجمحى ورجع ولم يصنع شيئا ، ثم خرج ثالثا الى أن وصل الى ينبع فى طلب عبر لقريش أيضا يريد الشام ، وهى العبر التى كان القتال ببدر بسببها فى رجعتها ، فرجع صفرا ولم يصنع شيئا • فانصف — أصلحك الله — فى هذه المواضع وأنت أهل لذلك • ان كان صاحبك نبيا كما تدعى فما للأنبياء وشن الفارات والخروج لاصابة الطريق والتعرض لأخذ أمتعة الناس ؟ وما الذى ترك صاحبك هذا للصوص وقطاع الطريق ؟ وما الفرق بينه وبين أتاك الخرمى هذا الذى قد تناهى الى سيدنا أمير المؤمنين والينا خبره بما عمل وأرتكب من ظلم الناس ؟ فأجيبنا ان يكن عندك فى هذا جواب واضح وانى لاعلم أنه لا جواب عندك ولا عند غيرك ، ممن اعتقد مثل اعتقادك ، ما لم يكن عندك فى غيره مما سألنا •

أقول : هذا الكلام لظهور جوابه من كل سامع لا يحتاج فى الحقيقة الى جواب ، على أنا نقول كما فى المثل « الجواب فى قذال الدمستق » أما اخبار غيره من الأنبياء عليهم السلام بالمغيبات فقد أتى عليه الصلاة والسلام بأمثال جميع ما أتوا به :

وكل آى أتى الرسل الكرام بها ••• فانما اتصلت من نوره بهم

وقدمنا لك من بعض ذلك ما فيه مقتع ، فلا حاجة الى الاعادة والتطويل ثقلا يمل السامع • وأما عدم ظفره بأعداء الله ورسوله في هذه الغزوات فقد قدمنا أيضا ما يشعر بجوابه آنفا •

ونرجع أيضا الى ذكر نظير ما وقع لغيره من الأنبياء عليهم السلام من عدم الظفر بأعدائهم ، ومن قتل أعدائهم لعسكرهم ، ثم نصره الأنبياء عليهم كما اتفق شئبنا عليه الصلاة والسلام في وقعة بدر ، وقتله للمشركين ونصره عليهم ، ثم في وقعة أحد كانت الغلبة الظاهرة للمشركين ، ثم بعدها للمسلمين وكذا غزوة خيبر ونصرته عليه الصلاة والسلام عليهم •

ولنذكر ما في العهد القديم ففي الأصحاح العشرين من سفر القضاة من التوراة المطبوع في بيروت سنة ١٨٧٧ في بحث مقاتلة بنى اسرائيل مع بنى بنيامين بأمر الرب سبحانه ما نصه : « فنهضوا وصعدوا الى بيت ايل وطلبوا من الله ، وقالوا بنو اسرائيل : من يصعد منا أولا لمقاتلة بنى بنيامين ؟ فقال لهم الرب يهردا يكون أولا فنهض بنو اسرائيل من باكرا ، ونزلوا على جبعة وخرج رجال اسرائيل لمحاربة بنيامين ، واصطف رجال اسرائيل للحرب عند جبعة ، فخرج بنو بنيامين من جبعة وقتلوا من بنى اسرائيل في ذلك اليوم اثنين وعشرين ألف رجل الى الأرض ، وتقوى الشعب رجال اسرائيل ، وعادوا فاصطقوا للحرب في الموضع الذي حاربوا فيه في اليوم الأول ، وصعد بنو اسرائيل فبكوا أمام الرب الى المساء ، وسألوا من الرب وقالوا : أنعود في محاربة بنى بنيامين اخوتنا ؟ فقال لهم الرب : اصعدوا اليهم وحاربوهم • فتقدم بنو اسرائيل في اليوم الثانى لمحاربة بنى بنيامين ، وخرج بنو بنيامين اليهم من جبعة في اليوم الثانى ، فقتلوا أيضا من بنى اسرائيل ثمانية عشر ألف رجل الى الأرض وكان جميع الذين قتلوا أبطالا ، فصعد جميع بنى اسرائيل كل الشعب ، وأتوا بيت ايل وبكوا وجلسوا هناك أمام الرب ، وصاموا ذلك اليوم الى المساء ، وتقربوا وقودا وذبائح مسلمة تقدم الرب • وسأل بنو اسرائيل الرب في أحوالهم وكان تابوت عهد



الله في تلك الأيام هناك ، وكان فنحاس بن اليعازر بن هرون واقفا أمامه في تلك الأيام ، فسأل بنو إسرائيل الرب وقالوا : نعم نخرج لمحاربة بنى بنيامين اخوتنا أم نكف عنهم ؟ فقال لهم الرب : اصعدوا لأننى فى الغد أدفعهم بأيديكم » الى أن قال : « وكسر الرب بنى بنيامين قتيلا بنى إسرائيل وقتل بنو إسرائيل من بنى بنيامين فى ذلك اليوم خمسة وعشرين ألفا ومائة رجل مقاتلة أبطالاً بأجمعهم ، وقتلوا من بنى بنيامين ثمانية عشر ألف رجل ، جميع هؤلاء أبطال مقاتلة • وأذبن بقوا من بنى بنيامين هربوا الى البرية ، وقتلوا منهم أيضا ألفى رجل ، ورجع بنو إسرائيل الى بنى بنيامين وضربوهم بحدد السيف ، من الناس حتى البهائم ، حتى كل ما وجد ، وجميع مدن بنيامين ودساكرها أحرقوهن بالناحر » انتهى •

فانظر كيف قتل بنو بنيامين بنى إسرائيل وغلّبوا على بنى إسرائيل فى المحاربتين ، مع أن قتال بنى إسرائيل لبنى بنيامين كان بأمر الهى لفسقتهم ، ثم ان بنى إسرائيل غلبوا بنى بنيامين فى الثالثة • فلا يقال : ان كان الله سبحانه أمر بنى إسرائيل بقتالهم ، فلم غاب بنو بنيامين بنى إسرائيل وقتلواهم فى المحاربتين المتقدمتين ؟! فكذلك لا يقال : ان كان نبينا محمد ﷺ نبيا وأمورا بمقاتلة المشركين فلم لم ينصر عليهم فى هذه المحاربة ؟ كما لا يخفى لأن الله سبحانه قدر الأشياء بأوقاتها التى يشاؤها فلا يسأل عما يفعل •

على أن ذلك حكما ذكرنا بعضها فى كتابنا هذا ، فلا تغفل •

وأما قوامه : « فما للأنبياء وشن الغارات » ؟ الى آخره • فكلام عدو جامل أو غبى مجادل بالباطل اذ التوراة مملوءة بقتل الأنبياء لاعدائهم ونهب أموالهم وقتل ذراريهم ونسائهم ومواسيهم واحراق دورهم ، فان كل خبير من أهل الكتاب يعرف أن نبينا عليه الصلاة والسلام فى جهاده لم يفعل بقومه وعدوه معشرا ما فعله أنبياء بنى إسرائيل بمن

حاربهم وباعدائهم وسنستمع قريبا ان شاء الله تعالى الى بعض ذلك .

فاعلم أولا : أن النصارى يعدون مسألة الجهاد من أعظم المطاعن على دين المسلمين ويقرونه في كتبهم بتمويه عجيب ويحررونه مخلوطا بالكذب الغريب ، مع علمهم بأن ذلك في شريعة موسى أشد منه في شريعة محمد ﷺ وقد اتبعوا في الطعن أهواءهم وأضلهم الله على علم ، فلبسوا لذلك جلباب العناد الممزق ، وروجوا كلامهم على ضعف العقول ، ولبسوا على كل أحق .

ثم اعلم أن الكلام في هذه المسألة محتو على فصلين :



### الفصل الأول

ان علماءنا رحمهم الله تعالى قد أجابوا عن هذا الطعن بأجوبة واقعة حقة صحيحة في ردودهم العديدة وأجوبتهم المفيدة . ولنذكر بعضا من ذلك سالكين مهيع المسالك .

فمنه : ما قاله العلامة الماوردي في كتابه دلائل النبوة ونصه :  
« فان قيل مجيء الأنبياء عليهم السلام موضوع لمصالح العالم ، وهم مأمورون بالرأفة والرحمة ، ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم جاء بالسيف وسفك الدماء وقتل النفوس ، فصار منافيا لما جاء به موسى وعيسى ، فزال عن حكمهما في النبوة لمخالفتهما في السيرة . فعنه ثلاثة أجوبة .

احدها ان الله تعالى بعث كل نبي بحسب زمانه فمنهم من بعثه بالسيف لأن السيف أنجع ، ومنهم من بعثه باللفظ لان اللطف أنفع كما خالف بين معجزاتهم بحسب زمانهم ، فبعث موسى بالعصا في زمان السحر وبعث عيسى باحياء الموتى في زمان الطب ، وبعث محمدا ﷺ بالقرآن في زمان الفصاحة ، لأن الناس في بدء أمرهم يتعاطفون مع

القلة ثم يتنافرون ويتحاسدون مع الكثرة • ولذلك قال رسول الله ﷺ « نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد ، وهلك آخرها بالبخل والأمل » •

والجواب الثاني : ان السيف اذا كان لطلب الحق كان خيرا ، واللمطف اذا كان مع اقرار الباطل كان شرا ، لأن الشرع موضوع لاقرار الفضائل الالهية والحقوق الدينية ولذلك جاء الشرع بالقتل والحدود ، ليس ينتهر به الخير ويتقى به الشر ، لأن النفوس الأثرة لا يكفها الا الرهبة فكان القهر لها ابلغ في انقيادها من الرغبة ، وكانت العرب أكثر الناس شرا وعتوا لكثرة عددهم وقوة شجاعتهم ، فلذلك كان السيف فيهم أنفع من اللطف •

والجواب الثالث : انه لم يكن في جهاده بالسيف بدعا من الرسل ولا أول من أئخذ في أعداء الله تعالى وقبل هذا ابراهيم عليه السلام جاهد الملوك الأربعة الذين ساروا الى بلاد الجزيرة للغارة على أهلها وحاربهم حتى هزمهم بأحزابه وأتباعه ، وهذا يوشع بن نون قتل نيفيا وثلاثين ملكا من ملوك الشام وأباد مدنها ما لم يبق له أثر ولا من أهلها صافر ، من غير أن يدعوهم الى دين أو يطلب منهم اتاوة ، وساق الغنائم • وغزا داود من بلاد الشام ما لم يدع فيها رجلا ولا امرأة الا قتلهم ، وهو موجود في كتبهم ومحمد ﷺ بدأ بالاستدعاء وحارب بعد الأبياء •

روى ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : « ما رأيت رسول الله ﷺ منتصرا من مظامة ظلمها قط ، ما لم ينتهك من محارم الله تعالى شيء فاذا أنتهك من محارم الله شيء كان أشدهم في ذلك غضبا ، وما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن مأثما » وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم أحدث الناس على الصفح والتعاطف • روى أسيد بن عبد الرحمن عن فروة ابن مجاهد عن عقبه بن عامر قال : لقيت رسول الله ﷺ فقال لى يا عقبية : « صل من قطعك واعط من حرمك واعف عن ظلمك » فهل

يكون أحنى على الخلق ممن يأمرهم بهذا ؟ وإنما تطلبت الملاحدة  
بمثل هذا الاعتراض القدح في النبوات ، فانهم لم يعفوا تبيها من القدح  
في معجزته والطنن على سيرته • حتى قال منهم في عصرنا ، ما طعن  
به على موسى وعيسى ومحمد ﷺ بشعر نظمه فقال :

ومدع يدعى الأشياء خالقه  
وفالق البحر لم يفلق جوانبه  
وأخر يدعى بالسيف حجته

ما باله زال والأشياء لم تزل  
اذ ضاع فيه ضياع الحر في السفل  
هل حجة السيف الا حجة البطل ؟

فحضرنى حين حضرت هذه الأبيات الى بعض أهل العلم فأجاب  
عنها فقال :

قل للذي جاء بالتكذيب للرسول  
وقال في ذلك آياتا مزخرفة  
ضياع موسى دليل من ابلته  
ليعلم الناس ان الله فالقه  
والمعز الحق في فلق المياه له  
وابن البتول فان الله نزهه  
ما كان منه سوى طير يقدره  
وقال اتى باذن الله فاعله  
وصاحب السيف كان السيف حجته  
وجاء مبتدا بالنصح مجتهدا  
منها كتاب مبين نظمه عجب  
فأفخم الشعراء المفاتمين به  
وانبعم الماء عذابا من انامله  
وشارف القوم وافاه وكلمه  
والذئب قد خبر الراعى بمبعثه  
والجذع حن اليه حين فارقه  
واخير الناس عما في ضمائرهم  
وانبأ الروم عن نصر يكون لها  
والفرس اخبرها عن قتل صاحبها  
وان تقصيت ما جاء النبي به

انتهى •

## الفصل الثانى

فى

### ما أجاب به بعض المؤلفين الأفاضل

قال : وانا امهد لتحرير الجواب خمسة أمور : الأول أن الله سبحانه يبيغض الكفر ويجازى عليه فى الآخرة بيقينا • وكذا يبيغض العصيان وقد يعاقب الكفار والعصاة فى الدنيا أيضا فيعاقب الكفار تارة بالاغراق عموما كما فى عهد نوح عليه السلام فانه سبحانه أهلك بالطوفان كل ذى حياة على وجه الأرض غير أهل السفينة ، وتارة بالاغراق خصوصا كما فى عهد موسى عليه السلام حيث أغرق فرعون وجنوده ، وتارة بالاهلاك مفاجأة كما أهلك أكبر الأرواد لكل انسان وبهيمة من أهل مصر فى ليلة خروج بنى اسرائيل من مصر كما هو مصرح به فى الاصحاح الثانى عشر من سفر الخروج وتارة بانزال الكبريت والنار من السماء وقتل المدن كما فى عهد لوط عليه السلام فانه أهلك سادوم وعمورة ونواحيهما بذلك ، وتارة باهلاكهم بالأمراض كما أهلك الأشدوديين بالبواسير كما صرح به فى الاصحاح الخامس عشر من سفر صموئيل ، وتارة بارسال الملك كما فعل بعسكر الأشوريين ، حيث أرسل عليهم ملكا فقتل منهم فى ليلة واحدة مائة ألف وثمانين ألفا • ولما أصبحوا اذا هم جميعا جثا ميتة كما صرح به فى الاصحاح التاسع عشر من سفر الملوك الثانى ، وتارة يكون بجهاد الأنبياء ومتبعيهم كما ستعرفه فى الأمر الثانى • وكذا يعاقب العصاة أيضا بالخسف تارة ، وبالنار ، كما أهلك قورح ودathan وأبيرم وغيرهم ، لما خالفوا موسى عليه السلام فانفأقت الأرض وابتعلت قورح ودathan وأبيرم ونساءهم وأولادهم وأثقالهم ، ثم خرجت نار فأكلت مائتين وخمسين رجلا كما صرح به فى الاصحاح السادس عشر من سفر العدد ، وتارة بالاهلاك مفاجأة بالوباء كما أهلك أربعة عشر ألفا وسبعمائة لما خالف بنو اسرائيل فى عد هلاك

قورح وغيره • ولو لم يقيم هرون عليه السلام بين الموتى والأحياء ولم يستغفر المقوم ، لهلك الكل بغضب الرب سبحانه في هذا اليوم ، كما هو مصرح به في الاصحاح المذكور ، وكما أهلك خمسين ألفا وسبعين رجلا من أهل بيت الشمس على أنهم رأوا تابوت الله ، كما صرح به في الاصحاح السادس من سفر صموئيل الأول ، وتارة بارسال الحيات المؤذية كما وقع لبنى اسرائيل لما خافوا موسى عليه السلام مرة أخرى ، فأرسل الله تعالى عليهم الحيات المؤذية ، فمات كثير منهم بلدغها ، كما صرح به في الاصحاح الرابع والعشرين من سفر العدد ، وكما أهلك سبعين ألفا في يوم واحد زمن داود ، ففي سفر صموئيل الثاني في الاصحاح الرابع والعشرين : « فجعل الرب وباء في بنى اسرائيل من الصباح الى الميعاد فمات من الشعب من دان الى بئر سبع وسبعون ألف رجل » وقد لا يعاقب الكفار والعصاة في الدنيا ألا ترى أن الحواريين الذين هم على زعم المسيحيين كانوا أفضل من موسى وسائر الأنبياء الاسرائيليين ومن تابوت الله ، وان قاتليهم عند المسيحيين أسوء من الكفار الذين في عهد نوح ولوط وموسى عليهم السلام • قد قتل نيرون الظالم المشرك الذى كان ملكا عن ملوك الروم الحواري بطرس وزوجته ، وبولس وكثيرا من المسيحيين بأشد أنواع القتل ؟ وكذا قتل الكفار الأكثر الحواريين وتابعيهم ، مع أن الله سبحانه وتعالى لم يهلكهم بالاغراق • ولا بانزال كبريت وثار ولا بقلب مدن ولا بقتل أكبر أولادهم ولا بابتلائهم بالأمراض ولا بارسال الملك ولا بالحيات ولا بوجه آخر مما قتل به الظالمين السالفين •

الأمر الثانى : ان الأنبياء السابقين عليهم السلام أيضا جاهدوا الكفار وقتلوهم وسبوا نساءهم وذرايهم ونهبوا أموالهم • ولا تختص هذه الأمور بشريعة سيد الأنبياء محمد ﷺ كما لا يخفى على من طالع كتب العهدين ، ولهذا شواهد كثيرة نكتفى هنا على ذكر البعض منها :

في الاصحاح العشرين من سفر الاستثناء ما نصه : « وإذا دنوت من قرية لتقاتلها ادعهم أولا الى الصلح ، فان قبلت وفتحت

لك الأبواب فكل الشعب الذى بها يخلص ويكونون لك عبيدا يعطونك الجزية ، وان لم تعمل معك عهدا وتبتدىء بالقتال معك ، فقائلها أنت واذا سلمها الرب الهك بيدك اقتل جميع من بها من جنس الذكر بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة ، كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب الهك « وفى بعض نسخهم المطبوعة : « واقسم للعسكر اللغنيمة بأسرها » ثم قال : « وهكذا فافعل بكل القرى البعيدة منك جدا • وليست من هذه : القرى التى ستأخذها ميراثا • فأما القرى التى تعطى أنت إليها فلا تستحيى بها نفسا البتة ، ولكن أهلهم اهلاكا كأنهم بحد السيف ، الحبشى والأمورى والكتعانى والفرزى والحوارى واليابوسى كما أوصاك الرب الهك » انتهى •

فظهر من هذه العبارة أن الله تعالى أمر أن تقتل هذه القبائل الست بحد السيف ولا يستثنى منها الذكر والأنثى أو الطفل ، وأمر فيما عداهم أن يدعوا أولا الى الصلح ، فان رضوا به وقبلوا الاطاعة وأداء الجزية فيها ونعمت ، وان لم يرضوا يحاربوا فاذا حصل الظفر عليهم يقتل كل ذكر منهم بالسيف وتسبى نساؤهم وأطفالهم وتنهب مواشيهم ودوابهم وأموالهم وتقسم على المجاهدين • وهكذا يفعل بكل القرى التى هى بعيدة من قرى الأمم الست •

وهذه العبارة الواحدة من كتب أنبيائهم تكفى فى جوابهم والرد عليهم فى اعتراضهم الموه الواهى الظاهر بطلانه لهم كالشمس فى ربة النهار •

وقد نقل هذه العبارة كما نقلناها من عهدهم القديم علماء المسلمين سلفا وخلفا فى الرد عليهم لكنهم يتعامون عنها ويسكتون كأنهم لم يروها فى كتبهم ولم يسمعوها من المسلمين ، ولا يجيبون عنها لعدم وجود جواب لا بالتسليم ولا بالتأويل ، ولو بالباطل كما هى عادتهم « صم بكم عمى فهم لا يرجعون » ولا يبصرون •

ومنها : ما فى الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر العدد ما نصه :  
« كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَقَالَ لَهُ : مَرَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَتْلَ لَهُمْ : إِذَا عَبَرْتُمْ  
الأردن وأنتم داخلون أرض كنعان فأبيدوا كل سكان تلك الأرض ،  
واسحقوا مساجدهم واكسروا أصنامهم المنحوتة جميعها ، واعقروا  
مذابحها كلها لتطهروا الأرض وتسكنوها من أجل أنى قد وهبتها لكم  
ميراثا . واقتنعوا عليها بالسهم الكثيرون أعطوهم الأوسع والتقليون  
الأضييق كل واحد كما يقع السهم هكذا يعطى الميراث . ثم ان أنتم لم  
تبيدوا سكان الأرض ، فالذين يبقون منهم يكونون لكم كأوتاد فى أعينكم  
ورماح فى أجنابكم ويشقون عليكم فى الأرض التى تسكنونها . وما كنت  
عزمت أن أفعل بهم ، سأفعله بكم » .

ومنها : : ما فى الاصحاح السابع من سفر الاستثناء : « أضربهم  
حتى أنك لا تبقى منهم بقية ، فلا توائتقهم ميثاقا ، ولا ترحمهم »  
انتهى .

فعلم أن الله سبحانه أمر باهلاك كل ذى حياة من الأمم المذكورة  
وعدم رحمتهم وعدم المعاهدة معهم ، وشدد فى ذلك حتى قال : « ان  
لم تهلكوهم أفعل بكم ما كنت عزمت أن أفعله بهم » ومن المعلوم : أن  
هؤلاء الأمم كانوا أكثر عددا وأشد قوة من بنى اسرائيل الذين كانوا  
صالحين لمباشرة الحروب ، فيكون عددهم على ما يستفاد من كتب اليهود  
والنصارى ثمانية كرورا ، أى ثمانين مئونا من ذى حياة .

ومنها : ما فى الاصحاح الثانى عشر من سفر الخروج ما نصه :  
« وفعل بنو اسرائيل كما أمر موسى واستعاروا من المصريين أواني فضة  
وذهب وشيئا كثيرا من الكسوة ، فأما الرب فوهب نعمة لشعبه أمام  
المصريين أن يعيروهم واستلبوا المصريين » انتهى فاذا كان عدد بنى  
اسرائيل الكثير استعار رجالهم ونسأؤهم من المصريين هذا المال العظيم  
وأجاز البارى سبحانه لهم السلب بحالة الاستعارة ، التى هى فى  
الظاهر حيلة وخديعة ، ونقدم لك أيضا الأمر بالجهد والقتل والسبى



وغير ذلك ، فلم لم يجز للنبي عليه الصلاة والسلام الجهاد وكسر الأصنام وأخذ الأموال وقسمتها على ما في كتاب الله تعالى ؟ فما الفرق بين موسى ومحمد عليهما السلام ودعوتهما واحدة ؟ فكل ما ثبتت به نبوة موسى عليه السلام ثبتت به نبوة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وله من المعجزات ما يوف بها عليه كما تقدم ، وكذلك ما أبيح لموسى ولغيره من الأنبياء أبيح له عليه الصلاة والسلام ولا يكون في ذلك بدعا من الرسل عليهم السلام عند كل ذى لب وانصاف .

ومنها : ما في الاصحاح الثانى والثلاثين من سفر الخروج في بحث عبادة بنى اسرائيل للعجل ما نصه : « فنظر موسى الشعب أنه قد صار عريانا انما عراه هارون لعار النجاسة ، وجعله عريانا بين الأعداء ، فقام في باب المحاة وقال : من كان من حزب الرب فليقبل الى ، فاجتمع اليه جميع بنى لاوى ، وقال لهم : هذا ما يقول الرب اله اسرائيل لآتخذ كل رجل منكم سيفه ، فارجوزوا في وسط المحلة من باب الى باب ، وارقدوا وليقتل الرجل منكم أخاه وصاحبه وقريبه ، فصنع بنو لاوى كما أمرهم موسى ، فقتلوا في ذلك اليوم من الشعب نحو ثلاثة وعشرين ألف رجل فقال لهم موسى : كلمتم أديكم يومكم هذا لارب ، الرجل منكم بابنه وباخيه لتحل عليكم البركة ، فلما كان من الغد من ذلك اليوم كلم موسى الشعب وقال لهم : أنتم قد أخطأتم خطيئة عظيمة فأما الآن فانى أصعد الى الرب لعلى أستطيع أتضرع اليه من أجل خطيئتكم فرجع موسى الى الرب ، وقال لهم ربى حقا لقد أخطأ هذا الشعب وارتكب اثما عظيما واتخذوا آلهة من ذهب ، فالآن ان أنت غفرت لهم هذه الخطيئة ، والا فامحنى من سفرك الذى كتبت . فقال الرب لموسى : من أخطأ الى فانى أمحوه من سفرى . فأما أنت فانطلق بهذا الشعب الى حيث قلت لك ، وملاكى ينطلق أمامك ، فأما أنا في يوم النقم أنبتهم أيضا بخطيئتهم هذه ، فضرب الرب الشعب لعبادتهم العجل الذى صنعه هارون » انتهى .

فقتل موسى ثلاثة وعشرين ألفا على عبادة العجل ، ولم تغفر لهم

هذه الخطيئة بالتوبة ، مع أنه في شريعة نبينا عليه الصلاة والسلام  
تقبل توبة المرتد • فانظر كيف كان ارساله عليه الصلاة والسلام رحمة  
للعالمين • وما ذاك الا لحكم الهية ومصالح مرضية •

وفي الاصحاح الخامس والعشرين من سفر العدد : أن بنى اسرائيل  
لما زنوا ببينات موآب وسجدوا لآلهتن أمر الرب بقتلهم فقتلهم  
موسى قتل أربعة وعشرين ألفا منهم •

ومن طالع الاصحاح الحادى والثلاثين من سفر العدد ، ظهر له أن  
موسى عليه السلام لما أرسل اثنى عشر ألف رجل مع فتاحاس بن  
ألعازار لمحاربة أهل مديان ، حاربوا وانتصروا عليهم ، وقتلوا كل ذكر  
منهم والخمسة ملوكهم وبلعام وسبوا نساءهم وأولادهم ومواشيهم  
كلها وأحرقوا القرى والدساكر والمدائن بالنار فلما رجعوا غضب عليهم  
موسى عليه السلام وقال : لم استحييتم النساء ؟ ثم أمر بقتل كل طفل  
مذكر وكل امرأة ثيبة وابقاء الأبقار ففعلوا كما أمر ، وكانت الغنيمة  
من الغنم ستمائة وخمسة وسبعين ألفا ، ومن البقر اثنى وسبعين ألفا ،  
ومن الحمير أحدا وستين ألفا ، ومن الأبقار اثنى وثلاثين ألفا وكان كل  
مجاهد ما نهب من غير الدواب والانسان ، وأعطوا رؤساء المجاهدين  
الذهب لموسى والعازار ستة عشر ألفا وسبعمائة وخمسين مثقالا • وإذا  
كان عدد النساء الأبقار اثنى وثلاثين ألفا فكم يكون مقدار المقتولين من  
الذكور مطلقا شيوذا كانوا أو شبابا أو صبيانا ومن النساء الثيبات ؟

ومنها : أن يوشع عليه السلام عمل بعد موت موسى عليه السلام  
على الأحكام المتدرجة في التوراة فقتل المليونيات الكثيرة • ومن شاء  
فليطالع هذا الحال في سفره من الاصحاح الحادى عشر • وقد صرح  
في الاصحاح الثانى عشر من كتابه أنه قتل أحدا وثلاثين سلطانا من  
سلاطين الكفار ، وتسلط بنو اسرائيل على مملكتهم •

ومنها ما في الاصحاح الثانى عشر من سفر صموئيل الثانى ونصه :

« فجمع داود كل الشعب وسار الى رابة فحارب أهلها وفتحها وأخذ تاج ملكهم عن رأسه وكان وزنه قنطارا من الذهب ، وكان فيه جواهر مرتفعة وضعوه على دؤاد ، وغنيمة القرية أخرجها كثيرة جدا ، والشعب الذين كانوا فيها أخذهم ونشرهم بالمناشير ، وداسهم بموارج حديد وقطعهم بالسكاكين ، وأمرهم في آتون الآجر ، وهكذا صنع بجمع مدن بنى عمون ، ثم رجع داود وجميع الشعب الى أورشليم » انتهى بحروفه .

فانظروا كيف قتل داود عليه السلام بنى عمون قتلا شتى وأهلك جميع القرى بمثل هذا العذاب العظيم الذى لا يتصور فوقه ؟

ومنها : ما فى الاصحاح الثامن عشر من سفر الملوك الأول : ن ايليا عليه السلام ذبح أربعمئة وخمسين رجلا من الذين يدعون أنهم أنبياء البعل .

ومنها : غير ذلك تركناه خشية سامة القارئین ، من أراد فليرجع الى كتب العهد القديم .

والعجب : أن صاحب ميزان الحق وغيره من علماء البروتستانت يقولون : ان جهاد داود عليه السلام كان لأجل السلطنة والمالك ، وهذا مع أنهم يؤمنون بكافة أنبياء بنى اسرائيل وبكتبهم طعن فى داود عليه السلام الذى هو مسلم النبوة عندهم ، وأنه بزعمهم الباطل والد الههم عيسى عليه السلام ، لأنهم يقولون الهنا عيسى بن داود ، ثم نسبون لداود قتل النفوس لأجل السلطنة مع انا لو فرضناه كان لأجل السلطنة فلا يخاو اما أن يكون مرضيا لله تعالى وحلالا أو غير مرضى ، بل حراما ومبغرضا له سبحانه ، فان كان الأول ثبت مطلوبنا ، وان كان الثانى لزم كذب قوله ، ولزم أن يكرن دماء ألوف من المعصومين غير واجبي القتل فى ذمته ، ودم البرىء الواحد يكفى لهلاك القتائل ، فكيف تحصل له النجاة الأخروية ؟ مع ما ورد فى العهد القديم من أن القتاتلين نصيبهم فى البحيرة الموقدة بانثار والكبريت وحاشا داود أن يكون كذلك . وقد

عد داود عليه السلام جهاده من الحسنات حيث قال في الزبور الثامن عشر ما نصه : « ويجازيني الرب مثل برى ، ومثل طهارة يدي يكافئني ، لأنى حفظت طرق الرب ، ولم أكفر بالهى لأن جميع أحكامه قدامى ، وعدله لم أبعد عنى وأكون معه بلا عيب لأنه حفظنى من اثمى ويجازينى الرب مثل برى ، ومثل طهارة يدي قدام عينيه » انتهى •

وقد شهد الله سبحانه أن جهاده وسائر أفعاله الحسنة كانت مقبولة عنده تعالى كما فى الاصحاح الرابع عشر من سفر الملوك الأول ما نصه : « داود عبدى الذى حفظ وصاياى وتبعنى من كل قلبه ، وعمل بما حسن أمامى » انتهى •

فالمسلمون — والحمد لله — يعتقدون أن جميع ما فعله الأنبياء عليهم السلام فى جهادهم كان من جنس البر لا من جنس الاثم ، وكان صادرا عن قوة ايمان ونيل مواعد الرحمن ، ولم يصدر عن هوى نفس أو قساوة قلب جنان ولم يكن ما فعلوه ظلما للنساء والأطفال ، ولا حبا للملك والمال ، بل اتباعا لأمر ذى الجلال الذى لا يسئل عن فعل من الأفعال هو العالم بأحوال العبيد فى المبدأ والمآل •

الأمر الثالث : لا يشترط أن تكون الأحكام العملية الموجودة فى الشريعة السابقة باقية فى الشريعة اللاحقة بعينها بل لا يشترط أن تكون هذه الأحكام العمالية باقية فى شريعة واحدة من أولها الى آخرها بل يجوز أن تختلف هذه الأحكام بحسب اختلاف المصالح والأزمنة والمكلفين كمسألة الختان ، فان حكمه كان أبديا فى شريعة ابراهيم كما صرح به فى الاصحاح السابع عشر من سفر التكوين ، ويقى فى شريعة موسى عليه السلام وختن عيسى عليه السلام كما صرح به فى الاصحاح الثانى من انجيل لوقا ثم نسخه الحواريون فى عهدهم ، كمسألة تعظيم السبت كان حكما أبديا فى الشريعة الموسوية ، وما كان لأحد أن يعمل فيه أدنى عمل ، ومن لم يحفظه كان واجب القتل ، وكمسألة الخزوانات المأكولة وغيرها مما سنذكره ان شاء الله تعالى فى بحث جواز النسخ

والمقصود هنا : أن الجهاد كان مشروعاً في التشريعة الموسوية على طريق هو أشنع أنواع الظلم عند منكرى النبوات ، ولم تبق مشروعيتها في التشريعة العيسوية ، وما كان بنو اسرائيل مأمورين بالجهاد قبل خروجهم من مصر ، وانما أمروا به بعد الخروج ، وعيسى عليه السلام سوف يقتل الدجال وعسكره بعد نزوله كما صرح به في الاصحاح الثاني من الرسالة الثانية الى أهل تسالونيكي وفي الاصحاح التاسع عشر من المشاهدات .

وكذا لا يشترط أن تكون معاملة تنبيه الكفار والمعصاة على طريقتة واحدة كما علمت في الأمر الأول ، فلا يجوز لمن يعتقد النبوة والوحي أن يعترض في مثل هذه الأمور على شريعة من الشرائع الالهية ، فلا يجوز له أن يعترض على ما قدمنا ذكره من أنواع الهلاك .

نعم من لا يكون معتمداً بالنبوة والشرائع ويكون ملحداً وزنديقاً ويحكم عقله الفاسد ورأيه الكاسد وينكر أمثال هذه الأمور ، لم يستبعد منه الانكار على الأنبياء عليهم السلام في جهادهم وأنواع اهلاكهم لن كفر بخالقه سبحانه وتعالى ووجد نبوة أنبيائه وارسال رسله وخالف أوامره ولم يجنب عن مناهيه ، فلا كلام لنا معه في هذا الكتاب ، اذ كلامنا فيه مع أهل الكتاب ولاسيما علماء البروتستنت والله تعالى الهادي الى الصواب .

الأمر الرابع : ان علماء البروتستنت يشيعون أراجف كاذبة ويوهون على الجهال منهم بأقوال غير صائبة ويذيعون أن دين الاسلام انما صار بالسيف وقنام بالسهم ، ولولا الخوف والتأجير والغلبة والقهر لما اتبع المصطفى أحد ولا آمن به من غير أهل بيته فرد ولا واحد . وهذا زور صرف وبهتان وقول تكذبه الأخبار والوجدان . فالنبي عليه الصلاة والسلام لم يؤمر بالقتال الا بعد الهجرة ، مع أنه قد آمن به من أهل مكة ومن أهل المدينة جم غفير قبل الهجرة حتى أن تسييسهم المدعو « سيل » مترجم القرآن قال في نسخته المطبوعة سنة ١٨٥٠ : « قلما يخرج بيت من بيوت المدينة أن لا يوجد فيه مسلم من أهله قبل

الهجرة» ثم قال : « ومن قال ان الاسلام شاع بقوة السيف غلط فقوله  
تهمة صرفة لأن بلادا كثيرة ما ذكر فيها اسم السيف أيضا ، وشاع  
فيها الاسلام » انتهى •

ومن راجع تراجم الصحابة وكتب السير يعلم أن كثيرا من الناس  
والمقبائل أسلموا بالرغبة والطوع ، وأسلم على أيديهم أيضا طوائف  
كثيرة ممن لم يحارب ولم يقاتل ولم يخف فمن ذلك أن أبا ذر أسلم  
هو وأخوه أنيس وأمهما في مبدأ الاسلام فلما رجعا الى قبيلتهم  
أسلم نصف قبيلة غفار بدعوة أبي ذر وهاجر في السنة السابعة من  
النبوة من مكة الى الحبشة ثلاثة وثمانون رجلا وثمانى عشرة امرأة •  
وقد بقى في مكة أيضا أناس من المسلمين • وكذلك أعلم نحو عشرين  
رجلا من نصارى نجران وقصتهم مشهورة وكذا أسلم ضماد الأزدي  
قبل السنة العاشرة من النبوة وأسلم الطفيل بن عمرو الدوسى قبل  
الهجرة ، وكان شريفا مطاعا في قومه ، وأسلم أبوه وأمه بدعوته بعد  
ما رجع الى قومه ، وكذا قبيلة بنى الأشهل رجلا ونساء أسلمت كلها  
في يوم واحد ، حينما وعظهم قبل الهجرة مصعب ، وكانت قد تواترت  
لهم معجزات النبى عليه الصلاة والسلام وبعد اسلامهم كان مصعب  
رضى الله تعالى عنه يدعو الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار من  
دور الأنصار الا ما كان من دور عوالى المدينة أى قراها من جهة نجد •

ولما هاجر عليه الصلاة والسلام الى المدينة أسلم بريدة الأسلمى  
مع سبعين رجلا من قومه في طريق المدينة طائعين • وأسلم النجاشى ملك  
الحبشة قبل الهجرة ، ووفد أبو هند رتميم ونعيم وأربعة آخرون من  
الشام ، وأسلموا قبل الهجرة ، وهكذا أسلم بالطوع والحب التمام  
جماعات كثيرة يضيق وقتنا وكتابتنا هذا عن ذكرهم • ثم ان الناس  
شرقا وغربا وشمالا وجنوبا في حياته عليه الصلاة والسلام وبعد وفاته  
وفي أيام الخلفاء الراشدين دخلوا راغبين بعدهم الى حالنا هذه وزماننا  
هذا لازالوا داخلين بالرغبة التامة والمحبة الكاملة في دين الاسلام  
من اليهود والنصارى والمجوس والهنود وعباد الأصنام من غير سيف

ولا حرب وكثير من أتباع الدول الأجنبية البعيدة حتى أن الجرائد الأجنبية المحررة في هذه السنة يذكر فيها عدة من أسلم في هذه الأعصار ألوفا كثيرة .

من ذلك ما حرره في جريدة تايمس وغيرها من جرائد الافرنج ما لفظه العرب : « قد تبين أن ستة ملايين من النفوس اهدتوا للإسلام وخرجوا عن المجوسية في الهند ، نظرا لتحرير النفوس المجرى سنة ألف وثمانمائة واحدى وسبعين وسنة احدى وثمانين » ونقل أيضا في جريدة الطريق المحررة في هذه السنة الخامسة بعد الثلاثمائة وألف هجرية عن جرائد أوروبا أن من عادة رهبان الانكليز أن يعقدوا جمعية في كل سنة بعنوان « قونصره جرج » أى مؤتمر الكنيسة وتباحثوا فيها عن الأمور المذهبية وقد عقدت هذه الجمعية في هذه الأيام فقرأ فيها رجل من رهبانهم يسمى « كتون ازاق طيلر » خطبة بخصوص ترقى الدين الاسلامى . وهى أن الدين الاسلامى ينتشر في قسم عظيم من الكرة الأرضية بتوفيق زائد الحد بالنسبة الى الدين المسيحى ، والذين يدخلون في الدين الاسلامى من المجوس أكثر من الذين يتنصرون منهم ، والاسلام يزداد بدرجة خارقة للعادة في أفريقيا كما أنه انتشر من فاس ومراكش الى جاوى ومن زنجبار الى بلاد الصين ، ومع أن البلاد من البحر المتوسط الى خط الاستواء جميعها من البلاد الاسلامية ، ترى الدين الاسلامى يتقدم تقدما سريعا في جنوب افريقيا أيضا لأنه مر من الصحراء الكبيرة واستوى على بحيرات افريقيا وما جاورها من الأقطار وأهالى توميوفتو وجاوى وسنغال وغائيتا وسواحل نهر ينك ونهر النيل ودار فور والسودان وما جاورها جميعهم مسلمون .

وقد انتشر الاسلام أيضا في سواحل نهري الكونغو وزائيرى وما جاورهما من الأقطار حتى أن حكومة أوغندا التى جميع رعاياها من الزنج والمجوس قبلت في هذه الأيام الأخيرة أن تعتنق الدين الاسلامى أيضا والأورباويون الموجودون في الهند يخدمون ترقى الدين الاسلامى ، مع أنهم يجتهدون بالغاء المذهب المجوسى تدريجا . وفى هندستان من

النفوس مائتان وخمسون مليوناً منهم مسلمون • وأهالي افريقيا أكثر من نصفهم مسلمون أيضاً • وينبغي أن نعترف أن الدين الاسلامي يخدم التمدن ويحث على محاسن الأخلاق ويأمر بالانصاف بفضائل جميلة كالعدل والطهارة والعفة والحق والشجاعة والصدق والامانة والسخاء واکرام الضيف والصدق والقناعة ، وهذه الفضائل توافق مشارب اقوام افريقيا موافقة تامة ، حال كون المذاهب البروتستانتية لم ينجح في افريقيا أصلاً • وابطاحة تعدد الزوجات والأسر أصبحت في المذهب الاسلامي في حالة ترضى لأن الشريعة الاسلامية توصي بالرفق بالأسارى وتحض على عتقهم ويسبب ابطاحة تعدد الزوجات قد انتفى الاعتياد على اسقاط الأجنة من بطون الزوجات ، وغدت كل النساء تحت أزواج يحموهن •

ومن فوائد تعدد الزوجات عدم الانكباب على الزنا في البلاد الاسلامية الذي يسود وجوه البلاد النصرانية وكان ابطاحة تعدد الزوجات من أصل الشريعة عندهم لا يرى فيه ذل على النساء ، كما أنه لا يضر بالرجال أيضاً ، وبناء عليه لا وجود في البلاد الاسلامية للمحلات المعدة للفسق ، التي لا تخار بلدة من أوروبا عنها •

واحصل : المساعي المصروفة بدعوة أهل أفريقيا للمذهب المسيحي ذهبت سدى • والذي نرى أن الشريعة الاسلامية لا مجال للاعتراض عليها انتهى بحروفه •

فانظر كيف أنطق الله تعالى هذا القسيس في بلادهم في هذه الجمعة العظيمة المخصوصة لهم بهذا الكلام الحق وأنطق الصدق « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » وهذه البلاد التي ذكرها القس وهي أن دين الاسلام دخلها يعني من أيام قريية ، ولم يقصد البلاد التي دخلها الاسلام من السابق في غابر الزمان كما لا يخفى •



فيقال لهذا المصنف عبد المسيح : هل أسلمت هذه البلاد التي ذكرها القس بالسيف أم أسلمت بطوعها واشتياقها الى الدخول في دين الاسلام ؟ فالحمد لله تعالى على ذلك • نعم ان نبينا عليه الصلاة والسلام يقال له نبي السيف لأن قبله عيسى عليه السلام لم يك مأمورا بالقتال والجهاد ، بل كان مأمورا بالدعوة الخالصة للعباد ، وشرحة نبينا كشرحة كثير من الأنبياء في أمر الجهاد • وسنبين التحكم في ذلك في الأمر الخامس ان شاء الله تعالى لكننا الآن نذكر شيئا قليلا من فعل النصارى وجبرهم لغيرهم على اتباع ملتهم ومذهبهم ، أيستدل به على مخالفتهم للمسيح وتساوة قلوبهم ، وأنهم يعترضون على المسلمين في أمر الجهاد ، مع أنهم يفعلون أشياء تم تفعلها ارم ذات العماد • فهم يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يقولون •

فأما فعلهم بالمسلمين في الأندلس وغيرها قديما وحديثا وجبرهم لهم على التنصر وقتلهم لهم على ذلك بأشنع ما يتصور ، فأشهر من أن يذكر ، وقد ملئت منه بطون الدفاتر في زماننا هذا وفي الغابر ، وكل من طالع الترايخ يعرف ذلك •

ملكنا فكان العفو منا سجية ولما ملكتم سال بالدم أبطح

غير أنا الآن ننقل من كتبهم ما فعلوه في اليهود ، وما فعله الكاثوليك بالبروتستنت وما فعله البروتستنت بالكاثوليك • وكيف قتل بعضهم بعضا •

ففي كتاب كشف الآثار في قصص بنى اسرائيل لأقسيس مريك المطبرع سنة ١٨٣٦ ميلادية الموافقة سنة ١٢٦٧ هجرية في الصحيفة السابعة والعشرين ما لفظه : « القسطنطين الأعظم الذي كان قبل الهجرة بثلاثمائة سنة قريبا أمر بقطع آذان اليهود واجلائهم الى أقاليم مختلفة ، ثم أمر ملك الملوك الرومي في القرن الخامس من القرون

المسيحية باخراجهم من البلدة الاسكندرية ، التي كانت مأمَنهم من مدة . وكانوا يجيئون اليها من كل جانب ، فيستريحون فيها ، وأمر بهدم كنائسهم وعدم قبول شهادتهم ، وعدم نفاذ الوصية ان أوصى أحد منهم لأحد في ماله . ولما ظهر منهم بغارة ما لأجل هذه الاحكام نهب جميع أموالهم ، وقتل كثيرا منهم ، وسفك الدماء بظلم ارتعد به جميع يهود هذا الاقليم .

ثم قال في الصحيفة الثامنة والعشرين : « أن يهود البلد انطيوخ لما أسروا بعد ما صاروا مغتوبين ، قطع أعضاء البعض وقتل البعض وأجلا الباقين منهم كلهم ، وظنهم ملك الملوك في جميع مملكته على هؤلاء المساكين بأنواع الظلم ، ثم أجلاهم من مملكته أخيرا لأمر وهيج ولاية الممالك الأخرى ، على أن يعاملوا اليهود هذه المعاملة ، فكان حالهم أنهم تحملوا الظلم من آسيا إلى أقصى حدود أوربا ، ثم بعد مدة قليلة كلفوا في مملكة اسبنيول لقبول شرط من شروط ثلاثة وهي : أن يقبلوا الملة المسيحية فان أبوا عن قبولها يكونون محبوسين ، وان أبوا عن كاهما يجلبون من أوطانهم ودمارت مثل هذه المعاملة معهم في ديار فرانس فهؤلاء المساكين كانوا ينتقلون من اقليم الى اقليم ولا يحصل لهم موضع القرار ولم يحصل لهم الأمن في آسيا الكبير أيضا ، بل قتلوا في كثير من الأوقات كما قتلوا في ممالك الافرنج » .

ثم قال في الصفحة التاسعة والعشرين : « ان أهل ملة الكاثوليك كانوا يظلمونهم لاعتقاد أنهم كفار ، وعظماء هذه الملة عقدوا مجلسا للمشاورة وأجروا عليهم عدة أحكام : الأول : من حمى يهوديا على ضد مسيحي يكون ذا خطأ ويخرج عن الملة . والثاني : أنه لا يعطى اليهودى منصبا في دولة من الدول . والثالث : لو كان مسيحي عبد لليهودى فهو حر . الرابع : لا يأكل أحد مع اليهودى ولا يعامله . والخامس : أن ينزع الأولاد منهم ، وتربى في الملة المسيحية وهكذا كانت أحكام آخر » .

## فصل

وإذا عرفت حال ظلمهم لليهود خصوصا ، وفي حق المسلمين عموما ، وما فعلوا بهم عند تسلطهم على بيت المقدس وتسلطهم على بلاد المغرب والأندلس وغيرها مما فصلته التواريخ في ذلك • فنذكر الآن نبذة يسيرة مما فعله الكاثوليك بالنسبة الى غيرهم من المسيحيين ، عن كتاب من كتبهم مسمى بثلاث عشر رسالة الذي طبع في بيروت سنة ١٨٣٩ من الميلاد باللسان العربي فقد قال في الصفحة الخامسة عشرة ما لفظه : « أما الكنيسة الرومانية فقد استعملت مرات كثيرة الاضطهات والطرود المزعج ضد البروتستنت في ممالك أوروبا ويظن أنها أحرقت في النار أقل ما يكون مائتين وثلاثين ألفا من الذين آمنوا بيسوع دون البابا ، واتخذوا الكتب المقدسة وحدها ، هدى وارشادا لاييمانهم وأعمالهم • وقد قتلت أيضا منهم ألوفاً وربوات بحد السيف والحبوس والكلبتين وهي آلة من حديد لتخليع المفاصل بالاجذب وأقضع العذاب المتنوع • ففي فرنسا قتلت في يوم واحد ثلاثين ألف رجل • وذلك في اليوم الملقب مار برتولماوس • وعلى هذا الأسلوب أذيا لها مختضبة بدماء المقدسين » انتهى •

وفي الرسالة الثانية عشر من الكتاب المذكور ما لفظه : « يوجد قانون وضع في المجمع الملتم في توليد وفي سبانيا يقول : اننا نضع قانونا أن كل من يقبل الى هذه المملكة فيما بعد ، لا نأذن له أن يصعد الى الكرسي ، ان لم يحلف أولا أنه لا يترك أحدا غير كاثوليكي يعيش في مملكته، وان كان بعد ما أخذ الحكم يخالف هذا العهد، فليكن محروما قدام الاله السرمدى وليصر كالحطب للنار الأبدية » وفيها أيضا يقول وفي سنة ١٧٧٤ وضع الملك لويس الحادى عشر ثمانية عشر قانونا أولها : اننا نأمر الديانة الكاثوليكية وحدها تكون مأذونة في مملكتنا • وأما الذين يتمسكون بديانة أخرى ، فليذهبوا الى الاعتقال طول حياتهم ،

والنساء فلتقطع شعورهن ويحبسن الى الموت • وثانيها : اننا نأمر أن جميع الواعظين الذين جمعوا جماعات على غير العقائد الكاثوليكية والذين عملوا ومارسوا عبادة مخالفة لها ، يعاقبون بالموت • وفي سنة ١٦٨٦ تجددت الاضطهادات عليهم في أوروبا بيد مونت لان الملك لويس الرابع عشر ، بإشارة من البابا تقدم اليه بجيشه ، وهم في بروتهم بغاية الطمأنينة فذبح العسكر خلقا كثيرا منهم ، ووضعوا في الحبس أكثر من عشرة آلاف ، فمات أكثرهم من الزحام والجوع • والذين سأموا أخرجوهم لكي ينزحوا من تلك البلاد • وكان ذلك اليوم شديد البرد والأرض مغطاة بالثلج والجليد • فكان كثير من الأمهات والأودهن في أحضانهن موتى على جانب الطريق من البرد « انتهى •

وقد ذكر أمثال ذلك وأشد حالا تركناه خشية التوطيل واذا عرفت حال ظلم فرقة الكاثوليك فاعلم أن حال ظلم فرقة البروتستنت قريب منه ، وننقل بعض ما عملوه من كتاب مرآة الصدق الذي ترجمه القسيس طامس انكلس من علماء الكاثوليك من اللسان الانكليزي الى لسان أورد وآي الهندي سنة ١٨٥١ من الميلاد في الصفحة الحادية والأربعين ما لفظه : « سلب البروتستنت في ابتداء أمرهم ستمائة وخمسة وأربعين رباطا وتسعين مدرسة وألفين وثلثمائة وستة وسبعين كنيسة ، ومائة وعشر مارستانات من ملاكها ، فباعوها بثمن بخس وقسمها الأمراء فيما بينهم ، وأخرجوا ألوفاً من المساكين المفلوكين عريانين من هذه الأمكنة » ثم قال في الصفحة الثانية والخمسين ما لفظه : « فنلاحظ الآن أفعال الجور التي فعلها البروتستنت في حق فرقة الكاثوليك الى هذا الحين أنهم قرروا أزيد من مائة قانون كلها خلاف الرحمة والعدل لأجل الظلم • ونحن نذكر بعضها : لايرث كاثوليكي تركة أبويه ولا يشتري أحد منهم أرضا بعد ما يجاوز عمره ثمانى عشرة سنة الا أن يصير بروتستانتيا ولا يكون لهم مكتب • ومن كان من هذه الملة يؤدى ضعف الخراج ، وان صلى أحد من قسوسهم فعليه أداء ثلثمائة وثلثين ربية من ماله ، وان أرسل أحدهم ولده خارج انكلترا لتتعلم ، يقتل هو

وولده ، وتسلب أمواله كلها • ومن لم يحضر منهم يوم الأحد في كنيسة البروتستنتت توخذ منه مائتا ربية في كل شهر ، ولا تنفذ أنكحتهم ولا تجهز موتاهم • ولا تعتمد اولادهم ، الا اذا كانت هذه الأمور على طريقة كنيسة انكلترا • ثم صدر الحكم ان لم يصيروا كلهم بروتستنتت يسجنون ، ثم يجلون من أوطانهم مدة حياتهم » •

ثم قال في الصفحة الحادية والستين الى السادسة والستين ما لفظه : « حمل كثير من رهبانهم وعلماهم بأمر الملكة إليزاب في المراكب ، ثم أغرقوا في البحر وجاء عسكرها الى ايرلاندا ليدخلوا أهل الكاثوليك في ملة البروتستنتت ، فأحرقوا كنائس الكاثوليك وقتلوا علماءهم وكانوا يصطادونهم كاصطياد الوحوش البرية ، وكانوا لا يؤمنون أحدا ، وان آمنوا أحدا قتلوه أيضا بعد الأمان وذبحوا العسكر الذى كان في حصن سمروك وأحرقوا القرى والبلاد ، وأفسدوا الحبوب والمواشى ، وأجلوا أهلها » •

ثم قال : « ان البروتستنتت يجمعون في كل سنة مقدار مائتى ألف وخمسين ألف ربية وكراء أكثر المكنات الكبيرة ويشترون بها أولاد فرقة الكاثوليك الذين هم من المساكين المفلوكين ، ويرسلونهم في العربيات الى اقليم آخر بالخفية ، لئلا يرى أبأؤهم وأمهاتهم ويقع كثيرا أن هؤلاء الأثقياء اذا رجعوا الى أوطانهم تزوجوا بأخواتهم وأمهاتهم للجهل وعدم الامتياز » انتهى •

وقد أظن في ذكر جورهم على فرقة الكاثوليك واكتفينا على هذا القدر ، اذ البعرة تدل على البعير •

فاذا أحطت خبرا ببعض ما فعله الفرقة الكاثوليكية من النصرارى بالفرقة الأخرى منهم المسماة البروتستنتت بالكاثوليكية وما فعله عموم النصرارى بالمسلمين في بيت المقدس ، وفي بلاد الأندلس وفي غير ذلك من بلاد المسلمين من القتل والنهب والجور الذى لا يخطر في فكر انسان ، علمت شفقة المسلمين ورحمتهم على كافة المذاوقين ، بأى درجة من الرحمة

والانصاف ، وعلمت أن طعن النصارى على المسلمين في مسألة الجهاد  
ظلم واعتساف • فتأمل الحق واتبعه ، ثلثا تحيف مع من حاف ، والله  
سبحانه ولى الألطاف •

**الأمر الخامس :** ان حكم الجهاد في الشريعة الأحمدية هو أن  
يدعى الكفار أولا بالموعظة الحسنة الى الاسلام ، فان قبلوه فيها ونعمت  
ويكونون مثلنا وأن لم يقبلوا فان كانوا من مشركى العرب فحكمهم  
القتل كما كان مثل هذا الحكم في الشريعة الموسوية في حق الأمم السبعة ،  
والمرتد والذائح للأوثان والداعى الى عبادتها • وان كانوا من غيرهم  
يدعون الى الصلح بقبول الجزية والاطاعة ، فان قبلوا فنكون دماؤهم  
كدمائنا وأموالهم كأموالنا ، وان لم يقبلوا فيحاربون مع مراعاة الشروط  
الصرح بها في الكتب الفقهية ، كما كان مثله في الشريعة الموسوية في  
حق الأمم السبعة المتقدم ذكرها • ولا تقتل النساء ولا الأطفال بل  
يؤسرون ولا يحرقون بالنار ولا يمثل بهم ولا يعذبون بأنواع العذاب •

والخرافات والأكاذيب والمفتريات والهذيان التي نقلتها علماء  
البروتستنت في هذه المسألة لا يفتقت اليها لأن كتب المسلمين والحمد  
لله تعالى منشورة في البلدان والأحكام الالهية معلومة من القرآن والأفعال  
النبوية مسطورة في هذا الشأن ، وعمل الصحابة وكتبهم مثبتة في غير  
ديوان • فكيف يروج الزور والبهتان ، وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب  
رضى الله تعالى عنه كان شديدا في الاسلام وكان جهاد الشام من أعظم  
فتوحاته وكان حاضرا بنفسه عند محاصرة اليباء ، ولما تسلط على ايلياء  
وقبل المسيحيون الجزية ما قتل أحدا ولا اكره على الامان بالله ورسونه  
فردا واشترط عليهم شروطا حسنة • وهذا بخلاف النصارى عند  
استيلائهم عليها سنة ١٠٩٩ مسيحية وقد اعترف بذلك مؤرخوهم  
ومفسروهم أيضا فقد قال طامس نيوتن في تفسيره المطبوع سنة ١٨٠٣  
في بلدة لندن في الصفحة الخامسة والستين من المجلد الثاني في بيان  
تسلط أهل النشايث على أورشليم هكذا : فتحوا أورشليم في الخامس عشر  
من شهر تموز الرومى سنة ١٠٩٩ بعد ما حاصروها خمسة أسابيع

وقتلوا غير المسيحيين • فقتلوا أزيد من سبعين ألفا من المسلمين ، وجمعوا اليهود وأحرقوهم ، ووجدوا في المساجد غنائم عظيمة » انتهى •

والفرق بين الشريعة المحمدية والموسوية في مسألة الجهاد أن الشريعة المحمدية يدعى الكافر فيها أولا بالموعظة الحسنة الى الاسلام بخلاف الشريعة الموسوية ، وظاهر أن الدعوة الى الايمان قبل القتل هي عين الانصاف • ففي الآية الحادية عشرة من الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر حزقيال ما نصه : « يقول الرب الاله : است أريد موت المنافق بل أن يتوب المنافق من طريقه » •

والثاني : انه كان حكم النساء والصبيان القتل اذا كانوا من الأمم السبعة في الشريعة الموسوية ، بخلاف الشريعة الأحمدية ، فان هؤلاء لا يقتلون وان كانوا من مشركي العرب ، كما كانوا لا يقتلون في الشريعة الموسوية أيضا اذا كانوا من غير الأتوام السبعة •



### الفصل الثالث : اذا تمهدت هذه الأمور الخمسة فتقول : لا شناعة

في مسألة الجهاد الاسلامي نقلا وعقلا • أما نقلا فلما عرفت في الأمور المذكورة وأما عقلا فلأنه قد ثبت بالبرهان الصحيح أن اصلاح القوة النظرية مقدم على اصلاح القوة العملية ، فاصلاح العقائد مقدم على اصلاح الأعمال وهذه مقدمة مسلمة عند كافة الملمين • واذلك لا تنفد الأعمال الصالحة بدون الايمان عندهم ، ولا يعاندنا المسيطرون أيضا في هذه الباب ، لأن الأعمال الصالحة بدون الايمان بالمسيح لا تنجى عندهم أيضا ، وأن الجواد الطاهر المتواضع الكافر بعيسى عليه السلام أشر عندهم من البخيل الغضوب المتكبر المؤمن بعيسى عليه السلام وكذا قد ثبت بالتجربة الصحيحة أن الانسان قد يتنبه على خطئه وقبحه بتنبه الغير وكذا قد ثبت بالتجربة الصحيحة أن الانسان لا يطيع الحق غالبا لأجل وجاهة قومه وشوكتهم ولا يصغى الى قول رجل من صنف

آخر بل يأنف من سماع كلامه ولاسيما اذا كان هذا القول مخالفا لطبائع  
صنفة وأصولهم ، ويكون في قبوله مشقة في أداء العبادات البدنية  
والمالية بخلاف ما اذا انكسرت وجاهة قومه وشوكتهم ، فلا يأنف من  
الاصغاء •

وكذا قد ثبت بالتجربة أن العدو اذا رأى أن مخالفه مائل الى  
المدعة والنسكون يطمع في التسلط على مملكته ، وهذا هو السبب الأغلبى  
في زوال الدول القديمة ، وبعد تسلطه تحصل المضرة العظيمة للدين  
والديانة ، ولذلك اضطر المسيحيين كافة الى ما يخالف انجيلهم المتداول •  
فقال الكاثوليكيون : ان الكنيسة الرومانية لها سلطان حقيقى على كل  
مسيحى بواسطة العمد ، لكون كل معتمد خاضعا للكنيسة الرومانية  
ومرؤسا منها ، وهى ملتزمة بقصاص العصاة بالعقوبات الكنائسية  
وبأن تسلط للمصرين على ضلالهم والمضرين للجمهور الى ذوى الولاية  
ليعاقبوههم بالموت • وبالتالي يمكنها الزامهم بحفظ الايمان الكاثوليكى  
والشرائع الكنائسية تحت أى قصاص كان « انتهى •

وقد نقله عنهم صاحب الرسائل الثلاثة عشر من علماء البروتستنت  
في الرسالة الثالثة عشر • وقال علماء البروتستنت من أهل انكلترا :  
« سعادة الملك له الحكم الأعلى في مملكة انكلترا هذه ، وله ولاياته  
الأخر وله السلطنة الأولى على جميع متعلقات هذه المملكة ، سواء  
كانت كنائسية أو مدنية في كل حال ، وما هى خاضعة ، بل لا يصح أن  
تخضع لحاكم أجنبى ، ويجوز للمسيحيين أن يتقلدوا السلاح بأمر الحكام  
ويبائثروا الحروب ، كما هو مصرح به في العقيدة السابعة والثلاثين من  
عقائد دينهم » •

فترك كلا الفريقين ظاهر أقوال عيسى عليه السلام وهو « لا  
تتناوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر ، وان أراد  
أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا ، ومن سخرك ميلا  
واحدا فاذهب معه اثنين ، من سألك فأعطه » انتهى •



فان هذه الأقوال تخالف ما مهدوه \*

وإذا ثبت ما ذكرناه فلا شك في استحسان الجهاد عقلا ، إذا كان جامعا للشروط المذكورة في الكتب الشرعية المحمدية ، ومن تدبر ما سردناه ونبذ العصبية الجاهلية وراءه ، علم أن التشدد في مسألة الجهاد وقتل المرتد والمرغب الى عبادة الأوثان في الشريعة الموسوية أشد وأكثر من التشدد الذى فى الشريعة الأحمدية ، وتبين له أن طعن المسيحيين خلاف ، واعتراضهم أوهى من بيت العنكبوت ، وجوابنا أقوى من جبل قاف \*

والعجب منهم أنهم لا ينظرون الى أسلافهم الذين أشاعوا ملتهم بالظلم والجور ، وكيف قرروا القوانين التى كلها حور بعد الذكور ، ولم يمثلوا قول المسيح الذى نقل متى فى الاصحاح السابع من انجياه وهو : « لماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك ، وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفتن لها ؟ أم كيف تقول لأخيك : دعنى أخرج القذى من عينك ، وها الخشبة فى عينك ؟ يا مرائى أخرج الخشبة أولا من عينك ، وحينئذ تبصر جيدا أن تخرج القذى من عين أخيك » • ولقد أحسن القائل :  
واعجبا للمرء مع علمه •• ان ليالى عمره ساربه  
يبصر فى عين أخيه القذى •• ولا يرى فى عينه الساربه

ولنرجع الى ما نحن بصدده فقد طال الكلام وان كان ما بقى تضيق عنده الأرتام ولعل لنا عودة الى هذا البحث ان شاء الله تعالى •

قال النصرانى : « ثم لم يزل كذلك أن وجد النجوم الذين خرج فى طلبهم فى ضعف استاق غيرهم ، وأخذ تجارتهم وقتل من أمكنه قتله من رجالهم ، وان وافاهم وهم فى منعة وقوة انهاز عنهم ، وولى هاربا الى أن مات فكانت مغازيه بنفسه سستا وعشرين غزوة ، سوى السرايا التى كانت تخرج فى الليل والسوارى الخارجة نهارا ، والبعوث قاتل منها فى تسع غزوات ، والباقية كان يبعث فيها أصحابه •

ثم أعجب من هذا فى قبح الأحداث والشناعة فى الفعل والنظافة ،

توجيهه الى واحد واحد يقتله بالغيلة كتوجيهه عبد الله بن رواحة  
لقتل أسير بن دارم اليهودى بخبير ، فقتله غيلة ، وكبعثه سالم بن عمير  
العمري وحده الى أبى عفك اليهودى وهو شيخ كبير ما به حراك فقتله  
بالغيلة ، ليلا وهو نائم على فراشه آمننا مطمئنا . واحتج بأنه كان  
يعييه .

فأعلمنا — أكرمك الله — فى أى كتاب قرأت هذا ؟ وأى وحى نزل  
عليه به ؟ ومن أى حكم حكم على من أعاب أن يقتل ؟ فقد كان فى تأديب  
هذا الشيخ على ذنبه شىء دون القتل ، وخاصة ليلا وهو نائم مطمئن  
آمن على فراشه . فان كان أعابه بما كان فيه فقد صدق ، وليس يجب  
على من صدق قتل ، وان كان كذب عليه فى قوله فليس يجب على من  
كذب القتل ، بل يؤدب لتلا يعود .

وانت تعلم — أصلحك الله — أنه ما ساغ لأحد أن يؤذى الطير  
فى وكرها ليلا وهى آمنة مطمئنة ، فكيف انسان يبعث اليه من يقتله  
وهو على فراشه لأنه كان يعييه ؟ ألم يكن دون القتل شىء آخر .

أما فى أحكام الله فلا نجد هذا مطلقا لأحد ، ولا فى أحكام العقل  
والطبيعة ، بل هذا لعمرى فعل الشيطان قديما بأدم وذريته منذ نزل  
به ما نزل ، فأين قواك — أصلحك الله — أنه بعث بالرحمة والرفقة الى  
الناس كافة . وأما بعثه لعبد الله بن جحش الأسدى الى نخلة وهو  
بستان ابن عامر فى اثنى عشر رجلا من أصحابه ليأتيه بأخبار قريش ،  
فلقوا به عمرو بن الحضرمى فى غير قريش وتجارة قد أقبل بها من  
اليمن ، فقتلوا عمرا واستاقوا العير الى المدينة ، فلما وردوا أخرج  
عبد الله بن جحش مما أغار عليه هو وأصحابه الخمس فدفعه اليه ،  
فهذا لا أقول أنه حلال أو حرام ، حتى اذا ما نظر فيه العادل يقول  
ما يوجب العدل والانصاف . وكذلك ما فعل فى قينقاع حيث صار اليهم  
بغير ذنب ولا علة الا الرغبة فى أموالهم فحاصرهم حتى نزلوا على  
حكمه ، واستوهبهم منه عبد الله بن أبى بن ساول فوهبهم له ، وأخرجهم

الى أنذرات ، بعد أن أخذ أموالهم فقسمها بين أصحابه • وأخذ هو  
الخمس قائلًا : هذا ما أفاء الله على نبيه ، فليت شعري كيف طاب له  
هذا ؟ وبماذا استحل أن يأخذ أموال قوم لم يؤذوه ، ولم يكن بينهم  
وبينه غل وإنما استضعفهم وكانوا كثيры الأموال ؟ فما هكذا تفعل  
الأنبياء ولا من يؤمن بالله واليوم الآخر ، وغير هؤلاء ممن لا أحب  
تطويل كتابى بذكرهم ، فيمل منه القارىء ويسأمه • وفيما وصفنا  
كفاية ليستدل به على غيره من مناقبه « انتهى •

فأقول : ان أجوبة هذه الكلمات الساقطة عن حيز القبول تستفاد  
من مفصل ما سبق فى أمر الجهاد ، وأن النبى ﷺ بعد أن ثبتت نبوته ،  
فلا يعترض على حضرته العلية بمثل هذه المسائل الجزئية ، مع أنا لا  
نترك كلامه هذا خاليا عن الجواب ، ولا نهمل رده وان كان معلوما  
للذوى العلم والألباب • ولنقدم بين يدى التفصيل ما ورد فى الاصحاح  
الثانى من سفر الملوك الثانى فى بحث الإشاع بعد أن ظهرت منه  
المعجزات ، فى أريحا ما نصه : « ثم صعد من هناك الى بيت ايل وفيما  
هو صاعد فى الطريق اذ بصبيان صغار خرجوا من المدينة وجعلوا  
يستهزؤن به ، ويقولون : اصعد يا أصلح اصعد يا أقرع ، فاتفقت الى  
ورائه ونظر اليهم • ولعنهم باسم الرب فخرج دبтан من الغيض  
فافترستا منهم اثنين وأربعين صبيا ، وانصرف من هناك الى جبل  
الكرمل ، ومن هناك رجع الى السامرة » انتهى •

فانظر بعين الانصاف ان أمر نبينا عليه الصلاة والسلام يقتل  
بعض الكفرة الذين فى وجودهم ضرر على الاسلام وتحققت منهم الاعانة  
والتحريض ، على عدم اعلاء كلمة الله • ويخشى من كيدهم • ويلاحظ  
من مكرهم ( هل يكون مسيئا ؟ ) اذ فى ائتلافهم ازدياد المؤمنين وذل  
الكفرة الطاغين وحقن دماء كثير من المسلمين • لا سيما وقد اجتمع  
مع ذلك استهزاء بعضهم برسول الله ﷺ وتعييبه • وفى ذلك تشبيل لمن  
يريد الدخول فى الدين وتعويق عن اتباع المصطفى الأمين • ولا ريب  
أنه عليه الصلاة والسلام مأمور بذلك من رب العالمين •

ولنضرب لك مثلاً لما نحن فيه وهو أن الملك إذا أرسل من خاصته رجلاً إلى أهل بلد من البلاد التي هي في حوزته ليبلغهم عنه بعض الأوامر ، فإذا دخل البلد وكذبه وأعابه واستهزأ به أحد ، وأراد الناس أن يسمعوا كلامه ويفهموا مرامه • فقال لهم هذا العائب : ان هذا الرسول مفتر كاذب • ثم رجع الرسول إلى مرسله وعرض له جميع قول المكذب مجملة ومفصلة • فهلا يحسن بالملك اعدامه ؟ وهل يكثر على قتله لمرامه ؟ ولا يشك عاقل أنه لا يقال في حقه الا ملك مسيس غير غافل وهذا دون ما فعله « اليشاع » بأصيبة الصغار ، اذ لا يخلو فعله من وجهين : اما أن يكون لعن الصبيرة وطردهم عن رحمة الله تعالى — مع أنهم غير مكلفين — وأخرج عليهم أنحيوان — لأجل استهزائهم به — فأكلهم بدعائه : مباحا له ذلك أو غير مباح له • ولكن الله جل وعز اغتار عليه فأخرج بلا طابه ولا دعائه الدبتين فافتترستا منهم اثنين وأربعين صبيا صغيرا لا يميزون بين الخير والشر ، وليسوا في سن التكليف •

فان كان مباحا له ذلك ، فعلى هذا القول منهم — والذي لم يضر شيئا لأنه ان كان أصلع فقد صدقوا ، وان لم يكن أصلع فقد كذبوا • ولا يوجب الكذب على الكبير المكلف القتل في مثل ذلك ، فضلا عن الصغير ( يكون الدعاء على الكافر مباحا ) ويثبت • مطلوبنا • وان لم يكن مباحا بل الباريء جل وعز اغتار عليه عندما استهزعوا به فلا شك ولا ريب أنه اغتار على سيد المرسلين ﷺ وعليهم أجمعين فسلط على أبي عفاك ونحوه ممن يعر به عليه الصلاة والسلام ويضر بقوله وفعله : الاسلام من يشقى غليل المسلمين وينتقم من الظالمين الساعين بين العباد بالفساد ، المفسدين في البلاد المعوقين عن الرشاد • الذين هم مثل الفارة انما سقت في البنيان تسعى في نقض قوى الدعائم وهذا الأركان • فقتلها بأى صورة كانت لازم عند كل عارف بالأديان • ولا يعترض على الأنبياء في جميع ما فعلوه الا الشيطان أو ابن الشيطان • ولنرجع إلى رد أقواله وتفصيلها • أما قرأه « كتوجيه » عبد الله بن رواحة

لقتل أسير بن دأرم اليهودي بخيبر فقتله غيلة » فاعلم أنه كان من حديث اليسيير بن رزام ويقتل ابن رازم كما قتال ابن هشام » أنه كان بخيبر يجمع غطفان لغزو رسول الله ﷺ فبعث عليه السلام اليه عبد الله بن رواحة في نفر من أصحابه منهم عبد الله بن أنيس فلما قدموا عليه كلموه وقربوا له • وقالوا له : ائتك ان قدمت على رسول الله ﷺ استعملك وأكرمك ، فلم يزلوا به حتى خرج معهم في نفر من يهود فحمله عبد الله بن أنيس على بعيره ، حتى اذا كان بالقرقرة من خير على ستة أمال ندم اليسيير بن رزام على مسيره الى رسول الله ﷺ ففطن به عبد الله بن أنيس ، وهو يريد السيف فالتحم به ثم ضربه بالسيف ، فقطع رجله وضربه اليسيير بمخراش في يده من شوحط فأماه ومال كل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ على صاحبه من يهود فقتله الا رجلا واحدا أفلت على رجله ، فلما قدم عبد الله بن أنيس على رسول الله ﷺ ثقل على شجته فلم تتج ، ولم يؤذه » انتهى •

وقوله : « وكبعتة سالم بن عمير العمري وحده الى أبي عفاك اليهودي فقتله بالغيلة » الى آخره •

قال ابن اسحاق : وغزوة سالم بن عمير لقتل أبي عفاك أحد بني عمرو بن عوف ، ثم من بني عبيد وكان قد نجم نفاقه حين قتل رسول الله ﷺ الحرث بن سويد بن صامت فقال :

لقد عشت دهرا وما ان ارى  
أبر عهدا وأوفى لمن  
من اولاد قبيلة في جمعهم  
فصدعهم راكب جاءهم  
فلو ان بالمرز صدقتم  
من الناس دارا ولا مجمعا  
يعاقد فيهم اذا ما دعا  
يهد الجبال ولن يخضعا  
لحلال حرام لشيء معا  
او الملك تابعتهم تبعنا

فقال رسول الله ﷺ : من لى بهذا الخبيث ؟ فخرج سالم بن عمير أخو بني عمرو بن عوف وهو أحد البكائين فقتله • فقالت أمامة الربدية في ذلك :

تكنب بين الله والمرء احمدا  
لعمر الذي اهناك ان بتس يمني  
حياك حنيف آخر اثنين ضعه  
ابا عفك خذها على كبر السن

وقال في المواهب : « قد بلغ عشرين ومائة سنة وكان يحرض  
الناس على رسول الله ﷺ ويقول فيه الشعر » انتهى •

فعلم أنه من المنافقين والمرضين على النبي عليه الصلاة والسلام •  
وقوله : « فأين قولك — أصلحك الله — انه بعث بالرحمة والرأفة الى  
الناس كافة » يعلم جوابه أيضا مما مر ، على أن رحمته ورأفته ثابتان  
بأقواله وأفعاله عليه الصلاة والسلام •

وقوله : « واما بعثه لعبد الله بن جحش الأسدي الى نخلة »  
الى آخره فاعلم : أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن رباب الأسدي في  
رجب مقفله من بدر الأولى وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس  
فيهم من الأنصار أحد وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير  
يومين ، ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره به ولا يستكره من أصحابه أحدا •  
وكان أصحاب عبد الله بن جحش من المهاجرين ثم من بنى عبد شمس  
ابن عبد مناف أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، ومن حلفائهم  
عبد الله بن جحش وهو أمير القوم وعكاشة بن محصن بن حرثان أحد  
بنى أسد بن خزيمة حليف لهم ومن بنى نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان  
ابن جابر حليف لهم ومن بنى زهرة بن كلب سعد بن أبي وقاص ومن بنى  
عدى بن كعب عامر بن ربيعة حليف لهم ، وغيرهم •

فلما سار عبد الله يومين فتح الكتاب فنظر فيه فاذا فيه : اذا  
نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد  
بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم فلما نظر عبد الله في الكتاب قال سمعا  
وطاعة ، ثم قال لأصحابه : قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضى الى  
نخلة أرسد بها قريشا حتى آتية منهم بخبر ، وقد نهاني أن أستكره أحدا  
منكم فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك  
فليرجع ، فأما أنا فمأض لأمر رسول الله ﷺ •

فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد وسلك علي  
الحجاز حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له بحران ، أضل سعد بن  
أبي وقاص وعتبة بن غزوان بغيرا لهما ، كانا يعتقبانه ، فتخلفا عليه في  
طلبه ، ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة ، فمرت  
به غير لقريش تحمل زيبا وأدما وتجارة قريش ، فيها عمرو بن الحضرمي  
وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وأخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان ،  
والحكيم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة ، فلما رأهم القوم هابوهم  
وقد نزلوا قريبا منهم ، فاشرف لهم عكاشة بن محصن ، وكان قد حلق  
رأسه ، فلما رأوه أمنوا . وقالوا عمار لا بأس عليكم منهم ، وتشاور  
القوم فيهم . وذلك في آخر روم من رجب . فقال القوم : والله لئن  
تركتم القوم هذه الليلة ليدخان الحرم فليمتنعن منكم به ، ولئن  
قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام ، فتردد القوم وهابوا الاقدام  
عليهم ، ثم شجعوا أنفسهم عليهم ، وأجمعوا على قتل من فدروا عليه  
منهم ، وأخذ ما معهم فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي  
بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان وأفلت  
القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم ، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه  
بالبعير وبالأسيارين حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة .

فلما قدموا قال عليه الصلاة والسلام : ما أمرتكم بقتال في الشهر  
الحرام . فوقف البعير والأسيرين ، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا فلما قال  
ذلك رسول الله ﷺ سقط في أيدي القوم ، وظنوا أنهم قد هلكوا .  
وعنفهم اخوانهم من المسلمين فيما صنعوا فأنزل الله تعالى على رسوله  
قوله : « يستلونك عن الشهر الحرام قتال فيه ؟ قل : قتال فيه كبير  
وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند  
الله والفتنة أكبر من القتل » أى ان كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد  
صدوكم عن سبيل الله مع الكفر وعن المسجد الحرام واخراجكم منه وأنتم  
أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم . والفتنة أكبر من القتل أى قد  
كانوا يفتنون المسلم في دينه ويعذبونه حتى يرادوه إلى الكفر بعد إيمانه ،  
فذاك أكبر عند الله من القتل « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن

دينكم ان استطاعوا « أى ثم هم مقيمون على أخبث من ذلك وأعظمه غير  
تائبين ولا نازعين •

فلما نزل القرآن بهذا الأمر وفرج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا  
فيه من الشفق أمر رسول الله ﷺ بقبض العير والأسيرين وبعثت اليه  
قريش في فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، ففداهما رسول الله  
ﷺ منهم • فَمَا الْحَكَمُ بْنُ كَيْسَانَ فَأَسْلَمَ فَحَسَنَ إِسْلَامَهُ وَأَقَامَ عِنْدَ  
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى اسْتَشْهَدَ يَوْمَ بَيْرِ مَعُونَةَ •

وقد ذكر ابن اسحاق أن الله عز وجل قسم الفىء حين أحله فجعل  
أربعة أخماسه لمن أفاءه الله ، وخمسه الى الله ورسوله فوقع على ما كان  
عبد الله صنع في تلك العير ، قبل أن يفرض الله الخمس من الغنائم •

ثم أنشد عبد الله بن جحش خاطبا لقريش قوله :

تعدون قتلا في الحرام عظيمة  
صدوركم قبلا بقول محمد  
وأخرجوا من مسجد الله أهله  
فأنا وان عبرتمونا بقتاله  
سقيننا من ابن الحضرمي رماهنا  
دما وابن عبد الله عثمان بيننا  
• انتهى •

وقوله : « وكذلك ما فعل في قينقاع » الى آخره قينقاع بتثليث  
النون والضم أشهر بطن من يهود المدينة لهم شجاعة وصبر قال في  
المواهب اللدنية : « وكانت الكفار بعد الهجرة مع النبي ﷺ على ثلاثة  
أقسام : قسم وادعهم على أن لا يجاربوه لا يؤلبوا عليه عدوه وهم  
طوائف اليهود الثلاثة قريظة ونضير وبنى قينقاع • وقسم حاربوه  
ونصبوا له العداوة كقريش • وقسم تاركوه وانتظروا ما يؤول اليه  
أمره كطوائف من العرب فمنهم من كان يحب ظهوره في الباطن كخزاعة  
وبالعكس كبنى بكر ومنهم من كان معه ظاهرا ومع عدوه باطنا ، وهم  
المنافقون •



وكان أول من نقض العهد بنى قينقاع فحاربهم عليه الصلاة والسلام قال ابن هشام في سيرته : وكان من حديث بنى قينقاع أن رسول الله ﷺ جمعهم بسوق بنى قينقاع • ثم قال : يا معشر يهود احذروا من الله تعالى ، مثل ما نزل بقريش من النعمة ، وأسلموا ، فإنكم قد عرفتم أنى نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله اليكم • قالوا : يا محمد لا يغررك أنك تكثرت قوما لا علم لهم بالحرب ، فاصبت منهم فرصة • انا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس • قال ابن عباس : ما نزل هؤلاء الآيات الا فيهم : « قل للذين كفروا استغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد • قد كان لكم آية في فئتين التقتا » أى أصحاب بدر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش « فئته تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين • والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لأولى الأبصار » وكان حربهم فما بين بدر وأحد •

وسببه : ان امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بنى قينقاع ، وجلست الى صائغ بها فجعلوا يريدونها على كشف وجهها • فأبت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها • فلما قامت انكشفت سواتها ، فضحكوا بها فصاحت • فوثب رجل من المسامين على الصائغ فقتله • وكان يهوديا • فشدت ائيهود على المسلم فقتلوه • فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع ، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه ، على أن له الأموال ولهم النساء ، ويجلون عن المدينة فقمام اليه عبد الله بن أبى بن سلول حين أمكنه الله تعالى ، منهم فقال : يا محمد أحسن في موالى ، فأعرض عنه ، فألح على رسول الله ﷺ من أجلهم • وقال : هم أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأصفر ، تحصدهم في غداة واحدة؟ ائى والله امرؤ ، أخشى النوائر فقال عليه الصلاة والسلام : هم لك وتركهم من القتل ، وأمر بأن

جلوا من المدينة ، فلحقتوا باذرعات ، فما كان أقل بقائهم فيها ، وأخذ  
من حصنهم سلاحا وآلة كثيرة • وكانوا أيضا حلفاء لعبادة بن الصامت  
فتبرء عبادة من حلفهم • فقال : يا رسول الله أتبرأ إلى الله وإلى رسوله  
من حلفهم ، وأتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرء من حلف الكفار ،  
وولايتهم ، ففيه وفي عهد الله بن أبي نزلت القصة من المائدة :  
« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء  
بعض • ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين  
فترى الذين في قلوبهم مرض » أي كعبد الله بن أبي • وقوله : انى أخشى  
الدوائر « يسارعون فيهم يقولون : نخشى أن تصيبنا دائرة • فعسى  
الله ان يأتى بالفتح أو أمر من عنده ، فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم  
نادمين ويقول الذين آمنوا : أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم ؟ »  
ثم القصة الى قوله تعالى : « انا وليكم الله ورسوله والذين آمنوا  
الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » وذلك لتولى عبادة  
ابن الصامت الله ورسوله ، والذين آمنوا وتبرئته من بنى قينقاع وحلفهم  
وولايتهم « من يتول رمن الله رسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم  
الغالبون » •

قال النصرانى : « فاما غزوة أحد ، وما أصيب فيها من كسر رباعيته  
السفلى اليمنى ، وشق شفته ، وثلم وجنته وجبهته ، الذى ناله من عتبه  
ابن أبى وقاص ، وما علاه به ابن قميئة الليثى بالسيف على شقه  
بحضرته على رجل سيفا فضربه به على اذنه فاقفلها • فلما نظر المسيح  
فهذا خلاف الفعل الذى فعاه الرب مخلص العالم ، وقد سل رجل  
بحضرته على رجل سيفا فضربه به على اذنه فافتعلها • فلما نظر المسيح  
مخلصنا الى ذلك ، من فضله عمد الى الاذن فردها الى موضعها فعادت  
صحيحة كالأخرى ، والا حيث أصاب يد طاحه ما أصابها ، وقد وقاه  
بنفسه ، فلو دعا ربه فرد يده الى ما كُتبت عليه من صحتها ، لكانت  
هذه من احدى علامات النبوة وأين كانت الملائكة عن معونته ووقايته من  
كسر ثنيته وشق شفته ودمى وجهه ؟ وهو نبى من الأنبياء وصفى من

الأصفياء ورسول الله • كما دالت الأنبياء توفى قباه • دتوقية ايليا النبي  
من أصحاب أخاب المالك ، ودانيال من أسد داريوس ، وحنانيا واخوته  
الفتية الأبررة من نار بخت نصر ، وغيرهم من الأنبياء وأولياء الله •  
سيما ولم يخلق الله جل اسمه آدم الا لأجله ومكتوب على سرادق العرش  
اسمه كما تدعون « انتهى •

فأقول : ان هذا الكلام يعلم جوابه أيضا مما تقدم في بحث الجهاد ،  
لكننا لا نتركه هنا بلا جواب ، خشية أن يموه فيه على ضعفة العقول  
الجاهلين بالمعقول والمنقول •

والأذى يلتم الخضم حجرا : أن كثيرا من الأنبياء قتلهم بنو اسرائيل  
ونشرتهم بالمناشير ونبينا عليه الصلاة والسلام نزل عليه « والله يعصمك  
عن الناس » فعصمه كما وعده ، والأعظم من قتل الأنبياء : أن الاله  
بزعم النصارى قتل وصلب ، ولو كان مخلص العالم لخلص نفسه ، ولما  
قال عند صليبه : « الهى الهى لم تركتني » ؟ بزعم النصارى • فاذا  
كسرت رباعية النبي عليه الصلاة والسلام في الجهاد ، فلا ثلم في  
رسالته ، ولا عجب • على أن في قصة أحد وما أصيب به المسلمون من  
الفوائد والحكم الربانية والغايات المحمودة أشياء عظيمة منها : تعريف  
المسلمين سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب النهى بما وقع من بعض  
الرماة الذين أمرهم النبي ﷺ أن لا يبرحوا فانصرفوا عن محلهم  
كما سيأتى تفصيله •

ومنها عادة الرسل أن تبتلى وتكون لهم العاقبة ، فهذا من أعلام  
الرسل كما قال هرقل لأبى سفيان في القصة المشهورة : هل قاتلتموه ؟  
قال : نعم • قال : كيف الحرب بينكم وبينه ؟ قال : سجال ندال عليه  
المرّة ويدال علينا الأخرى • قال : كذلك الرسل تبتلى ، ثم تكون لهم  
العاقبة والحكمة في ذلك : أن لو انتصروا دائما لدخل في المسلمين من ليس  
منهم ولم تميز الصادق من غيره ، ولو انكسروا دائما لم يحصل  
المقصود من البعثة • كما قدمناه لك مما في الاصحاح العشرين من سفر

القضاة في مقاتلة بنى اسرائيل مع بنى بنيامين بأمر الرب سبحانه ،  
فانكسروا وقتلوا مرتين ، ثم في اليوم الثالث انتصروا على بنى بنيامين •  
فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين لىتميز الصادق من الكاذب • وذلك  
أن نفاق المنافقين كان مخفيا على المسلمين ، فلما جرت هذه القصة ،  
وأظهر أهل النفاق ما أظهروه من الفعل والقول ، عاد التأويح تصريحاً ،  
وعرف المسلمون أن لهم عدواً في دورهم واستعدوا لهم ، وتحرزوا  
منهم •

ومنها : أن في تأخير النصر في بعض المواطن هضماً للنفس وكسراً  
لسماجتها • فلما ابتلى المسلمون صبروا وجزع المنافقون • ومنها أن  
الله تعالى هياً لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته فلا تبلغها أعمالهم  
فقيض لهم أسباب الابتلاء والحن ، ليصلوا اليها • ومنها : أن الشهادة  
من أعلى مراتب الأولياء فساقطهم اليها • ومنها : أنه أراد اهلاك أعدائه  
فقيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها ذلك من كفرهم وبغيهم وطغيانهم  
في أذى أوليائهم ، فمحص ذنوب المؤمنين ومحقق بذلك الكافرين •

### ولنذكر غزوة أحد على سبيل الاختصار لىتميز الحال لذوى الأبصار :

قال ابن هشام : لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القلبيب  
وهم كبار قريش ورجع الباقيون منهم الى مكة ، فقال بعضهم لبعض :  
ان محمداً قتل خياركم فأعينونا بهذا المال أى العير التي لم تؤخذ  
في يوم بدر على حربه ، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا • ففعلوا  
فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ ومن أطاعها من القبائل كنانة  
وأهل تهامة وخرجوا بالظعن أى الأهل التماس الحفيظة ، وأن لا يفروا •  
فخرج أبو سفيان بن حرب وهو قائد الناس بزوجته هند ابنة  
عتبة وعكرمة بن أبى جهل بأمر حكيم بنت الحرث بن هشام بن المغيرة  
وعمر بن العاص بزوجته ريطة بنت منبه وغيرهم ، فجاءوا ونزلوا مقابل  
المدينة ، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ قال للمسلمين : انى قد رأيت —  
والله — خيراً • رأيت بقراً تذبج ، ورأيت في ذباب سيفى ثلماً ، ورأيت  
أنى أدخلت يدي في درع حصينة • فأولتها المدينة • وأما البقر فهي

ناس من أصحابي يقتلون ، وأما الظلم الذي رأيت في ذباب سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل ، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها •

وكان عليه الصلاة والسلام يكره الخروج ، فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله تعالى بالشهادة يوم أحد ممن كان فاته يوم بدر : يا رسول الله اخرج بنا الى أعدائنا لا يرون أننا جينا عنهم وضعفنا ، فلم يزل الناس برسول الله ﷺ حتى دخل فلبس لأمته • وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ثم خرج عليهم وقد ندم الناس ، وقالوا : استكرهنا رسول الله ﷺ ولم يكن لنا ذلك ، فلما خرج عليهم قالوا : يا رسول الله استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فان شئت فافتد - صلى الله عليك - فقال عليه الصلاة والسلام لهم : ما ينبغي لنبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل • فخرج رسول الله ﷺ في ألف من أصحابه حتى اذا كانوا بالشواطىء بين المدينة وأحد ، وهو جبل عن المدينة نحو فرسخ ، انخزل عنه عبد الله بن أبى سلول بثلاث الناس ، فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام يقول : يا قوم اذكركم الله لا تخذلوا قومكم ونبىكم عندما حضر من عدوهم • فلما استعصوا عليه قال : أبعدكم الله أعداء الله فسيغنى الله عز وجل عنكم نبيه ﷺ وقال الأنصار لرسول الله ﷺ : ألا تستعين بحلفائنا من يهود ؟ فقال : لا حاجة لنا فيهم • وتعبت قرش وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مائتا فرس قد جنبوها ، فاقتتل الناس حتى حميت الحرب ، وكانت الدولة أول النهار للمسلمين على الكفار ، فانوزم أعداء الله وولوا مدبرين حتى انتهوا الى نسائهم • فلما رأى الرماة هزيمتهم تركوا مركزهم الذى أمرهم رسول الله ﷺ بحفظه • وقالوا : يا قوم الغنيمة الغنمة فذكرهم أميرهم عهد النبى ﷺ فلم يسمعوا ، وظنوا أن ليس للمشركين رجعة وكر فرسان المشركين فوجدوا الثغر خاليا فجازوا مثله وتمكنوا حتى أقبل آخرهم ، فأحاطوا بالمسلمين واستشهد من المسلمين سبعون وتولى كثير من الصحابة وخلص المشركين الى رسول الله عليه الصلاة والسلام

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل غير واحد ، فترصد له وحشى فضربه بحربته، ثم استشهد رضى الله تعالى عنه وهذا تأويل رؤيا رسول الله ﷺ .  
ثم ان وحشى أسلم وضرب مسيلمة الكذاب بثأك الحربة ثم شد عليه انصارى من الأنصار فضربه بالسيف . قال : وحشى فربك أعلم أينما قتله . فان كنت قتلته . فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ  
أى حمزة . وقد قتلت شر الناس وهو مسيلمة .

والتقى حنظلة بن أبى عامر الغسيل وأبو سفيان فلما استعلاه حنظلة رآه شداد بن الأسود قد علا أبا سفيان فضربه شداد فقتله . فقال رسول الله ﷺ : ان حنظلة لتغسله الملائكة . ثم انهم سألوا أهله ما شأنه ؟ فسئلت زوجته عنه . فقالت : خرج وهو جنب حين سمع الهائعة أى الصيحة وانفزع ولذلك قال عليه الصلاة والسلام :  
غسلته الملائكة .

قال ابن اسحاق : وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو ، وكان يوم بلاء وتمحيص حتى خلاص العدو الى رسول الله ﷺ فذث بالحجارة فأصيبت رباعيته وشح في وجهه وكلمت شفته ، وكان الذى أصابه عتبة ابن أبى وقاص ، فجعل الدم يسيل على وجهه الشريف ، وجعل يمسح الدم وهو عليه الصلاة والسلام يقول : كف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم ؟ فأنزل الله سبحانه فى ذلك : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون » .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن عتبة بن أبى وقاص رمى رسول الله ﷺ يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى ، وأن عبد الله بن شهاب الزهرى شجه فى جبهته وأن عمرو بن قمئة جرح وجنته ، فدخلت حلقتان من حلق المغفر فى وجنته عليه الصلاة والسلام .

وقال حسان بن ثابت لعنتبة بن أبى وقاص :

اذ الله جازى معشرا بنعمالهم ونصرهم الرحمن رب المشارق

فاخزاك ربي يا عتيب بن مالك  
بسطت يميني للنبي تعمدنا  
ولفك قبل الموت احدى الصواعق  
فأدميت فاه قطعت بالبورق  
تصير اليه عند احدى البوائق

وترس دون رسول الله ﷺ أبو دجانة بنفسه يقع النبل في ظهره ،  
وهو منحن عليه ، حتى كثر فيه النبل ، ورمى سعد بن أبي وقاص  
دونه ، ورمى رسول الله ﷺ عن قوسه ، حتى اندقت سينتها ، وأصيبت  
يومئذ عين قتادة بن النعمان ، حتى وقعت على وجنته فردها  
رسول الله ﷺ بيده ، فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظرا .

وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رجل من ذريته فسأله عمر  
من أنت ؟ فقال :

انا ابن الذى سالت على الخد عينه  
فعدت كما كانت لأول مرة  
فردت بكف المصطفى أيما رد  
فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد

فقال عمر بن عبد العزيز :

تلك المكارم لا تقبلان من لبن  
شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

فوصله عمر بن عبد العزيز وأحسن جائزته .

ثم ان النبي عليه الصلاة والسلام قصد الشعب ومعه ابو بكر  
الصديق ، وعمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب ، وطلحة بن عبيد الله  
والزبير بن العوام - رضى الله تعالى عنهم - والحرث بن الصمة ورهط  
من المسلمين ، فأما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أبى بن  
خلف . وهو يقول : أى محمد لا نجوت ان نجوت . فقال القوم :  
يا رسول الله أعطف عليه رجل منا ؟ فقال عليه الصلاة والسلام دعوه .  
فلما دنى منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحرث بن الصمة ،  
ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأدا منها عن فرسه مرارا ، أى تقاب  
عن فرسه فجعل يتدحرج وحمله قومه . وكان أبى بن خلف يلقي رسول  
الله ﷺ بمكة فيقول : يا محمد ان عندى العود فرسا أعلفه كل يوم  
فرقا من ذرة ، أفتاك عليه . فيقول رسول الله ﷺ بل أنا أقتلك ان

شاء الله تعالى فلما رجع الى قريش وقد خدشه في عنقه خدشا غير كبير فاحتقن الدم ، قال : قتلنى والله محمد • قتلوا له : ذهب والله فؤادك والله ما بك من يأس • قال : انه كان قال لى بمكة أننا أقتلك • فوالله لو بصق على لقتلنى ، فمات عدو الله بسرف ، وهم قافلون به الى مكة •

ولما انتهى رسول الله ﷺ الى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال : اغسلى عن هذا دمه يا بنية ، فوالله لقد صدقنى اليوم • وكان يقال لسيفه : ذو الفقار • وقال عليه الصلاة والسلام لعلى بن أبى طالب لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا ، وكان يوم وقعة أحد يوم السبت للنصف من شوال ، فلما كان الغم يوم الأحد أذن مؤذن رسول الله ﷺ فى الناس بطلب العدو ، وأذن مؤذنه أن لا يخرج معنا أحد الا أحد حضر يومنا بالأمس ، فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى الى حمراء الأسد ، وهى من المدينة على ثمانية أيام ، فأقام بها ثلاثة أيام ، ثم رجع الى المدينة •

قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة أن أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أحد أراد الرجوع الى المدينة ليستأصلوا فيما زعموا بقية أصحاب رسول الله ﷺ فقال لهم صفوان بن أمية بن خاف : لا تفعلوا فان القوم قد حربوا وقد خشينا أن يكون لهم قتال ، غير الذى كان فارجعوا فرجعوا فقال النبى ﷺ وهو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم هموا بالرجعة والذى نفسى بيده لقد سومت لهم حجارة لو صحوا بها لكانوا كأمس الذاهب • وأخذ رسول الله ﷺ فى وجهه ذلك فبذل رجوعه الى المدينة معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية بن عمدة شمس وأبا عزة الجمحى وكان رسول الله ﷺ أسره ببدر ، ثم من عليه • فقال : يا رسول الله أقتلنى فقال رسول الله ﷺ : والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها • وتقول : خدعت محمدا مرتين ، اضرب عنقه يا زبير ، فضرب عنقه وفى رواية قال له : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين • ويقال : أن زيد بن حارثة وعمار بن ياسر قتلوا معاوية بن المغيرة بعد حمراء الأسد كان لجأ الى عثمان بن عفان ، فمأستأمن له رسول الله ﷺ فأمنه ، على أنه ان وجد



بعد ثلاث قتل ، فأقام بعد ثلاث وتوارى فبعثهما النبي ﷺ وقال :  
انكما ستجدانه بموضع كذا وكذا ، فوجداه فقتلاه .

وقد أنزل الله تبارك وتعالى في يوم أحد من القرآن ستين آية  
من سورة آل عمران فيها صفة ما كان في يومهم ذلك ، ومعاتبه من عاتب  
منهم ، منها قول الله عز وجل لنبيه ﷺ : « **واذ غدوت من أهلك تبوء  
المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم** » أى واذكر يا محمد اذ غدوت  
من أهلك أى المدينة تبوء أى تنزل المؤمنون مقاعد أى مراكز يقفون  
فيها للقتال « **والله سميع** » لأقولكم « **عليم** » بأحوالكم .

قال المفسرون : وهو يوم أحد خرج رسول الله ﷺ بألف أو  
الا خمسين رجلا والمشركون ثلاثة آلاف ونزل بالشعب وجعل ظهره  
وعسكره الى أحد وسوى صفوفهم وأجلس جيشا من الرماة وأمر عليهم  
عبد الله بن جبير ، بسفح الجبل وقال : انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا  
من ورائنا ولا تبحروا ، غلبنا أو نصرنا ، فترك بعضهم المركز لطلب الغنيمة  
كما تقدم تفصيله .

ومنها قوله تعالى : « **قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض  
فانظروا كيف كان عاقبة الكاذبين** » وهذا تعزية للمؤمنين وتعريف لهم  
فيما صنعوا . وفيما هو صانع بهم ، أى قد مضت منه سبحانه وقائع  
فيما صنعوا . وفيما هو صانع بهم ، أى قد مضت منه سبحانه وقائع  
وأصحاب مدين ، فانه أمهلهم لوقتهم . وقوله سبحانه : « **ولا تنهوا** »  
أى لا تضعفوا عن قتال الكفار « **ولا تحزنوا** » على ما أصابكم بأحد  
« **وأنتم الأعلىون** » بالغبلة عليهم « **ان كنتم مؤمنين** » حقا « **ان يمسسكم  
قرح** » أى ان يصيبكم بأحد جهد من جرح ونحوه « **فقد مس القوم  
قرح مثله** » أى مس الكفار يوم بدر « **وتلك الايام نداولها بين الناس** »  
أى نصرها بينهم ، يوما لفرقة ويوما لأخرى ، ليتعظوا « **وايعلم الله الذين**

آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين . وليمحص الله الذين آمنوا»  
أى يطهرهم من الذنوب «ويمحق» يهلك الكافرين . فكان الأمر كم  
وعد سبحانه المؤمنين من نصرهم على الكافرين فكانت العاقبة والحمد  
لله تعالى للمنتقين .

وتفسير بقية الآيات النازلة مفصلة في كتب التفسير ، وزاد المعاد  
للعلامة ابن القيم وكتب السير النبوية ، تركناها خشية التطويل ، فليرجع  
اليها من أراد التفصيل .



## فصل

وأما قوله : « فهذا خلاف الفعل الذى فعله الرب مخلص العالم »  
الى آخره لا يخفى عليك أن معجزات الأنبياء عليهم السلام لا يلزم  
أن تكون متوالية ، وفي زمن ومحل أرادوا لأن هذا لم يتفق لأحد منهم ،  
فهذا عيسى عليه السلام طلب من الله أن يؤخر عنه كأس الموت فما فعل ،  
كما هو مسلم عند النصارى ، وطلبت منه بنو اسرائيل معجزة فقال :  
ليس لى معجزة وانما معجزتى كمعجزة يونان أى يونس تظهر بعد  
موتى ثلاثة أيام كما سنذكره لك فى محله .

فالمعجزات انما تكون بخلق الله تعالى عند ارادته كما لموسى عليه  
السلام ولنبينا ﷺ مما عددنا لك من ذلك فى كتابنا هذا . وأما ما وقع  
لسيدنا المسيح عليه السلام فى القصة المذكورة فقد حذف منها النصرانى  
ما هو ذل على عبودية المسيح لا على ألوهيته ، لأن قطع الأذن المذكورة  
كان فى الليلة التى أخذ فيها وقتل على دعوى النصارى ، فقد قال يوحنا  
فى الاصحاح الثامن عشر من انجيله : « وكان مع سمعان الصفا سيف  
فسله وضرب عبد عظيم الكهنة فقطع أذنه اليمنى » انتهى وليس فيه  
أنه ردها ولا فى غيره من الأناجيل الا لوقا فانه قال : « وليس أذنه فأبرأه »

فتبين أن رد الأذن لم يتفق أصحاب أناجيلهم ، ولم ينقله الا واحد منهم مع أنه لو كان صحيحا لذكره غيره أيضا لأنه ، أمر مهم ، مع أن حال أناجيلهم معلوم •

ثم انهم ذكروا كلهم أنه بعد أن قطعت الأذن وهى أذن العبد الذى جاء لأخذ يسوع المسيح عليه السلام فأخذه ليلا الى عظيم الكهنة للقتل • فاليهود يقولون : لو كان المسيح يقدر على رد أذن العبد الذى جاء لأخذه وقتله لم لم يخلص نفسه من يد مقطوع الأذن ؟ مع أنه خالقه وراد أذنه • فاذن ما حكاه النصرارى فى أناجيلهم باطل لا أصل له فتدبر وانصف •

وأما قوله : « سيما ولم يخلق الله جل اسمه آدم الا لأجله • ومكتوب على ساق العرش اسمه كما تدعون » فنقول له : ان هذا وان كان مذكورا فى بعض كتب الحديث ، الا أن النقاد ضعفوه ، ولم يصححوه ، فهو حديث غير متواتر ولا مشهور ، على أننا لو فرضنا صحته وشهرته وقتلنا : ان اسمه مكتوب على ساق العرش ، فليس لوجه هذا القول خدش • وهذا مثل ما قالت النصرارى : ان فى الانجيل أن الله تعالى نادى بين السماء والأرض : « ان هذا ابنى الحبيب » يعنى المسيح كما ذكره فى محله مفصلا ان شاء الله تعالى •

ثم أننا لا نقول : ان خلق آدم انما كان لأجله بالمعنى الذى تفهمه أنت وأمثالك ، بل نقول ما قاله العلماء الثقات أن سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام أشرف المخلوقات وأفضلها • وهو سيد ولد آدم وأكرمهم عليه :

ومبالغ العلم فيه أنه بشر • • • وأنه خير خلق الله كلهم

ولا نقول فى حقه كما قالت النصرارى فى المسيح عليه السلام أنه المخلوق البارئ الأنام :

دع ما ادعته النصرارى فى نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

ونقول : ان قول من قال : ان الله تعالى خلق من أجله العالم أنه لولاه عليه الصلاة والسلام لما خلق عرشا ولا كرسيها ولا سماء ولا أرضا ولا شمسا ولا قمرا كلام لهم يروه أحد حديثا عن النبي ﷺ لا صحيحا ولا ضعيفا ولم ينقله أحد من أهل العلم بأحدith ، بل ولا يعرف عن الصحابة بل هو كلام لا يدرى قائله • وتقدمه عليه الصلاة والسلام على غيره من الأنبياء فيه اشارات كثيرة في البشارات التي قدمناها من الكتب السماوية ، مثل ما في سفر التكوين : **« حتى يجيء الذى له الكل واياه تنتظر الامم »** وأنه أدكون العالم كما تقدم فيمكن أن يقال : ان من كان كذلك ، فكأن العالم خلق لأجله • على أن الامام الأشعري مذهبه أن أفعال الله تعالى لا تعلق بالأغراض ، وان كان مذهب السلفيين أنها لا تعلق لكن لا تخلو عن الحكم والمصالح أفعاله عز وجل كما هو مفصل في مجمله • ويمكن أن يفسر أيضا بوجه صحيح ، كقوله سبحانه : **« سخر لكم ما فى السموات والأرض ، وأنزل من السماء ماء ، فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره وسخر لكم الانهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار وآتكم من كل ما سألتموه • وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها »** وأمثال ذلك من الآيات التى يبين فيها أنه خلق المخلوقات لبني آدم ومعلوم أن الله فيها حكما عظيمة غير ذلك • وأعظم من ذلك • ولكن يبين لبني آدم ما فيها من المنفعة ، وما أسبغ عليهم من النعمة •

فاذا قيل : فعل كذا لكذا لم يقتض أن لا يكون فيه حكمة أخرى وكذلك قول القائل : لولا كذا لما خاق كذا لا يقتضى أن يكون من تلك المخلوقات حكم أخرى عظيمة • ولما كان خلق آدم آخر ما خلق ، وكان يوم الجمعة بعد العصر ، وكان خلق نبينا عليه الصلاة والسلام الذى هو أفضل بنى آدم منه • وقال عليه الصلاة والسلام انى عند الله لمكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته ، أى كتبت نبوتى وأظهرت لما خلق آدم قبل نفخ الروح فيه كما يكتب الله عز وجل

رزق العبد وأجله وعمله اذا خلق جنينا قبل خلق الروح فيه • فاذا كان الانسان هو خاتم المخلوقات وآخرها وهو الجامع لما تم بها وفاضله هو فاضل المخلوقات مطلقا ، ومحمد عليه الصلاة والسلام انسان هذا العين وقطب هذه الرحا ، وأقسام هذا الجمع كان كأنه غاية الغايات في المخلوقات ، فما ينكر أن يقال : انه لأجله خلقت جميعها ، وأنه ليراه لما خلقت ، فاذا فسر هذا الكلام ونحوه مما يدل عليه الكتاب والسنة قبل ذلك • واما اذا حصل في ذلك غلو من جنس غلو النصرارى بإشراك بعض المخلوقات في شىء من الربوبية كان ذلك مردودا غير مقبول • فقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لا تطرونى كما أطرت النصرارى عيسى بن مريم ، فانما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » • وقد قال تعالى : « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقنوا على الله الا الحق ، انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم انما الله واحد » والله سبحانه هو الموفق للصواب •

قال النصرانى : « واكنا ندع ذكر هذا الآن ونأخذ في قول ثان • فنقول : ان صاحبك هذا أفعاله خلاف قولك انه بعث بالرحمة والرافة الى الناس كافة لأنه كان الرجل الذى أم يكن له فكر واهتمام الا في امرأة حسنة يتزوجها أو قوم يغير عليهم ، فيسفك دماءهم ويأخذ أموالهم وينكح نساءهم ، وشهد على نفسه أنه حبيب اله الطيب والنساء ، وأنه من علامات نبوته أنه جعل في ظهره من القوة على النكاح مقدار قوة أربعين رجلا ناكحا ، فاعمرى ان هذا بعض آيات الانبياء التى لا تكون الا في مثله ، فأما تلك الهانة التى كانت بينه وبين زينب بنت جديش امرأة زيد ، فانى أكره ذكر شىء منها اجلالا لقدركتائى هذا عن ذكرها ، غير أنى أتى بشىء مما حكاه في كتابه الذى يزعم أنه أنزل عليه من السماء وأقر بلسانه ان يقول : « وان تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه : أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس • والله أحق أن تخشاه ، فاما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى

لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ،  
وكان أمر الله مفعولا ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له •  
سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا (أحزاب)  
ويكتفى كل ذى عقل من القصة بنموذجها ، اذ لا يخيل ذلك على  
المميزين « انتهى •

فأقول وبالله سبحانه الاستعانة : الكلام على هذا الزيف الذى  
لا يروج الاعلى ذى العقل السخيف فى مقدمة وسبعة فصول ، يستفاد  
منها الجواب المقبول المطابق للمعقول والمنقول •



### المقدمة

فى

### اعتراضاتهم

اعلم : أن للنصارى طعوننا خمسة عائدة الى مسألة تزوجه عليه  
الصلاة والسلام نذكر ههنا جملة ثم نجيب عنها أيضا مفصلا ان شاء الله  
تعالى ، لينكشف صبح الحق عما فيها من الظلام • قالوا : الأول أنه عايه  
الصلاة والسلام لم يجوز لأمته التزوج بكأثر من أربع زوجات ، وهو  
جمع بين تسع وأظهر أن ذلك من خصائصه والثانى : أن أمته يجب العدل  
عليهم بين نسائهم ، وهو لا يجب عليه • والثالث : أنه دخل بيت زيد  
ابن حارثة رضى الله تعالى عنه فأما رفع الستر رأى زينب بنت جحش  
زوجة زيد فوقعت فى نفسه • وقال سبحانه الله • فلما أطلع زيد على  
هذا الأمر طلقها فتزوجها عليه الصلاة والسلام وأظهر أن الله سبحانه  
زوجه اياها • والرابع : انه خلا بمارية القبطية رضى الله تعالى عنها  
فى بيت زوجته حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما فى  
يوم نوبتها ، فغضبت حفصة ، فقال لها عليه الصلاة والسلام : حرمت  
مارية على نفسى • ثم انه لم يقدر أن يبقى على التحريم ، حتى قال :  
ان الله تعالى أجاز له لابطال اليمين بأداء الكفارة • والخامس : انه

أمر أمته إذا مات أحد منهم وكان متزوجا يباح أن تتزوج امرأته بعد  
انقضاء عدتها بآخر ، وادعى أنه لا يجوز لأحد أن يزوج باحدى  
زوجاته من بعده .

وهذا غاية جهد علمائهم فيما وجدوه بزعمهم من الطعون في  
أمر التزوج ، وذكرها منهم صاحب ميزان الحق ودافع البهتان ودلائل  
اثبات رسالة المسيح ، ودلائل النبوة ، ورد اللغو وغيرها . وزاد  
عليهم هذا المؤلف شيئا آخر سيأتى أيضا جوابها في محلها ان شاء  
الله تعالى .



### الفصل الأول

ان بعض علماء النصارى . ومنهم هذا الملقب كما سيأتى  
يعترض على نبينا عليه الصلاة والسلام بسبب تزوجه النساء ، ويعمد  
ذلك نقيصة والعياذ بالله حيث ان عيسى لم يتزوج ، وكان رجل من  
مشهورى مدرسيهم يدعى « فرسنتل » كان ورد بغداد سنة ألف ومائتين  
وتسعين وستين ، وسأل من الشيخ الامام الوالد عليه الرحمة أسئلة  
من جملتها ما كان من تزوجه عليه الصلاة والسلام النساء . فأجابه  
عليه الرحمة بقوله : أما أمر التزوج والنكاح فهو عليه الصلاة والسلام  
ليس بدعا فيه من الأنبياء والمرسلين ، فمعظمهم قد تزوج ، وما امتنع  
عن النكاح ولا تخرج ، وليس ذلك مما ينافى النبوة بوجه من الوجوه ،  
اذ هو عليه الصلاة والسلام في كمال البشرية . ولما كانت البشرية في  
النبي أكمل كانت عبادته أفضل ، وسيدنا عيسى عليه السلام كانت  
جانب ملكيته أقوى من جانب بشريته ، اذ هو عندنا مخلوق من ماء  
واحد ، وكان بارد المزاج ، فلذا لم يمل الى النساء ، وأخبره نبينا  
محمد ﷺ كان كامل الملكية كما كان كامل البشرية يشهد للثاني أكثره  
نكاحه عليه الصلاة والسلام ، فقد صح أنه كان يطوف على جميع نسائه

في الليلة الواحدة ، ويشهد للأول ما صح أنه ﷺ كان تَمْضِي الأيام  
واللإلى ولا يأكل شيئاً وقوته قوته • ومضى عليه حين من الدهر وليس له  
الا زوجة واحدة وكان يتم مع بعض زوجاته في فراش واحد ، وهي  
ذات عذر ، فلا يقرب منها ما حرم الله تعالى عليه ، الى أمور آخر  
تشهد بكمال ملكيته •

والعجب من النصراري حيث يقواون : ان عيسى على نبينا وعليه  
أفضل الصلاة والسلام الله كامل وبشر كامل ، مع زعمهم أن عدم ميله  
للنكاح مما ميزه على غيره من اخوانه وادعى أنه عليه السلام كانت له  
شهوة قوية للنكاح ، لكنه منع نفسه منه : دون اثباتها خرط القتاد •  
وبتقدير التسليم وجود تلك الشهوة ينافي قوة القدس بزعمهم •

والحاصل : « أن قوة الشهوة كمال في البشرية ولا ينافي النبوة  
أصلاً » انتهى •

ومما أنشدنيه لنفسه شاعر البسيطة عبد الباقي أفندي العمري  
الموصلي حينما أجاب بجواب آخر نظمه بقوله :

قل للفريسل قدوة الرهبان	الجانليق البترك الرباني
انت الذي زعم الزواج نقيصة	فيمن حماه الله عن نقصان
ونسيت تزويج الاله بمريم	في زعم كل مثلث نصراني

• انتهى

وانا عودة لهذا البحث ان شاء الله تعالى •



## الفصل الثاني

ان تزوج أكثر من امرأة واحدة كان جائزا في النشرات السابقة ، لأن ابراهيم عليه السلام تزوج بسارى ، ثم بهاجر في حياة سارى • ولو لم يكن جائزا لما أقر عليه ، ويعقوب عليه السلام تزوج بأربع نسوة ليا وراحيل وبلها وزلفا • فالأوليان منهن أختان ابنتا لايان خاله والأخريان جارتان ، والجمع بين الأختين حرام قطعى في شريعته موسى عليه السلام كما صرح بالجمع في الاصحاح التاسع والعشرين من سفر التثاوين ، وصرح بالحرمة في الآية الثامنة عشر من الاصحاح الثامن عشر من سفر الأحبار بما نصه : « ولا تتزوج أخت امرأتك في حياتها ، فتحزنها ولا تكشف عورتها جمعا فتحزنها » فاولم يكن الجمع بينهما جائزا في شريعة يعقوب ، للزم أن يكون أولادهما أولاد الزنا والعياذ بالله تعالى ، مع أن أكثر أنبياء بنى اسرائيل من نسلهما • فابتداء الله تعالى يعقوب عليه السلام على نكاح تلك الأربعة ، ولاسيما الأختين دليل ظاهر على جوازه في شريعته •

وداود عليه السلام الذى هو أبو الالههم يزعمهم تزوج نساء كثيرات فتزوج أولا ينحال بنت شاول وكان مهرها على مائة غلقة من غلف الفلستانيين ، فوفى له بها على زعمهم • وتزوج بست أخريات وهن على ما فى الاصحاح الثالث من سفر صموئيل الثانى أصبنعام والازد عائليه بيغال ومعا وابنة تنمى ملك جاشير وأبيطل وعجلا • ثم تزوج بغيرهن من النساء ، وأخذ السرارى ثم يصرح بعددهن كما فى الاصحاح الثانى ما نصه : « وأخذ داود أيضا نساء وسرارى من اورشليم من بعد أن أتى من حبرون وولد له بنون وبنات منهن » •

ثم انه زنا بامرأة أوريا وقتل زوجها بالحيلة ، ثم أخذها بعد أن

حملت منه بالزنا ، فعاتبه الله تعالى على الزنا ، ولم يعاتبه على تزوج  
الجم الغفير من النساء .

ولنذكر لك عبارة توراتهم حتى تستدل بالقليل على الكثير من  
فسبتهم الأنبياء الى القتل ظلما والزنا بذوات الأزواج وعبادة الاصنام  
بعد نبوتهم . والعياذ بالله تعالى ، لتعرف كتب النصارى واليهود التى  
يدعون أنها كتب سماوية ، ويطعنون فى القرآن الكريم والأفعال  
المحمدية ، بأى درجة وهرية .

فى الاصحاح الحادى عشر من سفر صموئيل الثانى الذى هو  
معبر عند النصارى من الكتب الالهية كاليهود ما نصه : « قام داود ،  
من فراشه بعد الظهر فأبصر امرأة تغتسل على سطحها وكانت جميلة  
المنظر جدا ، فأرسل داود وسأل عن المرأة . فقال واحد : انها بنت  
شيعاء امرأة أوريا الحثى فأرسل داود رسلا وأخذها ونام معها ثم  
رجعت الى بيتها فحبلت وأخبرته ، وقالت : انى قد حبلت فأرسل  
داود الى يوباب قائلا له : أرسل الى أوريا ، فأرسل يوباب أوريا وسأل  
داود أوريا عن سلامة يوباب وعن سلامة الشعب ، وعن الحرب ، ثم  
قال : انزل الى بيتك فخرج فرقد بباب بيت الملك ولم ينحدر الى  
بيته . وأخبروا داود أن أوريا لم ينزل الى بيته . فقال داود : لماذا  
لم تنحدر الى بيتك ؟ فقال أوريا تابوت الله واسرائيل ويهوذا فى الخيام  
وسيدى يوباب وعبيد سيدى فى القفر وأنا أنطلق الى بىي وأكل وأشرب  
وأنام مع امرأتى ؟ لا وحزاتك وحياتك نفسك انى لا أفعل هذا . وقال  
داود : اقم اليوم أيضا ههنا . واذا كان الغد أرسلك . وبقي أوريا فى  
أورشليم ذلك اليوم وفى اليوم الآخر دعاه داود ليأكل قدامه ويشرب ،  
فسكره وخرج وقت المساء فنام مكانه على جانب عبيد سيده ، ولم  
ينحدر الى بيته ، فلما كان الصباح كتب داود صحيفة الى يوباب  
وأرسلها بيد أوريا وقال : صيروا أوريا فى أول الحرب ، إذا اشتبك  
الحرب ارجعوا واتركوه وحده ليقتل ، فلما نزل يوباب حول القرية  
أقام أوريا فى المكان الذى يعلم أن الرجال الشجعان هناك ، فخرج

أهل القرية فقاتلوا يوباب • فسقط من الشعب قوم من عيد داود وأوريا فمات • وأرسل يوباب الى داود وأخبره وسمعت امرأة أوريا أن زوجها قد مات فناحت عليه ، فلما انقضت أيام مناحتها أرسل داود فأدخلها بيته ، وصارت له زوجة ، وولدت له ابنا ، وأساء هذا الفعل الذي فعل داود أمام الرب « انتهى •

وفي الاصحاح الثانى عشر من سفر صموئيل الثانى حكم الرب لداود على لسان ناثان النبى عليهما السلام ما نصه : « لما أزريت بوصية الرب وارتكبت القبح أمام عينى وقتلت أوريا الحيثانى فى الحرب وامرأته أخذتها لك امرأة ، وقتلته بسيف بنى عمون ؟ ولكن لأنك أشمت بك أعداء الرب بهذه الفعل ، فالابن الذى ولدك - أى من الزنا بها - موتا بموت » انتهى •

فصدر عن داود النبى بمقتضى توراة النصارى واليهود فى هذه الواقعة ثمانى خطيئات من أكبر الكبائر المنصوص على تحريمها فى التوراة • والمقصود هنا : بيان تعدد نساءه وأما بيان ارتكاب كثير من الأنبياء للزنا على زعم أهل الكتابين ، وارتكاب بعضهم للزنا بسرارى أبنيه أو بناته بعد النبوة • فنذكره ان شاء الله تعالى فى محله وقول الله تعالى فى حق داود على لسان ناثان النبى عليهما السلام فى الاصحاح الثانى عشر من سفر صموئيل الثانى فى الترجمة المطبوعة سنة ١٨٤٤ وغيرها ما نصه : « ووهبت لك بيت مولاك ونساء سيدك ، اضطجعت فى حضنك ووهبت لك بيت اسرائيل ويهوذا • واذا كانت هذه قليلا فأزيدك ومثلهن » انتهى •

فانظره فإنه عين ما نحن فيه • وكذا سليمان عليه السلام عندهم قد تزوج النساء الكثيرات فى الاصحاح الحادى عشر من سفر الملوك الأول ما نصه : « وكان سليمان الملك قد أحب نساء كثيرة غريبة ، وابنة فرعون ونساء من بنات المراكيين ومن بنات عمون ومن بنات أروم ، ومن بنات الصيداين ومن بنات الحيثانيين ، من الشعوب الذين قالوا

السرب لبني اسرائيل لا تدخلوا اليهم ولا يدخلوا اليكم لئلا يميلوا قلوبكم الى آلهتهم • وهؤلاء التصق بهن سليمان بحب شديد وصار له سبعمائة امرأة حرة وثلثمائة سرية ، وأعوين نساؤه قلبه • فلما كان عند كبر سليمان أعوين نساؤه قلبه الى آلهة أخرى ، ولم يكن قلبه سليما لله ربه ، مثل قلب أبيه داود ، وتبع سليمان عشتروت اله الصيدانيين ، وملكوم صنم بنى عمون ، وارتكب سليمان القبح أمام الرب ، ولم يتم أن يتبع الرب مثل داود أبيه ، ثم نصب سليمان نصبته لكاموش صنم موآب في الجبل الذي قدام اورشليم ، وملكوم وثن بنى عمون • وكذلك صنع لجميع نساء الغرباء ، وهن ينحرن لآلهتهن فغضب الرب على سليمان حيث مال قلبه عن الرب اله اسرائيل الذي ظهر له مرتين ونهاه عن هذا الكلام أن لا يتبع آلهة الغرباء ، ولم يحدث ما أمره به الرب ، فقال الرب لسليمان : لأنك فعلت هذا الفعل ولم تحفظ عهدي ووصاياي التي أمرتك بهن أثق شقا ملكك وأصيره الى عبدك » انتهى •

فصدر عن سليمان على زعم النصارى واليهود خمس خطيئات وأعظمها الكفر والارتداد في آخر عمره ، وجزاء المرتد في شريعتهم الرجم • ولو كان نبيا كما هو مصرح به في توراتهم وقد صرح في التوراة أن سليمان تزوج بألف امرأة سبعمائة منهن من بنات السلاطين ، وثلاثمائة من الجوارى ولا يفهم من التوراة ولا إشارة حرمة التزوج بأزيد من امرأة واحدة • ولو كان ذلك حراما ولاسيما على الأنبياء لصرح به موسى عليه السلام كما صرح بحرمة غيره ، بل الذي يفهم منها ومن فعل الأنبياء عليهم السلام جوازه كما لا يخفى على كل ذي عقل • وفي الاصحاح الحادى والعشرين من سفر الاستثناء ويسمى أيضا سفر تثنية الاستتراع ما نصه : « وان كان لرجل امرأتان الواحدة محبوبة والأخرى مبغوضة ، ويكون له منهما بنون وكان ابن المبغوضة بكرا ، وأراد أن تقسم رزقه بين أولاده ، فلا يستطيع أن يعمل ابن المحبوبة بكرا ويقدمه على ابن المبغوضة » انتهى الى غير ذلك مما تركناه مخافة التطويل •

فظهر لك اثبات ما ادعيناه من جواز كثرة الأزواج في الشريعة الموسوية التي تؤمن بها النصراني فلذلك أخذ جدعون وداود وغيرهما من صالحى الأمة الموسوية نساء كثيرات مجتمعات • فاقنع بما بيناه من الحق ودع عنك الترهات • والله سبحانه ولى التوفيق •



### الفصل الثالث

فى

#### بيان تزوجه عليه الصلاة والسلام بزینب بنت جحش

وهى بنت عمته • وكانت عند مولاه زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه • ويعد أن طلقها وانقضت عدتها تزوجها رسول الله ﷺ بأمر الهى • ولنذكر تفسير الآية النازلة لذلك الذى استشهد بها النصراني على مقصده ، ملخص من روح المعانى تفسير والدنا الشيخ الامام عليه رحمة العلم • وهو : « واذ تقول » خطاب للنبي ﷺ أى اذكر وقت قولك « للذى أنعم الله عليه » بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لحسن تربيتيه وعنته ومراعاته وتخصيصه بالتبني ومزيد القرب « وانعمت عليه » بالعمل بما وقفك الله تعالى له من فنون الاحسان التى من جملتها : تحريره « أمسك عليك زوجك » زينب بنت جحش • وذلك أنها كانت ذات حدة ولازالت تفخر على زيد بشرفها ويسمع منها ما يكره فجاء رضى الله تعالى عنه يوماً الى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ان زينب قد اشتد على لسانها وأنا أريد أن أطلقها • فقال له عليه الصلاة والسلام : « أمسك عليك زوجك • واتق الله » فى أمرها ولا تطلقها ضراراً وتعللاً بتكبرها واشتداد لسانها عليك « وتخفى فى نفسك ما الله مبديه » عطف على تقول • وجوزت الحالة بتقدير وأنت تخفى أو بدونه والمراد بالموصول وهو ما على ما أخرج غير واحد عن على بن

الحسين رضى الله تعالى عنهما ، والجمهور ما أوحى الله تعالى به اليه أن زينب سيطلقها زيد وتتزوجها بعده • واليه ذهب أهل التحقيق من المفسرين « وتخشى الناس » أى تخاف من اعتراضهم • وقيل أى تستحى من قولهم ان محمدا ﷺ تزوج زوجة مولاة • والمراد بالناس الجنس أو المنافقون « والله أحق أن تخشاه » أى والله وحده أحق أن تخشاه فى كل أمر فتقل ما أباحه سبحانه لك وذن لك فيه ، وأنت قد خشيت الله وخشيت الناس ، من أن يقولوا تزوج امرأة الغير أو من كان تبناه والعتاب عند من سمعت على قوله عليه الصلاة والسلام « امسك » مع علمه بأنه سيطلقها ويتزوجها هو ﷺ بعده وهو عتاب على ترك الأولى • وكان الأولى فى مثل ذلك أن يسكت عليه الصلاة والسلام أو يفوض الأمر الى رأى زيد رضى الله تعالى عنه •

وحاصل العتاب : لم قلت أمسك عليك زوجك • وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك ؟ وهو مطابق التلاوة لأن الله تعالى أعلم أنه مبدى ما أخفاه عليه الصلاة والسلام ولم يظهر غير تزويجها منه • فقال سبحانه : « زوجناكها » فلو كان المضر محبتها ، وإرادة طلاقها ونحو ذلك كما يشير اليه كلام النصرانى لأظهره جل وعلا •

وأما غير هذا مما يزعمه من فى قلبه مرض أو الجهال القصاص أو من ينقل الغث والسمين ، فإنه خارج عن حيز القبول وردة العلماء العارفون بصحيح المنقول •

وقال كثير من المحققين : الظاهر أن الله تعالى لما أراد نسخ تحريم زوجة المتبنى أوحى اليه عليه الصلاة والسلام أن يتزوج زينب إذا طلقها زيد ، فلم يبادر له ﷺ مخالفة طعن الأعداء • وهو توجيحه وجيئه •

ثم ان القصة شبيهة بقصة داود عليه السلام من جهة ، لاسيما • وقد كان النزول عن الزوجة فى صدر الهجرة جاريا بينهم ، من غير حرج فيه • انتهى •

وقوله تعالى : « فلما قضى زيد منها وطراً » أى طلقها وهو كناية عن ذلك . ومعنى الوطر الحاجة المهمة ، وقيل ان زيدا لم يتمكن من الاستمتاع بها . وروى أبو عصمة باسناد يرفعه اليها أنها قالت : ما كنت امتنع منه ، غير أن الله عز وجل منعني منه . وفى الكلام تقدير أى فلما قضى زيد وطراً وانقضت عدتها . وقيل ان قضاء الوطر يشعر بانقضاء العدة ، فكأنه قيل فلما قضى زيد حاجته من نكاحها ، فطلقها وانقضت عدتها ، فلم يكن فى قلبه ميل اليها ولا وحشة من فراقها « زوجناكها » أى جعلناها زوجة لك . فقد صح من حديث البخارى والترمذى أنها رضى الله تعالى عنها كانت تفتخر على أزواج النبي ﷺ تقول : زوجكن أهاليكن ، وزوجنى الله تعالى من فوق سبع سموات . وأخرج ابن جرير عن الشعبي قال : كانت تقول للنبي ﷺ انى لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن ان جدى وجدك واحد ، وانى أنكحك الله اياى من السماء ، وان السفير لجبرائيل عليه السلام أى سفارته بين الله تعالى وبين رسوله عليه الصلاة والسلام . وأما السفير بينه عليه الصلاة والسلام وبينها فزيد رضى الله تعالى عنه فقد أخرج الامام أحمد ومسلم والنسائى وغيرهم عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد : اذهب فاذاكرها على فانطلق . فقال : يا زينب أبشرى أرسلنى رسول الله ﷺ يذكرك ، قالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي . فقامت الى مسجدها ونزل القرآن بالترويح « لكيلا يكون على المؤمنين حرج » أى ضيق . وقيل اثم « فى أزواج ادعيائهم » أى فى حق تزوج أزواج الذين تبنوهم كما كانت تفعل العرب ، فانهم كانوا يتبنون من يريدون وكان النبي عليه الصلاة والسلام قد تبنى زيد ابن حارثة وكانت العرب تعتقد أنه يحرم عليهم نساء من تبنوه . والأدعياء جمع دعى . وهو الذى دعى ابناً من غير أن يكون ابناً على الحقيقة وفى تعليل الحكم السابق بقوله سبحانه : « لكى لا يكون » الى آخره اشارة الى أن الترويح منه عليه الصلاة والسلام لم يكن لتقضاء شهوة بل لبيان شريعة بفعله ﷺ فأخبرهم الله تعالى أن نساء

لأدعياء حلال لهم اذا قضوا منهن وطرا ، بخلاف ابن الصلب ، فان امرأته تحرم على أبيه بنفس العقد عليها « وكان أمر الله مفعولا » أى قضاؤه فى أمر زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ قضاء ماضيا موجودا فى الخارج لا محالة • وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ لما تزوج زينب قال المنافقون : تزوج حليلة ابنه ، فأنزل الله تعالى « ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبیین » - « ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له » أى ما استقام فى الحكمة أن يكون له حرج فيما أحل الله له وقبدره وقضاه « سنة الله » أى سن الله ذلك سنة « فى الذين خلوا » أى مضوا من قبلك من الأنبياء عليهم السلام حيث لم يجرح جل شأنه عليهم فى الاقدام على ما أحل لهم ووسع عليهم فى باب النكاح وغيره • وقد كانت تحتهم المهائر والسرارى المتعددات « وكان أمر الله قدرا مقدورا » أى قضاء مقضيا وحكما مبتوتا • والتضاء الارادة الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هى عليه • والتقدر عبارة عن ايجاده اياها على تقدير مخصوص معين ، لكن كل منهما يستعمل بمعنى الآخر •

انتهى ملخصا •

وأقول : ان هذه الآية من الأدلة التى ترغم أنف المخالف على أن القرآن كلام الله سبحانه • ولو كان النبى عليه الصلاة والسلام تقوله لما نقول هذه الآية الكريمة ، فهى من الأدلة المقاطعة عند كل ذى فهم على صحة مسألة امرأة زيد كما قصها الله تعالى علينا وبيننا لك معناها ، وأنها ليست كما يزعم النصرانى ؛ والله سبحانه ولى التوفيق •





## الفصل الرابع

أن الأمور الشرعية لا يجب أن تكون متحدة في جميع الشرائع أو مطابقة لعادات الأقوام وآرائهم • أما الأول فممنه يعقوب عليه السلام جمع بين الأختين ليا وراحيل ابنتي خاله كما صرح به في الاصحاح التاسع والعشرين من سفر التكوين كما تقدم آنفا • وهذا الجمع حرام في الشريعة الموسوية كما في الاصحاح الثامن عشر من سفر الأحبار ، وأن عمران أبا موسى عليه السلام تزوج بعمته يوخابذ ، وهو أيضا حرام في الشريعة الموسوية وأو لم يكن هذا النكاح جائزا قبل شريعة موسى ، لزم أن يكون موسى وهارون ومريم أختهما من أولاد الزنا والعياذ بالله تعالى ، ولزم أن لا يدخلوا جماعة الرب الى عشرة أحقاب كما سنفصله ان شاء الله تعالى في بحث النسخ •

وفي الاصحاح الخامس والاصحاح الخامس عشر من انجيل لوقا أن جميع العشارين والخطاة يدنون من المسيح ليسمعوه ، فتذمر الفريسيون والكتبة ، قائلين : هذا يقبل الخطاة ويأكل معهم • والفريسيون كانوا يشنعون على عيسى عليه السلام أنه يأكل مع الخطاة ويقبلهم •

وفي الاصحاح الحادى عشر من سفر الأعمال : « ولما صعد بطرس الى اورشليم خاصمه الذين من أهل الختان قائلين انك دخلت الى رجال ذوى غلفة وأكلت معهم » انتهى • وأمثال هذا كثير • ولما كان زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه متبغى نبينا محمد ﷺ ونكاح زوجة المتبنى بعد الطلاق كان مستقبحا عند مشركى العرب ، كان عليه الصلاة والسلام يخاف أولا من طعن عوام المشركين اذا نكح زينب رضى الله تعالى عنها ، فلما أمره الله سبحانه بذلك تشريعا لأمته ، قدم عليه وام يبال بعادة المشركين •

## الفصل الخامس

ان الأنبياء عليهم السلام لهم خصائص يخصصهم الله تعالى بها ولا تكون لغيرهم من أمتهم ألا ترى أن هارون عليه السلام وأولاده كانوا مخصوصين بأمر كثيرة من خدمة قبة الشهادة وما يتعلق بها • وما كانت هذه الأمور جائزة لبنى لاوى الآخرين فضلا عن غيرهم من بنى اسرائيل كما صرح به في العهد القديم •

والعجب من هؤلاء النصارى ولاسيما البرتستانت منهم أنهم اذا رأوا أمرا لا تستحسنه عقولهم وآراؤهم في الشريعة المحمدية ، يقولون : هذا الأمر لا يجوز أن يكون من الله سبحانه وتعالى الحكيم العادل أو يقولون ان هذا ليس بلائق بمنصب النبوة • واذا وجدوا أمرا شنيعا في شريعتهم وحكما فظيحا في كتبهم ، يسلمون أنه من الله سبحانه ، وأنه لائق بمنصب النبوة ، ويقبلونه ولا يظنون فيه التحريف والتبديل وذلك كأمر الله سبحانه لحزقيال عليه السلام أن يحمل اثم اسرائيل وآل يهوذا على نفسه ، وأن يأكل الى ثلثمائة وتسعين يوما خبزا ملطخا ببراز الانسان وكذا أمر الله تعالى لأشعيا عليه السلام أن يمشى مكشوف العورة العليظة عريانا بين النساء والرجال ، الى ثلاث سنين مع كونه في قيد العقل • وكذا أمره ليوشع أن يأخذ لنفسه زوجة زانية ، وأن يتعشق بامرأة فاسقة محبوبة لزوجها • ويعدون اجازة نكاح زينب بعد طلاق زوجها وانقضاء عدتها غير ممكن أن يكون من جانب الله تعالى ، وأنه غير لائق بمنصب النبوة • فهذا عيسى عليه السلام على ما يحكيه الاصحاب السابع من انجيل لوقا بما نصه : « جاء وحنا المعمدان لا يأكل خبزا ولا يشرب خمرا فتقولون به شيطان وجاء ابن الانسان يأكل ويشرب فتقولون : هوذا انسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاة ؟ » انتهى • كان شريبا للخمر بزعمهم وحال شريب الخمر معاًوم ففي الاصحاب الثالث عشر من سفر القضاة

ما نصه : « اياك من شرب الخمر والمسكر ، ولا تأكل شيئا نجسا .  
فقال ملاك الرب لنوح : فليحرز عن جميع ما قلت لامرأتك ، ولا تأكل  
شيئا مما يخرج من الكرم ولا تشرب خمرها ولا مسكرا » ولذلك لما  
بشر الملك زكريا بولادة يحيى عليهما السلام بين من أوصاف تقوى  
يحيى أنه لا يشرب خمرها ولا مسكرا كما في الاصحاح الأول من انجيل  
لوقا ما نصه : « لأنه يكون عظيما أمام الرب وخمرها ومسكرا لا يشرب »  
ومعلوم أن الخمر كيف عمل بالأنبياء على زعم النصارى واليهود ،  
فهذا نوح شرب الخمر وزال عقله ، وصار عريانا ، وأن لوطا لما  
شرب الخمر وزال عقله ، فعل بابنته ما فعل ، وكثير من ددنه  
الاعتراض على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يعترض أيضا على  
عيسى وحاشاه بأشياء بعدها أيضا غير لائقة بالأنبياء تحكيها عنه  
الأنجيل .

ففى الاصحاح السابع من انجيل لوقا ما نصه : « وسأله واحد  
من الفريسيين أن يأكل معه . فدخل بيت الفريسي واتكأ ، واذا امرأة  
فى المدينة كانت خاطئة اذ علمت أنه متكئ فى بيت الفريسي جاءت  
بقارورة طيب ، ووقفت عند قدميه من ورائه باكية ، وابتدأت تبل  
قدميه بالدموع ، وكانت تمسحها بشعر رأسها ، وتقبل قدميه وتدهنهما  
بالطيب ، فلما رأى الفريسي الذى دعاه ذلك تكلم فى نفسه قائلا :  
لو كان هذا نبيا علم من هذه الامرأة التى تلمسه ؟ وما هى ؟ انها  
خاطئة ثم التفت الى المرأة وقال لسمعان : انتظر هذه المرأة انى  
دخلت بيتك وماء لأجل رجلى لم تعط ، وأما هى فقد غسلت رجلى  
بالدموع ومسحتها بشعر رأسها . قبله لم تقبلنى ، وأما هى فمئذ  
دخلت لم تكف عن تقبيل رجلى ، بزيت لم تدهن رأسى ، وأما هى فقد  
دهنت بالطيب رجلى ، من أجل ذلك أقول لك : قد غفرت خطاياها  
الكثيرة ، لأنها أحببت كثيرا . والذى يغفر له قليل يجب قليلا . ثم قال  
لها : مغفورة لك خطاياك ، فابتدأ المتكئون معه يقولون فى أنفسهم :

من هذا الذى يغفر خطايايا أيضا ؟ فقال للمرأة : ايمانك قد خلصك اذهبى  
بسلام » •

وفى الاصحاح الحادى عشر من انجيل يوحنا ما لفظه : « وكان  
انسان مريضا وهو لعازر من بيت عنيا قرية مريم ومرثا أختها وكانت  
مريم التى كان لعازر أخوها مريضا • هى التى دهنت الرب بطيب  
ومسحت رجليه بشعرها ، وكان يسوع يحب مرثا وأختها ولعازر »  
وفى الاصحاح الثالث عشر من انجيل يوحنا ما لفظه : « فكان التلاميذ  
ينظرون بعضهم الى بعض وهم محتارون فيمن قال عنه • وكان متكئا  
فى حضن يسوع واحد من تلاميذه كان يسوع يحبه ، فأوما اليه  
سمعان بطرس أن يسأل من هو عيسى أن يكون الذى قال عنه ؟ فاتكأ  
ذاك على صدر يسوع وقال له يا سيدى من هو ؟ » •

وفى الاصحاح الثالث عشر من انجيل يوحنا ما لفظه : « قام عن  
العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة واتزر بها • ثم صب ماء فى مغسل  
وابتدأ بغسل أرجل التلاميذ ، ويمسحها بالمنشفة التى كان متزرا بها »  
انتهى •

فالمعتزون ممن لا يعرف عصمة الأنبياء عليهم السلام يقولون :  
تبين أن عيسى عليه السلام لما كان أكولا شربيا للخمر وكان شابا  
عزبا ، فاذا بلت مريم قدميه بدموعها ومسحتها بشعرها وقبلتها وهى  
الفاحشة المشهورة كيف نسى عيسى عليه السلام حال أسلافه يهوذا  
وداود وسليمان وروبييل ؟ فقد زنى على زعم أهل الكتاب يهوذا بكنة ،  
وداود بامرأة أوريا • وسليمان من اختلاطه بالنساء وجبه له كفر فى  
آخر عمره ، فشرب عيسى للخمر واختلاطه بالنساء وخدمتهن له  
ودوراهن معه فى القرى ، وهو شاب عزب ، وغفره لخطايا الفاحشة  
بسبب دهنها لرجليه مع اشتهار حبه لها لا يليق بالعالم ، فضلا عن النبى  
صلوات الله عليه انتهى •

## الفصل السادس

وأما قوله : « ويشهد على نفسه أنه حبيب اليه الطيب والنساء الخ كأنه جعل هذه المنقبة الجليلة معدودة بعداد الرذيلة :

أيها العائب طيب المصطفى .:• ان طيب الورد مؤذ بالجعل

ولعمري انه كلام صدر من مزكوم لم يشم رائحة الايمان بالله تعالى ورسله الذين يحبون المشوم لأنهم عليهم السلام يلاتون الملك • والطيب يقوى الحواس وملائكة الرب عز وجل اتحببه وتكره الرائحة الخبيثة ، بعكس الشياطين • حتى أن النبي ﷺ كان يحث الناس وحرصهم على استعمال ذلك ، لمالهم فيه من الفوائد ولخضور الملائكة الحفظة والكتابة عندهم ، ولما لاقاتهم له بما يحبه • ومن مروءة الانسان نظافته وطيب رائحته • ولذلك يأمرهم بالسواك ونظافة أبدانهم وبيوتهم ، وورد : « نظفوا أفئنتكم فان اليهود لا ينظفون أفئنتهم » وهذه الامراة الزانية كما في الاصحاح السابع من انجيل لوقا لما دخل بيتها المسيح ، غفر لها ذنوبها بسبب الطيب ، الذي طيبته به • وكان النبي ﷺ يقول : « حبيب الى من دنياكم النساء الطيب ، وجعلت قرة عيني في الصلاة » وفي بعض الروايات : لفظ ثلاث قال العلامة الخفاجي في شرحه للشفاء فان محبة النساء من هدى الأنبياء — عليهم السلام — وكان فيه ﷺ من قوة الجماع ما ليس في غيره وكذا سماحته وشجاعته وشدة بطشه ، وكان فيه ﷺ قوة أربعين رجلا من رجال الجنة ، هذا مع قلة أكله وشربه عليه الصلاة والسلام وهذا الحديث أخرجه أصحاب الكتب الستة •

وروى الامام أحمد عن عائشة رضى الله تعالى عنها : « كان

يعجب رسول الله ﷺ من الدنيا ثلاث أشياء النساء والطيب والطعام ، فاصاب اثنين ولم يصب واحدة • أصاب النساء والطيب ، ولم ، يصب

«الطعام» واسناده صحيح الا أن فيه رجلا لم يسم • وقال «حب»  
بالبناء للمجهول • ودنياكم بالاضافة اليهم ، ولم يقل أحببت من دنياي  
اشارة الى أن محبته ﷺ لذلك ليست باختياره لشهوات نفسه ، بل  
بفعل الله سبحانه ، فحبه انما هو لله وذاته ، لما أراده ورضيه له ،  
لأنه ﷺ بشرى الظاهر ، ملاكوتى لا يتجلى بأحوال البشر الا اذا أمره  
الله تعالى ، لتتأسى به أمته ، وتتشف بما رضيه له • فعده ﷺ من  
البشر كعد الياقوت من الأحجار ، وكان اذا دخل في الصلاة يشتغل  
بظاهره وباطنه عن الخلق ، لوقوفه بين يدي خالقه ، فيزداد قريبا  
ومشاهدة فيتصل نور بصره بنور بصيرته • فلذا جعلها قررة عينه •  
ولذا شرع السلام عند اكمالها لعوده الى من عنده من معراجه •

قال القاضي عياض : فدل على أن حبه ﷺ لما ذكر من النساء  
والطيب اللذين من أمور دنيا غيره ، واستعماله لذلك ، ليس لدنياه  
والتلذذ بها ، بل لآخرته أى استعمالها بنية العبادة التى هى من أمور  
الآخرة ألفوائد التى ذكرت فى التزوج وهى تحصينهن وقيامه بحقوقهن  
واكتسابه وهدايته لهن ، فكان حبه لهاتين الخصلتين لأجل غيره أى  
للزوجات والملائكة ، لا لمجرد التلذذ والتنعم ، وان كان قادرا على ذلك  
وكان حبه الحقيقى المختصر بذاته فى مشاهد جبروت مولاه ، ومناجاته ،  
ولذلك ميز بين الحبين وفصل بين العالمين ، فقال : « وجعلت قررة عينى  
فى الصلاة » فأوردها جملة فعلية معطوفة على اسم قبلها تعظيما  
لشأنها وتفخيما لأمرها لكونها محبوبة ذاتها •

## الفصل السابع

قولهم لم يجوز التزوج لأمته بأكثر من أربع وهو جمع بين تسع فاجاب بأجوبة :

منها : ما ذكرناه آنفا أن الله تعالى قد يخص أنبياءه وأوليائه بخصائص ألا ترى أن هارون وأولاده كانوا مخصوصين بأمر كثيرة من خدمة قبة الشهادة ، وما يتعلق بها • ولم يجوزها لبني لاوى الآخرين ، فضلا عن غيرهم من بنى اسرائيل •

ومنها : أن الطبع البشرى يميل الى النساء سواء كان نبيا أو غير نبى • والحكمة فى ذلك حصول التناسل لعبادة الله تعالى ، فجوز له عليه الصلاة والسلام التزوج بأكثر مما أبيض للأمة ، لئلا يصرّف نظره الى النساء الأجنبية ، اذا الانسان اذا كانت له زوجات وسرارى عديدة ، لا يلتفت الى غيرهن ، فالنبي وان كان معصوما من الخطأ ولاسيما فى مثل هذا الأمر لكن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه • ولاسيما فالرسول عليه الصلاة والسلام مرجع لأمته من الخاص والعام ، وأن النظر الى الأجنبية سماه نبينا عليه الصلاة والسلام زناء العين ، وعده فى الانجيل عيسى عليه السلام مثل الزنا المحرم ، فالخشية الوقوع ، وان كان النبى معصوما أبيض له أكثر من أمته •

ومنها : أن النبى ﷺ لما كان شارعا ومبينا للناس ما يحتاجونه فى معاشهم ومعادهم وحلالهم وحرامهم ، وكانت النساء لمن أحكام خاصة بهن كالحيض ونحوه ولا تعرف أسبابها الا من جهتهن ، وكانت مختلفة فيهن • والأجنبيات يمتنعون الاسحتياء من بيانه له عليه الصلاة والسلام فأبيض له عليه الصلاة والسلام التزوج بما زاد على الأربع ، ليطلع على اختلاف الأسباب بتعدد الأشخاص ، ويبتنى على ذلك أحكام شرعية كما لا يخفى على من له خبرة بالمسائل الفقهية • ولذا كان

تزوجها عليه الصلاة والسلام معدودا من أمور الآخرة كما سيأتي قريبا  
ان شاء الله تعالى .

**وأما قواهم :** ان أمته يجب العدل عليهم بين نسايتهم وهو لا يجب  
عليه . فهذا خلاف ما رأيناه في الكتب الحديثية ، بل ورد أن من كان  
له زوجتان ولم يعدل بينهما يأتي يوم القيامة وأحد ثقبه مائل . وكان  
عليه الصلاة والسلام يقسم لياليه بين نسايتهم ، ويعدل بينهما في كل  
شيء يجب فيه العدل . وفي السنن عن عائشة رضي الله تعالى عنها :  
كان رسول الله ﷺ يقسم أي بين نسايتهم فيعدل ، ويقول : اللهم ان  
هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك . يعني القلب . وفي  
الصحيحين أنه ﷺ كان اذا أراد سفر أقرع بين نسايتهم ، فأيتهن خرج  
سيمها خرج بها معه . وما هذا الا لتطيب قلوبهن ، والا فلا حق لهن  
بذلك . فاذا كان يعدل فيما ليس لهن به حق ، فكيف لا يعدل فيما لهن  
بسه حق .

على أنا لو سلمنا ذلك غاي بأس فيما هنالك لأن النبي معصوم  
فلا يصدر منه خلاف العدل ، فلذا لا يجب عليه العدل لأنه محقق منه  
مراووز في طبيعته مجبول بطيبته ، فلا ينفك عنه ، لملازمته له عليه الصلاة  
والسلام . وأي بأس اذا كان للنبي خصائص دون أمته ؟ والعجب  
من النصارى أنهم يعترضون بزعمهم على من عصمه الله تعالى من  
ذلك ، وينسبون اعتقادهم في البابا أنه معصوم ، وأنه عادل غير ظالم .  
وينسبون الى الأنبياء صدور الكبائر كما أسلفناه لك .

**وأما قولهم انه عليه الصلاة والسلام خلا بمارية التبطية في بيت  
زوجته حفصة فقال لها : حرمت مارية الى آخره .**

فهذه المسألة وقصتها وأحكامها مذكورة في سورة التحريم . وهي  
قوله جل وعز : « يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ؟ تبتغي مرضات  
أزواجك ؟ والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة إيمانكم والله مولاكم  
وهو العليم الحكيم . واذا أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا فلما



نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض ، فلما نبأها به  
قالت : من أنباك هذا ؟ قال نبأني الطيم الخبير « الآيات •

اعلم : أن العلماء لهم قولان في سبب نزول هذه الآيات الكريمات :

فالأول : ما رواه الامام البخارى وجمهور المحدثين والمفسرين أن  
رسول الله ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا  
فتواصت هى وحفصة أن أينتا دخل عليهما النبي ﷺ فلتقل له : انى  
أجد منك ريح مغاير فدخل على احدهما فقالت ذلك له • فقال لا بل  
شربت عسلا عند زينب ، ولن أعود • وفى رواية : وقد حلفت فلا تخبرى  
بذلك أحدا ، فنزلت • وفى رواية قالت سودة : أكلت مغاير ؟ قال :  
لا • قالت : فما هذه الريح التى أجد منك ؟ قال : سقتنى حفصة شربة  
عسل • فقالت : جرت نخاه العرفط • فحرم العسل • وفى رواية والله  
لا أشربه • فنزلت • والمغاير بفتح الميم والغين المعجمة وياء بعد  
الفاء وبعدها الراء المهملة جمع مغفور بضم الميم شئ له رائحة كريهة  
ينضحه العرفط • وهو شجر ونبات له ورق عريض • وقيل شوك له  
نور يأكل منه النحل • وكان عليه الصلاة والسلام يحب الطيب ويكره  
الرائحة الكريهة للطافة لنفسه الشريفة ولأن المالك يأتيه وهو يكرها  
فشق عليه فحرمه أو حلف على أنه لا يشربه •

والقول الثانى : أنها نزلت في سرته • والمشهور انها مارية وأنه  
عليه الصلاة والسلام وطئها في بيت حفصة في يومها أو في يوم عائشة  
فعلمت بذلك حفصة فعاتبته فقال عليه الصلاة والسلام : ألا ترضين  
أن أحرمها فلا أقربها ؟ قالت : بلى • فحرمها • وقال غير واحد :  
أنه حلف لا يقربها • ويدل عليه : قوله تعالى « قد فرض الله لكم تحلة  
أيمانكم » فأعنت رقبة في تحريمها والأخبار في هذا القول متعارضة ،  
فلذا قال الامام النووى في شرح صحيح مسلم ان الآية في قصة العسل  
لا في قصة مارية المروية في غير الصحيحين ، ولم تأت قصة مارية في

طريق صحيح • وقوله سبحانه : « **وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه** » هي حفصة « حديثا » وهو قوله عليه الصلاة والسلام : لكنى كنت أشرب عسلا عند زينب فلن أعود له ، وقد حلفت لا تخبرى بذلك أحدا « **فلما نبأت به** » أى أخبرت بالحديث عائشة لأنهما كانتا متصافيتين ، « **وأظهرة الله عليه** » أى أطاعه عليه « **عرف** » النبي حفصة « **بعضه** » وهو قوله لها : كنت أشرب عسلا عند زينب ، فلن أعود « **وأعرض عن بعض** » وهو حلفت • فلم يخبرها تكريما لما فيه من مزيد خجالتها • وما زال التغافل من فعل الكرام كما قال الشاعر :

ليس الغبى بسيد فى قومه ••• لكن سيد قومه المتغابى

وقيل : أخبره أيضا لها أن أبا بكر وعمر يريان أمر الناس بعده •  
وفى هذه الآية معجزة • وهى أخبره عليه السلام بالغيب كما لا يخفى •

**وأما قولهم : ان أمته اذا مات أحد منهم وكان متزوجا يباح أن تتزوج امراته بعد العدة وادعى انه لا يجوز لاحد أن يتزوج باحدى نسائه من بعده •**

فيقال لهم : ان هذا من الحكمة الجليلة • ويجاب عنه بوجوه :  
الأول : قد قدمنا أن الله سبحانه قد يخص أوليائه ببعض الأحكام كما فى آل هرون • وكما قد كان فرض على النبي عليه الصلاة والسلام صلاة الليل ونافائته ، ولم يفرض ذلك على أمته • وكما خصه بمسألة عدم الارث ، وأن النبي اذا مات تكون تركته للمسلمين • وفيها حكمة بدیعة والثانى : ان النبي فى قومه بمنزلة الأب لأولاده •

الثالث : انه اذا يباح لهم ذلك بالنسبة الى نسائه ربما يخلج فى ذهن أحدهم وقاؤه حب بعض نسائه ، فيتمنى موت النبي حتى يتزوجها بعده ، فاذا تمنى موت نبيه يخشى عليه الهلاك والنبي قد أسدى الى أمته معروفا ، فيلزم شكره لاتمنى موته • ثم ان كثيرا من الأنبياء

وعدهم الله تعالى أن لا يخرج الملك من يد أولادهم تطييبا لهم وكذلك الزوجات • ومما سردناه لك تبين زيف ما موه به عبد المسيح لدى كل ذى عقل سالم صحيح ، فتدبر هذا وذاك والله سبحانه يتولى هدايتنا وهداك •

قال النصرانى : « وكذلك هناته مع عائشة وما كان من أمرها مع صفوان بن المعطل السلمى فى رجوعهم من غزوة المصطاق بتخلفها عن العسكر معه ، وقدمه بها من الغد نحو الظهيرة ، راكبة على راحلته ، يقودها • وما قذفها به عبد الله بن أبى بن سلاول وحسان بن ثابت ومسطح بن أثانة ابن خالة أبى بكر ، وزيد بن رفاعة ، وحمنة بنت جحش أخت زينب ، وتبليغ على بن أبى طالب اليه كلام المتكلمين وعيب العائنين ، وأن فيه مسامحا للقول والظنة • وختم كلامه بعد التقريض والتعريض وهو كناية عن التصريح بالشيء قائلًا يا رسول الله لم يضيّق الله عليك ، والنساء سواها كثيرة ، فلم يلتفت الى ذلك كله لشدة إعجابه بها لأنه لم يكن فى من نكح من نسائه بكر غيرها ولا أحدث سنا منها • فكان لها من قلبه مكان ، وكانت خلابة ، فرضى بما كان من ذلك الأمر كله • وهذا كان سبب انعقاد تلك العداوة بين عائشة وبين على الى آخره حياتهما • ثم ادعى نزول براءتها فى السورة المعروفة بسورة النور ، من قوله : « ان الذين جاءوا بالافك عصابة منكم » الخ فهذه القصة نعرفها كمعرفتك ، والخبر بها مستفاض وعندنا مشروح مفسر لا يجب كشفه » انتهى •

فأقول : « سبحانه هذا بهتان عظيم » ولنتكلم مع هذا النصرانى وأمثاله ممن يهذى هذا الهذيان ويتهم أزواج الأنبياء وأمهاتهم بمثل هذا البهتان بالمعقول والمنقول والانصاف المطوب المقبول • ولنذكر المعقول أولا ثم نذكر المنقول مفصلا •

فيقال للنصارى : انه من الأمور البديهية الثابتة عند كل ذى رؤية بان صفوان كان مؤمنا بالنبى عليه الصلاة والسلام ولم يكن ايمانه

بالجبر ، بل بالطوع ، والحب الكامل ، بعد أن اعتقد نبوته مصدقا برسائلته ومعجزاته التي من جملتها أنه يعلم الغيب باطلاع الله سبحانه له ، بواسطة الوحي . وأن الصلاح والتقوى التي كانت عنده وعند أمثاله من الصحابة فوق ما يتصور المتصورون وامتثالهم لأوامره عليه الصلاة والسلام واجتنابهم لمناهيه أعظم مما يتخيله المتخيلون ، حتى أنهم يقدون أنفسهم وأولادهم وآبائهم وأموالهم لأجله ، بل بعضهم يقتل أخص أهله وأقربائه لأجله ، وأن الزنا والخيانة في ذلك من الأشياء المستقبلجة عندهم جاهلية واسلاما . وصفوان ذو غيرة عربية وحمية اسلامية ، مع أنه خارج في هذه الغزوة للتقرب الى الله ورسوله . وليس بينه وبين عائشة تلاق واجتماع في المدينة ولا يمكن أخذ موعد منها وحاشاها في ذلك . ولو فرض أن بين امرأة ورجل تكون مواعدة على مكروه ، ولم يتمكنوا في مثل هذه الغزوة العرمية . وفيها سيد البرية ﷺ ولا يعلم نزولهم وظعنهم متى يكونان ؟ وان يكن في قلبهما سوء ، فالبلاد أوسع لهم ، وعائشة رضى الله تعالى عنها ليست بغير زوج ، وهي أيضا ممن يعتقد رسالة النبي ﷺ وعلم الغيب بواسطة الوحي فكيف يساور الظن به وبها . وهي العربية الخالصة والمؤمنة العالمة والتقية النقية الصديقة ، ولم ير ذلك أحد منها ولا ولدت ولدا ، ليحقق الأمر عنها . لكن الحر كما يقال ممتحن بأولاد الزنا . فهذه الصديقة الأخرى سيدة نساء العالمين في زمانها والدة الرسول المسيح عليه الصلاة والسلام التي برأها سبحانه في كتابه العزيز ، رماها اليهود أيضا وحاشاها بالزنا مع يوسف النجار ، وأن حملها بعبسى دليل على ذلك ، كما تبدل الشمس على النهار .

فالمسيح على زعمهم الباطل انما تولد من الزنا الاحاصل فهل للعاقل مساغ بعد أن برأها الله سبحانه في القرآن الكريم أن ينتهم مريم في هذا الأمر الفظيع العظيم ؟ وان كان الأمر بعيدا عن العقل والعادة أن تلد امرأة بغير وطء زوج لها ، وان كان اليهود أيضا أجمعوا على ذلك . فاجماعهم مردود عليهم ، لورود الفرقان بتكذيبهم ،

فكما أننا لولا وجود القرآن ببراءتها لقلنا كما قالت بنو اسرائيل في حقها • والعياذ بالله تعالى ، لبعد العادة عن مجيء ولد بلا أبوين ، لكننا آمننا بالقرآن وصدقناها • وعائشة الصديقة لو لم يرد القرآن ببراءتها لما جوز العقل أيضا رميها بذلك ، لأنه لم ير أحد منها ما هنالك ، بل هو الظن الباطل الناشئ من مجيء صفوان معها لاسيما والمسيح قال : لا تقبلوا قولا بغير شهود ، يعنى يشاهدون الأمر فيشاهدون • لأن الانسان اذا لم يشاهد الشيء قد يظنه وهو على خلاف نفس الأمر كما تشهد بذلك التجارب • وأمر عائشة رضى الله تعالى عنها لم يكن كذلك ، كما سيأتى تفصيله في المنقول • ومع هذا فالله سبحانه قد برأها من هذا البهتان واتضح الكذب في العيان ، كما برأ ابنة عمران ، فتبرأتها متلازمتان • على أنه قد بان حصرية صفوان ، لكن النصرى واليهود ولاسيما هذا المؤلف لم يراقبوا الدين ، فرموا الأنبياء ، ونساءهم بأثيياء لا تحب سماعها الآذان ، كما فصلناه في بحث سليمان ، وغيره عليهم السلام •

وأما المنقول فلنذكر هذه الغزوة من أولها الى آخرها حتى نتضح مسألة الافك على أتم وجه •

قال العلماء والمحدثون وأهل السير أجمعون : غزوة بنى المصطلق - بضم الميم وسكون المهملة وفتح الطاء المشالة المهملة واللام بعدها قاف - وهو لقب واسمه خزيمة بن سعد بن عمر ، بطن من خزاعة ويقال لها أيضا غزوة المريسيع - بضم الميم وفتح الراء وسكون التحتانيين وآخرها عين مهملة - وهو ماء بين خزاعة وبين الفرع يومئذ وسببها : أنه يبلغ رسول الله ﷺ أن بنى المصطلق يجمعون له وقائدهم الحرث بن أبى ضرار أبو جويرية بنت الحرث زوج رسول الله ﷺ فلما سمع عليه الصلاة والسلام بهم ، خرج اليهم وكان معه بشر كثير من المنافقين ، وخرجت معه عائشة وأم سلمة حتى لقيهم على ماء لهم يقال له المريسيع من ناحية قديد ، الى الساحل فتزاحم الناس واقتتلوا فهزم الله تعالى بنى المصطلق وقتل منهم من قتل •

وقد أصيب رجل من المسلمين يقال له هشام بن صبابه من بنى كلب بن عوف ، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت ، وهو يرى أنه من العدو ، فقتله خطأ ، فبينما الناس على ذلك الماء ، وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أجبر لله من بنى غفار ، يقال له جهجاه وسنان بن وبر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجهنى يا معشر الأنصار ، وصرخ جهجاه يا معشر المهاجرين ، فغضب عبد الله بن أبى بن سلول المنافق وعنده رهط من قومه ، فيهم زيد بن أرقم غلام حدث . فقال أو قد فعلوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا . والله ما أحدنا وجلابيب قريش هذه ، الا كما قال الأول سمن كلبك يأكلك . أما والله « لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الأذل » ثم أقبل على من حضره من قومه . فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا الى غير داركم . فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به الى رسول الله ﷺ وذلك عند فراغه عليه الصلاة والسلام من عدوه ، فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : مر به عباد بن بشر فليقتله . فقال رسول الله ﷺ : فكيف يا عمر اذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ؟ ولكن أذن بالرحيل فى ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها ، فارتحل الناس . وقد مشى عبد الله بن أبى بن سلول الى رسول الله ﷺ حين بلغه أن زيد بن أرقم بلغه ما سمع منه ، فحالف بالله ما قلت ما قال ، ولا تكلمت به وكان فى قومه شرفا عظيما . فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم فى حديثه ، ولم يحفظ ما قال الرجل ، حدبا على ابن أبى بن ساول ، ودفعا عنه . فلما استقل رسول الله ﷺ وسار ، لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ، ثم قال : يا نبى الله . والله لقد رحمت فى ساعة منكرا ما كنت تروح فى مثلها . فقال له

رسول الله ﷺ : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : وأى صاحب  
يا رسول الله ؟ قال : عبد الله بن أبي . قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه  
ان رجع إلى المدينة أخرج الأعرز منها الأذل . قال : فأنت يا رسول الله  
تخرجه منها ان شئت . هو والله الذليل وأنت العزيز .

ثم قال : يا رسول الله ارفق به . فوالله لقد جاءنا الله بك وان قومه  
لينظّمون اه الخرز ليتوجوه ، فإنه ليرى أنك قد استأبته ملكا ثم مشى رسول  
الله ﷺ يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك  
حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض  
فوقعوا نياما . وانما فعل ذلك عليه الصلاة والسلام ليشغل الناس  
عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي ، ثم راح  
رسول الله ﷺ بالناس وسألك الحجاز ، حتى نزل على ماء بالحجاز  
فورق المنتيع يقال له بقعاء ، فلما راح رسول الله ﷺ هبت على الناس  
ريح شديدة آذتهم وتخوفوها . فقال رسول الله ﷺ : لا تخافوها .  
فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار فلما قدموا المدينة وجدوا رفاة  
ابن زيد بن التابوت أحد بنى قينقاع وكان عظيما من عظماء اليهود  
وكهفا للمنافقين ، مات في ذلك اليوم ونزلت السورة التي ذكر الله عز وجل  
المنافقين في ابن أبي ومن كان على مثل أمره ، فلما نزلت أخذ رسول  
الله ﷺ بأذن زيد بن أرقم ثم قال : هذا الذي أوفى الله بأذنه . وبلغ  
عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه ، فأتى رسول الله ﷺ فقال  
يا رسول الله بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه . فان  
كنت لا بد فاعلا فمرني به فأنا أحمل اليك رأسه . فوالله لقد علمت  
الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني ، وانى لأخشى أن تأمر  
به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشى  
في الناس فأقتله ، فأقتل مؤمنا بكافر ، فأدخل النار . فقال رسول الله  
ﷺ : بل نرتفق به ونحسن صحبته ما يتى معنا وجعل بعد ذلك اذا  
أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه  
فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه حين بلغه

ذلك من شأنهم : كيف ترى يا عمر أما والله لو قتلته يوم قلت لى أقتله لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته • فقال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمرى •

وفي هذه الغزوة كانت قصة الافك لعائشة رضى الله تعالى عنها • وذلك أن عائشة كانت قد خرج بها رسول الله ﷺ معه في هذه الغزوة بقرعة أصابتها وكانت تلك عادته مع نسائه رضى الله تعالى عنهن ، فلما رجعوا من الغزوة نزلوا في بعض المنازل فخرجت عائشة لحاجتها ، ففقدت حينما أخذ الناس بالرحيل عقدا لأختها كانت أعارتها اياه ، فرجعت تلتمسه في الموضع الذى فقدته فيه في وقتها ، فجاء النفر الذين كانوا يرحلون لها البعير خلفها ، فأخذوا اليهودج وهم يظنون أنها فيه كما كانت تصنع فاحتملوه وشدوه على البعير ، ولم يشكوا أنها فيه ، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا لأن النساء اذ ذاك خفيفات لأنهن انما يأكلن العلق ولم يهجين اللحم ، فينقلن • ولاسرما عائشة لأنها فتية السن ام يغمها اللحم الذى كان يثقلها • على أن النفر لما تساعدوا على حمل اليهودج لم ينكروا خفته ، فالتمسته فوجدته ، فرجعت الى العسكر ، فاذا ليس لها داع ولا مجيب ، ففقدت في المنزل وهى تظن أنهم سيفقدونها ، فيرجعون في طلبها • فالتفت في جلبابها فغابتها عيناها فنامت • فلم تستتبط الا بقول صفوان بن المعطل : انما الله وانا اليه راجعون • زوجة رسول الله ﷺ لأنه كان راها قبل أن يضرب الحجاب وكان صفوان في أخريات الجيش نائما لأنه كان كثير النوم ، كما ورد أن أمه اشتكت مرة عند رسول الله ﷺ أنه لا يقعد يصلى الفجر لكثرة نومه • وقال لها : ما خلفك يرحمك الله ؟ فلم ترد له جوابا • ثم قرب البعير ، فقال اركبى واستأخر عنها فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعا يطلب الناس حتى قدم بها • وقد نزل الجيش في نحر الظهر ، فلما رأى ذلك الناس تكلم كل منهم بشاكلته وما يليق به ووجد الخبيث عدو الله ابن ابي بن سلول متنفسا فتنفس من كرب النفاق والحسد ، الذى بئر ضاوعه فجعل يستحكى الافك ويستوشيه ويشيعه ويذيعه



ويجمعه ويفرقه ، وكان أصحابه يتفكرون به اليه . فلما قدموا المدينة أفاض أهل الافك في الحديث ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلم ، وعائشة لم يبلغها من ذلك شيء ، ولم تثبت أن اشتكت شكوى شديدة ، فأنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه ، لأنها كانت اذا اشتكت لطف بها فلم يفعل ذلك بها في شكواها . فأنكرت ذلك منه ، ولم تعرف السبب ، ولم يذكر أبواها لها شيئا من ذلك . فلما رأته من جفائه قالت له : لو أذنت لى يا رسول الله فانتقلت الى أمى فمرضتني فأذن لها فانتقلت الى أمها ثم استشار رسول الله ﷺ أصحابه في فراقها فأشار عليه على رضى الله تعالى عنه أن يفارقها ويأخذ غيرها تلويحا لا تصريحاً ، وأشار عليه أسامة وغيره بامسакها وأن لا يلتفت الى كلام الأعداء . ولا نعلم الا خيرا . وهذا الكذب والباطل .

وقال له على : سل الجارية فانها ستصدقك فدعا رسول الله ﷺ جاريتها فقالت : والله ما أعلم الا خيرا وأنها لكالذهب الخالص بيد الصائغ ، وما كنت أعيب على عائشة شيئا . الا أنى كنت أعجن عجيني فأمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتى الشاة فتأكله وعائشة لا علم لها بشيء مما قاله أهل الافك ولا من قول رسول الله ﷺ لأصحابه حتى فقحت من وجعها بعد بضع وعشرين ليلة ، وكانت النساء يخرجن كل ليلة في حوائجهن في فسح المدينة لأنهم كانوا قوما عربا لا يتخذون الكنف التى تتخذها الأعاجم لأنهم يعافونها ويكرهونها ، فخرجت عائشة ليلة لبعض حاجتها ومعها أم مسطح بنت أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف وكانت أمها بنت صخر خالة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وكانت تمشى مع عائشة ، فعثرت في مرطها . فقالت تعس مسطح . ومسطح لقب . واسمه عوف . فقالت لها عائشة : بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرا . قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبى بكر ؟ فقالت عائشة لها : وما الخبر ؟ فأخبرتها بالذى كان من قول أهل الافك ، فرجعت وما قدرت أن تقضى حاجتها وما زالت تبكى حتى كاد البكاء أن يصدع كبدها . فقالت لأمها يا أماه يغفر الله لك تحدث الناس بما

تحدثوا به ولا تذكرين لى من ذلك شيئاً ؟ قالت : أى بنية خفضى عليك  
الشان . فوالله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها ، لها ضرائر  
الا كثرن وكثر الناس عليها .

وقام رسول الله ﷺ فى الناس يخطبهم وعائشة لا تعلم ، فحمد  
الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى  
ويقولون عليهم غير الحق . والله ما علمت منهم الا خيراً ، ويقولون ذلك  
لرجل والله ما علمت منه الا خيراً وما يدخل بيتنا من بيوتى الا وهو معى .

قال العلماء والراوون : وكان كبر ذلك عبد الله بن أبى بن سلول  
المنافق وحمنة بنت جحش وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند  
رسول الله ﷺ ولم تكن من نسائه امرأة تناصب عائشة فى المنزلة عنده  
غيرها . فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل الا خيراً وأما حمنة بنت  
جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضاد عائشة لأختها فشقيت بذلك .  
وعلى كرم الله تعالى وجهه لما رأى أن ما قيل مشكوك فيه أشار بترك  
الشك والريبة الى اليقين بقول الجارية ليتخلص رسول الله ﷺ من  
الهم والغم الذى لحقه من كلام المنافقين ، ومن اغتر بكلامهم وأشار  
بحسم الداء . وأسامة لما أعلم من عفتها وبراعتها وحصانتها وديانتها  
ما هى فوق ذلك وأعظم منه ، وعرف من كرامة رسول الله ﷺ على ربه  
ومنزلة عنده ودفاعه عنه أنه لا يجعل ربه نبيه وحبيته من النساء وبنات  
صديقه بالمنزل الذى أنزلها به أرباب الافك ، وأن رسول الله ﷺ أكرم  
على ربه من أن يتليها بالفاحشة ، وهى تحت رسوله . ولذا قال أبو  
أيوب وغيره من سادات الصحابة لما سمعوا ذلك : « سبحانك هذا  
بهتان عظيم » وتأمل ما فى تسبيحهم لله سبحانه وتنزيهه له فى ذلك  
المتام من المعرفة به وتنزيهه عما لا يليق به أن يجعل لرسوله وخليته  
وأكرم الخلق عليه امرأة خبيثة بغيا ، فمن ظن به سبحانه هذا الظن  
فقد ظن به السوء وعرف أهل المعرفة بالله ورسوله أن المرأة الخبيثة  
لا تليق الا بمثلها كما قال تعالى « **الخبيثات للخبِيثين** » فقطعوا قطعاً

لا يشكون فيه أن هذا بهتان عظيم ، و فرية ظاهرة .

قال العلامة ابن القيم في الهدى النبوى : فان قيل : فما بال رسول الله ﷺ توقف في أمرها وسأل عنها وبحث واستشار وهو أعرف بالله تعالى وبمنزلته عنده فيما يليق به ؟ وهلا قال : « سبحانك هذا بهتان عظيم » كما قال فضلاء الصحابة ؟ .

**فالجواب :** أن هذا من تمام الحكم الباهرة التي جعل الله تعالى هذه القصة سببا لها وامتحانا وابتلاء لرسوله عليه الصلاة والسلام ولجميع الأمة الى يوم القيامة ليرفع بهذه القصة أقياما ويضع بها آخرين ، « ويزيد الله الذين اهتدوا هدى » وایمانا ولا يزيد الظالمين الا خسارا .

واقضى تمام الامتحان والابتلاء أن حبس عن رسول الله ﷺ الوحي شهرا في شأنها لما يوحى اليه في ذلك شيء لبتم حكمته التي قدرها وقضاها ويظهر على أكمل الوجوه ، ويزداد المؤمنون الصادقون إيماننا وثباتنا على العدل والصدق وحسن الظن بالله ورسوله وأهل بيته والصدّيقين من عباده ويزداد المنافقون افكا ونفاقا ، ويظهر لرسوله وللمؤمنين سرائرهم ولتنتم العبودية المرادة من الصديقة وأبيها رضوان الله تعالى عليهما وتتم نعمة الله تعالى عليهم ، ولتشتد الفاقة والرغبة منها ومن أبيها والافتقار الى الله تعالى والذل له وحسن الظن به والرجاء له ولينقطع رجاؤها من المخلوقين ، وتيأس من حصول النصرة والفرج على يد أحد من الخلق . ولهذا وقت لهذا المقام حقه لما قال لها أبوها : قومي اليه ، وقد أنزل الله تعالى براءتها قالت : والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله الذي أنزل براءتي . وأيضا : فكان من حكمة حبس الوحي شهرا : أن القضية نضجت وتمحضت واستشرفت قلوب المؤمنين أعظم استشراف الى ما يوحىه الله سبحانه الى رسوله فيها وتطلعت الى ذلك غاية التطلع ، فوافي الوحي أحوج ما كان اليه رسول الله ﷺ

وأهل بيته ، والصديق وأهل بيته وأصحابه والمؤمنون • فورد عليهم ورود الغيث على الأرض أحوج ما كانت إليه فوقع منهم أعظم موقع وألطفه وسروا به أتم السرور وحصل لهم غاية الهناء فلو اطلع الله سبحانه رسوله ﷺ على حقيقة الحال من أول وهلة وأنزل الوحي على الفور بذلك ، لفانت هذه الحكم وأضعافها بل أضعاف أضعافها •

وأيضاً : فإن الله تعالى أحب أن يظهر منزلة رسوله وأهل بيته عندهم وكرامتهم عليه وأن يخرج رسوله عن هذه القضية ويتولى سبحانه الدفاع والمنافحة عنه والرد على أعدائه وذمهم وعيهم بأمر لا يكون له فيه عمل ولا ينسب إليه ، بل يكون هو سبحانه وحده المتولى لذلك الثائر لرسوله وأهل بيته •

وأيضاً : فإن رسول الله ﷺ كان هو المقصود بالأذى والتي رمت زوجته فلم يكن يليق به أن يشهد على براءتها مع علمه ، إذ ظننه الظن المقارب للعلم ببرائتها • ولم يظن بها سوءاً قط وحاشاه وحاشاها • وعنده عليه الصلاة والسلام من القرائن على براءتها أكثر مما عند المؤمنين ، ولكن لكامل صبره وثباته ورفقه وحسن ظنه بربه سبحانه وثقته به وفي مقام الصبر والثبات وحسن الظن بالله حقه حتى جاءه الوحي وبما أقر عينيه وسر قلبه وعظم قدره وظهر لأمنته احتقار ربه به واعتناؤه بشأنه • قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : دخل على رسول الله ﷺ وعندى أبواي وامرأة من الأنصار وأنا أبكى وهي تبكى ممي ، فجلس فحمد الله وأثنى عليه • ثم قال : يا عائشة انه قد كان ما قد بلغك من قول الناس فاتقى الله • فان كنت قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبى الى الله ، فان الله يقبل التوبة عن عباده • قالت : فوالله ما هو الا أن قال لي ذلك فقلص دمعى حتى ما أحس منه شيئاً وانتظرت أبوى أن يجيبا عنى رسول الله ﷺ فلم يتكلمتا قالت : وأيم الله لأننا كنت أحقر في نفسى وأصغر شأننا من أن ينزل الله في قرآنا يقرأ به في المساجد ويصلى به ، ولكنى قد كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في نومه شيئاً يكذب به الله عنى ، لما يعلم من براءتى أو يخبر خبراً •

فأما القرآن ينزل في فؤاد الله لنفسى كانت أحقر عندي من ذلك .  
قالت فإما لم أر أبوى يتكلمان قلت لهما : ألا تجيبان رسول الله  
ﷺ ؟ قالت : فقلا : والله ما ندري بماذا نجيبه ؟ قالت : والله ما أعلم  
أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام . قالت :  
فلما أن استعجما على استعبرت فبكيت ، ثم قلت : والله لا أتوب  
إلى الله مما ذكرت أبدا . والله انى لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس  
والله يعلم أنى منه بريئة لأقولن ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت ما يقولون  
لا تصادقوننى . قالت : ثم التمسيت اسم يعقوب فما أذكره ، فقلت :  
ولكن سأقول كما قال أبو يوسف : « فصبر جميل والله المستعان على  
ما تصفون » قالت فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشاه  
من الله ما كان يتغشاه ، فسجى بثوبه ووضعته له وسادة من آدم تحت  
رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ، فوالله ما فرغت ولا باليت  
قد عرفت أنى منه بريئة وأن الله عز وجل غير ظالمى وأما أبواى فوالذى  
نفس عائشة بيده ما سرى عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن  
أنفسهما فرقا أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس ، ثم سرى عن رسول  
الله ﷺ فجلس وانه لم يتحدث منه مثل الجمان في يوم شات ، فجعل  
يمسح العرق عن جبينه ، ويقول : ابشرى يا عائشة فقد أنزل الله براءتك  
قالت : قلت بحمد الله . ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فخطبهم  
وتلا عليهم ما أنزل الله تعالى عليه من القرآن في ذلك ثمانى عشرة آية .

**قوله سبحانه : « ان الذين جاءوا بالافك عصبه منكم لا تحسبوه  
شرا لكم ، بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم والذى  
تولى كبره منهم له عذاب عظيم » ومنها قوله سبحانه : « لولا جاءوا  
عليه بأربعة شهداء ، فاذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم  
الأكاذبون » .**

ثم أمر بمسطح بن أثانة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وكانوا  
ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حدهم ثمانين ثمانين ، وأما عبد الله بن  
أبى بن سلول المنافق الذى تولى كبره ، فلم يحد ، لأن الحد تخفيف

المحدود وكفارة له ، وليس الخبيث كذلك ، لأن الله سبحانه وعده بالعذاب العظيم في الآخرة ، فيكفيه ذلك عن الحد . وقيل : لم يحد لأنه كان يستوشى الحديث ويجمعه ويحكيه ، ولم يصرح بالافك بين المؤمنين ولم يشهد به عليه أحد . ثم انهم بعد ذلك سألوا عن صفوان ابن المعطل ، فوجدوه رجلا حصورا ما يأتي النساء رضى الله تعالى عنه . فقال بعض الصحابة في ضرب حسان وصاحبيه :

وحمئة اذ قالوا هجرا ومسطح  
وسخطة ذى العرش الكريم فاترحوا  
مخازى تبقى عموها وفضحوا  
شآبيب قطر من ذرا المزن تسفح

لقد ذاق حسان الذى كان اهله  
تماطوا برجم الفيب زوج نبيهم  
وآذوا رسول الله فيها فجللوا  
وصبت عليهم محصدات كأنها

ثم ان حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه انكف بصره ، واعتذر من الذى كان قاله فى شأن عائشة رضى الله تعالى عنها بقوله :

وتصبح غرثى من الحوم الفوافل  
كرام المساعى مجدهم غير زائل  
وظهرها من كل سوء وباطل  
فلا رفعت سوطى الى اناملى  
لال رسول الله زين المحافل  
تقاصر عنه سورة المتطاول  
ولكنه قول امرىء بى ما حل

هصان رزان ما تزن بريية  
عقيلة حى من لوى بن غالب  
مهذبة قد طيب الله خيمها  
هان كنت قد قلت الذى قد زعتم  
وكيف وودى ما حبيت ونصرتى  
له رتب عال على الناس كلهم  
هان الذى قد قيل ليس بلائط

• انتهى •

فتبين لكل منصف غير غاش لنفسه : أن براءة عائشة رضى الله عنها ثابتة بما ثبتت به براءة مريم ، وزادت على براءة مريم بالدلائل العقلية التى ألقاها لك ، فلا حاجة الى التكرار .

وأما عداوتها مع على رضى الله تعالى عنه فكذب ، اذ كيف تكون العداوة بينهما وهى أمه لأن نساء نبيينا عليه الصلاة والسلام أمهات أمته كما ثبت فى كتابنا الكريم .

وأما ما جرى بعد ذلك بينهما بعد وفاة النبي ﷺ فى وثقة الجمل

هذلك لأسباب آخر ليس لها مدخل في هذه المسألة ، فلذا نضرب عنها صفحا في كتابنا هذا ، لأنها ليست مما نحن بصدده ولو سلمنا أنه كان بينهما شيء في القلوب -- وحاشاها -- فأى دليل في ذلك على صحة بهتان هذا المؤلف ؟ بعد أن ستمنا لك الأدلة العقلية والنقلية في براعتها • والله المستعان على عباد الصور والتماثيل والحاكين للأباطيل • وهو حسيننا ونعم الوكيل •

قال النصراني : « وكانت نساؤه فيما ظهر كما علمت خمسة عشر حرة وأمتين أولاهن : خديجة بنت خويلد • ثم عائشة بنت أبي بكر ، وهو عبد الله المعروف بعتيق بن أبي قحافة ، وسودة بنت زمعة ، وحفصة بنت عمر ، وهي التي كان بينها وبين عائشة تلك الهنات العجيبة ، وأم سلمة واسمها همد بنت أبي أمية وهي المخدوعة أم الاطفال التي زعم أنه يذهب عنها الفيرة عندما امتنعت عليه ، واحتجت بأنها امرأة غيرة ، وأنه يعول صبيتها لما اعتذرت أنها ذات صبية ، وأنها تخاف ألا يرضاه أهلها فتضمن لها أن يكفيها ذلك ، حتى أجابت اليه ، ثم لم يف لها من ذلك الضمان بحرف واحد ، وهي التي نحلها حرتين ورحى ووسادة من آدم حشوها ليف ، فحصلت منه على هذا في الدنيا والآخرة • وزينب بنت جحش امرأة زيد التي بعث اليها نصيبها من اللحم ثلاث مرات فردته إلى وجهه فهجرها وهجر نساءه بسببها ، وحلف أنه لا يدخل عليهن شهرا ، فأم يصبر ، فدخل لتسعة وعشرين • وزينب بنت خزيمة الهلالية ، وأم حبيبة واسمها رمة بنت أبي سفيان أخت معاوية ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وجويرية بنت الحارث المصطلقية ، وصفية اليهودية بنت حبي بن أخطب التي علمها أن تنفخر على نساءه عند تعبيرهن إياها وتقول أنا التي هرون أبي ، وموسى عمي ، ومحمد زوجي • والكلابية وهي فاطمة بنت الضحاك وقيل أنها بنت يزيد عمرة الكلابية ، وحنة بنت ذى الحمية ، وبنت النعمان الكندية ، التي أنفت منه حين قال لها هبي لي نفسك ، فقالت : وهل تهب الملكية نفسها لاسوقة ؟ وملكية بنت كعب

الليثية ذات الأقباصيص ، ومارية أم ابراهيم ابنه ، وريحانة بنت شمعون  
القرظية اليهودية فهؤلاء نساؤه اللواتى كن له وأمتان •

قال بولس رسول الحق رسول المسيح مخلص العالم : « ان الذى  
له زوجة انما غايته أن يصرف عنايته الى رضى زوجته ، والذى لا امرأة  
له فعنايته مصروفة الى رضى ربه » وقد صدق وقوله الحق لأنه يحتاج  
أن يتشغل بما يرضى امرأته ، وكما قال الرب المسيح : « لا يقدر  
العبد أن يخدم ربهين في وقت واحد ، ولا بد له من أن يلزم الواحد ويحتقر  
الأخر » فإذا كان لا يمكن للرجل أن يخدم امرأة واحدة ويرضيها  
ولا يسخط خالفتها ، فكم أخرى من يريد أن يصرف عنايته كلها الى رضى  
خمس عشرة امرأة وأمتين ، مع ما أنت عرفت من شغفه بغيرهن الذى كان  
منغمسا فيه من تدبير الحروب والتقدير على قتل الرجال وسبى الحریم  
وسلب الأموال وتوجيه الطلائع وتعيينه الكراديس ، لاصابة الطرقات  
وشن الغارات ، فمتى كان له مع الشغل الدائم المتصل بهذه الأمور  
الفرغ للصوم والصلاة والعبادة وجمع الفكر وصرفه الى أمر الآخرة  
وما شاكل ذلك من أعمال الانبياء ، ولست أشك في أنه لا نبى قبله ابتدع  
مثل هذا •

ولكن فلندع الآن ذكر هذا وتأخذ في ذكر أعلام النبوة التى يجب  
معها الاقرار لمن أتى بها بأن يسمى نبيا ورسولا وننظر فيما أتى به  
صاحبك • وهل يوافق أو يشبه شيئا مما جاءت به الانبياء ويشاكله ؟  
وهل يجب علينا قبول ذلك منه أو رده عليه « ؟ انتهى •

فنقول ومنه عز وجل الهداية الى أقوم طريق :

قوله : « وكانت نساؤه فيما يظهر كما قد عامت خمس عشرة حرة  
وأمتين » •

أما نساؤه عليه الصلاة والسلام فهن بنص القرآن أمهات المؤمنین  
وذلك في تحريم نكاحهن ووجوب احترامهن ، لا في نظر وخلوة •



واختلف في عدة أزواجه عليه الصلاة والسلام والمتفق عليه أنهن  
أحدى عشرة امرأة ، ومات ﷺ عن تسع • وفي شرح المواهب للزرقانى عن  
أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « ما تزوجت  
شيئا من نسائي ولا زوجت شيئا من بناتي الا بوحي جاء به جبريل  
عن ربي عز وجل » قوله «أولاهن خديجة» هي أول من أسلم بالاتفاق • وقد  
تقدم الكلام في تزوجه عليه الصلاة والسلام اياها وأما من العمر أربعون  
سنة ، وكان سنه يومئذ خمسا وعشرين سنة على القول المشهور ، وماتت  
قبل الهجرة بثلاث سنين ، فلا حاجة بنا الى الاعداد • قوله « ثم عائشة »  
الخ تزوجها بمكة وأصدقها أربعمائة درهم سنة عشر من النبوة وقبل  
الهجرة بثلاث وأعرس بها بالمدينة في شوال ، ولها من العمر تسع سنين ،  
وكانت فقيهة عالمة كثيرة الحديث عن رسول الله ﷺ عارفة بأيام العرب  
وأشعارها ، ومات عنها عليه الصلاة والسلام ولها ثمان عشرة سنة ،  
ولم يتزوج بكرا غيرها • وتوفيت بالمدينة وهي ابنة لست وستين سنة ،  
وأوصت أن تدفن بالبقيع ليلا ، صلى عليها أبو هريرة رضى الله تعالى  
عنه •

واختلف العلماء في المفاضلة بينها وبين خديجة وفاطمة الزهراء  
ومريم العذراء رضى الله تعالى عنهن على أقوال • وأخرج الامام أحمد  
عن ابن عباس رضى الله عنه أنه ﷺ قال : « أفضل نساء أهل الجنة  
خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران وآسية امرأة  
فرعون » قوله « وسودة بنت زمعة » أسلمت قديما وبايعت وكانت  
تحت ابن عم لها يقال له السكران ، أسلم معها وهاجرا جميعا الى أرض  
الحبشة الهجرة الثانية فلما قدما مكة مات زوجها وقيل انه مات بالحبشة ،  
ثم تزوجها ﷺ بعد موت خديجة رضى الله تعالى عنها قبل أن يعقد على  
عائشة ، وقيل تزوجها بعد عائشة • ويجمع الثقلين بأنه عليه الصلاة والسلام  
عقد على عائشة قبل سودة ، ودخل بسودة قبل عائشة رضى الله تعالى

عنها ، ولما كبرت جعت ومها لعائشة ، وتوفيت بالمدينة سنة أربع وخمسين •

قوله : « وحفصة بنت عمر » الى آخره هي بنت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أسلمت وهاجرت مع زوجها جنيس بضم المعجمة وفتح النون وبالسین المهمله ومات عنها بعد غزوة بدر ، فلما تأيمت خطبها رسول الله ﷺ فأنكحها اياها عمر بن الخطاب في سنة ثلاث من الهجرة ثم طلقها تطليقة واحدة ، فنزل عليه الوحي « راجع حفصة فانها صوامه قوامه ، وانها زوجتك في الجنة » فراجعها عليه الصلاة والسلام وماتت سنة خمس وأربعين •

وأما اشارة هذا النصرانى أنه وقع بينها وبين عائشة هنات عجيبة ، فكذب عجيب وزيف غريب ، وليت شعري أى هنات وقعت بينهما ؟ وهذا تمويه منه على ضعفة العقول • انه وقع أمر غريب بين زوجتى الرسول • وليته بينه حتى يسمع الجواب الشافى والبيان الكافى لرد استوقته وتكذيب أعجوبته •

على أنا لو سلمنا وقوع شىء بين الضرتين فأى شين يلحق من ذلك برسول الثقلين أو يكون سببا لعدم قبول رسالته • فهذا ابراهيم خليل الرحمن وقع بين زوجتيه سارة وهاجر من الغيرة ما وقع ، كما هو محرر فى التوراة •

وقوله : « وأم سلمة » الى آخره اسمها هند وقيل رمّة وكانت تحت أبى سلمة بن عبد الأسد وكانت هى وزوجها أول من هاجر الى أرض الحبشة وقيل هى أول طعنة دخلت المدينة مهاجرة ومات أبو سلمة سنة أربع من الهجرة ، وروى فى المواهب عن أم سلمة أنها قالت كنت سمعته عليه الصلاة والسلام يقول : « ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول اللهم أجرنى فى مصيبتى وأخلفنى خيرا منها • الا أخلف الله تعالى له خيرا منها » • فلما مات أبو سلمة استرجعت وقالت : اللهم عندك

احتسب مصيبتى هذه ، ولم تطب نفسى أن أقول : اخلتنى خيرا منها  
وقلت أى المسلمين خير من أبى سلمة أى فى قيامه بأمرى على الوجه  
الذى أريده . ثم انى قلتها فأخاف الله تعالى لى رسول الله ﷺ ثم  
خطبها رسول الله ﷺ فقالت : مرحبا برسول الله ﷺ ان فى خلا  
ثلاثا أنا امرأة شديدة الغيرة ، وأنا امرأة مصيبة ، وأنا امرأة ليس لى  
هنا أحد من أوليائى فيزوجنى . فقال عليه الصلاة والسلام : أما ما  
ذكرت من غيرتها ، فانى أدعو الله أن يذهبها عنها ، وأما ما ذكرت من صبيتها  
فان الله عزوجل سيكفيكمهم ، وأما ما ذكرت من أوليائها فليس أحد من أوليائها  
يكرهنى ، فقالت لابنها : زوج رسول الله ﷺ فزوجها وأصدقها متاعا قيمته  
أربعون درهما ، وتوفيت سنة تسع وخمسين ، ودفنت بالبقيع وصلى عليها  
أبو هريرة فحصلت فى الدنيا أنها صارت زوجة نبي وفى الآخرة تكون معه  
فى الجنة ، فحصل لها خير الدارين وخلد ذكرها من المشرقين الى  
المغربين ، على رغم أنف مموه الحق بالمين .

وأما ما زعمه هذا النصرانى أنه لم يف لها من ذلك الضمان بحرف  
واحد ، فهو كذب وبهتان ، فقد نقل الرواة كما فى شرح المواهب اللدنية  
 وغيره أنه عليه الصلاة والسلام دعا فكانت فى النساء كأنها ليست منهن  
لا تجذ من الغيرة شيئا . وأما الصبية فقد قال لها عليه الصلاة والسلام  
فيهم : « وأما العيال فالى الله ورسوله » فكان الأمر كذلك . وأما مسألة  
أوليائها فصاروا مستبشرين فرحين بما هنالك . وليت شعرى من أين  
علم هذا النصرانى أنه عليه الصلاة والسلام لم يف لها بحرف واحد ،  
وهو خلاف ما فى كتب المسلمين ، وليس للنصارى كتب وسير ، حتى  
نقول انه نقله من كتبهم ، فما هذا الا اختلاف ودور وقع على رده  
الاتفاق .

قوله : « وزينب بنت جحش » الى آخره قد بينا فيما سبق كيفية  
تزوجها عليه الصلاة والسلام رابها أممة بنت عبد المطرب عمه رسول  
الله ﷺ وكانت تحت زيد بن حارثة فلما طلقها وانقضت عدتها وتزوجها  
رسول الله ﷺ بأمر الله جل وعز قال المنافقون : حرم محمد نساء

الولد وقد تزوج امرأة ابنه أى الذى تبناه — ولم يكن ابنه — فأنزله الله تعالى « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » الآية وكان اسمها برة فسمها عليه الصلاة والسلام زينب وكان تزوجها له ﷺ سنة خمس من الهجرة وهى أول من مات من أزواجه بعده ، وتوفيت فى المدينة سنة عشرين ، ولها ثلاث وخمسون سنة ، وصلى عليها عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، قالت عائشة فى شأنها : ولم تكن امرأة خيراً منها فى الدين ، وأنقى لله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد ابتذالاً لنفسها فى العمل الذى تتصدق به وتتقرب به الى الله تعالى •

ثم اعلم : أن فى سبب عدم دخوله عليه الصلاة والسلام على زينب وبقيّة نسائه شهراً ، خلافاً • ففى شرح البخارى للقسطلانى أنه عليه الصلاة والسلام خلا بمارية القبطية فى بيت حفصة فجاءت فوجدتها معه ، فقالت : يا رسول الله تفعل هذا معى دون نساءك ؟ فقال : لا تخبرى أحداً هى على حرام ، فأخبرت عائشة فاعتزل النبى ﷺ نساءه من أجل ذلك الحديث حين أفثته حفصة الى عائشة ، تسعاً وعشرين ليلة ، اذ الشهر قد يكون تسعاً وعشرين أو السبب تحريم العسل الذى كان شربه وعن عائشة قالت أهدى لرسول الله ﷺ هديه فأرسل الى كل امرأة من نسائه فخصيها فلم ترض زينب بنت جحش بنصيها فزادها مرة أخرى ، فلم ترض فقال رسول الله ﷺ لا أدخل عليكن شهراً •

وفى مسلم من حديث جابر أن أباً بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما دخلا على رسول الله وحوله نساؤه ، يسألن النفقة فقام أبو بكر الى عائشة أى يوبئها • وقام عمر الى حفصة أيضاً • ثم اعتزلهن شهراً وهو تسع وعشرون ليلة ، فيحتمل أن يكون جميع ما ذكر ، كان سبباً لاعتزالهن « انتهى •

فأى منقصة على رسول الله ﷺ ؟ حاشاه فى ذلك ، وأى طعن فى هذا بنبوته عليه الصلاة والسلام فما هنالك ؟ واذا تتبعت نساء الأنبياء

عليهم السلام وجدتهن قد حدر منهن بمقتضى الطبع البشرى أزيد من هذا ، مع أزواجهن عليهم السلام مما هو خلاف الأوى ، الذى ليس فيه على الجميع نقص ولا ملام ، فافهم •

قوله : « وزينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية » كانت تدعى فى الجاهلية أم المساكين لأطعامها اياهم ، فكانت تحت عبد الله بن جحش ثم بعد وفاته تزوجها رسول الله ﷺ سنة ثلاث وأصدقها أربعمائة درهم ولم تلبث عنده الا نحو شهرين وتوفيت فى حياته عليه الصلاة والسلام ودفنت بالبقيع • قوله « وأم حبيبة واسمها رملة » الى آخره • وقيل اسمها هند بنت أبى سفيان كانت تحت عبيد الله بن جحش وهاجر بها الى أرض الحبشة الهجرة الثانية ثم ارتد عن الاسلام ومات هناك ، وثبتت أم حبيبة على الاسلام فنزّوجها رسول الله ﷺ سنة ست • قال المحدثون : ان النبى عليه الصلاة والسلام بعث عمرو ابن أمية الضمرى الى النجاشى ملك الحبشة ليخطبها عليه ، فأرسل النجاشى جاريته أبرهة اليها • فقالت : ان الملك يقول لك ان رسول الله ﷺ كتب الى أن أزوجك منه فأرسلت الى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته وأعظت أبرهة سوارين وخواتم من فضة سرورا بما بشرتها به ، فلما كان العشى أمر النجاشى جعفر بن أبى طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا ، فخطب النجاشى فقال الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيم العزّز الجبار أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون •

• أما بعد •

فقد أجبنا الى ما دعا اليه رسول الله ﷺ وقد أصدقناها أربعمائة دينار ذهباً •

• ثم سكب الدنانير بين يدي القوم •

فتكلم خالد بن سعيد • فقال : الحمد لله أحمدته وأستعينه وأستغفره  
وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله  
أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون •

• أما بعد •

فقد أجنبت الى ما دعا رسول الله ﷺ وزوجته أم حبيبة بنت أبي  
سفيان فبارك الله لرسول الله ﷺ ودفع الدنانير الى خالد بن سعيد بن  
العاص وقبضها • ثم أرادوا أن يقوموا فقال : احبسوا ، فان سنة  
الأنبياء اذا تزوجوا أن يؤكل طعام على الترويح ، فدعا بطعام فأكلوا ثم  
تفرقوا ، وكان أبوها حين تزوجت بمكة قبل أن يسلم ، ثم جاءت الى  
المدينة وبقيت عند النبي ﷺ وماتت بالمدينة سنة أربع وأربعين رضى الله  
تعالى عنها •

**قوله : « وميمونة بنت الحارث »** تزوجها رسول الله ﷺ سنة  
سبع ، وهى التى وهبت نفسها للنبي عليه الصلاة والسلام وتوفيت  
سنة احدى وخمسين بسرف وصلى عليها ابن عباس ، ودخل قبرها رضى  
الله تعالى عنهما •

**قوله : « وجويرية »** الى آخره قال المحدثون : كانت قد وقعت في  
سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى رضى الله تعالى عنه في غزوة  
المريسيع وهى غزوة بنى المصطلق في سنة خمس ، فكاتبته على نفسها ،  
ثم جاءت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث  
وكان من أمرى ما لا يخفى عليك ، ووقعت في سهم ثابت بن قيس ،  
وانى كاتبته نفسى فجئت أسألك فى كتابتى • فقال رسول الله ﷺ :  
فهل لك الى ما هو خير ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أودى  
عنك كتابتك وأتزوجك • قالت : قد فعلت ، فتسامع الناس أن رسول  
الله ﷺ قد تزوج جويرية ، فأرسلوا ما فى أيديهم من السبي فأعتقوهم ،  
وقالوا : أصهار رسول الله ﷺ ، قالت عائشة : فما راينا امرأة كانت

أعظم بركة على قومها منها أعتق في سببها مائة أهل بيت من بنى المصطلق .

وقال ابن هشام : ويقال اشتراها ﷺ من ثابت وأعتقها وتزوجها وأصدقها أربعمائة درهم ، وتوفيت وعمرها خمس وستون سنة ، فأنظر الى رافة ورحمة هذا النبي الرفوف الرحيم عليه أفضل الصلاة والتسليم فان جويرية هذه بنت الحارث بن أبي ضرار ، وهو الذي كان قائد بنى المصطلق لما بلغ النبي عليه الصلاة والسلام أنهم يجتمعون له ، فخرج اليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال له المريسيح ، فتراحم الناس واقتتلوا ، فهزم الله تعالى بنى المصطلق ، فقتل من قتل وسبى من سبى منهم ، كيف عمل مع بنت قائدهم من الاحسان واللطف وحسن الصنيعة والاعفو حتى أعتقها وتزوجها وأمهرها ؟ وصار هذا الحال سببا لعق من سبى واطلاق من أخذ من هذه العشيرة . وهذه حسنة من حسنات تزوجه عليه الصلاة والسلام ، ومكرمة لا ينكرها الا من لا يفرق بين النور والظلام . والحمد لله على دين الاسلام .

قوله : « وصفية اليهودية » الى آخره . هي سيدة قريظة ، والنضير ، من بنى اسرائيل من سبط هرون بن عمران عليه السلام كانت تحت كنانة بن أبي الحقيق ، فقتل يوم غزوة خيبر ، ولما سببت أخذها رسول الله ﷺ وأعتقها وتزوجها وحجبها كسائر نسائه رضوان الله تعالى عليهن ، وكان قد خيرها عليه الصلاة والسلام بين أن يعتقها فترجع الى من بقى من أهلها أو تسلم فيتخذها لنفسه . فقالت : اختار الله ورسوله وفي حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال لها : هل لك في ؟ قالت : يا رسول الله لقد كنت أتمنى ذلك في الشرك ، فكف إذا أمكنني الله منه في الاسلام . ومن حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ رأى بعين صافية خضرة ، فقال : ما هذه الخضرة ؟ فقالت : كان رأسي في حجر أبي الحقيق وأنا نائمة ، فرأيت قمرا وقع في حجرى ، فاستيقظت فأخبرته بذلك ، فطمئنى وقال : تتمنين ماك يثرب ؟ يعنى

رسول الله ﷺ وماتت سنة خمسين ، ودفنت بالبقيع رضى الله تعالى عنها • وكان تزوجها طبق ما أخبر به في العهد القديم أن بنات الملوك يخدمنه •

قوله : « والكلابية وهي فاطمة بنت الضحاك » الى آخره قال المحدثون وغيرهم : تزوجها ﷺ فتعوزت منه حين أدخلت عليه ، فقال لها : عدت بمعاذ • فطلقها وأمر أسامة بن زيد فمتعها بثلاثة أثواب •

قوله : « وحنة بنت ذى الأحية » لم أقف في الكتب الموجودة بين يدي أنها كانت من نسائه عليه الصلاة والسلام ، ولعل هذا النصراني وجد قولاً ضعيفاً ونقله مهجوراً أنها من زوجاته اللاتي لم يدخل بهن ، فحصر اسمها ليروج ما هو بصدده كما هي عادته •

قوله : « وبنت النعمان الكندية » هي أسماء بنت النعمان بن الجون ابن الحرث ، وأجمعوا أن رسول الله ﷺ تزوجها • واختلفوا في سبب فراقه لها ، فقيل لما دعاها • قالت : تعال أنت وأبت أن تجيء ، وقيل علمها بعض لناس كراهة لها أن تقول عند دخولها عليه : أعوذ بالله منك فقالت ذلك • فقال عليه الصلاة والسلام قد عدت بمعاذ ، فسرحتها الى أهلها • وكانت تسمى نفسها بعد ذلك الشقية •

وقيل كان بها وضح ، فقال لها : ألقى بأهلك • وقيل في اسمها أميمة بالتصغير ، وقيل أمامة بالضم ، فهي واحدة اختلف في اسمها • وترجم في الاصابة أميمة بنت النعمان بن شراحيل الكندية بكسر الكاف نسبة الى كندة قبيلة من اليمن ، ذكرها البخارى في كتاب النكاح ، تعليقا عن أبى أسيد وسهل بن سعد ، قال : تزوج ﷺ أميمة بنت شراحيل فلما أدخلت عليه بسط يده اليها ، فكأنها كرهت ذلك ، فأمن أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين • وأخرجه موصولا قبله من وجوه آخر عن أبى أسيد قال : خرجنا مع النبي ﷺ حتى انتهينا الى حائطين فجلسنا بينهما ، ودخل وقد أتى بالجونية فأنزلت في بيت نخل في بيت



أميمة بنت النعمان بن شراحيل ، ومعها دايتها حاضنة لها • فلما دخل عليها ﷺ قال : هبى لى نفسك • قال : وهل تهب المائكة نفسها للسوقة فأهوى بيده يضعها لتسكن ، فقالت : أعوذ بالله منك • فقال : عذت بعماد ، ثم خرج علينا • فقال : يا أبا أسيد اكسها ثوبين وألحقها بأهلها •

وقد رجح البيهقي أنها المستعيزة لهذا الحديث • وتقدم فى أسماء بنت النعمان بن الجون شبيهه بقصتها • فالله أعلم •

• انتهى •

وقد اضطرب هنا كلام العلماء • فمنهم من يقول ان المستعيزة أسماء بنت النعمان • ومنهم من يقول المستعيزة أميمة • ومنهم من يقول ان اسمها أمامة ومنهم من يقول انهما واحدة • ومنهم من يقول انها نسبت مرة الى جدها ومرة الى أبيها، ومنهم من يقول المستعيزة مليكة بنت كعب الكنانية • ومنهم من ينكر تزوجه عليه الصلاة والسلام بمليكة أصلا • كما سيأتى قريبا • وليت شعري أى بأس على النبي ﷺ فى استعاذتها منه ، وأى شئ فيها يחדش شأن النبوة الجليلة المسددة أو يوهى أركانها المشيدة ، وأى وصمة تلحق جنابه الرفيع ومقامه الشريف وشريعته المطهرة ، اذا كان النكاح بلفظ الهبة جائزا فى شرعه المبين ، أو خصه الله سبحانه بأشياء كما خص بأحكام بعض اخوانه النبيين كما بيناه سابقا ، فتذكر •

ثم ان هذه الامراة الناقصة العقل اذا كانت لهم تعرف أن هبة النفس للنبي عليه الصلاة والسلام بمنزلة النكاح ، فقالت ما قالت ، فهل يقدرح فى النبوة أو يشين الفتوى والفتوة ؟ فالجاهل المحقير اذا أساء الأدب لدى الكبير ، ولاسيما النبي البشير النذير لا يحط من جليل قدره أو شرف نبوته بمقدار قطمير ، وقد وقع من الجهلة مع الأنبياء أعظم من هذا بكثير فافهم •

قوله : « ومليكة بنت كعب الليثية ذات الأذاصيص » لا يخفى أنها

ملیكة لا ملكیة قال بعضهم هی التي استعادت من النبی ﷺ وكثیر من العلماء ینكر تزوجه بها أصلا • وقال غیر واحد : انه لم یتزوج كنانیة قط • وقد مره وبهرج هذا النصرانی كلامه ، لینال بزعمه مرامه ، وقال ذات الأقسامیص لیروج علی ضعفه العقول وعدیمی الاطلاع علی المنقول أن لهذه الامرأة أعاجیب فی تزوجها بالنبی ﷺ أو أنها وقع منها أمور غریبة أو صدر منه علیه الصلاة والسلام وحاشاه فی أمر نكاحها مسائل عجبیة ، مع أنه ان صح أمر تزوجها فلم یكن شیء فی ذلك ، سوى أنها لما كانت امرأة ناقصة العقل ولم تر قبل ذلك هیبة النبوة وجمالة الرسالة ، فدهشت أو خافت ، فاستعادت أو حسدت فعلت ، وغشت ولم تعلم ما یترتب علی هذه الكلمة ، ولعلها بزعمها أنها تكلمت بأحسن القول والمحب من الكلام ، ولما صدرت منها الاستعادة أعادها علیه الصلاة والسلام وانصرت من خدمته أى انصرام •

قوله : « وماریة آی القبطیة بنت شمعون » أهداها له المقوقس القبطی صاحب مصر والاسكندریة ، وأهدى معها أختها سیرین ، وخصیا یقال له مأبور ، وألف مثقال ذهباً وعشرین ثوباً لینا ، من قباطی مصر ، وبغلة شهباء ، وحماراً أشهب وعسلاً من عسل بنها ، ووهب علیه الصلاة والسلام سیرین أحسان ، وماتت ماریة فی خلافة عمر رضی الله تعالی عنه سنة ست عشرة ودفنت بالبقیع •

قوله : « وریحانة » وقیل اسمها ربیحة بالتصغیر ماتت قبل وفاته علیه الصلاة والسلام بسنة عشر ودفنت بالبقیع ، وطأها علیه الصلاة والسلام بملك الیمین ، وقیل أعتقها وتزوجها رضی الله تعالی عنها •

قوله : « قال بولس : ان الذی له زوجة انما غایته أن یصرف عنایته الی رضی زوجته » الی آخره •

فأقال لهذا النصرانی : ان هذا مردود عقلاً ونقلًا ومستهجن فطرة وشرعاً وحكمة ، وباطل بالبداهة من وجوه عديدة ، لأن الله سبحانه لما

خلق آدم خلق زوجته حواء من ضلعه ونفسه ، ليسكن أيهما ويجعل  
التراد والتناسل منهما ومن ذريتهما ليم ما أراد الله سبحانه في سابق  
علمه ، من وجود هذا العالم ، وعبادة بنى آدم فترجينا الترهيب على  
التزوج مفض الى خلاف ما أراد الله سبحانه من خلق البشر ، ولانقطع  
النسل وبطل النهى والأمر ، ولو كان كما زعم لما تزوج الأنبياء  
والمرسلون وعباد الله الصالحون ، مع أنا رأينا أن بعضهم لم يكتف  
بواحدة ولا اثنتين ، بل تزوج مئين من النساء وتسرى بمئات من الجوارى  
والاماء كما قدمنا لك مفصل ذلك • ولو كان التزوج مستتبعا والحصورية  
أمرا مرجحا ، لما امتن الله تعالى على ابراهيم أنه يجعل نسله كتراب  
الأرض ، ويبارك في اسحاق واسماعيل ويكثر نسلهما جدا • ولو كان  
عدم التزوج أولى وأحسن من التزوج ، لأمر الله سبحانه عباده بذلك ،  
ولجعله ديننا وشريعة عامة ، أو حكما خاصا بأنبيائه وأصفياؤه ، مع  
أنا رأينا الأمر بخلاف ما زعمت وبضد ما حررت •

وينبغى على زعمك أن الأنبياء لم يعبدوا ربهم جل وعز ، ولم  
يخدموه ، لأنهم خدموا أزواجهم وبنينا عليه الصلاة والسلام لم تكن  
عنده الخمس عشرة امرأة والأمتان كهن في زمن واحد ، كما تبين لك  
سابقا بل بعضهم لم يدخل بهن وبعضهن توفين ولم يبقين عنده سوى  
شهر وشهرين • وسيرته عليه الصلاة والسلام وسيرتهن معلومتان  
وعبادته وتقواهن مشهورتان • وهذا من الدلائل على نبوته ﷺ أنه توفى  
عن تسع من نسائه ، مع شكرهن له وعدم نقصان عبادته ومع كثرة  
صومه وصلواته في آناء الليل وأطراف النهار حتى تورمت قدماه  
الشريفتان من كثرة قيامه في صلواته وتهجده في محرابه ، وحتى أنه  
كان عليه السلام يثد الحجر على بطنه من الجوع مع قيامه بأمر  
النبوة وما تتضمنه الرسالة والدعوة العامة والارشاد والتعليم لكافة  
الأمم •

ولنذكر لك أيضا بعض الحكم المتعلقة بشأن الزواج وتوجهه عليه  
الصلاة والسلام مثل ما تقدم لك غير مرة مع زيادة عليه من كلام الحافظ

ابن حجر ، ثم نردفه بكلام بعض النصارى الموافق لما ادعيناه وتعقبناه به على « عبد المسيح » فيما ادعاه •

وقال التحافظ ابن حجر في الكلام على قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لسعيد بن جبير « هل تزوجت ؟ » قلت : لا قال : « فتزوج ، فان خير هذه الأمة أكثرها نساء » ما نصه : « وكأنه أشار الى أن ترك التزويج مرجوح ، اذ لو كان راجحا ما آثر النبي ﷺ غيره وكان مع كونه أخشى الناس لله وأعلمهم به يكثر التزويج لمصلحة تبليغ الأحكام التي لا يطلع عليها الرجال ولاظهار المعجزة البالغة في خرق العادة لكونه كان لا يجد ما يشبع به من الأقوت غالبا • وان وجد كان يؤثر بأكثره ويصوم كثيرا ، ويواصل • ومع ذلك كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة ولا يطاق ذلك الا مع قوة البدن ، وقوة البدن تابعة لما يقوم به من استعمال المقويات من مأكول ومشروب ، وهى عنده عليه الصلاة والسلام نادرة أو معدومة • ووقع في الشفاء : « أن العرب كانت تمدح بكثرة النكاح لدلالته على الرجولية » الى أن قال : « ولم يشغله كثرتهم عن عبادة ربه ، بل زاده ذلك عبادة لتحصينهم وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايتهن اياهن وكأنه أراد بالتحصين قصر طرفهن عليه ، فلا يتطلعن الى غيره ، بخلاف العزبة ، فان العفيفة تتطلع بالطبع البشرى الى التزويج ، وذلك هو الوصف اللائق بهن •

والذى تحصل من كلام أهل العلم في الحكمة في استنكاره من النساء عشرة أوجه :

أحدها : أن يكثر من يشاهد أحواله الباطنة فينتفى عنه ما يظن به المشركون من أنه ساحر أو غير ذلك •

ثانيها : لتتسرف به قبائل العرب بمصاهرته فيهم •

ثالثها : للزيادة في تألفهم لذلك •

رابعها : للزيادة في التكليف حيث كان ، أن لا يشغله ما حبه

اليه منهن عن المبالغة في التبليغ •

خامسها : أتكثر عشيرته من جهة نسائه فتزداد أعوانه على من يحاربه •

سادسها : نقل الأحكام الشرعية التي لا يطلع عليها الرجال لأن أكثر ما يقع مع الزوجة مما شأنه أن يختفى مثله •

سابعها : الاطلاع على محاسن أخلاقه الباطنة • فقد تزوج أم حبيبة وأبوها اذ ذاك يعاديه ، وصفة بعد قتل أبيها وعمها وزوجها فلو لم يكن أكمل الخلق في خلقه لنفرن منه ، بل الذي وقع أنه كان أحب اليهن من جميع أهلن •

ثامنها : ما تقدم من خرق العادة له في كثرة الجماع مع التقليل من المأكول والمشروب وكثرة الصيام والوصال ، وقد أمر من لم يقدر على مؤن النكاح بالصوم في قوته عليه الصلاة والسلام : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء » فأشار الى أن كثرة الصيام تكسر شهوته فانخرقت هذه العادة في حقه ﷺ •

تاسعها وعاشرها : ما تقدم من تحصينهن والقيام بحقوقهن انتهى •

ولننقل لك شيئا من كتاب البراهين الانجيلية ضد الاباطيل الباباوية للمعلم البرتستاني ميخائيل مشاqqه المطبوع في بيروت سنة ١٨٦٣ ما لفظه : « وأما قذفه زبيجة لوثرانس فهو في غير محله لأنه عمل الأفضل لأن الرسول علمنا بأن الزواج هو خير من التوقد بنار الشهوة • ومن المعلوم أن الاكثرين من رسل المسيح كانوا ذوى نساء تجرل معهم كما هو واضح من كلام بولس الرسول • وأما الاحتجاج بنذره ، فاذا كان يلزمه حفظه ، فلا تكون المخالفة أكثر جرما من مخالفة أية وصية كانت من وصايا الكنيسة غير العادلة ، هذا وان النذر يلزم أن يكون عادلا وممكنا وجائزا ومقدورا عليه ، وله ثمرة صالحة •

ومن المعلوم أن الطبيعة البشرية تغضب الانسان على استيفاء حقها ، ومن العدل أن تستوفيه وليس بمحرم عليها استيفاءه حسب الشريعة ولا استطاعة لجميع البشر على حفظ البنولية ولذلك ترى كثيرين من الأساقفة والقسوس والشمامسة ، بل من الباباوات المدعين بالعصمة قد تكدسوا في هوة الزنا لعدم تحصينهم بالزواج الشرعى ، هذا وان ذات النذر بالاقناع عن الزواج ، هو غير عادل لتضمنه سلب حقوق الطبيعة وكونه يضع الانسان تحت خطر السقوط في الزنا ويفتح بابا واسعا لدخول الشيطان أن يجربه ، وبنوع ما كان الراهب ينذر على نفسه مقاومة كلمة الله الذى قال لآدم وحواء « أئمنا وأكثرنا » وأنه يمنع أن يأتيه نسل يسبح الله تعالى •

وبالجملة انه يعدم وجود ألوف ألوف ، ربما كانت تتولد من ذريته فكأنه قد قتلها • وهذا النذر لم تأمر به الشريعة الانجيليه قط ، بل ترى أن شريعة موسى التى أباحت تعدد الزوجات خلافا للحق الطبيعى قد نقضها السيد المسيح بقوله : « لم يكن فى البدء هكذا ان الله خلقهما ذكرا وأنثى » •

فالآن كنيسة رومية تريد أن تتعلم منها بأن الله لم يخلق أنثى لذلك الراهب ولا ذكرا لتلك الراهبة لكى لا يتناسلا ويتعاونوا على المعيشة ، فاذا كان لا يحق للزوج أن ينذر العفة بدون سماح زوجته كونها معه جسدا واحدا بمعنى مجازى • وبالْحَقِيقَةُ هِىَ منفصلة عنه ، فكيف يلتزم بهذا النذر ضد طبيعته التناسلية التى على الدوام تطلب منه حقها ؟ وهى معه جسد واحد بالحقيقة لا بالمجاز ، ولها عليه الاستيلاء التام ، الذى نالته من الخالق تعالى •

فأقول : ان طريقة الرهبانية هى اختراع شيطانى قبيح ، لم يكن له رسم فى الكتب المقدسة ولا فى أجيال الكنيسة الأولى ، وهو مضر على أنفس الرهبان • وعلى الرهبان • وعلى الشعب • فمن يقاومه يقاوم الشيطان • وهؤلاء الرهبان لا نفع لهم للرعية ، انما هم كالذين يتخذون

لأنفسهم قصورا خارج العمران ، فيتنعمون وحدهم في أديرتهم ويسلبون أموال الشعب بالحيل والمخادعات • وهم كسالى بطالون يعيشون من أتعاب غيرهم ، خلافا لسأوك رسل المسيح والمبشرين « انتهى بحروفه •

وقد قدمنا لك سابقا ما يزيدك وضوحا في الأجوبة عن مسألة التزوج بواحدة أو أكثر فتذكره فليس في العهد من قدم •

وأما قوله : « قال الرب المسيح لا يقدر العبد أن يخدم ريين » الخ • فالعجب من هذا الاستدلال ، لأنه هو قد عبد ريين باعترافه ، لأنه جعل المسيح هنا ربا وعبده مع الله رب العالمين • بل قد عبدت النصرى ثلاثة أرباب بل أكثر ، كما فصلنا لك في كتابنا هذا • فلا تغفل •

وأما بقية كلام هذا النصرانى « عبد المسيح » المتقدم هنا الذى سرد أمثاله فيما سبق فتعرف أجوبته وبيان خطئه وكذبه مما قدمناه لك في موضعه آنفا • ولا حاجة بنا الى الاعداد كعادته خشية من سامة التالين • والله سبحانه الموفق والمعين وهادى الضالين •

قال النصرانى : « ولكن فلندع الآن ذكر هذا ونأخذ في ذكر أعلام النبوة التى يجب معها الاقرار ان أتى بها بأن يسمى نبيا ورسولا وننظر فيما أتى به صاحبك • وهل يوافق أو يشبه شيئا مما جاءت به الأنبياء ويشاكاه ؟ وهل يجب علينا قبول ذلك منه أو رده عليه ؟ فنقول : ان النبى معناه النبىء أى المخبر بالأمر الذى لم يكن أتى به مخبر قبله ، فيخبر به قبل وقوعه ، أو بالأمر الذى كان ولم يعرف كيف حدثه ، وانما يوثق بأخباره عن صحة ما يخبر به بالآيات التى تصدق حكايته وتشهد على صحة اخباره ، وذلك مثل موسى نبى الله الذى أخبرنا فى السفر الاول من التوراة المدعو سفر الخليقة كيف كان خلق السموات والأرض وما فيهما • وكيف كان خلق آدم وحواء ، وما كان من قصتهما وقصة قابيل وهابيل وقوم نوح والطوفان وقصة ابراهيم وولده ، ولم يزل ينسق تلك الأخبار خبرا بهد خبر ، حتى انتهى الى خبره ، وكيف كان تجلى الله له فى

العوسجة ، ثم خبره مع بنى إسرائيل وفرعون ومصر ، الى أن توفاه الله ، ويخاط مع أنبيائه ما وعد الله من ادخال بنى اسرائيل أرض الميعاد ، وأنه مزع أن يورثهم أرض الجبارة التي هي بلاد الشام . وكان ذلك على ما أنبا به وحقق ما أخبرنا به من الخبر الماضى بالآيات والاعاجيب التي فعلها ، فعلمنا أنه كان صادقا بكل حكاياته وما جاء به عن الله جل وعز فهذه شريطة النبي بما كان وما يكون من الأمور ، وعرفنا صدق ما قاله من الخبر المستقبل بصحة ما رأينا من وقوع الأمر وتمامه عند دخول بنى اسرائيل أرض الجبارة بالأيدي القوية فحصات له بذلك شريطة النبي بالخبر الذي لم يكن قبل حدوثه ، فقد وجب من هاتين الشريطين أن موسى نبي بالحقيقة .

فأما النبي بالخبر الذي لم يكن قبل وقوعه فيكون ذلك على وجهين اما مع قرب أزمان وحضور الوقت ، واما على بعد الزمان وطول الأيام .  
والدليل على ذلك وتصحيحه : الآيات والمعجزات والعجائب والجرائح التي هي أعلام النبوة ، التي أن يصح القول والانباء ، مثل الذي تنبا به أشعيا النبي لحزقيا الملك حيث ورد عليه السخاريب ، ملك الموصل بجيشة فهاهره وكتبه بما كتبه به من البغي عليه والوعيد والاستطالة ، فشكا حزقيا ما دهمه به الى الرب ، فأوحى الله الى أشعيا النبي : اني قد سمعت دعاء حزقيا فامض اليه وقل له يقول لك الرب اله اسرائيل اليلة تكفى مؤنة سخاريب . فلما كانت اليلة بعث الله ملاكه فقتل من عسكر سخاريب مائة ألف وخمسة وثمانين ألف رجل مدجج ، فلما أصبح سخاريب ورأى ما نزل بأصحابه ولى هاربا .

ومثل قول أشعيا أيضا لحزقيا حين كان مريضا وقد أشفى ان الله قد أفاك من هذه المرضة وقد زاد في أجلك خمس عشرة سنة .  
ودليلك على ذلك : أن الشمس راجعة في مسيرها عشر درجات وكان ذلك كما قال النبي ، ورجعت الشمس ورا حزقيا من مرضه ذلك ، وما توفي الا لتمة خمس عشرة سنة ، فهذا انباء مع آية ودليل في وقت واحد . ومثله ما أنبا به عن أمر الرب المسيح السيد جل وعز أنه يواد



من العذراء ويدعى اسمه عمانوئيل وتفسير ذلك « الهنا معنا » وأنبأ أيضا بأشياء كثيرة وأخبر بها على بعد العهد وطول الأيام من خراب بيت المقدس وسبى بنى اسرائيل الى بابل ، وكان ذلك على بعد العهد وتأخره وصح كله وتم كما قال . ومثل ذلك ما أخبر به ارمياء النبي عن خراب بيت المقدس أيضا ودخول بخت نصر اليه وهدمه اياه وسببه بنى اسرائيل ونقله اياهم الى بابل ، وأنهم ماكنون ببابل في ذلك السبى وفي تلك العبودية سبعين سنة ، ثم يرجعون فيبنون بيت المقدس ويقيمون في مساكنهم ، فكان بعض ذلك وهو حاضر ، ثم تمت نبوته وظهر صدق قوله وصحة ما حكاه عن الله عز وجل في ذلك الوقت ، عند تمام المسجدين سنة التي حداها لمقامهم ببابل .

مثلا تنبأ دانال النبي عن رجوع بنى اسرائيل الى بيت المقدس وكان ذلك على ما حكاه . وتنبأ لبيلشاصر الملك عن الرؤيا التي رآها بيلشاصر فخبره بالوحي عما كان مزمعا أن يحل به ، فحل به ودانيال حاضره .

ومثلا تنبأ أيضا على قتل المسيح وأنه لا تقوم لليهود بعد قتله قائمة ، وأنهم يمزقون في البلاد كل ممزق ، ويبطل ملكهم وتضمحل رئاستهم وكان ذلك كما قال . وكذلك فعل جميع الأنبياء ومن استحق اسم النبوة بالحقيقة ، وكذلك كانت الملوك والأهم يفعلون بمن ادعى عندهم شيئا من النبوة لا يقبل منه ذلك الا بعد المحنة الشديدة والمناظرة الطويلة والمطالبة بالدليل والبراهين . فمن جاء بدليل صحيح وبرهان واضح وحجة مقنعة قبلوا ذلك منه ، ومن لم يأت بشيء من هذا كذبوه ونكلوا به . والا كان كل من اتى بهذيان أو بكلام منثور أو كهانة أو زجرا ، وقال ، كان داخلا في جملة من تنبأ وكانت الملوك تفعل ذلك بتوفيق الله .

فأما المسيح الرب مخلص العالم فان قدره يجبل عن النبوة لأن مرتبته أعلى وأشرف وأرفع من مرتبة الأنبياء فان الأنبياء عبيد الله تبارك

وتعالى والمسيح هو الابن الحبيب كلمة الله الخالقة وهو الباعث الأنبياء  
والتوحى اليهم والموجد الرسل والمؤيد لهم بالكلمة المتجسدة فيه ، وقد  
تنبأ لليهود وللحورانيين بما يدل دلا قاطعا على أنه يعلم الغيب ويكتنه  
الضمائر وأنه لا تخفى خافية وأنه خبير بالسرائر وبما هو مزعم أن يكون  
قبل كونه في الوقت الذي كان مقيما معهم مترددا بينهم . مثل قوله لهم  
وقد اجتمعوا حوله يروونه ببناء هيكل بيت المقدس ويعجبونه من جودة  
بنائه وصحته وحسنه وتماهه « الحق الحق أقول لكم انه لا يبقى من  
هذا البناء حجر على حجر الا وينقض » .

ومن اخبارهم بما هو مصيهم من الجوار ونازل بهم من القتل  
والسبي ، فكان ذلك كقوله بعد صعوده مجدا الى السماء بأربعين سنة ،  
ومثلما كان يخبرهم أيضا بما في ضمائرهم وما يكتمونونه في أنفسهم من  
تدبيرهم في قتله ، ومثل قوله لتلاميذه وهم مقيمون في بيت المقدس  
« ان العازر صديقنا قد رقد » وكان العازر هذا نازلا في موضع يعرف  
ببيت عنيا على فراسخ من بيت المقدس « فامضوا بنا نيقظه » فقال له  
تلاميذه وقد كان اتصل بهم عظم مرض العازر : أيها السيد ان كان  
قد رقد فقد برىء على عادة المرضى ، انهم اذا ناموا بعد السهر المقلق  
من شدة المرض ، فذلك دليل على عافيتهم ، فأما لم يفهموا كلامه صرح  
لهم القول معلنا : « ان العازر صديقنا قد توفي ، فأنا ماض لأبعثه حيا  
من بين الأموات » فمضى وهم معه فبعثه حيا ودفعه الى أخته مريم  
ومرثا . وذلك بعد أربعة أيام من موته .

وكتوبه لسمعان الصفا . فقد قال لتلاميذه ليلة آخر عهدهم به ان  
جميعكم في هذه الليلة يخذلني . فقال له سمعان : سيدي ان خذاك الناس  
كلهم فلا أخذاك أنا أبدا . فقال له السيد المسيح : الحق أقول لك ستجد  
معرفة في الليلة ثلاث مرات قبل صياح الديك ، فجزع سمعان لذلك جزءا  
شديدا ونفر نفورا عظيما لقوله ذلك ، فلم يصح الديك في تلك الليلة حتى  
جحد سمعان معرفته ثلاث مرات في ثلاثة مواضع مختلفة ، حالفا بغليظ  
الايمان على جحوده وانكاره ، ونظر المسيح السيد اليه ، ففكر سمعان

كلامه فبكى وندم على ما كان منه في جحوده وانكاره • راجع الاصحاح التاسع الآية الثالثة والعشرين من متى والاصحاح السابع والحادى عشر من يوحنا « انتهى •

فأقول وبالله التوفيق هذا الكلام الطويل الذى مزج فيه الحق بالأباطيل قد تقدمت لئله أجوبة كثيرة ، وامتحننا زيف عجره وبجره ، ونحن والحمد لله تعالى فى غنى عن تكرار رده اذ ما أيقينا سابقا فى القوس منزعا ولا فى الكأس مترعا • وبيننا دلائل نبوة نبينا المصطفى المكرم والرسول الصادق الأمين المعظم ﷺ بحيث لم يبق لكل ذى عقل منصف مجال الا الايمان برسالته الثابتة بمعجزات الأقوال الغيبية والأفعال •

وأما المعجزات التى سردها الأنبياء فاننا مؤمنون بصحيحها الذى تواترت به الأنبياء • وأما ما ذكره من ألوهية المسيح بن مريم صلى الله على نبينا وعليه وسلم فقد أثبتنا أننا ابطالها وبيننا فى بدهامة العقل محالها وأكدنا ذلك بالبراهين النقلية وأن القول بها سفسطة لا تخفى على ذوى الرؤية ، بل تستحق بالقائل بها ( الخزى من ) كافة ذوى العقول والأديان الا عباد الصور المنقوشة فى الجدران ، الذين لعب بعقلهم والعياذ بالله تعالى الشيطان :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الشهد من سقم

غير أنا نذكر ما يتعلق ببعض كلماته •

فمن ذلك : ما يتعلق بلفظ « النبى » من كلام اللغويين والشرعيين • قال الراغب فى مفرداته : النبى بغير همز فقد قال النحويون أصله الهمزة فترك همزه واستدلوا بقولهم مسيامة نبى سوء وقال بعض العلماء هو من النبوة أى الرفعة وسمى نبيا لرفعة محله عن سائر الناس المداول عليه بقوله تعالى « ورفعهاه مكانا عليا » فالنبى بغير همزة أبلغ من نبىء بالهمز لأنه ليس كل منبىء رفيع المحل والنبوة والنباوة الارتقاع ، ومنه نبأ بفلان مكانه كقولهم أقض عليه مضجعه « • انتهى •

وقال غيره : النبي فعيل بمعنى فاعل من النبأ وهو الخبر لأنه مخبر عن الله عز وجل أو بمعنى مفعول لأنه مخبر ، فهو من المهموز عند المحققين منهم سيبويه ، غير أنهم تركوا الهمز في النبي كما تركوه في الذرية والبرية والخابية الا أهل مكة ، فانهم يهزون هذه الأحرف يعني هذه الكلمات ولا يهزون في غيرها ويخالفون العرب في ذلك •

وفي المصباح والابدال والادغام لغة فاشية • وقيل من النبوة بمعنى الرفعة لأنه رفيع المرتبة فأبدلت الواو ياء لسبقها وسكونها • ويعرف : بأنه انسان حر ذكر أوحى اليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه ، فان أمر فهو رسول أيضا • كما هو المشهور • وقيل : هما مترادفان • والمشهور أيضا : أن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا والرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر ، وقيل غير ذلك •

ومن ذلك قوله : « ومثله ما أتيا عن أمر الرب المسيح السيد - جل وعز - أنه يولد من العذراء ، ويدعى اسمه عمانوئيل تفسير ذلك « الهنا معنا » •

اما نحن المسلمون فلا نجد لكم في المبشرات بالمسيح عليه السلام الواردة في العهد القديم ، مما يوافق القرآن العظيم في شأن المسيح عليه الصلاة والسلام لأننا معترفون بعبوديته • ورفعته الى السماء من غير أن تمسه أيدي اليهود بسوء ، ونقول ببشائر الأنبياء عليهم السلام به وبأخيه السيد المصطفى من خلق الله تعالى صلى الله تعالى عليهما وسلم لكننا لا نسلم لكم قتل اليهود له بل شبه لهم •

وما ورد بزعمكم في الكتب السماوية من الاشارة الى قتله فخلاف الواقع كما سنبيسطه ان شاء الله تعالى ، غير أن اليهود ينازعونكم فيما استدلتتم به من العهد القديم على نبوته ، اذ عندهم له محامل • آخر ولا يسلمونه لكم وبأسكم بينكم فلأجل ما حررته لا يسعني البحث عن هذه البشائر المشيرة بزعم النصارى الى حال المسيح عليه السلام ولا

الكلام هنا عليها ، كما لا يخفى وسيأتى ان شاء الله تعالى فى محله أن  
عمانوئيل ليس هو المسيح ، فانتظره ولا تغفل •

ومن ذلك قوله : « ومثل ما تنبأ أيضاً على قتل المسيح وكان ذلك  
كما قال » الى قوله « فان المسيح مخلص العالم يجلب عن النبوة »  
فيقال لهذا النصرانى : يا الله العجب من اله يجل فى الأرحام ويحتاج الى  
الغذاء والفظام ويجوع ويشبع ويهان ويصفع ويتغوط ويبول ويفر من  
الآلام ويستغيث عند صلب اليهود ويقول : الهى الهى أم تركتنى ؟  
فاليهود تتنتله والنصارى تأكله ، وملائكته لا تخلصه من أولئك الأقوام •  
وليت شعرى لو كان هو الاله فكيف يستغيث بنفسه ؟ ولم لم يخلصها  
من يد اليهود وهم من جملة مخلوقاته وليسوا من جنسه ؟ وكيف كان  
هذا الاله ثلاثة أجزاء ، فأى جزء منه كان عند القتل فى الأرض وأيهما كان  
فى السماء ؟ مع أن الثلاثة لا تقسم على السواء • ولقد أحسن البويصيرى  
حيث يقول :

واحد نقص فى عدكم أم نماء ؟  
عنه الآباء والأبناء  
باله لذاته أجزاء  
ز اله يمسسه الأعياء  
حمار بجمعهم مشاء  
نسبة عيسى اليه والانتماء ؟  
خصت ثلاث بوصفه وثناء ؟  
فى معانى النبوة الأنبياء  
تم ولأمواتكم به أحياء  
ه تعالى ذكر القول هراء

ليت شعرى ذكر الثلاثة وال  
كيف أوجدتم لها نفى التوحيد  
ءاله مركب ؟ ما سمعنا  
أهو الأراكب الحمار فياجب  
أم جميع على الحمار ؟ لقد ضل  
أم سواء هو الاله فما  
أم أردتم به الصفات فلم  
أم هو ابن الله ما شاركته  
قتلته اليهود فيما زعم  
ان قولاً أظفتموه على اللا

ولنتكلم على كلماته هذه الباطلة بفضول :

## الفصل الاول

### فى

### اثبات نبوته ورسالته بما أظهر من معجزاته وآياته

وهذا مخالف لاعتقاد اليهود والنصارى • وهما فيه على طرفي النقيض • فأما اليهود فيرمونه وحاشاه بأنه ابن يوسف النجار وبالكذب والسحر والنيرنجات واستسحار الشياطين في أغراضه ، وقالوا انه لم يحي ميتا قط ولا أبرأ ذا علة وعاهة ولكنه واطأ صديقا له يقال له « العازر » فتماوت ثم انه دخل عليه في جماعة معه فوجد أمه تبكى فقال لها لا تبكى ثم وضع يده فقام وادعى في البلد أنه أحياء ، وكانت أمه تهتف بذلك لشغفها به • قالوا : وواطأ آخر فجلس على الطريق كأنه زمن فلما طال مقامه وعرف بالزمانة والاستعطاء مر به في أناس معه كأنه لا يريده ، فناداه : ارحمنى يا ابن داود فأجابه ما الذى تريد ؟ فقال : أريد أن أنهض فأخذ بيده وأقامه ، فقام وقد تعقدت رجلاه من طول الجلوس • وكانت أمه تشنع أن يسوع أقامه • واستبعد آخرون منهم هذا • فقالوا : لا ولكن لطفت معرفته بالطب الى أن أبرأ الأكمه والأبرص وأقام الزمنا ونسبوه الى بنوة الزنا كما شهد به الانجيل اذ يقولون له فى محاوراتهم كما فى الاصحاح الثامن من يوحنا « أما نحن فلسنا من أولاد الزنا » واذ قد ثبتت معجزاته وآياته عليه السلام بالطرق التى ثبتت بها معجزة الأنبياء قبله ، وصح التواتر باحيائه الأموات وخوارقه للعادات وادعائه للنبوة ، فلم يبق لانتقاد فى نبوته سبيل وكان ما يعترض به اليهود على المسيح عليه السلام منعكسا عليهم فى معجزات أنبيائهم ، وكل سؤال انعكس على سائله فهو باطل من أصله كما لا يخفى • وأما النصارى فهم مجمعون الا من شذ منهم على ألوهيته واعتقاد ربوبيته وأنه الاله الذى خلق العالم وجبل بديه طنة آدم ، وأنه هو الذى بزق سائر الحيوان ويدير أمر الأكوان

منذ كان فهو المتصرف في الكائنات وديان للأحياء والأموات • وهو المجازى يوم الدين والمحاسب للمكثفين • والمسلمون يعتقدون نبوته ويثبتون عبوديته وينفون صلبه وألوهيته ويعترفون أنه ولد من مريم بلا والد وخلق بواسطة النفخ من ماء واحد • ولنثبت ان شاء الله تعالى الآن عبوديته ونبوته من كتبهم التي بأيديهم •

**فأما اثبات عدم ألوهيته :** فقد أسلفناه لك غير مرة ورجعنا عليه الكرة بعد الكرة ، فلا حاجة الى كثرة التكرار ، فقد ظهرت الشمس وأسفر النهار وقال يوحنا في الاصحاح الثالث عشر حاكيا ما قاله المسيح عن نفسه ما نصه : « وأعطاه السلطان أن يحكم أيضا لأنه ابن البشر » وقال أيضا في الاصحاح الرابع : « قال المسيح لتلاميذه طعمامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى وأتمم عمله » وقول يوحنا أيضا في هذا الاصحاح : « لأن يسوع نفسه شهد أن ليس لنبى كرامة في وطنه » وقال في الاصحاح الخامس : « أقول لكم ان من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية » وقول يوحنا فيه أيضا : « الأعمال بعينها التى أنا أعملها هى تشهد لى أن الآب قد أرسلنى » وقول يوحنا في الاصحاح السابع عشر : ان المسيح قال : « وهذه هى حياة الأبد أن يعرفوك أنت الاله الحق وحدك والذى أرسلته يسوع المسيح » وقال أيضا في الاصحاح السادس : « قال المسيح لا أعمل مشيئتي بل مشيئة الذى أرسلنى • وهذه مشيئة الآب الذى أرسلنى أن كل ما أعطانى لا أتلف منه شيئا » وقال يوحنا في الاصحاح السابع : « أجابهم يسوع وقال : تعلیمی ليس لى بل الذى أرسلنى ان شاء أحد أن يعمل مشيئته يروم التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسى ؟ من يتكلم من نفسه ، مجد نفسه يطلب وأما من يطلب مجد الذى أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم » وقول يوحنا في الاصحاح السابع عشر : « ويعام العالم أنك أرسلتنى ، وأنت أحببتهم كما أحببتنى » فهذا دليل واضح على أنه مرسل وأنه غيره لأن المحب غير المحبوب •

وقال أيضا في الاصحاح الثامن : « قال لهم يسوع لأتى لم آت

من نفسي بل ذاك أرسلني » وقول يوحنا أيضا في الاصحاح التاسع في بحث الأعمى الذي أبرأ عينيه عيسى عليه السلام واختلف اليهود حينئذ في عيسى ما نصه : « قالوا أيضا للأعمى ماذا تقول أنت عنه من حيث أنه فتح عينيك ؟ فقال : انه نبي » انتهى • وقال لوقا في الاصحاح التاسع : « من قبل هذا الولد يقبلني ومن قبلني يقبل الذي أرسلني » وفي الاصحاح الثالث عشر من انجيل متى ما نصه : « وأما يسوع فقال لهم ليس نبي بلا كرامة الا في وطنه وفي بيته » • انتهى •

وهذا تصريح منه عليه السلام بأنه نبي لا يكرم في وطنه وبيته ، بل اذا هاجر فانه يكرم في دار هجرته ، وأمثال هذه الآيات الواردة في أناجيلهم المصراحة بنبوته وبأنه بشر كثيرة تركناها خشية الملل •

فان قالوا : نسلم أن الله تعالى أرسله وأنه بشر من جهة ناسوته لكن لاغرو أن يرسل كلمته رحمة أطلقه ولطفا بهم فأرسل ابنه الحقيقي الذي هو الكلمة وتجسد من مريم ليتهدى الناس للسمع منه والأخذ عنه • قلنا : قد بينا مرارا أن هذا ترويح للباطل وتقريب للمستحيل ، وفساد بالبداية ، وجمع بين الأضداد وإشراك بالله عز وجل وتجزئة للخالق ومكابرة في المحسوسات وجعل القديم حادثا والحادث قدما والمتعدد فردا والفرد متعدد ، والصفات أجساما والأجسام صفات ، والغنى محتاجا والمحتاج غنيا ، والمخلوق خالقا لنفسه وجسمه والعلة لشيء معلولة لذلك الشيء نفسه ، إذ داود علة لوجود عيسى عليه السلام وعيسى خالق داود عليه السلام • وهل يقول هذا الا من لا يفرق بين الملك والمالك والسمك والسماك والفلك والفلك والنور والحلك والأنثى والذكر والسم والسكر والذرة والمدر والقمر وزحل والعلقم والعسل ؟ وهل القول بهذه السفسطة الا مكابرة مع النفس وانكار لضوء الشمس وخرافات لا يرضاها المغفلون ولا من به عته وجنون ولم يسمع بمثله الأولون ؟ وهل القول بذلك من الانصاف ؟ وقد اتضح الحق لكل ذى لب لا يكتفم ما يجب به الاعتراف • فكما طلبه هذا المؤلف منا فنحن



نطلبه منه ومن أمثاله ونؤمل من طالب الحق أن يتأمل ما قلنا وأن لا يخالف بين أقواله وأفعاله .

على أن الكلمة قديمة أزلية لأنها على ادعائهم اما العلم أو النطق فكيف يصح ارسالها ؟ أفريزعم أن الآب بعد ارسالها بقى أخرس جاهلا بغير علم ولا نطق ؟ ثم الكلمة هي صفة العلم فكيف تفارق الأصفة ذات البارئ سبحانه وتعالى والصفة لا تفارق موصوفها ؟ أو يزعم أن الصفة تقوم بمحليين . وكيف قدر الخلائق على رؤية الكلمة القديمة ، وثبتوا عند مواجهتها . والتوراة تشهد أن موسى عليه السلام لم يثبت عند جلال التجلى بل خر صعقا وغيره مات عند سماع الكلام ، والكتب السماوية تنادى على أن الله سبحانه لا يرى . ولما كلم الله تعالى موسى من العوسجة أضاء له الوادى . والعجب أن عيسى لم يضىء نيفا وثلاثين سنة في ذلك النادى وكيف تجسدت الكلمة فصارت لحما ودما وشعرا وعظما وتجعوج وتظما وتخرج منها الفضلات وتحلها الآلام والحصابات وأن الله سبحانه ولد علمه فصار انسانا ثم يقتله أذل مخلوقاته من بنى آدم ظالما وعدوانا ، ثم تأكله في كل روم بالعشاء الربانى النصرارى كما يأكل الصيادون الضبى والحبارى ويشربون كأس الخمر المقدس فيقلب الى دم فهم منه سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ؟

★ ★ ★

## الفصل الثانى

قال العلامة شمس الدين محمد المعروف بابن قريم الجوزية من فصيل أن الروح حادثة مخلوقة ، ما لفظه : « ثم ان الجهمى ادعى أمرا أنا نجد آية في كتاب الله تعالى ما يدل على أن القرآن مخلوق قول الله تعالى : « انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته أتانا الى مريم وروح منه » وعيسى مخلوق . قلنا له : ان الله تعالى منعك الفهم

للقرآن . ان عيسى عليه السلام تجرى عليه ألفاظ لا تجرى على القرآن لأننا نسميه مولودا أو طفلا وصبيا وغلاما يأكل ويشرب وهو مخاطب بالأمر والنهي يجرى عليه الخطاب والوعد والوعيد ، ثم هو من ذرية نوح ومن ذرية ابراهيم ، فلا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى ، فهل سمعتم الله تعالى يقول في القرآن ما قال في عيسى ؟ ولكن المعنى في قوله : « انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته » قال : كلمته التي ألقاها الى مريم حين قال له كن فكان عيسى بكن ، وليس عيسى هو كن ، ولكن كان بكن ، فكن من الله قول وليس كن مخلوقا . وكذبت النصارى والجهمية على الله سبحانه في أمر عيسى ، وذلك أن الجهمية قالوا روح الله وكلمته الا أن كلمته مخلوقة . وقالت النصارى : عيسى روح الله وكلمته فالكلمة من ذاته كما يقال هذه الخرقه من هذا الثوب .

قلنا نحن : ان عيسى بالكلمة كان ، وليس عيسى هو الكلمة ، وانما الكلمة قول الله وقوله « وروح منه » يقول روح من أمره كأن الروح فيه كقوله : « وينذر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه » يقول من أمره وتفسيره روح الله انما معناه بكلمة الله خلقها كما يقال عبده الله وسماه الله وأرض الله ، فقد صرح بأن روح المسيح مخلوقة فكيف بسائر الأرواح ، وقد أضاف الله تعالى اليه الروح الذي أرسله الى مريم وهو عبده ورسوله ، ولم يدل ذلك على أنه قديم غير مخلوق . فقال تعالى : « فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ، قالت : انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال : انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا » فهذا الروح هو روح الله وهو عبده ورسوله .

واعلم أن الروح في القرآن العظيم جاء على عدة وجوه :

احدها الوحي كقوله تعالى : « أوحينا إليك روحا من أمرنا » وقوله سبحانه « يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده » وسمى الوحي روحا لأجل ما يحصل به من حياة القلوب والأرواح .

والثانى : القوة والثبات والنصرة التى يؤيد بها من يشاء من عباده  
المؤمنين كما قال تعالى « أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح  
منه » •

الثالث : جبريل عليه السلام كقوله تعالى « نزل به الروح الامين  
على قلبك » وهو روح القدس قال تعالى « قل نزله روح القدس » •

الرابع : الروح التى سأل عنها اليهود من النبى ﷺ فأنزل عليه  
قوله تعالى : « ويسألونك عن الروح • قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم  
من العلم الا قليلا » أى من خلق ربي • وقد قيل : انها الروح المذكورة  
فى قوله تعالى « يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون » وانها  
الروح المذكورة فى قوله عز وجل « تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم »

وقيل : انما كان السؤال عن روح الانسان فأنزل قوله تعالى  
« قل الروح من أمر ربي » الآية يعنى لو سئلتهم عن خلق أنفسكم وعن  
مدخل الطعام والشراب ومخرجهما ما وصفتم ذلك حق صفته وما  
اهتديتم لصفتهما •

الخامس : المسيح قال الله تعالى : « انما المسيح عيسى بن مريم  
رسول الله وكلمته ألقاهما الى مريم وروح منه » •

وأما أرواح بنى آدم فقد قال كثيرون انه لم يقع تسميتها فى  
القرآن الا بالنفس قال تعالى : « يا أيها النفس المطمئنة » وقال تعالى :  
« فلا أقسم بالنفس اللوامة » وقال عز وجل : « ان النفس لامارة  
بالسوء » وقال تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » وقال تعالى :  
« اخوا أنفسكم » وقال تعالى : « ونفس وما سواها » انتهى •

ثم قال : وأما استدلالهم باضافتها اليه سبحانه بقوله : « ونفخت  
فيه من روحي » فينبغى أن يعلم أن المضاف اليه سبحانه نوعان :  
( الأول ) صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم والقدرة والكلام والسمع

والبصر ، فهذه اضافة صفة الى الموصوف بها ، فعلمه وكلامه وارادته  
وقدرته وحياته عز وجل صفات له غير مخلوقة •

( الثاني ) اضافة أعيان منفصلة كالبيت والناقة والعبد والرسول  
والروح قلت : وكذا الرجل كما في الكتب السماوية رجل الله • فهذه  
اضافة مخلوق الى خلقه ومصنوع الى صانعه ، لكنها اضافة تقتضى  
تخصيصا أو تشريفا يتميز به المضاف اليه عن غيره كبيت الله وان كانت  
البيوت كلها ملكا له جل وعز ، وكذلك ناقة الله والنوق كلها ملكه وخلقته  
لكن هذه اضافة الى ألهيته تقتضى محبته لها وتكريمه وتشريفه بخلاف  
الاضافة العامة الى ربوبيته حيث تقتضى خلقه وايجاده • فالاضافة  
العامة تقتضى الخلق والايجاد والخاصة تقتضى الاختيار ، والله يخلق  
ما يشاء ويختار مما خلقه كما قال : « وربك يخلق ما يشاء ويختار »  
واضافة الروح اليه من هذه الاضافة الخاصة لا من العامة ولا من  
باب اضافة الصفات فتأمل هذه المواضع فانه يخلصك من ضلالات كثيرة  
وقع فيها من شاء الله تعالى من الناس •

فان قيل : فما تقولون في قوله تعالى : « ونفخت فيه » فأضاف  
النفخ الى نفسه وهذا يقتضى المباشرة منه تعالى كما في قوله عز وجل :  
« خلقت بيدي » ولهذا فرق بينهما في الذكر في الحديث الصحيح في  
قوله عليه الصلاة والسلام : « فيأتون فيقولون أنت آدم أبو البشر  
خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء  
كل شيء » فذكروا لآدم أربع فضائل اختص بها عن غيره ، ولو كانت  
الروح التي فيه انما هي من نفخة الملك لم يكن له خصيصة بذلك ،  
وكان بمنزلة المسيح بل وسائر أولاده • فان الروح حصلت فيهم من  
نفخة الملك • وقد قال تعالى : « فاذا سويته ونفخت فيه من روحي »  
وهو الذى سواه بيده وهو الذى نفخ فيه من روحه •

قيل : هذا الموضع هو الذى أوجب هذه الطائفة أن قالت بقدم

الروح وتوقف فيها آخرون ولم يفهموا مراد القرآن ، فأما الروح  
المضافة الى الرب سبحانه فهي روح مخلوقة أضافها الى نفسه اضافة  
تخصيص وتشريف كما بينا •

وأما النفخ فقد قال تعالى في مريم : « **والتى أحصنت فرجها  
فنفخنا فيه من روحنا** » ، وقد أخبر في موضع آخر أنه أرسل اليها الملك  
فنفخ في فرجها فكان النفخ مضافا الى الله أمرا واذا والى الرسول  
مباشرة • ويبقى هنا أمران :

أحدهما : أن يقال فاذا كان النفخ حصل في مريم من جهة الملك ،  
وهو الذى ينفخ الأرواح في سائر البشر فما وجه تسمية المسيح روح  
الله ؟ واذا كان سائر الناس تحدث أرواحهم من هذه الروح فما خاصية  
المسيح ؟ •

الثانى : أن يقال : فهل تعلق الروح بادم بواسطة نفخ هذا الروح  
أى هو الذى نفخها فيه باذن الله تعالى كما نفخها في مريم ، أم الرب  
سبحانه هو الذى نفخها في نفسه كما خلقه بيده اللائقة بذاته التى  
ليست كبد مخلوقاته ؟ قيل : لعمر الله انهما سؤالان مبهمان •

فأما الأول : فالجواب عنه أن الروح الذى نفخ في مريم هو الروح  
المضاف الى الله تعالى الذى اختصه لنفسه ، وأضافه اليه وهو روح  
خاص من بين سائر الأرواح وليس بالملك الموكل بالنفخ في بطون  
الحوامل من المؤمنين والكفار ، فان الله سبحانه وكل بالرحم ما كما ينفخ  
الروح في الجنين فيكتب رزق المولود وأجله وعمله وشقاوته وسعادته ،  
وأما هذا الروح المرسل الى مريم فهو روح الله الذى اصطفاه لنفسه  
فكان لمريم بمنزلة الأب لسائر النوع ، فان نفخته لما دخلت في فرجها  
كان ذلك بمنزلة لقاح الذكر للانثى من غير أن يكون هناك وطء وأما  
ما اختص به آدم فهو أنه لم يخلق كخلقته المسيح من أم ولا كخلقته  
سائر النوع من أب وأم ولا كان الذى نفخ الله فيه منه هو الملك الذى

ينفخ الروح في سائر أولاده ، ولو كان كذلك لم يكن لأدم فيه اختصاص وانما ذكر في الحديث ما اختص به لى غيره وهو أربعة أشياء خلق الله له بيده الملائكة به سبحانه اذ ليس كمثله شىء ونفخه فيه من روحه واسجاد ملائكته له وتعليمه أسماء كل شىء • فنفخه من روحه يستلزم نافخا ونفخا ومنفوخا منه • فالمنفوخ منه هو الروح المضافة الى الله تعالى فمنها سرت النفخة في طينة آدم • والله تعالى هو الذى نفخ في طينته من تلك الروح • هذا هو الذى دل عليه النص • وأما كون النفخة بمباشرة منه سبحانه كما خلقه بيده أو أنها حصلت بأمره كما حصلت في مريم ، فهذا يحتاج الى دليل •

والفرق بين خلق الله تعالى له بيده ونفخه فيه من روحه : أن اليد غير مخلوقة والروح مخلوقة والخلق فعل من أفعال الرب سبحانه ، وأما النفخ فهل هو من أفعاله القائمة به أو هو مفعول من مفعولاته القائمة بغيره المنفصلة عنه سبحانه ؟ هذا مما يحتاج الى دليل • وهذا بخلاف النفخ في فرج مريم ، فأنه مفعول من مفعولاته وإضافة اليه لأنه بأذنه وأمره عز وجل ، فنفخه في آدم هل هو فعل أو مفعول ؟ وعلى كل تقدير فالروح التى نفخ منها في آدم مخلوقة غير قديمة وهى مادة روح آدم ، فروحه أولى أن تكون حادثة مخلوقة وهو المراد « انتهى •



### الفصل الثالث

قال المفسرون في تفسير قوله تعالى : « واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت : انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا • قال : انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا » الآيات •

انها اعتزلت وانفردت من أهلها وأتت مكانا شرقيا من بيت المقدس أو من دارها لتتخلى هناك للعبادة • وقيل قعدت في شرقه لتغتسل من الحيض

محتجبة بحائط أو بجبل أو بثوب • وروى بعضهم : أنه كان موضعها في المسجد فإذا حاضت تحولت الى بيت خالتها وإذا طهرت عادت الى المسجد ، فبينما هي في مغتسلها أتاها الملك عليه السلام في صورة شاب أمرد وضرب الأوجه جمع الشعر والأكثر على أنه جبريل عليه السلام وعبر عنه بما في الآية لأن الدين يحيى به وبوحيه فهو مجاز ، والاضافة للتشريف كبيرت الله • وقرأ أبو حيوة وسهل « روحنا » بفتح الراء • والمراد به جبريل أيضا لأنه سبب لما فيه روح العباد • وقيل : تمثل في صورة قريب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وذلك لتستأنس بكلامه وتتلقى منه ما يلقي إليها من كلماته اذ لو بدا على ذلك الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع مفاوضته • وانما تمثل على الحسن الفائق واتجمال الرائق لأن عادة الملك اذا تمثل أن يتمثل بصورة بشر جميل كما كان يأتي النبي ﷺ في صورة دحية رضي الله تعالى عنه أو لاجتلائها وسبر عفتها • ولقد ظهر منها من الورع والعفاف مالا غاية وراءه •

فان قلت : ان جبريل عليه السلام شخص عظيم الجثة جسما تطقت به الأخبار وكذا غيره من الملائكة الذين ورد في الكتب السماوية أنهم تصوروا بصورة الانسان عند مجيئهم الى بعض الأنبياء عليهم السلام فمتى صار في مقدار جثة الانسان يلزم أن لا يبقى جبريل ان تساقطت الأجزاء الزائدة على جثة الانسان ، وأن تتداخل الأجزاء ان لم يذهب شيء وهو محال • وأيضا : لو جاز التمثيل ارتفع الوثوق وامتنع القطع بأن هذا الشخص الذي يرى الآن هو زيد الذي رأى أمس لاحتمال التمثيل • وأيضا : لو جاز التمثيل بصورة الانسان فلم لا يجوز ان تمثله بصورة أخرى غير صورة الانسان ؟ ومن ذلك البعوض ونحوه ومعلوم أن كل مذهب يجر الى ذلك فهو باطل • وأيضا : لو جاز ذلك ارتفع الوثوق بالخبر المتواتر كخبر مقاتلة النبي ﷺ يوم بدر لجواز أن يكون المقاتل هو الممثل به •

## قلنا :

أجيب عن الأول بأنه لا يمتنع أن يكون لجبريل عليه السلام أجزاء أصلية قليلة وأجزاء فاضلة فبالأجزاء الأصلية يكون متمكنا من التمثل بشرا . هذا عند القائلين بأنه جسم . وأما عند القائلين بأنه روحاني ، فلا استبعاد في أن يتدرع تارة بالهيكل العظيم وأخرى بالهيكل الصغير .

وعن الثاني بأنه مشترك الالتزام بين الكل ، فان من اعترف بالصانع القادر الزمه ذلك أيضا اذ يجوز أن يخلق سبحانه مثل زيد مثلا ، ومع هذا الجواز يرتفع الوثوق ويمتنع القطع على طرز ما تقدم . وكذا من لم يعترف وأسند الحوادث الى الاتصالات والتشكلات الفلكية يلزمه ذلك ، لجواز حدوث اتصال يقتضى حدوث مثل ذلك ، وحينئذ يمتنع القطع أيضا ولعله لما كان مثل ذلك نادرا لم يلزم منه قدح في العلوم العادية المستندة الى الاحساس ، فلا يلزم الشك في أن زيد الذي نشاهده الآن هو الذي شاهدناه بالأمس .

أجيب عن الثالث بأن أصل التجويز قائم في العقل وانما عرفه فساده ب:لائل السمع وهو الجواب عن الرابع ، كذا قال الامام الرازي عليه الرحمة .

ثم انه عليه السلام دنا منها فنفخ في جيبيها فدخلت النفخة في جوفها فحملت بعبسى عليه السلام . وقيل : انه لم يدنو بل نفخ عن بعد ، فوصل الريح اليها فحملت . وقيل ان النفخة كانت في كفاها . وقيل : كانت في ذيلها وقيل كانت في فمها . واختلف في سننها اذ ذاك فقيل ثلاث عشرة سنة وقيل : أقل . وقيل : قد كانت حاضت حيضتين . وقيل : انها لم تكن تحيض أصلا بل كانت مطهرة من الحيض . وكذا اختلفوا في مدة حملها . فعن ابن عباس والباقر رضى الله تعالى عنهما كانت ساعة واحدة كما حملته نبذته ، واستدل لذلك بالتمهيب في قوله تعالى « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » وقيل انها كانت سبعة أشهر وقيل ستة أشهر وقيل



حملته في ساعة ، وصور في ساعة ، ووضعتة في ساعة حين زالت الشمس من يومها • والمشهور أنها كانت ثمانية أشهر قيل ولم يعش مولود لثمانية أشهر غيره عليه السلام •

ثم لما نفخ جبريل عليه السلام في جيبها وحملت حتى اذا أثقلت اعتزلت بعيدا من أهلها وراء الجبل ، لأنها كانت في بيت النبوة فاستحيت وهربت حياء من قومها ، فأخذت نحو المشرق وخرج قومها في طلبها ، فجعلوا يسألون عنها فلا يخبرهم أحد • وروى الثعلبي في المعرائس أن مريم لما حملت كان معها ابن عم لها يسمى يوسف النجار ، وكانا منطلقين الى المسجد الذي عند جبل صهيون وكانا معا يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم أن أحدا من أهل زمانهما أشد اجتهادا وعبادة منهما • وأول من علم أمرها يوسف فتحير في ذلك لعلمه بكمال صلاحها وعفتها ، وأنها لم تغب عنه ساعة ، فقال لها : قد وقع في نفسي شيء من أمرك لم أستطع كتمانته • وقد رأيت الكلام فيه أشفى لصدري • فقالت : قل قولاً جميلاً • فقال : يا مريم أخبريني هل ينبت زرع بغير بذر ؟ وهل تنبت شجرة من غير غيث ؟ وهل يكون ولد من غير ذكر ؟ فقالت : نعم • ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر ؟ ألم تعلم أن الله تعالى أنبت الشجرة من غير غيث ؟ وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجر ، بعد ما خلق كل واحد منهما على حدة • تقول : ان الله سبحانه لا يقدر على أن ينبت الشجرة حتى يستعين بالماء ؟ قال : لا أقول هذا • ولكني أقول ان الله تعالى يقدر على ما يشاء ، بقول : « كن فيكون » فقالت : ألم تعلم أن الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى ؟ فعند ذلك زال ما يجده • وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل وضيق القلب •

فلما دنا نفاسها أوحى الله تعالى اليها أن اخرجي من أرض قومك ، لئلا يقتلوا ولدك ، فاحتملها يوسف الى أرض مصر على حمار له ، فلما

بلغت تك البلاد أدركها النفاس ، فكان ما نصه سبحانه في القرآن الكريم .

وقيل : انتبذت أقصى الدار . قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : ولما اشتد عليها الطلق نظرت الى أكمة فصعدت مسرعة ، فاذا عليها جذع نخلة نخرة ، ليس عليها سعف ، وكان الوقت شتاء ، فقالت : « ياليتنى مت قبل هذا » استحياء من الناس وخوفا من لائمهم ، والا فهى تعلم ما جرى بينها وبين جبريل من الوعد الكريم .

وقيل : انها تمننت الموت لأنها سمعت نداء : اخرج يا من يعبد من دون الله فحزنت لذلك ، وتمنت الموت ، فنادها جبريل وكان في مكان أسفل منها « لا تحزنى قد جعل ربك » أسفل منك جدول ماء .

وروى أن جبريل ضرب برجله الأرض فظهرت عين ماء عذب ، فجرى جدولا « وهزى اليك بجذع النخلة ، تساقط عليك رطبا جنيا » فجعل الرطب يقع بين يديها وكان برنيا وقيل عجوة وانما كان رطبا لأنه ورد أنه ما للنفساء خير من الرطب ، ولا للمريض خير من العسل .

ثم قال لها جبريل « فامأ ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت الرحمن صوما » أى امسكا عن الكلام . وقيل وعن الأكل أيضا « فلن أكلم اليوم انسيا » .

وبعد انقضاء نفاسها جاءت الى قومها تحمل عيسى ، فلما دخلت عليهم تباكوا وقيل هموا برجمها ، فأشارت الى عيسى أن كلموه فقالوا « كيف نكلم من كان في المهدي صبيا » وكان عيسى عليه السلام يرضع ، فلما سمع ما قالوا ترك الرضاع وأقبل بوجهه عليهم وانكأ على يساره وأشار بسبابته . وقيل : ان زكريا أقبل يستنطقه . قال « انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا » أى نفاعا « أينما كنت ، وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرأ بوالدتى ولم يجعلنى جبارا

شقيقا والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا «  
ثم ان مريم عليها السلام بعد أن فطمته وصلح للتعليم جعلته مع صبيان  
اليهود ، ليتعلم ، ثم بعد ذلك بمدة سنين أتاه الوحي وادعى النبوة وآمن  
به البعض وكفر به الأكثرون من بنى اسرائيل ، ثم انه رفع الى السماء  
فاختلف الأجزاء فيه •

فأما اليهود فطعنوا فيه وحاشاه وصلبوه بزعمهم وأما النصارى  
فاختلفوا أيضا فيه ، فقال نسطور : هو ابن الله — تعالى عن ذلك —  
أظهره ثم رفعه • وقال يعقوب : هو الله تعالى هبط ثم صعد • وقال ملكا :  
هو عبد الله ونبيه • وفي الملك والنحل أن الملكانية قالوا ان الكلمة  
يعنى أقنوم العلم اتحدت بالمسيح عليه السلام وتدرعت بناسوته ، وقالوا  
أيضا : ان المسيح عليه السلام ناسوت كلى لا جزئى وهو قديم وقد  
ولدت مريم الها قديما أزليا والقتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت  
معا • وقد قدمنا من أمر النصارى ما فيه كفاية فليتذكر •



## الفصل الرابع

فى

الأدلة على ان المصلوب الشبه

وأنه عند قتله على قاتليه اشتبه

والدلالة على رفعه اليه

لشرفه عنده ومكانته لديه

قال النصارى : القول بالقاء الشبه على عيسى عليه السلام قول  
يفضى الى السفسطة والدخول فى الجهالات وما لا يليق بالعتلاء لأننا اذا  
جوزنا ذلك ، فينبغى اذا رأى الانسان ولده أو زوجته لم يثق بأنه ولده  
ولا بأنها زوجته • وكذلك سائر المعارف لا يثق الانسان بأحد منهم  
ولا يسكن اليه • ونحن نعائم بالضرورة أن الانسان يقطع بأن ولده

هو ولده ، وأن كل واحد من معارفه هو من غير شك ولا ريبة ، بل القول بالشبه يمنع من الرثوق بمدينة الانسان ووطنه اذا دخله • ولعله مكان آخر ألقى عليه الشبه ، بل اذا غض الانسان عينه عن صديقه بين يديه لحظة ثم فتحها ينبغي أن لا يقطع بأنه صديقه لجواز اللقاء الشبه على غيره • وكل ذلك خلاف الضرورة • فالقول باللقاء الشبه على غير عيسى خلاف الضرورة ، كالقول بأن الواحد نصف العشرة مثلا ، فلا يسمع على أنه قد اجتمعت أمتان وهما اليهود والنصارى على أنه صلب بنفسه ، فيكون ذلك متواترا • وأيضا : ان النصارى يدعون على اليهود صلبه ، واليهود يعترفون بذلك ، فقول المسلمين ان المصابوب غيره لا يلتفت اليه لأنه انكار للمتواتر وتكذيب لتصديق الخصم المقرب بدعوى خصمه •

• انتهى •

فتقول : ان هذا سؤال بحسب الظاهر فيه شبهة مؤثرة في النفوس تصدق دعواهم وكلام باطل • وسيظهر عند الامتحان زيف كلامهم • والجواب عنه من وجوه :

أحدها : ان هذا تهويل ليس عليه تعويل ، بل البراهين القاطعة والأدلة الساطعة قائمة على أن الله تعالى خلق الانسان وجملة أجزاء العالم ، وأن حكم الشيء حكم مثله • فما من شيء خلقه الله تعالى في العالم الا وهو قادر على خلق مثله ، اذ لو تعذر خلق مثله لتعذر خلقه في نفسه فيلزم أن يكون خلق الانسان مستحيلا ، بل جملة العالم • وهو محال بالضرورة • واذا ثبت أن الله تعالى قادر على خلق مثل لكل شيء في العالم ، فجميع صفات جسد عيسى عليه السلام لها أمثال في حيز الامكان في العدم ، يمكن خلقها في محل آخر غير جسد المسيح ، فيحصل الشبه قطعا • فالقول بالشبه قول بأمر ممكن لا بما هو خلاف الضرورة • ويؤنس ذلك أن التوراة مصرحة بأن الله تعالى خلق جميع ما للحية في عصا موسى عليه السلام ، وهو أعظم من الشبه ، فان جعل حيران يشبهه

حيوانا وانسان يشبه انسانا أقرب من جعل نبات يشبه حيوانا •

وقلب العصا مما أجمع عليه اليهود والنصارى كما أجمعوا على قلب النار بردا وسلاما ، وعلى قلب لون يد موسى عليه السلام وعلى انقلاب الماء خمرا وزيتا للأنبيا عليهم السلام واذا جوزوا مثل هذا فليجوز القاء الشبه من غير استحالة على أن عيسى عليه السلام قد خولفت عادة الله تعالى الأغلبية في خلقه من ماء واحد ونفخ جبريل في جيب مريم ، فجعل شبهه على غيره ليس بأبعد عن العادة من خلقه ، على أن ابراء للموتى وبراءه للأبرص والأكمه أعظم من القاء شبهه على غيره • على أن عروجه الى السماء بناسوته وخرق السماء والتنامها ، ليس بأهون من ذلك • على أن رد الشمس ليشوع بن نون ومشى عيسى وحواريوه على الماء وسائر معجزات أنبياء بنى اسرائيل ليس بأهون مما هنالك • واذا صح عند النصارى انقلاب الخبز الى جسد المسيح والخمر الى دمه في العشاء السرى ، لم لا يمكن أن يوقع شبيهه على أحدهم ؟ كما لا يخفى •

وثانيها : ان الانجيل ناطق بان المسيح عليه السلام نشأ بين ظهرانى اليهود ، وحضر مرارا عديدة في مواسمهم وأعيادهم وهياكلهم يعظهم ويعلمهم وينظرهم ويتعجبون من براعته وكثرة تحصيله ، حتى أنهم كما في الانجيل يقولون : « أليس هذا ابن يوسف ؟ أليست أمه مريم ؟ أليس اخوته عندنا ؟ فمن أين له هذه الحكمة ؟ » واذا كان في غاية الشهرة والمعرفة عندهم • وقد نص الانجيل على أنهم عند ارادة الصلب لم يحققوه حتى دفعوا لتلميذه ثلاثين درهما ليدلهم عليه ، فما حاجتهم حينئذ أن يكتروا رجلا من تلاميذه ليعرفهم شخصه لولا وقوع الشبه الذى نقول به ؟ •

ونسرد لك ما وقع في اناجيلهم مما يدل على ذلك ، وعلى أن المسيح عبد الله ورسوله :

فتد قال يوحنا في الأصحاح الثامن عشر من انجيله ما لفظه :

« خرج مع تلاميذه الى عبر وادى قدرون وكان هناك بستان دخله هو وتلاميذه وكان يهوذا الذي أسلمه يعرف ذلك الموضع ، لأن يسوع كان يجتمع هناك مع تلاميذه كثيرا ، وان يهوذا أخذ الجند من عظماء الكهنة والفريسيين شرطا ، وجاء الى هناك بسرج ومصابيح وسلاح ، ويسوع كان عارفا بكل شئ سيأتى عليه ، فخرج وقال لهم : من تطلبون ؟ فأجابوه يسوع الناصرى • قال لهم يسوع : أنا هو • وكان أيضا يهوذا دافعه واقفا معهم ، فلما قال لهم أنا هو ، رجعوا الى ورائهم وسقطوا على الأرض فسألهم أيضا : من الذى تطلبون ؟ فقالوا يسوع الناصرى • أجب يسوع : قد قلت لكم انى أنا هو ، فان كنتم تطلبوننى دعوا هؤلاء يذهبون » انتهى •

**وقال مرقس فى الأصحاح الرابع عشر من انجيله ما لفظه : « وقال**

لهم : ان نفسى حزينة حتى الموت ، فأقيموا هنا واسهروا ، ثم تقدم قليلا وخر على الأرض وكان يصلى ان كان يستطيع تعبر عنى الساعة » وفى نسخة « ان كان تتعداه الساعة ، فقال : أيها الأب كل شئ بقدرتك أجزأ عنى هذه الكاس لكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت • وجاء فوجدهم نياما » الى أن قال : « وجاء ثلاثة وقال لهم : ناموا الآن واستريحوا قد بجأت الساعة ، ها ان ابن الانسان يسلم فى يدي الخطة • قوموا نذهب • ها هو الذى يسلمنى فهو قريب ، وبينما هو يتكلم جاء يهوذا الاسخريوطى واحد من الاثنى عشر ومعه جمع كثير بسيف وعصى من عند رؤساء الكهنة والكتبة والمشيخة ، وكان مسلما قد أعطاهم علامة قائلا : الذى أقبله فهو هو ، فأمسكوه وسوقوه باجتهاد فلما جاء دنا منه سريعا ، وقال : السلام يا معلم وقبله ، فألقوا أولئك أيديهم عليه وأمسكوه » انتهى •

**وفى الأصحاح السادس والعشرين من انجيل متى ما لفظه :**

« فحينئذ قال لهم : ان نفسى حزينة حتى الموت ، امكثوا ههنا واسهروا معى ، وبعد قليلا وخر على وجهه وصلى قائلا : يا أبتاه ان كان يستطيع فلتعبر عنى هذه الكاس ، ولكن ليس تكون كارادتى بل كارادتك » الى أن

قال : « وأيضا ثانية مضى وصلى وقال : يا أبتاه ان لم يكن يستطيع ان تعبر هذه الكأس ألا أشربها فلتكن مسرتك » الى أن قال : « حينئذ جاء الى تلاميذه وقال لهم : ناموا الآن واستريحوا ، ها قد اقتربت الساعة وابن الانسان يسلم في أيدي الخطاة قوموا ننطلق ، ها قد قرب الذي يسلمني ، وفيما هو يتكلم اذ جاء يهوذا واحد من الاثنى عشر ، ومعه جمع كبير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة ومشائخ الشعب . والذي أسلمه أعطاهم علامة قائلا : الذي أقبله هو هو فأمسكوه ، وللوقت تقدم الى يسوع وقال له : سلام يا معلم ، وقبله . فقال له يسوع : يا صاحب لأى شىء جئت ؟ حينئذ تقدموا ووضعوا أيديهم على يسوع وأمسكوه » انتهى .

### وفي الأصحاح الثانى والعشرين من انجيل لوقا ما لفظه :

خرج كالعادة ومضى الى جبل الزيتون وتبعه أيضا تلاميذه ، فلما انتهى الى المكان قال لهم : صلوا لئلا تدخلوا التجارب . وهو انفرد عنهم كرمية حجر ، فخر على ركبتيه وصلى وقال يا أبتاه ان كنت تشاء أعبر عنى هذا الكأس ، لكن ليس كمشيئتى بل كمشيئتك لتكن ، فظهر له ملاك من السماء يقويه وصار يتضيق وكان يصلى متواترا وصار عرقه كنقطة دم نازلا على الأرض وقام من الصلاة وجاء الى تلاميذه فوجدهم نياما من الحزن فقال لهم : لماذا أنتم نيام ؟ قوموا صلوا لئلا تدخلوا التجارب . وفيما هو يتكلم واذا جمع ، والمسماى يهوذا الذى من الاثنى عشر قد امهم ، فدنا من يسوع ليقبله ، فقال له يسوع : يا يهوذا بقبلة تسلم ابن الانسان ؟ » الى أن قال : « والرجال الذين أمسكوا يسوع كانوا يهزعون به ويضربونه ويغطونه ويضربون وجهه ويسألونه قائلين : تنبأ من الذى ضربك ؟ وكانوا يقولون وعليه أشياء أخرى كثيرة مجدفين ، فلما كان النهار اجتمع مشائخ الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة وأدخلوه الى مجمعهم ، وقالوا له : ان كنت أنت المسيح فقل لنا . قال لهم : ان قلت لكم لم تؤمنوا لى ، وان سألتكم لم تجيبونى ولم تخاونى » الى أن قال فى الأصحاح الثالث والعشرين : « صلبوه هناك . واللصين أحدهما

عن يمينه والآخر عن شماله وواحد من اللصين المصلوبين كان يجذفه ويقول ان كنت أنت المسيح فنج نفسك ونجنا ، وصاح يسوع بصوت عال وقال : يا أبتاه في يديك أسلم روحي • قال هذا وسلم الروح • انتهى • • فهذا اللبس العظيم مع تلك الشهرة والمعرفة نحو مدة ثلاثين سنة ، وكثير منها انقضى في المجادلات والمحاورات معهم ، يدل دلالة واضحة على وقوع الشبه •

وثالثها : انه كما تقدم في الأناجيل أخذ في حقدس من الليل المظلم في حالة شوهدت صورته وغيرت محاسنه وهيئته بالضرب والسحب وأنواع النكال الموجبة لتغير الحال • ومثل ذلك يوجب اللبس بين الشيء وخلافه ، فكيف يبين الشيء وشبهه ؟ حتى ان رئيس الكهنة عند احضاره أقسم عليه هل هو يسوع المسيح ابن الله ؟ فلم يجبه • ولو كان هو لأجابه ، فمن أين للنصارى واليهود القطع بأن المصلوب هو عيسى عليه السلام دون شبهه ؟ بل انما يحصل الظن والتخمين كما قال الله تعالى في كتابه المبين : « وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه » •

رابعها : قد تقدم في الأناجيل أنه لما جاء اليهود الى مداه خرج اليهم وقال : من تريدون ؟ قالوا : يسوع • وقد حفى شخصه عليهم ، ففعل ذلك مرتين وهم يتكرون صورته • وهذا دليل الشبه ورفع عيسى عليه السلام ، ولاسيما وقد نقل غير واحد من العلماء عن بعض النصارى القول بأن المسيح عليه السلام كان قد أعطى قوة التحول من صورة الى صورة •

خامسها : قول متى في الأصحاح الخامس والعشرين من انجيله ما لفظه : « حينئذ قال لهم يسوع كلكم تشكون في هذه الليلة لأني مكتوب اني أضرب الراعى فتتبدد خراف الرعية ، ولكن بعد قيامي أسيقكم الى الجليل فأجاب بطرس وقال له : وان شك فيك الجميع فأنا لا أشك أبدا • قال له يسوع : الحق أقول لك انك في هذه الليلة قبل أن يصيح الديك تنكرنى ثلاث مرات » انتهى •



فقد شهد عليهم بالشك بل خيرهم « بطرس » الذى هو خليفته عليهم شك ، فقد انخرمت الثقة بأقوالهم وضح قوله تعالى : « وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن » .

سادسها : ان فى الأصحاح السابع والعشرين من انجيل متى ما لفظه : « حينئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه أنه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة . الى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلاً : قد أخطأت اذ سلمت دما برياً ، فقالوا : ما علمنا أنت أبصر ، فطرح الفضة فى الهيكل وانصرف ، ثم مضى وخنق نفسه » انتهى . فهذه الأناجيل ليست قاطعة فى صلبه ، بل فيها اختلافات فيحتمل أن يهوذا كذب عليهم فى قوله : هو هذا . ويدل على وقوع ذلك ويقر به : ظهور ندمه بعد هذا ولاسيما وهو من جملة الاثنى عشر الذين شهد المسيح لهم بالسعادة الأبدية ، والسعيد لا يتم منه مثل هذا الفساد العظيم ، فيلزم اما أن يهوذا ما دل عليه أو كون المسيح ما شهد لهم بالسعادة الدائمة ، أو أن أناجيلهم محرفة مبدلة ، ويحتمل أن أحد أتباع المسيح باع نفسه من الله تعالى وقاية للمسيح عليه السلام وادعى أنه هو ، ومثل هذا كثير فى أتباع الأنبياء حيث يريدون أن يفتدوا أنفسهم بدل أئبائهم لاسيما والمسيح اله بزعم النصرارى ، ويحتمل أن الأعوان أخذوا عليه رشوة وأطلقوه وأخذوا بدله ، كما أن يهوذا مع أنه صديقه ورسوله أخذ رشوة ودلهم عليه ، ويحتمل أن عيسى لما كان الها بزعمهم أرسل أحد ملائكته بدله وخلقته على صورته ، كما أنه خلق آدم على صورته ، ويحتمل أن الله تعالى أرسل شيطانا على صورته وصلبوه ويحتمل أن الملك الذى نزل عليه ليقتويه كما تقدم فى انجيل لوقا بزعمهم ، صار فداه له ، ويحتمل أن هذا الملك الذى نزل انما نزل لرفعه لأنه لو كان نازلا لتقويته لقواه فلما لم تر أنه قواه ، فيقتضى أنه رفعه الى السماء أو فدى نفسه له .

وقال بعض الأفاضل : « ومن الأدلة على رفعه وصلب شبيهه : ما فى الأصحاح التاسع من انجيل لوقا ما لفظه : « ان المسيح صعد الى جبل اصلى وأخذ بطرس ويوحنا ويعقوب معه وفيما هو يصلى صارت

هيئة وجهه متغيرة ولباسه مضيئاً لامعاً ، واذا رجلان يتكلمان معه وهما موسى وايليا اللذان ظهرا بمجد وتكلمتا عن خروجه الذي كان عتيذا أن يكلمه في اورشليم ، وأما بطرس واللذان معه فكانوا قد ثقلوا بالنوم ، فلما استيقظوا رأوا مجده والرجلين الواقفين معه ، وفيما هما يفارقانه قال بطرس ليسوع يا معلم جيد أن نكون ههنا فلنصنع ثلاث مظال لك واحدة ولموسى واحدة ولايليا واحدة ، وهو لا يعلم ما يقول . وفيما هو يقول ذلك كانت سحابة فظلتهم ، فخافوا عند ما دخلوا في السحابة وصار صوت من السحابة قائلاً : هذا هو ابني الحبيب له اسمعوا ، ولما كان الصوت وجد يسوع وحده ، وأما هم فسكتوا ولم يخبروا أحداً في تلك الأيام يشيء مما أبصروه » انتهى .

وهذا فيه دلالة على رفعه وحصول الشبه الذي نقول به إذ لا معنى لظهور موسى وايلياء عليهما السلام ووقوع النوم على أصحابه وتغير وجهه واضاءة لباسه الا رفعه . ورؤيتهم له بعد ذلك إنما هو من تطور روحه لأنه عليه السلام كان له قوة التطور ، وهذا من أحكام الروح والنفس ولأن قلنا : انه لا يدل على الرفع بالوجه التام ، غير أننا ننزل ونقول : ما دام في هذه المرة تغيرت هيئة وجهه ولباسه ، واجتمع بالأنبياء ، وسمع من الغمامة هذا الصوت فلا أقل أن يكون ذلك مقدمة لرفعه ومقياساً ومبدأً لتقويته وايناساً . واليهود لم يتحققوا من أنفسهم أنه هو المسيح ، بل اعتمدوا على قول يهوذا كما تقدم لك . ويهوذا قوله قول فرد وغير صالح للاحتجاج للاحتتمالات والأدلة التي ذكرناها لك ، فلم يبق في قول الفرقتين حجة أن المصلوب هو المسيح عليه السلام لا شبهه ، وأناجيلهم حالها معلوم لديك وبيان اشتباههم المحكى لك في القرآن الكريم لا يخفى عليك .

## الفصل الخامس

قال القرافى : اعلم أن النصارى قالوا أنهم واليهود أمتان عظيمتان طهقوا مشارق الأرض ومغاربها وكلهم يخبر أن المسيح عليه السلام صلب ، وهم عدد يستحيل تواطئهم على الكذب ، والانجيل أيضا مخبر عن الصلب ، وكذا كتب الأنبياء المتقدمين ، فان جوزتم كذبهم وكذب ما يدعى أنه الانجيل وأن مثل هؤلاء ممكن تواطئهم على الكذب ، لزم الحال من وجوه •

أحدها : أنه يتعذر عليكم أيها المسلمون جعل القرآن متواترا •

وثانيها : ان قاعدة التواتر تبطل بالكلية فان غاية خبر التواتر يصل الى مثل هذا •

وثالثها : ان انكار الأمور المتواترة جحد للضرورة فلا يسمع ، فلو قال انسان الخبر عن وجود بغداد ودمشق كذب لم يسمع ذلك منه وعد خارجا عن دائرة العقلاء ، وحينئذ يتعين أن القول بالصلب حق وأن اخبار المسلمين والقرآن عن عدم ذلك مشكل •

والجواب من وجوه :

أحدها : ان جميع النصارى واليهود يوردون هذا السؤال ولا يعلمون حقيقة التواتر ولا شروطه ، وانما فهم ذلك وغيره هذه الأمة المحمدية والملة الاسلامية لعلو قدرها وشرفها واختصاصها بمعاقده العلوم وأزمتها دون غيرها ، كما هو مسلم عند كل درى منصف • وهانحن نوضح ذلك ان شاء الله تعالى فنقول : ان التواتر له شروط :

الشرط الأول : أن يكون المخبر عنه أمر محسوسا ، ويدل على اعتبار هذا الشرط أن الأمة العظيمة قد تخبر عن القضايا الجسيمة وهي

باطلة كخبار المعطلة عن عدم الصانع والفلاسفة عن قدم العالم ، مع بطلان ذلك عند أمم كثيرة ، وسببه : ان مجال النظر يكثر فيه وقوع الخطأ فلا يثق الانسان بالخبر عن العقليات ، حتى ينظر فيجد البرهان العقلي يعضد ذلك الخبر ، فحينئذ يقطع بصحة ذلك الخبر ، أما الأمور المحسوسة مثل المبصرات ونحوها فشديدة البعد عن الخطأ ، وانما يقع الخلل من التواطىء على الكذب ، فاذا كان المخبرون يستحيل تواطئهم على الكذب ، حصل القطع بصحة الخبر •

**الشرط الثامن :** استواء الطرفين والواسطة ، وتحرير هذا الشرط : أن المخبرين لنا اذا كانوا يستحيل تواطئهم على الكذب وكانوا هم المباشرين لذلك الأمر المحسوس المخبر عنه ، حصل العلم بخبرهم ، وان لم يكن المخبر لنا هو المباشر لذلك المحسوس بل ينقلون عن غيرهم أنه أخبرهم بذلك ، فلا بد أن يكون الغير المباشر عددا يستحيل تواطئهم على الكذب ، فانه ان جاز الكذب عليه وهو أصل هؤلاء المخبرين لنا ، فاذا لم يبق الأصل لم يبق الفرع عليه • فلا يلزم من كون المخبر لنا يستحيل تواطئهم على الكذب حصول العلم بخبرهم ، لجواز فساد أصلهم المعتمدين عليه ، فيتعين أن يكون الأصل عددا يستحيل تواطئهم على الكذب •

فهذا معنى قولنا : استواء الطرفين في كونهما عددا يستحيل تواطئهما على الكذب : شرط • فان كان المخبر لنا عددا يستحيل تواطئهم على الكذب وأصلهم الذي ينقلون عنه كذلك ، لكن أصلهم لم يباشروا ذلك الأمر المحسوس ، بل ينقل عن غيره أيضا ، فأفضل ذلك الأصل يجب أن يكون عددا يستحيل تواطئهم على الكذب أيضا ، لما تقدم • وفي هذه الصورة حصل طرفان وواسطة ، فالطرفان المخبر لنا والمباشر الأول والواسطة التي بينهما فيجب استواء الطرفين والواسطة والوسائط تكررت في كونهم عددا يستحيل تواطئهم على الكذب ، فينقسم بهذا التحرير التواتر الى طرف فقط والى طرفين بلا واسطة ، والى طرفين وواسطة • والثلاثة أقسام مشتركة في هذا الشرط • فاذا تقرر حقيقة

التواتر • فنقول :

الحس انما يتعلق بأن هذا مصلوب على هذه الخشبة ، وأما أنه عيسى عليه السلام نفسه أو غيره ، فهذا لا يفيد الحس البتة ، بل انما يعلم بقرائن الأحوال ان وجدت أو باخبار الأنبياء عليهم السلام عن الله تعالى الذى أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا • والذى يدل على أن الحس لا يفرق بين المتماثلات : أنا لو وضعنا فى اناء رطلا من الماء مثلا وأريناه لانسان ثم رفعنا ذلك الماء ووضعنا فيه رطلا آخر من ذلك الماء ، ثم أريناه لذلك الانسان وهنأنا له : هذا الماء هو عين الماء الأول أو مثله ، فانه اذا أنصف يقول : الذى أدركه بحسى أن هذا ماء بالضرورة أما أنه عين الأول أو غيره مماثلا له فلا أعلم ، لكون الحس لا يحيط بذلك • هذا فى المائعات • وكذلك كف من تراب أو أوراق الأشجار أو أنواع الحبوب كالحنطة مثلا اذا أخذ منها حفنتان ونحو ذلك • وكذلك الحيوانات الوحشية والطيور شديدة الاتباس على المحس ، اذا اتحد النوع فى اللون والسن والغلط ، وانما كثرت للفروق فى الحيوانات الانسية كالفرس ونحوها • وسر ذلك أن أسباب النشأة فى الوحشية مشتركة بالمياه والمراعى والبرارى والحيوان الانسى يختلف ذلك فيه بحسب مقتنيه اختلافا كثيرا ، فينشأ بحسب دواعى بنى آدم فى السعة والضيق ، واثار نوع من العلف على غيره ومكان مخصوص على غيره ، والزمام الحيوان أنواعا من الأعمال والرياضة دون غيرها ، فيختلف الحيوان الانسى بحسب ذلك •

ثم يتصل ذلك بالنطف فى التوليد مضافا الى ما يحصل للولد من داعية مربيه فيعظم الاختلاف • والحيوان الوحشى سأم عن جميع ذلك فتشابهت أفراد نوعه ، ولا يكاد الحس يفرق بين اثنين منه البتة ، فاذا تقرر أن الحس لا سلطان له على الفرق بين المثلين ولا التمييز بين الشئيين فيجب القطع أن كون المصلوب هو خصوص عيسى عليه السلام دون شبهه أو مثله ، ليس مدركا بالحس ، واذا لم يكن مدركا بالحس ،

جاز أن يخرق الله تعالى العادة لعيسى عليه السلام شبهه في غيره ، كما خرق له العادة في احيائه الموتى وغيره ، ثم يرفعه ويصونه عن اهانة أعدائه ، وهو اللائق بكريم آلائه في احسانه لخاصة أنبيائه وأوليائه ، وإذا جوز العقل مثل هذا ، مع أن الحس لا مدخل له في ذلك ، بقى اخبار القرآن الكريم عن عدم الصلب سالما عن المعارض ، مؤيدا بكل حجة ، وسقط السؤال بالكلية •

وثانيها : سلمنا أن الحس يتعلق بانتقرفة بين المثلث والتميز بين الشبهين ، لكن لا نسلم أن العدد المباشر للصلب كانوا بحيث يستحيل تواطئهم على الكذب • ويدل على أنهم ليسوا كذلك : أن الحواريين فروا عنه لأنه لو وجد أحد منهم لقتله اليهود ، فحيث عدد التواتر متعذر من جهة شيعة النصارى عن أسلافهم لا يفيد علما بل هو ظن وتخمين لا عبرة به • ولذلك قال الله سبحانه في قرآنه المبين : « وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله إليه » أى هم لا يتيقنون ذلك بل يحرزون بالظن والتخمين ، وأما من جهة الملة اليهودية فلأن المباشر منهم للصلب انما هو الموزعة وأعوان الولاية وذلك في مجرى العادة يكون نفرا قليلا كالاثنين أو الثلاثة ونحوها يجوز عليهم الكذب ولا يفيد خبرهم العلم بكون العادة خولفت ، وتخريج الصلب عدد يستحيل تواطئهم على الكذب يفتقر الى نقل متواتر ، فانه لو وقع ونقل بأخبار الآحاد لم يحصل لنا علم بالصلب فان المتواترات اذا نقلت بأخبار الآحاد سقط اعتبارها في افادة العلم لجواز كذب الناقل ، فلا يكون عدد التواتر حاصلا في نفس الأمر •

والنصارى واليهود انما يعتمدون على التوراة والانجيل ولا يوجد يهودى ولا نصرانى على وجه الأرض يروى التوراة والانجيل ، عدلا عن عدل الى موسى أو عيسى عليهما السلام ، واذا تعذرت عليهم رواية العدل عن العدل ، فأولى أن تعذر التواتر ، ولم يبق في الكتابين الا أخبار وتواريخ بعيدة الزمان جدا ، بحيث أن التواريخ الاسلامية أصح منها لقرب عهدا ، مع أنه لا يجوز الاعتقاد في فروع الديانات على شئ من التواريخ فضلا عن أصول الأديان • واذا ظهر أن مستند

هاتين الأمتين العظيمنتين في العدد في غاية الضعف ، كانت اخبارها في نفسها في غاية الضعف لأن الفرع لا يزيد على أصله .

وثالثها : ان نصوص الانجيل مشعرة بعدم صلب عيسى عليه السلام بخصوصه . كما نقلنا بعضها آنفا .

وسننقل أيضا قريبا ان شاء الله تعالى نحوها مما يؤيد ذلك ..

قال في تخجيل الأنجيل : « فيقال للنصارى ما ادعيتهم من قتل المسيح وصلبه أتقلونه تواترا أم آحادا ؟ فان زعموا أنه آحاد لم يقم بذلك حجة ، ولم يثبت العلم الضروري ، اذ الآحاد لم تأمن عليهم فيها السهو والغفلة والتواطؤ على الكذب ، واذا كان الآحاد يعرض عليهم ذلك فلا يحتاج بهم في القطعيات ، وان عزوا ذلك الى التواتر قلنا لهم : شرط التواتر استواء الطرفين فيه والوسط ، وهو أن ينقل الجرم الغفير عن الجرم الغفير الذين شاهدوا المشهور به وهو المصائب ، وعلموا أنه هو ضرورة ، فان اخل شيء من ذلك فلا تواتر ، فان زعم النصارى أن خبرهم في قتل المسيح وصلبه بهذه الصفة ، أكذبتهم نصوص أناجيلهم التي بأيديهم اذ قال لهم نقلتها الذين دونوها لهم وعاليهم معوالمهم أنه لما أخذ فقتل كان في شردمة يسيرة من تلاميذه ، فلما أقبل عليه هربوا بأسرهم ولم يتبعه الا بطرس من بعيد ، ولما دخل الدار حيث اجتمعوا نظرت تجارية منهم الى بطرس فعرفته ، فقالت : هذا كان مع يسوع ، فحلف أنه لا يعرف يسوع ولا يقول بقوله ، وخادعهم حتى تركوه وذهب ، ولم يكذب يذهب وان شابا آخر تبعه وعليه ازار فتعلقوا به ، فترك ازاره بأيديهم وذهب عريانا .

فهؤلاء أصحابه وأتباعه لم يحضر منهم ولا رجل واحد بشهادة أناجيلهم ، وأما أعداؤه اليهود الذين تزعم النصارى أنهم حضروا الأمر فلم يبلغوا عدد التواتر بل كانوا آحادا وأفرادا ، لأن عموم الناس الذين حضروا لا يرون الا شخصا على خشبة ومعه لسان مصلوبان . ولا شك أن هيئتهم وصفتهم متغيرة عن الحالة التي قبل أخذهم . وأما

المشائخ ونحوهم فلم يعرفوه أيضا . ففي الأصحاح الثامن والعشرين من انجيل لوقا ما لفظه : « فلما كان النهار اجتمع مشائخ الشعب ورؤساء الكهنة وأدخلوه الى مجمعهم وقالوا له : ان كنت أنت المسيح فقل لنا . قال لهم : ان قلت لكم لم تؤمنوا لى ، وان سألتكم لم تجيبونى ولم تخلونى » انتهى . وهذا يحتمل أنهم يسألونه عن ذاته أو عن رسالته . على أننا لو سلمنا كثرة عددهم وصدق معرفتهم ، فيمكن تواطئهم على الكذب لأنهم لما لم يجدوه هو ولم يعلموا محل المسيح وكان ذلك من تلاميذه ، واستحلوا قتله أيضا أشاعوا أنه هو المسيح ليترك الناس متابعته ، ولئلا يتخذوا المسيح نبيا وصمورا أنهم اذا وجدوا المسيح بعد هذا أيضا يعملون به كما عملوا بصاحبه . ويؤيد هذا : أنهم جعلوا على القبر حراسا لئلا ينقبش ، ويرى أنه غير المسيح .

ومما يزيد الأمر وضوحا : قول انجيل متى فى الأصحاح الثامن والعشرين ان مريم لما جاءت لزيارة القبر رأت ملكا قادم من السماء برجة عظيمة فدرج الحجر عن فم القبر وجلس عنده فكاد الحراس أن يموتوا من هيبتة ، وبادروا من فورهم الى المشائخ فأعلموهم بالقصة ، فأرشاهم المشائخ برشوة أن يسترروا القصة ، وأن يثيخوا أن التلاميذ سرقوه ونحن ننام ، فما يؤمنكم أن تكون هذه العصاة من اليهود ؟ كما أنهم سترروا الآية التى ذكرتم صلبوا شخصا من أتباعه وأوهموا الناس أنه المسيح فاذا تبين عدم الاحتجاج باجماع اليهود والنصارى الآن على صلبه ، فنرجع الى القرائن العقلية والنقلية .

فأما العقل : فلا يجوز أن الاله القادر على كل شىء يبتئله أذل عباده وهم اليهود ويضربونه ويعملون به ما هو محرر فى أناجيل النصارى المضطربة المحرفة المكتوبة بعد رفعه بسنين عديدة وأعوام مديدة ، مع أنه يفر منهم مرات كثيرة ويستغيث ويطلب من الله تعالى تأخير أجله بقوله « أجز عنى هذا الكأس » ويصرخ ويقول : « الهى الهى لم تركتنى » ويسلم روحه وعند الصلب يطلب منهم الماء لكثرة عطشه فيعطونه



خلا بدله ، وأى خلاص لعباده فى هذه الحالة ، وهو بزعمهم أتى ليخلص العالم من الخطيئة ؟ بل صار موقعا لهم فى الاثم بسبب عدم ايمانهم به ، فكيف يكون مخلصا بنفسه ؟ •

وأما النقل : فقد تبين لك تهافت أناجيلهم واضطرابها • والدلالة على عدم المعرفة به وعدم وجوده فى قبره • والأعظم من ذلك عند كل ذى عقل سليم : قوله تعالى : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » • وأما قول متى فى الأصحاح السابع والعشرين : « فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح • وإذا حجاب الهيكل قد انشق • الى اثنين من فوق الى أسفل والأرض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت وقام كثير من الأجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ، ودخلوا المدينة المقدسة ، وظهروا لكثيرين » فهو قول بهت ومحال لا يخفى بطلانه على ذوى العقول من النساء والرجال ، لأنه لو كان صحيحا لأطبق الناس على نقله ولم يتفق اخفاء مثله ، ولزال الشك عن تلك الجموع فى أمر سيدنا يسوع فحيث داموا على الجحد له والتكذيب ، دل ذلك على كذب ما نقله عباد الصليب • وإذا كان اليهود أعطوا دراهم رشوة كما علمت سابقا لحراس القبر حتى لا يخبروا القائد وسائر الناس بملك نزل من السماء على قبر يسوع ، كى لا يظن براءته مما نسب إليه أعداؤه ، فكيف تكون هذه الآية العظيمة وتقوم الأموات من قبورها ويدخلون المدينة ولا يكون ذلك حجة على من لا يؤمن به اذ ذاك ؟ •

وأيضا : ما معنى تفتح القبور وقيام القديسين من قبورهم ؟ فهل كان استبشارا بمصابه ؟ فهم اذ ذاك ليسوا من أحبابه أو كان جزعا على مماته ، أو خرجوا اعانة له قبل فواته • فواعجبا لرب أحياءهم بعد أن كانوا رفاتا ، ولم يعينوه حتى قضى ومات ، وأحيا الدمى وصرخ عند تسليم الروح ، ولم يقدر على ابراء ما فيه من جروح • وليت

شعري ما عمل هؤلاء القديسون أبقوا في المدينة المقدسة أم كروا الى  
قبورهم ؟ وهل التئم الهيكل والصخور أم دامت على انشقاقها • الى  
كثير من الدهور ؟ •

فان قيل : انما لم يشتهر ذلك لأن أصحاب المسيح لم يخضر منهم  
أحد خوفا من اليهود ، والذين شاهدوا هذه الآيات من اليهود وتواطؤوا  
على الكتمان حسدا وبغيا •

قلنا : مثل هذه الآيات العظيمة اذا وقعت علمها من حضر ومن  
غاب من الأعداء والأحباب لانها آيات نهائية ومعجزات تشتت في  
البرية ، ويتناقلها أهل البلدان وتبقى مؤرخة بكل لسان في سائر الملل  
بكل أرض وزمان ، فعلم أن هذه الأقوال مما اخترعها وحررها أئمة  
الضلال ليخدعوا بها ضعفاء العقول ، وتوصلوا الى جذب الدنيا بالكذب  
على هذا النبي الرسول •

وقال المفسرون في قوله تعالى : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن  
شبه لهم » الآيات روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أن  
رهطا من اليهود سبوه عليه السلام وأمه فدعا عليهم فمسخوا قردة  
وخنازير ، فبلغ ذلك يهوذا رأس اليهود ، فاتفقوا على قتله فساروا  
اليه ليقتلوه ، فأدخله جبريل عليه السلام بيتا ورفعته منه الى السماء ،  
ولم يشعروا بذلك ، فدخل عليه طيطانوس لقتله فلم يجده ، وأبطأ عليهم  
وألقى الله تعالى عليه شبه عيسى عليه السلام ، فلما خرج قتلوه  
وصلبوه • وقال ابن المنذر : أتى عيسى عليه السلام ومعه سبعة وعشرون  
من الحواريين فأحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صيرهم الله تعالى كلهم  
على صورة عيسى عليه السلام فقالوا لهم : سحرتمونا ليرزن لنا  
عيسى أو لنقتلنكم جميعا • فقال عيسى لأصحابه : من يشتري نفسه  
منكم بالجنة • فقال رجل منهم : أنا عيسى فقتلوه وصلبوه ، ورفع الله  
تعالى عيسى عليه السلام من بينهم • وقال أبو عبيد الجيانى : ان رؤساء  
اليهود أخذوا انفسنا فقتلوه وصلبوه على موضع عال ، ولم يمكنوا

أحدا من الدنو منه ، فتغيرت حليته ، وقالوا انا قتلنا عيسى ، ليوهموا بذلك على عوامهم ، لأنهم كانوا أحاطوا بالبيت الذى به عيسى عليه السلام فلما دخلوه لم يجدوه ، فخافوا أن يكون ذلك سببا لايمان اليهود ففعلوا ما فعلوا •

وقيل : كان رجل من الحوارين ينافق عيسى عليه السلام فلما أرادوا قتته قال أنا أدلكم عليه وأخذ على ذلك ثلاثين درهما ، فدخل بيت عيسى عليه السلام فرفع عليه الصلاة والسلام الى السماء وألقى شبهه على المنافق ، فدخلوا عليه وقتلوه ، وهم يظنون أنه عيسى عليه السلام • وقيل غير ذلك •

ثم اختلفوا فقال بعضهم : انه كان كاذبا فقتلناه حقا • وتردد آخرون فقال بعضهم : ان كان عيسى فأين صاحبنا ؟ وان كان صاحبنا فأين عيسى ؟ وقال بعضهم : الوجه وجه عيسى والبطن بدن صاحبنا • وقال من سمع منه ان الله تعالى يرفعنى الى السماء : انه رفع الى السماء •

وقالت النصارى الذين يدعون ربوبيته صلب الناسوت وصعد اللاهوت • ولهذا لا يعدون القتل نقيصة حيث لم يضيفوه الى اللاهوت ويرد هؤلاء أن ذلك يمتنع عند « اليعقوبية (١) » القائلين أن المسيح قد

(١) فى هذه السنة أخذ عميد كلية أصول الدين فى « شبين الكوم » بعض طلبة الكلية الى الكنيسة الارثوذكسية فى « شبين الكوم » للقاء أعدده فى الكنيسة راعيها وطلبته . وفى أول اللقاء استهل راعى الكنيسة الحفل بما معناه : اننا نرحب بكم فى هذا المكان ، الذى جمع لأول مرة فى تاريخ « مصر » من يحنون بأن خالق السماء والأرض هو الله وحده . واذ قال : هو الله وحده ، نظر بعضهم الى بعض . وتهامس طلاب كلية أصول الدين هل هو صادق فى قوله هذا ؟ أليس عندهم أن الأتانيم ثلاثة ؟ هل هو يجاملنا ؟ ولم يطق بعضهم الصبر على كلامه الذى استمر فيه على اثبات أن النصارى موحدون لا مثلثون . فصاحوا فى وجهه : أنت تعترف بالوحدانية ؟ أنتم مثلثون . أستم مثلثين ؟ فرد عليهم : نحن نعترف بالوحدانية مثل اعتراف اليهود بها والمسلمين . نحن نعترف بأن خالق العالم هو الله وحده . فنظروا الى عميد الكلية وهم مندهشون . ثم حدث هرج ومرج . طلب على أثره راعى الكنيسة من عميد الكلية أن يشرح لطلبته عقائد النصارى =

صار بالاتحاد طبيعة واحدة ، اذ الطبيعة الواحدة ، لم يبق فيها ناسوت

= فوقف وقال : انتم ايها النصارى مثلثون لا موحدون . فقاطعه راعى الكنيسة بقوله : تمهل . انتظر . واثار الى الحاضرين : اسكتوا . ثم وضع شريط فيديو في فيديو ، واظهره على شاشة التليفزيون . وقال : انظروا واسمعوا . هذا من ؟ هذا هو البابا شنودة الثالث راعى الكنيسة الأرثوذكسية في مصر وأفريقيا وآسيا . هذا هو صوته . هذه هي صورته . اسمعوا لقوله . انه يتول : ان خالق العالم هو الله وحده . وبعد ما سمعوا . قال لهم : اذا تقولون علينا اننا مثلثون ؟ وحرار الجمع وانفضوا حيارى .

وبعد أيام حدثني عميد الكلية بهذا اللقاء وسألني هل هم موحدون أم مثلثون ؟ فقلت له : الأرثوذكس يقولون بأن خالق العالم هو الله وحده . فقال : اذن هم موحدون ؟ فقلت له : نعم هم موحدون . ولكنهم خدعوك في هذا اللقاء . فقال : كيف ؟ فقلت له : ان الأرثوذكس يعتقدون : أن الله الخالق وحده . قد نزل من على عرشه في السماء ودخل بطن مريم بمساعدة روح القدس . ثم تدرج في بطنها من نطفة الى علقة الى مضغة ثم خرج طفلاً هو يسوع المسيح . فالله هو يسوع ، ويسوع هو الله . هذا هو اعتقادهم . اى ان الله انقلب الى انسان . واخذ صورة انسان وحل بينهم على الأرض ومشى واكل وجاع وتعرى وظمأ وأهين بالضرب والنسب والقتل على الصليب . هذا هو اعتقادهم : اله تجسد ، وأهين ، ثم صعد الى السماء وجلس كما كان في البدء .

فماذا لم تطلب منهم شرح العقيدة بالتمام والكمال ؟ اليس هذا هو ما عناه الله بقوله : « لئلا تكفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح بن مريم » ؟ فقد اعترف بان طائفة منهم قالت : ان الله انقلب الى مسيح . وليس هو واحد من الثلاثة في نظر الطائفة الأخرى التي كفرها بقوله : « لقد كفر الذين قالوا : ان الله ثالث ثلاثة » وهى طائفة الكاثوليك — والبروتستانت معها في هذه العقيدة —

وقلت لعميد الكلية : انه في سنة ألف وتسعمائة وتسعة وستين في مدينة « المنصورة » كنت أجس وحدى على شاطئ النيل . فمر على رجل وحياتى وجلس بجوارى . ثم تجاذب معى اطراف الحديث ودعانى الى النصرانية . وكنت سنتئذ مدرسا في معهد المنصورة الدينى — ولا يعرف هو عنى شيئا — وقد سألته عن عقائد النصارى فشرحها لى — وكان هو من طائفة الأدفنتست — فقال العميد : اليسوا مثلثين ؟ فقلت له : تثليث الأرثوذكس . ليس تثليث ذوات منفصلة . بل هو تثليث مراحل لذات واحدة . فالله هو نفسه الابن ، وهو الروح القدس . وقبل تجسد الله في بطن مريم ، سموه اقنوم الاب ، وبعد خروج الله من بطن مريم سموه اقنوم الابن ، وبعد تولد الله سموه اقنوم الروح القدس . فهم يتولون بالتوحيد ، ولا يقولون بالتثنية . هذا هو مذهبهم — وهو مذهب اليعاقبة — ويمكك مراجعته في كتاب الفصل لابن حزم ، والمثل للشهرستانى . فتعجب العميد من حيلهم على المسلمين .

متميز عن لاهوت والشئ الواحد يقال مات ولم يموت ، وأهين ولم يهن . وأما الروم القائلون بأن المسيح بعد الاتحاد باق على طبيعتين ، فيقال لهم : هل فارق اللاهوت ناسوته عند القتل ؟ فان قالوا فارق ، فقد أبطلوا دينهم ، فلم يستحق المسيح الربوبية عندهم الا بالاتحاد ، وان قالوا لم يفارقه فقد التزموا ما رد على اليعقوبية وهو قتل اللاهوت مع الناسوت ، وان فسروا الاتحاد بالتدرع ، وهو أن الاله جعله مسكنا وبيتا ، ثم فارقه عند ورود ما ورد على الناسوت أبطلوا الهيته في تلك الحالة وقائلنا لهم : أليس قد أهين ؟ وهذا القدر يكفي في اثبات النقيصة ، اذ لم يأنف اللاهوت لمسكنه أن تناله هذه النقائص ، وان كان قادرا على نقيتها . فقد أساء مجاورته ورضى بنقيصته ، وذلك عائد بالتقصص عليه في نفسه . وان لم يكن قادرا فذلك أبعد له عن الربوبية ، وهؤلاء ينكرون القاء الشبهه ويقولون : لا يجوز ذلك لأنه اضلال . ورده أظهر من أن يخفى .

على أنا قد بيناه أيضا في محله من هذا الكتاب ، ويكفي في اثباته : أنه لو لم يكن ثابتا لزم تكذيب المسيح وابطال نبوته ، بل وسائر النبوات . على أن مرقس في الأصحاح الخامس عشر قال ان المصابو صرخ بصوت عظيم قائلا ايلي ايلي لما شبيقتني ؟ أى الهى الهى لماذا تركتني ؟ أو خذتني . وهو ينافى الرضا بمر القضاء ، وينافى زعمهم بأنه نزل الى الأرض ليخلص العالم من الخطيئة ، ويفدى نفسه ، ويناقض التسليم لأحكام أبيه الحكيم ، وأنه شكى العطش وطلب الماء . والانجيل مصرح بأن المسيح كان يطوى أربعين يوما وليلة ، الى غير ذلك مما ينادى على أن المصلوب هو الشبهه وأنه رفع الى السماء ، وهو على ما صحح من الأحاديث في السماء الثانية . وهو هناك مقيم حتى ينزل الى الأرض ويقتل الدجال والخنزير ويمحو الصليب ويحج ويعتمر ، ويملاها عدلا كما ملئت جورا ، ثم يحيى فيها أربعين سنة أو تمامها من سنن رفعه ، وكان اذ ذلك ابن ثلاثين سنة ، ويموت كما تموت البشر ، ويدفن في حجرة النبى ﷺ أو في بيت المقدس .

وقال قتادة : رفع الله تعالى عيسى عليه السلام اليه فكساه الريش  
وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب ، فطار مع الملائكة فهو  
معهم حول العرش ، فصار انسيا ملكيا سماويا أرضيا • وهذا الرفع  
على المختار كان قبل صلب الشبه • وفي انجيل لوقا ما يؤيده • وأما  
رؤية بعض الحواريين له عليه السلام بعد الصلب، فهو من باب تطور  
الروح ، فان للقدسيين قوة التطور في هذا العالم ، وان رفعت أرواحهم  
الى المحل الأسنى ، وقد وقع التطور لكثير من أولياء هذه الأمة ،  
وحكاياتهم في ذلك يضيق عنها نطاق الحصر • قاله الوالد عليه الرحمة  
في تفسيره : ولقد أحسن القائل :

عجب للمسيح بين النصارى أسلموه الى اليهود وقالوا واذا كان ما يقولون حقا حين خلى ابنه رهين الأعدى فلان كان راضيا بأذاهم ولان كان ساخطا فتركوه	والى اى والد تسبوه ؟ انهم بعد ضربه صلبوه وصحيفا • فإين كان أبوه ؟ أتراهم أرضوه أم اغضبوه ؟ فاعمدوهم لأنهم غذبوه واعبدوهم ، لأنهم غلبوه
--	---

ولعل لنا عودة الى هذا البحث ان شاء الله •



## الفصل السادس

وأما قوله : « المسيح مخلص العالم » الى آخره •

يريد ما زعمته النصارى من أن آدم عليه السلام لما خالف ما  
أمر به في الجنة من عدم قربان الشجرة والأكل منها ، فأكل هو وحواء  
منها ، فاستحق العقاب فأشفق من ذنبه فرحمه الله تعالى ولطف به  
وفداه بابنه المسيح ، فكان كلما نزل به من أعدائه فهو فداء لآدم وقضاء  
عنه ، فضرب عوضا عن رفاهية آدم وأهين بدلا عن عزه الذي أمله في  
الجنة ، وصاب على خشية لتناوله من الشجرة ، وسمرت يدها  
لامتدادهما الى الثمرة ، وسقى الخل عند عطشه وهو على الخشبة

لاستطعام حلاوة ما أكله ، ومات بدلا عن موت المعصية الذى كان آدم يتوقعه أولا موت الهه المسيح بدله • وذلك اظهارا لشرف المسيح اذ جعله خروف العالم وقربانا عن آدم وذرية آدم ، فصبر ولم يمانع واستسلم ولم ينازع • فهو الاله الخروف الذى فى الكتب السماوية بهذا اللقب معروف • فهو الله وابن الله وخروف العالم وابن داود ابن البشر وفداء آدم والداخل بدلا عن العاصين الى جهنم ، فهو الاله المقتول المصلوب وابن الله وابن آدم وابن مريم ، فهو الله والله هو ، ولا يقال اثنان ولا ثلاثة ، بل يقال الآب والابن وروح القدس اله واحد ، فالواحد ثلاثة والثلاثة واحد • وهذا خلاصة زعم المؤلف النصرانى فى حق المسيح المخلص ، غير أنه فاته أن يذكر أيضا ما قتله رسولهم بولس فى الأصحاح الثالث من رسالته الى أهل غلاطية أن المسيح ملعون أيضا لأنه تحمل اللعنة عن ذرية آدم وعبادته : « ولكن المسيح قد اشترانا من لعنة الناموس ، وصار هو لعنة عنا لأنه مكتوب : ملعون كل من يعلق على خشبة » انتهى بلفظه •

قال المفسر الخورى فى الصحيفة ( ٣٥٥ ) : « قد افتدى المسيح الذين يؤمنون به من اللعنة حيث صار لعنة من أجلهم ، وذلك بتحملة على نفسه ما كان على الناس من اللعنة والخطيئة ، كما قال أشعيا ( ص ٥٣ ) ان الرب وضع عليه اثم جميعنا وقد أوفى عنهم بموته وصار لعنة من أجلهم بتعلقه على الصليب ، لأن كل من علق على خشبة ملعون • فالمسيح بتعلقه على خشبة الصليب جلب على نفسه هذه اللعنة أى صار ملعونا • وذلك لينجى الذين يؤمنون به من اليهود من لعنة الناموس • فالواجب اذن ترك الناموس واتباع المسيح والاقامة على ايمانه ، ولكن المسيح لم ينج اليهود فقط ، بل قد أنجى جميع الناس من لعنة الخطيئة كما يظهر مما يلى » انتهى بلفظه •

فيقال لهم فى الجواب عن التخليص : ألسنتم تقولون ان آدم عليه السلام استرجع وتاب ، فأى شىء أبقت التوبة من ذنبه والتائب من الذنب كمن لا ذنب له فصار حينئذ قتل المسيح عبثا تعالى الله منه

ثم يقال لهم : أخبرونا عن هذا القضاء أليس هو استدراك مصلحة الأداء ، وهو أن يأتي القاضى بمثل ما فوت ؟ فان قالوا : نعم . قلنا : فالذى فوته آدم الانكفاف عن الأكل فيكون قضاؤه بصوم المسيح ووصى له الأربعينيات فلا حاجة الى قتله ، فان قالوا : ان آدم وجب عليه موت المعصية وهو الخلود في النيران أبداً وهو أعظم الميتين فجاء موت المسيح قضاء عن ذلك الموت ، فصار من جنسه . قلنا : هذا باطل لأنه لو كان موت المسيح من جنس موت آدم لكان اماته الله تعالى موت الخطيئة ، وكان مخلداً في النار بدلا عن آدم فموت الطبيعة ليس بدلا عن موت الخطيئة ، واذا بطلت دعواكم بطل قتل المسيح اذا صار ساذجا عن المعنى فارغا عن القائدة . والرَب يتعالى عن العبث . وقلنا لهم أيضا : ان ولد الصلب أولى من ولد البنت في كثير من الأحكام فولاد صلب آدم أولى في الفداء من ولد بنته ، وهو المسيح ، فان قالوا : هو ابن الله فلا يصلح لفداء الخلائق غيره . قلنا أليس عندكم في التوراة أن اسرائيل هو بكر الله والبكر أوتى وأفضل عند أبيه ؟ فهلا فداه به ولم يدع الناس في عذاب الى مجيء المسيح ؟ ثم نقول : المسيح عندكم هو الاله الأزلى . وعند طائفة منكم هو ابن الله فكيف يستقيم أن يكون الله تعالى نفسه أو ابنه بدلا عن عبده ؟ والله سبحانه هو الذى يتوفى الأنفس وبأمره واراادته ، فيتحد حينئذ القاتل والقتيل فيكون قاتلا قتيلا . ثم نقول : رأيتم أن رجلا أمر عبده بأمر فخالف العبد فغضب عليه ووعدته فخالف العبد وأسفق من عقوبته وراجع خدمته وشمر في مرضاته ، فعطف عليه مولاه رحمة منه ، ثم التفت الى ابنه فقال : هذا فداؤك فتسلم روحه أو الى نفسه فقتل نفسه عن عبده . أكنتم تعدونه حكيما أو عاقلا ؟ فاعترفوا بالحق ولا تغالطوا أنفسكم . ثم نقول أكنتم عبتم قول ربنا تبارك وتعالى في القرآن العظيم : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » وقد بشر عيسى بمحمد ﷺ وشهد بنبوته ، وكذلك جميع الأنبياء عليهم السلام في كتبهم شهدوا بنبوته كما بيناه ونقلناه وأثبتناه سابقا ، والنبى محال عليه الكذب وقد أخبر عن الله سبحانه أنه يقول : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » ففى تكذيبه تكذيب لكل نبوات



الأنبياء ، عيسى فمن فوقه عليهم السلام ، وقد زعمتم أن قتل الأنبياء فداء عن المسيح عليه السلام ظلم وحييف لا يليق بالحكمة ، فكيف نسيتم نفوسكم ههنا وجوزتم أن قتل الله تعالى نفسه أو ابنه وينكل به عن يد أعدائه فداء عن آدم ولم تجعلوا ذلك ظلما وحييفا والجور لا يجوز على العبيد ؟ ثم يقال لهم : هل جعلتم هابيل بن آدم عليه السلام الذي قتله قابيل هو كان فداء لأنه من جوهر أبيه واما المسيح فهو ابن الاله وهما من جوهر واحد ، فكان الفداء بهابيل أولى ولاسيما أنكم توجبون على الله تعالى الأصلاح لعباده . فالاصح في حقهم أن لا يعذبوا مدة خمسة آلاف سنة الى ارسال المسيح وصيرورته فداء . وله مندوحة عن ذلك بقتل هابيل . ثم يقال لهم : ألسنتم روئيتم في توراتكم أن الله سبحانه قد فدى ولد عبده ابراهيم بذبح عظيم ؟ فان قالوا بلى قلنا لهم فكان ولد عبده أزكى لديه وأعز عليه من ولده المسيح الذي هو وایاه شيء واحد وجوهر واحد أم تقولون أعوزته الغنم فلم يقدر على كبش يذبحه ويريح العالم من فتنة المسيح ؟ وقد روئيتم في الأصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين في التوراة : ان الله تعالى قدم الى ابراهيم كبشا بدل ولده لما أمر بذبحة فعزم على ذلك رحمة منه سبحانه ولطفا ، فلعله قد أمر المسيح في حق نفسه بما أمر به ابراهيم في حق ولده ، فاستسلم وصار يخبر بذلك تلامذه كما كان ابراهيم يخبر به ولده ، ثم لما صح ، عزم على تجرع كأس المنية لطفا به وفداه برجل قد حضر أجله ، فان عناية الله تعالى بالمسيح لا تقتصر عن عنايته بولد ابراهيم عليهما السلام . وقد أوحى الله تعالى الى أشعيا أن يقول لحزقيا ملك اليهود انه زيد في عمره خمس عشرة سنة الى آخر ما ذكره هذا المؤلف عن مسألة حزقيا .

وإذا كان هذا وشبهه غير مستحيل عند النصارى ، فما الذى أحاله في حق المسيح ؟ وقد تضرع الى الله غير مرة في صرف كأس المنية عنه ، كما شهدت به أنجيلكم التى ذكرنا بعضها ، والمسيح لا ترد له دعوة . ولعل الله قد استجاب دعاه وحال بين اليهود وبين ما أرادوا منه ، ورفع اليه . والدليل على ذلك : ما ذكره في الانجيل .

وقد قدمناه لك أنه حينما أراد امساكه نزل عليه ملك من السماء لتقويته فافهم ذلك وأنصف • ويقال لهم : لم تتكروا ان الله تعالى تاب على عبده آدم وعافى عبده المسريح في فداه بكافر أو بمؤمن عجله الى الجنة لاسيما وقد استعمل المسيح الحيدة في الجواب وعدم الافصاح لما سأله رئيس الكهنة أهو المسيح كما تقدم ؟ ويقال لهم : كل نقولون ان احلنا اليوم اذا عصى ربه أتجزئه التوبة أم لا بد أن يقتل ويصلب ؟ فان قالوا تجزئه التوبة ، فيقال لهم : فهل هو أولى من صفى الله آدم اذ قتلتم لا بد في توبته من قتل المسيح لأجله ؟ وان قتلتم لا تجزئه أكذبتم بولس حيث يقول في رسالته : « أولا تعلم أن اهمال الله لك من العقوبة انما هو ليقبل بك الى التوبة مجزية فلا حاجة الى قتل وصلب • وكذا رويتم عن المسيح في الانجيل أنه قال : « اقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالبشرى » فتقد شهد المسيح أن التوبة مستقلة بمحو الآثام فلا حاجة الى شيء آخر ، ويقال لهم : ما تقولون فيمن مات قبل مجيء المسيح عليه السلام ؟ أكانوا كفارا أم مؤمنين ؟ فان قالوا مؤمنين فقد سلموا أن لا حاجة الى قتل المسيح في تخليصهم اذ ايمانهم مخلصهم لا غيره ، وان قالوا كانوا كفارا كذبهم المسيح اذ قال في الانجيل « انى لم أرسل الا الى الذين ظلموا من بنى اسرائيل ، وان الأصحاء لا يحتاجون الى الدواء » وأنتم قتلتم : ان المسريح نزل من السماء لخلص كل الناس فان قالوا نعم قلنا فما تقول فيمن مات قبل نزوله عليه السلام ؟ وكيف الطريق الى بلوغ دعوته الهم ؟ فان قالوا تعذر تلافى أمره وفات استدراكه بموته • قلنا : فاذن حينئذ تكونون قد نسبتموه الى الظلم حيث لم ينزل لخلصهم قبل ذلك ، فلم أخرج نزوله حتى ماتوا على الضلالة والكفر ، وكيف صار الأحياء أحق بالرحمة منهم ؟ وفي هذه المقالة هدم أصلكم وان حاسمقوا وقالوا : ان المسيح دعا الأحياء وهو حي ثم مات فدعا الأموات في قبورهم ، فمن أجابه نجى ومن أبى هلك • فنقول لهم أدعاهم في قبورهم وهو حي أم دعاهم وهو ميت ؟ فان قالوا : دعاهم وهو ميت سقطت مكالمتهم وتبين جنونهم ، وان قالوا دعاهم وهو حي فقد نقضوا قولهم انه مات • ثم يقال لهم : أدعا المؤمنين

والكفار أم اقتصر على المؤمنين ؟ فان قالوا : دعا الجميع • قلنا لهم :  
فلعله دعا فرعون ونمرود فأما ودعا جماعة من الموحدين ولم يجيبوا ، فهل  
تشكون في أحد الفريقين ؟ فان توقفوا في ذلك فيكونوا قد جوزوا أن  
يكون فرعون وأشباهه في الجنان ، ومن مات على التوحيد في دركات  
النيران ، لاحتمال تغير الحال وان قالوا بل كل على ما مات عليه من  
كفر وإيمان • قلنا : فدعاء المسيح عليه السلام إياهم وكونه مات  
بسببهم وقع عبثا بلا فائدة • فان قالوا : لا بد من صورة الدعوة لهم  
لاقامة الحجة عليهم في القيامة قلنا : قد دعتهم أنبياءهم الذين تزعمون  
أنهم أنبياء المسيح أرسلهم اليهم لأنكم تزعمون الوهيته ، فالرسل  
الذين كانوا قد دعوهم الى الايمان كموسى وغيره هم رسل المسيح ،  
وأقاموا الحجة عليهم ، فما حاجته الى تجسسه واحتماله أمرا قد فرغ  
منه ، الا أن يقولوا بأن أنبياءه ورسله لم يخبروه بما فعلت أمهم ،  
ولم يدر هو ما أحدثوا في التبليغ عنه ، فنزل ليعلم حقيقة الأمر ويقال  
لهم : أليس قد دعاهم في حال حياته فزعمتم أنهم وثبوا عليه فقتلوه ،  
أفترون أنه في حال مماته أقوى منه في حال حياته ؟ فما يؤمنكم ويدريكم  
أنه حين دعاهم في القبور وثبوا عليه وفتكوا به كما فعلوا به وهو حي ؟  
اذ كان لا يستحيل من الأموات الدعوة والاجابة ، فلا يستحيل منهم  
القتل والاهانة ويقال لهم : أليس عندكم أن اللاهوت والناسوت اتحدا  
فصار مسيحا • فان قالوا بلى قلنا : فأيهم الميت ؟ فاذا قالوا :  
الناسوت • قلنا : فكيف استقل بهداية الخلق ناسوت ميت وعجز عنه  
لاهوت حي ؟ فنقولون ان ناسوت المسيح أقدر على الهداية من لاهوته ؟  
وأضا : فان الناسوت في حال اتحاده أقام فوق الثلاثين سنة بالناصره  
وأورشليم ولم يتجاوز ذلك ، فلما فارق لاهوته يوما وليلة قلت انه  
أتى الأموات وهم في أكناف الأرض متفرقون فدعاهم ، فما ترى  
الناسوت على مقتضى ذلك الا أعظم احاطة من اللاهوت ، وما نرى  
لاهوته الذى كان متحدا بجسده الا حبسه عن خير كثير ، اذ عطله  
عن الانبعاث ونشر الدعوة ، فكيف يكون له حي نهض منه جسد  
مات ففعل ما فعل ؟ •

وان قالوا ان اللاهوت مات فقد كفروا من قريب ، ويقال لهم :  
من أماته ؟ ومن أحياءه وهو اله واحد ؟ فان قالوا أحياءه غيره قلنا : فذلك  
الغير الذى تولى موته وحياءه أحي هو أم ميت ؟ فان قالوا : ميت ،  
كان ذلك محالا إذ الميت لا يحيى ولا يميت ، وان قالوا كان حيا قادرا  
أمات المسيح ثم أحياءه • قلنا : فقد اعترفتم حينئذ أن المسيح عبد من  
عبيد الله تجرى عليه الأحكام من الموت والاحياء ، وفى ذلك بطلان  
شريعة أمانتكم ، اذ تقولون ان المسيح اله حق غير مخلوق ، وأنه أتقن  
العوالم وخلق كل شىء ، ثم يقال لهم : خبرونا لو نم يتب آدم هل كان  
قتل المسيح يستقل بخلاصه دونها ؟ فان قالوا نعم فى دم المسيح خلاص  
وان لم يتب ، فحينئذ خلت التوبة عن الفائدة ، ولزم أن يكون كل  
فاجر وكافر قد خلصوا ، فان التزموا ذلك يقال لهم : فاليهود ويهوذا  
وفرعون ونمرود قد خلصوا أيضا وأنتم لا تقولون بذلك ، لكنه لازم  
لكم • فان قالوا بل الخلاص بمجموع الأمرين قلنا : فاذن لا يكون  
دما كافيا لآدم عليه السلام ما لم يضم اليه التوبة ، فهو حينئذ ينقص  
عن مقابلة آدم • وفيه العجز من خلاصه لولا التوبة ، ومن عجز عن  
خلاص عبد واحد ، فانه عن خلاص سائر العباد أعجز •

وقال مرقس فى خاتمة انجيله ان المسيح حين ودع تلاميذه  
صاعدا الى السماء قال لهم : « اكرزوا الانجيل فى الخليقة ، فمن آمن  
خلص ومن لم يؤمن فانه يدان ويجازى » فالإيمان هو المخلص بشهادة  
المسيح لا قتل المسيح ولا صلبه •

ويقال لهم : هل كان خلاص آدم من غير أن ينال المسيح عليه  
السلام سوء ممكنا فى قدرة الله تعالى أم كان سبحانه عاجزا عن سلامة  
عباده ؟ فان قالوا لا يمكن ، جعلوا الله تعالى عاجزا مضطرا وسائر  
كتب الله تعالى تكذبهم ، اذ هى شهادة له بالقدرة الكاملة على كل مؤمن •  
وان قالوا : كان قادرا فانهم يكونون قد نسبوه اذ ذاك الى الجور  
والظلم ، سبحانه وتعالى ، اذ عذب آدم أو قتل المسيح وهو قادر على  
سلامته ، وذلك مشوش على أصولهم بالتصين والتقبيح •

وخلاصة الكلام أن مسألة التخليص كيفما قلبوها فهي باطله وخيوط  
أدلتها عاطلة لا يوافقها عقل ولا يطابقها نقل .

فأجل في ميدان ما آتينا به خيول الأفكار ، وتأمل ما حررناه  
من الأدلة على بطلانه ، تأمل منصف يميز الزيف من النضار . والعجب  
من النضارى الخفش أنهم قد تعاموا عن الشمس فى رابعة النهار :

فى زعمهم بقبائح الأقوال  
وأخسهم فى سائر الأحوال  
ظلموه بالأقوال والأفعال  
فى لحده منقطع الأوصال ؟  
لا يرتضيه سوى عديم البال  
هذا لعمري غاية الأضلال  
صلبت عليه يده فى أغلال  
فقراهم فى حيرة وعقال  
معنى يبذل هديهم بضلال  
وكذا نزاريه من الأهوال  
داموا على حر الجحيم الصالى  
بالمغو والغفران والأفضال  
وماله الفردوس خير مثال  
فى زعمهم ويخصهم بنوال  
ويهنهوا بالقيل والأذلال  
فيبوء عند نجاتهم بوبال  
بنجاتهم ، يا خيبة الأمال  
سبحانه وهو العزيز العالى  
فى كذب أقوال وسوء فعال

تبا لقوم حيث خصوا ربهم  
جعلوه مقهورا لأدنى خلقه  
قرنوه باللصين ساعة صلبه  
عجبا . وهل يبقى الوجود ورب  
هذا لمركم الصغار بعينه  
قوم تسربل بالخبال عقولهم  
عبدوا الصليب لأجل أن لهم  
أهو العدو ، أم الإله ؟ فبينوا  
قد زين الشيطان فى أفكارهم  
أن الإله أتى يخلص آدمما  
لولا الإله فداهم فى زعمهم  
قولوا لهم قد تاب آدم فاعتنى  
لم يدر ما مس الجحيم وحرها  
واعجز رب لم ينبج عبده  
الا بانهاب الحياة وروحه  
ويصير ميتا لا حراك لجسمه  
أن أملاوا ميتا تحقق ظنهم  
حاشا وكلا ، فالإله منزه  
تعبا لقوم حيث صاروا ضحكة

ولقد أحسن القائل :

نقل العداة بزعمهم فى ربها  
يا عجز ذات نفعها فى ضرها  
قتلوه من فئة اليهود وهزبها  
سففها تساوروا فى المنالة كلها  
أراؤهم ما زينت . تعبسا لها

هذا لمركم الهوات فبئسما  
جعلوه يفدى عبده بهماته  
لعم الإله الزاعمين بانهم  
وكذلك من فئة الضلال وكلهم  
سحقا لهم ضلوا السبيل وزينت

قال النصرانى : « فهذه - أصلحك الله - شروط النبوة ودلائلها  
وعلامتها فعرفنا هذا الذى اقررت له بماذا تنبأ ؟ وما نبوته التى

ظهرت ؟ وبماذا أستحق عندك أو عند غيرك اسم النبوة ؟ وما الدليل على دعواه ؟ فان قلت : انه أخبرنا بأقاصيص الانبياء الذين كانوا قبله في الزمان السالف كنوح وابراهيم واسحاق ويعقوب وموسى وسائر الأولين الذين ذكرهم في كتابه فجوابنا : اكرمك الله الذي لا تقدر أنت ولا غيرك أن ينكره أو يدفعه : هو أنه انما أخبرنا بما سبقت معرفتنا به ، ودرسته صبياننا وأطفالنا في المكاتب ، فان ذكرت قصة عاد وثمود والناقطة وأصحاب الفيل ونظائر هذه القصص ، قلنا لك : هذه أخبار باردة وخرافات عجائز الحى اللواتى كن يدرسنها ليأون ونهارهن ، وليس ذكرها دليلا على نبوته • فقد سقطت عنه شريطة من الشريطين اللتين توجبان النبوة • فان قلت : انه أخبر بما يكون قبل كونه ، أزمناك توضيح ذلك لان هذه نيف ومائتا سنة قد مضت من ذلك الوقت ، وكان يجب أن يصح ويتحقق عندك شئ مما أخبرك أنه سيكون • وأنت تعلم ونعلم بالحقيقة انه لم يات في هذا الباب بشئ ولا نطق فيه بكلمة ولا تموه بعرف واحد ، فسقطت عنه الشريطة الثانية من شريطى النبوة • وإن قد خلا من الشريطين اللتين توجبان اسم النبوة ، وأصفر منهما • وهما متضمنتان للآيات والعجائب المتنعة ، فلانظر في الآيات : هل أتى من ذلك بشئ ؟ فنقول : انه زعم في كتابه أنه قيل له : « وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون » ( الاسراء الآية الحادية والستون ) أى لولا أن يكذبوا بآيتك كما كذبوا بالآيات التى جاءهم بها الأولون من قبلك لأعطيناك الآيات • فلعمري ان هذا من الأجوبة المتنعة ضد منتقدى الكلام الناظرين في قوانين حدود المنطق • وأنت تعلم — أهلكك الله — وكل من يسمع هذا الجواب أن صاحبك أبرأ نفسك به من آيات النبوة لأنه لم يقدر عليها • وليس لمن مثلك في الانصاف أن يدلل عن الحق « انتهى •

فأقول : انا بعد أن أثبتنا لك معجزات النبى عليه الصلاة والسلام وسردنا لك الكثير منها ، يتبين لك أن ما أطال به هذا النصرانى هنا لا طائل تحته ، إذ قد استبان لك مرارا رد أمثاله من كلامه المشتمل

على قعقعة خالية عن سلاح ، وشبه لا ينادى عليها بالفلاح ، وذكر  
أشياء يكذبها المظاهر والحال المتواتر ، ويظهر زيفها بلا محك عند كل  
صيرفي ماهر ، وكذبها لا يحتاج الى تنبيه ، لأن شقشقتها لا يخفى  
بطلانها على كل نبيه ، فلذا نعرض عن رد ما لا طائل تحته من الألفاظ  
لعدم ما يتعلق غرض معتد به من الأغراض ، وننتكلم على ما يئزم عليه  
الكلام خشية ملك من اراد بلوغ المرام • فنقول :

من كان في المعجزات الفر في ظما      ففي كتاب الشفا ري من الغلال  
فاله يجعلنا من خير أمته      ومؤمنين بلا روع ولا وجل

لاخفاء أن معجزات سيدنا ومولانا محمد ﷺ وآياته قد كثرت  
لا مطمح لأحد في حصرها واستيفاء جميعها لكن على المكلف أن يحفظ  
من ذلك ما يرسخ به التصديق في قلبه ، ويأمن به ان شاء الله تعالى  
المتزلزل على نفسه • ولا شك أن القاضي عياض رحمه الله تعالى ذكر  
من ذلك في كتابه الشفاء ما يحصل هذا المعنى ، ويتنصى بفضل الله  
تعالى مزيد المحبة التي تحمل على الاقتداء بهذا النبي الشريف ، وتتبع  
آثاره صلوات الله تعالى وسلامه عليه • وقد أوردنا شيئاً من ذلك  
فيما تقدم •

واعلم : أن المعجزات والآيات وأدنة الصدق ، وان تكاثرت مرجعها  
الى طريقتين : عقلية ونقلية اما العقلية فوجوه ستة :

أحدها : معجزات بلاغة القرآن على ما سبق وسيأتى أيضا ان  
شاء الله تعالى •

وثانيها : اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم بالمغيبات في الكتاب  
العزيز وفي الأخبار ، وذلك بحر لا ساحل له •

الثالث : انه عليه الصلاة والسلام قد بلغ في الحكمة النظرية  
كمعرفة الله تعالى وصفاته وأسمائه وأحكامه وفي الحكمة العملية وهي  
علم الأخلاق وسياسة المدن وتدبير أمر الخلق المبلغ العظيم ، الذي

لا يمكن العقلاء الوصول اليه في مئين من السنين ، ووصل اليه بغتة من غير تعلم ولا مخالطة لأحد معروف بالعلم •

الرابع : انه نقل عنه معجزات خارقة للعادة كأنشقاق القمر وتسليم الحجر وانقياد الشجر الى غير ذلك ، مما لا يحصر •

الخامس : الاستدلال بسيرته وأوصافه التي تواترت اليها وهي كثيرة جدا :

أحدها : ملازمة الصدق من أول عمره عليه الصلاة والسلام الى آخره ، فان أحدا ما سمع منه كذبة قط ، وقد اعترف له أعداؤه بذلك ، وأيضا لو صدر منه الكذب ولو مرة في عمره لنبزه أعداؤه بذلك •

وثانيها : ترك الدنيا والأعراض عنها وعن زخارفها على الدوام ، حتى أن قريشا عرضوا عليه المال والزوجة والرئاسة لترك هذه الدعوى ، فلم يلتفت اليها •

وثالثها : كان في أعظم الدرجات في السخاء ، حتى أنه سبحانه وتعالى قال له « ولا تبسطها كل البسط » وفي الشجاعة حتى أنه لم يفر قط في الحروب ولا تترجح للفرار ولا هم به قط ، ولا تزيد كثرة العدو وقلة من معه الا قوة وزيادة شجاعة واقدام •

ورابعها : أنه كان صلى الله تعالى عليه وسلم في غاية الفصاحة والبلاغة ، حتى أن فصاحته قد أعيت بلغاء الخطباء من العرب العرباء ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام « أوتيت مجامع الكلم » •

وخامسها : أنه صلى الله تعالى عليه وسلم تحمل في أداء الرسالة أنواعا من المشاق والمتاعب لا يثبت معها الا من هو على الحق من الله تعالى وهو عليه الصلاة والسلام مع ذلك مصر على دعوى الرسالة ، ولم يظهر في عزمه فتور ولا في إصراره قصور •



وسادسها : انه عليه الصلاة والسلام كان مع أهل الدنيا في غاية الترفع ومع الفقراء والمساكين في غاية التواضع .

وسابعها : ما كان عليه عليه الصلاة والسلام من حسن الخلق حتى انه لا يزداد مع الغضب الا حلما .

وثامنها : حسن ذاته الكريمة وما اشتملت عليه من المحاسن التي هي خرق عادته ولم توجد لبشر سواه . وما أحسن قول عبد الله بن رواحة الأنصاري رضى الله تعالى عنه في ذلك يشير الى محاسنه ﷺ خلقا وخلقا ، وأنها وحدها كافية في الدلالة على صدقه :

**لو لم تكن فيه آيات مبينة لكان منظره ينييك بالخير**

ولهذا أسلم أبو ذر رضى الله تعالى عنه بمجرد رؤية ذاته عليه الصلاة والسلام وقال : لما رأيت وجهه عرفت أنه ليس وجه كذاب ولا يخفى أن مجموع هذه الأوصاف بل بعضها لا يكون لغير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وتاسعها : أنه عليه الصلاة والسلام انتصب مع ضعفه وقلة ذات يده وعدم الملك في آبائه عليه الصلاة والسلام وقلة أعوانه وأنصاره حربيا لجميع أهل الأرض ذات الطول والعرض آحادهم وأوساطهم وأكاسرتهم وجبابرتهم ، فقلل آراءهم وسفه أعلامهم وأبطل ملكهم وهدم دولهم وظهر دينه عليه الصلاة والسلام كما وعده ربه تعالى على جميع الأديان وزاد على ممر الأعصار والازمان وانتشر في الآفاق والأقطار وشاع في المشارق والمغرب ، من غير أن يتدر الأعداء مع كثرة عددهم وقوة عددهم وشدة شوكتهم وحدة شكيمتهم من فرط حميتهم وعصبتهم ، وبذلهم غاية الوسع في اطفاء نوره وطمس آثاره على اخماد شرارة من ناره . فهل يكون ذلك على التقطع الا بعمون الهى وتأييد سماوى .

وليس لما تبني يد الله هادم

**السادس :** أنه عليه الصلاة والسلام ظهر في زمان أحوج ما كان الناس فيه الى من يهدى الى الصراط المستقيم ويدعو الى الدين القويم ، وينظم الأمور وضبط حال الجمهور ، لكونه زمان فترة من الرسل وتفرق السبل وانحرف في الملك واختلاف للدول واشتغال للضلال واشتغال بالمحال . فالعرب على بكرة أبيها عاكفة على عبادة الأوثان ، ووآد البنات . وادعى كثير منهم أن الملائكة هم بنات الله عز وجل والفرس مع كثرتها دائمة على ايقاد النيران واتخاذها آلهة من دون الرحمن ، وابعثها وطء الأمهات وتحليلها نكاح الاخوة للأخوات ، والأتراك جاهدة جهدها في تخريب البلاد وتعذيب العباد ، والهند جاثمة على عبادة البقر والسجود للشجر والحجر ، واليهود قد أولعت بالجحود واخمدت الحق وتمسكت بحب الرئاسة وقول الباطل واعتقاد الجسمية والصورة ونحوهما لمن تنزه عن النقائص وسمات الخلق ، وتدينت بالغش حتى في تبديل الدين والشرائع ، وصفات الرسل وسيرها ، وما تقرّر من عصمتها التي كانت مكتوبة عندهم في الألواح والورق . والنصارى أصبحت حيارى سكارى في خبط عظيم وتناقض يلعب فيه بعقولها الشيطان الرجيم ، حتى تجرأت ونسبت الولد للمولى الذي جسد أن يكون والدًا أو مولودًا وثلثت الآلهة ، وفاهت بهذيان لا يرضى به ذو عقل وأمست لغير مولانا جل وعز ركعا وسجدا . وهكذا سائر الفرق . كل يخوض في أودية الضلال ، وقد غمرته لجج الجهالات وتخطأت الخيال ، وبلغت أنواع الشرور حدها وتناهى في الأرض الباطل وكمل وعم الأمصار والقرى والسهل والجبل ، ولا شك أنه قد آلف من حال الكريم جل وعز أن عباده اذا بلغوا هذا المبلغ في الفساد المتناهي المبين ، يبعث اليهم بمحض فضله من يجدد لهم ما عفى عنهم من أمر الدين ، ويرسل حينئذ الرسل رحمة للعالمين . كما قال جل من قائل :

« كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين » .

ومن المعلوم ضرورة : أنه لم يظهر أحد يؤسس الله سبحانه به منهدم هذا البنيان سوى سيدنا ومولانا محمد ﷺ أفيلق أن يختلف بعد في رسالته اثنان ؟ فهو الذى أصلح الله تعالى به ما فسد من شأن الناس وميز به الحق من الباطل ، وأشاد به الدين الحق على أمتن أساس ، وانجلي به عن القلوب ظلماتها وأنقذت به من لجاج الفساد ، وطلعت على آفاقها شمس المعارف ، وانتشرت بركة أنواره في البلاد والعباد ، وارتجت الأرض بذكر الله تعالى حق ذكره وظهر سفه من أسند على سبيل الحقيقة أثرا من الآثار الى غيره وارتفعت بتحميده جل وعلا وتوحيده وتقديسه عن سمات الحدوث والافتقار ، الأصوات في المساجد والصوامع والمناير ، ونبتت ينابيع الحكم الجمة والمعارف النورانية وفاضت على القلوب والألسنة ، حتى اهتلا ببعضها ما لا يحاط به ولا يحصى من عدد الأوراق والدفاتر فلمولانا جل وعلا - الحمد على نعم عجز عن احصاء القائل منها الأوائل والأواخر ، وعلى نبينه ومضطفاه من خلقه الذى أنعم جل وعلا به علينا بمحض فضله سيدنا ومولانا محمد ﷺ أفضل الصلوات وأكمل التحيات ما امتدت لاشارة محاسنه وافادة معارفه الأقلام من المحابر ، وتزينت بحلى أوصافه طروس الدفاتر •

وأما الدليل النقلى على نبوته عليه الصلاة والسلام فهو نصه تعالى على نبوته في الكتب الماضية وذكر الأنبياء عليهم السلام له وايضاؤهم على اتباعه وهذا الدليل وحده كاف في اثبات نبوته ﷺ بدون المعجزة فان شهادة من ثبتت نبوته لمن ادعى النبوة دليل قاطع على ثبوت نبوته وان لم تظهر معجزة على يده • وقد تواتر عن الأخيار الأخبار عن كتبهم وأنبيائهم بنبوته عليه أفضل الصلاة والسلام قبل مبعثه معينين اسمه الشريف وبلده وصفته ، وأيضا فلم تنزل نصوص نبوته ﷺ والحمد لله على ذلك من وجوده في التوراة والانجيل والزبور الى الآن مع مبالغة الكفرة في تبديلها • وذلك يدل على عظيم اعتناء الله تعالى بأمره عليه الصلاة والسلام فيها ، وكثرة ترديد ذكره

ﷺ فيها على وجه لا يزيل جميعه التبديل ، وقد اطلع علماءنا رحمهم الله تعالى على كثير من تلك النصوص فيما في أيدي اليهود والنصارى من الكتب ، فذكروه في كتبهم ، غير أنهم الآن رفعوا البعض منها لأنهم لازالوا يبدلون ويحرفون ويزيدون وينقصون فيما يكتبون من كتبهم ويطبعون . وشاهد الوجود أعظم شاهد على ما وصفناهم به ، وقد ذكرنا في كتابنا هذا ما هو مثبت الآن في عهدهم الموجودين ، ولا حاجة الى الاعداد هنا فراجعه في محله ، تكن تقرير العين . والله سبحانه الموفق .

وأما قوله : انه زعم في كتابه أنه قيل اه « وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون » الى آخره .

لا يخفى أن معنى الآية ليس كما زعم هذا النصراني حتى يبتنى عليه ما زخره من باطله . فلنذكر سبب نزولها وتفسيرها . ثم نتبع ذلك بعبارة من انجيله توفى بمقصدنا من رده ونردفه بفصل يكمل ذكر أدلتهم وما يرد عليهم أيضا من كتبهم ان شاء الله تعالى : قال كثير من المفسرين ان أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبا ، وأن ينحى عنهم جبال مكة فيزرعوا ، فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال : ان شئت كان ما سأله قومك . ولكنهم ان لم يؤمنوا لم يمهلوا ، وان شئت استأنيت بهم . فأنزل الله جل وعز « وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظاوموا بها . وما نرسل بالآيات الا تخويفا » وقال غير واحد من المحدثين قال الناس لرسول الله ﷺ لو جئتنا بآية كما جاء بها صالح والنبليون ؟ فقال رسول الله ﷺ ان شئتم دعوت الله فأنزلها عليكم ، فقلوا لا نريدها . والمعنى وما منعنا من ارسال الآيات التي سألوها الا تكذيب الأولين بجنسها . فان أرسلناها وكذب بها هؤلاء ، عوجلوا بالعذاب ولم يمهلوا كما هو سنة الله سبحانه في عباده فالمنع مستعار للترك والاستثناء مفرغ من أعم الأشياء أى ما تركنا ارسالها لشيء من الأشياء الا تكذيب الاولين ،

قان كذب بها هؤلاء كما كذب بها أولئك لعل بهم ما حل بهم لاشتراكهم في الكفر والعناد ، وفعل ذلك بهم مخالف لما كتب في لوح القضاء بمداد الحكمة من تأخير عقوبتهم •

والحاصل : أن المانع من ارسال الآيات التي اقترحوها هو أن الاقتراح مع التكذيب موجب للهلاك الكلى ، هو الاستئصال • وقد عزمنا على أن نؤخر أمر من بعث اليهم محمد ﷺ الى يوم القيامة لحكم نعلمها • قيل : منها اظهر مزيد شرف النبي عليه الصلاة والسلام ولأنه بعث رحمة للعالمين • وقيل : العناية بمن سيولد من بعضهم من المؤمنين • وغير ذلك وقيل : معنى الآية هو أن هؤلاء الكفار من قريش ونحوهم مقلدون لأبائهم ، فلا يؤمنون البتة كما لم يؤمن أولئك فيكون ارسال الآيات ضائعا •

قال الشيخ الامام الوالد : « وفسرت الآيات بالمقترحة لأن ما بها اثبات دعوى الرسالة من مقتضيات الارسال ، وما زاد على ذلك ولم يكن من اقتراح هو لطف من الملك المتعال ، ثم انه سبحانه استشهد على ما ذكر بقصة صالح عليه السلام وناقته ، فانهم لما اقترحوا عليه ما اقترحوا من الناقة وصفتها التي قد برئت في محلها وأعطاهم الله تعالى ما اقترحوا فلم يؤمنوا ، استؤصلوا بالعذاب ، وانما خص قوم صالح بالاستشهاد لأن آثار اهلاكهم في بلاد العرب قريبة من قريش ، وأمثالهم يبصرها صادرهم وواردهم • فقال تعالى : « وآيتنا ثمود الناقة مبصرة » أي ذات ابصار يدركها للناس بأبصارهم كقوله تعالى : « وجعلنا آية النهار مبصرة » أو أسند اليها حال من يشاهدها مجازا ، أو أنها جعلتهم ذوى ابصار من أبصره اذا جعله بصيرا « فظلموا بها » أي بتكذيبها أو فجدوا بها وكفروا بها ظالمين ، مع أنهم اقترحوها على نبيهم صالح ، وأخرجناها لهم من الصخرة ، ولم يكتفوا بمجرد الكفر أو الجحد فعتقوها فعاجلناهم بالعقوبة « وما نرسل بالآيات » المقترحة « الا تخوفنا » من نزول

العذاب المستأصل ، فان لم يخافوا ، أنزل أو بغير المقترحة كالمعجزات  
وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب الآخرة • فان أمر من بعثت اليهم  
مؤخر الى يوم القيامة •

وقد اختلف المفسرون في تفسير هذه الآيات على وجوه :

الأول : ان المراد بها العبر والمعجزات التي جعلها الله تعالى على  
أيدي الرسل من دلائل الانذار تخويفا للمكذبين •

الثاني : انها آيات الانتقام تخويفا من المعاصي •

الثالث : تقلب الأحوال من صغر الى شباب ثم تكمل ثم شيب ،  
ليعتبر الانسان بتقلب أحواله فيخاف عاقبة أمره •

الرابع : آيات القرآن •

الخامس : الموت الذريع •

قيل : والمناسب للمقام تفسيرها بالآيات المقترحة كما تقدم •

قلت : ولهذه الآية نظير في الأصحاح الثاني عشر والأصحاح  
السادس عشر من انجيل متى ما لفظه : « حينئذ أجابه قوم من الكتبة  
والفريسيين قائلين : يا معلم نريد أن نرى منك آية ؟ فأجابهم وقال  
لهم : الجيل الشرير الفاسق يطلب آية فلا تعطى آية الا آية يونان  
النبى ، لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، كذلك  
يكون ابن الانسان في بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال » انتهى  
فتلخص من هذا القول الذى يدعون أنه قول المسيح عليه السلام أنهم  
لما طلبوا منه آية ومعجزة لتصدق دعواه النبوة أجابهم أنه ليس له  
آية ولا معجزة في حياته ، بل معجزاته انما تكون بعد موته بثلاثة أيام ،  
بزعم النصارى • فهذا هو الآيه والدليل على صدقه • وأما حال حياته  
فليس له معجزة وآية كما أن معجزة يونس عليه السلام لم تظهر الا  
بعد أن بقى في بطن الحوت ثلاثة أيام ، ثم لما رأى قومه وهم أهله

ثينورى العذاب الذى وعدهم به آمنوا فكشف الله تعالى عنهم ، فكذلك هو لم تظهر آيته الا بعد رفعه من قبره وعروجه الذى هو بعد ثلاثة أيام من صلبه بزعم النصارى •

فيقول المنكر المجادل لهذا المؤلف : ان عيسى عليه السلام بمقتضى انجيلهم قد اعترف أنه ليس له آية ومعجزة في حياته ، وأنه انما تظهر آيته بعد موته ، ولو كان له آية من احياء الموتى وبراء الأبرص والأكمة وغير ذلك اقتال لهم : اننى قد أريتكم آيات عديدة فكيف تطلبون الآن منى آية ؟ فاذا لم تؤمنوا بالسابقات لم تؤمنوا باللاحقات • فان خصصتم الآية المطلوبة في الانجيل بالآية السماوية كانزال نار ، ونحو ذلك من السماء كما قال مفسركم الخورى يوسف الياس في تفسيره المطبوع في بيروت سنة ١٨٦٨ ما لفظه : « كيف يقول ولا تعطى له آية ؟ مع أنه فعل بعد ذلك آيات كثيرة فيجيب فم الذهب واوتيموس أن تلك الآيات لم تصنع للمصرين بل لمن يستفيدون منها • وأجاب بعضهم : انه صنع بعد ذلك آيات ولكن لا كما طلبوا أى آية من السماء كالنار التى أنزلها ايلياء بل آيات في الأرض • والأظهر أن المعنى لا تعطى آية لمن يطلبونها بنية ردية ، فهؤلاء وأمثالهم لا يعطون آية » انتهى بحروفه •

فالآيات التى وردت في قوله تعالى : « وما منعنا أن نرسل بالآيات » هى جعل الصفا وهو المحل الذى بمكة ذهابا وتنحية جبال مكة ورفعها منها ليزرعوا كما تقدم في سبب النزول • فما كان جوابا لكم فهو جواب لنا بل جوابنا أقوى وأوضح كما لا يخفى على من له أدنى المام بالمعلوم العربية ، لأن لفظة آية الواردة في كلام المسيح نكرة في سياق النفي ، وهى تفيد العموم ، أى ليس تعطى للجيل الفاسق كل آية سواء كانت سماوية أو غيرها • وهذا بمقتضى القواعد أن عيسى عليه السلام لم يعط آية من الآيات مطلقا في حال حياته • وأما لفظ الآيات الواردة في القرآن العظيم فهو محلى بالألف واللام العهدية ، أى ما منعنا من ارسال

الآيات المطلوبة المعهودة للمشركين الا تكذيب الأولين ، وأما الآيات الأخرى فلم ينفها • فثبت المطلوب •

ونطلب من هذا المؤلف وشبهه الانصاف ، وأن لا تأخذهم العصبية الجاهلية فيكتموا الحق والاعتراف • ونحن والله الحمد نؤمن بآيات كلا النبيين ونقبلها واضعين على الرأس والعين ، ولا نرد شيئا من معجزات هذين الرسولين الأكرمين عليهما الصلاة والسلام •



## فصل

مكمل لايراداتهم وناقلا لما يرد عليهم

قال المحقق صاحبنا سلمه الله تعالى في اظهار الحق ما خلاصته :  
ومن طعنهم ان من شروط النبوة ظهور المعجزات على يد من يدعيها •  
ولم تظهر معجزة على يد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم  
كما يدل عليه في سورة الأنعام من قوله : « ما عندي ما تستعجلون به  
ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين » وكذا ما وقع فيها من  
قوله : « واتسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما  
الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون » وكذا في سورة  
بنى اسرائيل : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا  
أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط  
السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك  
بيت من زخرف أو ترقي في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا  
كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا » والجواب :  
ان الأمور الثلاثة التي ذكرها السائل هي تغايطات •



**أما الأول :** فلأن صدور المعجزة ليس من شروط النبوة على حكم هذا الانجيل المتعارف ، فعدم صدورها لا يدل على عدم النبوة ، قفى الأصحاح العاشر من انجيل يوحنا ما لفظه : « فأتى اليه كثيرون . وقالوا : ان يوحنا لم يفعل آية واحدة » وفي الأصحاح الحادى والعشرين من انجيل متى ما لفظه : « يوحنا عند الجميع نبي » وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٧٥ ما لفظه : « كلهم يحسبون يحيى نبيا » وفي الأصحاح الحادى عشر من انجيل متى قول عيسى عليه السلام فى حقه « انه أفضل من نبي » فهذا الأفضل من الأنبياء لم تصدر عنه معجزة من المعجزات ، على شهادة كثيرين ، مع أن نبوته مسلمة عند المسيحيين .

**وأما الأمر الثانى :** فغلط بحت كما تقدم لك فى دلائل نبوته وبيان معجزاته عليه الصلاة والسلام وما يتأتى من معجزة الاسراء وانشقاق القمر والاختبار بالمغيبات ، وغير ذلك .

**وأما الأمر الثالث :** فاما غلط منهم أو تغليط لأن المراد بما فى قوله عز وجل « ما تستعجلون به » هو العذاب الذى استعجلوه بقولهم « فأمطر علينا حجارة من السماء أو آتتنا بعذاب أليم » ومعنى الآية : « ما عندى ما تستعجلون به » أى العذاب الذى تستعجلون به « ان الحكم الا لله » فى تعجيل العذاب وتأخيره « يقص الحق » أى يقضى الحق من تعجيل وتأخير « وهو خير الفاصلين » أى خير القاضين . **فحاصل الآية :** أن العذاب ينزل عليكم فى الوقت الذى أراد الله تعالى انزاله ولا قدرة لى على تقديمه أو تأخيره . وقد نزل عليهم يوم بدر وما بعده فلا تدل هذه الآية على انه عليه الصلاة والسلام لم تصدر عنه معجزة .

**وأما الآية الثانية فتفسرها انهم « لئن جاءتهم آية » من مقترحاتهم « ليؤمنن بها . قل انما الآيات عند الله » هو قادر عليها يظهر منها**

ما يشاء متى شاء « وما يشعركم » استفهام انكار « انها اذا جاءت لا يؤمنون » بها • وهذا القول يدل على أنه تعالى انما لم ينزلها لعلهم بأنها اذا جاءت لا يؤمنون • قلت : وهذا كما تقدم في تأويلهم لآية الانجيل فلا تغفل •

وأما الآية الثالثة : فمعناها « وقالوا » تعنتا « لن نؤمن لك حتى تفجر لنا دن الأرض » أى أرض مكة « ينبوعا » أى عينا غزيرة لا ينضب ماؤها « أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا » يعنون قوله تعالى : « ان نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء » « أو تأتى بالله والملائكة قبيلا » أى شاهدا على صحة ما تدعيه ، ضامنا لدرکه « أو يكون لك بيت من زخرف » أى من ذهب « أو ترقى فى السماء » أى فى معارجها « ولن نؤمن لرقبك » وحده « حتى تنزل علينا كتابا » من السماء فيه تصديقك • قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال عبد الله بن أبى أمية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه ، وأنا أنظر حتى تأتيها ، ثم تأتى معك بصك منشور معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول « نقرؤه قل سبحان ربي » تعجبا من اقتراحاتهم « هل كنت الا بشرا رسولا » كسائر الرسل ، ولم يكن مقصودهم بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج • ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال الله عز وجل : « ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس » « ولو فتحنا عليهم بابا من السماء » وكذا حال بعض آيات أخرى يفهم منه فى الظاهر نفى اظهار الآية لكن المقصود به نفى المعجزة المقترحة ، ولا يلزم من هذا النفى نفى المعجزات مطلقا • ولا يلزم على الأنبياء عليهم السلام أن يظهروا معجزة كلما طلبها المنكرون ، بل هم لا يظهرون اذا طلب المنكرون عقادا أو امتحانا أو استهزاء •

وانورد لهذا الأمر شواهد من العهد الجديد : منها ما فى الأصحاح الثامن من انجيل مرقس ولفظه : « فخرج الفريسيون وابتدعوا

يحاورونه طالبين منه آية من السماء لكي يجربوه فتنهد بروحه ، وقال :  
«لماذا يطلب هذا أنجيل آية ؟ الحق أقول لكم لن يعطى هذا الجيل آية »  
فانظر أنه عليه السلام لما طلبوا منه على سبيل الامتحان معجزة لم  
يأت بها ولا أحالهم على معجزاته التي صدرت عنه قبل ذلك ولا وعدهم  
بشيء يظهره لهم فيما بعد ، بل أتى بلفظ يدل على عدم اعطائه ما دام  
هذا الجيل موجودا • وذلك انجيل بقى الى رفعه عليه السلام بل بعده •

ومنها ما فى الأصحاح الثالث والعشرين من انجيل لوقا ولفظه :  
« وأما هيودس فلما رأى يسوع فرح جدا لأنه كان يريد من زمان  
طويل أن يراه لسماعه عنه أشياء كثيرة وترجى آية تصنع منه ، وسأله  
بكلام كثير فلم يجبه بشيء ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتمون عليه  
باشتداد ، فاحتقره هيودس مع عسكره واستهزأ به وألبسه لباسا  
لامعا وردة الى بيلاطس » انتهى فعيسى عليه السلام لم يظهر معجزة  
فى ذلك الوقت • وقد كان هيودس يترجى أن يرى منه آية والأغلب  
أنه لو رأى آية لألزم اليهود على اثنكائهم ، ولما احتقره مع عسكره  
ولما استهزءوا به •

قلت : فهذا ونحوه مما سيأتى عنه أنه لم يرههم آية بعد طلبهم  
لا يخلو من أجوبة ثلاثة للتنصاري : فأما ان يقولوا انما قال هذا من  
ألقى عليه الشبه لا عيسى عليه السلام فيكونوا قد وافقوا المسلمين فى  
وقوع الشبه ، وأما أن يجيبوا بما قدمنا من أجوبة المسلمين عن طلب  
الآية من نبينا عليه الصلاة والسلام وحينئذ لم يبق لهم معنا كلام فى  
استدلالهم على انكارهم المعجزة لنبينا عليه الصلاة والسلام ، واما  
أن يعترفوا بتحريف أناجيلهم وفساد تأويلهم كما لا يخفى على كل  
منصف •

ومنها ما فى الأصحاح الثانى والعشرين من انجيل لوقا ما لفظه  
« والرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزءون به وهم يجلدونه

وغطوه ، وكانوا يضربون وجهه ويسألونه قائلين : تنبأ من هو الذى ضربك ؟ وأشياء أخر كثيرة كانوا يقولون عليه « مجدفين » ومنها ما فى الأصحاح السابع والعشرين من انجيل متى ولفظه : « وكان المجتازون يجذفون عليه وهم يهزون رعوسهم قائلين : يا ناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام خلص نفسك • ان كنت ابن الله فانزل الآن عن الصليب ، وكذلك رؤساء الكهنة أيضا ، وهم يستهزءون مع الكتبة والشيوخ ، قالوا : خلص آخرين واما نفسه فما يقدر أن يخلصها ان كان هو ملك اسرائيل فلينزل عن الصليب ، فنؤمن به ، قد اتكل على الله فلينقذه الآن ان أراد ، لأنه قال : انا ابن الله • وبذلك أيضا كان اللسان اللذان صلبا معه يعبراته » •

فما خلص نفسه ولا أراهم آية ولا نزل عن الصليب • وكان عليه بحسب الظاهر أن ينزل ويصعد ويريهم آية ولو مرة واحدة ، لكنه لم يفعل ذلك لما قدمناه آنفا •

ومنها ما فى الأصحاح الثانى عشر من انجيل متى ولفظه : « قائلين يا معلم نريد أن نرى منك آية ؟ فأجاب وقال لهم : جزل شرير فاسق يطلب آية ولا تعطى لهم آية الا آية يونان النبى ، لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، هكذا يكون ابن الانسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال » انتهى •

فانظر كيف لم يرههم عيسى عليه السلام آية بعد طلبهم بل سبهم ووعد بالمعجزة التى لم تصدر عنه لأن قوله « كما كان يونان » الى آخره غلط بلا شبهة ، لأن عيسى على زعم الاناجيل المختلفة لم يبق سوى يوم وليلتين أو ليلة واحدة كما فصلناه فى محله ، وان قطعنا النظر عن غلظه ، فمطلق قيامه لم يره الكتبة والفريسيون بأعينهم ولو قام عليه السلام من الأموات كما ينبغى أن يظهر نفسه على هؤلاء المنكرين الذين وعدهم بالآية أو على اليهود الآخرين ولو مرة واحدة ، ولذلك فان اليهود الى الآن يعتقدون أن تلاميذه فى الليل سرقوا جثته

من القبر والحفظلة ارتشوا على ذلك وأشاعت التلاميذ ما لم يكن هنالك ، ولذا ترى أناجيلهم في هذا البحث مضطربة متخالفة كحالها في سائر مطالبها المتناقضة المتعسفة •

ومنها ما في الأصحاح الرابع من انجيل متى ولفظه : « فتقدم اليه المجرى وقال له : ان كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الأحجار خبزاً ، فأجاب وقال : مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله ، ثم أخذه ابليس الى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل ، وقال له ان كنت ابن الله فاطرح نفسك الى أسفل لأنه مكتوب أن يوصى ملائكته بك ، فعلى أيديهم يحملونك ، لكى لا تصدم بحجر رجلك • قال له يسوع : مكتوب أيضا : لا تجرب الرب الهك » انتهى •

فطلب ابليس عليه اللعنة على سبيل الامتحان من عيسى عليه السلام معجزتين ، فما أجاب الى واحدة منهما واعترف أنه لا يلحق بالربوب أن يجرب ربه ، بل مقتضى العبودية مراعاة الأدب وعدم تجربة الرب •

ومنها ما في الأصحاح السادس من انجيل يوحنا ولفظه : « أجاب يسوع وقال لهم : هذا هو عمل الله أن تؤمنوا باندى هو أرسله ، فقالوا له فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك ؟ ماذا تعمل ؟ آباؤنا أكلوا المن في البرية كما هو مكتوب : أنهم أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا فقال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء ، بل أبى يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم » انتهى •

فاليهود طلبوا معجزة فما أظهرها عيسى عليه السلام ولا أحالهم الى معجزة فعلاها قبل هذا السؤال بل تكلم بكلام مجمل لم يفهمه أكثر

السامعين ، بل ارتد كثير من تلاميذه بسببه كما صرح به في هذا الأصحاح بقوله : « من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه الى الورا ولم يعودوا يمشون معه ، فقال يسوع للاثني عشر : لعلكم أنتم أيضا تريدون أن تمضوا ؟ وفي الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٧٥ « ومن ثم ارتد كثيرون من تلاميذه على أعقابهم ولم يمشوه • بعد ذلك أبدا » وفي الأصحاح الأول من الرسالة الى أهل قورنثيوس ما لفظه : « فان اليهود يسألون معجزة واليونانيون يطلبون حكمة ، ونحن نركز في المسيح المصلوب وذلك معثرة لليهود وحماسة لليونانيين » انتهى •

فاليهود كما كانوا يطلبونها من المسيح عليه السلام وكانوا يطلبونها من الحواريين أيضا وأقر مقدسهم بولس بأنهم يطلبون المعجزة • مع أننا نركز بالمسيح المصلوب •

فظهر من هذه العبارات المتقدمة : أن عيسى عليه السلام والحواريين لم يظهروا معجزة بين يدي طالبها ولا أحالوهم الى متقدم ، فلو استدل أحد بما نقلناه عن المسيح والحواريين لم تكن للنصارى قدرة على اثبات معجزة والا لصدقت عنه وعنهم في زمن ما طلب المنكرون أو احاتلهم على شيء متقدم منها ، لو كان ، فلما لم يظهر أحد الأمرين ثبت مراد المستدل وهو أنه لم تكن له قدرة على اظهار معجزة ويكون ادعاء النصارى أن له معجزة لا أصل له ، لأنه تكون دعواه مناقضة لحال المسيح من عدم اظهار آية بعد الطلب مرات عديدة ، غير أن القسيسين يعدون هذا من المستدل تعسفا لأن مراد عيسى عليه السلام أنه لا يظهر لهم آية طلبوها ونحو ذلك من محالهم المتقدمة ، فيقال لهم : ما كان جوابا لكم فهو جواب لنا ، كما قدمنا •

اذ اعتراضهم علينا بما ذكروه من الآيات القرآنية بعد اطلاعهم على مشابهة في الأناجيل ركوب على متن عشواء الاعتساف وسلوك في غير طريق الانصاف ، كيف لا والمعجزات النبوية متواترة والآيات القرآنية

متضافرة على صدور المعجزات المحمدية والخوارق الأحمديّة والأحاديث الصحيحة مادحة بثبوتها عنه وصدورها مرات عديدة منه ، واخباراته الغيبية في كل زمن تصدقها الحوادث الكونية بحيث لا يمتري فيها من له من العلم أو الفهم أدنى رؤية ، أو عاقل مطلع على الكتب الحديثية والتاريخية تارك للعصبية الجاهلية .

وقد جاء في الكتاب المبين ذكرها في بعض المواضع تفصيلا وفي بعضها اجمالا : فمن ذلك غلبة الروم على الفرس والاسراء الى البيت المقدس ، وانشقاق القمر (١) ، ودخول مكة وغير ذلك مما بينا بعضه

(١) معجزة انشقاق القمر في القرآن الكريم وردت بطريق المحكم والمنشابه . فالحكم هو « أو لم يكنهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم » ؟ وقوله « وانشق القمر » نص من مشابه يحتل الانشقاق الحقيقي ويحتل الانشقاق بمعنى وضوح أمر الاسلام . والمتفق مع الحكم هو المعنى الثاني . وقد رد احاديث انشقاق القمر علماء الخوارج والمعتزلة لأنهم يردون المعجزات الحسية كلها ولا يأخذون بالاحاديث النبوية في العقائد . وقد تابعهم في رد الحديث الشيخ محمد الغزالي فقد قال في كتابه الطريق من هنا : « ولا يصدك عن دين الله خبر راو من الرواة حفظ أم نسي . واعلم : أن مفكرى المسلمين ومفسرى دينهم من اعتبر الانشقاق من اشراف الساعة ، وأن من المتكلمين من توقف في أخبار الاحاد كما قال ابراهيم النظام : ان القمر لا ينشق لابن مسعود وحده هو الذى روى عنه الحديث المذكور » ا . ه

### مسألة

وهنا مسألة دقيقة يجب التنبيه عليها . وهى أن كثيرين ممن طعنوا في الاحاديث لروايتها بالمعنى ، ولأن توثيق الرجال والنساء الذين رووها تم بحثه بعد ما تم تدوينها ، ولأن المحدثين قالوا : انه لم تكن الاحاديث مكتوبة قبل مائة وخمسين عاما تقريبا من موت النبى ﷺ كما روى ابن حجر في مقدمة فتح البارى . هؤلاء الذين طعنوا في أبى هريرة وابن مسعود وكثيرين من الصحابة . وقد تتبعت اقوالهم ، فوجدت أنهم ما طعنوا في الصحابة ولا فى التابعين ، بل ولا فى النبى نفسه . وانما طعنوا فى الذين كذبوا على الصحابة والتابعين والنسبى نفسه . فاذا قال ابراهيم بن سيار النظام — مثلا — ان ابن مسعود كاذب فى روايته حديث انشقاق القمر . فهو يعلم ان ابن مسعود لم يقل هذا الحديث حتى يصدق أو يكذب . ويعلم أيضا كذب بعض الرواة الجرحين على ابن مسعود . فاذا قال ان ابن مسعود كاذب ، فهو لا يعنى ابن مسعود ، بل يعنى الراوى الذى كذب عليه . وهكذا فى سائر الصحابة . واذا قال محمود أبو رية : ان ابا هريرة كان يأكل على مائدة =

مسابقا ، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الصافات : « واذا رأوا آية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبین » قال المفسرون : كانوا اذا رأوا آية منه عليه الصلاة والسلام يستهزءون لاعتقادهم أنه من السحر وفي سورة القمر « وان يروا آية يعرضوا ويقولوا : سحر مستمر » وفي سورة آل عمران « كيف يهدى الله قوما كفرؤا بعد

= معاوية ، ويصلى خلف على . فهو لا يقصد الاساءة الى أبى هريرة . لأنه برىء مما ننسب اليه . وانما يقصد بعض الرواة الذين قولوا أبى هريرة ما لم يقله . والمدافعون — في عصرنا هذا — عن الحديث في أثناء الأخذ والرد . نسوا هذه الحقيقة المتفق عليها . وقالوا : ان منكرى الأحاديث يطعنون في الصحابة .

وكيف يطعنون في الصحابة بكلام بعض رواة يعلمون أنهم كاذبون فيه ؟ اذا أنهم يرفضون الرويات كلها ولا يوثقون حملتها . حتى ولو كان فيها مدح أو ثم . فانه لديهم مرفوض . ويقول الرادون للأحاديث : اذا رددنا حديثا لعائشة أم المؤمنين ، فنحن لم نرده لأنها كاذبة فيه ، بل نرده على الراوى الذى قاله ونسبه اليها . وكذلك النبى ﷺ اذا قلنا في حديث من أحاديثه انه ضعيف . فليس معناه : أننا نكذبه — ﷺ — وانما معناه أننا نكذب بعض الرواة الذين كذبوا عليه .

وهذا مثال للايضاح :

(أ) قال الراوى : وقف النبى ﷺ على قليب بدر ، ونسأدى على الكافرين الذين قتلوا في غزوة بدر وقال لهم : « هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ » فقال عمر رضى الله عنه : أتنادى قوما تد جيفوا ؟ فقال : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » قال قتادة : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله ، توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وندما ( البخارى — كتاب الجنائز ) .

(ب) وقال الراوى : ان عائشة — رضى الله عنها — لما سمعت الراوى يروى « ما أنتم بأسمع . . . » قالت : أخطأ الراوى . فانما قال النبى ﷺ : « انهم الان ليعلمون : ان الذى كنت أقول لهم هو الحق » . ثم قرأت : « انك لا تسمع الموتى » .

(ت) وقال الراوى : ذكر عند عائشة — رضى الله عنها — ان ابن عمر ، رفع الى النبى ﷺ « ان الميت يعذب في قبره » فقالت : وهل — أى أخطأ — انما قال رسول الله ﷺ « انه ليعذب بخبيثته وذنوبه » وان اهله ليكون عليه الان » .



أيماهم وشهدوا أن الرسول حق ، وجاءهم البينات « والبيئات هي الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة . ومثله قوله تعالى : « وآتينا عيسى بن مريم البينات » ومثل هذا كثير في القرآن الكريم .

واعلم أن البابا الكرنند وكان يعتقد أن نبينا محمدا ﷺ صاحب الالهام وان لم يكن ذلك الالهام عنده واجب التسليم ، فقد قال في المجلد الخامس من كتابه المسمى بدسنيد هذه الفقرة « يا محمد ان الحمامة عند أذنك » وذلك لأن عند المسيحيين ان الالهام يكون بواسطة روح القدس وقد نزل على عيسى بعد الفراغ من الاضطباع على صورة الحمامة كما هو مصرح به في الأصحاح الثالث من انجيل متى ، فظن هذا البابا أن الهام نبينا عليه الصلاة والسلام أيضا يكون بواسطة الحمامة . فتأمل ما قلناه ، وأنصف تسلم والله تعالى أعلم .

قال النصراني : « فان ادعيت أن من الدلائل على نبوته : ظفره وظفر أصحابه على ما كانوا عليه من القلة والضعف بملك فارس ، على عظمه وجلالة قدره وجودة تدبير أصحابه وحسن سياسة ملوكه ، مع كثرة العدد والسلاح والرجال .

أجبتك بكلام الله وقوله لبنى إسرائيل « ليس لان الله أحبكم أكثر من محبته لسائر الشعوب سلطكم على الأموريين والفرزانيين ، تقتلونها وتخربون ديارهم وترثون بلادهم ، بل لأنهم لهؤلاء الشعوب وكثرة خطاياهم ، سلطكم عليهم ، وأنظركم بهم وكفعله ببيت المقدس أيضا . وقد اختاره من بين سائر الأرض كلها وأحل فيه اسمه وأيده بالآيات والعجائب والجرائح المعجزة وأسكنه أنبياءه المصطفى ، وكان يرتل فيه اسمه بالتهليل والتسبيح ، ليلا ونهارا ، وتستجاب فيه الدعوات لأنه محل البركات .

فعندما طغى أهله وجعلوا لله أندادا فمطوا نعمه وجحدوا آياته ، ( م ٤٠ الجواب الفسيح )

وظنوا عند نفوسهم أن انذى هم فيه انما نالوه وصاروا اليه بأيادهم وقوتهم ، فقل شكرهم لله جل اسمه ، سلط عليهم شر خلقه ، وأرذلهم بخت نصر عابد الصنم المشرك بالله عز وجل ، فقتل الرجال الذين كانوا أولاده وصفوته وخيرته من خلقه المعروفين بشعبه ، وسبى ذراريهم ، وأخرب البيت الذى كان معروفا باسمه ، ونقل الآنية التى كانت فيه الى بابل النجسة بعبادة الأصنام . فهل تقول : ان « بخت نصر » انما ظفر ببيت المقدس وبلغ منه ومن أهله ما بلغ لأنه كان نيا أم للسبب الذى ذكرناه آنفا ؟ فكذلك أيضا كانت قصة صاحبك وأصحابه مع ملك فارس لأن أهل فارس كانوا مجوسا أنجاسا أرجاسا من أسقاط الأمم وجهالهم ، يعبدون الشمس والنار وينكحون البنات والأخوات والأمهات وكانوا قد عتوا وعاندوا الحق وتكبروا فوق القدر ، بجهلهم وقلة معرفتهم باقتدارهم ، وادعوا الربوبية التى لم يجعلها الله لهم ، وابتذلوا نعمه كفرا وعدوا وسعوا فى الأرض فسادا وظلما وارتكبوا العظائم ، وتوهموا أن الذى هم فيه انما هو من صحة تدبيرهم وكثرة قوتهم وشدة نجدتهم ويطشهم ، فسلبهم الله نعمته وسلط عليهم من أخرب بلادهم وقتل رجالهم ، وأخلى مساكنهم منهم وسبى ذراريهم ونهب أموالهم ، فلم يبق لهم امرأة الا تكحت ولا ولدا الا استعبد ، وبادوا بسخط الله ورجزه . كذلك يفعل الله بالقوم الظالمين » انتهى .

فأقول ومنه سبحانه النصر والعناية والتوفيق والظفر والهداية : أن دلائل نيوته عليه أفضل الصلاة والسلام لم تخصر فى فتحه لبلاد العرب والأعجام شرقا وغربا ولا بالاستيلاء على الشام وبيت المقدس ، والنصارى واليهود ، عنوة وحربا ، ولا بإسلام الروم والترك والهنود . ولا بإسلام كثير من أولئك ، طائعين ، ودخول كافة الملل أفواجا أفواجا فى دينه ، حتى الآن غير مكراهين ، بل بأمور جديدة وأفعال جديدة واخبارات غيبية ومعجزات مرئية . وقد تقدم لك منها جملة ملجمة للخصوم ، وبقى منها كثير مفرق فى سماء هذا الكتاب ، كالنجوم التى هى للشياطين رجوم ، وأما فتح بلاد فارس وإسلام سكانها وتبديد

- ملك سلطانها فهو قطرة من دأماء ونجمة في سماء وهذه الكتب في البين •
- وفي الحقيقة لا أثر بعد عين •

فأما ما كان من أمر غزواته عليه الصلاة والسلام ، ونصرته  
واسلام أكثر العرب بأقصر مدة وفتح خيبر وبعض الحصون والبلاد ،  
فأمر مشهور ، وفي كتب السير مسطور • وأما ما وقع في أيام أبي بكر  
الصديق رضى الله تعالى عنه من الفتوحات وقتل أهل الردة فيطول  
ذكره ، وربما يفضى الى الملك سيرة كمسير خالد بن الوليد الى العراق  
وفتحة لكثير من أماكنه وحصونه ووقعاته المشهورة ، كوقعة الثنى  
ووقعة الولجة ، وما أصاب خالد من نصارى بكر بن وائل الذين أعانوا  
الفرس ، ووقعة اللبس على الفرات ، ووقعة يوم فرات ببادقلى وفتح  
الحيرة وحصونها ، ولما قاتلهم المسلمون وافتتحوا الدور والدير ، أن  
نادى أهل القصور المسلمين : قد قبلنا واحدة من ثلاث • وهى اما  
الاسلام أو الجزية أو المحاربة فكفوا عنهم • وكان فيهم عمرو بن  
عبد المسيح بن قيس فخرج الى خالد بن الوليد ، وكان معه خادم معه  
كيس فيه سم ، فأخذه خالد منه ونثره في يده ، وقال : لم تستصحب  
هذا ؟ قال : خشيت أن تكونوا على غير ما رأيت فكان الموت أحب الى  
من مكروه أدخاه على قومي • فقال خالد : انه لن تموت نفس حتى تأتى  
على أجلها • وقال بسم الله خير الأسماء رب الأرض والسماء الذى  
لا يضر مع اسمه داء الرحمن الرحيم ، وابتلع السم • فقال عمرو بن عبد  
المسيح لتبلغن ما أردتم ما دام أحد منكم هكذا • وأبى خالد رضى الله  
تعالى عنه أن يصالحهم الا على تسليم كرامة بنت عبد المسيح الى  
شويل رضى الله تعالى عنه ، فسلموها له ، وافتدت نفسها منه بألف  
درهم • وكان سبب تسليمها اليه : أن النبي ﷺ لما ذكر استيلاء  
أمتة على ملك فارس والحيرة سأله شويل أن يعطى كرامة ابنة عبد  
المسيح وكان رآها شابة ، فمال اليها • فوعده النبي ﷺ ذلك ، فلما  
افتتحت الحيرة طأبها وشهد له شهود بوعد النبي ﷺ أن يسلمها  
اليه ، فسلمها اليه خالد •

وهذا أمر محفوظ وخبر مسطور في سائر كتب السير والتواريخ ،  
وكتب أهل العلم والحديث ، وهو من جملة معجزات النبي ﷺ  
واخباراته الغيبية ، وكذا ما فعله خالد رضى الله عنه من أكل السم  
فلم يضره لأن هذه الكرامة أيضا داخله في جملة معجزات النبي  
المصطفى ﷺ كما لا يخفى .

ومثل ما تقدم فتح الأنبار وفتح عين التمر ، وأمر دومة الجندل ،  
ووقعة حصيد والخنافس ووقعة مضيح واثنى والزئيل ووقعة الفراض ،  
وهى تخوم الشام والعراق والجزيرة ، لما سار اليها خالد أيضا ،  
وانهزمت الروم ، ومن معهم ، وأمر خالد رضى الله تعالى عنه المسلمين  
أن لا يرفعوا عنهم ، فقتل في المعركة وفي الطلب منهم مائة ألف نفس .  
وما وقع لأبى بكر رضى الله تعالى عنه من فتوح الشام لما وجه اليهم  
خالد بن الوليد من العراق ، وكان عسكر المسلمين نحواً من أربعين  
ألفاً . وكان الروم في مائتى ألف وأربعين ألف مقاتل ، فهزم الله تعالى  
الروم وانتصر المسلمون .

وأما ما وقع في أيام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه من  
الفتوحات ، فأمر يطول الكتاب بذكره ويعجز القلم عن سطره ، فمنه  
فتح أبى عبيدة وخالد رضى الله تعالى عنهما دمشق وأرسل أبو عبيدة  
الى عمر رضى الله تعالى عنه بالفتح ، فوصل كتاب عمر الى أبى عبيدة  
يأمره بإرسال جند العراق نحو العراق الى سعد بن أبى وقاص رضى  
الله تعالى عنه ، فأرسلهم وكان من أمر القادسية ما بطول شرحه .  
ومنه فتح بلاد ساحل دمشق كصيدا ، وعرفة وجبيل وبيروت ومنه  
فتح بيسان وطبرية وفحل والواقعة بمرج الروم ، وفتح حمص وبعبلك  
ومعرة النعمان واللاذقية وانطربوس وقنسرين . وكل ذلك من الروم .  
وكذا حلب فان أهلها صالحوا وطالبوا الأمان على أنفسهم وأولادهم  
ومدينتهم وكنائسهم ، فأعطوا ذلك وكذا انطاكية وغيرها من العواصم .  
وكذا قيسارية وبيسان وبيت المقدس وهو ايلياء وغزة ونابلس والموصل

وتكريت وماسيذان وقرقيسيا ونهاوند والجزيرة وأرمينية والأهواز والسوس ، وغير ذلك مما افتتحه المسلمون في خلافة أبى بكر رضى الله تعالى عنه بأقل أيام من بلاد الفرس والروم وغيرهم • ومن أيام المسلمين مع الفرس الشهيرة فى التواريخ وكانت الدائرة فيها على المشركين يوم عماس ، وليلة الهرير التى قتل فيها رستم وغيره من رؤساء الفرس وعسكرهم اثر قتله ، وهزمهم الله تعالى حتى رؤى شاب من النخ وهو يسوق ثمانين رجلا من أسرى الفرس • وكان الرجل من المسلمين يشير الى الفارسى قياتيه ، فيقتله لامتناعه عن الاسلام ، وربما أخذ سلاحه فقتله به ، وربما أمر رجلين فيقتل أحدهما صاحبه ، وهذه الواقعة قبل فتح المدائن الغربية وهى بهرشير ، وقبل فتح المدائن الشرقية التى فيها ايوان كسرى •

**ولنذكر مجمل ذلك :** وهو أن سنة ست عشرة للهجرة فى شهر

صفر ، دخل المسلمون بهرشير وكان سعد محاصرا لها ، واشتد الحصار بأهل المدائن الغربية حتى أكلوا السنانير والكلاب وصبروا من شدة الحصار على أمر عظيم ، فبيناهم يحاصرونهم اذ أشرف عليهم رسول الملك • فقال الملك : يقول لكم هل لكم الى المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة الى جبلنا ولكم ما يليكم من دجلة الى جبلكم ما شبعتم ؟ — لا أشبع الله بطونكم — فقال له أبو مقرن الأسود بن قطبة وقد أنطقه الله تعالى بما لا يدرى ما هو ولا من معه فرجع الرجل فقطعوا دجلة الى المدائن الشرقية التى فيها الايوان • فقال له من معه : يا أبا مقرن ما قلت له ؟ قال : والذى بعث محمدا بائق ما أدرى وأنا أرجو أن أكون قد نطقت بالذى هو خير ، وسأله سعد والناس عما قال فلم يعلم ، فنادى سعد فى الناس ، فنهذوا اليهم ، فما ظهر على المدينة أحد ولا خرج رجل الا رجل ينادى بالأمان ، فأمنوه فقال لهم ما بهى بالمدينة : من يمنعكم ؟ فدخلوا فما وجدوا فيها شيئا ولا أحدا الا أسارى وذلك الرجل • فسأله لآى شىء هربوا ؟ فقال : بعث الملك اليكم يعرض عليكم الصلح فأجبتموه أنه لا يكون بيننا وبينكم صلح

أبدا ، حتى نأكل عسل أفريديون بأترج كوئى فقال الملك : ياوليته ان  
الملائكة تتكلم على السنتمهم ، ترد علينا ، فساروا الى المدينة القصوى •  
فلما دخلها المسلمون وأرادوا العبور الى المدائن ، وجدوا المعابر قد  
أخذوها ، وأقام سعد رضى الله تعالى ببيهرشير أياما من صفر ، فأتاه  
علاج فذله على مخاضة ، فأبى وتردد • وكانت السنة كثيرة المدود فى  
الماء ، ودجلة تتدف بالزبد ، فرأى سعد رؤيا : أن خيول المسلمين  
اقتحمت دجلة ، فعبرت • فعزم لتأويل الرؤيا فجمع الناس وحمد الله  
وأثنى عليه وشوقهم الى العبور ، فركبوا خيولهم وعامت بهم ، وسعد  
يقول حسبنا الله ونعم الوكيل ، لينصرن الله وليه ، وليظهرن دينه ،  
وليهزمن عدوه ، ان لم يكن فى الجيش بغى أو ذنوب تغلب الحسنات  
فقال له سلمان الفارسى : لقد ذل لهم البحور كما ذل لهم البر ، أما  
والذى نفس سلمان بيده لم يخرجن منه أفواجا أفواجا كما دخلوا فيه  
أفواجا أفواجا ، فخرجوا منه كما قال سلمان ، لم يفقدوا شيئا الا قدح  
ذهبت به جرية الماء ، فلما عبروا ألقته الريح الى الشاطئ فأخذه  
صاحبه ، ولم يغرق منهم أحد ، فلما رأى الفرس ذلك ، وأتاهم أمر  
لم يكن فى حسابهم ، خرجوا هاربين نحو حلوان وخرجوا بما قدروا  
عليه من خير متاعهم وخفيفه من بيت المال وبالنساء والذرارى ،  
وتركوا فى الخزائن مالا يدرى قيمته من النقود والثياب والمتاع والآنية  
والفصوص وخلفوا ما كانوا أعدوا للحصار من البقر والغنم والأطعمة ،  
فدخل المسلمون فى سكك المدائن لا يلقون أحدا يخشونه الا من كان  
فى القصر الأبيض فأحاطوا بهم فاستجابوا على تأدية الجزية والذمة ،  
فتراجع اليهم أهل المدائن على مثل عهدهم ، ونزل سعد رضى الله تعالى  
عنه القصر الأبيض واتخذ ايوان كسرى مصلى ، ولما دخله قرأ قوله  
تعالى : « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا  
فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين » وصلى فيه صلاة الفتح  
ثمانى ركعات ، ثم أرسل جماعة من المسلمين وراء الفرس لأنهم لما  
هربوا من المدائن قصدوا حلوان ، فاحتفروا خندقا وأحاطوه بحسك

الحديد ، فبلغ ذلك سعدا فأرسل الى عمر رضى الله تعالى عنه فكتب اليه أن سرح هاشم بن عتبة الى جلولا واجعل على مقدمته القعقاع ابن عمرو وان هزم الله تعالى الفرس فاجعل القعقاع بين السواد والجبل ، وليكن الجند اثنى عشر ألفا ، فجاء القعقاع الى جلولا فحاصروهم في خنادقهم ، ثم انهم اختلفوا فيما بينهم واقتتلوا ، وأرسل الله تعالى عليهم الرياح ، حتى أظلمت عليهم البلاد فتجاوزوا فسقط فرسانهم في الخندق ، وبلغ ذلك المسلمين فنهضوا اليهم وقاتلوهم قتالا شديدا . ثم دخل القعقاع الى باب خندقهم فانهم المشركون عن المجال يمينا ويسرة ، فهلكوا فيما أعده من الحسك ، فعقرت دوابهم ، وعادوا رجالة واتبعهم المسلمون فلم يفلت منهم الا من لا يعد ، وقتل منهم يومئذ مائة ألف فجلبت القتلى المجال ، وما بين يديه وما خلفه ، فسار القعقاع في الطاب حتى بلغ « خانقين » ولما بلغت الهزيمة « يزدجرد » سار من « حلوان » نحو « الري » وقدم القعقاع حلوان فنزلها وكتبوا الى عمر بالفتح وينزول القعقاع حلوان واستأذنه في اتباعهم ، فأبى فأورث الله تعالى أرض الفرس وديارهم للمسلمين ، كما أخبر النبي ﷺ بذلك في أحاديث صحيحة كثيرة .

وأما ما تضمنه كلام هذا النصرانى المتقدم من أن الله سبحانه سلط المسلمين على الفرس لآثامهم وكفرهم ، فهذا حق أريد به باطل وهو مأخوذ من كلام المسلمين للفرس عند مجيئهم الى القادسية ومحاربتهم لهم ، فقد نقل المؤرخون ومنهم ابن الأثير في الكامل : أن رستم لما أرسله « يزدجرد » كسرى فارس الى محاربة سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه وكان نازلا في « القادسية » فوصل « رستم » الى « كوشى » فأتى برجل من العرب فقال له : ما جاء بكم ؟ وماذا تطلبون ؟ فقال : جئنا نطلب موعود الله بملك أرضكم وأبنائكم ان أبيتم أن تسلموا . قال رستم : فان قتلتم قبل ذلك ؟ قال : من قتل منا دخل الجنة ، ومن بقى منا أنجزه الله عز وجل ما وعده ، فنحن على يقين ، فقال رستم : قد وضعنا اذن في أيديكم ، فقال : أعمالكم وضعتكم ،

فأسلمكم الله بها • فلا يغرنك من ترى حولك فانك لست تحاول الانس  
انما تحاول القدر ، فضرب عنقه ، ثم سار فنزل البرس فغصب أصحابه  
الناس أبناءهم وأموالهم ووقعوا على النساء وشربوا الخمر ، فضج  
أهلها الى « رستم » فقال : يا معشر فارس والله لقد صدق العربي  
والله ما أسلمنا الا أعمالنا • والله ان العرب مع هؤلاء وهم لهم حرب  
أحسن سيرة منكم ان الله كان ينصركم على العدو ويمكن لكم في البلاد  
بحسن السيرة وكف الظلم والوفاء والاحسان ، فاذا تغيرتم فلا أرى  
الله الا مغيرا ما بكم ، وما أنا بأمن من أن ينزع الله سلطانه منكم ، وأتى  
ببعض من يشنكى منه ، فضرب عنقه •

ولما نزل رستم بانجف رأى كأن ملكا من السماء ومعه النبي  
ﷺ وعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فأخذ الملك سلاح أهل  
فارس فختمه ثم دفعه الى النبي ﷺ فدفعه النبي ﷺ الى عمر ،  
فأصبح رستم حزينا • ثم أنه بعد أن تقرب الى محل المسلمين أرسل  
اليهم أن ابعثوا الينا رجلا نكلمه ويكلمنا ، فدعا سعد جماعة ليرسلهم  
اليهم فقال له ربعي بن عامر : متى تأتيهم جميعا يروا أننا قد احتفلنا  
بهم ، فلا تردهم على رجل ، فأرسله وحده فسار اليهم فحبسوه على  
القطرة • وأعلم رستم بمجيئه فأظهر زينته وجلس على سرير من  
ذهب وبسط البسط والنمارق والوسائد المنسوجة بالذهب ، وأقبل  
ربعي على فرسه وسيفه في خرقة ورمحه مشدود بعصب وقد ، فلما  
انتهى الى البسط قيل له انزل فحمل فرسه عليها ونزل وربطها بوسادتين  
شقتها وأدخل الحبل فيهما ، فلم ينهوه وأروه التهاون • وعليه درع  
وأخذ عباءة بعيره فتدرعها وشدها على وسطه ، فقالوا : ضع سلاحك •  
فقال : لم آتكم فأضع سلاحى بأمركم ، أنتم دعوتومنى •

فأخبروا رستم فقال : ائذنوا له ، فأقبل يتوكأ على رمحه ويقارب  
خطوه ، فلم يدع لهم نمرقا ولا بساطا الا أفسده وهتكه فلما دنى من  
رستم جلس على الأرض وركز رمحه على البسط ، فقال له : ما حملك  
على هذا ؟ قال : انا لا نستحب القعود على زينتك • فقال له ترجمان



رستم : ما جاء بكم ؟ قال الله جاء بنا وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام ، فأرسلنا بدينه الى خلقه ، فمن قبله قبلنا منه ورجعنا عنه ، وتركناه وأرضه دوننا ، ومن أبى قاتلناه حتى نفى الى الجنة ، أو الظفر فقال رستم : قد سمعنا قولكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه ؟ قال : نعم وان مما سن لنا رسول الله ﷺ أن لا نمكن الأعداء أكثر من ثلاث ، فنحن مترددون عنكم ثلاثا ، فانظر في أمرك ، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل اما الاسلام وندعك وأرضك ، أو الجزية فنقبل ونكف عنك ، وان احتجت الينا نصرناك ، أو المنابذة في اليوم الرابع ، الا أن تبادئنا وأنا كفيل بذلك عن أصحابي . قال : أسيدهم أنت ؟ قال : لا ولكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض ، يجير أديانهم على أعلاهم .

فخلا رستم برؤساء قومه فقال : هل رأيتم كلاما قط أعز وأوضح من كلام هذا الرجل ؟ فقالوا : معاذ الله أن نمرل الى دين هذا الكذب ، اما ترى الى ثيابه ؟ فقال : ويحكم لا تنظروا الى الثياب ولكن انظروا الى الرأى والكلام والسيرة ، ان العرب تستخف باللباس وتصون الأحساب ، ليسوا مثلكم ، فلما كان من الغد أرسل رستم الى سعد أن ابعث الينا ذلك الرجل فبعث اليهم حذيفة بن محصن ، فتكلم معه ورجع فلما كان الغد أرسل أيضا أن ابعثوا الينا رجلا ، فبعث المغيرة ابن شعبة ، فأقبل اليهم وعليهم القحان والثياب المنسوجة بالذهب ويسطهم على غلوة لا يوصل الى صاحبهم ، حتى يمشى عليها ، فأقبل المغيرة حتى جلس مع رستم على سريره فوثبوا عليه وأنزلوه ومعكوه ، وقال : قد كانت تبلغنا عنكم الأعلام ولا أرى قوما أسفه منكم ، انا معشر العرب لا يستعبد بعضنا بعضا فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى ، فكان أحسن من الذى صنعتم أن تخبرونى أن بعضكم أرباب بعض ، فان هذا الأمر لا يستقيم فيكم ولا يصنعه أحد وانى لم آتكم ولكن دعوتمنى . اليوم علمت أنكم مغلوبون وأن ملكا لا يقوم على هذه

السيرة ، ولا على هذه العقول • فقالت السفلة : صدق والله العربي •  
وقالت الدهاقين : والله لقد رمى بكلام لا تزال عبيدنا يبنزون اليه ،  
قاتل الله أولينا حين كانوا يصغرون أمر هذه الأمة •

ثم تكلم رستم فحمد قومه وعظم أمرهم وقال : لم نزل متمكنين  
في البلاد ظاهرين على الأعداء ، أشرافا في الأمم ، فليس لاحد مثل  
عزنا وسطاننا ننصر عليهم ولا ينحرون علينا الا اليوم واليومين  
والشهر ، للذنوب ، فاذا انتقم الله منا ورضى علينا ، رد لنا الكرة • على  
عدونا ، ولم يكن في الأمم أمة أصغر عندنا أمرا منكم • كتتم أهل  
قشفت ومعيشة سيئة لا تراكم شيئا وكتتم تقصدوننا ، اذ قطعت بلادكم ،  
فنامر لكم بشيء من التمر والشعير ، ثم نردكم وقد علمت أنه لم يحملكم  
على ما صنعتم ، الا الجهد في بلادكم ، فأنا أمر لأميركم بكسوة وبغل  
وألف درهم ، وأمر لكل منكم بوقر تمر ، وتنصرفون عنا • فاني لست  
أشتهي أن أقتلكم ، فتكلم المغيرة رضى الله تعالى عنه فحمد الله تعالى  
وأثنى عليه • وقال : ان الله خالق كل شيء ورازقه • فمن صنع شيئا  
فانما هو يصنعه ، وأما الذى ذكرت به نفسك وأهل بلادك ، فنحن  
نعرفه • فالله صنعه بكم ووضعه فيكم ، وهو له دونكم • وأما الذى  
ذكرت فينا من سوء الحال والضيق ، فنحن نعرفه ولسنا ننكره ، والله  
تعالى ابتلانا به ، والدنيا دول ، ولم يزل أهل الشدائد يتوقعون الرخاء  
حتى يصيروا اليه ، ولم يزل أهل الرخاء يتوقعون الشدائد حتى تنزل  
بهم ، ولو شكرتم ما أتاكم الله لكان شكركم يقصر عما أوتيتهم ، وأسلمكم  
ضعف الشكر الى تغير الحال • ولو كنا فيما ابتلينا به أهل الكفر لكان  
عظيم ما ابتليا به مستجلبا من الله رحمة ورفاة علينا ، ان الله تبارك  
وتعالى بعث فينا رسولا •

ثم ذكر ما تقدم من ذكر الاسلام والجزية والقتال ، وقال رستم :  
انكم ستموتون ولا تتالون منا شيئا • فقال المغيرة يدخل من قتل الجنة ،  
ومن قتل منكم النار ، ويظفر من بقى منا بمن بقى منكم ، فاستشاط

« رستم » غضبا ثم حلف أن لا يرفع الصبح غدا حتى نقتلكم أجمعين •

وانصرف المغيرة رضى الله تعالى عنه • ثم قال رستم : أطيعونى يا أهل فارس انى لأرى لله فايكم نعمة لا تستطيعون ردها • ثم أرسل اليه سعد ونصحه بأن يقبلوا دين الاسلام ، ويرجع عنهم • فلم يقبلوا • ثم اقتتلوا فقتل رستم وأكثر عسكره ونصر الله تعالى المسلمين ، وأورثهم أرض الفرس • كما تقدم •

تتبييه : العجب من هذا النصرانى المؤلف ، والموه الزخرف • لأنه اذا علم أن الغلبة كانت للمشركين فى بعض الغزوات كمسألة أحد يجعل ذلك بزعمه دليلا على عدم صحة نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام ويقول : أين كانت الملائكة عن معونته ؟ كما تقدم لك ردنا لذلك ، وجوابنا الكافى والله الحمد • واذا علم أن المسلمين كانوا قد انتصروا على المشركين والكافرين كوقعة بدر والقادسية والمدائن الكسروية وغيرها من البلاد والعباد شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، لا يعد ذلك من دلائل نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام ولا يراه فتحا ونصرا من العزيز المؤيد به دين الاسلام ، بل يعد ذلك بزعمه أنه من قبيل أن الله سبحانه قد جعل الانتقام من الكفرة على يد من لم يكن من المؤمنين البررة • واستدل بأدلة لا تفى عند المحك بمراده ، ولا يجعلها العاقل من قوى عماده ، لأننا قد برهنا وأثبتنا لك سابقا أن عادة الله تعالى جرت مع النبيين أن يغلبوا أحيانا ويغلبوا مرارا ، وتكون عاقبة النصر والغالب للمؤمنين • اذ العاقبة كما قال تعالى للمؤمنين •

**وتذكر لك تاييدا لما أسلفناه :** ما رواه الامام البخارى فى صحيحه بسنده أن أبا سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف ، قال ان هرقل ملك الروم أرسل اليه فى ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام فى المدة التى كان رسول الله ﷺ ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه بالبياء - أى بيت المقدس - فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا ترجمانه • فقال : أيكم أقرب

نسبا بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبي ؟ فقال أبو سفيان : قلت أنا  
أقربهم نسبا . قال ادنوه منى وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره .  
ثم قال لترجمانه : قل لهم انى سائل عن هذا الرجل فان كذبنى فكذبوه  
قال فوالله لولا الحياء من أن يؤثروا على كذبا كذبت عليه ، ثم كان  
أول ما سألتى عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت هو فينا ذو نسب  
قال : هل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ قلت لا . قال : فهل كان  
من آبائه من ملك ؟ قلت : لا قال فأشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟  
قلت بل ضعفاؤهم . قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت بل يزيدون .  
قال : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت لا  
قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا قال :  
فهل يغدر ؟ قلت : لا ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها .  
قال أبو سفيان : ولم يمكنى كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة ،  
قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم قال فكيف كان قتالكم إياه ؟ قلت :  
الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه ، قال : ماذا يأمركم ؟  
قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ، واتركوا ما يقول  
آبائكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة ، فقال لترجمان :  
قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، فكذلك الرسل تبعث  
فى نسب قومها ، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول ؟ فذكرت أن لا  
فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله ،  
وسألتك هل كان من آبائه من ملك فذكرت أن لا ، قلت : فلو كان من  
آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب  
قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على  
الناس ويكذب على الله ، وسألتك أشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟  
فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه ، وهم أتباع الرسل ، وسألتك أيزيدون أم  
ينقصون ؟ فذكرت أنهم يزيدون . وكذلك أمر الايمان حتى يتم ، وسألتك  
أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا . وكذلك الايمان  
حين يخالط بشاشته القلوب ، وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك  
الرسل لا تغدر ، وسألتك هل قاتلتموه وقاتلكم فزعمت أنه قد فعل وان

حربكم وحربه يكون دولا ، يدال عليكم المرة وتداولون عليه الأخرى ، وكذلك الرسل تبتلى وتكون لهم العاقبة ، وسألتك بم يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف •

فان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ، ولم أكن أظن أنه منكم ، فلو أنى أعلم انى اخلص اليه لتجشمت لقاؤه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه •

ثم دعا كتاب رسول الله ﷺ الذى بعث به دحية الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل فقرأه فاذا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم » من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم •

سلام على من اتبع الهدى •

### أما بعد •

فانى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجره مرتين ، فان توليت فان عليك اثم الأريسيين • « ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا آريابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا : أشهدوا بأننا مسلمون » قال أبو سفيان : فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب ، كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا • فقلت لأصحابي حين أخرجنا : لقد أمر أمر ابن أبي كبشة يعنى محمدا أنه يخافه ملك بنى الأصفر • قال أبو سفيان : مازلت ذليلا مستيقنا بأن أمره سيظهر حتى أدخل الله على الاسلام وأنا كاره • وكان ابن الناطور صاحب « ايلياء » وهرقل أستقف على نصارى الشام ، يحدث أن « هرقل » حين قدم « ايلياء » أصبح خبيث النفس أى مهموما • فقال بعض بطارقتة : قد استنكرنا هيئتك • قال ابن الناطور : وكان هرقل حزاء ينظر فى النجوم ، فقال لهم حين سألوه : انى رأيت انليلة حين نظرت

في النجوم ملك الختان قد ظهر ، فمن يختتن من هذه الأمة ؟ قالوا :  
ليس يختتن الا اليهود فلا يهمنك شأنهم ، وكتب الى مدائن مدك  
فيعتلاوا من فيهم من اليهود •

فبينما هم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر  
عن خير رسول الله ﷺ ، فلما استخبره هرقل قال : اذهبوا فانظروا  
مختتن هو أم لا ؟ فنظروا اليه ، فحدثوه أنه مختتن وسأله عن العرب  
فقال : هم يختتنون • فقال هرقل : هذا ملك هذه الأمة قد ظهر • ثم  
كتب هرقل الى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم وسار هرقل  
الى حمص ، فلم يرم حمص - أى لم يبرح من مكانه - حتى أتاه  
كتاب من صاحبه يوافق رأى هرقل على خروج النبي ﷺ وأنه نبي ،  
فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص ، ثم أمر بأبوابها  
فغلقت ثم اطلع فقال : يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن  
يثبت ملككم فقتلوا لهذا النبي ؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش الى  
الأبواب فوجدوها قد غلقت • فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من  
الايمان ، قال : ردوهم على • وقال : انى قلت مقالتي أنفا اختبر بها  
شدتكم على دينكم ، فقد رأيت ، فسجدوا له ورضوا عنه ، فكان ذلك  
آخر شأن هرقل « انتهى •

وأخرج أبو عبيد في كتاب الأموال من مرسل عمر بن اسحاق  
قال : كتب رسول الله ﷺ الى كسرى وقيصر ، فأما كسرى فلما قرأ  
الكتاب مزقه ، وأما قيصر فلما قرأ الكتاب طواه ، ثم رفعه ، فقال  
رسول الله ﷺ : « أما هؤلاء فيزقون ، وأما هؤلاء فستكون لهم بقية »  
ويؤيده : ما روى أن النبي ﷺ لما جاءه جواب كسرى قال : « مزق  
الله ملكه » ولما جاءه جواب هرقل قال : « ثبت الله ملكه » انتهى •

قال النصراني : « فلترجع الآن الى ذكر الآيات الموجبة لحل من  
أظهرها صحة ما يدعى من نبوة أو رسالة عن الله تبارك وتعالى وننظر  
في ذلك نظرا شافيا •

فنقول : أما كتاب صاحبك الذى ادعى أنه منزل عليه من عند الله فليس فيه شيء من ذكر الآيات ، بل كما قلنا آنفا : زعم أنه أولا أنهم كذبوا بآيات الأنبياء الأولين لاتاه الله الآيات ، ولكنه كره أن يؤتية بشيء منها فيكذبون به ولعمري هذه حجة مقنعة وجواب صحيح يجوز عند ذوى العقل ويرضى به العلماء والفلاسفة والمتدنون للكلام ، والباحثون عن الأصول والأخبار . فهذا ما شهد به كتابك . نعم ان الاولين من اليهود كذبوا بايات الانبياء وردوها . وأما الأعراب فبآيات من كذبوا ؟ وإمام يبعث فيهم نبي قط ولا وجه اليهم رسول لا بآية ولا بغير آية . ولعله لو كان جاءهم بشيء من الآيات لكانوا صدقوه ولم يكذبوه . ألم تر أن كثيرين منهم أجابوا دعوته ولم يروا منه آية ولا سمعوا عنه اعجوبة ، ولكن أنت تعلم — حفظك الله — أن هذه حجة مبهرجة قتلتشى عند المحك ، فأما غير الكتاب فقد وجدنا لكم أخبارا وقصصا هي كخرافات المجاز .

منها زعمهم أنه كان من آياته العجيبة أنه وقف بين يديه نئب فعوى وبكى ، فالتفت الى أصحابه قائلا لهم : هذا وافد السباع ، فان أحببتم ان تفرضوا له شيئا لا يعدوه الى غيره ، وأن أحببتم تركتموه وتحرزتم منه . قالوا : ما نطيب له بشيء . فأوما اليه بأصابعه الثلاث أن خالسهم ، فولى وهو غائل ، فهذا لعمري آية عجيبة لم يسمع السامعون بمثلا قط ، ولم ير الرائيون أعجب منها . تضل عندها عقول الفلاسفة والحكماء ، وتتدهر منها العلماء وذوو الحيل والفتن الدقيقة أنه عرف عواء الذئب ، وأنه وافد السباع . فإيت شعري لو كان قال لهم : ان هذا الذئب رسول رب العالمين اليه ، من كان برد عليه قوله ؟ فواضح ان هذا الخبر يا أخى وضعه لتوم لا مدنية لهم ولا منتقد بإحد فيهم .

ومنها : زعمهم أيضا أن الذئب كلم أهبان بن أوس الأسلمي فأسلم ، ولو ادعى أن أهبان ذكر أن الأسد كلمه لكان عندى أعجب ،

على أنه ساوى بينه وبين نفسه فيهما ، بل فضله على نفسه ، إذ الذئب معه عوى ، فادعى هو معرفة ما قال في عوائه أنه وأخذ السباع ، فأما أهبان فإنه زعم أن الذئب ناطقه بأسان عربي بين •

والأعجب في ذلك : أن هاتين لم تجريا الا بواسطة الذئب الذى يعرف بالخطف من السباع ، وهذا لقبه في كتب الله المنزل ، فمثلك أيدك الله لا يحيل عليه مثل هذا الكلام ، وليست لنا حاجة الى الاطالة فيه •

وكذلك قصة ثور ذريخ وادعاؤهم مخاطبته ذريخاً عند ضربه اياه وكتابه يشهد أن الأعراب أشد كفرا ونفقا •

أما شاة أم معبد ومسحه يده على ضرعها وما يلى ذلك من الخرافات الأخرى كدعائه الشجرة فأسرعت اليه مقبلة مجيبة تجهد ، فهذا أمر تؤخره إذ فيه نظر •

مع أن أكثر المسلمين الراسخين فى الصلح لا يقبلونه بل يردونه ولا يصحونه ، وكذلك السم الذى سمت به زينب بنت الحارث اليهودية زوجة سلام بن مشكم اليهودى فى شاة مصلية أى مشوية فكلمته الذراع وأكل معه بشر بن البراء بن معرور فمات ، وأن السم الذى لم يزل يدب فى بدنه كان سبب موته ، فليت شعرى هل هو سمع الكلام من الذراع وحده أم سمعته الجماعة الذين كانوا بحضرته ؟ فان كان سمعه من وحده فلم لم يمنع ابن البراء من أكل طعام مسموم حتى لا يموت ، وابن البراء رجل من أصحابه قد اختصه بالأكل معه ، وكيف استحل ذلك واستجاز كتمان قول الذراع له أنها مسمومة ؟ وان كان سمع ذلك من الذراع جميع من حضر ، فكيف لم يمنع ابن البراء من الأكل وهو يسمع الذراع تقول : لا تأكل منى ، فانى مسمومة ؟ وكيف امتنع هو من الأكل وترك ذلك الشقى يأكل من طعام مسموم فقتله ؟ وليس يخاو من أحد وجهين : اما أن يكون سمعه هو وحده وكم ذلك عفرا ،



واما ان تكون الجماعة سمعوه فلم يمتنع البراء من ذلك الاكل حيث  
سمع ولا يموت . وحيث مات ابن البراء من أكله السم . ولصله  
انما أكل ثقة منه بأنه يأكل مع نبي مستجاب الدعوة ورسول رب  
العالمين مشفع عند ربه في جميع ما سأله لم لم يدع ربه فيجيب ؟  
كمهدنا بالأنبياء المشفعين في احياء الموتى . فان ايلياء النبي قد أحيى  
ابن الأرملة بصرفة ( ملوك أول ١٧ ) وهكذا أليشع تلميذ ايلياء قد أقام  
ابن الشوغية من الموت حيا ( ملوك ثان ٣ ) وقد فعلت الأنبياء مثل هذا  
مرارا كثيرة وهم احياء ، وفعلت أيضا القوة الحالة في عظامهم ، كفعل  
عظام أليشع النبي حيث وضع الميت عليها فعاش ( ملوك ثان ) .

وأنت تعلم أن هذا خبر صحيح في كتب الله المنزلة قرأته في سفر  
كتب الملوك مفسرا ، نيس فيه اختلاف بين النصارى أصلا ولا بين  
اليهود . وهما ملتان مختلفتان اجتماعا نحن وهم على صحة ذلك .  
وكيف لم يأكل هو منها أيضا ولم يصبه شيء ؟ فيكون ذلك آية له  
وشاهدا على صحة ما يدعى من النبوة ان كان نبيا كما تقول . لأن  
الأنبياء بأسرهم موفون معصومون بالوقاية الحالة عليهم من الله جل  
ثناؤه من الآفات التي تحتال الكفرة بها عليهم ، وعلى أولياء الله .  
كتقول الرب المسيح لتلاميذه في انجيله المقدس ووعده لهم بما وفي لهم  
به إذ يقول : « ان أنتم شربتم السم القاتل لم يضركم » يعني إذا أردتم  
اظهار دعواكم وما يعرفه الناس منكم من بشارتي كان ذلك جائزا  
مطلقا ، فقد كانوا يمتحنون بمثل هذا وشبهه . فتظهر صحة دعواهم  
على المحنة والتجربة ، فانقادت لهم الماوك الجبابرة والعلماء الأفلاسفة  
والحكماء أصحاب الحيل والقضاة بلا سوط ولا عصا ولا سيف ولا رمح  
ولا عشيرة ولا ناصرة ولا حكمة دنيوية ، ولا فصاحة بديمة الالفاظ  
ولا حذق بحجة ولا ترغيب في شيء ولا تسهيل في شريعة ، بل لما كانوا  
يرون من اظارهم الأفعال المعجبة التي يمتنع امكانها في عقول الآدميين .  
فكانوا يرفضون ملكهم وعتوهم ويدعون فأسفتهم ويزهدون في

علمهم وحكمتهم ويخرجون عن نعمهم وايتارهم ويتبعون اناسا فقراء  
الظاهر صيادي سمك وعشارين لا حسب لهم ولا نسب ، غير انتمائهم  
الى طاعة المسيح الذى اعطاهم السلطان والقدرة على أفعال تلك  
العجائب • فهذه - أصلحك الله - دلائل النبوة وعلامات الرسالة  
وصحة الدعوة الى الله تعالى لا ما يدعيه صاحبك مما لا حقيقة له «  
انتهى •

فاقول : قد بينا زيف كلامه هذا آنفا وتفسير الآية القرآنية أى  
تأولها حسب هواه ونبهنا على أن المراد بالآيات الآيات المقترحة ، وأتينا  
بعبارة من انجيلهم مطابقة للآية التى أوردها المؤلف المشعرة بمراده  
على زعمه ، فلا حاجة الى التكرار ، وقد انسلخ الليل من النهار ،  
وقدمنا لك أيضا من معجزات النبي المصطفى ﷺ ما فيه كفاية لطالبي  
الحق ، ولا حاجة الى اعادة تفصيلها • غير أنا نذكر بعضا مما ورد في  
القرآن الكريم من الاخبار فى المعجزات ، وشيئا نورا من المعجزات  
والكرامات •

فمن ذلك : قوله جل وعز فى سورة الروم « غلبت الروم فى أدنى  
الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين ، لله الأمر من قبل  
ومن بعد • ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء • وهو  
العزيز الرحيم • وعد الله لا يخلف الله وعده • ولكن أكثر الناس لا  
يعلمون • يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا • وهم عن الآخرة هم غافلون »

قال المفسرون فى سبب نزول هذه الآيات : ان الفرس غزوا الروم  
فوافوهم بأذرعوات وبصرى فغلبوا عليهم ، فبلغ ذلك النبي ﷺ  
وأصحابه ، وهم اذ ذاك بمكة فشق ذلك عليهم ، وكان ﷺ يكره أن  
يظهر الأميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم ، وفرح الكفار  
بمكة وشتموا ، فلقوا أصحاب النبي ﷺ فقالوا انكم أهل كتاب  
والنصارى أهل كتاب وقد ظهر اخواننا من أهل فارس على اخوانكم  
من أهل الكتاب ، وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم ، فأنزل الله تعالى

هذه الآيات التي فيها أن الروم ستنقلب الفرس بعد بضع سنين ، فخرج أبو بكر رضى الله تعالى عنه الى الكفار ، فقال أفرحتم بظهور الفرس • فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم ، فوالله ليظهروا الروم على فارس ، أخبرنا بذلك نبينا ﷺ •

فقام اليه أبي بن خلف فقال : كذبت • فقال له أبو بكر رضى الله تعالى عنه : أنت أكذب يا عدو الله أنا أراهنك على عشر قلائص منى وعشر قلائص منك ، فان ظهرت الروم على فارس غرمت ، وان ظهرت فارس غرمت الى ثلاث سنين • فراهنه • ثم جاء أبو بكر رضى الله تعالى عنه الى النبي ﷺ فأخبره فقال عليه الصلاة والسلام : ما هكذا ذكرت ؟ اتما البضع ما بين الثلاث الى التسع ، فزايده في الخطر وفاده في الأجل ، فخرج أبو بكر فلقى أبيا فقال : لعلك ندمت قال لا فقال أزدك في الخطر وأمدك في الأجل فاجعلها مائة قلوص الى تسع سنين • قال : قد فعلت ، فلما علم أبي أن أبا بكر يريد الهجرة طلب منه كفيلا بالخطر ان غلب ، فكفل به ابنه عبد الرحمن ، ولما كانت وقعة أحد ، وأراد أبي الخروج من مكة طالبه عبد الرحمن بالكفيل فأعطاه كفيلا ثم لما طعنه رسول الله ﷺ في أحد ومات في طريقته كما قد مناه في غزوة أحد ، وظهرت الروم على فارس لما دخلت السنة السابعة كما أخبر القرآن بذلك ، طلب أبو بكر رضى الله تعالى عنه الخطر من ورثة أبي فأعطوه ذلك • وجاء به الى النبي عليه الصلاة والسلام وأخبره • فقال النبي ﷺ له « هذا المسحت تصدق به » •

وقال ثقة المؤرخين : انه لما مضى من سلطنة « خسرو » أربعة عشر سنة غدر الروميون بملكهم وقتلوه مع ابنه بناطوس وهرب ابنه الآخر الى خسرو ، فجهز معه ثلاثة رؤساء أولى قدر رفيع مع عسكر عظيم ، فدخلوا بلاد الشام وفلسطين والبيت المقدس وأسروا من فيها من الأساقفة وغيرهم ، وأرسلوا الى « خسرو » والصليب الذي كان مدفونا عندهم في تابوت من ذهب • ولذلك استولوا على الاسكندرية

وبلاد النوبة الى أن وصلوا الى نواحي « القسطنطينية » وأكثروا الخراب وجهدوا على طاعة الروميين لابن قيصر ، فلم تحصل .

قيل : ان الروميين جعلوا عليهم حاكما شخصا اسمه « هرقل » وكان سلطانا عادلا يخاف الله تعالى ، فلما رأى تخريب فارس قد شاع في بلاد الروم من النهب والقتل ، تضرع وبكى وسأل الله تعالى تخليص الروميين ، فصادف دعاءه هدف الاجابة ، فرأى في ليل متعددة في منامه : أنه قد جرى اليه بخسرو ، وفي عنقه سلسلة . وقيل لله : عجل بمحاربة بترويز ، لأنه يكون لك الظفر والنصرة ، فجمع هرقل عسكره بسبب تلك الرؤيا وتوجه من « قسطنطينية » الى « نصيبين » فسمع « خسرو » فجهز اثني عشر ألفا مع أمير من أمرائه ، فقاتلهم هرقل ، فكسرهم وقتل منهم تسعة آلاف مع رؤسائهم ، وربطوا خيولهم في « المدائن » ونصرهم الله تعالى على فارس . وجاء الخبر ففرح المسلمون . وكان ذلك من الآيات البيّنات الباهرة الشاهدة بصحة النبوة ، وكون القرآن من عند الله عز وجل ، لما في ذلك من الاخبار عن الغيب الذي لا يعلمه الا الله العليم الخبير .

وقد صح أنه أسلم عند ذلك ناس كثير .  
ونقل العلامة أبو حيان في البحر عن أبي الحكم بن برجان « أنه استخرج من قوله تعالى « ألم غلبت الروم » الى قوله تعالى « سنين » افتتاح المسلمين بيت المقدس ، معينا زمانه ويومه . وكان اذ ذاك بيت المقدس قد غلب عليه النصارى ، وأن « ابن برجان » مات قبل الوقت الذي عينه للفتح ، وأنه بعد موته بزمان افتتحة المسلمون في الوقت الذي عينه أبو الحكم من غير تقدم ولا تأخر ، وكان أبو جعفر يعتقد في أبي الحكم هذا أنه كان يتطلع على أشياء من المغيبات يستخرجها من كتاب الله تعالى » انتهى نقله الوالد .

ثم قال : « واستخراج بعض المأرفين كمحيي الدين بن عربي

والعراقي وغيرهم المغريات من القرآن العظيم أمر شهير ، وهو مبني على قواعد حسابية وأعمال حرفية ، غير أنه لم يرد شيء منها عن سلف الأمة . ولا حجر على فضل الله عز وجل ، وكتاب الله تعالى فوق ما يخطر للبشر .

قلت : ونحو هذا ما كان من فتح مصر القاهرة والاستيلاء عليها زمن السلطان المرحوم سليم خان تاسع ملوك بني عثمان — أييد الله تعالى ملكهم الى نهاية الزمان — فقد ذكر الوالد عليه الرحمة في كتابه شرح البرهان « أن السلطان سليم خان لما أراد الذهاب الى الحج وزيارة النبي ﷺ وكان سلطان مصر قانصوه الغورى ومنعه من الذهاب على طريق مصر ، وكان « الغورى » أيضا معاضدا للشاه اسماعيل الصفوى ، مع أنه محارب للسلطان سليم ، فاستخرج العلامة بن الكمال من قوله تعالى : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » أن السلطان سليم يستولى على مصر سنة تسعمائة وعشرين . فقال للسلطان : « ولقد » بالجمع للكبير مائة وأربعون . ولفظ « سليم » كذلك مائة وأربعون . ولفظ « ذكر » تسعمائة وعشرون . وهذه السنة كذلك ، وتطلق الأرض على مصر والعباد الصالحون سلطاننا وعساكره ، فكأنه تعالى قال : سليم « كتبنا في الزبور من بعد » سنة تسعمائة وعشرين أن مصرا يملكها هو وجنوده . فسر السلطان بذلك ، وتحارب مع « الغورى » فهلك الغورى في المحاربة . واستولى السلطان على مصر ونواحيها . وأكرم ابن الكمال على ما أبدى من الكمال .

ومن المعجزات النبوية : معجزة الاسراء الى ايلياء التى حكاه الله سبحانه في كتابه الكريم بقوله « سبحانه الذى أسرى بعبد ايليا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله انزليه من آيتنا » فقد أسرى به عليه الصلاة والسلام يقظة ليلا من مكة الى بيت المقدس ببدره الشريف ، وعاد في تلك الليلة ، وأخير أصحابه

بذلك صبيحتها ويصفه البيت المقدس ، وأنكر ذلك المشركون وأثبتته لهم بحيث لم يبق للجاحد منهم مجال — كما تقدم بيان ذلك مفصلا — ثم عرج به الى السماء كما عرج ببيسى بن مريم العذراء وكيفية العروج مفصلة في سورة النجم من كتب التفسير وأمرها شهير ، فلذلك نقنصر فيها على هذا التحرير اليسير .

**ومنها : أيضا انشقاق القمر قال الله تعالى « اقتربت الساعة وانشق القمر ، »** أى انفصل بعضه عن بعض ، وصار فرقتين . فقد ورد في الروايات الصحيحة بل المتواترة أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ آية . وقالوا : ان كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين نصفاً على أبى قبيس ونصفاً على قينقاع . فقال لهم النبي ﷺ « ان فعلت تؤمنوا » ؟ قالوا نعم . وكانت ليلة بدر فسأل عليه الصلاة والسلام ربه عز وجل أن يعطيه ما سألوا فانشق القمر كما طلبوا ليلة أربع عشرة ، فنزلت هذه الآيات وهذا أمر متواتر مجمع عليه . وقال كثير من العلماء : ان الانشقاق وقع مرتين . ثم انهم قالوا ما هذا الا سحر . والله در « البويصرى » حيث يقول :

**شق عن صدره ، وشق له البدر ومن شرط كل شرط جزاء**

قال الوالد عليه الرحمة في تفسيره : « أفكر الفلاسفة أصل الانشقاق بناء على زعمهم استحالة الخرق والالتئام على الأجرام العلوية . ودليلهم على ذلك أوهن من بيت العنكبوت . وقد خرق بأدنى نسمة من نسيمات أفكار أهل الحق العلويين . خرقاً لا يقبل الالتئام . كما بين في موضعه . وقتل بعض اللاحدة : لو جمع لنقل متواتراً واشترك أهل الأرض كلهم في معرفته ولم يختص بها أهل مكة لأنه أمر محسوس مشاهد والناس فيه شركاء ، والطباع حريصة على رواية الغريب ونقل ما لم يعهد . ولا أعرب من انشقاق هذا الجرم العظيم ، ولم يعهد أصلاً في الزمن القديم . ولو كان له أصل لخلد في كتب التنجيم ، ولذكره أهل الأرصاد ، فقد كانت موجودة قبل البعثة بكثير .

وإطباقهم على تركه واغفاله مع جلالته شأنه ووضوح أمره مما لا تجوزه العادة • وأيضا : لا يعقل سبب لخرق هذا الجرم العظيم • وأيضا : خرقه يوجب صوتا هائلا أشد من أصوات الصواعق المهلكة بأضعاف مضاعفة لا يبعد هلاك أكثر أهل الأرض منه • وأيضا : متى خرق وصار قطعتين ذهب من قوة التجاذب ، كالجيل اذا انشق فإلزام بقاؤه منشقا ولا أقل أن يبقى كذلك سنين كثيرة •

**والجواب عن ذلك :** أنه وقع في الليل وزمان الغفلة وكان في زمان قليل ، ورؤية القمر في بلد لا تستلزم رؤيته في جميع البلاد ، ضرورة اختلاف المطالع ، فقد يكون القمر طالعا على قوم غائبا عن آخرين ومكسوفا عند آخرين • والاعتناء بأمر الأرصاد لم يكن بمثابة اليوم ، وغفلة أهلها لحظة غير مستبعد • والانشقاق لا تختلف به منازلها ولا يتغير به مسيره • غاية ما في الباب : أن يحدث في القطعة الشرقية قوة سير لتلحق أختها الغربية ، وأي مانع من أن يخلق الله تعالى فيها من السرعة نحو ما خلق سبحانه في ضوء الشمس ؟ فقد قال أهل الحكمة الجديدة : ان بين الأرض والشمس ثلثمائة ألف فرسخ وأربعون ألف فرسخ ، وأن ضوءها ليصل الى الأرض في مدة ثمان دقائق وثلاث عشرة ثانية ، فيقطع الضوء في كل ثانية سبعين ألف فرسخ ، ولا يلزم أن يعلم سبب كل حادث ، بل كثير من الحوادث المتكررة المشاهدة لم يوقف على أسبابها • كروية الكواكب قرابية مع بعدها المفرط • فقد ذكروا أنهم لم يقفوا على سببه ويكتفى في ذلك : عدم وقوفهم على سبب الابصار بالعين على الحقيقة • ولو أخبرهم مخبر بفرض أن لم يكن أهم أبصار بخواص البصر مع كونه قطعة شحم صغيرة ، معروفة أحوالها عند أهل التشريح لأنكروا عليه غاية الإنكار وكذبوه غاية التكذيب ، ونسبوه الى الجنون •

ومن سلم تأثير النفوس الى حد أن يصرع الشخص بمجرد النظر اليه وتوجيه نفسه نحوه ، لم يستبعد أن يكون هناك سبب نحو ذلك •

وقد صح في اصابة العين : أن بعض الأعراب ممن له عين صائبة  
يفلق سنام الناقة فلقنتين • وربما تصور له من رمل فينظر اليه ويفلته  
فينفلق سنامها مع عدم رؤيته لها نفسها • وهذا كله من باب المماثلة ،  
والا فإرادة الله تعالى كافية في الانشقاق • وكذا في كل المعجزات وخوارق  
العادات • ولو كان لكل حادث سبب ، لزم التسلسل • وقد قامت الأدلة  
على بطلانه • وكون الخرق يوجب صوتا هائلا ممنوع فيما نحن فيه •  
ومثله ذهاب التجاذب • والأجسام مختلفة من حيث الخواص • فلا  
يلزم اتحاد جرم القمر والأرض فيها • ويمكن أن يكون احدى القطعتين  
كالجبل العظيم بالنسبة الى الأرض اذا ارتفع عنها بقاسر ، مثلا جذبته  
اليه اذا لم يخرج عن حد جذبها — على ما زعموه — ويلتزم في تلك  
القطعة عدم الخروج عن الجذب • على أننا في غنى عن كل ذلك أيضا  
بعد اثبات الامكان وشمول قدرته عز وجل ، وأنه سبحانه فعال لما  
يريد • والحاصل : أنه ليس عند المنكر سوى الاستبعاد ولا يستطيع  
أن يأتي بدليل على الاستحالة الذاتية ولو انشق • والاستبعاد في مثل  
هذه المقامات قريب من الجنون عند من له عقل سليم « انتهى •

أقول : والعجب من استبعاد التنصاري ذلك ، وانكارهم أيضا  
مسألة عروجه عليه السلام بعد ادعائهم واقرارهم أن عيسى عليه  
السلام صعد بناسوته ولاهوته الى السماء ، وجلس عن يمين أبيه ،  
وأنه نزل على الحواريين بعد رفعه بناسوته وأراهم تأثير المسامير في  
يديه ، ثم عرج أيضا • ودعوى بولس عروجه الى السماء الثالثة كما  
في رسالته ، ويعترفون أن الشمس ردت ليوشح عليه السلام فكيف  
يعدون عروج المصطفى ﷺ وانشقاق القمر ممكلا ولا يعدون ما ادعوه  
من الحالات ؟ ولا قولهم : ان الله سبحانه هو عيسى ، وعيسى هو الله •  
فهما شيء واحد ولا اثنيانية في الدين • ثم يزعمون أنهم في كل يوم  
يأكلون في العشاء الرباني حقيقة الالهين • وأين هذا عن مسألة انشقاق  
القمر وصيرورته قطعتين ؟ فالبعد بينهما كما بين المشرقين والمغربين • والله  
سبحانه ولى التوفيق •



ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام التي قدمنا تفصيل بعضها  
وأثبتناه بمثل ما ثبت به معجزات اخوانه المرسلين عليهم الصلاة والسلام:  
تسبيح الحصى في كفه الشريفه ، واثنان الشجر اليه ، وحنين الجذع  
عليه . ومثل تكثير الشراب والطعام مرات كثيرة كما أشبه في الخندق  
العسكر من قدر طعام ، وهو لم ينقص . وروى العسكر في غزوة خيبر  
من مزادة ماء ، ولم ينقص ، ولما هموا بنحر الظهر جمع الأرواد ،  
ودعا الله تعالى فما بقى في القوم الا من ملأ وعاءه وملأ أوعية العسكر عام  
تبوك من طعام قليل ، ولم ينقص وهم نحو ثلاثين ألفاً . ونبع الماء من بين  
أصابعه مرات متعددة حتى كفى الناس الذين كانوا معه كما كان في  
غزوة الحديبية نحو ألف وأربعمائة . وردة لعين قتادة لما سألت على  
خده فرجعت أحسن عيائه ، ولما انكسرت رجل محمد بن مسلمة  
مسحها بيده الكريمة ، فبرأت . وأطعم من سواد بطن شاة مائة وثلاثين  
رجلا كل منهم جز له قطعة فأكلوا جميعهم ، ثم فضل فضلة . ودين  
عبد الله الذي لليهودى وهو ثلاثون وسقا فسأل ابنه جابر صاحب  
الدين أن يأخذ التمر جميعه بالذى له ، فأبى فأمره النبي ﷺ بجذبه  
فجذبه وجعله بيادر فجاءه النبي ﷺ ومشى فيها ودعا فأوفى منه جابر  
غرماء أبيه وفضل مثل ما كانوا يجذون كل سنة ، وكان الغرماء يهودا  
فنعجبوا من ذلك غاية العجب . ومثل هذه المعجزات شئ كثير قد جمعت  
ألف معجزة بصحيح النقول المعتبرة التي لا مرية فيها ولا اشتباه ولا  
تحريف ولا تبديل .

ومن جملة معجزاته : ما وقع لصلحاء أمته من الكرامات الخارقة  
للعادة ، وذلك شئ كثير لا يمكن حصره ولا انكاره ولا سيما فهي واقعة  
في كل عصر من الأعصار في زمن حياته عليه الصلاة والسلام الى زمن  
الصحابة والتابعين وتابعيهم وتابعي تابعيهم طبقة بعد طبقة وعصرا  
بعد عصر ، وقاما خلت بلد من بلاد المسلمين من صالح يكرمه الله تعالى  
بأن يجرى على يده خارق العادة فيكون عند الحقيقة هذا الخارق أيضا  
معجزة أثبتنا عليه الصلاة والسلام لأنه صدر من أحد صلحاء أمته :

مثلا كان أسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثلا  
الظلة ، فيها أمثال السرج ، وهي الملائكة تنزل تسمع لقراءته ، وكانت  
الملائكة تسلم على عمران بن الحصين • وكان سلمان الفارسي وأبو  
الدرداء رضى الله تعالى عنهما يأكلان في صحفة ، فسبحت الصحفة  
وسبح ما فيها • وعباد بن بشير وأسيد بن حضير رضى الله تعالى عنهما  
خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة فأضاء لهما طرف السوط ،  
فلما افترقا افترق الضوء معهما • رواه الامام البخارى وغيره • وقصة  
أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه في الصحيحين لما ذهب معه  
ثلاثة أضياف الى بيته وجعل لا يأكل لقمة الا ربي من أسفلها أكثر  
منها ، فشبعوا وصارت أكثر مما هي قبل ذلك ، فنظر اليها أبو بكر  
وامراته فاذا أهي أكثر مما كانت فرفعها الى رسول الله ﷺ فجاء اليه  
أقوام كثيرون فأكلوا منها • وخبيب بن عدى رضى الله تعالى عنه كان  
أسيرا عند المشركين محبوبا بمكة وكان يؤتى بعنق يأكله وليس بمكة  
عنبة واحد • وعامر بن فهيرة رضى الله تعالى عنه التمسوا جسده فلم  
يقدروا عليه ، وكان لما استشهد رفع فرآه عامر بن الطفيل وقد  
رفع ، قال عروة رضى الله تعالى عنه : فيرون أن الملائكة دفنته احتراماً  
له • وخرجت أم أيمن رضى الله عنهما مهاجرة وليس معها زاد ولا  
ماء ، فكادت تموت عطشا ، فلما كان وقت الفطر وكانت صائمة سمعت  
حسا على رأسها فنظرته فاذا دلو يرشوا أبيض معلق ، فشربت منه  
حتى رويت وما عطشت بقية عمرها • وهذا أمر مشهور فيما بين أهل  
عصرنا • وسفيينة مولى رسول الله ﷺ أخبر الأسد لما صادفه في  
طريقه أنه مولى رسول الله ﷺ فمشى معه الأسد حتى أوصله الى  
مقصده والبراء بن مالك كان اذا أقسم على الله أبر قسمه • وكانت  
الحرب اذا اشتدت على المسلمين في الجهاد يقولون : يا براء أقسم على  
ريك • فيقول : يارب أقسمت عليك لما منحتنا اكتافهم ، وجعلتني  
أول شهيد • فممنحوا اكتافهم وقتل البراء شهيدا ، ونصروا على الكفار  
ونخالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه لما حاصر حصنا الكفار أخذ  
النسم بحضورهم والعسكر ينظره ، فشربه كله فلم يضره ، فسأموه •

وسعد بن أبي وقاص رضى الله تعالى عنه كان مستجاب الدعوة ما دعا  
قط الا استجيب له ، وهو الذى هزم جنود كسرى وفتح العراق •  
وعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لما أرسل جيشا الى « نهاوند »  
وأمر عليه رجلا يدعى سارية ، فبينما عمر رضى الله تعالى عنه يخطب  
على المنبر فى المدينة والناس يستمعون جعل يصيح : يا سارية الجبل  
يا سارية الجبل ، فتعجب الحاضرون من ذلك • ثم ان رسول الجيش  
تقدم بعد أيام فسأله عن الجيش وما عمل ، فقال : يا أمير المؤمنين لقينا  
عدونا فهزمونا فاذا بصائح يا سارية الجبل يا سارية الجبل ، فأسندنا  
ظهورنا بالجبل فهزمهم الله تعالى وانتصرنا عليهم • ولما عذبت الزبيرة فى  
الله على الاسلام وذهب بصرها • قال المشركون : ما أصاب بصرها  
الا اللات والعزى • قالت : كلا والله • فرد الله تعالى عليها بصرها •  
ودعا سعيد بن زيد رضى الله تعالى عنه على أروى لما كذبت عليه ،  
فقال اللهم ان كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلها فى أرضها • فعميت  
ووقعت فى حفرة من أرضها ، فماتت • والعلاء بن الحضرمى رضى الله  
تعالى عنه كان عامل النبى ﷺ على البحرين — وكان يقول فى دعائه : يا  
حليم يا حليم يا على يا عظيم ، فيستجاب له — دعا الله تعالى بأن  
يسقوا لما عدم الماء ولا يبقى بعدهم فتروضا ودعا فأجيب ، ودعا  
الله اتعالى لما اعترضهم البحر ولم يقدروا على المرور ، فمروا كلهم  
هو والعسكر بخيولهم على الماء وما ابنتل سروج خيولهم ، ودعا الله  
تعالى أن لا يروا جسده اذا مات فلم يجده فى اللحد •

وجرى مثل ذلك لأبى مسلم الخولانى الذى أنقى فى النار فأنه  
مشى هو ومن معه من العسكر على دجلة ، وهى ترمى بالزبد من  
مدها • فالتفت الى أصحابه فقال : هل تفقدون من متاعكم شيئا حتى  
أدعو الله عز وجل فيه ؟ فقال بعضهم : فقدت مخلاة • فقال : اتبعنى  
فاتبعه فوجدتها قد علقت بشيء فأخذها • وطلبه الأسود العنسى لما  
أدعى النبوة • فقال له : أتشهد أنى رسول الله • فقال : ما أسمع •  
فقال : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال نعم فأمر بنار فألقى فيها

فوجدوه قائماً يصلى ، وقد صارت عليه برداً وسلاماً • وقدم المدينة بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام فأجلسه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، وقال : الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أرانى من أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بابراهيم خليل الله • ووضعت له جارية السم فى طعامه فأكله فلم يضره • وحبثت عليه امرأة فدعا عليها فعميت ، فجاءت وتابت ، فدعا الله تعالى فرد عليها بصرها • وكان عامر ابن قيس رضى الله تعالى عنه يأخذ عطاءه ألفى درهم فى مكة ، وما يلقاه سائل فى طريقه الا أعطاه بغير عدد ، ثم يجىء الى بيته فلم يتغير عددها ولا وزنها •

ومر بقافلة وقد حبسهم الأسد فجاءه حتى مس بشيابه فم الأسد ، ثم وضع رجله على عنقه ، وقال : انما أنت كلب من كلاب الرحمن ، وأنا أستحي من الله عز وجل أن أخاف شيئاً غيره • ومرت القافلة • وتغيب الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه عن الحجاج فدخلوا عليه البيت مرات وهو فيه فدعا الله تعالى فلم يروه • ودعا على بعض الخوارج وكان يؤذيه فخر ميتاً فى حينه • وصلة بن أشيم رضى الله تعالى عنه مات فرسه وهو فى الغزو فقال : اللهم لا تجعل لمخوق على منة ودعا الله تعالى فأحياه له ، فلما وصل الى بيته قال يا بنى خذ سرج الفرس ، فإنه عارية فلما أخذ سرجه مات وجاء مرة بالأهواز فدعا الله عز وجل واستطعمه فوقعت خلفه دوخلة رطب فى ثوب حرير ، فأكل وبقي الثوب عند زوجته زماناً • وجاء الأسد وهو يصلى فى غيضة بالليل ، فلما سلم قال له : اطلب الرزق من غير هذا الموضع • فولى الأسد وله زئير • وكان سعيد بن المسيب فى أيام الحررة يسمع الأذان من قبر النبي ﷺ أوقات الصلاة • وكان المسجد قد خلا فلم يبق فيه غيره • وعبد الله النخعي كان له حمار فمات فى الطريق ، فقال أصحابه : نتوزع متاعك ؟ فقال : امهلوا هنيهة • ثم ترويضاً فأحسن الوضوء وصلى ركعتين ودعا الله تعالى فأحيا له حماره فحمل عليه متاعه ، وكان عمرو بن عتبة يحميه السبع ، وهو يرعى

ركاب أصحابه لأئمة كان يشترط على أصحابه في الغزو أن يخدمهم وكان مطرف بن عبد الله بن الشخير هو وصاحب له يسيران ، فأضاء لهما طرف السوط • وكان ابراهيم التيمي يقيم الشهر والشهرين لا يأكل شيئاً ، وخرج يمتار لأهله طعاماً فلم يجد ، فمر بسهولة حمراء فأخذ منها وحماله في وعائه ورجع الى أهله ففتحوه ، فاذا هو حنطة حمراء ، فزرعوا منها فخرج سنبلها من أصلها الى فرعها حبا متراكبا •

قال شيخ الاسلام تقي الدين في كتابه « الفرقان » بعد نقله لما تقدم : « وهذا باب واسع ، وأما ما نعرفه في هذا الزمان من نحو هذا فكثير ، ومما ينبغي أن يعرف : أن الكرامات قد تكون بحسب حاجات الرجل ، فاذا احتاج اليها الضعيف الايمان أو المحتاج ، أتاه منها ما يقوى ايمانه ، ويسد حاجته ، ويكون من هو أكمل ولاية لله تعالى مستغنيا عن ذلك ، فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناؤه عنها لا لنقص ولايته • ولهذا كانت الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة ، بخلاف من تجرى على يديه الخوارق لهداية الخلق أو لحاجتهم ، فهؤلاء أعظم درجة ، وهذا يخالف الأحوال الشيطانية ، اذ بين كرامات الأولياء وما يشبهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة •

منها : أن كرامات أولياء الله تعالى سببها الايمان والتقوى ، والأحوال الشيطانية يكون سببها ما نهى الله تعالى عنه ورسوله ويستعان بها على ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ » انتهى • وقد أطال وأطاب كعادته ، ومن أراد فليرجع إليه •

وأما قوله « فأما غير الكتاب فقد وجدنا لكم أخباراً وقصصاً كخراصات العجائز ، منها زعمهم أنه كان من آياته العجيبة المعجزة أنه وقف بين يديه نذب فعوى » الى آخره فاقول : ان العجب من تمويهات هذا التنصاني وخياناته في النقل من تدليس في الأقوال وترك للحسن من الحديث المصحح في كتب المسامحين من الأخبار والاستشهاد بالضعيف الغريب منها • والتغافل عن الكثير المتواتر والتتخير عن الخبر

الشاذ النادر ، والمتغير برواية المتروك من الأصاغر فخبير الذئب مروى  
بيروايات عديدة وطرق مشيدة ، وهو قد روى أحدها الذى لم يذكر فى  
أغلب الكتب المؤلفة فى أحواله عليه الصلاة والسلام ونحن نذكر ما ذكره  
صاحب الثفا وشراحه ان شاء الله تعالى :

قال العلامة القاضى عياض فى شفاة ، والخفاجى فى شرحه :  
« ومن ذك كصة كلام الذئب المشهورة • وقد وقعت مرارا عديدة على  
ألسنة مختلفة ، والتي رواها الامام أحمد بن حنبل والبخارى والبيهقى  
وصححها عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه بينا راع واسمه  
أهبان • وقيل رافع يرعى غنما له ، عرض الذئب لثاة منها فأخذها  
الراعى منه فألقى الذئب وقال للراعى الا تتقى الله حلت بينى وبين  
وزقى قال الراعى العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس فقال الذئب ألا  
أخبرك بأعجب من ذلك : ؟ رسول الله بين الحرتين يحدث الناس بأنباء  
ها قد سبق ، فأتى الراعى النبى ﷺ فأخبره وأخبر أصحابه وأسلم  
وقال :

من الضبع الخفى وكل ذئب  
ييشرنى بأحمد من قريب  
من الساقين قاصدة الركب  
صدوقا ليس بالقول الكذوب  
تنبئت الشريفة للمنيب  
أمامى ان سمعت وعن جنوبى  
واخوتهم جذبة ان احببى  
فانك ان أجبت فلن تخيبى

رعبت الضان احبها زمان  
فلما ان سمعت الذئب نادى  
سعت اليه قد شممت ثريبى  
فألفيت النبى يقول قولاً  
فصيرنى لدين الحق حتى  
وابصرت الضياء يضى حولى  
الا ابلغ بنى عمرو بن عوف  
دعاء المصطفى لا شك فيه

وروى حديث الذئب عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أيضا وفى  
بعض طرق عنه فقال الذئب أنت أعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا  
ام يبعث الله نبيا قط أعظم منه عنده قدرا ، قد فتحت له أبواب الجنة  
وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم ، وما بينك وبينه الا هذا  
الشعب ، فتصير فى جنود الله تعالى •

قال الراعى : من لى بغنمى ؟ قال الذئب : أنا أرهاها حتى ترجع .  
فأسلم الرجل اليه غنمه ومضى • وذكر قصته واسلامه ووجوده النبى  
ﷺ بقائل فقال له النبى ﷺ عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها  
كذلك : وذبح للذئب شاة منها • وروى أيضا عن سلامة بن عمرو بن  
الأكوع وأنه كان صاحب هذه القصة أيضا وكانت سبب اسلامه •

وقد روى عن ابن وهب مثل هذا أنه جرى لأبى سفيان بن حرب  
وصفوان بن أمية مع ذئب وجداه أخذ ظييا فدخل التظبي الحرم ،  
فانصرف الذئب عنه احتراما للحرم الممنوع صيده ، فانصرف الذئب ،  
فعجبا من ذلك ، فقال الذئب : أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة  
يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار ؟ فقال أبو سفيان : واللوات  
والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركها خلوا — بضم الخاء المعجمة  
واللام — أى خالية من أهلها بأن يسلموا جميعا ويرتحلون له عليه  
الصلاة والسلام • وقد روى مثل هذا الخبر وأنه جرى لأبى جهل  
وأصحابه فقد شاهدوا مثله وتعجبوا منه ، ولكن الله تعالى أشقاه  
وأشقاهم ، مثل فرعون وقومه رأوا معجزات موسى ولم يؤمنوا •  
واليهود رأوا كثيرا من معجزات عيسى ولم يؤمنوا » انتهى •

فهذه الروايات التى فى كلام الذئب لم يقع فيها شىء من كلامه  
عليه الصلاة والسلام معها ، ولم تكن تكلمت بحضره لكنهم ذكروها  
فى بيان معجزاته لأنها أقرت بنبوته ﷺ وهذه الرواية التى ذكرها  
الانصرانى لم يذكرها فى الشفاء مع أنه مخصوص ، لبيان أحوال المصطفى  
ﷺ ولا شراحه ولا غيرهم من المؤلفين فى هذا الشأن ، ولو كانت هذه  
الرواية معتبرة لذكرها ولذكروها فعدم ذكرهم لها دليل واضح على  
عدم الاعتداد بها • نعم ذكرها العماد بن كثير فى تاريخه ، واقتدى  
به السطلائى فى كتاب المواهب من غير سند معتبر ولا تصحيح عند  
أهل الأثر بقوله : « روى سعيد بن منصور فى سننه عن أبى هريرة  
قال جاء الذئب فألقى بين يدى النبى ﷺ وجعل يبصر بصنبيه فقال  
عليه الصلاة والسلام هذا وافد الذئب جاء يسألكم ان تجعلوا له من

أموالكم شيئا قالوا : يا الله لا نفعل وأخذ رجل من القوم حجرا رماه به ، فادبر الذئب وله عواء ، فقال صلى الله عليه وسلم : الذئب وما اتخذب « انتهى » .  
وأما العلامة عماد الدين ابن كثير فذكر له طرقا كلها واهية مطعون في آسانيدها ، لأنه راه عن سعيد بن منصور عن حيان بن علي عن عبد الملك بن عمير عن أبي الأوس الحارثي عن أبي هريرة ، فسعيد وان كان ثقة لكنه كان اذا رأى في كتابه خطأ لم يرجع عنه كما قال الحافظ الذهبي في الميزان . وعبد الملك بن عمير وان كان من أوعية العلم الا أنه قال الحافظ الذهبي في الميزان : طال عمره وساء حفظه . وقال الامام أحمد بن حنبل : ضعيف يغلط . وقال ابن معين : مخلط . وكان شعبة لا يرضاه ، ورواه الأحكام بسند يتصل برجل لم يسمه ، فقال عن رجل عن أبي هريرة ، ورواه عن محمد بن اسحاق أيضا ، وحال محمد مضطرب عند المحدثين ، فمنهم معدلون له ومنهم طاعنون فيه الا اذا وافقه غيره من الثقة في الرواية ، فتكون مقبولة ، ورواه الواقدي عن رجل سماه عن المطلب بن عبد الله ، فحال الواقدي مضطرب وروايته اذا لم يوافقه غيره من الثقة غير منظورة بنظر الصحيح ، لا سيما ولم يعرف اسم ذلك الرجل ورواه أبو نعيم بألفاظ آخر وزيد اذياب عن سليمان بن أحمد عن معاذ بن عيسى عن محمد بن كثير عن سفيان عن الأعمش عن سمرة بن عطية عن رجل من مزينة أو حميسة ، فسليمان كما قال الذهبي كذبه يحيى ، وضعفه النسائي ، ومحمد بن كثير وضعفه ابن معين ، ولا سيما فلم يسم الرجل كونه من مزينة أو حميسة ، فتبين أن حديث مجيء الذئب أو الذئب إلى النبي صلى الله عليه وسلم حديث مضطرب الأسانيد واهي الطرق معلول الرجال ، ويكفيينا في هذا الباب الأحاديث الصحيحة الثابتة عند النقاد في بيان معجزاته عليه الصلاة والسلام التي ذكرنا كثيرا منها في هذا الكتاب ، على أن هذه الرواية لو صحت فأى بأس فيها ؟ وأى ثم يعتريها ؟ وأى غبار يكدر صافيتها ؟ فمعجزات الأنبياء عليهم السلام ولا سيما معجزات نبينا خير الأنام صلى الله عليه وسلم جاءت على أنحاء شتى وأقسام كما لا يخفى على



من له في العلم أدنى المام .

هذا ولنزيدك فوائد في رد ما اعترض به « عبد المسيح » من كتاب اظهر الحق فقد قال بعد كلام طويل ما نصه : « لكن الانصاف أن عادة المنكرين أنهم يغمضون عين الانصاف ويحكمون على كل شيء يرى مستبعدا في آرائهم أنه محال ، وتعلم علماء البروتستانت هذه العادة من أبناء صنفهم الذين يسمونهم الملاحدة . لكن العجب من هؤلاء العلماء أنهم لا يرون أن كتبهم مملوءة بالأغلاط الصريحة كما نقلنا لك غير مرة شيئا كثيرا منها » .

ومن المواضع التي تستهزىء عنيها الملاحدة : ما في الأصحاح الثاني والعشرين من سفر العدد ما لفظه : « ففتح الرب فم الأتانة وقالت لبلعام : ما الذي فعلت بك ؟ هذه ثلاث مرات قد ضربتني فقال بلعام للأتان : لأنك استأهلت ذلك مني . فقالت الأتانة لبلعام : لست أنا أتانك التي تركب منذ كنت غلاما الى يومك هذا ؟ فهل فعلت بك مثل هذا ؟ فقال : لا » .

قال هورن في الصفحة ٦٣٦ من المجلد الثاني من تفسيره : « ان الكفار يستهزئون على تكلم أتان بلعام » انتهى .

ووقع في الأصحاح السابع عشر من سفر الملوك الأول ان الغربان كانت تجلب اللحم والخبز لايلىاء الرسول الى مدة ، وهذا الأمر مضحكة عند أبناء صنفهم « انتهى باختصار . قلت : ولايكن كلام الذئب ونحوه من كلام الأتان كما لا يخفى على انسان فليفهم .

**تتمة لبحثنا هذا اعلم أن الاسناد للأحاديث والأخبار وعنونة الروايات وتقصد أحوال الراوين وبيان تاريخ ميلادهم وأعمارهم ووفياتهم وأوطانهم وتنقلاتهم في حلهم وارتحالهم وسيرهم وعن أخذوا ، ومن أخذ عنهم ومذاهبهم وتقواهم وتراجمهم وأنسابهم ، كل ذلك خاص بالمسلمين ولم يشاركهم من الأمم في ذلك أحد والله الحمد ، ولذا لا ترى**

لأحد من أهل المال والنل شيتا من الاسناد في احكامهم فاختلفت واضطربت وزادت ونقصت وحرفت وغيرت وبدلت وقطعت وما تراها وصلت ، وترى المسلمين اذا قال أحد منهم قولاً عن نبينا ﷺ أو عن صحابته أو عن مجتهدى علماء أمته لا ، يقبل ذلك من ناقله الا باسناد صحيح متصل ، وقالوا : لولا الاسناد لقال من شاء ما شاء • وقد ألفوا لأجل ذلك كتباً كثيرة واستتبطوا له قواعد غزيرة وأصولاً وفيرة • كل ذلك حرصاً على بقاء دينهم ودوام صافي شريعتهم لئلا يدخل فيها شيء من كلام الكذابين ، ويختلط بعذبها آجن الدجالين ، فبينوا العدل المقبول من الراوين ، ونهبوا على المردودين والمطعونين وبينوا الأثر المعلول المنقطع والموصول •

**ومن فوائد ذلك :** ما ذكرناه من حال رواة هذا الحديث ، فتبين من تتبع كتبهم عدم مقبوليته ، واتضح من حال تراجم الرجال رد صحته ، فلا يعول على تصحيحه ، ولا يعرج على ترجمته • • وأنا غنى عن المعلول بغيره من الصحاح ، ولا يستضاء بالمصباح عند ضوء الشمس في الصباح ، والله سبحانه الهادى الى الصواب ، والمنطق للجماة ، وهو أعظم من الذئب •

**قوله :** « وكذلك قصة ثور دريخ وادعئهم مخاطبته دريخاً عند ضربه اياه وكتابه يشهد أن الأعراب أشد كفراً ونفاقاً » انتهى فاقول : ان هذه المعجزة كما تقدمناها لك في تعداد الآيات والمعجزات مما نقله العلامة الماوردى في كتابه دلائل النبوة ، عن بردة عن مكحول قال : بينا أهل « دريخ » من العرب — عرب اليمن — في مجلسهم اذ أقبل عجل فتبسم ، وقال : « أهل دريخ أمر نجيح ببطان مكة يصيح بلسان فصيح شهادة أن لا إله الا الله فأجيبوه » فلو سلمنا أن في هذه الرواية ضعفاً فأتى مثلبة فيها بالنسبة الى سيد المرسلين ﷺ لأنه ام يكن بحضرة النبى • ولو قلنا : انها قوية فأى بأس فإها ومعجزاته عليه الصلاة والسلام التى تحدى بها كثيرة جدا ؟ وهذه ام يتحد بها

ولا ادعاها ولم تكن بحضرتها الشريفة ، ونحن والحمد لله تعالى في غنى  
عن هذه المعجزة •

• ون ركب البحر استقل السواقي •

• وفي طلعة الشمس ما بينك عن زحل •

قوله : « وأما شاة أم معبد ومسحه يده على ضرعها وما يلي ذلك من  
الخرافات الأخرى كدعائه الشجرة فأسرت اليه مقبلة » الى آخره

فاقول : عد المحدثون هذه في نوع بركته ﷺ وأم معبد بفتح  
الميم والموحدة وقصتها مشهورة وهي على ما في شروح كتاب الشفاء  
وغيرها ما رواه ابن سعد والطبراني عن أبي معبد الخزاعي أنه ﷺ  
لما هاجر ومعه أبو بكر ومولاه عامر بن فهيرة وعبد الله بن الأريقط ،  
وهذا كان على دين كفار قريش ، فمروا بقديد على أم معبد عاتكة بنت  
خالد الخزاعية وكان القوم مرملين مستنئين فطلبوا منها لبنا فلم يجده ،  
فأروا عندها شاة خنفتها الجهد ، أى الهزال عن الغنم فسألها هل بها  
من لبن ؟ فقالت : هي أجهد من ذلك • فقال : أتأذنين لى أن أحلبها ؟  
قالت : نعم فدعا بها فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله تعالى فتعاجبت  
ودرت واجترت ، ودعا باناء يربض الرهط — أى يشبع الجماعة — فحلب  
فيه ثجا وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه ثانيا ثم  
تركه عندها وارتحلوا ، فجاء زوجها أبو معبد يسوق أعززا عجافا هزالا  
فراى اللبن ، فتعجب ، فقال : أنى لك هذا • والثاء عازب ولا حلوب  
بالبيت ؟ فقالت : لا والله الا أنه مر بنا رجل مبارك ففعل هذا • فقال :  
صفيه يا أم معبد • فوصفته •

وفي حديث آخر : أن آل أبى معبد كانوا يؤرخون بذلك اليوم  
ويسموننه يوم الرجل المبارك ، ثم انها أتت المدينة بعد ذلك بما شاء الله ،  
ومعها ابن لها صغير قد بلغ السعى ، فمر في المدينة على مسجد رسول  
الله ﷺ وهو يكلم الناس على المنبر ، فإذطلق الى أمه يشتد فقال لها :  
أنى رأيت اليوم الرجل المبارك فقالت له يا بنى ويحك هو رسول الله ﷺ

وأسلم زوجها أبو معبد ، وله رواية عن رسول الله ﷺ وتوفى في حياة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم •

وفي الخبر عن هشام بن حبيش الكعبي قال : أنا رأيت تلك الشاة وانها لتأثم أم معبد وجميع أهل ذلك الماء أى استمرت تلك البركة في الشاة ولم تعد الى حالها « انتهى •

واعلم : أن لهذه القصة الصحيحة والمعجزة الصريحة نظائر عديدة ذكرها في كتاب الشفا فمنها شاة أنس وقصتها كقصه شاة أم معبد ومنها غنم حليلة مرضعته ، فانها لما حملته وهو عليه الصلاة والسلام صغير ، في سنة كان فيها تحط أصاب أرض قومها وقل النبات فيها • فكانت غنمها تأتي من المرعى وقد رعت كثيرا ودر لبنها وغنم قومها تأتي عجافا جافة الضروع فيتعجبون منها ، وما ذاك الا ببركته ﷺ ويمن قدمه • وكذلك ناقته السنه لم يكن في ضرعها قطرة لبن ، فلما أخذت النبي ﷺ لترضعه قام زوجها فوجد ناقته حامله بالدر فحلب منها ما شربوا كلهم وشبعوا وياتوا بخير ليلة ، فقال لحليمة : أنه نسمة مباركة فقالت : انى والله أرجو بركته • والله در البلويصيرى حيث قال :

**أصبحت شولا عجافا ، وامست ما بها شاتل ولا عجفاء**  
**أخضب العيش عندها بعد محل اذا غدا للنبي منها غذاء**

ومنها شاة عبد الله بن مسعود لما أتاه بشاة لم ينز عليها الفحل أبدا فاعتقلها ومسح ضرعها ودعا الله تعالى وأتاه أبو بكر بصحفة فحلب فيها • فقال لأبى بكر اشرب ، ثم قال للضرع اقلص ، فعاد كما كان • وكان هذا سبب اسلامه • ومنها غير ذلك مما هو مذكور في الكتب المؤلفة العديدة الجلية ، وفي هذا اللسان اكتفاء بالطل عن الوايل الهتان ، خشية التطويل على اخوان هذا الزمان • والله سبحانه أعلم •

**وأما قوله « كدعاء الشجرة فأسرعت مقبلة » فنقول : نعم هذا أيضا صحيح ومتعدد ، ففي افراد مسلم كما نقله العماد بن كثير**

من حديث حاتم بن اسماعيل عن أبي حرزة يعقوب بن مجاهد عن عبادة ابن الوائيد عن جابر بن عبد الله قال : سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا واديا أفيح فذهب رسول الله ﷺ يقضى حاجته فاتبعته بادواة من ماء فنظر فلم ير شيئا يستتر به ، وإذا شجرتان بشاطيء الوادى فانطلق الى احدهما فأخذ بغصن من أغصانها وقال انقادى باذن الله تعالى فانقادت منه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده ، حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها • وقال : انقادى على باذن الله تعالى فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده كذلك ، حتى اذا كان فى المنتصف فيما بينهما — يعنى جمعهما — قال اللهم باذن الله تعالى فالتأمتا • قال جابر فخرجت أحفز مخافة أن يحس بقربى فيبتعد فجلست أحدث نفسى ، فحانت منى لفتة فاذا أنا برسول الله ﷺ مقبل ، واذا الشجرتان قد افتترقتا وقامت كل واحدة منهما على ساق •

وقد ورد انقياد الشجر فى أحاديث كثيرة مرات عديدة • وروى البيهقى من طريق محمد بن أبى عبيدة عن أبيه عن الأعمش عن أبى طبيان عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال جاء رجل من بنى عامر الى رسول الله ﷺ فقال : أن عندى طبا وعلما فما تشنكى ؟ هل يريك من نفسك شىء الى ما تدعو ؟ قال : أدعو الى الله والاسلام • قال فانك تقول قولاً فهل من آية ؟ قال : نعم ان شئت أرينك آية • وبين يديه شجرة ، فقال لغصن منها : تعال يا غصن فانقطع الغصن من الشجرة ثم أقبل ينقز حتى قام بين يديه • فقال : ارجع الى مكانك فرجع • وفى رواية : فرجع العامرى وهو يقول يا آل عامر بن صعصعة والله لا أكذبه بشىء يقوله أبدا • وفى رواية أنه قال : ما رأيت كاليوم رجلاً أسحر من هذا • وفى رواية : فقال انك رسول الله وآمن • قال ابن كثير : ولعله قال أولاً أنه سحر ثم تبصر لنفسه وآمن لما هداه الله عز وجل • وأحاديث انقياد الشجر لله عليه الصلاة والسلام كثيرة متعددة الطرق • والله در البويصرى حيث يقول :

تمشى اليه على ساق بلا قدم  
فروعها من بديع الخط فى اللقم

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة  
كانها سطرت سطرا لما كتبت

إذا علمت هذا وأحطت خبرا بدلائل نبوته ومسلم معجزاته ومعجزات اخوانه النبيين من موسى وعيسى وغيرهما عليهم الصلاة والسلام التي تقدم لك منها جملة وإفية ، تبين لك : أن كلام هذا النصراني في رد هذه المعجزات سراب يحسبه الظمان ماء ، وأن قبول معجزات سائر النبيين دون معجزات نبينا المصطفى ﷺ وآله وصحبه أجمعين مكابرة صرفة وترجيح بلا مرجح ، واتباع هوى وجدال بالباطل ، وهذا مثل انكار اليهود معجزات سيدنا عيسى عليه السلام . فما كان جوابا من النصراني لليهود عنها فهو جواب لنا عما ينازعونا فيه ، كما لا يخفى والله سبحانه الموفق .

قوله « لأن الأنبياء بأسرهم موقنون معصومون بالوقاية الحاة عليهم من الله جل ثناؤه » الخ بالله العجب من كلام هذا النصراني حيث أثبت لجميع الأنبياء قاطبة العصمة من القتل ، ومن تسلط الكفار عليهم ، ونسى قتل المسيح الاله بزعمه واهانتته وصلبه ونسى ما قاله المسيح في الأصحاح الثالث والعشرين من انجيل متى بما لفظه : « وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لم نشارككم في دم الأنبياء ، فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم بنو قاتلي الأنبياء ، وأنتم آكلوا مكيال آبائكم أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم ؟ من أجل هذا هاأنذا أرسل اليكم أنبياء وحكماء وكتبة فتقتلون منهم وتصلبون منهم وتجلدون في مجامعكم وتطردونهم من مدينة الى مدينة لكي يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الأرض من دم هابيل الصديق الى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح » انتهى فيقال لهذا النصراني : كيف قالت ان الأنبياء معصومون من ذلك ؟ وهذه أناجيلكم تصرح بقتلهم ، ثم ان عيسى عليه السلام على زعمك أنه هو الاله وأنه هو يقول لليهود انكم أولاد قاتلي الأنبياء ، وأنتم أيضا ستقتلون رسلى . وقال مفسروكم أى سوف تقتلون تلاميذه الذين يرسلهم المسيح بعد موته اليهم ، فيقتلون منهم كثيرين كاسطفانوس واليعقوبيين وغيرهم وتصلبون منهم كما صنعوا بسمعان أسقف اورشليم خليفة ماريعقوب ، وتجلدون منهم

كما صنعوا ببطرس والرسول وتطردوهم من مدينة الى مدينة كما صنعوا  
بشاول وبرنابا . قال مفسرهم الخورى يوسف : « وكان المسيح يرى  
منذ ذلك الوقت أنهم يقتلونهم اذا أرسلهم بعد موته » فيقال لهذا  
النصرانى : فعلى ما زعمت فى أمر أكل اللحم المسموم الذى قدم لنبينا  
عليه الصلاة والسلام وأصحابه فمات بعضهم ولم يدع الله تعالى فى  
احيائه كان ينبغى أن لا تقتل تلك الأنبياء وأن يحييهم المسيح بعد موتهم ،  
لأنه هو الذى كان أرسلهم قبل أن تلده مريم ، وكان ينبغى أيضا أن  
لا يرسل بعد موته رسلا ويعرضهم للقتل والصلب ، وهو من حين قوله  
ذلك يعلم أنه اذا أرسلهم بعد موته الى اليهود ، أنهم سيقتلونهم  
ويصلبونهم فلم لم يخلصهم أيضا ؟ واذا لم يكن قادرا على خلاصهم  
نم يرسلهم فيقتلون ؟ مع علمه الآن أنهم سوف يقتلون . وكيف يقول  
لهم فى انجيله كما نقلته أنت عنه « ان أنتم شربتم السم القاتل لم  
يضركم ؟ » وهل هذا الا تناقض منكم ؟ وهل بعد قتل رسل المسيح  
وصليبهم وطردوهم نقيصة على موت أصحاب نبينا عليه الصلاة والسلام ؟  
بل ندعى اختصاص الغيب بالله سبحانه . وقد يطلع جل وعز ملائكته  
ورسائه على الغيب . وكون الشاة مسمومة من المغيات فالله سبحانه  
أنطقها له عندما أكل منها بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم . وقد  
تبين صدقه عليه الصلاة والسلام فى تكليمها له بأنها مسمومة بموت  
بشر ، والله سبحانه يفعل ما يشاء بعباده وسائر الأنبياء .

على أننا نذكرك مسألة سم الشاة مفصلة من كتبنا . قال القاضى  
عياض عليه الرحمة فى الشفاء : قد خرج حديث الشاة المسمومة أهل  
الصحيح ، وخرجه الأئمة . وهو حديث مشهور ، رواه أبو هريرة  
وأنس وجابر وابن عباس رضى الله تعالى عنهم ، فروى أبو هريرة أن  
يهودية أهدت للنبي ﷺ بخير شاة مصلية ، سمها ، فأكل رسول الله  
ﷺ منها وأكل القوم فقال : ارفعوا أيديكم فانها أخبرتنى أنها مسمومة ،  
فمات بشر بن البراء . وفى رواية الحسن أن فخذها كلمنى أنها مسمومة ،  
وقال لليهودية : ما حملك على ما صنعت ؟ قاتت : ان كنت نبيا لم يضرك

ما صنعت ، وان كنت ملكا أرحت الناس منك • قال فأمر بها فقتلت •  
وقد روى هذا الحديث أنس وفيه قالت : أردت قتلك • فقال عليه الصلاة  
والسلام : ما كان الله يسلطك على ذلك • فقالوا ألا نقتلها فقال : لا وفي  
رواية ابن عباس أنه دفعها لأولياء بشر بن البراء فقتلوها • قال ابن  
سحنون أجمع أهل الحديث أن رسول الله ﷺ قتل اليهودية التي سمته •

**واما قوله « وان السم الذي لم يزل يدب في بدنه كان سبب موته »**  
فنقول : نعم ان هذا من أعظم الشواهد على نبوته عليه الصلاة والسلام  
والحديث في ذلك رواه في المواهب عن الامام البخارى تعليقا عن عائشة  
رضى الله تعالى عنها أنه ﷺ قال : « ما أزال أجد ألم الطعام الذى  
أكلت بخبير فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم » قال  
العلماء : وهذا بعد ثلاث سنين من أكله • وفي رواية « ما زالت أكلة  
خبير تعاودنى أى تراجعنى ويعاودنى ألم سمها فى أوقات معطومة ،  
حتى قطعت أبهري » والأكلة بالضم اللقمة التى أكل من الشاة والأبهر  
عرق مستبطن بالصلب متصل بالقلب اذا انقطع مات صاحبه ، وقد كان  
ابن مسعود وغيره يرون أنه ﷺ مات شهيدا من السم •

قال الزرقانى : ومن المعجزة أنه لم يؤثر فيه فى وقته لأنهم قالوا  
ان كان نبيا لا يضره ، وان كان ملكا استرحنا منه ، فلما لم يؤثر فيه  
تيقنوا نبوته ، حتى قيل ان اليهودية أسلمت ثم نغض عليه بعد ثلاث  
سنين لآكرامه عليه الصلاة والسلام بالشهادة • وأما قوله تعالى :  
« والله يعصمك من الناس » فانها نزلت بعد خبير على ما قال المفسرون  
أو عصمه من قتلهم واغتيالهم ، وقد عصم من ذلك كما وعده الله سبحانه  
وتعالى فافهم •

**قال النصرانى : « واما الميضاة وخبرها وأنه أدخل يده فيها ففاض**  
منها الماء حتى شربوا وشربت دوابهم ، فالخبر بذلك جاء عن محمد  
ابن اسحق الأزهرى • وأمرها ضعيف عند أصحاب الأخبار ولم يجتمع  
أصحابك على صحته فكيفما أردت ، فالخبر صحيح — أصحك الله —



ليس يساغ منها شيء ، ولا يستوى ولا تصح دعوة واحدة مما سواها •  
على أنه قد سبق فقطع الدعاوى وحذف ذكر الآيات ، بته ، فسقطت  
دعوى من ادعى له آية ، وانما بعث بالسيف زعم تصليا وأن كل من لم  
يقر أنه نبي مرسل قتله أو يؤدى الجزية ثمنا لكفره ، فبدعة ، فهل  
تريد — أصلحك الله — دليلا أوضح أو حجة أقتنع أو برهانا أصح على  
بطلان ما جاء به صاحبك أكثر من هذا ان أنت أنصفت نفسك وصدقته ؟

على أن صاحبك قد أقر وقطع بإقراره كل سبب بما نقلته عنه  
الثقة الحاملين أخباره ، فانه قال قولا مصرحا غير مكاتم ولا مساتر  
أنه ليس من نبي الا وقد كذبت أمته عليه ، ولست آثر أن تكذب على  
أمتي ، فما جاءكم عنى اعرضوه على الكتاب الذى خلفته بين اظهركم ،  
فإن كان له مشاكللا وكان له فيه ذكر فهو عنى وانى قلته وفعلاته ، وان  
لم يكن له ذكر فى الكتاب ، فأنا برىء منه • وهو كذب ممن رواه عنى ،  
وما قلته ولا فعلته • فانظر — أصلحك الله — فى هذه الأخبار التى ذكرناها  
مما يقول أصحابك هل تجد لها أصلا فى الكتاب الذى فى يدك ؟ فان كان  
لها فيه أصل أو ذكر ، ، فهى لعمرى صحيحة قد فعلها وأتى بها •  
والا فهو برىء منها وهى أباطيل وأكاذيب تقولوا بها عليه « انتهى •

أقول : ان معجزات نبينا عليه الصلاة والسلام التى لا تحصىها  
منا الأعلام المتواترة لدى الأنام وصححها العلماء الاعلام قد ذكرنا لك  
منها جملة سالحة فى هذا الكتاب فلا يستر ضوءها مثل ماموه به هذا  
المؤلف من الضباب ، وحديث الميضة قطرة من بحر ورذاذ من وبل ،  
ودرة من عقد ، وقد رواها النقاد بأسانيد معتبرة وروايات متعددة وطرق  
عديدة وسلسلة سديدة وليس أمرها ضعيفا عند أحد كما زعم من  
للمسيح عبد ، فاستمع ما نلتوه عليك من كتب الحفاظ المحدثين وثقاة  
الراوين :

فقد روى الامام البخارى فى كتابه الصحيح بسنده الى أنس  
ابن مالك رضى الله تعالى عنه قال : حضرت الصلاة فقام من كان قريبا

الدار الى أهله وبقي قوم فأتى رسول الله ﷺ بمخضب من حجارة فيه ماء قليل فصغر المخضب أن يبسط فيه النبي ﷺ كفه لصغره فتوضأ القوم كلهم • قلنا : كم كنتم ؟ قال : ثمانين وزيادة • وعنه رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ دعا بإناء من ماء فأتى بقدر رحاح فيه شئ من ماء فوضع عليه الصلاة والسلام أصابعه فيه • قال أنس : فجعلت أنظر الى الماء ينبع من بين أصابعه عليه الصلاة والسلام فحزرت من توضأ منه ما بين السبعين الى الثمانين • قال شارحه العلامة القسطلانى : « وهذا كان فى أماكن مختلفة وأحوال متغيرة ، حتى أنه فى حديث جابر كذا خمس عشرة مائة ولغيره زهاء ثلاثمائة » انتهى وقال القاضى عياض فى الشفا : « أما الأحاديث فى هذا فكثيرة جداً • روى حديث نبع الماء من بين أصابعه الشريفة ﷺ جماعة من الصحابة مثل أنس وجابر وابن مسعود وفى التصحيح عن سالم بن أبى الجعد عن جابر رضى الله تعالى عنه قال : عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة فنلوضأ منها وأقبل الناس نحوه ، وقالوا : ليس عندنا ماء الا ماء فى ركوتك ، فوضع النبي ﷺ يده فى الركوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون • وفيه : فقلت كم كنتم ؟ قال لو كنا مائة ألف لكفانا • كنا خمس عشرة مائة • ومثل هذا فى هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به ، لأنهم كانوا أسرع شئ الى تكذيبه ، لما جبلت عليه النفوس من ذلك ، ولأنهم كانوا ممن لا يسكت على باطل ، فهؤلاء وغيرهم ممن يطول الكتاب بذكرهم وسرد روايتهم قد رروا هذا وأشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير له ولم ينكر أحد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم أنهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم لهم ، كما لا يخفى على كل ذى لب متبحر •

وأما قوله : « فالخبر جاء عن محمد بن اسحاق الزهرى » فهو خبط منه ، لأن محمد بن اسحاق المطلبى هو غير الزهرى لأنه محمد بن مسلم عبید الله بن شهاب الزهرى وابن اسحاق المذكور

ميرى عنه • وهو حافظ عمدة بين المحدثين ، فلا تغفل •

قوله « فسقطت دعوى من ادعى له آية وانما بعث بالسيف »

الى آخره •

قد استقصينا لك سابقا رد هذا الكلام وبيننا المراد بالآيات  
وسقنا لك عبارة الانجيل المصرحة بأن المسيح لم يأت اليهود المنكرين  
بآية وأحالتهم الى انتقضاء أجله ، فحينئذ يرون المعجزة وأثبتنا أن دين  
الاسلام انما قام بالآيات الباهرات وبشائر الأنبياء السالفين والمعجزات  
وأن النبى عليه الصلاة والسلام ليس بدعا فى أمر الجهاد وأخذ الجزية  
من ذوى العناد ، بل فعل مثل ذلك وأكثر كثيرا من أنبياء بنى اسرائيل  
وأن أكثر الأمم لما دعاهم أسلموا من غير حرب ولا خوف كما بسطناه  
أولا فلا حاجة الى التكرار ، فتذكر والله سبحانه الموفق •

قوله « يؤدى الجزية ثمنا لكفره فيدعه » لا يخفى عليك جواب

هذا التمويه مما أسلفناه لك مرارا من أن أخذ الجزية من الكفار ، عمله  
جملة من أنبياء بنى اسرائيل بصورة أشد مما فى دين الاسلام • والجزية  
عندنا انما تؤخذ من غير العرب ، لأن العرب اذا لم يؤمنوا بالله  
ورسوله عليه الصلاة والسلام فليس لهم الا السيف لأن القرآن نزل  
باعتهم والرسول بعث منهم وفيهم ، فليس لهم عذر فى كفرهم به •  
والحكمة فى أخذ الجزية من غيرهم الامهال لذلك الغير فلعله يسلم هو  
أو غيره من اللطف الالهى فى حق الكافر ، كما أن البارى سبحانه يخوف  
بعض عباده من عصاة المؤمنين أو غيرهم بنوع من البلاء ليتوبوا  
ويصطلحوا ، فاذا لم ينجع ذلك ربما أهلكتهم بعذاب مستأصل ، فكذا  
الكافر ضربت عليه الجزية امهالا له وارهابا وانذارا للغيره ، وربما كانت  
الجزية أعظم من القتل عند بعض من تأخذة الحمية ، فهو عين اللطف  
والحكمة ، فافهم •

قوله : « على أن صاحبك قد أقر وقطع باقراره كل سبب بما نقلت

عنه الثقة الحاملون أخباره فانه قال قولاً مصرحاً غير مكاتم ولا مساتر ،

أنه ليس من نبي الا وقد كذبت أمته عليه ، ولست آثر أن تكذب على  
أمتي فما جاعكم عنى اعرضوه على الكتاب « الى آخره .

فيقال لهذا النصراني : هذا الحديث الذى ذكرته أنت لعله من  
الأحاديث المكذوبة فكيف عرفت أنه من الأحاديث الصحيحة ، اذ هو  
بحسب الظاهر مغاير لقوله تعالى « وما ينطق عن الهوى » وقوله  
سبحانه : « ما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا »  
لأنه سبحانه بين أن أقوال رسوله عليه الصلاة والسلام أيضا منه عز وجل  
بطريق الوحي والالهام ، فهى كالقرآن العظيم فى وجوب الاتباع  
والامتثال وأمرنا عز شأنه أن نمثل ما أمر به ونجتنب عما نهانا عنه ،  
لأنه عليه الصلاة والسلام هو الواسطة فى التبليغ فلا يقول شيئا من تلقاء  
نفسه . وهذا الحديث الذى ذكرته لم يصح عنه صلى الله عليه وسلم من حيث هذه  
الألفاظ .

وفى كتاب الموافقات للعلامة القرافى وكتاب ايقاظ الهمم للفاضل  
العمرى أن هذا الحديث من وضع الزنادقة والخوارج . قال عبد الرحمن  
ابن مهدى : الزنادقة والخوارج وضعوا ذلك الحديث يعنى ما روى  
عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما آتاكم عنى فاعرضوه على كتاب الله تعالى فأنا  
قلته وان خالف كتاب الله تعالى فلم أقله أنا . وكيف أخالف كتاب الله  
عز وجل وبه هدانى » .

وهذا ألم يصح عند أهل العلم النقاد ، وقد عارضه قوم من أهل  
العلم وقالوا نحن نعرض هذا الحديث على كتاب الله قبل كل شيء . وعلى  
ذلك قالوا : فلما عرضناه على كتاب الله عز وجل وجدناه مخالفا لكتاب  
الله لأننا لم نجد فى كتاب الله سبحانه وتعالى أن لا يقبل من حديث  
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما وافق كتاب الله تعالى بل وجدنا كتابه يطلق  
التأسى به والأمر بطاعته وحذر المخالف عن أمره على كل حال ، فقد  
قال تعالى : « ما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا »  
وقال تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى » وقال تعالى :

« وما كان يؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون هم الخيرة من أمرهم » وغير ذلك من الآيات الآمرة باتباع أقواله وأفعاله عليه الصلاة والسلام ، وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يوشك بأحدكم يقول : هذا كتاب الله ، ما كان فيه من حرام حرمانه ، ألا من بلغه عنى حديث فكذب به ، فقد كذب الله ورسوله والذي حدثه » وعن المقدم بن معدى كرب قال : قال رسول الله ﷺ : « يوشك رجل منكم متكئا على أريكته يحدث بحديث عنى ، فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله تعالى فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمانه الا من بلغه عنى حديث فكذب به ، فقد كذب الله تعالى ، وانما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله تعالى » انتهى وقد روى هذه الأحاديث أيضا حافظ المغرب الامام أبو عمر بن عبد البر فى كتبه ، وقال صاحب قمر الأقطار حاشية نور الأنوار شرح كتاب المنار فى الصفحة ١٧٩ ما لفظه : « قال السيد السند فى رسالة أصول الحديث ، وكذا ما أورده الأصوليون من قوله « اذا روى عنى حديث فأعرضوه على كتاب الله ، فان وافقه فاقبلوه ، والا فردوه » قال الامام الخطابى : وضعته الزنادقة ، ويدفعه قوله ﷺ : « انى قد أوتيت الكتاب ومثله معه » انتهى فقد اتضح ما نقلناه لك عن المحدثين التقاد : أن هذا الحديث باطل وعن حلى الصحة عاطل • نعم ورد فى أحاديث عديدة صحيحة بلغت حد التواتر من أن الكذب عليه عليه الصلاة والسلام حرام ، وفيه الوعيد الشديد ، حتى أن بعض العلماء ذهب الى كفر من تعدد الكذب على النبى ﷺ • وقد روى الشيخان أنه عليه الصلاة والسلام قال : « الكذب على لىس ككذب على أحد ، من كذب على فليتبوأ مقعده من النار » وروى البخارى والدارقطنى « من يقل على ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار » وعن ابن عمر — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : « حدثوا عنى ولا تكذبوا على فمن كذب على فليتبوأ مقعده من النار » وروى الامام أحمد رحمه الله تعالى « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » وفى رواية أخرى « فعليه لعنة الله تعالى والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل » •

وفي كتاب الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة لمعاصرنا الشيخ عبد الحي ناقتا عن أبي محمد الرامهرمزي عن مالك بن عتاهبة أنه عليه الصلاة والسلام قال : « عليكم بالقرآن وسترجعون الى أقوام يحدثون عنى فمن عقل شيئا فليحدث به ، ومن قال على ما لم أقل فليتبوأ بيئا في جهنم » . على أننا اذا قلنا بصحة هذا الحديث الذى أورده أنت ، فلا نقض علينا به فى شيء أبدا ، وهو مطابق لما نحن عليه فى أمر اثبات معجزاته عليه الصلاة والسلام ، وليس بين القول بمعجزاته وبين هذا الحديث مخالفة بمقدار شعرة فى الحقيقة . لان الآية التى تستدل بها على مطلوبك وهى قوله تعالى : « وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون » قد بينا لك تفسيرها فيما سبق ، وأن المراد بها الآيات الى اقترحها المشركون . وهى مثل قول المسيح : « انه ليس له آية الا بعد موته » حينما طلبوا منه آية ، وغصلنا لك الجواب تفصيلا شافيا ، وفسرنا الآيات القرآنية تفسيراً كافياً وشرحنا عبارة الانجيل شرحاً وافياً . فأى مخالفة بين اثبات الآيات والمعجزات له عليه الصلاة والسلام وبين نفي المطلوب للكفرة اللئام ؟ وقد بين سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم من المعجزات لنبينا الرؤوف الرحيم كآية المعراج وغلبة الروم واخباره بالمغيبات ونحو هذا مما نقلته الينا الرواة والأئمة اتقاة من الصحابة والتابعين والعلماء المحدثين من المعجزات التى وصلت اليهم بالشروط المعتبرة والأسانيد الموثوقة التى بلغت من حيث المجموع مبلغ التواتر بمحل ، لا يمكن أن يكابر فى رده مكابر .

وليت شعرى اذا قبلتم أنتم أناجيلكم المحررة بعد المسيح بسنين عديدة ، ولم تصل اليكم بسند ولا تواتر صحيح ، مع اضطرابها واختلافها وتناقض بعضها لبعض وتحريفها ومصادمتها لبداهة العقل ومخالفتها لكل كتاب منزل ونقل ، مثل آية العشاء الربانى ونحوها كما أثبتنا عليكم ذلك ، وشرحنا حال ما هنالك فى كتابنا هذا ، بحيث لا مجال لكل منصف انكاره والحمد لله تعالى ، فلم لا نقبل نحن الآثار لاولادة فى معجزات نبينا المختار والأحاديث الصحيحة فى سائر الأعصار التى نقلها

الصحابة العدول الذين قال الله تعالى في حقهم : « رضى الله عنهم ورضوا عنه » وقال فيهم النبي ﷺ « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى » وقال : « أصحابي كالنجوم » وقال : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، حتى يأتى أمر الله » فهم الذين نقلوا عنهم الأخبار ثم نقلها المحدثون طبقة بعد طبقة ، وأثبتوها في كتبهم الموثوقة بعد التدقيق التام والضبط الكامل بالشروط المعتمدة ، والأصول المقررة التي ألفوا فيها الكتب المفصلة وكشفوا عنها كل معضلة وحققوا أحوال النقلة ونهبوا على الروايات المعللة • فافهم وأنصف •



## فصل

لا زال هذا النصرانى يقدر هو وأضرابه في صحة الأحاديث النبوية ولا يسلمها الا اذا كانت معانيها في الآيات القرآنية ، فلذلك ينكر ثبوت المعجزات ويعدها من المخلتقات لأنها بزعمه منافية لما في القرآن من قوله سبحانه « وما منعنا أن نرسل بالآيات » وسنثبت هنا أن شاء الله تعالى صحة الأحاديث النبوية المروية في الكتب الصحاح السنية ، مقدمين في البحث فوائد جلييلة :

### الفائدة الأولى :

قال في اظهار الحق ان جمهور أهل الكتاب من اليهود والمسيحيين كانوا يعتبرون سلفا وخلفا الروايات اللسانية كالمكتوب ، بل جمهور اليهود يعتبرونها أكثر من المكتوب ، وفرقة الكاثوليك من النصرارى تعتبرها مساوية له ، وتعتقد أن كليهما واجب التسليم وأصلان للايمان ، وجمهور فرقة البروتستنت من النصرارى أنكروها كما أنكروها الصادقون من فرق اليهود • وهؤلاء المنكرون من البروتستنت اضطروا الى انكارها

لأنهم لو لم يذكروها لما أمكن لهم بيان أصول ملتهم وعقائدهم الجديدة المضادة لعقائد الكاثوليك لكنهم مع ذلك يحتاجون اليها في مواضع كثيرة ويوجد سند اعتبارها من كتبهم المقدسة ، كما ستظهر لك جميع هذه الأمور ان شاء الله تعالى : قال آدم كلارك في شرح ديباجة كتاب عزرا في المجلد الثانى من تفسيره المطبوع سنة ١٨٥١ : « قانون اليهود كان منقسما الى نوعين مكتوب ويقولون انه التوراة وغير مكتوب ويقولون له الروايات اللسانية التى وصلت اليهم بواسطة المشايخ ، ويدعون ان الله تعالى كان أعطى موسى كلا النوعين على جبل الطور ، فوصل اليينا أحدهما بواسطة الكتاب ، وثانيهما بواسطة المشايخ بأن نقلوها جيلا بعد جيل . ولهذا يعتقدون أن كليهما مساويا في المرتبة ، ومن جانب الله وواجب التسليم ، بل يرجحون الثانى ويقولون : ان القانون المكتوب ناقص معلق فى كثير من المواضع ، فلا يمكن أن يكون أصل الايمان على الوجه الكامل بدون اعتبار الرواية اللسانية ، وهذه الرواية واضحة وأكمل وتشرح القانون المكتوب وتكمله . ولهذا يردون معانى القانون المكتوب اذا كان مخالفا للروايات اللسانية ، واشتهر فيما بينهم : أن العهد المأخوذ من بنى اسرائيل ما كان لاجل القانون المكتوب ، بل كان لأجل هذه الروايات اللسانية ، فكأنهم بهذه الحيلة نبذوا القانون المكتوب ، وجعلوا الروايات اللسانية مبنى دينهم وايمانهم ، كما أن الرومانيين الكاثوليكين فى ملتهم اختاروا هذه الطريقة ، ويفسرون كلام الله تعالى على حسب هذه الروايات ، وان كان المعنى الروائى مخالفا لمواضع كثيرة ، ووصلت حالتهم فى زمان ربنا الى مرتبة ألزمهم الرب فى هذا الأمر بأنهم يبطلون كلام الله لأجل سنتهم . ومن عهد الرب أفرطوا فيه جدا حتى عظموا هذه الروايات أزيد من المكتوب .

وفى كتبهم أن ألفاظ المشايخ أحب من ألفاظ التوراة ، وألفاظ التوراة بعضه جيد وبعضه غير جيد وألفاظ المشايخ كلها جيدة ، وألفاظهم أجود جدا من ألفاظ الأنبياء . ومرادهم بألفاظ المشايخ هذه الروايات اللسانية ، التى وصلت اليهم بواسطة المشايخ .



وأیضا فی كتبهم : أن القانون المكتوب كالماء ، ومثنا وتالمود  
الذين رواياتهم مضبوطة فيهما مثل الخمر ذات الأباريز . وأيضا في  
كتبهم : أن القانون المكتوب كالمح ومثنا وتالمود مثل الفلفل والأباريز  
العذبة ، ومثلها أقوال آخر يعلم منها أنهم يعظمون الروايات اللسانية  
أزيد من القانون المكتوب ، ويفهمون كلام الله على ما يفهم شرحه من  
هذه الروايات ، فكان القانون المكتوب عندهم بمنزلة الجسد الميت  
والروايات اللسانية بمنزلة الروح الذي به الحياة ، ويقولون في كون  
هذه الروايات أصلا : ان الله لما أعطى موسى التوراة أعطاه معاني  
التوراة أيضا ، وأمر أن يكتب الأول ويحفظ الثاني ويبلغه بالرواية اللسانية  
فقط . وهكذا تنتقل جيل بعد جيل . ولذلك يطلقون على الأول لفظ القانون  
المكتوب ، وعلى الثاني لفظ القانون اللساني . والفتاوى التي تكون  
مطابقة لهذه الروايات يسمونها قوانين موسى التي حصلت على جبل سيناء  
ويذعنون كما أن موسى حصل له التوراة في الأربعين يوما التي كانت  
المكاملة بينه وبين الله تعالى على جبل سيناء فكذلك حصلت له هذه الروايات  
اللسانية أيضا ، وجاء بهما موسى من الجبل ، وبلغهما الى بنى اسرائيل ،  
بأن طاب هرون في الخيمة بعدما رجع عن الجبل فعلمه القانون المكتوب  
أولا ، ثم الروايات اللسانية التي هي معاني القانون المكتوب كما وجدها  
من الله ، وقام هرون بعد ما تعلم وجلس عن يمين موسى ، ودخل  
أليعازر وايثمار ، ابنا هرون وتعلما كما تعلم أبوهما ، وقاما فجلس  
أحدهما على يسار موسى ، والآخر على يمين هرون ، فدخل المشايخ  
السبعون وتعلموا القانونين وجلسوا في الخيمة ، ثم تعلم الناس الذين  
كانوا مشتاقين للتعلم ، ثم قام موسى وقرأ هارون ما تعلم ، وقام . ثم  
رأ أليعازر وايثمار وقاما ، ثم قرأ المشايخ السبعون ما تعلموا على  
الناس ، فسمع كل من هؤلاء الناس هذا القانون أربع مرات وحفظوا  
حفظا جيدا .

ثم أخبر هؤلاء بعدما خرجوا سائر بنى اسرائيل فبلغوا القانون المكتوب

بواسطة الكتابة ، وبلغوا معانيها الرواية الى الجيل الثانى وكانت الأحكام فى المتن المكتوب ستمائة وثلاثمائة عشر ، فقسموا القانون بحسبها • ويقولون : ان موسى جمع بنى اسرائيل كلهم فى أول الشهر الحادى عشر من خروج مصر ، وأخبرهم بموته ، وأمر أن أحدا ان نسى تولا من القانون الالهى وصل بواسطتى اليه يجىء الى ويسألنى ، وكذلك ان كان لأحد اعتراض على قول من أقوال القانون يجىء الى لأرفع ذلك الاعتراض ، وكان مشتغلا بالتعليم الى آخر حياته ، يعنى من أول الشهر الحادى عشر الى السادس من الشهر الثانى عشر ، وعلم القانون المكتوب وغير المكتوب ، وأعطى بنى اسرائيل من القانون المكتوب ثلاث عشرة نسخة مكتوبة بيده ، بأن أعطى كل فرقة نسخة نسخة لتبقى محفوظة فيما بينهم جيلا بعد جيل ، وأعطى بنى لاوى نسخة أخرى لتبقى محفوظة فى الهيكل أيضا ، وقرأ القانون الغير مكتوب أعنى الروايات اللسانية على يوشع ، وصعد على جبل نبو فى اليوم السابع من الشهر ومات هناك •

وفوض يوشع بعد موت موسى هذه الروايات الى المشايخ وهم فوضوا الى الأنبياء فكان نبي يوصلها الى نبي آخر الى أن أوصل الى ارميا الى ياروخ ، وباروخ الى عزرا وعزرا الى مجمع العلماء الذين كان شمعون صادوق آخرهم ، وهو أوصل الى اينيتى كونوس ، وهو الى بوئى بن يحنان ، وهو الى يوسى بن يوسير ، وهو الى نتهان الأربلى ويوشع بن برخيا ، وهما الى يهودا بن يحيى وشمعو بن شطاه ، وهم الى شمايا وابى ظليون ، وهما الى هليل وهو الى ابنه شمعون • والمظنون أن شمعون هذا هو شمعون الذى أخذ ربنا المنجى على اليمين ، اذ جاءت مريم به الى الهيكل بعدما تمت أيام تطهيرها وهو أوصل الى كمائيل ابنه ، وهذا كمائيل هو الذى تعلم منه بولس ، وهو وأوصل الى شمعون ابنه ، وهو الى كمائيل ابنه ، وهو الى شمعون ابنه ، وهو الى رب يهودا حق دوش ابنه • وجمع يهودا هذا هذه الروايات فى كتاب سماه مشنا • انتهى •

ثم قال ان اليهود يعظمون هذا الكتاب تعظيما بليغا ويعتقدون أن

ما فيه هو كله من جانب الله أوحى الى موسى على جبل سيناء ، مثل  
القانون المكتوب ولهذا هو واجب التسليم مثله • ومنذ صنف هذا  
الكتاب صار رائجا بينهم راجا تاما بالدرس والتدريس ، وكتب عليه  
علماءهم الكبار شرحين :

• احدهما : في القرن الثالث في اورشليم

• والثاني : في ابتداء القرن السادس في بابل

واسم كل من هذين الشرحين جمارا ، لأن معنى جمارا في اللغة  
الكمال وقد حصل التوضيح التام للمتن في هذين الشرحين — في ظنهم —  
وإذا جمع الشرح والمتمن يقال لهذا المجموع تلمود ، ويقال للتميز تلمود  
اورشليم وتلمود بابل • وكان مذهبهم الراج الآن كل مندرج في هذين  
التلمودين اللذين كتب الأنبياء خارجه عنهما • ولما كان تلمود اورشليم  
مغلنا فلذلك الآن اعتبار تلمود بابل عندهم زائد « انتهى •

وقال هورن في الباب السابع من الحصة الأولى من المجلد الثاني  
من تفسيره المطبوع سنة ١٨٧٧ « مشنا كتاب مشتمل على روايات اليهود  
المختلفة وشروح متون الكتب المقدسة ، وظنهم في حقه أن الله تعالى  
لما أعطى التوراة على جبل طورسينا أعطاه هذه الروايات أيضا في  
ذلك الحين ، ووصلت من موسى الى هرون وأليعازار ويوشع ومنهم الى  
الأنبياء الآخرين • ومن هؤلاء الأنبياء الى المشايخ الآخرين • وهكذا  
وصلت من جيل الى جيل الى أن وصلت الى شمعون • وهذا شمعون  
هو شمعون الذي أخذ ربنا المنجى على يديه ، ووصلت منه الى جمائيل  
وولد الى يهودا حق دوش أى المقدس ، وهو جمعها في آخر القرن  
الثاني بمشقة أربعين سنة في كتاب من هذا الوقت بلطنا بعد بطن ،  
مستعمل في اليهود ، وكثيرا ما يكون عزة هذا الكتاب زائدا عن القانون  
المكتوب « انتهى •

ثم قال « على مشنا شرحان يسمى كل منهما جمارا أحدهما جمارا

أورشليم الذي كتب في أورشليم على رأى بعض المحققين في القرن الثالث، وعلى رأى قادرمون في القرن الخامس. والثانى جمارا الذي كتب في القرن السادس في بابل ، وجمارا هذا مملوء بالحكايات الواهية ، لكنه عند اليهود معتبر عظيم ودرسه وتدرسيه رائجان فيهم ، ويرجعون اليه في كل مشكل مذعنين بأنه مرشد لهم ، وقال جمارا لأن معنى جمارا الكمال . وظنهم أن هذا الشرح كمال التوراة ولا يمكن أن يكون شرح أفضل منه ، ولا حاجة الى شرح آخر ، واذا انضم بالثن جمارا أورشليم يقال للمجموع تلمود أورشليم ، واذا انضم جمارا بابل يقال للمجموع تلمود بابل « انتهى .

فظاهر من تحرير هذين المفسرين أربعة أشياء :

الأول : ان اليهود يعتبرون الرواية اللسانية كالتوراة بل كثيرا ما يعظمونها أزيد من التوراة ، ويدعون أنها بمنزلة الروح والتوراة بمنزلة الجسد ، واذا كان حال التوراة هكذا ، فكيف حال الكتب الأخر .

والثانى : ان هذه الروايات جمعها يهودا حق دوش في آخر القرن الثانى ، وكانت محفوظة بالحفظ اللسانى الى ألف وسبعمائة سنة ، ووقع على اليهود في أثناء هذه المدة آفات عظيمة ودواهي جسيمة . مثل حادثة بخت نصر وأينتوكس وطيطوس وغيرها ، بحيث انقطع التواتر في هذه الحوادث ، فضاعت الكتب ، ومع ذلك اعتبارها عندهم أزيد من التوراة .

والثالث : ان هذه الروايات في أكثر الطبقات مروية برواية واحد واحد ، مثل جمائل الأول والثانى ، والشمعون الثانى والثالث . وهؤلاء لم يكونوا من الأنبياء عند اليهود ، وكانوا عند المسيحيين من أشد الكفار المنكرين للمسيح ، ومع ذلك هذه الروايات عند اليهود هي مبنى الايمان وأصل العقائد .

الرابع : أن جمارا بابل لما كتب في القرن السادس فحكاياته

الواحية على قول هورن كانت محفوظة بالرواية اللسانية فقط الى مدة  
هي أزيد من ألفين •

فإذا عرفت حال اليهود باعتراف محققى فرقة البروتستنت فاعلم  
الآن حال جمهور قدماء المسيحية • قال يوسى بيس الذى تاريخه معتبر  
عند علماء الكاثوليك والبروتستنت فى الباب التاسع من الكتاب الثانى  
من تاريخه المطبوع سنة ١٨٤٧ فى الصفحة الثامنة والسبعين فى بيان  
حال يعقوب الحوارى : « ان كليمنس نقل حكاية قابلة للحفظ فى كتابه  
المسابع فى بيان حال يعقوب هذا ، والظاهر أن حال كليمنس نقل هذه  
الحكاية عن الروايات اللسانية التى وصلت اليه من الآباء والأجداد ،  
ثم نقل فى الباب الثالث والعشرين من الكتاب الثالث قول أربذوس فى  
الصفحة الثالثة والعشرين بعد المائة « كنيسة أفسس التى بناها بولس  
وأقام فيها يوحنا الحوارى الى عهد سلطنة ترجان شاهد ذو ايمان  
لأحاديث الحوارين » ثم نقل فى تلك الصفحة قول كليمنس « اسمعوا  
فى حق يوحنا الحوارى حكاية ليست بكاذبة بل هى : صادقة محققة ،  
يقىيت فى الصدور محفوظة » ثم قال فى الباب الرابع والعشرين من  
الكتاب الثالث فى الصفحة السادسة والعشرين بعد المائة « تلاميذ  
المسيح مثل الحواريين الاثنى عشر والسبعين رسولا وكثير من أناس  
آخرين لم يكونوا غير واقفين عن الحالات المذكورة التى كتبها  
الانجيليون • لكن كتبها منهم متى ويوحنا فقط ، وعلم من الرواية  
اللسانية أن تحريرهما أيضا كان لأجل الضرورة » ثم قال فى الباب الثامن  
والعشرين من الكتاب الثالث فى الصفحة الثانية والثلاثين بعد المائة :  
« كتب ارينيوس فى كتابه الثالث حالا هو حرى بأن يكتب ، ووصل اليه  
هذا الحال من يوليكارب بالرواية اللسانية » ثم قال فى الباب الخامس  
من الكتاب الرابع « لم أرحال أساقفة أورشليم بالترتيب فى كتاب ،  
لكنه ثبت بالرواية اللسانية أنهم بقوامدة تقليية » ثم قال فى الباب  
السادس والثلاثين من الكتاب الثالث « وصل الينا بالرواية اللسانية  
أنهم لما ذهبوا باكتايثوس الى الروم ليقتلوه بالقائه بين أيدي المسابع

لأجل كونه مسيحيا ، ومر بايشيا في حفاظة العسكريين فقوى الكنائس المختلفة في أثناء الطريق بنصائحه وأقواله ، وأخبرهم عن البدعات التي كانت منتشرة في تلك الأيام أو كانت حدثت ووصاهم باللصوق بالروايات اللسانية لصوقا قويا ، واستحسن أيضا لأجل زيادة الحفظ أن كتب هذه الروايات ، وأثبت شهادته عيها ثم قال في الباب التاسع والثلاثين من الكتاب الثالث : « قال بي بيس في ديباجة كتابه : أكتب لانتفاعكم بجميع الأشياء التي وصلت من المشايخ الى وحفظتها بعد التحقيق التام ، ليثبت زيادة تحقيقها بشهادتي عليها ، لأنى مارضيت من قديم الزمان بسماع الأحاديث من الذين يلغون كثيرا ويعملون بنصائح أخرى أيضا ، بل سمعت الأحاديث من الذين لا يعلمون الا النصائح الحقّة التي هي مروية من ربنا الصادق ومن لقينته من متبعي المشايخ سألت عنه : اندراوس أو بطرس أو فيلبس أو توما أو يعقوب أو متى أو شخص آخر من تلاميذ ربنا أو أرسنتيون أو القسيس يوحنا مر يد ربنا ماذا قال ؟ لان الفائدة التي حصلتها من السنة الأحياء ما حصاتها من الكتب »

ثم قال في الباب الثامن من الكتاب الرابع : « هجيسى ويس من مؤرخي الكنيسة مشهورة ونقلت عن تأليفاته أشياء كثيرة نقلها عن الحواريين بالروايات اللسانية ، وكتب هذا المصنف مسائل الحواريين التي وصلت اليه بالرواية اللسانية بعبارة سهلة في خمس كتب » •

ثم نقل في الباب الرابع عشر من الكتاب الرابع قول أدينيوس في بيان حال يوليكارب « في علم بوايكارب دائما ما تعلمه من الحواريين وبلغه الكنيسة بالرواية وكانت مثله صادقة » •

ثم نقل في الباب السادس من الكتاب الخامس عن قول آرينوس « فهرست أساقفة الروم » وقال في الصفحة الواحدة بعد المائتين « الآن الى تهيروس أسقفها الثانى عشر من السلسلة التي وصل اليها بواسطة الصدق والروايات اللسانية من الحواريين » ثم نقل في الباب الحادى عشر من الكتاب الخامس قول كليمنس « ما كتبت هذه الكتب

لطبيب الرفعة ، بل لظن كبرسنى ، ولأن تكون تزيينات لسانى جمعتهما على طريق التفسير كأنها شروح للمسائل الالهامية التى صرت بها معظما بعد ما تعلمتها من الصادقين المباركين ، ومنهم يونى كوس الذى كان فى اليونان والثانى الذى كان يقيم فى مكينا كريشيا كان أحدهما سريانيا والآخر مصريا . وكان الباقيون من سكان المشرق . دان واحد منهم أسوديا وواحد عبرانيا من أهل فلسطين . والشيخ الذى وصلت آخر الى خدمته مختفيا فى مصر ، وكان أفضل من المشايخ كلهم ، وما طلبت شيئا آخر بعده لأن أحدا ما كان أفضل منه . وهؤلاء المشايخ حفظوا الروايات الصادقة التى هى منقولة من بطرس ويعقوب ويوحنا وبولس جيلا بعد جيل » .

ثم نقل فى الباب المتمم عشرين من الكتاب الخامس قول أرينيوس : « سمعت بفضل الله هذه الأحاديث بالامعان التام وكتبتها فى صدرى لا فى القرتاس ، وعادتى من قديم الأيام أنى أكررها بالديانة » .

ثم قال فى الباب الرابع والعشرين من الكتاب الخامس « كتب بولى كرائيس الأسقف رواية وصلت اليه بالرواية اللسانية فى الكتاب الذى أرسله الى وكتر وكنيسة الروم » ثم قال فى الباب الخامس والعشرين من الكتاب الخامس : « تاركثوس وتهيوفلوس وكاسيوس من أساقفة فلسطين وأسقف كنيسة أشور ، وأسقف تولسائى كلاروس والأشخاص الآخرون الذين جاءوا مع هؤلاء ، أساقفة قدموا أمورا كثيرة فى حق الرواية التى وصلت اليهم فى باب عيد الفصح من الحواريين ، منقولة بالرواية اللسانية ، جيلا بعد جيل » وكتبوا فى آخر الكتاب : أن أرسلوا نقلوه الى الكنائس ، لئلا يبقى للذين يضلون عن الصراط المستقيم سريعا موضع الفرار ثم قال فى الباب الثالث عشر من الكتاب السادس فى بيان حال كليمنس اسكندر يانوس الذى كان من أتباع تابعى الحواريين أنه قال فى كتابه الذى ألفه فى بيان عيد الفصح « ان الأبناء طلبوا منى أن أكتب لنفع الأجيال الآتية الروايات التى سمعتها من الأساقفة » ثم قال فى الباب الحادى والثلاثين من الكتاب السادس

في الصفحة الثالثة والستين بعد المائتين ايفريكاتوس في رسالته التي هي موجودة الى هذا الحين ، وكان أرسلها الى أرسطيديس « يبين التطبيق بين بيانى متى ولوقا في نسب المسيح باعتبار الرواية التي وصلت آليه من الآباء والأجداد » انتهى كلامه . وعام من أقوال السبعة عشر أن قدماء المسيحيين كانوا يعتبرون الرسالة اللسانية اعتبارا عظيما . وقال جان ملتر الكاثوليكي في كتابه الذي في بلد دربي سنة ١٨٦٦ في رسالته العاشرة التي أرسلها الى جيمس برون « انى كتبت في ما قبل أيضا : أن مبنى ايمان الكاثوليك ليس كلام الله الذي هو مكتوب فقط ، بل هو أعم ، مكتوبا كان أو غير مكتوب ، يعنى الكتب المقدسة والروايات اللسانية على ما شرحتهما كنيسة الكاثوليك به » ثم قال في تلك الرسالة « ان آرينيوس قال في الباب الخامس من المجلد الثالث من كتابه انه لا يوجد لطالبي الحق أمر أسهل من أن يتفحصوا في كل كنيسة الروايات اللسانية التي هي منقولة عن الحوارين وأظهروها في العالم كله » ثم قال في تلك الرسالة : « ان آرينيوس قال في الباب الثالث من المجلد الأول من كتابه « ان السنة الأقوام وان كانت مختلفة لكن حقيقة الرواية اللسانية في كل موضع متحدة . كنائس الجرمن ليست مخالفة في التعليم والعقائد لكنائس فرانس ، وأسبانيا والمشرق ومصر وليبيا » .

ثم قال في تلك الرسالة : ان آرينيوس قال في الباب الثانى من المجلد الثالث : ولما كان تحرير حال سلاسل الكنائس كلها يفضى الى التطويل ، فاذلك نرجع الى رواية وعقيدة كنيسة الروم التي هي قديمة وعظيمة ومشهورة جدا وبناها بطرس وبولس الكنائس كلها موافقة لها ، لأن الروايات اللسانية المنقولة عن الحوارين جيلا بعد جيل ، كلها محفوظة فيها » ثم قال في تلك الرسالة : « ان آرينيوس قال في الباب الرابع والستين من الكتاب الرابع : « ولو فرضنا أن الحوارين لم يتركوا الكتب لنا . فنقول : انه اما كان لازما علينا أن نطبع الأحكام التي ثبتت بالرواية اللسانية التي هي منقولة عن الحوارين ، وكانوا سلموها للناس الذين سلموها للكنيسة ، وهذه الروايات هي الى يعمل



بحسبها الوحشيون الذين آمنوا بالمسيح بلا استعمال الحروف والمداد « ثم قال في تلك الرسالة : ان ترتولين قال في كتابه الذي ألفه في رد أهل البدعة وطبع في بلد « رهنان » في الصفحة السادسة والثلاثين « ان عادة أهل البدعة أنهم يتمسكون بالكتب المقدسة ، ويستدلون ويقولون انه ليس غير الكتب المقدسة المكتوبة شيئاً قابلاً ، لأن يجعل مبنى الايمان ويقال بحسبه ويعجزون بهذه التحيلة الأقوياء ، ويلتجون الضعفاء في شبكاتهم ، ويوقعون المتوسطين في الشك . ولذا نقول : لا تجيزوا هؤلاء أبداً أن ينافر مستدلين بالكتب المقدسة لانه لا تترتب على المباحثة التي تكون بالكتب المقدسة فائدة ما ، غير أن يصير الدماغ والمبطن خاليين ، فلذلك طريقة الرجوع الى الكتب المقدسة غلط ، لأنه لا يحصل انفصال أمر من هذه الكتب . وان حصل شيء يكون على الوجه الناقص ، ولو لم يكن هذا الأمر أيضاً كانت طريقة المباحثة في تلك الصورة أيضاً أن يحقق أولاً أن الكتب المقدسة علاقتها من أي الناس ؟ وبلغ أي شخص الى أي شخص في أي وقت الرواية التي صرنا بسببها مسيحيين ؟ لأن الموضوع الذي توجد فيه أحكام الدين المسيحي وعقائده ، يوجد فيه صدق الانجيل ومعانيه وجميع روايات الدين المسيحي التي هي لسانية » .

ثم قال في تلك الرسالة : « كتب باسلوس ان المسائل الكثيرة المحفوظة في الكنيسة التي يوعظ بها اخذ بعضها من الكتب المقدسة ، وبعضها من الروايات اللسانية ، وقوتهما في الدين مساوية ، ومن كان له وقوف ما على الشريعة العيسوية لا يعترض على هذا » .

ثم قال في تلك الرسالة : « ان كريس استقم صرح في شرح الآية الرابعة عشرة من الباب الثاني من الرسالة الثانية الى أهل تسالونيكي « ظهر من هذا صراحة أن الحواريين لم يبلغوا الأشياء كلها اليها بواسطة التحرير ، بل لغوا أشياء كثيرة بدون التحرير أيضاً . وكتنأهما متساويتان في الاعتبار ، ولذلك فلنلاحظ أن رواية الكنيسة منشأ الايمان . واذا ثبت شيء بالرواية اللسانية ، فلا نطلب زائداً عليه » .

ثم قال فى تلك الرسالة : « ان أكستين كتب فى حق الشخص الذى حصل له الاصطباغ من المعتدين أنه وان لم يوجد السند التحريرى فى هذا الباب ، لكنه فليلاحظ أن هذا الرسم أخذ من الرواية اللسانية لأن الأشياء الكثيرة تسلم الكنيسة العامة أن الحوارين نروها وهى ليست بمكتوبة » انتهى كلامه •

وعلم من أقواله : أن الروايات اللسانية مبنى ايمان فرغه الكاثوليك وكانت معتبرة عند القدماء ، وفى الصفحة الثالثة والسنين من المجاد الثالث من الكاثوليكي هرأد ما عبارته : « أورد الربى موسى قدسى شواهد كثيرة على أن متن الكلام المقدس لا يفهم بدون معونة الحديث والرواية اللسانية ، واقتدى مشايخ الكاثوليك بهذه القاعدة فى كل وقت » وقال ترتولين : فليرجع لادراك الشئ الذى علم المسيح للحواريين الى الكنائس التى بناها الحواريون وعلموها بتحريراتهم ورواياتهم اللسانية » •

فعلم من هذه العبارات المذكورة : أن اليهود عندهم تعظيم الروايات والأحاديث أزيد من تعظيم التوراة ، وأن جمهور قدماء المسيحية مثل كليمنس وآرينيوس وهجيسى بوس وبوليكارب وبولى كراتيس وفاركتوس وتهيوفافوس وكاسيوس وكالروس وكليمنس اسكندر يانوس وايفريكانوس وون سنت الاسقف وغيرهم كانوا يعتبرون الروايات اللسانية ويعظمونها ويقدمونها ويتداولونها • ولا يفرقون بينها وبين الأناجيل • فالانصاف أن رد ما قال جمهور علماء النصارى من اعتبار الروايات اللسانية لا يخلو عن تعصب وجهل ويكذب هذا الأمر انجيلهم أيضا فى آيات متعددة منها الآية الرابعة والثلاثون من الأصحاح الرابع من انجيل مرقس ما عبارتها : « وبدون مثل لم يكن يكامهم ، وأما على انفراد فكان يفسر لتلاميذه كل شئ » ويبعد أن لا تكون هذه التفسيرات كلها أو بعضها مروية ، وأن يكون الحواريون محتاجين الى التفسير ، ومعاصرونا لا يكونون كذلك • ومنها الآية الخامسة والعشرون من الأصحاح الحادى والعشرين من انجيل يوحنا ما عبارتها : « وأشياء أخر كثيرة صنعها

يسوع ان كتبت واحدة واحدة فليست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة « وكلام الانجيلي وان لا يخلو عن المبالغة والغلو ، لكت لا شك أن قوله « وأشياء أخر كثيرة » يشمل جميع أفعال المسيح عليه السلام ، معجزات كانت أو غيرها . ويبعد أن لا يكون شيء منها مرويا بالرواية اللسانية . ومنها : الآية الخامسة عشرة من الأصحاح الثاني من الرسالة الثانية الى أهل تسالونيكي ما عابرتها : « فاثبتوا أذن أيها الاخوة وتمسكوا بالتعاليم التي تعامتموها سواء كان بالكلام أم برسالتنا » فقوله « سواء كان بالكلام أم برسالتنا » يدل صراحة على أن بعض الأشياء وصلت اليهم بواسطة التحرير وبعضها بالكلام مباشرة ، فلا بد أن يكون كلاهما معتبرين عند المسيحين ، كما صرح به غير واحد من علمائهم المتقدمين والمتأخرين . ومنها الآية الثانية من الأصحاح الثاني من الرسالة الثانية الى تيموثاوس ما عابرتها : « وما سمعته منى بشهود كثيرين أودعه أنا أسا أمنا . يكونون كفوا أن يعاموا الآخرين أيضا » ومنها ما في آخر الرسالة ليوحنا ما عابرتها : « اذ كان لى كثير لأكتب اليكم ، لم أر أن يكون بورق وحبر ، لأنى أرجو أن أتى اليكم وأنكلم فما لفم لكى يكون فرضا كاملا » ومنها ما في آخر الرسالة الثالثة ما عابرتها : « وكان لى كثير لأكتبه لكنى لست أريد أن أكتب الآن بحبر وقلم ولكنى أرجو أن أراك عن قريب ، فأكلم فما لفم » فهاتان الآيتان تدلان على أن به حنا قال فى المسافة أشياء كثيرة على ما وعد ، و بعد أن لا تكون هذه الأشياء كلها أو بعضها مروية برواية .

فظهر مما ذكرنا أن من أنكر من فرقة البروتستنت اعتبارا لأحاديث مطلقا فى الملة المسيحية فهو اما جاهل أو متعسف عنيد وهوله مخالف لكتبه المقدسة ، ولجمهور عامائه من القدماء وهو داخل فى زمرة المبتدعين على قول بعض القدماء ، ومع ذلك لابد له من اعتبارها فى كثير من معتقدات فرقته مثل قولهم : ان الابن مساو للآب فى الجوهر ، وأن الروح القدس منبثق من الآب والابن ، وأن المسيح ذو طبيعتين وأقنوم واحد ، وأنه ذو ارادتين الهية وانسانية ، وأنه بعد ما مات

نزل الجحيم ، وغيرها من هوساتهم ، مع أن هذه الكلمات لا تهجد بعينها في العهد الجديد وما اعتقدوا هذه الأمور الا من الأحاديث والتقليدات .

وأیضا يلزم عليه أن ينكر كثيرا من أجزاء كتبه المقدسة مثل انجيل مرقس ولوقا وتسعة عشر اصحاحا من سفر أعمال الحواريين لأنها كتبت بالروايات اللسانية لا بالمشاهدة ولا بالوحي كما ستعرف ان شاء الله تعالى في اثبات هذا في محله مفصلا .

ولتورد لك دليلا واحدا من تلك الأدلة وهو أن انجيل لوقا لم يكن الهاميا ويظهر ذلك مما كتبه في ديباجة انجيله ونصه : « لأجل أن كثيرين اجتهدوا بترتيب قصص الأمور التي كملت فينا كما عاهد الينا أولئك كانوا منذ القديم يبصرون . وكانوا خداما للكلمة ، رأيت أنا أيضا اذ كنت تابعا لكل شيء من البدء باجتهاد أن أكتب اليك أيها العزيز ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذي علمت به » انتهى .

وغير هذا مما لا مجال لأهل الكتاب أن يدعوا أن كل كتاب من كتب العهد العتيق والجديد كتب بالالهام ، وأن كل حال من الأحوال المندرجة فيه الهامى ، لأن هذا الادعاء باطل قطعا كما لا يخفى .

وقال يوسف الخورى في تفسيره وصححه : « أن لوقا لم يكن من الاثنتين وسبعين مبشرا ، ولم يشاهد المسيح ، بل كتب ما سمعه من الرسل ومريم العذراء كما شهد عن نفسه في بداية انجيله بقوله : « حسبما عهد الينا أولئك الذين كانوا منذ القديم معانيين وكانوا خدام الكلمة » ولهذا دعاه متواترا تلميذ الرسل » انتهى .

ومثل أن ينكر خمسة اصحاحات من الخامس والعشرين الى التاسع والعشرين من سفر الأمثال لأنها جمعت في عهد حزقيا من الروايات اللسانية التي كانت جارية بينهم . وما بين زمان الجمع وموت سليمان عليه السلام مدة مائتين وسبعين سنة والآية الأولى من الأصحاح الخامس والعشرين من السفر المذكور تصرح بذلك . ونصها : « فهذه أيضا أمثال سليمان التي استكتبها أصدقاء حزقيا ملك يهوذا » انتهى .

وقال آدم كلارك المفسر في تفسيره المطبوع سنة ١٨٥١ ما عبارته :  
« يعلم أن في آخر هذا السفر أمثالا جمعت بأمر حزقيا السلطان من  
الرواية اللسانية التي كانت جارية من عهد سليمان ، فجمعوا هذه الأمثال  
منها وجعلوها ضميمه هذا السفر ، ويمكن أن يكون المراد بأحبياء حزقيا  
أشعياء وشنيا وغيرهما من الأنبياء الذين كانوا في ذلك العهد فنكون تلك  
الضميمة مثل السفر الباقي سندا والا فكيف ضموا بالكتاب المقدس »  
انتهى فقوله جمعت بأمر حزقيا السلطان من الرواية اللسانية ، صريح  
فيما قلناه . وقوله « ويمكن أن يكون المراد » الى آخره مردود ، لأنه  
مجرد احتمال لا يتم على المخالف بدون السند الكامل ، وليس عنده  
سند بل يقول احتمالا ورجما بالغيب . وقوله « وكيف ضموا بالكتاب  
المقدس » مردود لأن اليهود كان عندهم اعتبار الروايات أزيد من اعتبار  
التوراة كما قدمنا . فاذا صار مشنا عندهم معتبرا مع أنه جمع من  
روايات المشايخ بعد ألف وسبعمائة سنة تقريبا . وكذا صار قصص  
جمارا بابل ، مع أنها جمعت بعد ألفى سنة ، فأى مانع في اعتبار الأبواب  
الخمس التي جمعت بعد مائتين وسبعين سنة ؟ ولقد أنصف بعض علماء  
البروتستنت واعترف بأن الرواية اللسانية أيضا معتبرة مثل المكتوب في  
الصفحة الثالثة والستين من المجلد الثالث من الكاثوليكي هرلد ما لفظه :  
« ان الدكتور بريت الذي هو من فضلاء البروتستنت قال في الصفحة  
الثالثة والسبعين من كتابه : « ان هذا الأمر ظاهر من الكتب المقدسة  
هو أن الدين العيسوي صار مفوضا الى الأساقفة الأواين وتابعي  
الحواريين بالرواية اللسانية ، وكانوا مأمورين بأن يحافظوا عليه ويفوضوه  
الى الجيل المتأخر ، ولا يثبت من كتاب مقدس سواء كان بولس أو غيره  
من الحواريين أنهم كانوا متفقين أو منفردين جميع الأشياء التي لها دخل  
في النجاة ، وجعلوا قانونا يفهم منه أنه لا يوجد فيه شيء ضروري له  
دخل في النجاة غير المكتوب » .

وقال في الصفحة الثانية والثلاثين من الكتاب المذكور : « يرى بولس  
وغيره من الحواريين أنهم كما بلغوا اليها الأحاديث بواسطة التحرير ،

كذلك بلغوا بواسطة الرواية اللسانية أيضا • والويل للذين لا يحافظون عليها والأحاديث العيسوية في أمر الايمان سند كالمكتوب « انتهى كلام الدكتور بريث •

وقال أسقف مون نيك : « ان أحاديث الحوارين سند لمكتوباتهم ولا ينكر أحد من البروتستنت أن تقرير الحوارين اللسانى أزيد من تحريرهم » •

وقال جلنك ورتته : « أن هذا النزاع وهو أن أى انجيل هو ثانونى ، وأى انجيل ليس بقانونى يزول بالرواية اللسانية التى هى قاعدة الانصاف لكل نزاع » انتهى كلام الكاثوليكي هرلا •

وقال القسيس طامس انكلس الكاثوليكي فى الصفحة الحادية والثمانين بعد المائة من كتابه المسمى بمراه الأصدق المطبوع سنة ١٨٥١ « يشهد أستف « مانى سيك » من علماء البروتستنت أن ستمائة أمر قررها الله فى الدين وتؤمر الكنيسة بها ، يقبل فى حقها أن الكتاب المقدس ما بينها فى موضع وما علمها » أنتهى فعلى اعتراف فاضلهم هذا : ستمائة أمر ثبتوا بالرواية اللسانية وواجبة التسليم عند فرقة البروتستنت • أنتهى •

فعلم أن الأحاديث التى وصلت من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الى أمهم ، فيها أحكام مشروعة حكمها كحكم الكتب السماوية فى الاعتبار والامثال وهى مسلمة الاتباع عند ذوى الأديان الثلاثة من غير جدال •

فائدة : قال الامام السيوطى فى شرح ألفيته فى علم الحديث :  
اول جامع الحديث والآثر ابن شهاب أمر له عمرا  
وأول الجامع للأبواب جماعة فى العصر ذو اقتراب  
كابن جريج وهشيم بالك ومعمرو وولد المبارك

اعلم : أن الآثار كانت فى عصر الصحابة وكبار التابعين غير مدونة

ولا مرتبة لسيلان أذهانهم وسعة حفظهم ، ولأنهم كانوا نهوا أولا عن كتابتها خشية اختلاطها بالقرآن ، ولأن أكثرهم كان لا يحسن الكتابة . وقد أراد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى زمن خلافته تدوينها ولم يقدر له ذلك . قال ابن سعد فى الطبقات : أراد عمر بن الخطاب أن يكتب السنن واستخار الله تعالى شهرا ، ثم أصبح وقد نزم له ، فقال : « ذكرت قوما من أهل الكتاب من قبلكم قد كتبوا كتابا ، فأقبلوا عليه وتركوا كتاب الله ، وانى والله لا ألبس كتاب الله بشيء » فترك ثم كتب عمر بن عبد العزيز الى الآفاق : انظروا حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه . وقال الامام مالك : كان يكتب عمر بن عبد العزيز الى الأمصار يعلمهم السنن والفقه ، ويكتب الى المدينة يسألهم عما مضى ، وأن يعملوا بما عندهم ويكتب الى أبى بكر بن عمرو بن حزم أن يجمع السنن ويكب اليه بها . وقال الهروى : لم تكن الصحابة ولا التابعون يكتبون الحديث انما كانوا يؤدونها حفظا . وقد وقع تدوين الفرائض زمن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه .

قال الزهري : لولا أن ازيد بن ثابت كتب الفرائض رأيت أنها ستذهب من الناس .

وأما الجمع مرتبا على الأبواب فوقع فى منتصف القرن الثانى فأول من جمع كذلك ابن جريج بمكة وماك أو ابن اسحاق بالمدينة ، وهشيم بواسط ومعمر باليمن وابن المبارك بخراسان والربيع بن صبيح ، أو حماد ابن سلمة بالبصرة ، وسفيان الثورى بالكوفة والأوزاعى بالشام وجرير ابن عبد الحميد بالرى .

وقال ابن الأثير فى مقدمة جامع الأصول : « ما زال هذا العلم من عهد رسول الله ﷺ أشرف العلوم وأجلها لدى الصحابة والتابعين بعدهم وتابعى التابعين خلفا بعد سلف لا يشرف أحد بعد حفظ كتاب الله تعالى الا بقدر ما يحفظ منه ، ولا يعظم فى النفوس الا بحسب ما يسمع من الحديث عنه ، فتوفرت الرغبات فيه وانقطعت الهمم على

تعلمه • حتى لقد كان أحدهم يرحل المراحل ذوات العدد ، وينقطع الفيافي  
والمفاوز ويجوب البلاد شرقا وغربا في طلب حديث واحد ليسمعه من  
راويه ، فمنهم من يكون الباعث له على الرحلة طلب ذلك الحديث ، لذاته ،  
ومنهم من تعرف بذلك الرغبة سماعه من ذلك الراوى بعينه ، اما لثقتة  
في نفسه وصدقه في نقله • واما لعلو اسناده ، فانبعثت العزائم الى  
تحصيله • وكان اعتيادهم أولا على الحفظ والضبط في القلوب والخواطر  
غير ملتفتين الى ما يكتبونه ولا معولين على ما يسطرونه ، محافظة على  
هذا العلم ، فلما انتشر الاسلام واتسعت البلاد وتفرقت الصحابة في  
الأقطار وكثرت الفتوح ومات معظم الصحابة وتفرقت أتباعهم وقل  
الضبط ، احتاج العلماء الى تدوين الحديث وتقييده بالكتابة ، بعد أن  
أخذوه عن العدول والحفاظ المتقنين • فدونه علماء أعلام وألف نيسا  
جهاذة الأنام ، وميزوا صحيحه من سقيمه في أسفار متعددة ضخام •  
انتهى •

وقد ذكرنا لك أيضا فيما تقدم شيئا مما يتعلّق بهذا فراجعه  
ان أردته •

قوله « هل تجد لها أصلا في الكتاب الذي في يدك » الخ فنقول :  
قد مر عليك بطلان الحديث الذي استدل به على فاسد مطالبه • ونجيبه  
هنا أيضا بقولنا : نعم ان لها أصلا في كتاب الله سبحانه كما مر سابقا  
من قوله تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر » وقوله عز وجل :  
« سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى »  
الآية وقوله عز شأنه : « والله يعصمك من الناس » وقد عصمه كما قال •  
وقوله جل وعز : « ام غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم  
سيقلبون في بضع سنين » فكان الأمر كذلك ، وغير هذه الآيات مما تقدم  
لك في محله الدالة على ما حصل له عليه الصلاة والسلام من المعجزات  
والمشتملة على كثير من الاخبار بالمغربيات •

ومن المعلوم عند كل ذي لب أن المعجزة هي عبارة عن شيء خارق



للعادة يخلقه الله تعالى متى شاء على يد من شاء من أنبيائه الكرام عليهم الصلاة والسلام مقرونا بالتحدى فاذا صدرت معجزة واحدة عن نبي أو أخبر بالغيب ولو مرة واحدة ، فهي دالة على صدقه وشاهد عدل على نبوته ، وكافية في تأييد دعواه ، وكانت أصلا لغيرها من المعجزات التي تصدر منه . ومن المعلوم الذى أثبتناه غير مرة أن نفس القرآن معجزة له عليه الصلاة والسلام وقد تضمن المعجزات اللديدة التي تقدم لك ذكر شئ منها في محله ، فليكن ذلك أصلا للباقي المعجزات التي ذكرها أهل الحديث وتواترها النقلة الثقة في القديم والحديث ، كنبع الماء وتكثير الطعام وتكليم الوحوش وانقياد الشجر وتسليم الحجر وكلام الجماد له ﷺ فيكون حينئذ لتلك المعجزات أصلا في الكتاب فلا يصادم هذا الحديث على تقديم تسليم صحته شيئا من المعجزات التي رواها الأصحاب ، كما لا يخفى على كل فطن طالب لاتباع الحق غير مرتاب .

والله سبحانه الهادى الى صوب الصواب . وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد صاحب المعجزات ، وفصل الخطاب وعلى آله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

نجز الجزء الأول من كتاب رد النصارى المسمى بالنجواب الفسيح لما لفته عبد المسيح في ١٧ صفر سنة ١٣٠٧ هـ .



## فهرس الجزء الأول

من كتاب الجواب القسيح

لما لفته عبد المسيح

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٩	الفصل الثالث	٣	كلمة محقق الكتاب
١٥٣	فصل	٢٥	فصل في معنى « عماتويل »
١٦٧	فصل	٢٧	رد اللغو
		٢٧	أولا : القتال في سبيل الله
	الفصل الاول : في ابطال		ثانيا : تصدد الزوجات في
١٩١	التثليث بالبراهين العقلية	٢٩	الاسلام
	الفصل الثاني : في ابطال	٣٠	ثالثا : نسخ الشرائع
		٣٣	مقدمة المؤلف
١٩٦	التثليث بأقوال المسيح	٣٦	بدء كتاب النصراني
٢٠١	الفصل الثالث في التأويل	٣٧	الرد على كلام النصراني
٢٠٤	خاتمة		
٢١٠	تتمة		الفصل الاول : في بيان ما في
	الفصل الاول في قوله « وبيان		بعض الفاظه من المصطلحات
٢١٢	ذلك قول موسى الخ »	٤٢	ونحو ذلك
٢١٧	فصل	٤٣	تتمة في فائدتين
٢١٨	فصل	٥١	بدع الاخلاق
	الفصل الثاني : في بيان بعض	٥٢	بدع المجادلة
	فرقهم المشهورة والموجودة	٥٤	الفصل الثاني
	وبيان بعض اعتقاداتهم المعروفة	٥٨	الفصل الثالث
٢٣٣	عنهم الان	٦٢	الفصل الرابع
٢٣٦	فصل : في قولهم : الاله جوهر		القول في التثليث
١٢٧	الفصل الثالث : في الاتانيم	٧٠	الفصل الاول
	الفصل الرابع : في التسزوك	٧٤	الفصل الثاني

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٧٤	فصل	٢٤١	والإتحاد
٣٨٤	فصل فيها أكرم به من اجابة أدعيته عليه الصلاة والسلام		للفصل الأول : في نسبه ﷺ وبعض أحواله وسيرته وابتداء
٣٩١	فصل : في انذاره عليه الصلاة والسلام بما يحدث بعده	٢٤٣	أسره
٣٩٤	فصل : في معجزة ما ظهر من البهائم	٢٤٣	مقدمة
٣٩٨	فصل : في ظهور معجزة ﷺ من الشجر والجماد	٢٥٠	فصل في دعوى عبد المسيح أنه عليه السلام كان يعبد اللات والعزى
٤٠٣	فصل : في هتوف الجن بنبوته صلى الله عليه وسلم	٢٦١	الفصل الأول : في اثبات نبوته عليه الصلاة والسلام من الكتب السموية .. الخ
٤٠٨	فصل : فيها هجست به النفوس من الهام العقول بنبوته عليه	٢٩١	فصل
٤١٨	أفضل الصلاة والسلام	٣٠١	تتمة
٤٢٠	تتمة للامام الرازى	٣٠٧	فصل
	فصل	٣٠٩	فصل
	الفصل الأول : في الرد على	٣٣٨	فصل
٤٦٦	النصارى في طعنهم في الجهاد	٣٤٣	فصل
	الفصل الثانى فيها اجاب به	٣٤٥	فصل
٤٦٩	بعض المؤلفين الأفاضل	٣٤٧	فصل
٤٨٣	فصل	٣٥٠	فصل
	الفصل الثالث : لا ثمناعة في	٣٥١	فصل
٤٨٧	الجهاد	٣٥٢	فصل
٥٠٦	فصل	٣٥٣	فصل
٥١٠	المقدمة : في اعتراضاتهم		فصل : في معجزات عصيته
٥١١	الفصل الأول	٣٥٦	صلى الله عليه وسلم
٥١٣	الفصل الثانى	٣٥٨	فصل
	الفصل الثالث : في بيان تزوجه	٣٥٩	فصل
٥١٧	عليه الصلاة والسلام بزینب بنت جحش		فصل : فيها شوهد من معجزات أفعاله عليه الصلاة والسلام
٥٢١	الفصل الرابع	٣٦٥	فصل : في نوع آخر
٥٢٢	الفصل الخامس	٣٦٩	فصل : فيها سمع من معجزات أقواله عليه أفضل الصلاة
٥٢٥	الفصل السادس		والسلام
٥٢٧	الفصل السابع	٣٧١	

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٨٧	الفصل الخامس		الفصل الأول في : اثبات نبوته
٥٩٨	الفصل السادس		ورسالته بما اظهر من معجزاته
	فصل : مكمل لايراداتهم ونقل	٥٦٦	وآياته
٦١٦	لما يرد عليهم	٥٦٩	الفصل الثاني
	فصل : في الرد على من شكك	٥٧٤	الفصل الثالث
٦٧١	في صحة الاحاديث النبوية	٥٧٩	الفصل الرابع : في أن المصلوب
			الشبهه . . الخ

تم الفهرس

